سلسلة نصوص تراثية للباحثين

(١٣٤٤)

الحريق والحرائق

مدن ومساجد وأسواق وكتب

من مصنفات التاريخ والتراجم

نسأل الله العافية

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"تفاقم خطر العيارين في بغداد وقيام فتنة بينهم وبين أهلها.

٣٨٠¤٩٩٠ ١/٨

تفاقم الأمر بالعيارين ببغداد وصار الناس أحزابا في كل محلة أمير مقدم، واقتتل الناس وأخذت الأموال وأحرقت دور كبار، ووقع **حريق** بالنهار في نهر الدجاج، فاحترق بسببه شيء كثير للناس.

". (١)

"من فضة وبرنس خز فقدم على ابن الزبير وهو جالس بالأبطح ومعه أيوب بن عبد الله بن زهير بن أبي أمية المخزومي وعلى مكة يومئذ الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة فكلمه ابن عضاه وابن الزبير ينكت في الأرض فقال له أيوب يا أبا بكر ألا أراك غرضا للقوم فرفع ابن الزبير رأسه فقال قلتم حلف ألا يقبل بيعتي حتى يؤتى بي في جامعة لا أبر الله قسمه وتمثل ابن الزبير ... ولا ألين لغير الحق أسأله ... حتى يلين لضرس الماضغ الحجر ... ثم قال والله لا أبايع يزيد ولا أدخل له في طاعة

حرق الكعبة حدثنا الأنصاري وغندر قالا نا ابن جريج قال اتخذ ابن الزبير المسجد حصنا فكانت فيه الفساطيط والخيام فحرق رجل من أهل الش○○ام باب بني جمح ففشى **الحريق** حتى أخذ في باب الكعبة **فاحترقت** قال ابن جريج فسمعت ابن أبي عمار يقول نادى رجل من أهل الشام على ضفة زمزم هلك الفريقان أو قال الفريقان والذي نفس محمد بيده قال ابن جريج قال ابن أبي مليكة فاعتزل ابن الزبير في ناحية دار الندوة في تلك الناحية فجعل يقول يا رب يا رب لو علمت أن هذا كائن يا رب يا رب قد رقت حشوة الكعبة وضعف بناؤها حتى إن الطير لتقع عليها فتتناثر حجارتها وحدثنا أبو الحسن عن بقية بن عبد الرحمن عن أبيه قال لما بلغ يزيد بن معاوية أن أهل مكة أرادوا ابن الزبير على البيعة فأبى أرسل النعمان بن بشير الأنصاري وهمام ابن قبيصة النميري إلى ابن الزبير يدعوانه إلى الـبـيعة ليزيد على أن يجعل له ولاية الحجاز وما شاء وما أحب لأهل بيته من الولاية فقدما على ابن الزبير فعرضا عليه ما أمرهما به يزيد فقال ابن الزبير أتأمراني ببيعة رجل يشرب الخمر ويدع الصلاة ويتبع الصيد فقال همام أنت أولى بما قلت منه فلكمه رجل من قريش فرجعا إلى يزيد فغضب فحلف لا يقبل بيعته إلا وفي يده جامعة." (٢)

"من هذا الباب ليري الناس أنه قد بايع فأبى وقال لا يغتر بي أحد فضربه مائة سوط وألبسه تبان شعر وأراه أنه يصلبه

قال أبو اليقظان فحدثني أبو المقدام قال مروا علينا بسعيد بن المسيب ونحن في الكتاب وقد ضرب مائة سوط وعليه تبان شعر ذهبوا به يرهبونه بالصلب فقال سعيد بعد لو علمت أنهم لا يصلبونني ما لبست لهم التبان فقال عبد الملك حين بلغه ما صنع هشام بسعيد بئس ما صنع هشام مثل سعيد لا يضرب بالسياط كان ينبغي أن يضرب عنقه أو يدعه

---

(١) **مكتبة التاريخ المكي**

(٢) تاريخ خليفة بن خياط خليفة بن خياط ص/٢٥٢

وأقام الحج هشام بن إسماعيل المخزومي

وفيها غزا موسى بن نصير شكوما من أرض أفريقية فنزل على أوربة فقاتلوه ثم فتح الله فقتل وسبى

فحدثني أبو خالد بن سعيد عن أبي براء النميري قال زحفت الروم إلى أرمينية إلى محمد بن مروان فهزمهم الله وهي سنة **الحريق** وذلك أن محمد بن مروان بعد هزيمة القوم بعث زياد بن الجراح مولى عثمان بن عفان وهبيرة بن الأعرج الحضرمي فحرقهم في كنائسهم وبيعهم وقراهم وكان **الحريق** بالنشوى والبسفرجان

قال أبو براء في تلك الغزوة سبيت أم يزيد بن أسيد من السيسجان وكانت بنت بطريق السيسجان." (١)

"يحضرون سوق المجاز إلا محرمين [١] بالحج، وكانوا يعظمون أن يأتوا شيئا من المحارم أو [٢] يغير بعض على بعض لأنها أشهر حرم، وإنما سمي الفجار لما صنع فيه من الفجور

هذا حلف قريش الأحابيش [٣]

قال عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز الزهري الذي يقال له ابن أبي ثابت [٤] : كان الذي بدأ حلف الأحابيش أن رجلا من بني الحارث عبد مناة بن كنانة هبط/ مكة فباع سلعة له ثم أوى إلى دار من دور بني مخزوم فاستسقى فخرجت إليه امرأة من قريش، فقال: هلا كنت أمرت بعض الحفدة؟ فقالت: تركتنا بنو بكر نعاما [٥] ذا مثل حماد [٦] انا أن نترك في حرمنا، قال: فخرج الرجل حتى أتى بني الحارث بن عبد مناة فقال: يا بني الحارث! ذلت قريش لبني بكر، فإن كان عندكم نصر فنصر، فقالوا: ادعوا إخوانكم بني المصطلق والحيا بن سعد بن عمرو، فركبوا إليهم فجاؤوا بهم وسمعت بهم بنو الهون بن خزيمة فركبت معهم وذلك بعد خروج بني أسد من تهامة [٧] فخرجوا حتى اجتمعوا بذنب حبشي [٨] وهو جبل بأسفل مكة

---

[١] في الأصل: مجرمين- بالجيم المعجمة.

[٢] في الأصل: ر.

[٣] زيد في الأصل: فالأول ذلك (مدير) .

[٤] في الأصل: بائت. أجمع علماء الجرح والتعديل على تضعيفه كراوي الحديث، كان من أصحاب نسب وشعر، قال عمر بن شبة في أخبار المدينة إنه كان كثير الغلط في حديثه لأنه **احترقت** كتبه، فكان يحدث عن حفظه- تهذيب التهذيب ٦/ ٣٥١، ونستفيد من تاريخ بغداد ١٠/ ٤٤٠- ٤٤٢ أنه كان يعرف بابن أبي ثابت الأعرج وكان من أهل المدينة، قدم بغداد واتصل بيحيى بن خالد البرمكي، أقام بها مدة ثم رجع إلى المدينة، وكان ذا مروءة وبر وإنفاق، مات سنة ١٩٧، وذكر ابن النديم له كتابا اسمه كتاب الأحلاف- الفهرست ص ١٥٧.

[٥] النعام جمع النعامة الحيوان المعروف.

[٦] كذا في الأصل والعبارة هنا غير واضحة.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط خليفة بن خياط ص/٢٩٠

[٧] في الأصل: النهمة.

[٨] حبشي بضم الحاء المهملة وسكون الموحدة وكسر الشين والياء المشددة: جبل بأسفل مكة على ستة أميال منها- معجم البلدان ٣/ ٢١١، وفي سيرة ابن هشام ص ٢٤٦ أنهم تحالفوا بواد اسمه الأحبش.." (١)

"وقدرتم فاعفوا، فما زال بهذا القول ونحوه حتى رق له الناس ورق له مصعب، فوثب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال: قتل أبي وعمي وخالي وأشراف أهل مصري ثم نخلي سبيلهم، اخترنا أو اخترهم [١] ، ووثب [٨٣ ب] عدة [٢] فتكلموا بمثل كلامه، فلما رأى ذلك مصعب بن الزبير أمر بقتلهم. ولما قدم بجير بن عبد الله [٣] المسلي ليقتل قال: إن حاجتي إليك ألا تقتلني مع هؤلاء، فقد كنت أمرتهم أن يخرجوا فيقاتلوا حتى يموتوا كراما، حتى قتلهم الله لئاما.

وذكروا أن عمرو بن حريث قال لمصعب: إن هذا كان يزعم أنه يقتل فرعون هذه الأمة، فقال بجير: ليس هكذا قلت، ولكن حديث مما سمعت. قال مصعب وما سمعت؟ قال بجير: مر علي رحمة الله عليه ورضي عنه، ومعه الأشتر، فخرج إليه غلام منا بقدح فيه لبن وبكوز فيه ماء، فقال: اختر يا أمير المؤمنين، فتناول القدح والكوز، ثم صب الماء على اللبن حتى روي ثم قال، ونحن مجتمعون في ندي لنا: من الحي؟

فقلنا: بنو مسلية. فقال: بخ بخ، بنو مسلية تركوا الناس على ألوية شأنهم في آخر الزمان، يقتل فرعون هذه الأمة على يدي رجل منهم، شعارهم يومئذ في عسكره أشد عليه من حريق النار.

وكان سلمة بن بجير من ثقات أبي [٤] هاشم، ورأس الشيعة معه، وكانوا

---

[١] في ن. م. «فقام عبد الرحمن بن الأشعث فقال: أيها الأمير اخترنا عليهم أو اخترهم علينا» .

[٢] في أنساب الأشراف ج ٥ ص ٢٦٣ «وقام محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني فقال: قد قتل أبي وأشرافنا وخمسمائة أو أكثر منا ونخلي سبيلهم ودماؤنا ترقرق في أثوابهم، اخترنا أو اخترهم، فأمر بهم أن يقتلوا» .

[٣] زيادة.

[٤] في الأصل: «بني» ، والإشارة إلى أبي هاشم بن محمد بن الحنفية.." (٢)

"العزيز خاتم نفسه فدفعه إلى ابن رمانة، وبنى له داره، وغرس له نخلهم الذي لهم اليوم بناحية حلوان.

وعبد العزيز أيضا الذي غرس لعمير بن مدرك نخله الذي بالجيزة الذي يعرف بجنان عمير. وكان سبب ذلك كما حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم، أن عمير بن مدرك كان غرسه أصنافا من الفاكهة، فلما أدرك سأل عبد العزيز أن يخرج إليه، فخرج معه عبد العزيز إليه، فلما رآه قال له عبد العزيز: هبه لى، فوهبه له، فأرسل عبد العزيز إلى صاحب الجزيرة فقال له: لئن أتت عليه الجمعة وفيه شجرة قائمة لأقطعن يدك، وكان بالجزيرة خمسمائة فاعل عدة لحريق «١» إن كان فى

---

(١) المنمق في أخبار قريش محمد بن حبيب البغدادي ص/٢٢٩

(٢) أخبار الدولة العباسية مؤلف أخبار الدولة العباسية ص/١٨٢

البلاد أو هدم. فأتي بهم «٢» صاحب الجزيرة فكانوا يقطعون الشجرة بحملها وعمير يرى حسرات، فلما فرغ من ذلك، أمر فنقل إليه الودى من حلوان، وغرسه نخلا، فلما أدرك خرج إليه عبد العزيز وخرج بعير معه، فقال له: أين هذا من الذي كان؟ فقال عمير: وأين أبلغ أنا ما بلغ الأمير؟ قال:

فهو لك، وحبسه على ولدك «٣» . فهو لهم إلى اليوم.

واختط إلى جنب عبد الله بن الحارث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقال بل هو عجلان مولى قيس بن أبى العاص. وهى الدار التى زادها فى المسجد سلمة مولى صالح ابن على.

واختط عبادة بن الصامت إلى جانب ابن رمانة، وأنت تريد إلى سوق الحمام، وهى الدار التى كان يسكنها جوجو المؤذن، ودار إلى جنبها، فابتاع أحدهما عبد العزيز ابن مروان فكانت له، وصارت الأخرى لبنى «٤» مسكين.

واختط خارجة بن حذافة غربى المسجد بينه وبين دار ثوبان قبالة الميضأة القديمة إلى أصحاب الحناء إلى أصحاب السويق بينه وبين المسجد الطريق.

وكان الربيع بن خارجة يتيما فى حجر عبد العزيز، فلما بلغ اشترى منه داره بعشرة آلاف دينار للأصبغ بن عبد العزيز، فلما ولى عمر بن عبد العزيز ركب اليه." (١)

"وحبان بن بح الصدائى

ولهم عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث واحد؛ وهو ابن لهيعة، عن بكر بن سوادة عن زياد بن نعيم الحضرمى، عن حبان بن بح الصدائى، قال: (١ إن قومى كفروا فأخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم جهز إليهم جيشا، فأتيته فقلت: إن قومى على الإسلام، قال: أكذلك «٢» ؟

قلت: نعم. قال: فاتبعته ليلتى حتى الصباح، فأذنت بالصلاة لما أصبحت، وأعطانى ماء فتوضأت منه، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم أصابعه فى الإناء فانفجر عيونا، فقال: من أراد منكم أن يتوضأ فليتوضأ؛ فتوضأت وصليت، فأمرنى عليهم، وأعطانى صدقاتهم. فقام رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن فلانا ظلمنى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا خير فى الإمارة لمسلم، ثم جاء رجل يسأل صدقة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إن الصدقة صداع وحريق فى البطن، أو داء، فأعطيته صحيفتى؛ صحيفة إمرتى وصدقتى، فقال: ما شأنك؟ فقلت: أقبلها وقد سمعت ما سمعت؟ قال: هو ما سمعت ١) . حدثناه سعيد بن أبى مريم.

وزياد بن الحارث الصدائى

ولهم عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث واحد، وهو حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، قال: حدثنا زياد بن نعيم، قال سمعت: زياد بن الحارث الصدائى، قال: (* أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فبايعته على الإسلام، فأخبرت أنه قد بعث جيشا إلى قومى، فقلت:

يا رسول الله، اردد الجيش وأنا لك بإسلام قومى وطاعتهم، فقال: اذهب فردهم. فقلت يا رسول الله، إن راحلتى قد

---

(١) فتوح مصر والمغرب ابن عبد الحكم، أب و القاسم ص/١٢٩

كلت، ولكن ابعث إليهم رجلا. قال: فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا وكتب معه إليهم فردهم، قال الصدائى: فقدم وفدهم بإسلامهم، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أخا صداء، إنك لمطاع فى قومك. قلت: بل الله هداهم للإسلام.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفلا أؤمرك عليهم؟ قلت: بلى. فكتب لى كتابا بذلك، فقلت: يا رسول الله، مر لى بشيء من صدقاتهم، فكتب لى كتابا آخر بذلك. وكان فى بعض أسفاره، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا فأتى أهل ذلك المنزل يشكون عاملهم يقولون: أخذنا بشيء كان بيننا وبينه فى الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو فعل؟ قالوا: نعم فالتفت إلى." (١)

---

(١) فتوح مصر والمغرب ابن عبد الحكم، أبو القاسم ص/٣٤٥

(ح)

الحكام ثلاثة ٢٥٤." (١)

"حدثنا أبو يوسف ثنا مكي بن إبراهيم قال بهز ذكره عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتي بطعام سأل عنه أهدية أم صدقة؟ فإن قالوا هدية بسط يده، وإن قالوا صدقة قال لأصحابه: كلوا.

ومحمد بن عبد الله بن جحش

من بني أسد خزيمة، حليف بني أمية بن عبد شمس.

حدثنا أبو يوسف حدثني ابن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر بن أبي كثير أخبرني العلاء بن عبد الرحمن أخبرني أبو كثير مولى محمد بن عبد الله بن جحش عن مولاه [١] محمد أنه قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر على معمر وهو جالس عند داره بالسوق وفخذاه مكشوفتان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معمر غط فخذيك فإن الفخذين عورة [٢] .

محمد بن حاطب الجمحي

حدثنا أبو يوسف حدثنا محمد بن معاوية ثنا شريك عن سماك بن حرب عن محمد بن حاطب قال: دنوت إلى قدر لنا فاحترقت يدي منه [٣] ، فذهبت بي أمي إلى البطحاء فقالت: يا رسول الله إن ابني هذا قد احترقت يده، فجعل يتكلم بكلام لا أدري ما هو ولكنه ينفث، فسألت عنه في إمارة عثمان فقالوا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] .

---

[١] في الأصل «مولى» .

[٢] أخرجه أحمد من هذا الوجه بألفاظ مقاربة (المسند ٥/ ٢٩٠) .

[٣] يوجد «فاحترقت» بعد «منه» وهي زائدة.

[٤] أخرجه أحمد من هذا الوجه بألفاظ مقاربة (المسند ٣/ ٤١٨) .." (٢)

"العلم» [١] .

وسمعت ابن أبي مريم [٢] يقول: كانت كتب حيوة بن شريح [٣] عند وصي له قد كان أوصى إليه وكانت كتبه عنده، فكان قوم يذهبون فينسخون تلك الكتب فيأتون به ابن لهيعة فيقرأ [٤] عليهم.

«قال: وحضرت ابن لهيعة وقد جاءه قوم من أصحابنا كانوا حجوا وقدموا، فأتوا ابن لهيعة مسلمين عليه، فقال: هل كتبتم حديثا طريفا؟

---

(١) فتوح مصر والمغرب ابن عبد الحكم، أبو القاسم ص/٤٩٣

(٢) المعرفة والتاريخ يعقوب بن سفيان الفسوي ١/٣٠٦

قال: فجعلوا يذاكرونه ما كتبوا حتى قال بعضهم حدثنا القاسم العمري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا رأيتم **الحريق** فكبروا. قال ابن لهيعة: هذا حديث طريف كيف حدثكم؟ قال: فحدثه. قال: فوضعوا في حديث عمرو بن شعيب فكان كلما مروا به قالوا حدثنا به صاحبنا فلان. قال: فلما طال ذلك نسي الشيخ فكان يقرأ عليه فيجيزه ويحدث به في جملة حديثه عن عمرو بن شعيب» [٥] .

حدثني الفضل قال: سمعت أبا عبد الله وسئل عن ابن لهيعة فقال:

من كتب عنه قديما فسماعه صحيح.

قال: وبلغني عن ابن المبارك انه قال هاهنا ببغداد في سنة تسع وسبعين [٦] : من كتب عن ابن لهيعة منذ عشرين سنة ليس بشيء.

---

[١] ابن حجر: تهذيب التهذيب ٥/ ٣٧٦- ٤٧٧ بتصرف.

[٢] سعيد بن أبي مريم.

[٣] التجيبي المصري.

[٤] في الأصل «فيقنا» .

[٥] ابن حجر: تهذيب التهذيب ٥/ ٣٧٥ بتصرف قليل.

[٦] يعني ومائة.." (١)

"قال أبو يوسف: وكنت كتبت عن ابن رمح [١] كتابا عن ابن لهيعة، وكان فيه نحو ما وصف أحمد [٢] ، فقال: هذا وقع على رجل ضبط إملاء ابن لهيعة. فقلت له في حديث ابن لهيعة. قال: لم يعرف «مذهبي في الرجال، إني أذهب إلى أنه لا يترك حديث محدث حتى يجمع أهل مصره على ترك (١٣٧ أ) حديثه» [٣] .

«سمعت ابن أبي مريم يقول: كان ابن لهيعة يقرأ من كتب الناس، ولقد حج قوم من أهل مصر فقدموا وصاروا إلى ابن لهيعة وذاكرهم فقال:

هل كتبتم حديثا طريفا؟ فقال له بعضهم: حديث القاسم العمري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا رأيتم **الحريق** فكبروا) فقال ابن لهيعة: هذا حديث طريف. قال فرأيت بعد يجيء الرجل فيسأله حدثك عمرو بن شعيب؟ فيقول: لا انما حدثنا بعض أصحابنا- يسميه-. قال: ثم وضعوا في حديثه عن عمرو بن شعيب فكان يقول كم شاء الله إذا مروا بهذا الحديث: هذا حديث بعض أصحابنا عن عمرو. قال: ثم سكت، فكانوا يضعون عليه في جملة حديث عمرو بن شعيب فغيروها.

[()] «فاستفهمته ... لابي الأسود في الرق» و «صحيحا» وبقية النص بتصرف يسير.

---

(١) المعرفة والتاريخ يعقوب بن سفيان الفسوي ١٨٥/٢

[١] محمد بن رمح التجيبي مولاهم المصري الحافظ (تهذيب التهذيب ٩/ ١٦٤) .

[٢] أي أحمد بن صالح ابو جعفر المتقدم ذكره.

[٣] ابن حجر: تهذيب التهذيب ٥/ ٣٧٧ بتصرف يسير.." (١)

"قال: وبلغني أنه قال مرة: لئن كانت فتنة لقد رأينا وجربنا، فبلغ ذلك الربيع بن خثيم فقال: ما يقول ابن أبي عزرة، لئن كانت فتنة لقد رأينا وجربنا، أرأيت إن جاء الله بها صماء خرساء!.

حدثنا أبو بكر الحميدي حدثنا سفيان عن مالك بن مغول قال: قال لي أبو حصين [١] : لو رأيت الذي أدركنا **لاحترقت** كبدك.

حدثنا أبو بكر ثنا سفيان قال: سمعت مالكا يقول: قال الشعبي:

ما رأيت قوما قط أكثر علما ولا أعظم حلما ولا أعف عن الدنيا من أصحاب عبد الله لولا ما سبقهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما قدمنا عليهم أحدا.

وقال: حدثنا سفيان عن مالك قال: قدم أسير بن جابر [٢] البصرة، فلما سمعوا كلامه (١٧٩ أ) قالوا: هذا هكذا فكيف بالذي اقتبس منه أو بالبحر الذي اقتبس منه.

حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عمن ذكر عن محمد قال: ما رأيت قوما سود الرءوس أفقه من أهل الكوفة من قوم فيهم جرأة [٣] .

حدثنا أبو بكر الحميدي حدثنا سفيان ثنا إسماعيل [٤] قال: سمعت الشعبي يقول: ما كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أفقه صاحبا

---

[١] عثمان بن عاصم الاسدي.

[٢] هو يسير- وقيل أسير- بن عمرو- وقيل ابن جابر- الكوفي (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٧٨) .

[٣] أوردها ابن سعد من طريق حماد أيضا بألفاظ مقاربة (الطبقات ٦/ ١١) ويذكر «عن ابن عون» بدل «عمن ذكر» .

[٤] ابن أبي خالد.." (٢)

"حججت في الجاهلية فبينا أنا أطوف بالبيت إذا رجل يقول:

رد الي راكبي محمدا ... أردده ربي واصطنع عندي يدا

قلت: من هذا؟ قال: عبد المطلب بن هاشم بعث ابنه في إبل له ضلت، وما بعثه في شيء الا جاء به.

قال: فما برحت حتى جاء بالإبل معه. قال: فقال: يا بني حزنت عليك حزنا لا تفارقني بعده أبدا.

---

(١) المعرفة والتاريخ يعقوب بن سفيان الفسوي ٢/٤٣٥

(٢) المعرفة والتاريخ يعقوب بن سفيان الفسوي ٢/٥٧٧

قالوا: وكانت أم أيمن تحدث تقول: كنت أحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فغفلت عنه يوما فلم أدر الا بعبد المطلب قائما على رأسي يقول: يا بركة. قلت: لبيك. قال: أتدرين أين وجدت ابني؟ قلت:
لا أدري. قال: وجدته مع غلمان قريبا من السدرة. لا تغفلي عن ابني، فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة. وأنا لا آمن عليه منهم، وكان لا يأكل طعاما الا قال: علي بابني فيؤتى به اليه [١] .

بناء الكعبة:

قال يعقوب بن سفيان أخبرني أصبغ بن فرج أخبرني ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال:
لم ا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلم جمرت امرأة الكعبة، فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة **فاحترقت**، فهدموها حتى إذا بنوها فبلغوا موضع الركن اختصمت قريش في الركن أي القبائل تلي رفعه؟ فقالوا: تعالوا نحكم أول من يطلع علينا، فطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو غلام عليه وشاح نمرة، فحكموه، فأمر بالركن فوضعوه في ثوب، ثم أخرج سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب، ثم ارتقى هو فرفعوا اليه الركن، فكان هو يضعه، فكان لا يزداد على ألسن

---

[١] ابن سيد الناس: عيون الأثر ١/ ٣٨.." (١)

"على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة إلا الحلقة فأنزل الله فيهم (سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) ٥٩: ١- ٢ إلى قوله (وليخزي الفاسقين) ٥٩: ٥ وحدثنا الحسين بن الأسود قال حدثنا يحيى بن آدم، عن ابن أبي زائدة، عن محمد بن اسحق فى قوله (ما أفاء الله على رسوله منهم) ٥٩: ٦، قال من بني النضير (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) ٥٩: ٦، قال أعلمهم أنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة دون الناس، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين إلا أن سهل بن حنيف، وأبا دجانة ذكرا فقرا فأعطاهما، قال وأما قوله (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول) ٥٩: ٧ إلى آخر الآية، قال: هذا قسم آخر بين المسلمين على ما وصفه الله. وحدثني محمد بن حاتم السمين، قال حدثنا الحجاج بن محمد عن ابن جريح، عن موسى بن عقبة، عن نافع عن ابن عمر، قال أحرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع وفى ذلك يقول حسان ابن ثابت:
لهان على سراة بني لؤي ... **حريق** بالبويرة مستطير
قال ابن جريح وفي ذلك نزلت (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين) ٥٩: ٥ «اللينة النخلة» . وحدثنا أبو عبيد قال حدثنا حجاج، عن ابن جريح، عن موسى عن نافع، عن ابن عمر بمثله وقال أبو عمر الشيبانى، الراوية وغيره من الرواة أن هذا الشعر لأبى سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وإنما هو.
لعز على سراة بني لؤي ... **حريق** بالبويرة مستطير

---

(١) المعرفة والتاريخ يعقوب بن سفيان الفسوي ٢٥٢/٣

ويروى بالبويلة. فأجابه حسان بن ثابت فقال:

أدام الله ذلكم حريقا ... وضرم في طوائفها السعير." (١)

"ابن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور وبجلة أمهم وهي غالبة على نسبهم فغلط الناس فقالوا بحلة، وجبانة عرزم نسبت إلى رجل يقال له عرزم كان يضرب فيها اللبن ولبنها رديء فيه قصب وخزف فربما وقع الحريق بها فاحترقت الحيطان.

وحدثني ابن عرفة، قال: حدثني إسماعيل بن علية عن ابن عون أن إبراهيم النخعي أوصى أن لا يجعل في قبره لبن عرزمي، وقد قال بعض أهل الكوفة أن عرزما هذا رجل من بني نهد، وجبانة بشر نسبت إلى بشر بن ربيعة بن عمرو بن منارة بن قمير الخثعمي الذي يقول:

تحن بباب القادسية ناقتي ... وسعد بن وقاص علي أمير

قال أبو مسعود: وكان بالكوفة موضع يعرف بعنترة الحجام وكان أسود فلما دخل أهل خراسان الكوفة كانوا يقولون حجام عنترة فبقي الناس على ذلك وكذلك حجام فرج وضحاك رواس وبطارحيان ويقال رستم ويقال صليب وهو بالحيرة.

وقال هشام بن الكلبي: نسبت زرارة بن يزيد بن عمرو بن عدس من بنى البكا ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة وكانت منزله وأخذها منه معاوية بن أبي سفيان، ثم أصفيت بعد حتى أقطعها محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي قال: ودار حكيم بالكوفة في أصحاب الأنماط نسبت إلى حكيم بن سعد بن ثور البكاى، وقصر مقاتل نسب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس بن إبراهيم ابن أيوب بن محروق أحد بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم، قال: والسوادية بالكوفة نسبت إلى سواد بن زيد عدى بن زيد الشاعر العبادي وجده حماد بن زيد بن أيوب بن محروق، وقرية أبي صلابة التي على الفرات نسبت إلى صلابة ابن مالك بن طارق بن جبر بن همام العبدي، وأقساس مالك نسبت إلى." (٢)

"كان يمنع منها وقتل من طلاب الفتن من العامه خلق كثير وقعدوا بعد ذلك في مجلس الشرطه، وقتلوا رجلا يعرف بالذباح قيل انه ذبح ابن النامي، فلما اصبح الناس ركب ابن ياقوت اليهم زورقا، وبعث باصحابه وغلمانه على الظهر، ثم وضع السيف والنشاب في اهل الزعارة من العامه، فلم يزل القتل يأخذهم من رحبه الحسين الى سوق الصاغه بباب الطاق، فارتدع الناس وكفوا.

وفي آخر صفر خرج طريف السبكرى الى الثغر غازيا، وخرج في ربيع الاول نسيم الخادم الشرابي الى الثغر أيضا، وشيعه

(١) فتوح البلدان البلاذري ص/٢٨

(٢) فتوح البلدان البلاذري ص/٢٧٧

مؤنس المظفر.

وخرج من الفسطاط بمصر احد عشر مركبا للغزو في البحر الى بلاد الروم، وعليها ابو على يوسف الحجري.

وفي هذه السنه اجتمع نوروز الفرس والشعانين في يوم واحد، وذلك يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول، وقل ما يجتمعان.

ولثمان بقين منه خلع على ابى العلاء بن حمدان، وقلد ديار ربيعه وما والاها، وتقدم اليه بالغزو، وفيه تقلد اعمال البصره ابو إسحاق وابو بكر ابنا رائق.

٤ وفي شهر ربيع الآخر من هذه السنه ورد الخبر بان الاعراب صاروا في جمع كثير الى الأنبار فأفسدوا وقتلوا، فجرد اليهم على بن يلبق في جيش كثيف، وخرج يلبق أبوه في اثره، فلحقوهم وواقعوهم يوم الأحد لثلاث عشره ليله بقيت منه بعد حرب شديده، وانهزم الاعراب، فقتلوا منهم وأسروا وغنم الأولياء غنيمه عظيمه.

وفي ربيع الآخر وقع حريق في مدينه الفسطاط بموضع يقال له خولان نهارا فذهبت فيه دور بنى عبد الوارث وغيرها.

ولاربع عشره ليله بقيت من جمادى الاولى ادخل الى مدينه السلام خمسه وسبعون رجلا من الأرمن، وجه بهم بدر الخرشنى ممن حارب، فشهروا وطيف بهم، وادخل أسارى القرامطة الخارجين بسواد الكوفه بعث بهم بشر النصرى وهم نحو مائه فشهروا وطوفوا بمدينه السلام.

وفي جمادى الآخرة من هذه السنه ازدادت وحشه مؤنس المظفر من ياقوت وولده،" (١)

"لا يرد احدهم وجها عن عدو، فسار مؤنس الى سر من راى، وعسكر بالجانب الشرقى.

واجتمع الناس بقصر الجص الى مؤنس فكلمهم ووعدهم، وقال لهم: ما انا بعاص لمولاي، ولا هارب عنه، وانما هذه طبقه عادتنى، وغلبت على مولاى، فأثرت التباعد الى ان يفيقوا من سكرتهم، واتامل امرى معهم، ولست مع هذا اتجاوز الموصل اللهم الا ان يختار مولاى مسيرى الى الشام، فاسير إليها وقال لهم في خلال ذلك: من اراد الرجوع الى باب الخليفة فليرجع، ومن اراد المسير معى فليسر، فردوا عليه احسن مرد وقالوا له: نحن في طاعتك، ان سرت سرنا، وان عدت عدنا.

وبعث مؤنس أبا على المعروف بزعفران مع عشره من القرامطة في مال كان له مودعا عند بعض وكلائه بعكبراء، فأتاه منها بخمسين الف دينار، فدفع منها مؤنس ارزاق من كان معه، وزادهم خمسه دنانير واقام مؤنس يومه ذلك بقصر الحص، فاحترق سقف من سقوف القصر، فشق ذلك على مؤنس، واجتهد في إطفاء النار فتعذر ذلك عليه، ثم سار وهو مغموم لما دار من الحريق في القصر، يريد الموصل.

ونفذت كتب الوزير ابن القاسم من المقتدر الى جميع من في الغرب من القواد كبني حمدان وابن طغج صاحب دمشق، والى تكين صاحب مصر، والى ولاه ديار ربيعه والجزيرة وآذربيجان وملوك أرمينية والثغور الجزرية والشامية يأمرهم، بأخذ الطرق على مؤنس ويلبق وولده وزعفران، ومن كان معهم ومحاربتهم والقبض عليهم.

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١٣٦/١١

وبلغ ذلك مؤنسا، فغمه الأمر، وكتمه عن جميع من كان معه وسار الى تكريت، وقد انصرف عنه اكثر من كان معه ثم ان مؤنسا فكر في امره والى اين يكون توجهه، فلم يجد في نفسه اوثق عنده ولا اشكر ليده من بنى حمدان فانه كان عند ذكره إياهم يقول: هم أولادي، وانا أظهرتهم وكانت له عند حسين بن حمدان وديعة، فاراد ان يجتاز به ويأخذها ويسير بها الى الرقة، وقد كان بلغه تجمع بنى حمدان وحشدهم لمحاربته، فلم يصدق ذلك، ثقه منه بهم، فرحل عن تكريت الى بنى حمدان، بعد ان شاور من حضره في الطرق التي يأخذ عليها، فأشارت عليه طائفه بقطع البريه والخروج الى هيت ثم المسير الى شط الفرات وقال يلبق وزعفران لمؤنس:." (١)

"سنه ثلاث وثلاثمائة

فيها اطلق السبكرى من الحبس، وخلع عليه خلع الرضا.

ووقع حريق في سوق النجارين بباب الشام واحترق، وطار الشرار فاحرق ستاره جامع المدينة.

وعصى الحسين بن حمدان، واجتمع معه ثلاثون الف رجل من العرب وهزم رائقا الكبير، واقام بإزاء جزيرة ابن عمر وورد مؤنس من مصر، وقد استدعاه على بن عيسى لحرمه فانهزم اصحاب الحسين، واسره مؤنس، وادخله الى بغداد، ومعه ابنه عبد الوهاب، فصلبه حيا على نقنق على ظهر فيل، ونقله ابنه على جمل، والأمير ابو العباس والوزير على بن عيسى ومؤنس وابو الهيجاء بن حمدان وابراهيم ابن حمدان يسيرون بين يديه، وحبس عند زيدان القهرمانه وقبض بعد ذلك على ابى الهيجاء واخوته.

وطلب الجند الزيادة، فزيد الفارس ثلاثة دنانير، والراجل خمسه عشر قيراطا.

وفي هذه السنه، توفى ابو على الجبائي، ومولده سنه خمس وثلاثين ومائتين، وكان ابو على شيخ المعتزله في زمانه ومات بعسكر مكرم، وحمل الى منزله بجبى، ولما احتضر قال اصحابه: من يلقنه التوبة؟ فلم يتجاسر احد على ذلك إعظاما له، فقال اصغرهم سنا: انا القنه، وتقدم وقرأ: وتوبوا إلى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون، ففتح ابو على عينيه وقال: اللهم انى تائب إليك من كل قول نصرته كان الصواب عندك غيره، واشتبه على امره، فقال من حضره: لو كان على ذنب غير هذا لذكره وكان يذهب الى ان حكم النجوم صحيح على وجه، وهو انه يجوز ان يكون الله تعالى، اجرى العادة إذا صار الكوكب الفلاني الذى جعله." (٢)

"وركب حامد، وهو عامل واسط الى بستان له، فراى في طريقه دارا محترقه وشيخا يبكى وحوله نساء وصبيان على مثل حاله، فسال عنه، فقيل هذا رجل تاجر احترقت داره، فافتقر، وافلت بنفسه وعياله على هذه الصورة، فوجم ساعه، ثم قال: فلان الوكيل! فجاء، فقال: اريد ان اندبك لامر ان عملته كما اريد، فعلت بك وصنعت وذكر جميلا، وان تجاوزت فيه رسمي فعلت بك وصنعت- وذكر قبيحا، فقال: مر بأمرك، فقال: ترى هذا الشيخ، قد آلمني قلبي له، وقد تنغصت على نزهتى بسببه، وما تسمح نفسي بالتوجه الى بستاني الا بعد ان تضمن لي انى إذا عدت العشية مع

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١٤٤/١١

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٢٠٨/١١

النزهه وجدت الشيخ في داره، وهي كما كانت مبنية مجصصه، نظيفة، وفيها الفرش والصفر والمتاع من صنوفه وصنوف الآلات، مثل ما كان فيها، وعلى جميع عياله من كسوه الشتاء والصيف، مثل ما كان لهم.

قال الشيخ: فتقدم الى الخادم ان يطلق ما أريده، والى صاحب المعونة ان يقف معى، ويحضر كل ما أريده من الصناع، فتقدم حامد بذلك، وكان الزمان صيفا، فاحضر اصناف الروزجايه والبنائين، فكانوا ينقضون بيتا ويطرحون فيه من يبنيه وقيل لصاحب الدار: اكتب جميع ما ذهب منك، فكتب حتى المكنسه والمقدحة، واحضر جميع ذلك.

وصليت العصر، وقد سقفت الدار كلها، وجصصت وغلقت الأبواب ولم يبق الا البياض والطوابيق، فانفذ الى حامد وساله التوقف في البستان، والا يركب منه الى ان يصلى العشاء الأخيرة، وقد بيضت الدار وكنست وفرشت، ولبس الشيخ وعياله الثياب، ودفعت اليهم الصناديق والخزانه مملوءة بالأمتعة.

واجتاز حامد، والناس مجتمعون له كأنه نهار في يوم عيد، فضجوا بالدعاء له، فتقدم الى الجهبذ بخمسه آلاف درهم، يدفعها اليه، يزيدها في بضاعته، وسار حامد الى داره.

وفي هذه السنه، توفى ابو إسحاق ابراهيم بن السرى الزجاج، صاحب المعانى، وكان يخرط الزجاج، فاتى المبرد، وكان يعلم لكل واحد بأجره على قدر معيشته،." (١)

"حكوا عنه، انه حمل في درج مقفول له منظر بعره وجاء الى بزاز في الكرخ فقال:

هذه بعره جمل أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، واريد ان ارهنها عندك على الف دينار فاعتذر الرجل، فتركه فلما كان من الغد، اجتاز عليه فصعد وقبل لحيته وقال:

رايت النبي ص في المنام، يقبلها، فتركه اصحابه امرد، وحكاياتهم في امثال هذا عنه كثيره.

وكان سعيد بن حمدان شرع في ضمان الموصل وديار ربيعه سرا، ومضى إليها في خمسين غلاما، فقبض عليه حين وصل إليها ابن أخيه ابو محمد الحسن ابن عبد الله وقتله، فأنكر ذلك الراضي، فامر ابن مقله بالخروج اليه، فأظهر ابن مقله ان على بن عيسى هو الذى كاتبه حتى عصى، وصادر عليا على خمسين الف دينار واخرجه الى الصافية.

واستخلف ابن مقله ابنه بالحضرة، وصار الى الموصل، فتركها ابو محمد، ورحل الى بلد الزوراء، فاستخرج ابن مقله مال البلد واستسلف من التجار على غلاته، فحصل معه أربعمائة الف دينار.

فبذل سهل بن هاشم كاتب ابى محمد بن حمدان للوزير ابى الحسين ابن الوزير ابى على عشره آلاف دينار حتى كاتب أباه: ان الأمور بالحضرة مضطربه، فانزعج واستخلف على الموصل على بن خلف بن طياب، وانصرف الى بغداد.

وخرج اليه الأمير ابو الفضل، متلقيا، ولقى الراضي بالله وخدمه، فخلع عليه وعلى ابنه.

وقبض على جعفر بن المكتفي، حين بلغهم انه دعا الى نفسه، ونهب منزله، وأخذ له مال جزيل، وكانت داره قريبا من الزاهر.

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٢٣٦/١١

وممن استجاب له يانس المرفقى، وكان نزل بقصر عيسى، فابعد الى قنسرين والعواصم وجعل اليه أعمالها.

وفي شهر رمضان توالى وقوع **الحريق** بالكرخ، منها في صف التوزيين اصيب به." (١)

"خلق من التجار، فعوضهم الراضي مالا، وكان العقار لقوم من الهاشميين فأعطاهم عشره آلاف دينار.

واحترق ثمانية واربعون صفا من أسواقها، طرح النار قوم من الحنبلية، حين قبض بدر الخرشنى على رجل من اصحاب البربهارى يعرف بالدلاء.

واحترق خلق من الرجال والنساء.

ووقع **حريق** ثالث احترق فيه الحدادون والصيارف والعطارون.

وقبض الوزير ابو الحسين بن مقله على ابى الحسين البريدى، فتوسط بينهما ابو عبد الله محمد بن عبدوس، فصادره على خمسين الف دينار يسلمها بالاهواز، ومضى معه الكوفى ليأخذها فلم يسلم اليه شيئا وكان الكوفى يجمل عشرته ويقول:

اقمت معه غير متصرف ولا داخل تحت تبعه سنه، وحصل لي منه خمسه وثلاثون الف دينار، وتقلدت هناك امر ابن رائق وكفيت امر ابن مقله.

وكاتب ابن مقله البريدى كتابا يقول فيه: ويل للكوفه! انفذته ليصلحك لي فافسدك على، والله لاقطعن يديه ورجليه.

واتى ابو محمد بن حمدان ارى الموصل، وبها اصحاب السلطان، وعلى حربها ما كرد الكردى فهزموه، ثم هزمهم، وكتب يسال الصفح ويقوم بمال الضمان، فأجيب الى ذلك، ولم يستوف التجار الغلات التي طالبهم إياها ابن مقله، فتظلموا، فاحالهم على عمال السواد ببعض أموالهم، وباعهم بالباقي ضياعا سلطانيه، فلم تحصل من سفرته حينئذ فائده، وهرب من دار الوزير ابى على القراريطى.

وقبض على ابى يوسف عبد الرحمن بن محمد بن داره بسوق العطش، وصودر على خمسين الف دينار.

ومات محمد بن ياقوت في الحبس، واخرج الى القضاه، فشاهدوه وسلم الى اهله، وباع الوزير ضياعه واملاكه.

وغلا السعر ببغداد، حتى بلغ الكر من الحنطة مائه وعشرين دينارا والشعير تسعين دينارا.

ومات ابو عبد الله محمد بن خلف النيرمانى بالأعمال التي استولى عليها مزداويج، وكان قد انفذ إليها." (٢)

"فاخذ معز الدولة بيد موسى بن قتادة فاخرجه معه، وقال له: يكون نزولك في الدار التي أنزلها، ولا تفتتح امرا بما يقبح من انزعاج اولاد هذا الشيخ المشهور ذكره في الدنيا وعياله عن منازلهم وأوطانهم.

وبقيت دور ابى الحسن على ولده ودور ابن أخيه ابى على بن عبد الرحمن عليه في حياته بفعل ابى جعفر ما فعله.

وكان على بن عيسى لا يخل بالجمع، ولما حبس كان يلبس ثيابه ويتوضأ ويقوم ليخرج، فيرده الموكلون فيرفع يديه الى السماء ويقول: اللهم اشهد وكان لا يفارق الدراعه ولا يترك الوقار في خلواته.

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٢٩٥/١١

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٢٩٦/١١

وحكى ابنه ابو القاسم: انه كان يرتفع لأبيه من ضياعه في كل سنه عند الاعتزال والعطله بعد ما ينصرف في نفقاته، وما كان يصرفه الى بنى هاشم، واولاد المهاجرين والانصار، فان رسومهم عليه، كانت نيفا واربعين الف دينار، فكان الحاصل بعد هذا كله، وهو يلزم منزله، ثلاثين الف دينار.

وكان حاصل ابن الفرات من ضياعه إذا تعطل الف الف دينار، وإذا وزر اضعفت.

وفي هذه السنه تمت اماره معز الدولة ابى الحسين، فكانت امارته ببغداد احدى وعشرين سنه واحد عشر شهرا ويومين، وذلك لما بعد ناصر الدولة والاتراك وابن شيرزاد الى الموصل، واستخلف المطيع لله، ومضى الى دار الخلافه، وتقلد ابو احمد الشيرازى كتابته.

وتسلم الخليفة من معز الدولة اقطاعا بمائتي الف دينار.

وكان ابو الحسين على بن محمد بن مقله يواصل معز الدولة في ايام الحصار بالهدايا والاخبار، فلما عبر الى الجانب الشرقى حمى داره بها، واستخدمه، فاخذ في المصادرات للتجار والشهود فصادف احد العامه معز الدولة منصرفا منفردا نصف النهار، فعرفه ما الناس فيه من الجزف، فتقدم بصرف ابن مقله.

واحترقت دور ابن شيرزاد، ودور أسبابه وأخيه، وصودر على مائه وثمانين الف الف درهم.

وقلد معز الدولة الشرطه أبا العباس بن خاقان." (١)

"عطش شديد، فعاود الرحبه، ودخلها من ثلم عرفها، وقد ترك ابو البركات اصحابه فيها، واصعد الى الرقة، فاستولى حمدان على ذخائره وأمواله واصحابه.

فبلغ ذلك أبا البركات، فانحدر، فتلقاه حمدان وعدته قليله، وقال لأصحابه:

لا بد من الصبر، فقاتل فنصر، وقتل أبا البركات، وانفذه الى أخيه ابى تغلب في تابوت فكفن بسل توبه، واعتذر بانه دفع عن نفسه بقتله، فقال ابو تغلب: والله لألحقنه به ولو ذهب ملكي.

وقبض ابو تغلب على أخيه ابى الفوارس محمد، صاحب نصيبين، وعرف انه وافق حمدان على الفتك به.

ولما عرف هبه الله بن ناصر الدولة ما جرى على ابى الفوارس، ثار به المرار، وانكر فعل ابى تغلب.

وكتب الحسين بن ناصر الدولة الى أخيه ابى تغلب، وهو صاحب الحديثه يقول:

ان الله قد وفق الأمير في افعاله، ونحن وان كنا اخوه، فنحن عبيد، ولو أمرني بالقبض عليه لفعلت، فقال ابو تغلب: هذا كتاب من يريد ان يسلم.

وانحدر حمدان واخوه ابو طاهر ابراهيم الى بغداد.

وكان عز الدولة بواسط فانحدرا اليه فتلقاهما، ونزل حمدان دار ابى قره، وانزل أبا طاهر ابراهيم في دار ابى العباس بن عروه، وحمل إليهما هدايا كثيره، واصعدا معه الى بغداد.

وفي شهر رمضان قدم الوزير ابو الفضل العباس بن الحسن من الاهواز وتلقاه عز الدولة واصعد الى بغداد.

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٣٦٣/١١

وفيه مات ابو الحسين الكوكبى العلوي الذى كان يتقلد نقابه الطالبيين.

وفي ذي القعده انحدر ابو إسحاق بن معز الدولة الى دار السلطان، ووصل الى المطيع لله وعقد لعضد الدولة على كرمان، وانفذ اليه الخلع واللواء والطوق والسوارين.

وفيه نقل عز الدولة أباه معز الدولة الى تربه بنيت له بمقابر قريش، بعد ان كفنه وطيبه، ومشى بين يدي تابوته الوزير ابو الفضل، والرئيس ابو الفرج والأمراء من الديلم والاتراك.

وملك الروم أنطاكية يوم النحر.

سنه تسع وخمسين وثلاثمائة

فيها فتح الروم م نازكر د م، من اعمال أرمينية بالسيف.

وفي شهر ربيع الاول صرف القاضى ابو بكر بن سيار عن القضاء في حريم دار الخلافه، وتولاه ابو محمد بن معروف.

وفي هذه السنه اقام ابو المعالى بن سيف الدولة الخطبه في اعماله واعمال فرعونه للخارج بالمغرب.

وفي آخرها قبض على الوزير ابن ابى الفضل الشيرازى، وتولى الوزارة مكانه ابو الفرج محمد بن العباس بن فسانحس، وقال ابن الحجاج يمدحه:

يا وزيرا بنوه طلعت ... انجم العدى

صحن خدي لارض نعلك ... يا سيدي الفدا

بك قامت سوق النوال ... وقد اصبحت سيدي

وسمعنا فيها النداء ... على الجود والندى

فاما ابو الفضل العباس بن الحسين الشيرازى، فمولده بشيراز سنه ثلاث وثلاثمائة.

وورد مع معز الدولة بغداد، وناب عن المهلبى، وصاهره على بنته زينه من تجنى، وكان ذلك سبب تقدمه، ثم فسد ما بينهما وكان واسع المروءة والصدر، وداره على الصراة ودجلة، وهي التي كانت بستانا لنقيب النقب ا ء الكامل، وانتقلت الى الفضلونى، وانفق عليها ابو الفضل زائدا على مائه الف دينار، ثم **احترقت**، فامر عضد الدولة ببسطها بستانا.

وعمل دعوه لمعز الدولة، وجعل في وسط السماط قصورا من السكر، فيها مخانيث اغان يغنون ويرقصون ولا يشاهدون، وقطع دجلة من فوق الجسر الى دار الخلافه بالقلوس الغلاظ وطرح الورد فيها حتى ملاها، وغطى دجلة ولم ينزل بغداد قيان الا احضره، وذلك في سنه اربع وخمسين وثلاثمائة." (١)

"جئتك اعدو والشوق يعجلني ... إليك يا دافنى وانصرف

وسال عز الدولة الطائع الانحدار، فأجاب وانحدر الى واسط في عاشر شعبان، ومعه ابن معروف، ونزل في دار الوزارة بها.

وساروا الى الاهواز، فوصلوها عاشر رمضان.

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٤١٩/١١

وكتب عز الدولة عن الطائع كتابا يدعو الى الصلح، ونفذ به خادم، فقال عضد الدولة للخادم: قل لمولانا امير المؤمنين، لا يمكنني الجواب، إذا مثلت بحضرتك ولم يجب على الكتاب.

ولما اشرفت الحال على الحرب، اصعد الطائع الى بغداد، وكانت الحرب بناحيه يقال لها مشان من اعمال الباسيان، في نصف تموز، وهو يوم الأحد مستهل ذي القعده، وكان دبيس بن عفيف الأسدي على ميسره عز الدولة، فاستامن وعطف على النهب، فنهب، فانهزم عز الدولة، وقتل من اصحابه خلق، وغرق آخرون على جسر عقده بدجيل.

وكان حمدان في جمله المنهزمين، وتفرقت المذاهب بالمنهزمين، فالتقوا بمطارى.

واجتمع عز الدولة وبه جراح بأخيه عمده الدولة، وابن بقية بها على اسوا حال.

وانفذ عمران بابنه الحسن وكاتبه وقواده، في عده سفن الى عز الدولة، وانفذ اليه والى ابن بقية بمال وثياب، وانفذ المرزبان بن بختيار الى ابيه بمثل ذلك من البصره.

وانحدروا الى البصره، وهي مفتتنه، فاراد ابن بقية ان يصلحها، فازدادت فسادا **واحترقت** الاسواق، ونهبت الأموال.

وورد ابو بكر محمد بن على بن شاهويه صاحب القرامطة الكوفه في الف رجل منهم، واقام الدعوة بها وبسورا، وبالجامعين والنيل، لعضد الدولة." (١)

"بعدي داع في بلاء ولا كرب فيذكرني، ويسألك باسمي إلا فرجت عنه ورحمته وأجبته، وشفعتني فيه.

فلما فرغ من هذا الدعاء، أمطر الله عليهم النار، فلما احترقوا عمدوا إليه فضربوه بالسيوف غيظا من شدة **الحريق**، ليعطيه الله تعالى بالقتلة الرابعة ما وعده فلما **احترقت** المدينة بجميع ما فيها، وصارت رمادا، حملها الله من وجه الأرض حتى أقلها، ثم جعل عاليها سافلها، فلبثت زمانا من الدهر يخرج من تحتها دخان منتن، لا يشمه أحد إلا سقم سقما شديدا، إلا أنها أسقام مختلفة، لا يشبه بعضها بعضا، فكان جميع من آمن بجرجيس، وقتل معه أربعة وثلاثين ألفا، وامرأة الملك رحمها الله! ونرجع الآن إلى:." (٢)

"لدى عزف القيان إذ انتشينا ... وإذ نسقى من الخمر الرحيق

وشرب الخمر ليس على عارا ... إذا لم يشكني فيها رفيقي

فإن الموت لا ينهاه ناه ... ولو شرب الشفاء مع النشوق

ولا مترهب في أسطوان ... يناطح جدره بيض الأنوق

وغمدان الذي حدثت عنه ... بنوه ممسكا في رأس نيق

بمنهمة وأسفله جروب ... وحر الموحل اللثق الزليق

مصابيح السليط تلوح فيه ... إذا يمسي كتوماض البروق

ونخلته التي غرست اليه ... يكاد البسر يهصر بالعذوق

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٤٥٤/١١

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٣٦/٢

فأصبح بعد جدته رمادا ... وغير حسنه لهب الحريق
وأسلم ذو نواس مستميتا ... وحذر قومه ضنك المضيق
وقال ابن الذئبة الثقفي، وهو يذكر حمير حين نزل بها السودان وما أصابوا منهم:
لعمرك ما للفتى من مفر ... مع الموت يلحقه والكبر
لعمرك ما للفتى صحرة ... لعمرك ما إن له من وزر." (١)

"قال: وحدثنى ابن ابى الرقاد، عن أبيه، قال: نزلوها حين دخلت سنة ثماني عشرة، في أول السنة.
رجع الحديث إلى حديث سيف قالوا: وكتب عمر إلى سعد بن مالك وإلى عتبة بن غزوان أن يتربعا بالناس في كل حين ربيع في أطيب أرضهم، وأمر لهم بمعاونهم في الربيع من كل سنة، وبإعطائهم في المحرم من كل سنة، وبفيئهم عند طلوع الشعري في كل سنة، وذلك عند إدراك الغلات، وأخذوا قبل نزول الكوفة عطاءين كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مخلد بن قيس، عن رجل من بني أسد يدعى المغرور، قال: لما نزل سعد الكوفة، كتب إلى عمر: إني قد نزلت بكوفة منزلا بين الحيرة والفرات بريا بحريا، ينبت الحلي والنصي، وخيرت المسلمين بالمدائن، فمن أعجبه المقام فيها تركته فيها كالمسلحة فبقي أقوام من الأفناء، وأكثرهم بنو عبس.
كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وعمرو وسعيد والمهلب، قالوا: ولما نزل أهل الكوفة الكوفة، واستقرت بأهل البصرة الدار، عرف القوم أنفسهم، وثاب إليهم ما كانوا فقدوا ثم إن أهل الكوفة استأذنوا في بنيان القصب، واستأذن فيه أهل البصرة، فقال عمر: العسكر أجد لحربكم وأذكى لكم، وما أحب أن أخالفكم، وما القصب؟ قالوا:
العكرش إذا روي قصب فصار قصبا، قال: فشأنكم، فابتنى أهل المصرين بالقصب.
ثم إن الحريق وقع بالكوفة وبالبصرة، وكان أشدهما حريقا الكوفة،." (٢)
"فاحترق ثمانون عريشا، ولم يبق فيها قصبة في شوال، فما زال الناس يذكرون ذلك فبعث سعد منهم نفرا إلى عمر يستأذنون في البناء باللبن، فقدموا عليه بالخبر عن الحريق، وما بلغ منهم- وكانوا لا يدعون شيئا ولا يأتونه إلا وآمروه فيه- فقال: افعلوا، ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات، ولا تطاولوا في البنيان، والزموا السنة تلزمكم الدولة فرجع القوم إلى الكوفة بذلك وكتب عمر إلى عتبة وأهل البصرة بمثل ذلك، وعلى تنزيل أهل الكوفة أبو الهياج بن مالك، وعلى تنزيل اهل البصره عاصم ابن الدلف أبو الجرباء.
قال: وعهد عمر إلى الوفد وتقدم إلى الناس ألا يرفعوا بنيانا فوق القدر.

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١٢٦/٢
(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٤٣/٤

قالوا: وما القدر؟ قال: ما لا يقربكم من السرف، ولا يخرجكم من القصد.
كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: لما أجمعوا على أن يضعوا بنيان الكوفة، أرسل سعد إلى أبي الهياج فأخبره بكتاب عمر في الطرق، أنه أمر بالمناهج أربعين ذراعا، وما يليها ثلاثين ذراعا، وما بين ذلك عشرين، وبالأزقة سبع أذرع، ليس دون ذلك شيء، وفي القطائع ستين ذراعا إلا الذي لبني ضبة فاجتمع أهل الرأي للتقدير، حتى إذا أقاموا على شيء قسم ابو الهياج عليه، فأول شيء خط الكوفه وبني حين عزموا على البناء المسجد، فوضع في موضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق، فاختطوه، ثم قام رجل في وسطه، رام شديد النزع، فرمى عن يمينه فأمر من شاء أن يبني وراء موقع ذلك السهم، ورمى من بين يديه ومن خلفه، وأمر من شاء أن يبني وراء موقع السهمين.
فترك المسجد في مربعه غلوه من كل جوانبه، وبنى ظلة في مقدمه، ليست لها مجنبات ولا مواخير، والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا-." (١)

"أصل إلى ذلك إلا بزمزمة وكان رجل من زمازمة مرو أخرج حنطة له ليطحنها، فكلمه الطحان أن يزمزم عنده ليأكل، ففعل ذلك، فلما انصرف سمع أبا براز يذكر يزدجرد، فسألهم عن حليته، فوصفوه له، فأخبرهم أنه رآه في بيت طحان، وهو رجل جعد مقرون حسن الثنايا، مقرط مسور.
فوجه إليه عند ذلك رجلا من الأساورة، وأمره إن هو ظفر به أن يخنقه بوتر، ثم يطرحه في نهر مرو، فلقوا الطحان، فضربوه ليدل عليه فلم يفعل، وجحدهم أن يكون يعرف أين توجه فلما أرادوا الانصراف عنه قال لهم رجل منهم: إني أجد ريح المسك، ونظر إلى طرف ثوبه من ديباج في الماء، فاجتذبه إليه، فإذا هو يزدجرد، فسأله ألا يقتله ولا يدل عليه، ويجعل له خاتمه وسواره ومنطقته، قال الآخر: أعطني أربعة دراهم وأخلي عنك، قال يزدجرد: ويحك خاتمي لك، وثمنه لا يحصى! فأبى عليه، قال يزدجرد: قد كنت أخبر أني سأحتاج إلى أربعة دراهم، وأضطر إلى أن يكون أكلي أكل الهر، فقد عاينت، وجاءني بحقيقته، وانتزع أحد قرطيه فأعطاه الطحان مكافأة له لكتمانه عليه، ودنا منه كأنه يكلمه بشيء، فوصف له موضعه، وأنذر الرجل أصحابه، فأتوه، فطلب إليهم يزدجرد ألا يقتلوه وقال: ويحكم! إنا نجد في كتبنا أن من اجترأ على قتل الملوك عاقبه الله **بالحريق** في الدنيا، مع ما هو قادم عليه، فلا تقتلوني وآتوني الدهقان أو سرحوني إلى العرب، فإنهم يستحيون مثلي من الملوك، فأخذوا ما كان عليه من الحلي، فجعلوه في جراب، وختموا عليه، ثم خنقوه بوتر، وطرحوه في نهر مرو، فجرى به الماء حتى انتهى إلى فوهة الرزيق، فتعلق بعود، فأتاه أسقف مرو، فحمله ولفه في طيلسان ممسك، وجعله في تابوت، وحمله الى بائى بابان أسفل ماجان، فوضعه في عقد كان يكون مجلس الأسقف فيه وردمه، وسأل أبو براز عن أحد القرطين حين افتقده، فأخذ الذي دل عليه فضربه حتى أتى على نفسه، وبعث بما أصيب له إلى الخليفة يومئذ، فأغرم الخليفة الدهقان قيمة القرط المفقود." (٢)

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٤٤/٤

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٢٩٨/٤

"الناس، رميت من فوق الدار رجلا من أسلم فقتلته، وهو نيار الأسلمي، فنشب القتال، ثم نزلت، فاقتتل الناس على الباب، وقاتل مروان حتى سقط فاحتملته، فأدخلته بيت عجوز، وأغلقت عليه، وألقى الناس النيران في أبواب دار عثمان، فاحترق بعضها، فقال عثمان: ما احترق الباب إلا لما هو أعظم منه، لا يحركن رجل منكم يده، فو الله لو كنت أقصاكم لتخطوكم حتى يقتلوني، ولو كنت أدناكم ما جاوزوني إلى غيري، وإني لصابر كما عهد إلي رسول الله ص، لأصرعن مصرعي الذي كتب الله عز وجل فقال مروان: والله لا تقتل وأنا أسمع الصوت، ثم خرج بالسيف على الباب يتمثل بهذا الشعر:

قد علمت ذات القرون الميل ... والكف والأنامل الطفول

أني أروع أول الرعيل ... بفاره مثل قطا الشليل

قال محمد: وحدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل، عن أبيه، عن أبي حفصة، قال: لما كان يوم الخميس دليت حجرا من فوق الدار، فقتلت رجلا من أسلم يقال له نيار، فأرسلوا إلى عثمان: أن أمكنا من قاتله قال: والله ما أعرف له قاتلا، فباتوا ينحرفون علينا ليلة الجمعة بمثل النيران، فلما أصبحوا غدوا، فأول من طلع علينا كنانة بن عتاب، في يده شعلة من نار على ظهر سطوحنا، قد فتح له من دار آل حزم، ثم دخلت الشعل على أثره تنضح بالنفط، فقاتلناهم ساعة على الخشب، وقد اضطرم الخشب، فأسمع عثمان يقول لأصحابه: ما بعد **الحريق** شيء! قد أحترق الخشب، **واحترقت** الأبواب، ومن كانت لي عليه طاعة فليمسك داره، فإنما يريدني القوم، وسيندمون على قتلي، والله لو تركوني لظننت أني لا أحب الحياة، ولقد تغيرت حالي، وسقط أسناني، ورق عظمي.

قال: ثم قال لمروان: اجلس فلا تخرج، فعصاه مروان، فقال:

والله لا تقتل، ولا يخلص إليك، وأنا أسمع الصوت، ثم خرج إلى الناس.

فقلت: ما لمولاي مترك! فخرجت معه أذب عنه، ونحن قليل، فأسمع مروان يتمثل:." (١)

"وأقام به، وخرج الأشتر من العراق إلى مصر، فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجايستار، فقال: هذا منزل، وهذا طعام وعلف، وأنا رجل من أهل الخراج، فنزل به الأشتر، فأتاه الدهقان بعلف وطعام، حتى إذا طعم أتاه بشربة من عسل قد جعل فيها سما فسقاه اياه، فلما شربها مات وأقبل معاوية يقول لأهل الشام: إن عليا وجه الأشتر إلى مصر، فادعوا الله أن يكفيكموه قال: فكانوا كل يوم يدعون الله على الأشتر، وأقبل الذي سقاه إلى معاوية فأخبره بمهلك الأشتر، فقام معاوية في الناس خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد، فإنه كانت لعلي بن أبي طالب يدان يمينان، قطعت إحداهما يوم صفين- يعني عمار بن ياسر- وقطعت الأخرى اليوم- يعني الأشتر.

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج، عن مولى للأشتر، قال:

لما هلك الأشتر وجدنا في ثقله رسالة علي إلى أهل مصر:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أمة المسلمين الذين غضبوا لله حين عصي في الأرض،

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٣٨٠/٤

وضرب الجور بأرواقه على البر والفاجر، فلا حق يستراح إليه، ولا منكر يتناهى عنه سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو [أما بعد فقد بعثت إليكم عبدا من عبيد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعادي حذار الدوائر، أشد على الكفار من **حريق** النار، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه سيف من سيوف الله، لا نابي الضريبة، ولا كليل الحد، فإن أمركم أن تقدموا فأقدموا، وإن أمركم أن تنفروا فانفروا، فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمري، وقد آثرتكم به على نفسي لنصحه لكم، وشدة شكيمته على عدوكم، عصمكم الله بالهدى، وثبتكم على اليقين] والسلام.

قال: ولما بلغ محمد بن ابى بكر ان عليا قد بعث الأشتر شق عليه، فكتب علي إلى محمد بن أبي بكر عند مهلك الأشتر، وذلك حين بلغه موجدة محمد بن أبي بكر لقدوم الأشتر عليه: بسم الله الرحمن الرحيم،." (١)

"حتى الليل، ثم انصرفوا عنه، وهذا في الحصار الأول ثم إنهم أقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرم وصفر كله، حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول يوم السبت سنة أربع وستين قذفوا البيت بالمجانيق، وحرقوه بالنار، وأخذوا يرتجزون ويقولون:

خطارة مثل الفنيق المزبد ... نرمي بها أعواد هذا المسجد

قال هشام: قال أبو عوانة: جعل عمرو بن حوط السدوسي يقول:

كيف ترى صنيع أم فروه ... تأخذهم بين الصفا والمروه

يعني بأم فروة المنجنيق.

وقال الواقدي: سار الحصين بن نمير حين دفن مسلم بن عقبة بالمشلل لسبع بقين من المحرم، وقدم مكة لأربع بقين من المحرم، فحاصر ابن الزبير أربعا وستين يوما حتى جاءهم نعي يزيد بن معاويه لهلال ربيع الآخر

. ذكر الخبر عن حرق الكعبه

وفي هذه السنة حرقت الكعبة.

ذكر السبب في إحراقها:

قال محمد بن عمر: **احترقت** الكعبة يوم السبت لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين قبل أن يأتي نعي يزيد بن معاوية بتسعة وعشرين يوما، وجاء نعيه لهلال ربيع الآخر ليلة الثلاثاء.

قال محمد بن عمر: حدثنا رياح بن مسلم، عن أبيه، قال: كانوا يوقدون حول الكعبة، فأقبلت شررة هبت بها الريح، **فاحترقت** ثياب الكعبة، واحترق خشب البيت يوم السبت لثلاث ليال خلون من ربيع الأول.

قال محمد بن عمر: وحدثني عبد الله بن زيد، قال: حدثني عروة بن." (٢)

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٩٦/٥

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٤٩٨/٥

"أذينة، قال: قدمت مكة مع أمي يوم **احترقت** الكعبة قد خلصت إليها النار، ورأيتها مجردة من الحرير، ورأيت الركن قد اسود وانصدع في ثلاثة أمكنة، فقلت: ما أصاب الكعبة؟ فأشاروا إلى رجل من أصحاب عبد الله بن الزبير، قالوا: هذا **احترقت** بسببه، أخذ قبسا في رأس رمح له فطيرت الريح به، فضربت أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والأسود

. ذكر خبر وفاه يزيد بن معاويه

وفيها هلك يزيد بن معاوية، وكانت وفاته بقرية من قرى حمص يقال لها حوارين من أرض الشام، لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة في قول بعضهم.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا محمد بن يحيى، عن هشام بن الوليد المخزومي، أن الزهري، كتب لجده أسنان الخلفاء، فكان فيما كتب من ذلك: ومات يزيد بن معاوية وهو ابن تسع وثلاثين، وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر في قول بعضهم، ويقال: ثمانية أشهر.

وحدثني أحمد بن ثابت عمن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، أنه قال: توفي يزيد بن معاوية يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية اشهر الا ثمان ليال، وصلى على يزيد ابنه معاوية بن يزيد.

وأما هشام بن محمد الكلبي فإنه قال في سن يزيد خلاف الذي ذكره الزهري، والذي قال هشام في ذلك- فيما حدثنا عنه-: استخلف ابو خالد يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة وأشهر في هلال رجب سنة ستين، وولي سنتين وثمانية أشهر، وتوفي لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وهو ابن خمس وثلاثين، وأمه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن ولجة بن قنافة بن عدي بن زهير بن حارثة الكلبى." (١)

"ثم دخلت

سنة ثمان ومائة

(ذكر ما كان فيها من الأحداث) ففيها كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك حتى بلغ قيسارية، مدينة الروم مما يلي الجزيرة، ففتحها الله على يديه.

وفيها أيضا غزا إبراهيم بن هشام ففتح أيضا حصنا من حصون الروم.

وفيها وجه بكير بن ماهان الى خراسان عدة، فيهم عمار العبادي، فوشى بهم رجل إلى أسد بن عبد الله، فأخذ عمارا فقطع يديه ورجليه ونجا أصحابه، فقدموا على بكير بن ماهان فأخبروه الخبر، فكتب بذلك إلى محمد بن علي، فكتب إليه في جواب الكتاب: الحمد لله الذي صدق دعوتكم ونجى شيعتكم.

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٤٩٩/٥

وفيها كان **الحريق** بدابق، فذكر محمد بن عمر أن عبد الله بن نافع حدثه عن أبيه، قال: احترق المرعى حتى احترق الدواب والرجال.

غزو الختل

وفيها غزا أسد بن عبد الله الختل، فذكر عن علي بن محمد أن خاقان أتى أسدا وقد انصرف إلى القواديان، وقطع النهر، ولم يكن بينهم قتال في تلك الغزاة وذكر عن أبي عبيدة، أنه قال: بل هزموا أسدا وفضحوه، فتغنى عليه الصبيان:

از ختلان آمذى ... برو تباه آمذي

قال: وكان السبل محاربا له، فاستجلب خاقان، وكان أسد قد أظهر أنه يشتو بسرخ دره، فأمر أسد الناس فارتحلوا، ووجه راياته، وسار في ليلة مظلمة إلى سرخ دره، فكبر الناس، فقال أسد: ما للناس؟ قالوا:." (١)

"ما أخذ لهم، ورد بعض الموالي إلى الرق، فقدم خالد قصر بني مقاتل، وقد أخذ كل شيء لهم، فسار إلى هيت، ثم تحملوا إلى القرية- وهي بإزاء باب الرصافه- فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم وصفر، لا يأذن لهم هشام في القدوم عليه، والأبرش يكاتب خالدا وخرج زيد بن علي فقتل قال الهيثم بن عدي- فيما ذكر عنه-: وكتب يوسف إلى هشام: إن أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعا، حتى كانت همة أحدهم قوت عياله، فلما ولي خالد العراق أعطاهم الأموال فقووا بها حتى تاقت أنفسهم إلى طلب الخلافة، وما خرج زيد إلا عن رأي خالد، والدليل على ذلك نزول خالد بالقرية على مدرجه العراق يستثني أخبارها.

فسكت هشام حتى فرغ من قراءة الكتاب، ثم قال للحكم بن حزن القيني- وكان على الوفد، وقد أمره يوسف بتصديق ما كتب به، ففعل- فقال له هشام: كذبت وكذب من أرسلك. ومهما اتهمنا خالدا فلسنا نتهمه في طاعة، وأمر به فوجئت عنقه وبلغ الخبر خالدا فسار حتى نزل دمشق فأقام حتى حضرت الصائفة، فخرج فيها ومعه يزيد وهشام ابنا خالد بن عبد الله، وعلى دمشق يومئذ كلثوم بن عياض القسري، وكان متحاملا على خالد، فلما أدربوا ظهر في دور دمشق **حريق**، كل ليلة يلقيه رجل من أهل العراق يقال له أبو العمرس وأصحاب له، فإذا وقع **الحريق** أغاروا يسرقون وكان إسماعيل بن عبد الله والمنذر بن أسد بن عبد الله وسعيد ومحمد ابنا خالد بالساحل لحدث كان من الروم، فكتب كلثوم إلى هشام يذكر **الحريق**، ويخبره أنه لم يكن قط، وإنه عمل موالي خالد، يريدون الوثوب على بيت المال فكتب إليه هشام يأمره أن يحبس آل خالد، الصغير منهم والكبير، ومواليهم والنساء، فأخذ إسماعيل والمنذر ومحمد وسعيد من الساحل فقدم بهم في الجوامع ومن كان معهم من مواليهم، وحبس أم جرير بنت." (٢)

"من أهل البصرة من سعيد بن دعلج، ثم صرفت الأحداث في هذه السنة عن عبد الملك بن أيوب إلى عمارة بن حمزة، فولاها عمارة رجلا من أهل البصرة يقال له المسور بن عبد الله بن مسلم الباهلي، وأقر عبد الملك على الصلاة. وفيها عزل قثم بن العباس عن اليمامة عن سخطة، فوصل كتاب عزله إلى اليمامة، وقد توفي فاستعمل مكانه بشر بن

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٤٣/٧

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٢٥٥/٧

المنذر البجلي.

وفيها عزل يزيد بن منصور عن اليمن، واستعمل مكانه رجاء بن روح.

وفيها عزل الهيثم بن سعيد عن الجزيرة، واستعمل عليها الفضل بن صالح.

وفيها أعتق المهدي أم ولده الخيزران وتزوجها.

وفيها تزوج المهدي أيضا أم عبد الله بنت صالح بن علي، أخت الفضل وعبد الله ابني صالح لأمهما.

وفيها وقع **الحريق** في ذي الحجة في السفن ببغداد عند قصر عيسى بن علي، فاحترق ناس كثير، **واحترقت** السفن بما فيها.

وفيها عزل مطر مولى المنصور عن مصر، واستعمل مكانه أبو ضمرة محمد بن سليمان.

وفيها كانت حركة من تحرك من بني هاشم وشيعتهم من أهل خراسان في خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، وتصيير ذلك لموسى بن المهدي، فلما تبين ذلك المهدى كتب- فيما ذكر- إلى عيسى بن موسى في القدوم عليه وهو بالكوفة، فأحس بالذي يراد به، فامتنع من القدوم عليه.

وقال عمر: لما أفضى الأمر إلى المهدي سأل عيسى أن يخرج من الأمر فامتنع عليه، فأراد الإضرار به، فولى على الكوفة روح بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب، فولى على شرطه خالد بن يزيد بن حاتم، وكان المهدي يحب أن يحمل روح على عيسى بعض الحمل فيما لا يكون عليه به حجة، وكان لا يجد إلى ذلك سبيلا، وكان عيسى قد خرج إلى ضيعة له بالرحبة، فكان لا يدخل الكوفة إلا في شهرين من السنة في شهر رمضان، فيشهد الجمع." (١)

"بالسند والهند والصقالب و ... النوبه شيبت بها برابرها

طيرا أبابيل أرسلت عبثا ... يقدم سودانها أحامرها

أين الظباء الأبكار في روضة الملك ... تهادى بها غرائرها!

أين غضاراتها ولذتها ... وأين محبورها وحابرها!

بالمسك والعنبر اليمان و ... اليلنجوج مشبوبه مجامرها

يرفلن في الخز والمجاسد و ... الموشى محطومه مزامرها

فأين رقاصها وزامرها ... يجبن حيث انتهت حناجرها

تكاد اسماعهم تسك إذا ... عارض عيدانها مزاهرها

أمست كجوف الحمار خالية ... يسعرها بالجحيم ساعرها

كأنما أصبحت بساحتهم ... عاد ومستهم صراصرها

لا تعلم النفس ما يبايتها ... من حادث الدهر أو يباكرها

تضحي وتمسي درية غرضا ... حيث استقرت بها شراشرها

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١٢١/٨

لأسهم الدهر وهو يرشقها ... محنطها مرة وباقرها

يا بؤس بغداد دار مملكة ... دارت على أهلها دوائرها

أمهلها الله ثم عاقبها ... لما أحاطت بها كبائرها

بالخسف والقذف والحريق و ... ب ا لحرب التي أصبحت تساورها

كم قد رأينا من المعاصي ببغداد ... فهل ذو الجلال غافرها!

حلت ببغداد وهي آمنة ... داهية لم تكن تحاذرها

طالعها السوء من مطالعه ... وأدركت أهلها جرائرها

رق بها الدين واستخف بذي ... الفضل وعز النساك فاجرها

وخطم العبد أنف سيده ... بالرغم واستعبدت حرائرها.." (١)

"بكيت دما على بغداد لما ... فقدت غضارة العيش الأنيق

تبدلنا هموما من سرور ... ومن سعة تبدلنا بضيق

أصابتها من الحساد عين ... فافنت أهلها بالمنجيق

فقوم أحرقوا بالنار قسرا ... ونائحة تنوح على غريق

وصائحه تنادى وا صباحا ... وباكية لفقدان الشفيق

وحوراء المدامع ذات دل ... مضمخة المجاسد بالخلوق

تفر من الحريق إلى انتهاب ... ووالدها يفر إلى الحريق

وسالبة الغزالة مقلتيها ... مضاحكها كلالاة البروق

حيارى كالهدايا مفكرات ... عليهن القلائد في الحلوق

ينادين الشفيق ولا شفيق ... وقد فقد الشقيق من الشقيق

وقوم أخرجوا من ظل دنيا ... متاعهم يباع بكل سوق

ومغترب قريب الدار ملقى ... بلا رأس بقارعة الطريق

توسط من قتالهم جميعا ... فما يدرون من أي الفريق

فلا ولد يقيم على أبيه ... وقد هرب الصديق بلا صديق

ومهما أنس من شيء تولى ... فإني ذاكر دار الرقيق

وذكر أن قائدا من قواد أهل خراسان ممن كان مع طاهر من أهل النجدة والبأس، خرج يوما إلى القتال، فنظر إلى قوم عراة، لا سلاح معهم، فقال لأصحابه: ما يقاتلنا إلا من أرى، استهانة بأمرهم واحتقارا لهم، فقيل له: نعم هؤلاء الذين

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٨/٤٥٠

ترى هم الآفة، فقال: أف لكم حين تنكصون عن هؤلاء وتخيمون عنهم، وأنتم في السلاح الظاهر، والعده والقوه، ولكم ما لكم من." (١)

"أبو الساج: السمع والطاعة، ومضى لما أمر به.

وذكر أن المعتز كتب إلى أبي أحمد يلومه للتقصير في قتال أهل بغداد، فكتب إليه:

لأمر المنايا علينا طريق ... وللدهر فيه اتساع وضيق

فأيامنا عبر للأنام ... فمنها البكور ومنها الطروق

ومنها هنات تشيب الوليد ... ويخذل فيها الصديق الصديق

وسور عريض له ذروة ... تفوت العيون وبحر عميق

قتال مبيد، وسيف عتيد ... وخوف شديد، وحصن وثيق

وطول صياح لداعي الصباح ... السلاح السلاح، فما يستفيق

فهذا قتيل وهذا جريح ... وهذا **حريق** وهذا غريق

وهذا قتيل وهذا تليل ... وآخر يشدخه المنجنيق

هناك اغتصاب وثم انتهاب ... ودور خراب وكانت تروق

إذا ما سمونا إلى مسلك ... وجدناه قد سد عنا الطريق

فبالله نبلغ ما نرتجيه ... وبالله ندفع ما لا نطيق

فأجابه محمد بن عبد الله– أو قيل على لسانه:

ألا كل من زاغ عن أمره ... وجار به عن هداه الطريق

ملاق من الأمر ما قد وصفت ... وهذا بأمثال هذا خليق

ولا سيما ناكث بيعة ... وتوكيدها فيه عهد وثيق

يسد عليه طريق الهدى ... ويلقى من الأمر ما لا يطيق

وليس ببالغ ما يرتجيه ... من كان عن غيه لا يفيق." (٢)

"إلى التوجه إلى عبادان، وندبت الرجالة لذلك، فقيل لي: إن أقرب العدو دارا، وأولاه بألا تتشاغل بغيره عنه أهل الأبلة، فرددت الجيش الذي كنت سيرت نحو عبادان إلى الأبلة فلم يزالوا يحاربون أهل الأبلة إلى ليلة الأربعاء لخمس بقين من رجب سنة ست وخمسين ومائتين فلما كان في هذه الليلة اقتحمها الزنج مما يلي دجلة ونهر الأبلة، فقتل بها أبو الأحوص وابنه، وأضرمت نارا، وكانت مبنية بالساج محفوفة بناء متكاثفا فأسرعت فيها النار، ونشأت ريح عاصف، فأطارت شرر ذلك **الحريق** حتى وصلت بشاطئ عثمان، فاحترق وقتل بالأبلة خلق كثير، وغرق خلق كثير، وحويت

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٤٥٧/٨

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٣١٦/٩

الأسلاب، فكان ما احترق من الأمتعة أكثر مما انتهب.

وقتل في هذه الليلة عبد الله بن حميد الطوسي وابن له، كانا في شذاة بنهر معقل مع نصير المعروف بابى حمزه.

ذكر خبر استيلاء صاحب الزنج على عبادان

وفيها استسلم أهل عبادان لصاحب الزنج فسلموا إليه حصنهم.

ذكر الخبر عن السبب الذي دعاهم إلى ذلك:

ذكر أن السبب في ذلك أن الخبيث لما فعل أصحابه من الزنج بأهل الأبلة ما فعلوا، ضعفت قلوبهم، وخافوهم على أنفسهم وحرمهم، فأعطوا بأيديهم، وسلموا إليه بلدهم، فدخلها أصحابه، فأخذوا من كان فيها من العبيد، وحملوا ما كان فيها من السلاح اليه، ففرقه عليهم

. ذكر خبر دخول اصحاب صاحب الزنج الاهواز

وفيها دخل أصحابه الأهواز وأسروا إبراهيم بن المدبر.

ذكر الخبر عن سبب ذلك:

وكان الخبيث لما أوقع أصحابه بالأبلة وفعلوا بها ما فعلوا، واستسلم له." (١)

"وفيها فارق عبد الله السجزي يعقوب بن الليث مخالفا له، وحاصر نيسابور، فوجه محمد بن طاهر إليه الرسل والفقهاء، فاختلفوا بينهما، ثم ولاه الطبسين وقهستان

. ذكر خبر دخول المهلبى ويحيى بن خلف سوق الاهواز

ولست خلون من ارجب منها، دخل المهلبى ويحيى بن خلف النهر بطى سوق الأهواز، فقتلوا بها خلقا كثيرا، وقتلوا صاحب المعونة بها.

ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة وكيف كان هلاك صاحب الحرب من قبل السلطان فيها:

ذكر أن قائد الزنج خفي عليه أمر **الحريق** الذي كان في عسكر أبي أحمد بالباذاورد، فلم يعلم خبره إلا بعد ثلاثة أيام، ورد به عليه رجلان من أهل عبادان فأخبراه، فعاد للعيث، وانقطعت عنه الميرة، فانهض على ابن أبان المهلبي، وضم إليه أكثر الجيش، وسار معه سليمان بن جامع، وقد ضم إليه الجيش الذي كان مع يحيى بن محمد البحراني وسليمان بن موسى الشعراني، وقد ضمت إليه الخيل وسائر الناس مع علي بن أبان المهلبي والمتولي للأهواز يومئذ رجل يقال له أصغجون، ومعه نيزك في جماعة من القواد، فسار إليهم علي بن أبان في جمعه من الزنج، ونذر به أصغجون، فنهض نحوه في أصحابه، فالتقى العسكران بصحراء تعرف بدستماران، فكانت الدبرة يومئذ على أصغجون، فقتل نيزك في جمع كثير من أصحابه، وغرق أصغجون، وأسر الحسن بن هرثمة المعروف بالشار يومئذ، والحسن بن جعفر المعروف براوشار.

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٤٧٢/٩

قال محمد بن الحسن: فحدثني الحسن بن الشار، قال: خرجنا يومئذ مع أصغجون للقاء الزنج، فلم يثبت أصحابنا، وانهزموا، وقتل نيزك، وفقد أصغجون، فلما رأيت ذلك نزلت عن فرس محذوف كان تحتي، وقدرت." (١)

"شرقي نهر أبي الخصيب، فحالت النار بينهما وبين الجسر، فألقوا أنفسهما ومن كان معهما من حماتهم في نهر أبي الخصيب، فغرق منهم خلق كثير، وأفلت أنكلاي وسليمان بعد أن أشفيا على الهلاك، وأجتمع على الجسر من الجانبين خلق كثير، فقطع بعد أن ألقيت عليه سفينة مملوءة قصبا مضروما بالنار، فأعانت على قطعه وإحراقه، وتفرق الجيش في نواحي مدينة الخبيث من الجانبين جميعا، فأحرقوا من دورهم وقصورهم وأسواقهم شيئا كثيرا، واستنقذوا من النساء المأسورات والأطفال ما لا يحصى عدده، وأمر الموفق المقاتلة بحملهم في سفنهم والعبور بهم إلى الموفقية.

وقد كان الفاجر سكن بعد إحراق قصره ومنازله الدار المعروفة بأحمد بن موسى القلوص والدار المعروفة بمحمد بن إبراهيم أبي عيسى، وأسكن ابنه أنكلاي الدار المعروفة بمالك ابن أخت القلوص، فقصد جماعة من غلمان الموفق المواضع التي كان الخبيث يسكنها فدخلوها، وأحرقوا منها مواضع، وانتهبوا منها ما كان سلم للفاسق من **الحريق** الأول، وهرب الخبيث ولم يوقف في ذلك اليوم على مواضع أمواله واستنقذ في هذا اليوم نسوة علويات كن محتبسات في موضع قريب من داره التي كان يسكنها، فأمر الموفق بحملهن إلى عسكره، وأحسن إليهن، ووصلهن، وقصد جماعة من غلمان الموفق من المستأمنة المضمومين إلى أبي العباس سجنا كان الفاسق اتخذه في الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب، ففتحوه وأخرجوا منه خلقا كثيرا ممن كان أسر من العساكر التي كانت تحارب الفاسق وأصحابه، ومن سائر الناس غيرهم فأخرج جميعهم في قيودهم وأغلالهم حتى أتى بهم الموفق، فأمر بفك الحديد عنهم وحملهم إلى الموفقية، وأخرج في ذلك اليوم كل ما كان بقي في نهر أبي الخصيب من شذا ومراكب بحرية وسفن صغار وكبار وحراقات وزلالات وغير ذلك من أصناف السفن من النهر إلى دجلة، وأباحها الموفق أصحابه وغلمانه مع ما فيها من السلب والنهب الذي حازوا في ذلك اليوم من." (٢)

"وكان يوما شديد الريح فوقعت النار على الكعبة فاحترق البيت والسقف وانصدع الركن وأحرقت الأستار وتساقطت إلى الأرض قال ثم أقام أهل الشام أياما بعد **حريق** الكعبة

قال أبو عبيد قال حجاج حدثني أبو معشر قال حدثني بعض المشيخة اللذين حضروا قتال ابن الزبير قال غلب حصين بن نمير على مكة إلا الحجر قال فوالله إني لجالس معه ومعه نفر من القريشيين عبد الله بن مطيع والمختار ابن أبي عبيد والمسور بن مخرمة والمنذر بن الزبير في نفر من قريش قال فقال المختار بن أبي عبيد وهبت رويحة والله إني لأرى في هذه الرويحة النصر فاحملوا فحملوا عليهم حتى أخرجوهم من مكة وقتل المختار بن أبي عبيد رجلا وقتل

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٥٠٣/٩

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٦٤١/٩

ابن الزبير رجلا وقتل ابن مطيع رجلا وكان بين موت يزيد وبين حريق الكعبة إحدى عشر ليلة أحرقت الكعبة قبل موت يزيد بإحدى عشر ليلة فمال حصين وأصحابه إلى الشام رسلا حتى قدموا الشام فلما قدموا وجدوا معاوية بن يزيد قد مات ولم يستخلف أحدا وقال لا أتحملها لكم حيا وميتا

قال وبايع أهل الشام مروان بن الحكم بعد أن كانوا بايعوا ابن الزبير إلا أهل الأردن فإنهم لم يبايعوا ابن الزبير وكان معاوية بن يزيد قد استخلف." (١)

"أبا بردة وأمرته أن لا يقطع أمرا دونك قال بلى قال أو ما جعلتك في سماري قال بلى قال أو ما أعطيتك من المال كذا وكذا تفرقه في ذوي الحاجة لم أسألك عن شيء منه قال بلى قال فما أخرجك قال بيعة كانت لابن الأشعث في عنقي قال فغضب الحجاج وقال بيعة أمير المؤمنين عبد الملك قبل في عنقك والله لأقتلنك قال وقتله الحجاج وهو ابن تسع وأربعين سنة (١) قال سعيد للقتال سألتك بالله لا تقتلني حتى أتكلم بكلمتين فقال له تكلم بما شئت فقال سعيد اللهم ما عاداني إلا فيك ولا أبغضني إلا من أجلك اللهم لا تحل له دمي ولا تمهله بعدي فقدم فذبح فما قتل حتى ضرب الحجاج الزمهرير في بطنه فصاحوا خلوا سبيل الرجل فخرج الناس فأصابوه قتيلا فأخبروا الحجاج فنادى دثروني فما انتفع بشيء قال ما أرى الدثار ينفعني شيئا علي بالنار فأتوه بالكوانين فجعلوا النار حوله من كل ناحية حتى احترقت ثيابه وهو في ذلك يصيح من شدة البرد فتجرد وأقبل يصطلي حتى تفطر جسده ولم ينفعه شيئا فلما عظم البلاء عليه قال ائتوني بالحسن فأتوه به فصاح الحجاج يا أبا سعيد أدركني مالي ولسعيد فقال له الحسن ما لسعيد ومالك يا حجاج لو تركت سعيدا لتركك الله أما نهيتك يا حجاج أن لا تتعرض لأحد من أولياء الله فلما نظر الحسن إلى ما نزل به من العذاب وضع يده على أم رأسه ثم صاح بأعلى صوته ثم أقبل يبكي على نفسه فقال له الحجاج يا أبا سعيد أرسلت إليك أستغيث بك وأنت تبكي على نفسك فقال الحسن أما أنت يا حجاج فقد عجل لك ما صنعت وأما أنا فلا أدري ما يصنع بي في أمري أيؤخرني فيمن يؤخر ثم يعجل بي ثم خرج." (٢)

"عنه الحسن مغموما مكروبا خائفا وجلا على نفسه على ما يصير إليه وقد نزل به عظيم فأقام الحجاج معذبا لا يكاد يموت ولا يحيى خمسة عشر ليلة وقال الحجاج ردوا علي الحسن فردوه قال فدخلت عليه وقد تغير لونه وغارت عيناه من السهر وقد احترقت ثيابه وتشقق جلده من حر النار وحوله تسعة كوانين وكل ذلك لا يفارق الزمهرير جوفه قال فكلمني وقد ضعف وبح صوته فأنشأ وهو يقول يا إلهي إن الناس يقولون إنك لا ترحمني فارحمني ثم قال يا حسن لا أسألك أن تسأله أن يفرج عني ولكني أسألك أن تسأله أن يقبض روحي ولا يطول عذابي فيفعل بي ما يشاء فبكى الحسن بكاء شديدا واستحيا من الله أن يسأله فيه فأذن الله بقبض روحه فقبض والحسن واقف فقال الحسن لأهله خذوا في جهازه وقعد الحسن على بابه ينتظر جنازته وأبى العابدون أن يأتيه واحد منهم ولا يحضروا له جنازة لما كان أنزل بهم وما كان فعل بالعابدين فأقام عنده الحسن ينتظر جنازته فلم يحضره من علماء العراق غيره فلما مضوا بالجنازة

---

(١) المحن أبو العرب التميمي ص/٢٠٤

(٢) المحن أبو العرب التميمي ص/٢٤٤

مضى معهم الحسن وصلى عليه وأقام عند جنازته حتى واراه بالتراب ثم انصرف فأتى الناس إلى دار الحسن○ وقالوا يا أبا سعيد رجل رمى البيت وقتل ابن الزبير وقتل ابن عمر وقتل العابدين وآخر من قتل رأس الزاهدين في الدنيا سعيد بن جبير فكيف رضيت أن تحضر جنازته فيقول الملوك لو لم يكن الذي فعله الحجاج ليس لله رضى ما حضر الحسن جنازته ولا صلى عليه فقد أهلكت العابدين آخر الدهر وأحللتهم لملوك الأرض فما حملك على ما صنعت فقال لهم الحسن إني أدركت من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثلثمائة رجل منهم سبعون بدريا كلهم يأمرون أن نصلي على بار هذه الأمة وفاجرها فإن كان محسنا دعونا الله له بالزيادة○ وإن كان مسيئا دعونا الله له." (١)

"ذكر ما امتحن به صعصعة بن صوحان

قال أبو العرب حدثني محمد بن علي بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن محمد بن علي الدغشي عن أبيه عن خاله تميم بن مالك القرشي قال كتب معاوية بن أبي سفيان إلى زياد ابعث إلى خطباء أهل العراق وابعث إلي بصعصعة بن صوحان فقدموا على معاوية فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قدمتم على إمامكم وهو جنة لكم وقدمتم أرض المقدسة المحشر والمنشر يعطيكم مسألتكم ولا يتعاظم في كبير ولا يحقر لكم صغيرا ثم قال لو أن أبا سفيان ولد الناس لكانوا أكياسا ثم قال يا صعص○عة قم فاخطب فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ذكرت أنا قدمنا على إمامنا وهو جنة لنا فكيف بالرعية إذا احترقت الجنة وذكرت أنا قدمنا أرض المقدسة وأن الأرض لا تقدس العباد وإنما تقدسهم أعمالهم وذكرت أنا قدمنا أرض المحشر والمنشر ألا وإن المحشر والمنشر لا يضر بعدهما مؤمنا ولا ينفع قربهما كافر وذكرت أن أبا سفيان لو ولد الناس لكانوا أكياسا فقد ولدهم من هو خير من أبي سفيان آدم فولد الأحمق والكيس قال اسكت لا أرض لك قال على الأرض ولدت قال اسكت لا أم لك قال الأم ولدتني قال اسكت○ لا أب لك قال الأب ولدني قال أما والله لأحرمنك عطاءك قال إن رازقي حي لا يموت قال أما والله لأقتلنك ثم." (٢)

"بيات قوم إذا عرفتهم لم أجد من ينصرني عليهم ويعاونني لعلمهم بوقوفي على أمرهم فقيل له لا يذكر أحدا وهذا من جيد رأي الراضي، وكان قد حفظ عني أن المأمون لما قتل ابن عائشة وجد في منزله قماطر فيها مكاتبات بعض الجندله، فجلس وأحضرها وجمع الناس، وقال: أنا أعلم أن فيكم المستزيد والعاتب، وإن نظرت في هذه الكتب فسدت عليكم وفسدتم علي، وقد وهبت مسيئكم لمحسنكم، وأمر فأحرقت القماطر وأسفرت وجوه القوم واستصيب رأيه.

ووقع بالكرخ حريق عظيم في شوال أحرق العطارين والصيادلة وأصحاب المدهون والخزازين والجوهريين، وكان عظيما، وقبل ذلك بقليل وقع حريق دونه في أصحاب الحناء والأشنان فآثاره باقية إلى وقتنا هذا، ما رد إلى حالته لما يتزايد في خراب البلد.

وانصرف الوزير من الموصل ولم يبلغ ما أراد فأقام بالبردان لثلاث بقين من شوال لنقضي كسوف الشمس، وكان لليلتين بقيتا من شوال ثم دخل في أول ذي الحجة وخلف بالموصل علي بن خلف بن طياب على الخراج، ويانسا المؤنسي

---

(١) المحن أبو العرب التميمي ص/٢٤٥

(٢) المحن أبو العرب التميمي ص/٣٥٠

على الحرب.
ووافى في هذا الوقت جميع من كان مع محمد بن خلف زوج أخت ابن الحواري بالخيل مفلولين هزمهم الديلم، فيهم ابن عمرويه وابن الفارقي.
وولى لؤلؤ طريق مكة، وكان غلاما للمتهشم فخرج بالناس فلقيهم القرامطة يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة،." (١)

"نهر معقل فوافى البصرة، فعجل بعض أصحابه، فطرح **حريقا** في جزيرة حيال البصرة، وكان يبلغ أهل البصرة أنه يريد قتلهم وإحراق بلدهم وخاطب بذلك بعض رؤساء البصرة ممن قصده، فلما رأى ذلك أهل البصرة أعانوا البريديين فهزم ابن رايق وأفلت هو وبجكم من أن يؤخذ ورجع إلى دجلة البصرة فعسكر بموضع يعرف بعسكر أبي جعفر حيال نهر معقل، فلما طال الأمر عليه رحل صاعد إلى واسط.
وركب ابن الراضي في شعر ربيع الأول إلى أجمة بالثريا يطلب فيها خنازير، وركبنا معه فرأينا في الموكب فرسانا لا نعرفهم فطاف ساعة، ثم عدنا معه فتغدى وكان النهار قصيرا وصلينا الظهر وركب، فرأينا الفرسان قد زادوا وأنكرهم الحاجب ووافى محمد بن بدر الشرابي في مائة فارس، فلما رآه الفرسان تفرقوا فلم نر منهم أحدا فصاد خنزيرا وانصرفنا فقال لنا بعد من أي شيء أفلتنا يوم الخنازير، وإنا لبين يديه في الحجرة التي كان يجلس فيها، ونحن أربعة وكذا كانت نوبتنا إذ أدخل رجل مشدود العينين بذراعية وخف، فلما أقيم بين يديه قال مالنا نحن قرامطة فقال له الراضي يا بن الفاعلة: لو كنت محتاجا لعذرتك، ولكن من رشحك لهذا قد أغناك وجعل إليك نقابة، ومولك فك الكلب النابح، فضربوا فكه وهو يقول: بتربة المقتدر ارحمني وإذا هو أبو عبد الله بن المنتصر والمنتصر جده. ثم قال له الراضي: والله ما طلبت." (٢)

"الأخشيد ابن طغج في إنفاذ جيش إلى الرقة لأخذ الخليفة من يد سيف الدولة فركب يوما إلى سيف الدولة، وقال له قد ضرب الجند علي، فإن كان في نفسك شيء علي، فأنا بين يديك، وتغضب وزاد في الكلام، فنصحه سيف الدولة.
وقال له: لا يركب معك غيري، حتى يؤديك إلى منزلك، فركب وخرج من بابه وأغلق غلمان سيف الدولة بابا خلف سيف الدولة، وضربوا الترجمان - وكان خلفه - بالسيوف واحتزوا رأسه، وبلغ أمره الخليفة فغضب وتكلم، وقال: ابن رايق بالأمس، والترجمان اليوم! وأشير إليه ألا يعيد في هذا شيئا وأن يرى سيف الدولة أن الذي حكاه حق، ويستصيب رأي الغمان فيما فعلوه.
وفاز جميع من كانت له عنده ودائع مال فهو في أيديهم، واعتل الأمير توزون في ذي القعدة علة صعبة شديدة من قولنج وغير ذلك، ثم أقاله الله ووهب له العافية فاستحجب فتاه صافيا، خلع عليه خلعا، ركب فيها حتى رآه الناس.

---

(١) أخبار الراضي بالله والمتقي لله = تاريخ الدولة العباسية الصولي ص/٦٨

(٢) أخبار الراضي بالله والمتقي لله = تاريخ الدولة العباسية الصولي ص/٩٩

ثم اتصل بتوزون أن الديلمي الذي بواسط يريد بغداد، فقدم مقدمته إلى المداين، وخرج في أثرهم وذلك في ذي القعدة لإحدى عشرة ليلة بقيت منه.

ووقع في هذا الشهر بالكرخ **حريق** عظيم من حد طاق التكك إلى السماكين، وعطف على أصحاب الكاغد وأصحاب النعال، وذهبت النيران بأمتعة البزازين وأموال خطيرة، وكان وقوع **الحريق** ليلا." (١)

"يدور معها الى أن تغرب في الغرب ثم يدور ليلا حتى يحاذي الشمس مع الصبح.

ويقال إن أفروسا كان يطلب الولد في وقته فنكح ثلاثمائة امرأة يبتغي أن يولد له منهن فلم يكن ذلك.

ويقال إن في وقته عقمت أرحام النساء والبهائم، ووقع الموت لما كان الله عزوجل قدره من هلاك العالم بالطوفان.

وقيل إن الأسد كثرت في وقته حتى كادت ان تدخل البيوت، فاحتالوا لها بالطلسمات المانعة والحيل المضرة بها، وكانت تغيب شيئا وتعود، فرفعوا

ذلك الى الملك وقالوا هذه علامة مكروهة، فأمر أن يعمل لها أخاديد وتملأ نارا وجلبوا اليها الأسد بالدخن التي تجذب روحانيتها اليها، وألقوها على النيران **فاحترقت**.

وبنى في وقته مدائن في ناحية الغرب تلفت في الطوفان مع أكثر مدنهم، وارتفعت الأمطار عنهم، وقل الماء في النيل فأجدبوا وهلكت الزروع بالحر والريح الحارة وغير ذلك، فأضر ذلك بهم فاحتالوا لدفع النار بطلسماتهم، وكانت تذهب ثم تعود.

وقيل ان الذي فعل ذلك بهم ساحر من سحرتهم كان مناوس قد غصب امرأته فاعمل الحيلة قليلا قليلا في افساد طلسماتهم، لأن لكل طلسم شيئا يقوي روحانيته وشيئا آخر يفسدها.

ولهذه العلة دخل بخت نصر الفارسي مصر، وكانت ممتنعة من جميع الملوك فلما أفسد الساحر طلسماتهم سلط عليهم تلك الآفات وأفسد طلسم التماسيح فهاجت عليهم ومنعتهم الماء، وعذبتهم عذابا كثيرا الى أن فطنوا به من قبل تلاميذه.." (٢)

"واستحضر الملك ذلك الرجل الذي وجد حيا فاستخبره عن احاديثهم، فحدثه بأشياء معجبة، ثم قال: وأعجب ما رأيت منهم انه قصد المدينة منذ دهر ملك من ملوك البربر جبار من أهل بيت تجبر، فجاء بجموع كثيرة وجيوش كثيفة وتخاييل هائلة فأغلق أهل مدينتنا حصنهم، ورتبوا المراهقين على أسوارها ولجأوا ألى أصنامهم وشيوخهم وكهنتهم يخضعون لها ويتضرعون اليها.

وكان لهم كاهن عظيم الشأن لا يكاد أن يخرج من منزله، فسار اليه رؤساؤهم، وشكوا اليه ما دهاهم من عدوهم، فخرج معهم الى بركة لهم عظيمة بعيدة القعر، كانوا يشربون منها الماء، فجلس على حافتها، وأحاط الكهنة بها، وأقبل يزمزم على ماء البركة، فلم يزل كذلك حتى فاض الماء وفار، وخرج من وسطه نار تتأجج وخرج من وسطها وجه كدائرة الشمس

---

(١) أخبار الراضي بالله والمتقي لله = تاريخ الدولة العباسية الصولي ص/٢٦١

(٢) أخبار الزمان المسعودي ص/١٧٣

وعلى ضوئها فخرت الجماعة سجودا لذلك الوجه وجللهم نوره، وجعل يعزم حتى ملأ البركة وارتفع حتى صعد على أعلى القبة ثم ارتفع الى السماء فسمعوه يقول قد كفيناكم أمر عدوكم، فاخرجوا فخذوا أموالهم.

فخرجنا بأجمعنا متخوفين حتى وصلنا مضربهم، فوجدناهم أمواتا لم يبق منهم حي، فأخذنا جميع ما تركوه من مال وثياب ودواب، وآلة وانصرف أهل المدينة إلى مدينتهم فرحين، وكانوا يأكلون

ويشربون، فقلت لبعض الكهنة لقد رأيت عجبا من ذلك الوجه فما هو؟ قال ملك الشمس تبدت فماتوا عن آخرهم كما رأيت، قال له الملك فما الذي أهلكهم الآن؟ قال لا أدري، غير أني أفقت من نومي في الليل فسمعت هدة عظيمة إذ تهدم الحصن فأردت الخروج ولا علم لي بذلك فاذا بأصوات انكرتها وضوء نار وروائح **حريق**، وكنت ساكنا في موضع كالخان فيه خلق كثير، فصحت بكثير منهم فلم يستجب لي أحد، فسرت أفتقد باب المنزل فوجدته." (١)

"وأما أهل الربع الشمالي، وهم الذين بعدت الشمس عن سمتهم من الواغلين في الشمال كالصقالبة والافرنجة ومن جاورهم من الأمم، فان سلطان الشمس ضعف عندهم لبعدهم عنها فغلب على نواحيهم البرد والرطوبة وتواترت الثلوج عندهم والجليد، فقل مزاج الحرارة فيهم فعظمت أجسامهم وجفت طبائعهم وتوعرت أخلاقهم وتبلدت أفهامهم وثقلت ألسنتهم، وابيضت ألوانهم حتى أفرطت فخرجت من البياض إلى الزرقة ورقت جلودهم وغلظت لحومهم، وازرقت أعينهم أيضا، فلم تخرج من طبع ألوانهم وسبطت شعورهم، وصارت صهبا لغلبة البخار الرطب ولم يكن في مذاهبهم متانة. وذلك لطباع البرد وعدم الحرارة ومن كان منهم أوغل في الشمال فالغالب عليه الغباوة والجفاء والبهائمية وتزايد ذلك فيهم في الأبعد فالأبعد الى الشمال، وكذلك من كان من الترك واغلا في الشمال فلبعدهم من مدار الشمس في حال طلوعها وغروبها كثرت الثلوج فيهم وغلبت البرودة والرطوبة على مساكنهم، فاسترخت أجسامهم وغلظت ولانت فقارات ظهورهم وخرز أعناقهم، حتى تأتى لهم الرمي بالنشاب في كرهم وفرهم وغارت مفاصلهم لكثرة لحومهم فاستدارت وجوههم وصغرت أعينهم لاجتماع الحرارة في الوجه حين تمكنت البرودة من أجسادهم إذ كان المزاج البارد يولد دما كثيرا، واحمرت ألوانهم إذ كان من شأن البرودة جمع الحرارة وإظهارها وأما من كان خارجا عن هذا العرض إلى نيف وستين ميلا يأجوج ومأجوج، وهم في الإقليم السادس فإنهم في عداد البهائم.

وأما أهل الربع الجنوبي كالزنج وسائر الأحابيش، والذين كانوا تحت خط الاستواء وتحت مسامتة الشمس: فإنهم بخلاف تلك الحال من التهاب الحرارة وقلة الرطوبة، فاسودت ألوانهم واحمرت أعينهم وتوحشت نفوسهم وذلك لالتهاب هوائهم وإفراط الأرحام في نضجهم حتى **احترقت** ألوانهم وتفلفلت شعورهم." (٢)

"أهل هيت يوم الأحد لثمان خلون من ذي الحجة من هذه السنة.

وكان عبر اليها من المساء هارون بن غريب الخال، وأبو العلاء سعيد بن حمدان، ويونس غلام الأصمعي وغيرهم من الأولياء فكان القتال بينهم فوق السور **واحترقت** له عدة دبابات.

---

(١) أخبار الزمان المسعودي ص/٢٢٣

(٢) التنبيه والإشراف المسعودي ص/٢٢

وعاد الى معسكره وارتحل عنها يوم الاثنين صبيحة الوقعة الى ناحية رحبة مالك بن طوق وارتفعت من معسكره نار عظيمة عند السحر قبل رحيله فظننا انه يريد معاودة الحرب وإذا هو قد ضرب ثقلته بالنار لكثرة الذرية والثقلة وقلة الظهر، وصار الى الرحبة وعليها يومئذ ابو جعفر محمد بن عمرون التغلبي فافتتحها عنوة ونزلها وهي من الجانب الشأمى، وقرقيسيا وهي من الجانب الجزري، وبث منها السوارب إلى النواحي، منها سرية الى كفرتوثا ورأس العين ونصيبين عليها الحسين بن على بن سنبر الثقفي، ومعاذ الأعرابي الكلابي، فأوقعوا بالاعراب من تغلب والنمر وغيرهم من الحاضرة.

وقد كان أنفذ سليمان الجلي قبل ذلك الى كفرتوثا لحمل الزاد والميرة الى معسكره، وكان من ذوى النسك منهم والدراية بمذهبهم، وقد كلمت غير واحد من دعاتهم، وذوى المعرفة منهم، فلم أر مثله دراية وتحصيلا وتدينا بما هو عليه، وحسن إتقان للسياسة التي تكون مع الدعاة.

وكان أولا مع أبى زكريا البحراني، ثم صار مع أبى سعيد الجنابي وولده، ووجه بسرية له في نحو الفين، وقيل دون ذلك الى الرقة، وهي على ثلاثين فرسخا من الرحبة.

وكان على السرية الحسين بن على بن سنبر ومعاذ الكلابي أيضا، وكان نزولهما عليها يوم الأحد، لثمان بقين من جمادى الاولى سنة ٣١٦، وأميرها نجم غلام جنى الصفواني، فكان القتال بينهم يوم الثلاثاء والأربعاء، لخمس بقين من." (١)

"القول بالحجاب كيف وقد روى حماد بن سلمة عن عمران الحراني عن زرارة بن أوفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل هل رأيت ربك قال يا محمد بيني وبينه سبعون حجابا من نور لو دنوت من أدناها **لاحترقت** وفي حديث أبي موسى الأشعري لو انكشفت سبحات وجهه لاحترق ما عليها من شيء ويسير هذا كله ما روي عن الحسن أنه قال ليس شيء أقرب إلى الله تعالى من اسرافيل وبينه وبين رب العزة سبع حجب من حجاب العزة وحجاب الجبروت والعظمة وليست مما يوجب الحد في الاحتجاب لأنها ليست بأجسام حاملة بين الحاجب والمحجوب ولكنه يمتثل في بعد وقوع الحواس وقطع الأطماع في الإحاطة به والاختصاص بالعظمة والسلطان دون خلقه ومثل هذا أبلغ عند العباد وتعظيم البارئ وتفخيم قدره للرغبة إليه والرهبة منه إذ أكثرهم يرون ما لا يدركه حواسهم ولا يتصور في أوهامهم بإطلاق لا شيء ويدل على ہ ذا التأويل ما روى في الخبر العظمة إزارى والكبرياء ركابي [١] فمن نازعنيهما ألقيته في النار ولا أبالى فهل

---

[١] . ردائي Ms.enmarge." (٢)

"والملك والعز وطيب النفس ويصير آخر ذلك كله إلى الجنة فيمكث فيها بقدر استحقاقها ثم يرجع إلى الدنيا للعمل قالوا والجنة اثنتان وثلاثون مرتبة ويمكث أهلها في أدنى مرتبة منها أربع مائة ألف سنة وثلث وثلاثين ألف سنة وستمائة وعشرين سنة وكل مرتبة أضعاف ما دونها بحساب يطول عدده قالوا والنار اثنتان وثلاثون مرتبة ثم وصفوها

---

(١) التنبيه والإشراف المسعودي ص/٣٣٣

(٢) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ١٨٢/١

بعجائب الصفات من الحريق والزمهرير وزعموا أن من قتل شيئا من الحيوان دون الناس قتل به مائة مرة ومرة ومن قتل إنسانا قتل به ألف مرة ومرة قالوا وليس عضو من الأعضاء قبح أو سمج خلقته إلا وقد أتى صاحبة بذلك العضو داهية من الدواهي هذا أصل التناسخ ومنهم انتشر في سائر الأمم وليس من أمة من الأمم إلا وهي مقرة بالجزاء كما ذكرنا إما التناسخ وإما الذخر في الآخرة وأجمعوا أن العذاب بقدر الاستحقاق ثم ينقطع وزعم كثير من اليهود أنه إذا أتى على الجنة والنار ألف سنة بعد م١ صار إليهما أهلهما فنيتا وتعطلتا وصار أهل الجنة ملائكة وأهل النار رميما واحتجوا بقول الأنبياء الاثنى عشر [١]

Ms. [١]." (١)

"السبابة والإبهام فجعل يشرب من إحداهما لبنا ومن الأخرى عسلا وروى عن نوف [١] البكالي أنه قبضت له ظبية ترضعه إذا أبطأت عليه أمه وفسر بعضهم قوله تعالى وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض ٦: ٧٥ أنه رفع فوق السموات حتى نظر إلى ما فيها وإليها وذكروا من صفة النار وعظم بنيانها [٨٥] وجمع الحطب لها سنين ما الله به عليم قالوا وقد كانت المرأة إذا حملت نذرت لئن وضعته ذكرا حملت مقدارا من الحطب إلى ذلك الموضع وانه لم يحمل شيء من الدواب ذلك الحطب إلا البغل وأعقم الله نسله وحرثه وان الخطاف كانت تأتي بالماء فترشه على النار فجعلها آية ألوفا للمساكن وأن الوزغة كانت تنفخ النار وتضرمها فأمر الله بقتلها وأنهم أوقدوا أياما حتى احترقت طير السماء ونفرت الوحوش والسباع وإن إبليس جاءهم فعلمهم عمل المنجنيق فسووا ورموا بإبراهيم عم في النار فقال الله عز وجل يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ٢١: ٦٩ فبردت النيران كلها على وجه الأرض حتى لم ينضج كرعا وقال بعضهم حتى بردت نار جهنم قالوا ولو لم يتبع الله قوله

---

[١] . انوف Ms.." (٢)

"إحدى وعشرين سنة ثم ملك جوذر تسع عشر سنة ثم ملك نرسي الاشغاني أربعين سنة ثم ملك هرمز سبع عشرة سنة ثم ملك اردوان اثنتي عشرة سنة ثم ملك كسرى الاشغاني أربعا وأربعين سنة ثم ملك بلاس أربعا وعشرين سنة ثم ملك اردوان الأصغر ثلث عشرة سنة تم ملوك الطوائف وصار الأمر إلى بني ساسان وأول من ملك من بني ساسان اردشير بن بابك بن ساسان الجامع وهو من ولد دارا فيكون مدتهم في هذا الحساب مائتين وسبعين سنة،،،

ثم ملك اردشير الجامع ويقال له شاهنشاه

قالوا وكان اردشير رجلا بين الفضل في بعد رأيه وذكاء لبه مع صرامته وبأسه ونجدته ولما أفضى الأمر إليه أمر أهل الفقه بجمع ما قدروا عليه من كتب دينهم التي احترقت وتأليفها وتقييدها فانه لا يجمع القلوب المتعادية والأهواء المتنافرة إلا

---

(١) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ١٩٩/١

(٢) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ٥٤/٣

الدين فجمعوا ما أصابوا منها وهو الذي في أيديهم اليوم قالوا ثم عمد إلى كتب الطب والنجوم فجددها وأعادها وبث كتبه في من قرب منه ونأى عن الملوك يأمرهم بإقامة الدين والسنة ويحذرهم معصيته ومخالفته فصفت له المملكة أربع عشر سنة وستة أشهر،،،." (١)

"حديدة يحمونها حتى إذا [١] بلغت غايتها في الحمى والحمرة أمروا المنكر أن [٢] يلحسها قالوا [٣] فإن كان كاذبا مبطلا احترق لسانه وإن كان صادقا محقا لم يضره [٤] ومنهم فرقة [٥] يغلون الزيت في برمة من حديد ويقذفون فيها حديدة و [٦] يأمرون المنكر أن يدخل يده فيستخرج الحديدة [٧] قالوا [٨] وإن كان كاذبا **احترقت** يده وإن كان صادقا لم يضره [٩] وعقوبة السارق والقاطع وسابي ذراريهم [١٠] إذا ظفروا بهم أن يحرقوا [١١] بالنار ومنهم من يصلبهم [F 114 R] وصلبهم أن يحد رأس الخشبة ثم يسلكه في مقعد [١٢]

---

[1] ManquedansBN]

[٢] . أمروا المنكراتMS.

[٣] . بلسانهBN

[٤] . تضرهBN

[٥] . قرمBN

[٦] . ثمBN

[٧] . فيستخرجواBN

[8 .ManquedansBN]

[٩] . يمسها سوءBN

[١٠] . وسائر دراريهم.MS السابى BN 2 بنBN 1

[١١] . ان يحضر BN 1 ajoute بن ويحرقوهBN

[١٢] . يسلك في مقعدة BN." (٢)

"فأجابهم عثمان بجوابه الأول، فآذنوه [١] بالحرب، وشددوا عليه الحصار.

فصعد بعض عبيد [٥٠٤] عثمان إلى سطح داره، فدلى منه حجرا، فقتل رجلا يقال له: دينار.

فأرسلوا إلى عثمان أن:

---

(١) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ١٥٦/٣

(٢) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ١١/٤

- «أمكنا من قاتله.» فقال عثمان: «والله ما أعرف قاتله [٢] .» فباتوا تلك الليلة. فلما أصبحوا، وهو يوم الجمعة، أحضروا نارا ونفطا، ودخلوا من ناحية الحرم [٣] ، فأضرموا جوانب الدار، **فاحترقت**.

فقال عثمان لأصحابه:

- «ما بعد **الحريق** شيء، فمن كانت لى عليه طاعة فليمسك يده، فإنما يريدني القوم، ولو كنت في أقصاكم لتخطوكم إلى، ولو وجدوني في أدناكم ما تخطونى إليكم.» فأبى مروان وقال: «والله لا وصلوا إليك وفي روح.» وخرج إلى الناس بسيفه وعليه درع. فناوشوه القتال. ثم خرج إليه غلام شاب طوال، فضربه مروان على ساقه، وضرب الغلام مروان على رقبته، فسقط لا ينبض منه عرق، وقتل المغيرة بن الأخنس، وجرح عبد الله بن الزبير، وانهزم من في الدار، وخرجوا هرابا في طرق المدينة، وخلص إلى عثمان، فقتل قبل أن يلحقه الغوث من الأمصار.

أسماء كتاب عثمان [٥٠٥]

كتب له مروان بن الحكم، وكتب له عبد الملك بن مروان على ديوان المدينة،

---

[١] . في مط: فأذنوه بالحرب.

[٢] . في مط: ما أعرف قاتل (!)

[٣] . مط: من ناحية إلى الحرم.." (١)

"- «يا برذعة الحمار، والله، لولا أن أمير المؤمنين عهد إلي- إن حدث بى حدث- أن أستخلفك لما وليتك، ولكن انظر وصيتى، وإياك والمخالفة! خذ عنى أربعا: أسرع السير، وعجل الوقائع، وعم الأخبار، ولا تمكن قريشا من أذنك.» [١] ومات. [١٢٣] وخرج الحصين بن نمير إلى مكة، وقد بايع أهل مكة ابن الزبير، وقدم عليه نجدة بن عامر مع الخوارج يمنعون البيت، فحاصرهم الحصين، وأخرج ابن الزبير إليهم أخاه المنذر بن الزبير. فلما اشتد القتال، دعوه إلى المبارزة، فخرج وقتل، وقتل معه عدة من وجوه أصحاب ابن الزبير، ولم يزل القتال دائما بينهم طول صفر. ولما مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول، نصبوا المجانيق على البيت، ورموه بالحجارة والنار، وأخذوا يرتجزون ويقولون:

خطارة [٢] مثل الفنيق [٣] المزبد [٤] ... نرمي بها أعواد هذا [٥] المسجد

واحترقت الكعبة، وتصدع منها ثلاثة أمكنة، واحترق ما كان فيها من خشب، وما عليها من كسوة.

وقد قيل: إنما **احترقت**، لأن أصحاب ابن الزبير كانوا يوقدون حولها، فطارت إليها شرره ليلة ريح، **فاحترقت**.

---

[١] . فى الطبري (٧: ٤٢٥) : ولا ترع سمعك قريشا.

[٢] . الخطارة: المقلاع. المنجنيق.

[٣] . الفنيق من الإبل: الفحل.

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٤٥٣/١

[٤] . المزيد: كذا فى الأصل والطبري (٧: ٤٢٦) ، وفى مط: المريد.

[٥] . فى مط: أعلى المسجد، بدل: هذا المسجد.." (١)

"فى أصحابه وفشا فيهم الموت. فلم يزل مقيما حتى أبل [١] من نجا من الموت.

ثم انصرف إلى باذآورد [٢] [٤٩٠] فعسكر به وأمر بتجديد الآلات وإعطاء من معه الأرزاق، وأصلح الشذاءات والمعابر وشحنها بالقواد، ونهض يريد عسكر الخبيث وأنفذ قوما إلى نهر أبى الخصيب، فمال أكثر الناس حين وقعت الحرب إلى نهر أبى الخصيب. وتأمل الزنج قلة مع من هو فى جانب أبى أحمد الموفق، فأكبوا عليه وكثر القتل فى الجانبين.

ثم صار أبو أحمد الموفق إلى شذاءة وتوسط الحرب وحرض أصحابه فكثر عليه الزنج وعلم أنه لا طاقة له بهم، وانقطع عنه جماعة حجز الزنج بينه وبينهم واقتطعوهم عنه. فقاتلوا قتالا شديدا، ثم قتلهم الزنج بأسرهم وانصرف القوم إلى باذاورد وحملت الرؤوس إلى صاحب الزنج فوقعت نار فى طرف من أطراف عسكره وذلك فى عصوف الرياح، فاحترق العسكر، ورحل أبو أحمد الموفق إلى واسط. فلما صاروا إلى واسط تفرق عنه من بقي معه وتشتت ذلك الجمع العظيم.

ودخلت سنة تسع وخمسين ومائتين [٤٩١]

انصراف أبى أحمد واستخلاف أحمد المولد لحرب صاحب الزنج

وفيها انصرف أبو أحمد بن المتوكل من واسط إلى سر من رأى واستخلف على حرب الخبيث أحمد المولد.

وكان خفى على صاحب الزنج أمر **الحريق** الذي كان فى أصحاب أبى

---

[١] . أبل من مرضه: برئ وصح.

[٢] . فى مط: باداورد. فى المراصد، باذورد: اسم مدينة كانت قرب واسط، بينها وبين البصرة.." (٢)

"زورقين وليس يعلم أحد لماذا يريدهما ولم يأخذ معه أحدا من أسباب البريدي ومضى فملأ الزورقين سعفا- ومثل هذا لا ينكر بالبصرة- وحدرهما فى أول الليل- ومثل ذلك بالبصرة كثير لا يستراب به- وكان رسم مراكب ابن وجيه أن تشد بعضها إلى بعض بالليل فى عرض دجلة فيصير كالجسر.

فلما كان فى الليل ونام الناس وكل من فى المراكب، أشعل ذلك الملاح السعف وأرسل الزورقين والنار فيهما، فوقعا على تلك المراكب والشذاءات فاشتعلت **واحترقت** قلوسها [١] وتقطعت واحترق [٨٤] من فيها ونهب الناس منها مالا عظيما. وانقلع يوسف ابن وجيه ومضى هاربا على وجهه، وانكشف وجه البريدي ووفى للملاح بما وعد له.

وفيها استوحش المتقى من توزون. ذكر السبب فى الوحشة بين توزون والمتقى وما آل إليه الأمر [٢]

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٢/٩٠

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٤/٤٣٤

كان الترجمان قد نفر من توزون لشيء بلغه عنه وكان أبو الحسين ابن مقلة خائفا من توزون لأنه خسر فى مال ضمانه وأشفق أن يطالبه به ويهلكه وزاد فى نفوره. وتقلد أبى جعفر ابن شيرزاد كتبة توزون وما شك أحد أن أبا جعفر ابن شيرزاد وافى عن موافقة البريدي فطارت نفس ابن مقلة خوفا من ابن شيرزاد وأن يطالبه بمال ضمانه واقطاع توزون وخاف الترجمان وغيره وساءت الظنون وغلب القنوط على الكافة من أهل الحضرة. فوقع التدبير بين أبى الحسين ابن مقلة وبين الترجمان على مكاتبة ناصر الدولة فى إنفاذ من يشيع المتقى ويخرجه إليه.

---

[١] . قلوسها: الأصل مهمل فى الأول. وما أثبتناه يؤيده مط ومد.

[٢] . والمثبت فى مد: وما آل إليه الأمر فيه (بزيادة فيه) .." (١)

"ولد غته وأنتم إنما بخعتم بالطاعة لما ضعفتم وإن تركتكم حتى تستقيم أحوالكم تأذيت بكم.» وأخذ الكتاب الذي أورده فأحرقه على رأسه **فاحترقت** لحيته. وقال:

– «امض إليهم وعرفهم أنه ليس عندي إلا السيف.» فانصرف وجمع الملك جيوشه وعمل على أن ينفذ [٢٧٢] جيشا إلى الشام وجيشا إلى الثغور وجيشا إلى ميافارقين وكان سيف الدولة بميافارقين يخلص [١] البطارقة الذين فى يد نجا وكان بميافارقين نحو ألف كر حنطة فمزقها وفرقها لئلا تأخذها الروم.

ثم إن ملك الروم أنفذ إلى المصيصة قائدا من قواده فأقام عليها يحارب أهلها. ثم جاء الملك بنفسه فأقام عليها وفتحها عنوة بالسيف ووضع السيف فى أهلها فقتل منهم مقتلة عظيمة. ثم رفع السيف وأمر أن يساق من بقي فى المدينة من الرجال والنساء والصبيان إلى بلد الروم وكانوا نحو مائتي ألف انسان. ثم سار عنها إلى طرسوس فحاصرها فأذعن أهلها بالطاعة فأعطاهم الملك الأمان وفتحوا له أبوابها فدخلها ولقى أهلها بالجميل ودعا رؤساءهم إلى طعامه فأكلوا معه وأمرهم بالانتقال عنها وأن يحمل كل واحد من ماله وسلاحه ما أطاق حمله ويخلف الباقي ففعلوا وساروا وسير معهم ثلاثة نفر من البطارقة يحمونهم فعرض لهم قوم من الأرمن فأوقع الملك بهم وعاقهم وقطع آنافهم لمخالفتهم أمره.

ولم يزل طول طريقهم يتعرف أخبارهم بكتبه ورسله [٢٧٣] إلى أن عرف سلامتهم وحصولهم بأنطاكية وحمل بعضهم فى البحر فى شليذيات [٢] له إلى

---

[١] . كذا فى الأصل: يخلص البطارقة. فى مد: تخلص البطارقة والمثبت فى مد: [قد] تخلص البطارقة. بزيادة «قد» .

[٢] . كذا فى الأصل: شليذيات. فى مط: شذاءات. والمثبت فى مد: شلنديات.." (٢)

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٧٩/٦

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٢٥٠/٦

"إيقاع حريق وفتنة فى ليلة النيروز المعتضدي لتشاغل الناس بذلك ويهجم على بختيار ويوقع [٣١٧] به وواطأه على ذلك خلق من الجند فظهر له قبل النيروز أنه عباسي وليس بعلوى فتغيرت نيته، وتصوره بصورة المحتال وواجه بعض أولئك الدعاة بذلك وأعلمه أنه كذاب مموه وتثاقل عن نصرته وأظهر الندم.

وخاف محمد بن المستكفى أن يقبض عليه وأحس أصحابه ودعاته بذلك فاستوحشوا وتفرقوا، فبعضهم هرب إلى ناحية السواد وبعضهم أمعن فى الهرب. وعرف السلطان خبرهم فكاتب العمال بالتيقظ فى طلبهم وإذكاء العيون عليهم فظفر ببعضهم فأمر بتقريره بالسوط فأقر على جماعة أخذوا ولم يزل التتبع يقع حتى حصل محمد بن المستكفى وأخوه فأوصله بختيار إليه واستشرحه الأمر فشرحه بعد أن آمنه على نفسه.

فالتمس المطيع لله من بختيار أن يسلمه إليه مع أخيه، فأبى عليه ودافع عنه وقال:

– «قد آمنته.» فبذل المطيع لله لهما الأمان على النفس. فلما حصل الجميع فى يده تقدم بجدع أنف محمد بن المستكفى وقطع أنف أخيه وحبسهما مدة. ثم هربا وخفى خبرهما ووقع الاستقصاء على كل من دخل فى بيعته، فصودروا وأدبوا ضروب [١] التأديب ولم يقع الإقدام على سبكتكين العجمي ولا على أحد من وجوه الجملة وإنما خوطب سبكتكين خطابا خفيفا فجنح فى الجواب إلى الإنكار وأغضى عنه وعن الجند. [٣١٨]

---

[١] . وفى مط: لضروب.." (١)

"ورام الوزير أبو الفضل تسكينهم فتعذر عليه حتى أركب إليهم طائفة من الجيش فواقعوهم [٣٩١] وكسروهم ونقصت الهيبة أكثر مما كانت عليه وركب أبو الفضل بنفسه لقتال العيارين وواقعهم فلم يقدر عليهم.

وكان فى حجابه رجل يعرف بصافى ذميم الأخلاق دنى النفس يتعصب لأهل السنة. فضرب محلة الكرخ وهي مجمع الشيعة ومعظم التجار بالنار فعظم الحريق وتلفت البضائع وصارت المضرة على الرعية فيما دبره سلطانها أعظم مما جناه سفهاؤها.

الوزير يصرف نقيب الطالبيين

وكان بين أبى أحمد الموسوي– وهو الحسين ابن موسى ويتولى نقابة الطالبيين– وبين أبى الفضل الوزير مناظرة فيما جرى على الشيعة فأظهر امتعاضا وخرج فى المناظرة إلى المهاترة. فصرفه الوزير عن النقابة بأبى محمد بن الناصر وهو الحسن بن أحمد العلوي وحصل أبو أحمد الموسوي من أعداء أبى الفضل المكاشفين له المثربين عليه وحصل أبو الفضل فريدا لا ناصر له.

سبب عداوة سبكتكين للوزير أبى الفضل

أما سبكتكين فيطلب عنده ثأر أبى قرة وفى نفسه عليه ما كان منه فى استدعاء بختكين آزاذرويه من الأهواز إلى واسط

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٢٨٨/٦

ليقيم مقامه ويجعله ضدا له، وشيء آخر كان عظيما عنده قبيحا وهو أن سبكتكين كان يختص غلاما تركيا من غلمانه، فغضب عليه وأمر ببيعه فى السوق فنصب الوزير أبو." (١)

"خلافة الطائع لله

ذكر خلع المطيع وتسليم الأمر إلى ولده

كان المطيع لله بعقب علة من الفالج يسترها وقد ثقل لسانه وتعذرت الحركة عليه فانكشف حاله لسبكتكين فدعاه إلى تسليم الأمر إلى ولده الطائع [١] لله ففعل وعهد إليه فبرئ من الخلافة وخلعها وأشهد على نفسه سنة ثلاث وستين يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة. [٢]

ذكر اسباب الفتن الهائجة بين العامة حتى أدت إلى بوار بغداد

لما انبسطت العامة الذين ذكرنا حالهم مع سبكتكين وهم الفرقة المعروفة بالسنة استضاموا الشيعة وناصبوهم لحرب وتحزب الفريقان وكانت عدة الشيعة قليلا فتحصنوا في أرباض الكرخ من الجانب الغربي واتصلت الحروب حتى سفكت الدماء واستبيحت المحارم وأحرق الكرخ حريقا ثانيا بعد الحريق الأول فى وزارة أبى الفضل.

---

[١] . فى مط: الوالي لله. بدل «الطائع لله» .

[٢] . وفى تاريخ الإسلام. فقال أبو منصور بن عبد العزيز العكبري: كان المطيع لله بعد أن خلع يسمى الشيخ الفاضل. (مد)." (٢)

"الدولة أخته اليه وأنفذ جميلة الى الرقة وحدرها منها الى عانة وعدل بها من عانة الى الموصل وسلمت الى أبى الوفاء فكانت فى يده الى أن انحدر الى بغداد فحدرها معه وحصلت معتقلة فى الدار فى بعض حجرها مع جواري عضد الدولة ونسائه.

ذكر تلافى بغداد بالعمارة بعد الخراب بأمر عضد الدولة

وفى هذه السنة أمر عضد الدولة بعمارة منازل بغداد وأسواقها وكانت مختلة قد أحرق بعضها وخرب البعض فهي تل.

المساجد الجامعة

وابتدأ بالمساجد الجامعة وكانت أيضا فى نهاية الخراب فأنفق عليها مالا عظيما وهدم ما كان مستهدما من بنيانها وأعادها على إحكام وشيدها وأعلاها وفرشها وكساها وتقدم بإدرار أرزاق قوامها ومؤذنيها والائمة والقراء فيها وإقامة الجرايات لمن يأوى إليها من الغرباء والضعفاء، وكان ذلك كله مهملا لا يفكر فيه.

مساجد الأرباض والعقارات

ثم أمر بعمارة ما خرب من مساجد الارباض المختلفة وأعاد وقوفها وعول فى هذه المصالح على عمال ثقات أشرف

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٣٥١/٦

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٣٧٣/٦

عليها نقيب العلويين.

ثم الزم أرباب العقارات التي احترقت ودثرت فى أيام الفتنة أن يعيدوها إلى أفضل أحوالها فى العمارة وفى الحسن والزينة، فمن قصرت يده عن ذلك اقترض من بيت ماله ليرتجع منه عند الميسرة ومن لم يوثق منه بذلك أو." (١)

"وأهل أنسه فشاوره فى ذلك فقال ابن النعمان:

– «أنت أعرف بوجه الرأى.» فقال: «لقد صدقت المرأة فى القصة ونبهت من الغفلة.» وتقدم فى الحال بالقبض على عيسى بن نسطورس وسائر الكتاب من النصارى وكتب إلى [١] الشام بالقبض على منشا بن الفرار وجماعة المتصرفين من اليهود، وأمر برد الدواوين والأعمال إلى الكتاب المسلمين والتعويل فى الإشراف عليهم فى البلاد [٢] .

ذكر تدبير توصل به عيسى بن نسطورس إلى الخلاص والعود إلى النظر [٢٧٥]

كانت بنت المتقلب بالعزيز المعروفة بست الملك كريمة عليه حبيبة إليه لا يرد لها قولا. فاستشفع عيسى بها فى الصفح عنه وحمل إلى الخزانة ثلاثمائة ألف دينار. وكتب إليه يذكره بخدمته وحرمته فرضي عنه وأعاده إلى ما كان ناظرا فيه وشرط عليه استخدام المسلمين فى دواوينه وأعماله.

فتنة العيارين

وفى هذه السنة كثرت فتن العيارين بعد انحدار بهاء الدولة ورفعت الحشمة وجرى من الحرب بين أهل الدروب والمحال نوبة بعد نوبة ما أعيا فيه الخطب وتكرر الحريق والنهب تارة على أيدى العيارين وتارة على أيدى الولاة. وولى المعونة عدة فما أغنوا شيئا واستمر الفساد إلى حين عود بهاء الدولة.

---

[١] . وفى الأصل: من.

[٢] . وفى تاريخ ابن القلانسي ص ٣٣: على القضاة فى البلاد (مد) .." (٢)

"– «الديلم يرمون كل من يرد من نهر عمر.» وجعل أمامه سلسلة حديد ممتدة من إحدى حافتي نهر ابن عمر إلى الأخرى ليدفع عن الجسر ما يرسل على الماء من شاشات القصب المضرمة بالنار تغوص بثقلها فتعبر الشاشات عليها فتغرقها.

فى عسكر البطيحة من نهر ابن عمر وجمعوا قصبا كثيرا بعرض النهر وأرسلوه مضرما بالنار وجعلوا سفنهم التي فيها مقاتلتهم من ورائه، فوقع على السلسلة وتقطعت وعلى السفن الصغار فاحترقت ووصل إلى الجسر ودخل عسكر البطيحة البصرة يقدمهم ابن مرزوق وعسكره إلى الجزيرة.

وحصل لشكرستان بسوق الطعام وهي فسيحة واستمر القتال بين الفريقين وكان للديلم الاستظهار فى الحرب ولهؤلاء قطع الميرة.

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٤٥٣/٦

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٢٢٣/٧

فراسل لشكرستان مهذب الدولة وسأله المصالحة والموادعة وبذل له الطاعة والمتابعة على أن يقيم له الخطبة ويسلم ابنه إليه رهينة. فمال مهذب الدولة إلى الصلح وسلم لشكرستان ابنه أبا العز واتصل الصفاء واستمر الوفاء زمانا طويلا.
وأظهر لشكرستان طاعة صمصام الدولة وبهائها وأمر نفسه واعتضد بما عقده بينه وبين مهذب الدولة من المودة، وعسف أهل البصرة مدة، ثم عدل فيهم وأحسن السيرة بهم وخفف [٣٨٩] الوطأة عنهم بعد أن قرر نصف العشر عليهم. وكان يؤخذ من سائر ما يتبايع حتى من المأكولات، وعاد البصريون إلى دورهم ومنازلهم.
والذي تكثر به العشرة وتطول فيه الفكرة ويستفاد منه التبصر وتنتفع بمثله التجربة خامل حالتي بهاء الدولة ومهذبها. كيف اختل أمر ذلك وهو عريق فى الملك صاحب مملكة لسوء سيرته! وكيف استقام أمر هذا وهو دخيل فى الإمارة صاحب بطيحة لحسن طريقته!." (١)
"ذكر السبب فى ذلك
كان أبو نصر سابور قد حاول وضع العشر على ما يعمل من الثياب الأبريسميات والقطنيات بمدينة السلام. فثار أهل العتابيين وباب الشأم من ذلك وقصدوا المسجد الجامع بالمدينة يوم الجمعة العاشر من الشهر ومنعوا الخطبة والصلاة وضجوا واستغاثوا وباكروا الأسواق على مثل هذه الصورة.
فلما كان فى يوم الثلاثاء صاروا إلى دار أبى نصر سابور بدرب الديزج، فمنعهم أحداث العلويين منها وخرجوا من درب الديزج الى دجلة وطلبوا من جرى رسمه بالكون فى دار الحمولى من الكتاب والمتصرفين.
فهربوا من بين أيديهم وطوحوا النار فى الدار وأهمل إطفاؤها فاتت على جميعها.
وورد أبو حرب شيرزيل ناظرا فى البلد على ما قدمنا ذكره فقبض على جماعة من القامة اتهموا بما جرى من **الحريق** وصلب أربعة أنفار على باب دار الحمولى، وذلك فى يوم الخميس الذي دخل فيه. واستقر الأمر على أخذ العشر من قيم الثياب الابريسميات خاصة، ونودى بذلك بالجانب الغربي فى يوم الأحد الرابع من جمادى الأولى وبالجانب الشرقي فى يوم الإثنين.
وثبت هذا الرسم ورتب فى جبابته ناظرون ومتولون وأفرد له ديوان فى دار بالبركة، ووضعت الختوم على جميع ما يقطع من المناسج ويباع ويختم.
واستمرت الحال على ذلك إلى آخر أيام عميد الجيوش أبى على ثم أسقطه وأزال رسمه على ما سنذكره [٤] فى موضعه.
وفى يوم الجمعة لست بقين منه توفى أبو القاسم ابن حبابة المحدث." (٢)
"إذ لحقني فارس فسايرني، وأقبل يحدثني ويسألني عن اسمي وكنيتي ومنزلي وصناعتي، فلما ذكرت له مكاني مع أبي العباس بن الفرات قال: كيف مذهبه في العمل؟ قلت: أحسن مذهب، يستقصي حقوق سلطانه ويستوفي مناظرة عماله، ويجد في استخراج أمواله. قال لي: فكيف يجري أمر هذا الوزير؟ يعني عبيد الله بن سليمان فإنني ما رأيت أشد

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٣٢٣/٧

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٣٩٧/٧

تخليطا منه، ولا أفظ من حجابه، ولا أكثر إخلافا للمواعيد منه، قلت له: وكيف ذلك؟ قال: لأني رجل من الفرسان قد أخر عني رزقي، وأحوجني إلى القدوم إلى الحضرة متظلما منه، وأنا أجتهد في أن يطلق لي ما وجب من رزقي فليس يلتفت إلي، ولا يفكر في، وكلما رفعت إليه رقعة رمى بها، ومتى وصلت إليه لم يخرج عليها توقيع، فقد **احترقت** وهلكت وذهبت نفسي وطالت على بابه مدتي، فكيف يمكن هذا الرجل وهو على ما وصفته لك أن يعمل أعمال الخليفة ويدبر أمر مملكته؟ قلت له: الذي نعرفه من مذهبه ومعرفته وكفايته غير ما ذكرته عنه، وما يدع شيئا إلا نظر فيه، ولا مظلوما إلا أنصفه. قال: الذي يبلغني عنه أنه قد اصطلم الدنيا، وأخذ الأموال لنفسه، فالجند يتظلمون، وحاشية الخليفة يشكون، والنواحي خراب. فقلت: ما أحد من الحاشية إلا وهو راض، والأموال كلها تحمل إلى الحضرة وقد حسب للعمال أرزاق الشحن. والعمارة زائدة، والأمور منتظمة. فقال: ما الآفة في جميع ما يجري إلا هذا الغلام الذي قد رفعه الخليفة، وأعطاه ما لا يستحقه وصير الناس عبيدا وخولا له. قلت: ومن الغلام الذي تعنيه؟ قال: بدر. وأقبل يطعن عليه، ويتكلم فيه. قلت: ما وضعه الخليفة إلا موضعه، والرجال حامدون له راضون برئاسته. ثم حول وجهه فنظر إلى كوكبة عظيمة من الفرسان قد." (١)

"سنة اثنتين وثلاثين ومائتين

فيها تقلب موسى بن موسى القسوي عن الطاعة، وأعند بتحامل عبد الله بن كليب عامل الثغر عليه، ومد يده إلى بعض أمواله، فأحفظه ذلك، وهاج حميته، وتحرك إلى تطيلة، وابن كليب داخلها، فطمع أن ينتهز منه فرصة، فاحتجز عنه عبد الله بحصانتها، ولم يؤته حربا، واستغاث بالأمير عبد الرحمن، فأخرج إليه ابنه محمدا بالصائفة، وقاد معه محمد بن يحيى بن خالد، فاحتل عليه محمد بالجيوش، فأذعن موسى، واعترف بالذنب، وسأل العفو، فسارع الولد محمد إلى إجابته وتطمينه وإقراره على حاله، وتقدم بالصائفة إلى بنبلونه فجال بأرضها وأداخلها، ونكأ العدو أبرح نكاية.

وفيها عزله الأمير عبد الرحمن حارث بن بزيع عن طليطلة في شوال منها، وولاها محمد بن السليم.

وفيها كان القحط الذي عم الأندلس، فهلكت المواشي، **واحترقت** الكروم، وكثر الجراد، فزاد في المجاعة وضيق المعيشة.." (٢)

"* محمد بن ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، قيل: إن ثابت فارق جميلة وهي حامل، فلما وضعت حلفت أن لا تلبنه، فجيء به إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: (أدنه مني، فبزق في فيه، وسماه محمدا وحنكه بتمرة عجوة، وقال: (اذهب، فإن الله تبارك وتعالى رازقه).

* محمد بن جعفر بن أبي طالب، ولد بأرض الحبشة، أبو القاسم، ودخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أسماء بنت عميس، فوضع عبد الله ومحمد ابني جعفر على فخذه، وقال: (أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب).

* محمد بن حاطب بن الحارث أبو القاسم، وقيل: أبو إبراهيم، أخو الحارث بن حاطب، ولد بأرض الحبشة، في

---

(١) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء الصابئ، هلال بن المحسن ص/٢٠٥

(٢) المقتبس من أنباء ا لأندلس القرطبي، ابن حيان ص/١٤٣

السفينة التي خرج فيها حاطب بن الحارث وجعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى، مات حاطب بأرض الحبشة، ومات محمد بمكة، وقيل: بالكوفة، عداده في الكوفيين.

أخبرنا الحسين بن الحسن بن محمد بن القاسم الغضائري ببغداد، حدثنا أحمد بن سلمان بن النجاد، حدثنا الحسن بن مكرم البزاز، حدثنا شبابة بن سوار، حدثنا شعبة بن الحجاج وقيس بن الربيع، عن سماك بن حرب، عن محمد بن حاطب رضي الله عنهما قال: (وضعت على يدي نارا **فاحترقت**، فذهبت بي أمي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنا صبي فجعل رسول الله يتفل عليها ويقول: اذهب البأس رب الناس) –قال شعبة: وأشك في هذه– (واشف أنت الشافي) (١)

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٤١٨، و ٤/ ٢٥٩، والنسائي فى السنن الكبرى ٦/ ٢٥٣، والطبراني في الكبير ١٩/ ٢٤٠ بإسناده إلى شعبة به.." (١)

"٢٠ – (سؤال القبر)، ذكره السيوطي في الدر المنثور (١).

٢١ – (صيام يوم الشك)، ذكره ابن رجب (٢).

٢٢ – (طبقات التابعين) ذكره الكتاني (٣).

٢٣ – (القنوت)، ذكره الكتاني (٤).

٢٤ – (الكفاية)، منه نسخة ناقصة من آخرها، ويبدو أنه نقص كبير، محفوظ في المكتبة الظاهرية بدمشق (٥).

٢٥ – (ما أعد الله لأمة محمد – صلى الله عليه وسلم –)، ذكره السمعاني (٦).

٢٦ – (محك الإيمان)، ذكره السيوطي، فقال: (وقال أبو القاسم عبد الرحمن ابن الإمام أبي عبد الله محمد بن منده في كتاب محك الإيمان: أخبرنا ابن عبيد الله الأنصاري، أنبأنا أحمد بن محمد أبو بكر القطان، أنبأنا موسى بن إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد، حدثنا أبو ظفر، حدثنا جعفر بن سليمان، عن أبان، عن أنس قال: قال رسول الله: يا جبريل، هل ترى ربك؟ قال: إن بيني وبينه سبعون ألف حجاب من نور، لو دنوت إلى حجاب **لاحترقت**) (٧).

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤/ ٣٧٥، و ٣٧٨، و ٨/ ٣٧.

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٦١.

(٣) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، للعلامة محمد بن جعفر الكتاني ص ١٣٩.

(٤) الرسالة المستطرفة ص ٤٥.

(٥) كذا ذكر الشيخ عبد الله بن يوسف الجديع في مقدمة تحقيقه لجزء (الرد على من يقول ألم حرف) ص ٢٤.

(٦) المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ٣/ ١٣٥٢.

---

(١) المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة ابن منده عبد الرحمن بن محمد ٣/١

(٧) اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١/ ٢٤، وقال: (أبان روى له أبو داود، وهو متروك، و إذا انضم هذا الطريق إلى الطرق السابقة أفاد قوة، والله أعلم).." (١)

"مائدة مثل المائدة التي كانت عليها حتى البوارد والحلوى وكان لا يستدعي أحدا إلى طعامه بل يقدم إلى كل قوم في أماكنهم وكانت الموائد في الدهاليز وكان يقدم لكل من يحضر جديا فيكون الجداء بعدد الناس ويرفع ما بقي فتقسمه الغلمان

وقال حامد إنما فعلت هذا لأنني حضرت قبل علو أمري علي مائدة بعض أصدقائي وقدم عليها جدي فعولت على أكل كليته فسبقني رجل فأكلها فاعتقدت في الحال أن وسع الله علي أن أجعل جداء بعدد الحاضرين

وركب حامد وهو عامل واسط إلى بستان له فرأى في طريقه دارا محترقة وشيخا يبكي وحوله نساء وصبيان على مثل حاله فسأل عنه فقيل هذا رجل تاجر احترقت داره فافتقر وأفلت بنفسه وعياله على هذه الصورة فوجم ساعة ثم قال فلان الوكيل فجاء فقال اريد ان اندبك لأمر ان عملته كما اريد فعلت بك وصنعت وذكر جميلا وإن تجاوزت فيه رسمي فعلت بك وصعنت وذكر قبيحا فقال مر بامرك فقال ترى هذا الشيخ قد المني قلبي له وقد تنغصت علي نزهتي بسببه وما تسمح نفسي بالتوجه إ ١ لى بستاني إلا بعد ان تضمن لي اني إذا عدت العشية من النزهة وجدت الشيخ في داره وهي كما كانت مبنية مجصصة نظيفة وفيها الفرس والصفر والمتاع من صنوفه وصنوف الآلات مثل ما كان فيها وعلى جميع عياله من كسوة الشتاء والصيف مثل ما كان لهم

قال الشيخ فتقدم إلى الخادم ان يطلق ما اريده وإلى صاحب المعونه ان يقف معي ويحضر كل ما اريده من الصناع فتقدم حامد بذلك وكان الزمان صيفا فاحضر اصناف الروزجاية والبنائين فكانوا ينقضون بيتا ويطرحون فيه من بينه وقيل لصاحب الدار اكتب جميع ما ذهب منك فكتب حتى المكنسة والمقدحة واحضر جميع ذلك وصليت العصر وقد سقفت الدار كلها وجصصت وغلقت الابواب ولم يبق إلا البياض والطوانيق فانفذ إلى خامد وسأله التوفق في البستان وان لا يركب منه إلى ان يصلي العشا الاخيرة وقد بيضت الدارت وكنست وفشت ولبس الشيخ وعياله الثياب ودفعت اليهم الصناديق والخزانة مملوءة بالامتعة.

واجتاز حامد والناس مجتمعون له كانه نهار في يوم عيد فضجوا بالدعاء له فتقدم الى الجهبد بخمسة آلاف درهم يدفعها إليه يزيدها في بضاعته وسار حامد إلى." (٢)

"وخرج اليه الامير ابو الفضل متلقيا ولقي الراضي وخدمه فخلع عليه وعلى ابنه

وقبض على جعفر بن المكتفي حين بلغهم انه دعا الى نفسه ونهب منزله وأخذ له مال جزيل وكانت داره قريبا من الزاهر ومن استجاب له يانس المرفقي وكان نزل بقصر عيسى فأبعد الى قنسرين والعوصم وجعل اليه اعمالها

وفي شهر رمضان توالى وقوع الحريق بالكرخ منها في صف التوزيين (١) اصيب به خلق من التجار فعوضهم الراضي

---

(١) المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة ابن منده عبد الرحمن بن محمد المقدمة/٩١

(٢) تكملة تاريخ الطبري المقدسي، محمد بن عبد الملك ص/٣٨

مالا وكان العقار لقوم من الهاشميين فأعطاهم عشرة الاف دينار

واحترق ثمانية واربعون صفا من اسواقها طرح النار قوم من الحنبلية حين قبض بدر الخرشني على رجل من اصحاب البربهاري يعرف بالدلا

واحترق خلق من الرجال والنساء

ووقع حريق ثالث احترق فيه الحدادون والصيارف والعطارون

وقبض الوزير ابو الحسين بن مقلة على ابي الحسين البريدي فتوسط بينهما ابو عبد الله محمد بن عبدوس فصادره على خمسين الف دينار يسلمها بالاهواز ومضى معه الكوفي لياخذها فلم يسلم اليه شيئا وكان الكوفي يجمل عشرته ويقول اقمت معه غير متصرف ولا داخل تحت تبعه سنة وحصل لي منه خمسة وثلاثون الف دينار وتقلدت هناك امر ابن رائق وكفيت امر ابن مقلة

وكاتب ابن مقلة البريدي كتابا يقول فيه ويل للكوفي انفذته ليصلحك لي فافسدك علي والله لاقطعن يديه ورجليه

وأتى ابو محمد بن حمدان الى الموصل وبها اصحاب السلطان وعلى حربها ماكرد الكردي فهزموه ثم هزمهم وكتب يسال الصفح ويقوم بمال الضمان فأجيب الى ذلك ولم يستوف التجار الغلات التى ناعمهم (٢) اياها ابن مقلة فتظلموا فأحالهم على عمال السواد ببعض اموالهم وباعهم بالباقي ضياعا سلطانية فلم تحصل من سفرته حينئذ فائدة وهرب من دار الوزير ابي علي القراريطي

وقبض على ابي يوسف عبد الرحمان بن محمد بن دارة بسوق العطش وصودر على خمسين الف دينار." (١)

"واحترقت دور ابن شيرزاد ودور اسبابه واخيه وصودر على مائة وثمانين الف درهم

وقلد معز الدولة المعز (١) الشرطة ابا العباس بن خاقان

وورد الخبر باستيلاء ركن الدولة ابي علي على الري والجبل

واجتمع رأي الاتراك على الايقاع بناصر الدولة فاستجار بأم ملهم (٢) حتى امرت ولدها بتسييره فسار ومعه ابن شيرزاد الى مرج جهينة فلما امن سمل ابن شيرزاد

وأمرت الاتراك على نفوسها تكين الشيرزاذي وانفرد عنهم ينال كوساه (٣) ولولو واستأمنا الى معز الدولة

وغلب تكين والاتراك على الموصل ومضى الى سنجار ورأى ناصر الدولة فانجده معز الدولة باسفهدوست (٤) والصيمري والتقيا بتكين بالحديثة في جمادي الاخرة واستوسر تكين وانهزم اصحابه وسار الصيمري مع ناصر الدولة الى الموصل

ودخل على الصيمري خيمته ولم يعد اليه فقال لما دخلتها عليه علمت اني قد اخطأت فبادرت بالانصراف

وندم الصيمري عند خروج ناصر الدولة على ترك القبض عليه

وسلم الى الصيمري (٢٠٠١٠٣) ابن شيرزاد

وضمن له طازاذ وابو سعيد بن وهب النصراني الكاتب وهو الكاتب الذي مدحه ابن نباته خمسين الف دينار على ان

---

(١) تكملة تاريخ الطبري المقدسي، محمد بن عبد الملك ص/٩٢

يطلقها (٥) فلم يفعل وسلمها (٦) الى الصيمري وكان الصيمري مراعيا لطازاذ وانفذ معهم تكين الشيرزاذي مسمولا وانفذ ابنه هبة الله بن ناصر الدولة رهينة

فلما وصلوا اطلق معز الدولة تكينا واقطعه اقطاعا بأربعين الف درهم

وكتب ابو عبد الله بن ثوابه (٧) عن المطيع لله كتابا بالفتح الى عماد الدولة منه فلم يسفر العجاج الا عن قتيل مرسل او غريق معجل او جريح معطل او اسير مكبل." (١)

"سنة تسع وخمسين وثلاثمائة

فيها فتح الروم مناز كردم (١) من اعمال ارمينية بالسيف

وفي شهر ربيع الاول صرف القاضي ابو بكر بن سيار عن القضاء في حريم دار الخلافة وتولاه ابو محمد بن معروف

وفي هذه السنة اقام ابو المعالي بن سيف الدولة الخطبة في اعماله واعمال فرعونة (٢) للخارج بالمغرب (٣)

وفي آخرها قبض على الوزير ابن ابي الفضل الشيرازي وتولى الوزارة مكانه ابو الفرج محمد بن العباس بن فسا نحس وقال ابن الحجاج يمدحه ... يا وزيرا بنوه طلعت انجم العدى

صحن خدي لارض نعلك يا سيدي الفدا

بك قامت سوق النوالي وقد اصبحت سدى

وسمعنا فيها الندا على الجود والندى ...

فأما ابو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي فمولده بشيراز سنة ثلاث وثلاثمائة

وورد مع معز الدولة بغداد وناب عن المهلبي وصاهرة على بنته زينة من تجني (٤) وكان ذلك (٢٥٩١٣٢) سبب تقدمه ثم فساد ما بينهما وكان واسع المروءة والصدر وداره على الصراة ودجلة وهي التي كانت بستانا لنقيب النقباء الكامل وانتقلت الى الفضلوني وأنفق عليها ابو الفضل زائدا على مائة الف دينار ثم **احترقت** فأمر عضد الدولة ببسطها بستانا وعمل دعوة لمعز الدولة وجعل في وسط السماط قصوار ٥٠) من السكر فيها مخانيث وأغاني (٦) يغنون ويرقصون ولا يشاهدون وقطع دجلة من فوق الجسر الى دار الخلافة بالقلوس (٧) الغلاظ وطرح الورد فيها حتى ملأها وغطى دجلة ولم ينزل بغداد قيان الا احضره وذلك في سنة اربع وخمسين وثلاثمائة." (٢)

"مستهل ذي القعدة وكان دبيس بن عفيف الاسدي على مسيرة عز الدولة فاستامن وعطف على النهب فنهب وانهزم عز الدولة وقتل من اصحابه خلق وغرق اخرون على جسر عقدة بدجيل وكان حمدان في جملة المنهزمين وتفرقت المذاهب بالمنهزمين فالتقوا بمطاري (١) واجتمع عز الدولة وبه جراح باخيه عمدة الدولة وابن بقية بها على اسوا حال وانفذ عمران بابنه الحسن وكاتبه وقواده في عدة سفن الى عز الدولة وانفذ الى والي ابن بقية بمال وثياب وانفذ المرزبان بن بختيار الى ابيه بمثل ذلك من البصرة

---

(١) تكملة تاريخ الطبري المقدسي، م حمد بن عبد الملك ص/١٥٨

(٢) تكملة تاريخ الطبري المقدسي، محمد بن عبد الملك ص/٢٠٤

وانحدروا الى البصرة وهي مفتتنة فاراد ابن بقية ان يصلحها فازدادت فاسدا **واحترقت** الاسواق ونهبت الاموال وورد ابو بكر محمد بن علي بن شاهوية صاحب القرمطة الكوفة في الف رجل منهم واقام الدعوة بها وبسورا ٠٢) وبالجامعين والنيل لعضد الدولة

واشفق بختيار ان يسير عضد الدولة الى واسط فيملكها فتفوته النجاة فاخترق البطائح فتلقاه عمران في عسكره واقام ابن بقية عنده ثلاثة ايام

وكان عمران قد قال لعز الدولة لما قصد حربه سترى انك تحتاج الي وأعاملك من الجميل بخلاف ما عاملني به ابوك من القبح فعجب الناس من هذا الاتفاق واستدعى البصريون من عضد الدولة من يتسلم بدلهم فانفذ ابا الوفا (٣٠٠١٥٣) طاهر بن محمد فدخلها

واقام بختيار بواسط وتراجع اليه اصحابه وجنده

ورجع ابن بقية الى ذخيرة له بها واستمال الجند فرغبوا فيه واثروه على صاحبه

وقال بعض البصريين في بختيار ... اقام على الاهواز خمسين ليلة ... يدبر امر الملك حتى تذمرا

يدبر امرا كان اوله عمى ... واوسطه بلوى وآخره خسرا ...

ومن اعجب ما اتفق عليه انه اسر له غلام اسمه (٣) باتكين لم يكن يميل (٤)." (١)

"هند الملك عم النعمان، وبامرأة أخرى من ال المنذر يقال لها هند، وفيها يقول أبياته التي منها:

يا هند من لمتيم ... يا هند للعاني الاسير

وكان النابغة أنيسا بالنعمان، فدخل عليه يوما، فوافق المتجردة عنده متبذله قد سقط خمارها، فلما رأته سترت وجهها بيدها، فقال له النعمان: صفها في شعرك، فوصفها في قصيدته التي أولها: " من آل أميه رائح أو مغتدي " فاسرف في الوصف وتجاوز الحد ولم يقتصر على ما ذكره من جمالها وخرج الى الفحش في شعره فقال:

وأذا المست لمست أخثم جاثما ... متحيزا بمكانه ملء اليد

وأذا نظرت نظرت أقمر مشرقا ... ومركنا ذا زرنب كالجلمدي

وأذا طعنت طعنت في مستهدف ... رابي المجسة بالعبير مقرمد

وأذا نزعت نزعت من مستحصف ... نزع الحزور بالرشاء المحصد

ويكاد ينزع جلده من ملة ... فيها لوافح **كالحريق** الموقد." (٢)

---

(١) تكملة تاريخ الطبري المقدسي، محمد بن عبد الملك ص/٢٣٣

(٢) المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية أبو البقاء الحلي ص/٩٤١

"تحت دار المملكة ببغداد ونقل أهل البلد كلهم إليها وحوط عليها سورا محكما هو باق إلى الآن» .

وهذه كلها إشارات لا يمكن حصرها بزمن معين وهي إلى ذلك لا تسعفنا في التعرف على شيء من حياته في بغداد. فإن المعروف أن طغرلبك وسع دار المملكة البويهية التي بناها عضد الدولة فقد جاء في كتاب مناقب بغداد المنسوب لابن الجوزي ما نصه:

«فأما دار المملكة المختصة بالسلاطين فإنها كانت بأعلى المخرم وكانت دارا لسبكتكين غلام معز الدولة فنقض عضد الدولة أكثرها وأراد أن يعمل ميدانها بستانا ويأتى بماء من الخالص فشق نهرا في وسطها فبلغت النفقة خمسة آلاف ألف درهم غير ما أنفق على أبنية الدار. ولما ورد طغرلبك بغداد في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة عمر هذه الدار وبنى مدينة عند المخرم. وتقدم ملك شاه ببناء خانات للباعة هناك وسوق ودروب وبنى الجامع هناك ثم إن دار المملكة خربت فاستجدها بهروز في سنة تسع وخمسمائة وحمل إليها أعيان الدولة الفرش الحسنة والأشياء الرائقة واستدعى القراء والصوفية فقرءوا فيها القرآن ثلاثة أيام متوالية.

فلما كانت سنة تسع عشرة وخمسمائة مرت جارية في الليل وبيدها شمعة فوقعت النار في الخيش فاحترقت الدار وكان السلطان على السطح فنزل هاربا إلى سفينة» [١] وأخيرا هدمها الخليفة الناصر لدين الله سنة ٥٨٣ هـ وعفى أثرها ولم يبق إلا الجامع المعروف بجامع ملك شاه ليقطع أطماع طغرل الثالث بن أرسلان شاه السلجوقي الذي حاول استرداد سلطة السلاجقة على بغداد.

---

[١] لا يمكن أن يكون هذا الكتاب لابن الجوزي لأن مؤلفه يذكر سنة ٦١٤، ٦٤٦، و ٦٥٤ وابن الجوزي توفى في سنة ٥٩٧ هـ فلعله لابن الفوطي أو أحد أولاد ابن الجوزي. وعن دار المملكة انظر المنتظم ٨/ ١٦٩، ٩/ ١٥٩، تاريخ أبى الفداء ٢/ ٢١١، النجوم ٥/ ١٣٥ ومقال الدكتور عبد العزيز الدوري في دائرة المعارف الإسلامية (باللغة الإنكليزية) ١/ ٨٩٢- ٩٠٨، دليل خارطة بغداد ١٣٨- ١٤٠.." (١)

"وفي سنة سبع وعشرين ومائتين استشعر المعتصم من ابن أخيه وهو العباس ابن المأمون فأمر فلف في دواج سمور وشد طرفاه فاختنق فيه «٢٤٦» .

---

(١) الإنباء في تاريخ الخلفاء ابن العمراني ص/١٤

حكى محمد بن عبد الملك الزيات بعد وفاة المعتصم قال: ما رأيت أشهم من المعتصم ولا أشجع منه ولا أقوى قلبا وعهدي به يوم **حريق** عمورية وهو أول من قفز إلى النار كأنه عقاب كاسر. وكان يمد يده إلى الأترج الأخضر في رءوس الشجر وهو مجتاز مستعجل فيأخذ من كل أترجة نصفها في يده من غير أن يكسر الغصن ولا يميله.

وكان يضع السيوف المسللة في الميدان على الأرض ويجرى بالفرس فكلما قرب من واحد منها مال إليه وأخذه بذبابه بين أصابعه ثم رماه من يده حتى إذا قرب من الآخر فعل به مثل ذلك الفعل. وكان يعالج الحجر فيه أربعمائة رطل بالكبير. وكان يكون أبدا في يده عمود حديد عوض المقرعة فيه ثلاثون رطلا بالشامي. وكان في بكرة كل يوم إذا وقف يتعمم يلقمه خادم السنبوسك «٤٧٢» فعدوا عليه إلى أن فرغ من التعميم مائة وخمسين سنبوسكة.

وحكى محمد بن عبد الملك الزيات قال: أذكر يوما والمأمون جالس على سرير الخلافة وأبو إسحاق أخوه واقف بين يدي السرير إذا انفلت سبع من السباعين وقطع السلاسل ودخل الدار وكان الناس وقوفا بين يدي المأمون سماطين فهربوا [٤٤ ب] كلهم ولم يثبت أحد ونهض المأمون من السرير ليهرب مع القوم فتعلق ذيله في قائمة السرير فبقي معلقا وقصده الأسد فبادر المعتصم وتلقى الأسد بنفسه وليس معه سلاح فلكمه في وجهه فخسف جبهته ووقع الأسد في صحن الدار وركبه المعتصم وأخذ يركله برجله إلى أن استرخى وضعف ثم قام من فوقه وأخذ يدوسه حتى قتله، إلا أن يد المعتصم التي لكم بها جبهة الأسد انفركت عن ساعده قليلا إلى أحد الجوانب فأمر المأمون بإحضار طبيب يعالجها على عجلة لتعود إلى مكانها بسرعة. فلما حضر الطبيب ورآها قال: أيها الأمير تأمر جماعة يمسكونك فإني أحتاج إلى جذب يدك عن تلك الجهة التي مالت إليها وربما آلمك ذلك ولم تثبت له فتضطرب فلا يتم لي ما أريد من معالجتك. فقال: وليس إلا هذا؟ قال: نعم وبعد ذلك أضمدها بضماد يقوى المفصل.." (١)

"بالنشاب والحجارة، فصعد رجل من الأتراك ونحن نراه، ومشى والبلاء يأخذه إلى أن دنا من البرج وضرب الذي عليه بقارورة نفط فرأيته كالشهاب على تلك الحجارة إليهم، وقد رموا نفوسهم إلى الأرض خوفا من **الحريق**، ثم عاد. وطلع أخر يمشي على البدن ومعه سيف وترس، فخرج عليه من البرج الذي في بابه الفارس رجل منهم عليه زرديتان وبيده قنطاريه وما معه ترس، فلقيه التركي وفي يده سيفه فطعنه الإفرنجي فدفع سنان قنطارية عنه بالترس ومشى إلى الإفرنجي وقد دخل على الرمح إليه، فولى عنه وأدار ظهره وأمال ظهره كالراكع خوفا على رأسه، فضربه التركي ما عملت فيه شيئا، ومشى حتى دخل البرج وقوي عليهم الناس وتكاثروا، فسلموا الحصن ونزل لأسارى إلى الخيام برسق بن برسق. فشاهدت ذلك الذي خرج بقنطاريته على التركي وقد جمعهم في سرادق برسق بن برسق ليقطعوا على نفوسهم ثمننا يخلصون به، فوقف وكان سرجنديا وقالكم تأخذون مني؟ قالوانريد ستمائة دينار. فضرط لهم وقالأنا سرجندي ديواني كل شهر ديناران، من أين لي ستمائة دينار؟ وعاد جلس بين أصحابه، وكان خلقة عظيمة. فقال الأمير سيد الشريف وكان من كبار الأمراء

---

(١) الإنباء في تاريخ الخلفاء ابن العمراني ص/١٠٨

لوالدي رحمهما اللهيا أخي ترى هؤلاء القوم؟ نعوذ بالله منهم. فقضى سبحانه ان العسكر رحل من كفر طاب إلى دانيث وصحبهم عسكر إنطاكية يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الآخر.." (١)

"السفن والبر وسقطت فيها دور كثيرة ونصف مسجد الجامع وكان في ليلة الجمعة غرة جمادى الآخرة حمرة شديدة كالنار إلى الفجر وفي سنة ست وعشرين ومائتين مطر أهل تيماء مطرا وبردا كالبيض فقتل بها ثلثمائة وستين إنسانا وهدم دورا وسمع في ذلك صوت يقول ارحم عبادك اعف عن عبادك ونظروا إلى أثر قدم طولها ذراع بلا أصابع وعرضها شبران الخطوة إلى الخطوة خمس أذرع أو ست فاتبعوا الصوت فجعلوا يسمعون صوتا ولا يرون شخصا ذكر جميع ذلك محمد بن حبيب الهاشمي في تاريخه

ثم ولي ابنه الواثق بالله أبو جعفر هارون بن محمد ومات يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة وقيل لثلاث بقين منه سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وكانت خلافته خمس سنين وشهرين وأحد عشر يوما وقيل وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوما ثم ولي أخوه المتوكل على الله أبو الفضل جعفر بن محمد بن هارون وقتل ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وكانت خلافته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرة أيام وقيل سبعة وفي خلافة المتوكل سنة أربعين ومائتين جاءت كتب التجار تجار المغرب أن ثلاث عشرة قرية من قرى القيروان خسف بها فلم ينج من أهلها إلا اثنان وأربعون رجلا سود الوجوه فأتوا القيروان فأخرجهم أهلها وقالوا أنتم مسخوط عليكم فبنى لهم العامل حفيرة خارج المدينة فكانوا فيها وفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين رجمت قرية يقال لها السويداء بخمسة أحجار فوقع حجر منها إلى خيمة أعرابي **فاحترقت** ووزن حجر منها فكان فيه عشرة أرطال فحمل منها أربعة إلى الفسطاط وواحد إلى تنيس

وفي هذه السنة زلزلت دامغان على أهلها فسقط نصفها عليهم فقتلهم وسقط نحو من ثلثي بسطام وزلزلت ري وجرجان ونيسابور وأصبهان وقم وقاشان في وقت واحد وكان بقرية يقال لها أحداباذ مما يلي قومس زلازل فخرج الناس عنها وسمعوا من السماء صوتا عاليا الله أجل وأعود بالحرمة لعباده وذكر أن جبلا باليمن عليه مزارع صار إلى أرض أخرى وذكر ابن أبي الوضاح أن طائرا دون الرخمة وفوق الغراب أبيض وقع على دابة بحلب لسبع مضين من رمضان فصاح يا معشر الناس اتقوا الله الله حتى صاح أربعين صوتا ثم طار وجاء من الغد فصاح أربعين صوتا فكتب صاحب البريد بذلك وأشهد خمسمائة إنسان سمعوه." (٢)

"قطعوا من الجانبين في العرض بسورين فشرعوا في النقب ومعاناة الصعب وخطاب الخطب وتقديم أسباب الرعب وابلاء الخرب واصلاء الحرب واذكاء الكرب واستحلاء طعم الطعن وضرب الضرب وابن نيسان في البلد جلد على الجلد باذل في صونه المطرف والمتلد يحمي بالمغاوير ويرمي بالقوارير ويسعر بالمساعير ويسخوا بالدنانير ويقصد المنجنيق **بالحريق** ويرسل الفرق إلى الفريق ويتوسل في الجمع بالتفريق ويصمي بالجروخ ويباشر العقود بالفسوخ وقد جمع الرجال وفرق الاموال وحرض الكماة وحض الرماة وانهض الحماة وكم أخذنا نقوبا في الفصيل قبل الطلوع فحرقوها ونصبنا آلات

---

(١) الاعتبار أسامة بن منقذ ص/٧٥

(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر ابن الجوزي ص/٦٤

قبل الالتزام بالشروع فأحرقوها ونظمنا ستائر فمزقوها وظنوا أننا نكل ونمل وبعد شدنا العقد ننحل فألفوا كل يوم جدنا جديدا وحدنا حديدا وشدنا شديدا والمبدأ قبل الغاية مبيدا ووجدوا من بأسنا عليهم مزيدا وكتبنا في اعداد من النشاب فصولا للارغاب والارهاب نعدهم تارة ونتوعدهم ونهديهم مرة ونتهددهم ونقول لهم اكفونا معديتكم وكفوا ايديكم فانا ان ملكناكم وأنتم مصرون اهلكناكم والا اعطيناكم سؤالكم وملكناكم وان ملتم الينا مولناكم ونولناكم وعولنا عليكم وعليناكم ففترت عنه مساعدة اهل المدينة وحصلوا منا على الوثوق والسكينة وعادوا الى طباعهم المستكينة وقد كانوا تضجروا بولاية ابن نيسان وعدموا العدل وألفوا العدوان فتقاصروا عن الاستطالة وسرعوا معه في الاستقالة واشتط عله أيضا أصحابه واشترطوا وتقبضوا عنه وعليه انبسطوا فبدا له وجه الخذلان وخط الحرمان وخلل الخلان وخيانة الاخوان وجبن الغلمان وخطاب الخطوب وحديث الحدثات وان صرف القدر صرف عن يد قدرته زمام الزمان فعرف ان سلامته في السلم اذا عز الاذعان وانه لا بقاء مع أنواع البلاء بلا نصرة الاعوان فأرسل في الاستعطاف والاستلطاف والاستشفاع والاستسعاف قبل طلب الامان

ذكر شرح الحال في ذلك

وأصبحنا بعض الايام بصدق الاهتمام وحد الاعتزام وفرض الالتزام ومواضع النقب يخشى عليها من الانهدام والعمل منته الى التمام والأمل متجه إلى نجح المرام اذ خرج نسوة من المدينة ذوات جاه وقدر قد أخرجن وأخرجن من أعز خدر قاصرات تكاثفت حجبهن في القصور سافرات في بروجهن لم تبرز وجوهها نقبها عن السفور." (١)

"فكذبهما فعزز بثالث وتنقل إلى جهلة قارح قبلها خطفة جارح قبلها نفثة نافث فلما انقضت ضيافة أيام النذارة واحتقر من بآمد نار الحرب جاهلا أن ﴿وقودها الناس والحجارة﴾ عمد لها في اليوم الرابع فزلزل عمدها وقاتلها فأزال جلدها وزيل جلمدها ثم رأى أن الشوكة ربما أصابت غير ذى الشكة من جندها وأن المسلم قد آمنه الله من عذاب **الحريق** ولا يأمن أن تحرقه القسي من السهام بشرار زندها فعدل الى منجنيقه الذى أمل صاحبه منه منجى نيقه ورأى ان سوط سطوته يضرب الحجر عن أن يباشر البشر وتلك الابرجة قد شمخت بأنفها ونأت بعطفها وتاهت على وامقها وغضت عين رامقها وذهبت همة في حالقها ولكنها لم تذهب هامة عن حالقها فهي في عقاب لوح الجو كالطائر الا ان المنجنيق اغرى بها عقابيه وضغمها بمخلبيه وجثم أمامها يخاصمها وقام الى الغير يحاكمها ويضرب بعصاه الحجر فتنبجس من الثقوب أعين لا ترسل الماء ولكن تروى العطاش إلى منهل المدينة وتنهل الظمأى كذلك اياما حتى محي من الشرفات شنب ثغرها وتناوبها كأس فتك تبين بهن ابرجتها اثار سكرها وعلت الايدى الرامية لها وعلت الايدي المحامية عنها فلم يبق على سورها من يفتح جفنا ولا جفنا وشن المنجنيق عليها غارته الى ان صارت شنا وفضت صناديق الحجارة المقفلة وفصلت منها أعضاء السور المتصلة ووجب القتال لئلا يظن بالخادم انه لا جند له الا جندله فأوعز بالتقدم اليها ودخول النقابين فيها فاثخنت جراحاتها بالنقوب وهتك الحجاب من أضالع البلد فكاد يوصل الى

---

(١) البرق الشامي العماد الأصبهاني ٩١/٥

ما ورائها من القلوب وخشيت معرة الجيش في وقت هجمه وطل صاحبها وقد كشف له الخذلان حتى نصر على شكه بعلمه فاعاد الرسالة." (١)

"ولما أبدين وجوههن وتوجهن الى البيد أبدن فلهذا قريحته كالثكلى الوالهة قريحة القلب **بحريق** الكرب تعول على انها تعول وتتألم حين تتأمل اليأس مما تؤمل فان كبا زندها أو خبا وقدها فلأنها مذعورة معذورة مصدودة مصدورة فهل آية تعوذ با عانية غانية وماسورة تفل بها مأسورة وقيل انهم لما دخلوا بها الساحل عرفها البحر فاستعادها ونشد ضالتها حين ألقيت في اليم فاستفادها وفتحت لها الاصداف أفواهها واستنجدت أمواجه الزواخر أمواهها وحق لها ان تفخر فانها كانت بمعاني المعالي المولوية مملوءة وبحباء الحب الفاضلي محبوءة ولقد كان يعتقد انها وصلت وصلت الى قبلة الإقبال وجدت ووجدت كعبة الآمال وردت فوردت مشرع الفضل والافضال حتى ورد المثال المعالي عنها مسليا وعن اختها مسائلا آيسا من الغرام بها ولغرامتها آملا فعلم أن السبية قد سبيت وان البريئة بالبرية قد بريت وأن العقيلة قد عقلت وأن المتحلية قد عطلت وأن الراحة قد عيقت وأن الراح قد أريقت وأن الصفيحة قد كسرت وأن الفصيحة قد أسرت والحصيفة قد وجبت والصحيفة قد محيت وأن الحسنة قد حبست وأن المحجبة المحجوبة قد حجبت وأنها راحت فحارت فغارت وإغتاظت ففاضت وما فاظت لو أنها بما فيها فاضت ولقد اقسم القلم الذي زبرها وأبرزها وأعلمها وطرزها وأحلها وحرمها وأجلها وأكرمها ورضعها بمجاجة وارشفها من زجاجة وارشدها الى منهاجه ليجرن على أحديها كل مجر لدمائهم مجر وليجمعن بأساطيره وكتبه لغزوهم الاساطيل والكتائب في كل بحر وبر حتى ينزل نص النصر على نصله ويقطع سبل قاطع سبله ويجري بحرا من دماء اهل الساحل ويديل الحق بادراك ثأره من الباطل ويلقح الحرب العوان من ذكوره بالفتح البكر ويذكر بتصديق ما وعد الله من النصر والظفر أهل الذكر أما عرفوا ان اليراع الذى يراعى ويروع لا يراع وان الصواع الذى يضيء ويضوع لا يضاع وان الحرة التي تبوء وتبوع لا تباع وان الكريمة التي تضيف وتفيض لا تجاع

ومنها فصل في صفة القلم

فلا جرم ان الخطية الحظية تخطب هدى الفتح للهدى ولا تخطيء بالحتف في العدى وتستدعي وتبتدعي من الجهات للجهاد جموع الاجناد الانجاد للانجاد وتجمع رأسها رؤوس الجمع ويقمع بنانها لبناء القمع وتصيب وهي عامدة وتصوت وهي جامدة وتعسكر وهي واحدة وتزمجر وهي راعدة وتغرق وهي بارقة وتحرق وهي صاعقة وتقد وهي لافحة وتقذ وهي فادحة وتقود الاطلاب وتطلب القود وتحد." (٢)

"الأنبياء، وغير ذلك من أمور الأمم الماضية، وأحوال القيامة ومقدماتها مما سيأتي. أو دونها: كبناء جامع، أو مدرسة، أو قنطرة، أو رصيف، أو نحوها، مما يعم الانتفاع به مما هو شائع ومشاهد، أو خفي: سماوي: كجراد وكسوف وخسوف، أو أرضي: كزلزلة **وحريق** وسيل وطوفان وقحط وطاعون وموتان وغيرها من الآيات العظام والعجائب الجسام.

---

(١) البرق الشامي العماد الأصبهاني ٥/١٠١

(٢) البرق الشامي العماد الأصبهاني ٥/١٧٥

والحاصل أنه فن يبحث فيه عن وقائع من حيثية التعيين والتوقيت، بل عما كان في العالم.

أهمية التاريخ وفائدته:

قال ابن الجوزي في مقدمة هذا الكتاب [١] : وللسير والتواريخ فوائد كثيرة أهمها فائدتان:

إحداهما: أنه إن ذكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله، أفادت حسن التدبير واستعمال الحرم، أو سيرة مفرط ووصفت عاقبته أفادت الخوف من التفريط، فيتأدب المتسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمن ذلك شحذ صوارم العقول، ويكون روضة للمتنزه في المنقول.

والثانية: أن يطلع بذلك عى عجائب الأمور وتقلبات الزمن وتصاريف القدر، وسماع الأخبار.

وقال المسعودي [٢] : إنه علم يستمتع به العالم والجاهل، ويستعذب موقعه الأحمق والعاقل، فكل غريبة منه تعرف، وكل أعجوبة منه تستظرف، ومكارم الأخلاق ومعاليها منه تقتبس، وآداب سياسة الملوك وغيرها منه تلتمس، يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والبادي والحاضر، والموجود والغابر، وعليه مدار كثير من الأحكام، وبه يتزين في كل محفل ومقام، وإنه حمله على التصنيف فيه وفي أخبار العالم محبة احتذاء المشاكلة التي قصدها العلماء وقفاها الحكماء، وأن يبقى في العالم ذكرا محمودا، وعلما منظوما عتيدا.

---

[١] انظر مقدمة الكتاب.

[٢] انظر مقدمة مروج الذهب ١/ ٤ ط القاهرة.." (١)

"الشام ومصر، وحروب الجمل وصفين والنهروان إلى غير ذلك. وقد تعرض أيضا للحوادث الإدارية والاجتماعية والاقتصادية.

ثم بعد ذلك تناول العصر الأموي، وقد شغلت الحوادث السياسية في هذا العصر جانبا كبيرا، حيث تناول ثورة الحسين رضي الله عنه واستشهاده، وتناول أيضا حركة زيد بن علي، وحركات الخوارج، وحركة صالح بن مسرح الخارجي، والحركة الزبيرية وغيرها من الحركات السياسية.

ولم يغفل علاقة الدولة الأموية بالروم، ومواصلة الأمويين زحفهم لتحرير الأندلس، ومناطق كثيرة من المشرق الإسلامي.

وكذلك تعرض للحوادث الإدارية في العصر الأموي من تخطيط مدينة واسط، وكذلك تعرض للحوادث الطبيعية من حرائق وقحط وفيضانات وسيول وزلازل إلى غير ذلك من حوادث طبيعية.

ثم تناول بعد ذلك العصر العباسي وفق نفس المنهج الذي انتهجه منذ السنة الأولى من الهجرة، وهذه الفترة تنحصر بين عام ١٣٢ هـ- إلى ٥٧٤ هـ-. وقد تناول ابن الجوزي جميع النواحي السياسية بالتفصيل، وكذلك الجوانب الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وكذلك الظواهر الطبيعية من رياح وحرارة وأمطار وثلوج وزلازل وشهب وحرائق وفيضانات وجفاف وآفات وأمراض وأوبئة. كما لم يغفل الجانب العمراني من بناء المساجد والقصور وغيرها.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٩/١

مصادر كتاب المنتظم:

لقد استفاد الإمام ابن الجوزي من ابن إسحاق في «السيرة النبوية» ، ومن ابن سعد في «الطبقات» ، ومن الطبري في «التاريخ» ، ومن الخطيب في «تاريخ بغداد» أكثر من غيرها من المصادر. فكان يشير إليها صراحة في بعض المواضع، ويهملها في مواضع أخرى، ويكون حرفيا في نقله منها حينا، ومختزلا في أحيان أخرى، وناقدا في بعضها، وقد تابع ابن إسحاق من بدء الخليقة حتى عام ٩٥ هـ-، ولكن اقتباساته عنه في عصر الرسالة تشكل بذاتها دراسة مستقلة للسيرة النبوية، وكان ابن سعد الذي سايره ابن الجوزي من عصر الرسالة حتى عام ١٩٣ هـ-. وكان كتاب «الطبقات الكبرى» مصدرا." (١)

"ويرجعون، فطولت عليهم وصفحت عنهم، فأكثرت ومددت لهم في العمر وأعذرت لعلهم يتذكرون، وكل ذلك أمطر عليهم السماء، وأنبت لهم الأرض، وألبسهم العافية، وأظهرهم على العدو، فلا يزدادون إلا طغيانا وبعدا مني. فحتى متى، أبي يتمرسون، أم إياي يخادعون، أم علي يتجرءون، فإني أقسم بعزتي لأقيمن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم، ويضل فيها رأي ذو الرأي، وحكمة الحكيم، ثم لأسلطن عليهم جبارا قاسيا عاتيا، ألبسه الهيبة، وأنزع من صدره الرحمة والبيان، يتبعه عد وسواد مثل الليل المظلم [١] ، له فيه عساكر مثل قطع السحاب، ومراكب مثل العجاج، كأن حفيف راياته طيران النسور، وحجل فرسانه كصوت العقبان [٢] ، يعيدون العمران خرابا، والقرى وحشا، ويبعثون في الأرض فسادا، ويتبرون ما علوا تتبيرا، قاسية قلوبهم لا يكترثون ولا يرقون ولا يرحمون، يجولون في الأسو ا ق بأصوات مرتفعة مثل زئير الأسد تقشعر من هيبتها الجلود. فو عزتي لأعطلن بيوتهم من كتبي وقدسي ولأخلين مجالسهم من حديثها ودروسها، ولأوحشن مساجدهم من عمارها وزوارها الذين كانوا يتزينون بعمارتها لغيري، ويتعبدون فيها لكسب الدنيا بالدين، ويتفقهون فيها لغير الدين، ويتعلمون فيها لغير العمل. لأبدلن ملوكها بالعز الذل، وبالأمن الخوف، وبالغنى الفقر، وبالنعمة الجوع، وبطول العافية والرخاء ألوان البلاء، وبلباس الحرير مدارع الوبر، والعباء بالأرواح الطيبة والأدهان جيف القتلى، وبلباس التيجان أطواق الحديد والسلاسل والأغلال.

ثم لأعيدن فيهم بعد القصور الواسعة والحصون الحصينة الخراب، وبعد البروج المشيدة مساكن السباع، وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب، وبعد ضوء السراج دخان **الحريق**، وبعد الأنس الوحشة والقفار.

ثم لأبدلن نساءها بالأسورة الأغلال، وبقلائد الدر والياقوت سلاسل الحديد، وبألوان الطيب والأدهان النقع والغبار، وبالمشي على الزرابي عبور الأسواق والأنهار، وبالخدور والستور الحسور عن الوجوه والسوق والأسفار.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١/ ٤٠

[١] في تاريخ الطبري ١/ ٥٥٠ يتبعه عدد الليل المظلم.

[٢] الخبر إلى هنا في تاريخ الطبري.." (١)

"يوم [١] ، ثم رحل عنها وخلف عليها عجيفا، فاختدعه أهلها، فأسروه، فمكث [٢] أسيرا في أيديهم ثمانية أيام، ثم أخرجوه، وصار توفيل إلى لؤلؤة فأحاط بعجيف، فصرف المأمون الجنود إليه، فارتحل توفيل قبل موافاتهم [٣] ، وخرج أهل لؤلؤة إلى عجيف بأمان [٤] .

وفيها: كتب توفيل إلى المأمون يسأله الصلح [٥] .

٢/ ب

[حريق عظيم بالبصرة]

وفيها: وقع حريق عظيم/ بالبصرة.

فروى محمد بن عمار قال: كنت في هذا الحريق، فإذا رجل قد جاء [٦] فقال:

أنا فلان بن فلان تعرفوني، ولي في نهر كذا وكذا كذا وكذا [٧] جريبا وفي نهر كذا وكذا جريبا [٨] ، وقد جعلت لمن يجيئني بابنتي عشرة أجربة من أي نهر شاء.

قال: فإذا رجل قد وثب فبل كساء، ثم ألقاه عليه، وغدا في النار، فقال الرجل: إنا لله، أما ابنتي [فقد] [٩] ذهبت وأحرقت هذا الرجل، إذ قيل: هو ذاك، هو ذاك، [وهو] [١٠] على الدرجة. فإذا [هو] [١١] قد بل كساء في البيت، وأدخل بنت الرجل جوفه، ثم احتملها حتى دخل النار، فقطعها وألقاها [١٢] ، فعمد الرجل فألقى عليها ثوبه وأحتملها، وغشي على [الرجل] الذي [كان] [١٣] قد جاء بها. قال [١٤] : فجاء الأب وقد

---

[١] في ت: «يوما» .

[٢] في الأصل: «فأقام» وفي ت والطبري كما أوردناه.

[٣] في ت: «موافاته» .

[٤] تاريخ الطبري ٨/ ٦٢٨. وتاريخ ابن الأثير (الكامل) ٥/ ٤٩٨.

[٥] تاريخ الطبري ٨/ ٦٢٩. والكامل ٥/ ٤٩٨. وتاريخ الموصل ص ٤٠٨.

[٦] في الأصل: «فجاء رجل» .

[٧] في ت: «في نهر كذا وكذا» .

[٨] «وفي نهر كذا وكذا كذا وكذا جريبا» ساقطة من ت.

[٩] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[١٠] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١/٤٠٤

[١١] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[١٢] في ت: «حتى دخل وخرج بها فألقاها» .

[١٣] ما بين المعقوفتين ساقط من ا لأصل.

[١٤] في ت: «فقال» .." (١)

"أفاق الرجل، فقال: اختر من أي نهر شئت. فقال: لا حاجة لي فيها، قال: فلم يزل به وهو يأبى، إلى أن قال: لو ذهبت للطمع [١] لاحترقت واحترقت ابنتك. ولم يقبل ذلك منه.

وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي [٢] .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

١٢٢٨- إبراهيم بن تيم، أبو إسحاق مولى شرحبيل بن حسنة.

كان كاتبا في ديوان الخراج، ثم ولي خراج مصر، توفي في هذه السنة.

١٢٢٩- إبراهيم بن الجراح بن صبيح، مولى بني تميم.

وهو [٣] من أهل مرورذ، سكن الكوفة، وولي قضاء مصر، وعزل سنة [إحدى] [٤] عشرة ومائتين. وروي عن يحيى بن عقبة بن العيزار أنه كان يقول [٥] بخلق القرآن. / وتوفي بمصر في هذه السنة.

١٢٣٠- الخليل بن أبي نافع المزني الموصلي

[٦] . نزل بغداد.

[أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال: أخبرنا أبو الفرج محمد بن إدريس الموصلي- في كتابه إلي- قال: حدثنا أبو منصور المظفر بن محمد الطوسي حدثنا] أبو زكريا بن يزيد بن محمد [٧] بن إياس الأزدي [٨] في الطبقة

---

[١] في ت: «إلى الطمع» .

[٢] تاريخ الطبري ٨/ ٦٣٠. وتاريخ الموصل ص ٤١١. وتاريخ ابن كثير ١٠/ ٢٧٢. والكامل ٥/ ٤٩٨.

[٣] «وهو» ساقطة من ت.

[٤] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[٥] في ت: «وكان يقول» .

[٦] انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٨/ ٣٣٥. وتاريخ الموصل ص ٤١١، ٤١٢.

[٧] في الأصل: «قال أبو زكريا بن يزيد بن محمد بن إياس ... » وباقي السند سقط من الأصل وأكملناه من ت،

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٤/١١

وتاريخ بغداد.

[٨] في ت: «بن أبان الأوردي» .." (١)

"فمي [١] خرقة وأنا أضرب **لاحترقت** من حرارة ما يخرج من جوفي، ولكني وطنت نفسي على الصبر، فقال له الفتح: ويحك مع هذا اللسان والعقل، ما يدعوك إلى ما أنت فيه من [٢] الباطل؟ قال: أحب الرئاسة، فقال المتوكل: ونحن خليفة [٣] ، فقال له رجل: يا خالد، ما أنتم لحوم ودماء فيؤلمكم الضرب؟ قال: بلى، يؤلمنا ولكن معنا عزيمة صبر ليست معكم. وقال داود بن علي: لما قدم بخالد اشتهيت أن أراه، فمضيت إليه فوجدته جالسا غير ممكن لذهاب [لحم] [٤] إليتيه من الضرب، وإذا حوله فتيان، فجعلوا يقولون ضرب فلان وفعل بفلان، فقال: لم تتحدثون [٥] عن غيركم، افعلوا أنتم/ حتى يتحدث ٢٠/ ب عنكم.

قصة ضرب الإمام أحمد رضي الله عنه

أخبرنا محمد بن أبي منصور قال: أخبرنا أبو الحسن بن أحمد الفقيه، أنبأنا [٦] عبيد الله بن أحمد، أخبرنا أبو بكر أحمد [7] بن عبيد الله الكاتب، حدثنا أبو علي الحسن بن محمد بن عثمان القسري [٨] قال: حدثني داود بن عرفة قال: حدثنا ميمون بن الأصبع قال: كنت ببغداد فسمعت ضجة، فقلت: ما هذا؟ قالوا: أحمد بن حنبل يمتحن، فدخلت [٩] فلما ضرب سوطا، قال: بسم الله، فلما ضرب الثاني قال:

لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما ضرب الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، فلما ضرب الرابع قال: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، فضرب تسعا وعشرين سوطا [وكانت تكة أحمد حاشية ثوب فانقطعت فنزل السراويل إلى عانته] [١٠] فرمى أحمد بطرفه إلى السماء، وحرك شفتيه، فما كان بأسرع من أن بقي السراويل [كأن] [١١] لم ينزل، فدخلت إليه بعد سبعة أيام، فقلت: يا أبا عبد الله، رأيتك تحرك شفتيك، فأي شيء قلت؟ قال:

---

[١] في ت: «في يدي» .

[٢] «من» ساقطة من ت.

[٣] في الأصل: «فقال المتوكل بحرحا بيده» .

[٤] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[٥] في ت: «فقال: لم أنتم تتحدثون» .

[٦] في ت: «أخبرنا» .

[٧] في ت: «محمد بن عبيد الله» .

[٨] في ت: «الغسوي» .

[٩] «فدخلت» ساقطة من ت.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٥/١١

[١٠] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[١١] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.." (١)

"كاتبه في الليل فتهدده [١] ، فإنه ضعيف القلب، وسيقر لك، ففعل وأعطاه أمانا، فأقر له.

قال له: فمن كتب الكتاب؟ قال: أنا. قال: فما فيه؟ قال: كتب إليه: لم يكن في العصر غير بابك وغيرك وغيري، فمشى [٢] بابك وقد جاءك جيش [٣] ، فإن هزمته كفيتك أنا الحضرة، وخلص لنا الدين الأبيض، قال: فانصرف ولا تعلم [٤] أحدا بما جرى/، فإن ٤٥/ ب علم الأفشين بمجيئك إلي فقل: سألني عن خدمك [٥] ومئونتك وعيالك.

قال أحمد بن أبي دؤاد: فدخلت على المعتصم وهو يبكي، فأنكرت ذلك، فقال: يا أبا عبد الله، رجل أنفقت عليه ألف دينار، ووهبت له مثلها، يريد قتلي، وقد تصدقت بعشرة آلاف ألف درهم، فخذها فأنفدها، وكان الكرخ قد **احترقت**، حتى كان الرجل إذا قام من ضيعة الكرخ رأى أرقال السفن.

فقال أحمد بن أبي دؤاد: إن رأى أمير المؤمنين أن يجعل النصف من هذا المال لأهل الحرمين والنصف [الآخر] [٦] لأهل الكرخ. قال: أفعل. وكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر أن يقبض على الحسن بن الأفشين وامرأته أترجة بنت أشناس في يوم حده له، وقبض هو على الأفشين فيه [٧] وحبسه.

وفي مستهل [٨] جمادى الأولى: كانت رجفة بالأهواز عظيمة، تصدعت منها الجبال وخصوصا الجبل المطل على الأهواز، ودامت أربعة أيام بلياليها، وهرب أهل البلدة إلى البر وإلى السفن، وسقطت فيها دور كثيرة، وسقط نصف الجامع، ومكثت ستة عشر يوما.

[إحراق الكرخ]

وفيها: أحرقت الكرخ فأسرعت [٩] النار في الأسواق، فوهب المعتصم للتجار وأصحاب العقار خمسة آلاف ألف درهم جرت على يد ابن أبي دؤاد، وقدم بها إلى بغداد، ففرقها.

[إحراق المعتصم غناما المرتد]

وفيها [١٠] : أحرق المعتصم غناما المرتد.

---

[١] في ت: «فتتهدده» .

[٢] في ت: «غير بابك وغيري وغيرك، فمضى» .

[٣] في ت: «بجيش» .

[٤] في الأصل: «لا تعلم» .

[٥] في الأصل: «عن حرمك» .

[٦] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٤٣/١١

[٧] «فيه» ساقطة من ت.

[٨] «مستهل» ساقطة من ت.

[٩] في الأصل: «فأسرع» .

[١٠] في ت: «وفي هذه السنة» .." (١)

"الخراج للمدة التي كان منعها. وانصرف القمي بملكهم إلى المتوكل [١] فكساه [٢] .

وفيها: جعل المتوكل كور شمشاط عشرا، ونفلهم من الخراج إلى العشر.

وفي هذه السنة [٣] : وقع بسامراء **حريق** احترق فيه ألف وثلاثمائة حانوت.

١١٩/ ب وحج بالناس في هذه السنة جعفر بن دينار وهو والي [طريق] [٤] مكة وأحداث/ الموسم [٥] .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

١٤٣٦- الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني [٦] .

قدمت أمه بغداد وهي حامل به، فولدته ونشأ بها، وسمع شيوخها، ثم رحل إلى الكوفة، والبصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، والجزيرة وسمع من خلق كثير.

وجمع حفظ الحديث والفقه والزهد والورع، وكانت مخايل النجابة تبين عليه [٧] من زمن الصغر، وكان أشياخه يعظمونه.

أخبرنا [أبو منصور] القزاز قال: أخبرنا أحمد [بن علي بن ثابت] [٨] الحافظ قال:

أخبرنا أبو عقيل أحمد بن عيسى أخبرنا عبد العزيز بن الحارث التميمي قال: حدثنا إبراهيم بن محمد النساج قال: سمعت إبراهيم الحربي يقول: رأيت أحمد بن حنبل

---

[١] في ت: «إلى باب المتوكل» .

[٢] انظر: تاريخ الطبري ٩/ ٢٠٦.

[٣] في ت: «وفيها» .

[٤] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، ت.

[٥] انظر: تاريخ الطبري ٩/ ٢٠٦.

[٦] انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٤/ ٤١٢- ٤٢٣، ومناقب أحمد لابن الجوزي. وصفة الصفوة ٢/ ٩٠. والمعجم لابن عساكر ص ٥٨.

[٧] في ت: «بين عينيه» .

[٨] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.." (٢)

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١١/٩٩

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١١/٢٨٦

"في وقت واحد، وسقطت جبال ودنا بعضها من بعض، ونبع الماء مكان الجبال، ورجفت استراباذ [١] رجفة أصيب الناس كلهم وسمع بين السماء والأرض [٢] أصوات عالية، وانشقت الأرض [٣] بقدر ما يدخل الرجل فيه [٤]

.

قال: ورجمت قرية يقال لها: السويداء ناحية مصر بخمسة أحجار، فوقع منها حجر على خيمة أعرابي، **فاحترقت** ووزن منها حجر، فكان خمسة أرطال، فحمل منها أربعة إلى الفسطاط وواحد إلى تنيس [٥] .

قال [٦] : وذكر أن/ جبلا [٧] باليمن عليه مزارع لأهله [٨] سار [٩] حتى أتى مزارع ١٢٣/ ب قوم فصار فيها، فكتب بذلك إلى المتوكل [١٠] .

[سقوط صاعقة بالبردان]

وسقطت [١١] صاعقة بالبردان، فأحرقت رجلين، وأصابت ظهر الرجل الثالث، فاسود منها، [وسقطت في الماء] [١٢]

.

قال ابن حبيب: وذكر علي بن أبي الوضاح أن طائرا دون الرخمة وفوق الغراب أبيض وقع على دابة بحلب لسبع بقين من رمضان، فصاح: [يا معشر الناس،] [١٣] اتقوا

---

[١] في الأصل: «أسد باد» .

[٢] في الأصل: «للسماء والأرض.

[٣] «أصواتا عالية وانشقت الأرض» ساقطة من ت.

[٤] في ت: «منه» .

انظر: تاريخ الطبري ٩/ ٢٠٧. والشذرات ٢/ ٩٩.

[٥] انظر: الشذرات ٢/ ٩٩. والنجوم الزاهرة ٢/ ٣٠٧.

[٦] «قال» ساقطة من ت.

[٧] في ت: «أن رجلا» .

وفي الأصل: «أن جبالا» .

[٨] «لأهله» ساقطة من ت.

[٩] في ت: «فسار» .

[١٠] انظر: شذرات الذهب ٢/ ٩٩.

[١١] في ت: «ووقعت» .

[١٢] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[١٣] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.." (١)

"ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

١٧٤٣- إبراهيم بن نصر بن محمد بن نصر، أبو إسحاق الكندي [١] .

سمع عفان بن مسلم، وقبيصة في آخرين، وكان ثقة، وتوفي في هذه السنة

. ١٧٤٤- إبراهيم بن منقذ بن إبراهيم، [أبو إسحاق] العصفري [٢] .

من أصحاب ابن وهب، وروى عن المنقري وإدريس بن يحيى، وكانت كتبه قد **احترقت**، وبقي منها بقية، فحدث بما بقي منها وهو ثقة رضي.

توفي [٣] في ربيع الآخر من هذه السنة.

١٧٤٥- خالد بن أحمد بن خالد بن عمرو بن مجالد بن مالك، أبو الهيثم الذهلي الأمير [٤] .

ولي إمارة مرو، وهراة، وغيرهما من بلاد خراسان، ثم ولي إمارة بخارى، وسكنها، وله آثار مشهورة وأمور محمودة، وكان يحب الحديث ويقول: انفقت في طلب العلم أكثر من ألف ألف درهم وكان قد [٥] سمع من ابن راهويه، وعلى بن حجر، وخلق كثير، فلما استوطن بخارى أقدم إلى حضرته حفاظ الحديث، مثل: محمد بن نصر المروزي، وصالح جزرة [٦] ، ونصر بن أحمد البغداديين، وغيرهم، وصنف له نصر مسندا، وكان يختلف مع هؤلاء المسمين إلى المحدثين [٧] ، وكان يمشي برداء ونعل، يتواضع بذلك، وبسط يديه بالإحسان إلى أهل العلم فغشوه، وقدموا عليه من الآفاق،

---

[١] تاريخ بغداد ٦/ ١٩٦- ١٩٧.

[٢] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

انظر ترجمته في: الأنساب للسمعاني ٨/ ٤٦٨. والعصفري: هذه النسبة إلى العصفر وبيعه وشرائه.

وهو شيء تصبغ به الثياب.

[٣] في الأصل: «بما بقي منها وهو ثقة توفي ... » .

و «منها» ساقطة من ك.

[٤] تاريخ بغداد ٨/ ٣١٤.

وفي ت، ك: «ابن عمر بن مجالد بن مالك» .

[٥] «وكان قد» ساقطة من ك.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١١/٢٩٥

[٦] في ك: «صالح بن جور» .

[٧] في الأصل: «وكان يختلف إلى المحدثين مع هؤلاء» .." (١)

"[بالله] [١] فأرجف به، فقال عبد الله بن المعتز:

طار قلبي بجناح الوجيب ... جزعا من حادثات [٢] الخطوب

١٥٥/ ب وحذرا من أن يشاك بسوء [٣] ... أسد الملك وسيف الحروب/

لم يزل أشيب وهو ابن عشر ... بغبار الحروب قبل المشيب

ثم راضته التجارب حتى ... ما عجيب عنده بعجيب

جال شيطان الأراجيف فينا ... بحديث مؤلم للقلوب [٤]

وكأن الناس أغنام راع ... غاب [٥] عنها فأحسست [٦] بذيب

ثم هبت نعمة الله بشرى [٧] ... كشفت عنا غطاء [٨] الكروب

وقعت منا مواقع ماء ... في **حريق** مشعل ذي لهيب

رب أصحبه سلامة جسم ... وأحبه منك بعمر رحيب

وفي شهر ربيع الآخر: توفي [أمير المؤمنين] [٩] المعتضد بالله [رحمه الله] [١٠] ، واستخلف [ابنه] [١١] المكتفي بالله.

١٥٦/ أوكثرت في هذه السنة/ الزلازل، فكان في رجب زلزلة [١٢] شديدة، وانقضت

---

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت، والأصل.

[٢] في ك: «حذرا من ح ا دثات» .

[٣] في ت: «وحذار أن يشاك بسوء» .

وفي ك: «وحذارا أن ينال يسوء» .

[٤] في ت، والأصل: «بحديث معلم للقلوب» .

[٥] في ت: «أعنام راع عاب» .

[٦] في الأصل، ص: «وأحسست» .

[٧] في ت: «ثم ثبت نعمة الله تسري» .

[٨] في ت: «عطاء» .

[٩] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت، ص، والأصل.

[١٠] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت، ص، والأصل.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٢/٢٢٥

[١١] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت، والأصل.

[١٢] «زلزلة» مكررة في ت.." (١)

"ووقع **حريق** في سوق النجارين بباب الشام، **فاحترقت** السوق بأهلها [١] ، ووقعت شرارات في منارة الجامع بالمدينة **فاحترقت** [٢] .

وفي ذي الحجة حم المقتدر وافتصد، وبقي محموما ثلاثة عشر يوما، ولم يمرض في أيام خلافته غير هذه [المرضة [٣] إلا ما لا يخلو منه الأصحاء من التيات قريب، وكان يفتصد كثيرا [٤] ، وأما دواء الإسهال فلم يشربه قط.

وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك. ونظر علي بن عيسى بعين رأيه إلى أمر القرامطة فخافهم على الحاج، وغيرهم فشغلهم بالمكاتبة والمراسلة والدخول في الطاعة وعاداهم وأطلق التسويق بسيراف [٥] ، فكفهم بذلك، فخطأه الناس ونسبوه إلى موالاتهم، فلما رأوا ما فعل القرامطة بعده بالناس علموا صواب رأيه.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٢١١٢- أحمد بن علي بن شعيب [٦] بن علي بن سنان بن بحر [٧] ، أبو عبد الرحمن النسائي الإمام:

كان أول رحلته إلى نيسابور، فسمع إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، والحسين بن

---

[١] في ت: «السوق بأسرها» .

[٢] «السوق بأهلها ... بالمدينة **فاحترقت**» ساقطة من ص، ل.

[٣] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت.

[٤] «كثيرا» : ساقطة من ص، ل.

[٥] في ك: «وأطلق لهم البشريق بسيراف» .

[٦] في ص، ل، والمطبوعة: «أحمد بن شعيب» . وكذا في ابن خلكان (١/ ٢١) . وفي العبر سماه «أحمد بن شعيب بن علي» .

[٧] في ت: «بن سليمان» خطأ.

وانظر ترجمته في: (وفيات الأعيان ١/ ٧٧، ٧٨. والبداية والنهاية ١١/ ١٢٣، والرسالة المستطرفة ١٠، وطبقات الشافعية ٢/ ٨٣، وتذكرة الحفاظ ٦٩٨، وخلاصة تذهيب الكمال ١/ ٦، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤/ ٢١، وسؤالات السهمي للدارقطني ١١١، وشذرات الذهب ٢/ ٢٣٩، والعبر ٢/ ١٢٣، والأعلام ١/ ١٧١. والبداية والنهاية ١١/ ١٢٣، والكامل ٦/ ٤٩٠، وتقريب التهذيب ١/ ١٦) .." (٢)

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٤٢٢/١٢

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٥٥/١٣

"ثم دخلت سنة سبع وثلاثمائة

فمن الحوادث فيها:

أنه ابتيعت دار محمد بن إسحاق بن كنداج لإبراهيم بن المقتدر [١] بثلاثين ألف [٢] دينار، واتخذت للأمراء من أولاد الخليفة دور.

وفي صفر: وقع **حريق** بالكرخ في الباقلائيين [٣] هلك فيه خلق كثير.

وفي ربيع الآخر: أدخل إلى بغداد مائة وخمسون أسيرا من الكرخ أنفذهم بدر الحمامي.

وفي ذي القعدة انقض كوكب عظيم غالب الضوء، وتقطع ثلاث قطع، وسمع بعد انقضاضه صوت رعد عظيم هائل من غير غيم.

وفي هذه السنة: دخلت القرامطة البصرة، وصرف حامد عن الوزارة، وتقلد أبو الحسن بن الفرات [٤] الدفعة الثالثة.

وفيها كسرت العامة الحبوس بمدينة المنصور فأفلت من كان فيها، وكانت أبواب المدينة الحديدية باقية، فغلقت وتتبع أصحاب الشرطة من أفلت فلم يفتهم منهم أحد.

---

[١] في هامش ك: «وهو المتقي بالله الذي تولى الخلافة بعد الخليفة الواثق بالله» .

[٢] في ت: «بثلاثة آلاف دينار» .

[٣] في ك، ت: «بالكرخ في القلائين» .

[٤] في ت: «أبو الحسين بن الفرات» .." (١)

"ثم دخلت سنة تسع وثلاثمائة

فمن الحوادث فيها:

أنه وقع في [شهر] [١] ربيع الأول **حريق** كثير [٢] بباب الشام [٣] ، وفي سويقة نصر، وفي الحذائين بالكرخ [٤] ، وبين القنطرة الجديدة، وطاق الحراني [٥] ، ومات خلق كثير. وقتل رجل من الزنادقة، فطرح بسببه **[حريق]** [٦] في باب المخرم هلك فيه خلق كثير.

وفي شهر ربيع الآخر: لقب مؤنس المظفر، وأنشئت الكتب بذلك عن المقتدر إلى أمراء النواحي، وعقد له في جمادى الأولى على مصر والشام، وخلع على أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان، وقلد أعمال الحرب وطريق مكة.

وفيه ابتدئ بهدم باب دار علي بن الجهشيار ببغداد في الفرضة، وكان هذا الباب علما ببغداد في العلو [٧] والحسن، وبنى موضعه مستغل [٨] .

---

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٨٩/١٣

[٢] «كثير» : ساقطة من ص، ك. وفي ت: «كبير» .

[٣] في ك: «أنه وقع حريق في شهر ربيع الأول فأحرق مواضع كثيرة من باب الشام» .

[٤] في ت: «وفي الحراس بالكرخ» .

[٥] في ت: «وطاق الحرابي» . وفي ص: «وطاق الحربي» .

[٦] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت.

[٧] «العلو و» : ساقطة من ص، ل.

[٨] في ت: «وبنى في موضعه مستغلا» .." (١)

"شيخ يقرأ القرآن وهي مظللة مسترة فسألت عن ذلك، فقالوا: هذه حراقة الحرم لا يحسن أن يكون ملاحوها فحولة.

قال المحسن: وحدثني أبو عبد الله الصيرفي، قال: حدثني أبو عبد الله القنوتي [١] ، قال: ركب حامد وهو عامل واسط/ إلى بستان [له] [٢] فرأى بطريقه دارا محترقة وشيخا يبكي ويولول، وحوله صبيان ونساء على مثل حاله، فسأل عنه، فقيل:

هذا رجل تاجر احترقت داره وافتقر فوجم ساعة، ثم قال: أين فلان الوكيل؟ فجاء، فقال له: أريد أن أندبك لأمر إن [٣] عملته كما أريد فعلت بك وصنعت- وذكر جميلا- وإن تجاوزت فيه رسمي فعلت بك وصنعت- وذكر قبيحا- فقال: مر بأمرك، فقال ترى هذا الشيخ قد آلمني قلبي له، وقد تنغصت علي نزهتي بسببه، وما تسمح نفسي بالتوجه إلى بستاني إلا بعد أن تضمن لي أنني إذا عدت العشية من النزهة وجدت الشيخ في داره وهي كما كانت مبنية مجصصة [٤] نظيفة، وفيها صنوف المتاع والفرش والصفر كما كانت، وتباع له ولعياله كسوة الشتاء والصيف مثل ما كان لهم، فقام الوكيل فتقدم إلى الخازن بأن يطلق ما أريده وإلى صاحب المعونة أن يقف معي ويحضر من أطلبه من الصناع، فتقدم حامد بذلك- وكان الزمان صيفا- فتقدم بإحضار أصناف الروز جارية، فكانوا ينقضون بيتا [٥] ويقيمون فيه من ينيه، وقيل لصاحب الدار اكتب جميع ما ذهب منك حتى المكنسة والمقدحة، وصليت العصر وقد سقفت الدار، وجصصت، وغلقت الأبواب، ولم يبق غير الطوابيق، فأنفذ الرجل [٦] إلى حامد وسأله التوقف في البستان وأن لا يركب منه إلى أن يصلي عشاء الآخرة [٧] ، فبيضت الدار [٨] ، وكنست وفرشت،

---

[١] في ك: «أبو علي الصولي» .

[٢] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت.

[٣] في ت: «أريد أن أنبئك لأمر» .

[٤] في ص، ل: «كانت مبنية نظيفة» .

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٣/١٩٩

[٥] في ل: «فكانوا ينقضون شيئا» .

[٦] في ت، ك: «فأنفذ الوكيل» .

[٧] في ك: «إلى أن يصلي العشاء الآخرة» .

[٨] في ت: «فطبقت الدار» .." (١)

"ثم دخلت سنة اربع عشرة وثلاثمائة

فمن الحوادث فيها:

أن الروم دخلت في صفر إلى ملطية فأخربوا وسبوا وأقاموا فيها أياما كثيرة، فوصل أهل ملطية إلى بغداد في جمادى الآخرة [١] مستغيثين من الروم.

وفي ليلة الثلاثاء لأربع بقين من جمادى الأولى: وقع **حريق** في نهر طابق فاحترق فيه ألف دار وألف دكان [٢] .

وفي هذا الشهر: قرئت الكتب على المنابر بموت الدمستق.

وفي رجب: وقع **حريق** في دار السلطان **فاحترقت** دور الأمراء.

وفي يوم الأحد لأربع خلون من شعبان: ورد كتاب من مكة يذكرون خروج أهل مكة منها ونقلهم حرمهم وأموالهم خوفا من القرمطي لاتصال الخبر بقربه منهم.

وورد الخبر بأن ريحا عظيمة هبت في رمضان بنصيبين حتى قلعت الشجرة وهدمت المنازل.

وفي يوم الأحد لثمان خلون من شوال وهو اليوم السابع من كانون: سقط ببغداد ثلج كثير [٣] ، وقبل هذا اليوم بستة أيام برد الهواء بردا شديدا، ثم زاد شدة بعد سقوط

---

[١] في ك: «في جمادى الاولى» .

[٢] في ص، ل: «فيه ألف دار ودكان» .

[٣] «وفي يوم الأحد ... ببغداد ثلج كثير» : العبارة ساقطة من ص، ل.." (٢)

"بالجميل وحلف له على ثقته به وعلى صفاء نيته له وودعه مؤنس، وذلك بعد أن قرأ عليه الوزير علي بن عيسى كتاب وصيف البكتمري المتقلد لأعمال المعاقل بجند قنسرين والعواصم، بأن المسلمين عقبوا على الروم فظفروا بعسكرهم وقتلوا منهم وغنموا.

وخرج مؤنس من داره بسوق الثلاثاء يوم الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر إلى مضربه بباب الشماسية، وشيعه الأمير أبو العباس بن المقتدر، والوزير علي بن عيسى، ونصر الحاجب، [وهارون بن غريب، وشفيع المقتدري، والقواد: فلما بلغ الوزير علي بن عيسى ونصر الحاجب] [١] معه إلى دار مبارك القمي حلف عليهما بأن يرجعا، فعدلا إلى شاطئ دجلة

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٣١/١٣

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٥٥/١٣

وانصرفا في طياريهما، وصار باقي القواد والأستاذان معه إلى مضربه، وكان سليمان بن الحسن يسايره، وهارون بن غريب، ويلبق، وبشرى، ونازوك، وطريف العسكري يسيرون بين يديه كما تسير الحجاب، ورحل مؤنس من مضربه يوم الأحد لليلتين بقيتا من ربيع الآخر.

وفي جمادى الأولى وقع **حريق** بالرصافة، وصف الجوهري، ومربعة الحرسي، وفي الحطابين بباب الشعير.

وفي يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى أخذ خناق ينزل درب الأقفاص من باب الشام خنق جماعة، ودفنهم في عدة دور سكنها، وكان يحتال على النساء يكتب لهن كتاب العطف، ويدعي عندهن علم النجوم والعزائم فيقصدنه، فإذا حصلت المرأة عنده سلبها، ووضع وترا له في عنقها ورفس ظهرها [٢] وأعانته امرأته وابنه، فإذا ماتت حفر لها ودفنها، فعلم بذلك، فكبست الدار فاخرج منها بضع عشرة امرأة مقتولة، ثم ظهر عليه عدة آدر كان يسكنها مملوءة بالقتلى من النساء خاصة، فطلب فهرب إلى الأنبار، فأنفذ إليها من طلبه، فوجده فقبض عليه وحمل إلى بغداد، فضرب ألف سوط، وصلب وهو حي، ومات لست بقين من جمادى الأولى.

وفي شعبان دخل إلى بغداد ثلاثة عشر أسيرا من الروم أخذوا من بيت المقدس فيهم قرابة الملك.

---

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت.

[٢] «ورفس ظهرها» : ساقط من ك.." (١)

"ثم دخلت سنة ثمان عشرة وثلاثمائة

فمن الحوادث فيها:

أنه هبت ريح من المغرب في آذار حملت رملا أحمر يشبه رمل الصاغة، فامتلأت منه أسواق بغداد الجانبين وسطوحها ومنازلها، وقيل: إنه من جبلي زرود.

وفيها: قبض المقتدر على أبي علي ابن مقلة، وكانت مدة وزارته سنتين وأربعة أشهر وثلاثة أيام، واستوزر سليمان بن الحسن بن مخلد، وجعل علي بن عيسى ناظرا معه.

وفي جمادى الأولى: **احترقت** دار أبي علي بن مقلة التي في وجه الزاهر، وكان قد أنفق عليها مائة ألف دينار، وانتهب الناس الخشب والرصاص والحديد.

وفيها حج بالناس [١] عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز الهاشمي، وخرجوا بخفارة وبذرقة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٢٢٧٩- إبراهيم بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن مطرف بن محمد بن علي، أبو إسحاق الاستراباذي:

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٦٢/١٣

[١] في ت: «وحج بالناس في هذه السنة» .." (١)

"وشغبوا، وزاد الأمر في هذا، وحملوا السلاح، وضربوا مضاربهم في رحبة باب العامة وحاصروا الدار، ثم سكنوا.
وفي يوم السبت لعشر خلون من جمادى الآخرة، ركب بدر الخرشني [١] صاحب الشرطة، فنادى ببغداد في الجانبين في أصحاب أبي محمد البربهاري [أن لا يجتمع منهم نفسان في موضع، وحبس منهم جماعة، واستتر البربهاري] [٢] .

وفي شهر آيار اتصلت الجنوب، وعظم الحر، وغلظ الغيم، وتكاثف، فلما كان آخر يوم منه وهو يوم الأحد لخمس بقين من جمادى الآخرة بعد الظهر هبت ريح عظيمة لم ير مثلها وأظلمت واسودت إلى بعد العصر، ثم خفت، ثم عاودت إلى وقت عشاء الآخرة [٣] .
وفي جمادى الآخرة عاد الجند فشغبوا وطالبوا بالرزق، ونقبوا دار الوزير ودخلوها فملكوها.
وفي رمضان ذكر للوزير أن رجلا في بعض الدور الملاصقة للزاهر يأخذ البيعة على الناس لإنسان لا [٤] يعرف، ويبذل لهم الصلة، فتوصل إلى معرفته فعرف، وعلم أنه قد أخذ البيعة لجعفر بن المكتفي، وأن جماعة من القواد قد أجابوا إلى ذلك، منهم يانس، فقبض على الرجل ومن قدر عليه من جماعته، وقبض على جعفر ونهب منزله.
وفي هذا الشهر [٥] : وقع حريق عظيم في الكرخ في طرف البزازين [٦] ، فذهبت فيه أموال كثيرة للتجار، فأطلق لهم الراضي ثلاثة آلاف دينار.
وخرج الناس للحج في هذه السنة ومعهم لؤلؤ غلام المتهشم يبذرقهم، فاعترضه

[١] في ك، ل: «ركب بدر الحرسي» .
[٢] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت.
[٣] في ك: «إلى بعد عشاء الآخرة» .
[٤] «في بعض الدور ... على الناس لإنسان لا» . ساقطة من ك.
[٥] في المطبوعة: «وفيها» .
[٦] في ك: «في طريق البزازين» .." (٢)

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٩١/١٣
(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣٤٩/١٣

"ثم دخلت سنة اربع وعشرين وثلاثمائة [١]

فمن الحوادث فيها:

أن الجند أحدقوا بدار الخلافة وضربوا خيمهم فيها وحولها وملكوها، وطولب الراضي بأن يخرج فيصلي بالناس ليراه الناس معهم، فخرج وصلى، وقال في خطبته:

اللهم ان هؤلاء الغلمان بطانتي وظهارتي فمن أراده بسوء فأرده، ومن كادهم بكيد فكده. وقبض الغلمان على الوزير وسألوا الخليفة أن يستوزر غيره، فرد الخيار إليهم، وقالوا: علي بن عيسى، فاستحضره وعرضت عليه الوزارة فأبى وأشار بأخيه أبي علي عبد الرحمن بن عيسى، [فقلد الوزارة وخلع عليه.

واحترقت دار ابن مقلة وحمل إلى دار عبد الرحمن بن عيسى] [٢] ، فضرب حتى صار جسمه كأنه الباذنجان [٣] . [وأخذ خطه بألف ألف دينار، ثم عجز عبد الرحمن بن عيسى] [٤] عن تمشية الأمور، وضاق الحال فاستعفى، فقبض عليه لسبع خلون من رجب، فكانت وزارته خمسين يوما [٥] ، وقلد الوزارة أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي، ثم عزل، وقلد سليمان بن الحسن وكان هذا كله من عمل الأتراك والغلمان.

ومن العجائب: أن دار ابن مقلة **احترقت** في مثل اليوم الذي أمر فيه بإحراق دار

---

[١] من هنا تبدأ نسخة بلدية الإسكندرية، ويكون رمزها (س) .

[٢] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت.

[٣] في ت: «حتى صار جسمه كلون الباذنجان» .

[٤] «ابن عيسى» : ساقطة من ص، ل. وما بين المعقوفتين: ساقط من ت.

[٥] في ك، ص، والمطبوعة: «فكانت خمسين يوما» .." (١)

"سليمان بن الحسن [١] بباب المحول [في] [٢] مثل ذلك الشهر بينهما سنة، وكتب على حيطان دار ابن مقلة:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء [٣] ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وغلا السعر، فجاع الناس وعدم الخبز خمسة أيام، ووقع الطاعون، واقترب بذلك الموت، وخص ذلك الضعفاء، وكان يجعل على النعش اثنين [٤] ، وربما كان بينهما صبي، وربما بقي الموتى على الطريق على حالهم، وربما حفرت حفائر [كبار] [٥] فيلقى في الحفيرة خلق كثير، ومات بأصبهان نحو مائتي ألف.

ووقع **حريق** بعمان فاحترق من العبيد السود سوى البيض [اثنا عشر ألفا و] [٦] أربعمائة حمل كافور [٧] .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣٥٦/١٣

٢٣٥٧- أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أبو بكر المقرئ [٨] :
ولد في ربيع الآخر سنة خمس وأربعين ومائتين، وكان شيخ القراء في وقته والمقدم منهم على أهل عصره، وحدث عن خلق كثير، وروى عنه الدارقطني وغيره، وكان ثقة مأمونا، سكن الجانب الشرقي، وكان ثعلب يقول: ما بقي في عصرنا أحد أعلم بكتاب الله من أبي بكر بن مجاهد.

---

[١] في ت: «سليمان بن الحسين» .

[٢] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت.

[٣] في ت: «ولم تخف صرف» .

[٤] في ت، س: «وكان يجعل على الجنازة اثنين» .

[٥] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت.

[٦] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت، ص.

[٧] في ت: «وأربعمائة وأربعمائة حمل كافور» .

[٨] انظر ترجمته في: (تاريخ بغداد ٥/ ١٤٤، والبداية والنهاية ١١/ ١٨٥، وغاية النهاية ١/ ١٣٩، والأعلام ١/ ٢٦١) .." (١)

"٢٤٧٧- عمر بن الحسين بن عبد الله، أبو القاسم الخرقي
[١] :
صاحب كتاب «المختصر في الفقه» على مذهب الإمام [٢] أحمد بن حنبل، وكان فقيه النفس، حسن العبارة بليغا وكانت [٣] له مصنفات كثيرة وتخريجات على المذهب لم تظهر، لأنه خرج من بغداد لما ظهر سب الصحابة فأودع كتبه في درب سليمان فاحترقت الدار التي كانت فيها الكتب/، وتوفي بدمشق في هذه السنة.

٢٤٧٨- محمد بن عيسى [بن عبد الله] [٤] ، أبو عبد الله، يعرف بابن أبي موسى
[٥] :
الفقيه [٦] على مذهب العراقيين، ولاه المتقي لله القضاء ببغداد ثم عزله، وأعاده المستكفي بالله، وكان له علم غزير، وسمت حسن، ووقار، وكان ثقة مشهورا بالفقر، لا يطعن عليه في شيء من ولايته، فكبس [٧] اللصوص داره وأخذوا جميع ما كان فيها [٨] ، ولم يكن شيئا مذكورا، وكانوا يقدرون أن له مالا، وضربوه ضربة أثخنته وهرب في السطوح، ورمى بنفسه إلى بيت جار له [٩] فسقط فمات، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة.

٢٤٧٩- محمد بن محمد بن أحمد [١٠] بن عبد الله، أبو الفضل [١١] السلمي الوزير
[١٢] :

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣٥٧/١٣

كان فقيها مناظرا [١٣] ، وسمع الحديث بخراسان، ونيسابور، والري، وبغداد،

---

[١] انظر ترجمته في: (تاريخ بغداد ١١/ ٢٣٤. والبداية والنهاية ١١/ ٢١٤) .

[٢] «الإمام» سقطت من ص، ل.

[٣] في الأصل: «وكان» .

[٤] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، ت.

[٥] انظر ترجمته في: (تاريخ بغداد ٣/ ٤٠٣. والبداية والنهاية ١١/ ٢١٤) .

[٦] في المطبوعة: «عمي الفقيه» .

[٧] في الأصل: «فكبسوا» .

[٨] في باقي النسخ: «ما كان في منزله» .

[٩] في باقي الأصول: «إلى ما يجاوره» .

[١٠] «بن أحمد» سقطت من ت.

[١١] في الأصل: «محمد بن محمد بن أحمد بن الفضل أبو عبد الله السلمي الوزير» .

[١٢] انظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١١/ ٢١٥) .

[١٣] في الأصل: «شاعرا» .." (١)

"٢٥٣٠- محمد بن أحمد بن [محمد] [١] بن عبد الرحمن، أبو الفتح المصري

[٢] .

ولد سنة أربع وسبعين ومائتين، وسمع الكثير، وكتب، **واحترقت** كتبه دفعات، وروى شيئا كثيرا.

/ أخبرنا أبو منصور، أخبرنا الخطيب قال: سمعت أبا على الحسن بن أحمد الباقلاوي وغيره من أصحابنا يذكرون أن المصري كان يشترى من الوراقين الكتب التي لم يكن سمعها، ويسمع فيها لنفسه توفي المصري ببغداد يوم الجمعة تاسع محرم هذه السنة.

٢٥٣١- محمد بن صالح بن هانئ بن زيد، أبو جعفر الوراق

[٣] .

سمع الحديث الكثير، وكان له فهم وحفظ، وكان من الثقات الزهاد، لا يأكل إلا من كسب يده.

قال أبو عبد الله بن يعقوب الحافظ: صحبت محمد بن صالح سنين ما رأيته أتى شيئا لا يرضاه الله، ولا سمعت منه شيئا يسأل عنه، وكان يقوم أكثر [٤] الليل.

وتوفي في ربيع الأول من هذه السنة.

---

(١) المنتظم في تاريخ الم لوك والأمم ابن الجوزي ١٤/٤٩

[١] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٢] انظر ترجمته في: (تاريخ بغداد ١/ ٣٥٤) .

[٣] انظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١١/ ٢٢٥) .

[٤] «وأكثر» سقطت من ت، ص، ل.." (١)

"محمد قد كتب الحديث ببغداد عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي، وطبقته، واحترقت كتبه وبقي من مسموعه شيء عند بعض الكتاب فسمع منه.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت أخبرنا [١] علي بن المحسن قال: حدثني أبي قال: حدثني أبو محمد الصلحي قال: حدثني أبو بكر محمد بن علي الماذرائي بمصر وكان شيخا جليلا عظيم المال والجاه والمجد، قديم الولاية لكبار الأعمال، قد وزر لخمارويه بن أحمد بن طولون، وعاش نيفا وتسعين سنة. قال: كتبت لخمارويه بن أحمد [٢] وأنا حدث فركبتني الأشغال وقطعني ترادف الأعمال عن تصفح أحوال المتعطلين وتفقدهم، وكان ببابي شيخ من مشيخة الكتاب قد طالت عطلته، فأغفلت أمره [٣] فرأيت أبي في منامي وكأنه يقول لي: ويحك [٤] يا بني أما تستحي من الله أن تتشاغل بلذاتك وأعمالك [٥] والناس يتلفون ببابك صبرا وهزلا! هذا فلان من/ شيوخ الكتاب قد أفضى [٦] أمره إلى أن تقطع سراويله، فما يمكنه أن يشتري بدله، وهو كالميت جوعا وأنت لا تنظر في أمره، أحب أن لا يغفل أمره أكثر من هذا، قال: فانتبهت مذعورا واعتقدت الإحسان إلى الشيخ [ونمت] [٧] وأصبحت وقد أنسيت أمر الشيخ، فركبت إلى دار [٨] خمارويه وأنا والله أسير إذ تراءى لي الرجل على دوبية ضعيفة، ثم أومأ إلى الرجل فانكشف فخذه، فإذا هو لابس خفا بلا سراويل، فحين وقعت عيني على ذلك ذكرت المنام، وقامت قيامتي، فوقفت في موضعي واستدعيته، وقلت: يا هذا، ما حل لك أن تركت أذكاري بأمرك أما كان في الدنيا من يوصل لك

[١] «أحمد بن علي بن ثابت أخبرنا» سقط من ت.

[٢] «بن طولون، وعاش نيفا وتسعين سنة قال: كتبت لخمارويه بن أحمد» سقط من ص. والعبارة من أول: «قد وزر لخمارويه ... » حتى «ترادف الأعمال» سقط من ت.

[٣] في الأصل: «عنه» .

[٤] «ويحله» سقطت من ت، ص، ل.

[٥] في ت، ص، ل، والمطبوعة: «عمالك» .

[٦] في الأصل: «انتهى» .

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٤/٨٦

[٧] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٨] «دار» سقطت من ت، ص، ل.." (١)

"ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة

فمن الحوادث فيها:

[اتصال الفتن بين الشيعة والسنة]

أنه في جمادى الأولي اتصلت الفتن بين الشيعة والسنة، وقتل بينهم خلق، ووقع **حريق** كثير في باب الطاق.

[غرق بضعة عشر زورقا من الحاج]

وفي هذه السنة [١] : غرق من الحاج الوارد [٢] من الموصل بضعة عشر/ زورقا كان فيها من الرجال والنساء والصبيان ستمائة نفس.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٢٥٨٦- أحمد بن سلمان بن الحسن بن إسرائيل بن يونس، أبو بكر النجاد

. [٣]

ولد سنة ثلاث وخمسين ومائتين، وسمع أبا داود، والباغندي، وأبا بكر بن أبي الدنيا، وعبد الله بن أحمد، وخلقا كثيرا، وكان يمشي في طلب الحديث حافيا [٤] ، وجمع المسند، وصنف في السنن [٥] كتابا كبيرا، وكانت له في جامع المنصور يوم

---

[١] في ص، ل: «وفيها» .

[٢] في الأصل: «الواردين» .

[٣] انظر ترجمته في: (تاريخ بغداد ٤/ ١٨٩. والبداية والنهاية ١١/ ٢٣٤) .

[٤] في ت: «ماشيا حافيا» .

[٥] في ت: «في السير» .." (٢)

"وفي شهر رمضان: قتل رجل من صاحب المعونة في الكرخ، فبعث أبو الفضل الشيرازي، وكان قد أقامه معز الدولة مقام الوزير، في [١] طرح النار من النخاسين إلى السماكين، **فاحترقت** أموال عظيمة، وجماعة من الرجال والنساء والصبيان في الدور والحمامات، فأحصى ما احترق فكان سبعة عشر ألف وثلاثمائة دكان، وثلاثمائة وعشرين دارا، أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربعون ألف دينار، ودخل في الجملة ثلاثة وثلاثون مسجدا.

فقال رجل لأبي الفضل: أيها الوزير، أريتنا قدرتك، ونحن نأمل من الله [٢] تعالى أن يرينا قدرته فيك. فلم يجبه، وكثر

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٤/١٠٧

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٤/١١٨

الدعاء عليه، ووزر [٣] بعد معز الدولة لابنه عز الدولة، بختيار [٤] فقبض عليه، وسلمه للشريف أبي الحسن محمد بن عمر العلوي، فأنفذه إلى الكوفة، فسقى ذراريح [٥] ، فتقرحت مثانته، فمات في ذي الحجة من هذه السنة.

وفي يوم الجمعة الثامن من شهر رمضان: دخل أبو تميم معد بن إسماعيل، الملقب بالمعز لدين الله مصر [٦] ، ومعه توابيت آبائه، وكان قد مهد له أبو الحسن جوهر الأمور، وأقام له الدعوة، وبنى له القاهرة، فنزلها وكان جوهر قد دخل إلى مصر سنة ثمان وخمسين، ووطأ الأمر للمعز، وأقام له الخطبة.

وخلع المطيع في هذه السنة على أبي طاهر بن بقية وزير عز الدولة بختيار، ولقبه الناصح، وكان واسع النفس، وكانت وظيفته كل يوم من الملح [٧] ألف رطل، وراتبه من الشمع في كل شهر ألف من [٨] وكان عز الدولة/ قد استوزر أبا الفضل العباس بن

---

[١] في الأصل «من طرح» .

[٢] في ص، ل: «ونحن نؤمل الله تعالى» .

[٣] في الأصل «ووز» .

[٤] «بختيار» سقط من ص، ل.

[٥] في الأصل «دراريح» .

[٦] في الأصل «مضر» .

[٧] في الأصل «من الثلج كل يوم» .

[٨] في ص، ل: «منا» .." (١)

"يقول له: أن الأمر قد خرج عن يدك، فأخرج لي عن واسط [١] وبغداد ليكونا لي وتكون البصرة والأهواز لك، ولا تفتح [٢] بيننا باب حرب، وكتب عز الدولة إلى عضد الدولة يساعده و [٣] يستنجده، فماطله بذلك، ثم أن الناس صاروا حزبين، فأهل التشيع ينادون بشعار عز الدولة والديلم، وأهل السنة ينادون بشعار سبكتكين والأتراك، واتصلت الحروب، وسفكت الدماء، وكبست المنازل، وأحرق الكرخ حريقا ثانيا.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٢٧١١- الحارث [٤] بن أبي العلاء، سعيد بن حمدان، أبو فراس العدوي الشاعر

. [٥]

كان فيه شجاعة وكرم، وله شعر في نهاية الحسن وقلده/ سيف الدولة منبج [٦] وحران، وأعمالها، فخرج يقاتل [٧] الروم فتكى وقتل وأسر في الأسر سنتين ثم فداه سيف الدولة، وقيل أنه قتل بعد ذلك، [وما بلغ أربعين سنة] [٨] ورثاه سيف الدولة.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢١٥/١٤

أخبرنا ابن ناصر، أخبرنا علي بن أحمد [بن] [٩] البسري، عن أبي عبد الله بن بطة قال: أنشدني الحسن [١٠] بن سعيد [١١] المقدسي قال: أنشدني محمد بن شجاع الجيلي قال: أنشدني أبو فراس بن حمدان لنفسه:

المرء نصب مصائب لا تنقضي ... حتى يوارى جسمه في رمسه

فمؤجل [١٢] يلقى الردى في غيره [١٣] ... ومعجل يلقى الردى في نفسه

قال: وكان عند أبي فراس أعرابي فقال له [١٤] : أجز هذا بمثله، فقال:

من يتمن العمر فليدرع [١٥] ... صبرا على فقد أحبائه

ومن يعاجل ير في نفسه [١٦] ... ما يتمناه لأعدائه

---

[١] في الأصل: «فتنزح لي عن بغداد وواسط» .

[٢] في ص، ل: «يفتح» .

[٣] «يساعده و» سقطت من ص، ل.

[٤] في الأصل: «أبو فراس الحارث» .

[٥] في الأصل: « ... العدوي الشاعر بن حمدان» .

انظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١١/ ٢٧٨) .

[٦] «منبج» سقطت من ص.

[٧] في ص، ل: «فقاتل» .

[٨] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٩] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[١٠] في الأصل: «الحسين» .

[١١] في الأصل: «سعد» .

[١٢] في الأصل: «فمعجل» .

[١٣] في الأصل: «أهله» .

[١٤] «وله» سقطت من ص، ل.

[١٥] في ص، ل: «فليتخذ» .

[١٦] في الأصل: «ومن يعمر يلق في نفسه ... » وفي ب: «في غيره» .." (١)

"ثم دخلت سنة أربع وستين وثلاثمائة

فمن الحوادث فيها:

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٤/٢٢٧

أنه ورد [الخبر] [١] في المحرم سنة أربع [٢] من المدينة أن أهل العراق، وخراسان، والكوفة، والبصرة بلغوا سميرا فرأوا هلال ذي الحجة على نقصان/ من ذي القعدة، وعرفوا أن لا ماء في الطريق من فيد إلى مكة، إلا صبابة لا يقوم بهم وبجمالهم، فعدلوا إلى بطن نخل يطلبون مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فوصلوا إليها يوم الجمعة سادس ذي الحجة، فبركت الجمال ولم تنهض، فعرفوا في المسجد، وخرجوا فصلوا صلاة العيد في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أمير الحاج أبو منصور محمد بن عمر بن يحيى العلوي، وورد الناس الكوفة في أول المحرم، بعد أن لحقهم جهد شديد، وأقاموا بالكوفة لفساد الطريق، ثم خفروا أنفسهم وأموالهم حتى دخلوا بغداد في آخر الشهر.

وفي يوم الأربعاء لثلاث عشرة [ليلة] [٣] بقيت من المحرم: أوقع العيارون **حريقا** بالخشابين من باب الشعير [٤] ، فاحترق أكثر هذا [٥] السوق، وما يليها من سوق الجزارين [٦] ، وأصحاب الحصر، وصف البواري، فهلك شيء كثير من هذه الأسواق

---

[١] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٢] «سنة أربع» سقطت من ص، ل.

[٣] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٤] في الأصل: «باب **الحريق**» .

[٥] في الأصل: «أكثر هذه السوق» .

[٦] في الأصل: «الزجاجين» .." (١)

"النوبة، في ليالي الصيف، قال هلال: وهذه الدار وما تحتوي عليه من البيت المذكور والأروقة [١] خراب، ولقد شاهدت مجلس الوزراء في ذلك ومحفل من يقصدهم ويحضرهم، وقد جعله جلال الدولة اصطبلا أقام فيه دوابه وسواسه، وأما ما بناه عضد الدولة وولده بعده من هذه الدار فهو متماسك على تشعثه.

قال ابن ثابت: ولما ورد طغرل بك الغزي بغداد، واستولي عليها، عمر هذه الدار، وجدد كثيرا مما/ [كان] [٢] وهي منها سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، فمكثت كذلك إلى سنة خمسين وأربع مائة ثم **احترقت**، وسلمت [٣] أكثر آلاتها، ثم عمرت بعد، وأعيد كما [٤] كان وهي منها.

أخبرنا عبد الرحمن، أخبرنا أحمد بن علي قال: حدثني [القاضي] [٥] أبو القاسم علي بن المحسن قال: سمعت أبي يقول: ماشيت [٦] الملك عضد الدولة في دار المملكة بالمخرم التي كانت دار سبكتكين حاجب معز الدولة من قبل، وهو يتأمل ما عمل وهدم منها، وقد كان أراد أن يزيد في الميدان السبكتكيني أذرعا ليجعله بستانا، ويرد بدل التراب رملا، ويطرح التراب تحت الروشن على دجلة، وقد ابتاع دورا كثيرة كبارا وصغارا، ونقضها ورمى حيطانها بالفيلة [٧] تخفيفا للمئونة، وأضاف عرصاتها إلى الميدان، وكانت مثل الميدان دفعتين وبنى على الجميع مسناة، فقال لي في هذا

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٣٤/١٤

اليوم، وقد شاهد ما شاهد: تدري أيها القاضي كم أنفق على ما قلع [٨] من التراب إلى هذه الغاية، وبناء هذه المسناة السخيفة، مع ثمن ما ابتيع من الدور واستضيف؟ قلت: أظنه شيئا كثيرا. فقال لي: هو إلى وقتنا هذا سبعمائة [٩] ألف درهم صحاحا، ويحتاج إلى

---

[١] «والأروقة» سقطت من ل، ص.

[٢] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٣] في الأصل: «سلت» .

[٤] في الأصل: «وأعيد ما كان» .

[٥] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٦] في الأصل: «ما ماشيت» .

[٧] في الأصل: «بالقبلة» .

[٨] في الأصل: «قطع» .

[9] في ل: «تسعمائة» .." (١)

"ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة

فمن الحوادث فيها:

أن عضد الدولة أمر بحفر النهر من عمود الخالص، وسياقة الماء إلى بستان داره، فبدئ في ذلك وحشر الرجال لعمله.

وأنه كان على صدر زبزب عضد الدولة على صورة السبع من فضة، فسرق في صفر، وعجب الناس كيف كان هذا مع هيبة عضد الدولة المفرطة، وكونه شديد المعاقبة على أقل جناية، ثم قلبت الأرض في البحث عن سارقه فلم يوقف له على خبر، ويقال ان صاحب مصر دس من فعل هذا.

[حريق الكرخ]

وفي ربيع الأول: وقع **حريق** بالكرخ من حد درب القراطيس إلى بعض البزازين من الجانبين، وأتى على الأساكفة، والحذائين، / واحترق فيه جماعة من الناس وبقي لهبه أسبوعا.

وفي ذي القعدة: تقلد أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى كتابة الطائع لله، وخلع عليه.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٢٧٦٥- أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس، أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني

.[١]

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٤/٢٣٩

---

[١] انظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١١/ ٢٩٨) .." (١)

"ثم دخلت سنة ثمانين وثلاثمائة

فمن الحوادث فيها:

أنه قلد [أبو أحمد] الحسين بن موسى الموسوي نقابة الطالبيين، والنظر في المظالم، وإمارة الحاج، وكتب عهده على جميع ذلك، واستخلف له ولداه المرتضى أبو القاسم والرضى أبو الحسن على النقابة، وخلع عليهما من دار الخلافة.

وفي هذه السنة زاد أمر العيارين في جانبي بغداد مدينة السلام، ووقعت بينهم حروب، وعظمت الفتنة، واتصل القتال بين الكرخ وباب البصرة، وصار في كل حرب أمير وفي كل محلة متقدم وقتل الناس، وأخذت الأموال، وتواترت العملات، واتصلت الكبسات وأحرق بعضهم محال بعض، وتوسط الشريف أبو أحمد الموسوي الأمر.

وفيها: وقع **حريق** عظيم نهارا في نهر الدجاج ورواضعه، فذهب من عقار الناس وأموالهم شيء كثير.

وفي هذه السنة حج بالناس أبو عبد الله [١] أحمد بن محمد بن عبيد الله العلوي نيابة عن الشريف أبي أحمد الموسوي.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٢٨٧٠- إبراهيم بن أحمد بن بشران بن زكريا، أبو إسحاق الصيرفي

[٢] .

---

[١] «أبو عبد الله» سقط من ص.

[٢] انظر ترجمته في: (تاريخ بغداد ٦/ ١١) .." (٢)

"ثم دخلت سنة سبع عشرة وأربعمائة

فمن الحوادث فيها [١] : /

[ورود الأصفهلارية إلى بغداد]

إن الأصفهلارية وردوا إلى بغداد، فراسلوا العيارين وكانوا قد كثروا بالانصراف عن البلد، فلم يلتفتوا إلى هذه المراسلة وخرجوا إلى مضارب الأصفهلارية [٢] وصاحوا وشتموا، ووقعت حرب طول النهار وأصبح الجند على غيظ وحنق، فلبسوا السلاح وضربوا الدبادب كما يفعل في الحرب، ودخلوا الكرخ ووقعت النار فاحترق من الدقاقين إلى النحاسين وبعض باب المساكين وسائر الأبواب التي كانوا يتحصنون بها، ونهبت الكرخ في هذا اليوم وهو يوم الأحد لعشر بقين من

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٨١/١٤

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣٤٤/١٤

المحرم، وأخذ الشيء الكثير من القطيعة ودرب رياح، وفيه كانت دار أبي يعلى ابن الموصلي رئيس العيارين، وأخذ من درب أبي خلف الأموال خص بها من دار ابن زيرك البيع، وقلعت الأبواب من درب عون وسائر أسواق الكرخ السالمة من **الحريق**، وأصبح الناس في اليوم الثالث على خطة صعبة، وكان ما انتهبه العوام من غير أهل الكرخ أكثر مما نهبه الأتراك [٣] ، ومضى المرتضى مستوحشا مما جرى إلى دار الخليفة فانحدر الأصفهلارية [٤] ، وسألوا التقدم إليه بالرجوع، فخلع عليه ثم تقدم إليه بالعود، ثم حفظت المحال واشيعت المصادرات، وقرر على الكرخ مائة ألف دينار.

---

[١] بياض في ت.

[٢] في ص: «مضارب الاصفسلارية» .

[٣] في الأصل: «مما نهبه العوام الأتراك» .

[٤] في ص، ل: «الاصفهسارية» .." (١)

"ومنع/ الصلاة فحمل الغلام ووكل به، ثم أطلق وعادت الفتن، وكثر القتل ومنع أهل سوق يحيى حمل الماء من دجلة إلى أهل باب الطاق والرصافة، وخذل الأتراك والسلطان في هذه الأمور حتى لو حاولوا دفع فساد زاد، وملك العيارون البلد.

وفي مستهل صفر: زاد ماء المد في دجلة البصرة حتى علا على الضياع نحو ذراعين، وسقط بالبصرة في هذا اليوم وليلته أكثر من ألفي دار.

وفي شعبان: وصل كتاب من الأمير مسعود بن محمود بن سبكتكين بفتح فتحه بالهند ذكر فيه أنه قتل من القوم خمسين ألفا، وسبى سبعين ألفا، وغنم منهم ما يقارب ثلاثين ألف ألف درهم، فرجع وقد أفسد الغزو بلاده فأوقع بهم وفتح جرجان وطبرستان.

[ووثب] [١] أبو الحسن بن أبي البركات بن ثمال الخفاجي على عمه فقتله وأقام بإمارة بني خفاجة.

ثم اشتد أمر العيارين وكاشفوا بالإفطار في رمضان، وشرب الخمر وارتكاب الفجور.

وفي شوال: وقع **حريق** في وسط العطارين أحترق فيه عدة دور ودكاكين ومخازن، ونهب العيارون من أموال الناس وما كانوا يحصلونه من منازلهم [٢] وخانباراتهم ما يزيد على عشرة آلاف دينار، وكانت النهابة تنقل النار من موضع إلى موضع، فتجعل ذلك طريقا إلى النهب، وعاد القتال بين أهل المحال، وكثرت العملات وأعيا الخرق على الراقع، وقال الملك: أنا أركب بنفسي في هذا الأمر.

ولم يحج الناس في هذه السنة من خراسان ولا العراق.

كر من توفي في هذه السنة [٣] من الأكابر

٣١٨٨- أحمد بن كليب الأديب الشاعر

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٧٥/١٥

: [٤]

أخبرنا عبد الله بن المبارك الحافظ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر

---

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.

[٢] في الأصل: «كانوا يحصلونه في منازلهم» .

[٣] بياض في ت.

[٤] انظر ترجمته في: (الكامل ٨/ ٢١٧، والبداية والنهاية ١٢/ ٣٨) .." (١)

"عندهم كالقطع على أنه يعلم الغيب. قال ومما فعل أخذ عصفورا وجعل في رجله بلفكا وشد في البلفك كتابا لطيفا وشد في رجل حمامة بلفكا وشد في طرف البلفك كتابا أكبر من ذلك وجعلها بين يديه وجعل العصفور بيد غلام له في سطح داره والحمامة بيد آخر وبعث طائرين برقعتين إلى بقعتين معروفتين يمر بهما الأصحاب المنتدبون لهذا فلما تكامل مجلسه بمن يدخل عليه قال يا بارش يوهم أنه يخاطب شيطانا اسمه بارش خذ هذا الكتاب إلى قرية فلان فقد جرت بينهم خصوم فاجتهد في إصلاح ذات بينهم ويرفع صوته بذلك فيسرح غلامه المترصد لكلامه العصفور الذي في يده فيرتفع الكتاب بحضور الجماعة نحو السماء فيرونه عيانا من غير أن تدرك عيونهم البلفك فإذا ارتفع الكتاب نحو السطح جذبه غلامه فقيد العصفور وقطع البلفك حتى لا يرى ويرسل طائرا إلى [ملك] [١] القرية ليصلح الأمر وكذلك يفعل في الحمامة ويتحقق هذا في القلوب فلا يبقى شك.

[حضور قاضي القضاة/ ابن ماكولا والقضاة والشهود والفقهاء والأعيان بيت النوبة]

وفي يوم الخميس ثالث ذي القعدة: حضر قاضي القضاة/ ابن ماكولا والقضاة والشهود والفقهاء والأعيان بيت النوبة وخرج رئيس الرؤساء ومعه توقيع من الخليفة تشريف قاضي القضاة وتحميله فقرأه رئيس الرؤساء رافعا به صوته.

وفي يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة: قبل قاضي القضاة أبو عبد الله الحسين بن علي شهادة أبي نصر عبد السيد بن محمد بن الصباغ.

[عود الفتنة بين أهل الكرخ والقلائين]

وفي ذي القعدة: عادت الفتنة بين أهل الكرخ والقلائين واحترقت دكاكين وكتبوا على مساجدهم محمد وعلي خير البشر وأذنوا حي على خير العمل وشرع في رد أبي محمد بن النسوي إلى النظر في المعونة.

وفي يوم الخميس لخمس بقين من ذي القعدة: حمل أهل القلائين على أهل الكرخ حملة هرب منها النظارة من الناس ودخل كثير منهم في مسلك ضيق فهلك من النساء نيف وثلاثون امرأة وستة رجال وصبيان وطرحت النار في الكرخ [وعادوا في بناء الأبواب والقتال.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٤٦/١٥

---

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.." (١)

"ذلك كان من يدخل هذه الدار يموت، ومن كان مع امرأة حراما ماتا من ساعتهما، وكل مسلمين بينهما هجران وأذى فلم يصطلحا ماتا معا، ومن دخل الدار ليأخذ شيئا مما قد تخلف فيها وجدوا المتاع معه وهو ميت.

ومات رجل كان مقيما بمسجد فخلف خمسين ألف درهم، فلم يقبلها أحد، ووضعت في المسجد تسعة أيام بحالها، فدخل أربعة أنفس ليلا إلى المسجد وأخذوها فماتوا عليها. ويوصي الرجل الرجل فيموت الذي أوصى إليه قبل الموصى، وخلت أكثر المساجد من الجماعات.

وكان أبو محمد عبد الجبار بن محمد الفقيه معه سبعمائة متفقه فمات وماتوا سوى اثني عشر من الكل.

ودخل رجل على ميت وعليه لحاف فأخذه، فمات ويده في [طرف] [١] اللحاف وباقيه على الميت.

ودخل دبيس بن علي بلاده فوجدها خرابا لا أكار بها ولا عالمة [٢] ، حتى إنه أنفذ رسولا إلى بعض النواحي، فلقيه جماعة فقتلوه وأكلوه. وجمع العميد أبو نصر الناس من الطرقات للعمل في دار المملكة، وفيهم الهاشميون، والقضاة، والشهود، والتجار، فكانوا يحملون اللبن على أكتافهم وأيديهم عدة أسابيع.

وفي يوم الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة: **احترقت** قطيعة عيسى، وسوق الطعام، والكبش، وأصحاب السقط، وباب الشعير، وسوق العطارين، وسوق ١٠/ أالعروس، / وباب العروس [٣] ، والأنماط، والخشابين، والجزارين، والنجارين، والصف، والقطيعة، وباب محول، ونهر الدجاج، وسويقة غالب، والصفارين، والصباغين، وغير ذلك من المواضع [والرواضع] [٤] .

---

[١] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٢] هكذا في جميع النسخ، ولعلها: «عاملة» .

[٣] «وباب العروس» سقطت من ص، ت.

[٤] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.." (٢)

"فحكى «نجدة» لقريش أن السلطان طغرلبك بهمذان في عساكر كثيرة، وهو بنية المسير إلى العراق متى لم يرد الخليفة إلى بغداد، فخاف قريش وارتاع، فابتاع جمالا عدة، وأصلح بيوتا كثيرة، وأنفذ إلى البرية من يحفر فيها ويعمرها ليدخلها، ثم أنفذ الكتاب الوارد إليه [١] مع «نجدة» إلى البساسيري ليدبر الأمر على مقتضاه، فأنفذ ٢٥/ ب البساسيري إلى بغداد، فأخذ دوابه/ وجماله ورحله إلى مقره بواسط، وكاتب أهله يطيب نفوسهم ويقول: متى صح عزم هذا الرجل على قصد العراق سرت إليكم وأخذتكم، فلا تشغلوا قلوبكم.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣٣٥/١٥

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٨/١٦

وتقدم بأن يسلخ ثور أسود ويؤخذ [٢] جلده فيكسى به رمة أبي القاسم ابن المسلمة، ويجعل قرناه على رأسه وفوقهما طرطور أحمر، ففعل ذلك.

ثم أجاب البساسيري إلى عود الخليفة، وشرط في ذلك شروطا منها: أن يكون هو النائب على باب الخليفة، والخادم دون غيره، ورد خوزستان، والبصرة إليه علي قديم عادته، وأن يخطب ﻟ لخليفة فقط دون أن يشاركه في الخطبة ركن الدين، وبعث مع رسل السلطان طغرلبك إلى الخليفة من يتولى إحلاف الخليفة له على ما اشترط، وعرف البساسيري قرب السلطان، فكاتب أصحابه بالبصرة ليصعدوا إليه ليقصد بغداد، فأعجل الأمر عن ذلك وانحدر حرم البساسيري وأولاده وأصحابهم وأهل الكرخ والمتشبهون في دجلة، وعلى الظهر وبلغت أجرة السمارية إلى النعمانية عشرة دنانير، ونهب الأعراب والأكراد أكثر المشاة، ولما وصل السائرون على الظهر إلى صرصر غرق في عبورهم قوم منهم، وبقى أكثر العامة [٣] لم يعبروا، فعطف عليهم بنو شيبان فنهبوهم، وقتلوا أكثرهم، وعروا نساءهم، وتقطعت قطعة منهم في السواد، وكان خروج أصحاب البساسيري في اليوم السادس من ذي القعدة، وكذلك كان دخولهم إلى بغداد في سادس ذي القعدة، وكان تملكهم سنة كاملة، وثار الهاشميون وأهل باب البصرة إلى الكرخ فنهبوها وطرحوا النار في أسواقها ودروبها، **واحترقت** دار الكتب التي وقفها

---

[١] «إليه» سقطت من ص، ت.

[٢] في الأصل: «ويسلخ» .

[٣] في ص: «وبقي أكثرهم لم يعبروا» .." (١)

"وكان السبب أن الدار التي وقفها سابور الوزير بين السورين **احترقت**، ونهب أكثر ما فيها، فبعثه الخوف على ذهاب العلم أن وقف هذه الكتب.

وفي شعبان: ملك محمود بن نصر حلب والقلعة، فمدحه ابن أبي حصينة فقال:

صبرت على الأهوال صبر ابن حرة ... فأعطاك حسن الصبر حسن العواقب

وأتعبت [١] نفسا يا ابن نصر نفيسة ... إلى أن أتاك النصر من كل جانب

وأنت امرؤ تبني العلى غير عاجز ... وتسعى إلى طرق الردى غير هائب

تطول بمحمود بن نصر وفعله ... كلاب كما طالت تميم بحاجب

وعاد طغرلبك إلى الجبل في هذه السنة بعد أن عقد بغداد وأعمالها على أبي الفتح المظفر بن الحسين العميد في هذه السنة بمائة ألف دينار، ولسنتين بعدها بثلاثمائة ٣٣/ ب ألف دينار، فشرع العميد في عمارة سوق الكرخ/، وتقدم إلى من بقي من أهلها بالرجوع إليها، ونهاهم عن العبور إلى الحريم والتعايش [٢] فيه، وابتدأت العمارة ثم تزايدت مع الأيام حتى عاد السوق كما كان دون الدروب والخانات. والمساكن.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٤٨/١٦

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٣٣٦٩- باي [٣] بن جعفر بن باي، أبو منصور الجيلي الفقيه

: [٤]

أخبرنا القزاز، أخبرنا الخطيب قال: سكن باي بغداد، ودرس فقه الشافعي على أبي حامد الأسفراييني، وسمع من أبي الحسن بن الجندي، وأبي القاسم الصيدلاني، وعبد الرحمن بن عمر بن حمة الخلال، كتبنا عنه وكان ثقة، وولى القضاء بباب الطاق وبحريم دار الخلافة، ومات في المحرم سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة.

---

[١] في الأصل: «وأرهيت» .

[٢] في الأصل: «التعيسن» .

[٣] في الأصل، ص: «بالي بن جعفر بن بالي» . وفي ت: «بابي» .

وفي البداية والنهاية ١٢/ ٨٥ لم يورد المؤلف اسمه بل أورد كنيته فقال: «أبو منصور الجيلي» .

وما أثبتناه هو ما في تاريخ بغداد ٧/ ١٣٦.

[٤] انظر ترجمته في: (تاريخ بغداد ٧/ ١٣٦. والبداية والنهاية ١٢/ ٨٥. والكامل ٨/ ٣٥٣) .." (١)

"وأهلكت جماعة، وخسفت بعدة قرى، وخرج الناس إلى الصحراء وأقاموا هناك.

وفي يوم الأحد تاسع جمادى [الآخرة] [١] : خلع على فخر الدولة أبي نصر بن جهير بعد أن شافهه بما طاب قلبه ورفع من مرتبته.

وفي هذا اليوم: عند مغيب الشمس وقع حريق بنهر معلى في دكان خباز، فاحترق ٤٩/ ب من باب الجديد إلى آخر السوق الجديد/ في الجانبين، وتلف من المال والعقار ما لا يحصى، ونهب الناس بعضهم بعضا، وكان الذي احترق مائة دكان وثلاثة دور.

وفي شعبان: وقع قتال في دمشق فضربوا دارا كان مجاورا للجامع بالنار، فاحترق جامع دمشق.

وفي شعبان: ذكر رجل من أهل سوق يحيى يقال له: أخو جمادى، وكانت يده اليسرى قد خبثت وأشرف على قطعها أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه كأنه يصلي في مسجد بدرب داود، فدنا منه وأراه يده، وسأله العافية، فأمر يده عليها فأصبح معافى، وانثال الناس لمشاهدته، وكان يغمس يده في الماء فيقتسمونه، وستأتي قصته مستوفاة في السنة التي مات فيها إن شاء الله تعالى.

ورخصت الأسعار في هذه السنة رخصا متفاحشا [٢] حتى صار الكر الجيد من الحنطة بعشرة دنانير.

وفي ليلة الأحد لأربع بقين من شعبان: انقض كوكبان كان لأحدهما ضوء كضوء القمر، وتبعهما في نحو ساعة بضعة عشر كوكبا صغارا إلى [نحو] [٣] المغرب.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٦٢/١٦

وفي رمضان: نقص الماء من دجلة فاستوعبه القاطول، وتعلق نهر الدجيل عليه، فهلكت الثمار، وزادت الأسعار، وامتنعت السفن من عكبرا وأوانا من الانحدار، فكان أقوام يعبرون إلى أوانا بمداساتهم على الآجر، وغارت المياه في الآبار ببغداد.

وفي هذا الشهر: كسي جامع المنصور، وفرش بالبواري، فدخل فيه أربع

---

[١] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، ومكانها بياض في ص.

[٢] في ص: بينا» .

[٣] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.." (١)

"[هبوب ريح حارة]

وفي شعبان: هبت ريح حارة فقتلت بضعة عشر نفسا كانوا مصعدين من واسط، وخيلا كثيرة، وأهلكت ببغداد شجر الأترج والليمون.

[احتراق تربة معروف الكرخي]

وفي ليلة الأحد سلخ [١] شعبان، **احترقت** تربة معروف الكرخي، وكان السبب أن ٥٢/ ب القيم بها كان مريضا فطبخ له شعير، فبعدت النار/ إلى خشب وبواري هناك، وارتفعت إلى السقوف، فأتت على الكل **فاحترقت** القبة والساباط، وجميع ما كان، ثم أمر القائم بأمر الله بعمارة المكان.

[لحق الدواب موتان]

وفي شوال: لحق الدواب موتان، وانتفخت رءوسها وأعينها، حتى كانوا يصيدون حمر الوحش بأيديهم فيعافون أكلها، ووقع عقيب [٢] ذلك بنيسابور وأعمال خراسان الغلاء الشديد، والوباء المفرط، وكذلك بدمشق، وحلب، وحران.

وفي هذه السنة: قبل قاضي القضاة [أبو عبد الله] [٣] الدامغاني شهادة الشريف أبي الحسن محمد بن علي بن المهتدي، وأبي طاهر عبد الباقي بن محمد البزار.

وفي يوم السبت عاشر ذي القعدة: جمع العميد أبو سعد القاضي الناس على طبقاتهم إلى المدرسة النظامية التي بناها نظام الملك ببغداد للشافعية، وجعلها برسم أبي إسحاق الشيرازي بعد أن وافقه على ذلك، فلما كان يوم اجتماع الناس فيها وتوقعوا مجيء أبي إسحاق فلم يحضر، فطلب فلم يظهر، وكان السبب أن شابا لقيه فقال: يا سيدنا، تريد تدرس في المدرسة؟ فقال: نعم، فقال: [و] [٤] كيف تدرس في مكان مغصوب؟ فغير نيته فلم يحضر، فوقع العدول إلى أبي نصر بن الصباغ فجعل مكانه، وضمن له أبو منصور بن يوسف أن لا يعدل عنه، ولا يمكن أبو إسحاق من الإفساد عليه، فركن إلى قوله فجلس، وجرت مناظرة وتفرقا، وأجرى للمتفقهة لكل واحد أربعة أرطال خبز كل يوم، وبلغ نظام الملك فأقام القيمة على العميد، وظهر أبو إسحاق في مسجد

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٩٦/٦١

[١] في الأصل: «ثالث» .

[٢] في الأصل: «عقب» .

[٣] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٤] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.." (١)

"معرفة حسنة بالرجال والمتون، غزير الديانة، سمع أبا الحسين بن المهتدى، وجابر بن ياسين، وابن النقور وغيرهم، وقال الحق، فإن الحاكم كان متشيعا ظاهر التشيع، والآخران كانا يتعصبان للمتكلمين والأشاعرة، وما يليق هذا بأصحاب الحديث، لأن ٦٧/ ألحديث جاء في ذم الكلام، وقد أكد الشافعي في هذا حتى/ قال: رأيي في أصحاب الكلام [١] أن يحملوا على البغال ويطاف بهم.

وكان للخطيب شيء من المال، فكتب إلى القائم بأمر الله: إني إذا مت كان مالي لبيت المال، وإني استأذن أن أفرقه على من شئت. فأذن له ففرقه على أصحاب الحديث، وكان مائتي دينار، ووقف كتبه على المسلمين، وسلمها إلى أبي الفضل، فكان يعزها، ثم صارت إلى ابنه الفضل فاحترقت في داره.

ووصى الخطيب أن يتصدق بجميع ما عليه من الثياب، وكان يقول: شربت ماء زمزم لثلاث [٢] : على نية أن أدخل بغداد، وأروى بها التاريخ، وأن أموت بها وأدفن إلى جنب [٣] بشر بن الحارث، وقد رزقني الله تعالى دخولها، ورواية التاريخ بها، وأنا أرجو الثالثة، وأوصى أن يدفن إلى جانب بشر.

توفي ضحوة نهار يوم الاثنين سابع ذي الحجة من هذه السنة في حجرة كان يسكنها بدرب السلسلة في جوار المدرسة النظامية، وحمل جنازته أبو إسحاق الشيرازي، وعبر به على الجسر، وجازوا به في الكرخ [٤] ، وحمل إلى جامع المنصور، وحضر الأماثل والفقهاء والخلق الكثير، وصلى عليه أبو الحسين بن المهتدى، ودفن إلى جانب بشر، وكان أحمد بن علي الطريثيثي قد حفر هناك قبرا لنفسه، فكان يمضي إلى ذلك الموضع ويختم فيه القرآن عدة سنين، فلما أرادوا دفن الخطيب هناك منعهم، وقال: هذا قبري أنا حفرته وختمت فيه القرآن عدة دفعات [٥] ولا أمكنكم. فقال له أبو

---

[١] في الأصل: «الحديث» .

[٢] «لثلاث» سقطت من ص، ت.

[٣] في ص: «أدفن بجنب» .

[٤] في الأصل: «وعبر به على الكرخ وجاوز به في الجسر» .

[٥] في ص: «وختمت فيه ختمات» .." (٢)

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٠٢/١٦

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٣٤/١٦

"وأذهبت اثنان وثمانون دكانا غير الدور، ثم وقعت نار في المأمونية، ثم في الظفرية، ثم في درب المطبخ، ثم في دار الخليفة، ثم في حمام السمرقندي، ثم في باب الأزج، ثم في درب فراشة، ثم في الجانب الغربي من نهر طابق، ونهر القلائين والقطيعة، ونهر البوابين، وباب البصرة.

وورد الكتاب أنه وقع **الحريق** بواسط في تسعة مواضع، **واحترقت** أربع وثمانون دارا وست خانات سوى الحوانيت اللطاف، وآدر ليس عندها نار فذهب الفكر.

وفي عيد الأضحى: قطعت الخطبة العباسية والسلطانية من مكة، وأعيدت/ ٨٤/ أالخطبة المصرية، وكان مدة الخطبة العباسية بها أربع سنين وخمسة أشهر، وسبب ذلك أن صاحب مصر قوى أمره، فتراجع الناس إلى مصر، ورخصت الأسعار واتفقت وفاة السلطان ووفاة الخليفة وخوف أمير مكة واجتمع إليه أصحابه فقالوا: إنما سلمنا هذا الأمر لبني العباس [١] لما عدمنا المعونة من مصر، ولما رجعت إلينا المعونة فإنا لا نبتغي بابن عمنا بدلا، فأجابهم الأمير على كره، وفرق المال الذي بعث، وردت الأسماء المصرية التي كانت قلعت من قبة المقام.

وفي هذه السنة: جلت السوادية من أسافل دجلة، وهلك أكثرهم بالوباء وجفلوا من نهر الملك بنسائهم وأولادهم وعواملهم، فمنهم من التجأ إلى واسط، ومنهم من عبر النهروانات، ومنهم من قصد طريق خراسان لنقصان الفرات نقيصة قل أن يتحدث بمثلها.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٣٤٤٠-[الحسن] [٢] بن عبد الودود بن عبد المتكبر بن المهتدي، أبو علي الهاشمي [٣].

---

[١] في الأصل: «لبني العباس» .

[٢] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٣] في ص: «أبو علي الشامي» .." (١)

"الخزانة وهي اثنا عشر صندوقا من فضة، وبين يديها ثلاثة وثلاثون فرسا، والخدم والأمراء بين يدي ذلك.

فلما كانت عشية الجمعة سلخ محرم ركب الوزير أبو شجاع إلى خاتون زوجة السلطان فقال: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ٤: ٥٨ [١] وقد أذن في نقل الوديعة إلى الدار العزيزة. فقالت: السمع والطاعة للمراسم الشريفة [٢] ، فجاء نظام الملك وأبو سعد المستوفي والأمراء وكل واحد معه الأمناء الكثيرة [٣] ، ثم جاءت خاتون الخليفة من وراء ذلك كل في محفة مرصعة بالجوهر وقد أحاط عجفتها مائتا جارية من خواصها ١٣٠/ ب بالمراكب العجيبة، فوصلت إلى الخليفة فأهديت إليه تلك الليلة.

فلما كان يوم السبت مستهل صفر صبيحة البناء أحضر الخليفة عسكر السلطان على سماط استعمل فيه أربعون ألفا منا

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٦٧/١٦

سكرا، وخرج السلطان ليلة الزفاف إلى الصيد على عادة الملوك فغاب ثلاثة أيام.

[تقدم السلطان بالنداء لا حريم إلا لأمير المؤمنين]

وفي خامس صفر: تقدم السلطان بالنداء في سوق المدرسة: لا حريم إلا لأمير المؤمنين، وهذا الموضع داخل في حريمه.

وفي هذا اليوم: هرب تركي إلى دار الخليفة من أجل أنه أخذ صبيا فأدخل في دبره دبوسا فمات، فسلمه الخليفة إلى أصحاب الملك فصلب.

وفي نصف صفر: خرج ملك شاه من بغداد نحو أصفهان ومعه نظام الملك، وخرج الوزير أبو شجاع فودعه بالنهروان.

[ولد للسلطان ولد سماه محمودا]

وفي هذا الشهر: ولد للسلطان ولد سماه محمودا، وهو الذي خطب له بالمملكة بعده، وحضر الناس صبيحة ذلك اليوم فحملوا الأموال، وجلس للتهنئة، ونفذ إليه الموكب يهنئه.

[وقع حريق في أحطاب جمعت لشواخير الآجر]

وفي ربيع الأول: وقع حريق في أحطاب جمعت في أشهر لشواخير الآجر

---

[١] سورة: النساء، الآية: ٥٨.

[٢] في الأصل: «للمراسيم الشريفة»

[٣] في الأصل: «معه الأضواء الكثيرة»." (١)

"وفي النصف من ربيع الأول: توجه السلطان خارجا إلى أصفهان، وخرج صحبته الأمير أبو الفضل بن المقتدي.

[وقوع حريق بنهر معلى]

وفي يوم الثلاثاء تاسع جمادى الأولى: وقع الحريق بنهر معلى في الموضع المعروف بنهر الحديد إلى خرابة الهراس/ وإلى باب دار الضرب، واحترق سوق الصاغة، والصيارف، والمخلطيين، والريحانيين من الظهر إلى العصر، وهلك خلق كثير من الناس، ومن جملتهم الشيخ مالك البانياسي المحدث، وأبو بكر بن أبي الفضل الحداد، وكان من المجودين في علم القرآن، وأحاطت النار بمسجد الرزاقين ولم يحترق، وتقدم الخليفة إلى عميد الدولة أبي منصور بن جهير، فركب وو وقف عند مسجد ابن جردة، وتقدم بحشر السقاءين والفعلة، فلم يزل راكبا حتى طفئت النار.

وفي مستهل رمضان: توجه السلطان من أصفهان إلى بغداد بنية غير مرضية، ذكر عنه أنه أراد تشعيث أمر المقتدي، وكان معه النظام، فقتل النظام في عاشر رمضان في الطريق، ووصل نعيه إلى بغداد في ثامن عشر رمضان، فلما قارب السلطان بغداد خلع المقتدي على وزيره عميد الدولة أبي منصور تشرفا له وجبرا لمصابه بنظام الملك، فإنه كان يعتضد به [١] ، وهو الذي سفر له في عوده إلى منصبه، وكان عميد الدولة قد تزوج بنت النظام، فخرج في الموكب للتلقي يوم الخميس ثاني عشرين رمضان، وسار إلى النهروان، وأقام إلى العصر من يوم الجمعة، ودخل ليلة السبت [ودخل السلطان

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٦٩/١٦

إلى دار المملكة يوم السبت] [٢] ومنع تاج الملك العسكر أن ينزل في دار أحد وركب عميد الدولة وأربها معه إلى دار السلطان، فهنأه عن الخليفة بمقدمة وبعث السلطان إلى الخليفة يقول: لا بد أن تترك لي بغداد وتنصرف إلى أي البلاد شئت، فانزعج الخليفة من هذا انزعاجا شديدا، ثم قال: أمهلني شهرا. فعاد الجواب: لا يمكن أن تؤخر ساعة. فقال الخليفة لوزير السلطان: سله أن يؤخرنا عشرة أيام. فجاء إليه فقال: لو أن رجلا من العوام أراد أن ينتقل من دار تكلف/ للخروج، فكيف بمن يريد أن ينقل أهله ١٤٤/ ب ومن يتعلق به، فيحسن أن تمهله عشرة أيام. فقال: يجوز. فلما كان يوم عيد الفطر صلى

---

[١] في الأصل: «كان يقتدي به»

[٢] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.." (١)

"يعرض لدار بنته ورحلها، [والله المعين] [١] .

وفي ربيع الآخر: رأى بعض اليهود مناما: أنهم سيطيرون فجاء فأخبرهم فوهبوا أموالهم وذخائرهم وجعلوا ينتظرون الطيران فلم يطيروا، فصاروا ضحكة بين الأمم.

وفي ثالث عشر شعبان: ولي أبو الحسن الدامغاني قضاء القضاة، ولاه الوزير عميد الدولة شفاها، وتقدم بإفاضة الخلع في الديوان، وعبر بنهر القلائين ومعه النقيبان وحجاب الديوان، وأتي محلته والفتنة قائمة فسكنت، فجلس وحكم، وولي أخاه أبا جعفر القضاء بالرصافة، وباب الطاق، ومن أعلى بغداد إلى الموصل، وغيرها من البلاد، بعد أن قبل شهادته، وكانت الفتنة بين أهل نهر طابق وأهل باب الأرحاء، فاحترقت نهر طابق وصارت تلولا، فلما احترقت نهر طابق عبر يمن وصاحب الشرطة، فقتل رجلا مستورا، فنفر الناس عنه، وعزل في اليوم الثالث من ولايتة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٣٦٤٥- عبد الله المقتدي بالله، أمير المؤمنين

: [٢]

٧/ أتوفي فجأة ليلة/ السبت خامس عشر محرم هذه السنة، وكان عمره ثمانيا وثلاثين سنة [٣] وثمانية أشهر وسبعة أيام، وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر إلا يومين.

٣٦٤٦- خاتون

: [٤]

زوجة السلطان ملك شاه، تسمى تركان وهي بنت طراج، وأبوها من نسل أفراسياب ملك الفرس، وكانت حازمة حافظة شهمة، وكان معها من الأتراك إلى حين وفاتها عشرة آلاف، وقد ذكرنا كيف زمت الأمور حين وفاة السلطان وحفظت أموال السلطان فلم يذهب منها شيء، وهي صاحبة أصبهان باشرت الحروب ودبرت الجيوش وقادت العساكر، وتوفيت

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٩٩/١٦

في رمضان هذه السنة، فانحل أمر ابنها محمود بموتها، وعقد الأمر لبركيارق بن ملك شاه.

---

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.

[٢] انظر ترجمته في: (الكامل ٨/ ٤٩٣، والبداية والنهاية ١٢/ ١٤٦، وشذرات الذهب. ٣٨، ٣٨١) .

[٣] في ص، والمطبوعة: «ثمانيا وعشرين سنة» .

[٤] انظر ترجمتها في: (البداية والنهاية ٢/ ١٤٨) .." (١)

"[زيادة أمر العيارين]

وفي شعبان: زاد أمر العيارين بالجانب الغربي حتى أخذوا عيبتين ثيابا لقاضي القضاة أبي عبد الله [١] الدامغاني فلم يردوهما إلا بعد تعب.

وتقدم الخليفة إلى الأمير يمن بتهذيب البلد، فعبر الأمير في ثالث عشرين شعبان، فأخذ جماعة منهم فقتلهم.

ومن عجيب ما اتفق: أن رجلا من العيارين أعور هرب، وأخذ على رأسه سلة [٢] فيها خزف، ولبس جبة صوف، وخرج قاصدا للدجيل ليخفي حاله، فاتفق أن خادما للخليفة خرج ليتصيد، فكان يتطير بالعور، فلقيه أعوران فتطير بهما، فرأى غلمانه هذا العيار، فصاحوا به ونادوا أستاذهم ليقولوا له هذا ثالث، فظن العيار أنهم قد عرفوه، فدخل مزرعة، فارتابوا بهربته وجدوا في طلبه، فأخذوه ومعه سيف تحت ثيابه، فبحثوا عن حاله فعرفوه فقتلوه.

[كثرة الجرف بالعراق]

٢٣/ أوفي آخر شعبان: كثر الجرف بالعراق/ والوباء، وامتنع القطر، وزاد المرض، وعدمت الأدوية والعقاقير، ورئي نعش عليه ستة موتى، ثم حفر لهم زبية فألقوا فيها.

[حريق بخرابة ابن جردة]

وفي هذا الشهر: وقع حريق بخرابة ابن جردة، فهلك معظمها، وكانت الريح عاصفة فأطارت شرارة فأحرقت دارا برحبة الجامع، وأخرى فأحرقت ستارة دار الوزير بباب العامة.

[القبض على الوزير عميد الدولة]

وفي رمضان: قبض على الوزير عميد الدولة، وعلى إخوته زعيم الرؤساء أبي القاسم وأبي البركات بن جهير الملقب بالكافي راسله الخليفة بأبي نصر بن رئيس الرؤساء، ويمن، فلما خرج من الديوان معهما قدم عليه المركوب وقد أحسن بما يراد منه، فقال: أنا أساويكما في المشي.

[قتل شحنة أصبهان]

وفي ليلة السابع والعشرين من رمضان: قتل شحنة أصبهان في دار السلطان محمد، قتله باطني، وقد كان يتحرز منهم ويلبس درعا تحت ثيابه، فأغفل تلك الليلة

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٤/١٧

[١] كذا في الأصول.

[٢] في ص: «على رأسه سكة» .." (١)

"ألف دينار وبضعة عشر ألف دينار ثم لم يف محمد فعوود، وجرى عليه المكروه.

وفي رجب: قبل قاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني شهادة أبي الحسين وأبي خازم ابني القاضي أبي يعلى بن الفراء.

وفي هذه السنة: قدم إلى بغداد أبو المؤيد عيسى بن عبد الله الغزنوي ووعظ في الجامع وأظهر المذهب الأشعري ومال معه صاحب المخزن ابن الفقيه فوقعت فتنة وجاز يوما من مجلسه ماضيا إلى منزله برباط أبي سعد الصوفي، فرجم من مسجد ابن جردة فارتفع بذلك سوقه وكثر أصحابه، وخرج من بغداد في ربيع الآخر سنة ست وتسعين، كفانت إقامته سنة وبعض أخرى.

وفي رابع رمضان: استوزر للمستظهر أبو المعالي الأصفهاني، وعزل في رجب سنة ست وتسعين، واعتقل في الحبس أحد عشر شهرا ثم أطلق.

[القبض على أبي المعالى هبة الله بن المطلب]

وفي العشرين من رمضان، قبض على أبي المعالى هبة الله بن المطلب، ورتب مكانه أبو منصور نصر بن عبد الله الرجي، ثم قبض عليه في السنة الآتية وأعيد أبو المعالي بن المطلب.

[وقوع نار بنهر معلى]

وفي ذي القعدة: وقعت نار بنهر معلى فأحرقت ما بين درب سرور إلى درب المطبخ طولا وعرضا، وكان سببها أن بعض الكناسين وضع سراجه في أصل شريجة قصب فأكلها **فاحترقت** أموال عظيمة.

وفي ذي الحجة بعث كتاب من الخليفة إلى صدقه، وقد لقب بملك العرب.

وفي ذي الحجة: قتل رجل امرأة لسيدة الذي يخدمه على هدى منه لها، وذلك أنها ضربته في سيده فقتلها وأمكنه أن يهرب فلم يفعل، ونادى: يا معشر الناس أما فيكم من يقتلني فإني قتلت هذه المرأة ولا عذر لي في مقامي بعدها، قالوا: أنا نخاف من هذه السكين التي بيدك، فألقى إليهم السكين فحملوه إلى باب النوبي، فأقر بالقتل فاحضر زوج المرأة معه إلى رحبة الجامع، فأعطى سيفا فضرب به رأس القاتل وأبانه أذرعا في ضربة واحدة.

[تعمير صدقة بن منصور الحلة]

وفي هذه السنة: عمر صدقة بن منصور الحلة، وإنما كان ينزل هو وأبوه في البيوت القريبة.." (٢)

"وأطلق وزادت القتلى على ثلاثة آلاف، وأخذ من زوجته خمسمائة دينار وجواهر، وكانت الوقعة بعد صلاة الجمعة تاسع عشر رجب.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٥٤/١٧

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٧٦/١٧

[عزل أبي سعد ابن الحلواني]

وفي رمضان: عزل أبو سعد ابن الحلواني عن الحسبة، وعول على القاضي أبي العباس ابن الرطبي.

[عزل الوزير ابن المطلب]

وفي هذا الشهر عزل الوزير ابن المطلب، وعول على نقيب النقباء أبي القاسم وقاضي القضاة أبي الحسن في النيابة في الديوان والاشتراك في النظر، وقبض على الوكيل أبي القاسم بن الحصين، وحمل إلى القلعة ثم أعيد الوزير.

[عزل مهذب الدولة عن حجبة الباب]

وفي يوم الفطر: عزل مهذب الدولة أبو جعفر ابن الدامغاني عن حجبة الباب، واستنيب أبو العز المؤيدي.

وفي ذي الحجة: وقع حريق في خرابة ابن جردة وبقي مقدار منا بين الصلاتين، وذهب من العقار ما تزيد قيمته على ثلاثمائة ألف دينار، وتلفت نفوس كثيرة وتخلص قوم بنقوب نقبوها في سور المحلة، وخرجوا إلى مقابر باب أبرز، وكان هذا المكان قد احترق في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة وعمره أهله، ثم أتى عليه هذا الحريق، ثم عاد الحريق في عدة أماكن بدرب القيار وغيره مرارا متوالية فارتاع الناس لذلك وأقاموا على سطوحهم من يحفظها، ونصب بعضهم الخيم في أعاليها، وذلك في حر شديد، وأعدوا في السطوح حباب الماء وبقوا على ذلك أياما حتى تعطلوا عن معايشهم.

وظهر على جارية قوم أحبت رجلا فوافقته على المبيت في دار مولاها مستترا، وعول بأن يأخذ زنفليجة كانت هناك، فلما أخذها طرحا النار وخرجا، فأظهر الله تعالى أمرهما فافتضحا.

وظهر في هذه السنة صبية عمياء تتكلم في أسرار الناس، وبالغ الناس في التحيل لعلم حالها فلم يعلموا، قال ابن عقيل: وأشكل أمرها على العلماء والخواص والعوام حتى إنها كانت تسأل عن نقوش الخواتيم وما عليها وألوان الفصوص وصفات الأشخاص وما في دواخل البنادق من الشمع والطين من الحب المختلف والخرز، وبالغ أحدهم في ترك يده على ذكره فقيل لها: ما الذي في يده؟ فقالت: يحمله إلى أهله وعياله. وثبت." (١)

"وكان قد صادره السلطان على تسعمائة ألف دينار فأداها في نيف وعشرين يوما، ولم يبع فيها ملكا ولا عقارا.

٣٧٧٩- صاعد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو العلاء البخاري القاضي

[١] :

من أهل أصبهان، ولد بها في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، وسمع الحديث بها وببغداد ومكة، وتفقه على مذهب أبي حنيفة، وبرع حتى صار مفتي البلد، وكان متدينا.

وقتل في الجامع يوم الفطر من هذه السنة.

٣٧٨٠- عبيد الله بن علي [٢] ، أبو إسماعيل الخطبي:

قاضي أصفهان، قتله الباطنية بها.

٣٧٨١- عبد الواحد بن إسماعيل، بن أحمد بن محمد، أبو المحاسن الروياني

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٧/١٠٩

: [٣]

من أهل آمل طبرستان، ولد سنة خمس عشرة وأربعمائة، ورحل إلى الأقطار، وعبر ما وراء النهر، وسمع الحديث، واقتبس العلوم، وتفقه، وكان يحفظ مذهب الشافعي، ويقول: لو **احترقت** كتب الشافعي لأمليتها من حفظي، وله مصنفات في المذهب والخلاف.

توفي شهيدا مقتولا ظلما يوم عاشوراء هذه السنة بآمل في الجامع يوم الجمعة.

٣٧٨٢- محمد بن عبد الكريم بن محمد بن خشيش، أبو سعيد الكاتب

: [٤]

ولد سنة أربع عشرة وأربعمائة، وسمع أبا علي بن شاذان، وأبا الحسن بن مخلد وغيرهما، وروى عنه أشياخنا، وكان ثقة خيرا صحيح السماع، وتوفي في ذي القعدة من هذه السنة، ودفن بباب حرب.

---

[١] انظر ترجمته في: (شذرات الذهب ٤/ ٤، والكامل ٩/ ١٣٣) .

[٢] في ص: «عبد الله بن علي» .

وانظر ترجمته في: (شذرات الذهب ٤/ ٤،. والبداية والنهاية ١٢/ ١٧٠) .

[٣] الروياني: نسبة إلى رويان، وهي بلدة بنواحي طبرستان.

[٤] في ص: «أبو سعد الكاتب» .." (١)

"ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة

فمن الحوادث فيها:

أنه وقع في جمادى الأولى **حريق** عظيم في الريحانيين ومنظرة باب بدر، وهلك فيه عقار جليل.

قال المصنف: ورأيت بخط شيخنا أبي بكر بن عبد الباقي البزاز، قال: ورد إلى بغداد في يوم الخميس سابع عشر رجب من سنة ثمان وخمسمائة كتاب ذكر فيه: أنه كان في ليلة الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة من هذه السنة زلزله حدثت فوقع منها في مدينة الرها من سورها ثلاثة عشر برجا ووقع بعض سور حران، ووقعت دور كثيرة على عالم فهلكوا، وأنه خسف بسميساط، وخسف بموضع، وتساقط في بالس نحو مائة دار، وقلب بنصف القلعة وسلم نصفها.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٣٨٢٢- أحمد بن الحسن بن أحمد، أبو العباس المخلطي الدباس

: [١]

سمع أبا الحسن بن المهتدى [٢] ، والقاضي أبا يعلى ابن الفراء، وهو تلميذه وعليه تفقه، وأبا جعفر ابن المسلمة وغيرهم، وكان صالحا من أهل القرآن والستر والصيانة والثقة.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١١٣/١٧

[١] انظر ترجمته في: (شذرات الذهب ٤/ ٢٢) .

[٢] في الأصل: «أبا الحسين بن المهتدي» .." (١)

"ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة

فمن الحوادث فيها:

أنه تكاملت عمارة الدار التي استجدها بهروز الخادم من الدار السلطانية، وحمل إليها إعيان الدولة الفروش الحسنة والكسي الرائقة، واستدعى القراء والفقهاء والقضاة والصوفية فقرءوا فيها القرآن ثلاثة أيام متوالية.

ووقع **حريق** في قراح أبي الشحم في جمادي الأولى، فهلكت فيه آدر ودكاكين كثيرة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٣٨٣٠- إسماعيل بن محمد بن أحمد بن ملة، أبو عثمان بن أبي سعيد الأصبهاني

[١] :

سمع الكثير ووعظ، وقدم بغداد فحدث عن أبي بكر بن ريذة، وغيره [٢] وأملى بجامع المنصور ثلاثين مجلسا، وكان مستمليه شيخنا أبو الفضل بن ناصر، ولم يكن شيخنا أبو الفضل راضيا عنه، وقال: وضع حديثا وأملاه، وكان يخلط.

توفي بأصبهان في هذه السنة.

[١] انظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١٢/ ١٧٩، وفيه: «إسماعيل بن أحمد بن علي أبو عثمان ... » ، شذرات الذهب ٤/ ٢٣، والكامل ٩/ ١٦١) .

[٢] في الأصل: «أبي بكر بن زبدة وغيره» .." (٢)

"ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة

فمن الحوادث فيها:

[وقوع النار في حضائر الحطب]

أنه وقعت النار في حضائر الحطب، ودكاكين الحطب التي على دجلة [١] ، وأكلت النار الأعواد الكبار وجذوع النخل، وتطاير النار إلى دروب [٢] باب المراتب فأحرق كنائسها، **واحترقت** الدور التي بدرب السلسلة، والدور الشارعة على دجلة من جملتها دار نور الهدى أبي [طالب] [٣] الحسين بن محمد الزينبي، ورباط بهروز الذي بناه للصوفية، ودار الكتب التي بالنظامية إلا ان الكتب سلمت، وحملها الفقهاء إلى مكان يؤمن فيه من/ النار، وهذا **الحريق** كان بين العشائين.

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٤٠/١٧

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٤٣/١٧

٥٦/ ب

[إقامة السلطان ببغداد طول السنة]

وأقام السلطان طول السنة [٤] ببغداد، وقد كانت عادته المقام بباب همذان في زمان الصيف، وأجرى النهر البارع من نهر الجبل إليها، ورحل إلى النهروان وبعث إلى الخليفة [٥] بغلة وأربعة أرؤس من خيل، وألف دينار مغربية مثقبة، وخمسة أمناء كافور، ومثلها مسكا وأربعين ثوبا سقلاطون، وطلب من الخليفة شيئا من ملبوسه ولواء ومصحفا.

---

[١] في الأصل: «ودكاكين الحطب الذي على دجلة» .

[٢] في ص: «وتطاير الناس إلى دروب» .

[٣] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.

[٤] في الأصل: «وأقام السلطان أول السنة» .

[٥] في ص: «ونفذ إلى الخليفة بغلة» .." (١)

"ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

فمن الحوادث فيها:

[خطب للسلطان محمود بن محمد بن ملك شاه]

أنه خطب للسلطان محمود بن محمد بن ملك شاه أبى القاسم يوم الجمعة ثالث عشرين محرم.

[احتراق سوق الريحانيين]

وفي ربيع الآخر: احترقت سوق الريحانيين وسوق عبدون، وكان حريقا مشهودا وكان من عقد الحديد وعقد حمام السمرقندي إلى باب دار الضرب وخان الدقيق والصيارف.

[وفاة المستظهر بالله]

وفي هذا الشهر: توفي المستظهر بالله وولي ابنه المسترشد.

باب ذكر خلافة المسترشد بالله

/ واسمه الفضل، ويكنى أبا منصور، ومولده ليلة الأربعاء [١] رابع ربيع الأول سنة ٦٤/ أأربع وثمانين وأربعمائة، وقيل: خمس وثمانين، وقيل: ست وثمانين، وسمع الحديث من مؤدبه أبى البركات أحمد بن عبد الوهاب السيبي، ومن أبى القاسم على بن بيان وحدث، قرأ عليه أبو الفرج محمد بن عمر ابن الأهوازي وهو سائر في موكبه إلى الحلبة

---

[١] في ص، ط: «ومولده يوم الأربعاء» .." (٢)

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٤٥/١٧

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٦١/١٧

"الدولة أبو الحسن على بن هبة الله ابن الزوال، ووقع بذلك بالنظر في ديوان الزمام مضافا إلى ديوان الإنشاء.

[وقوع **حريق** في دار المملكة]

وفي عتمة يوم الأحد رابع جمادى الآخرة: وقع **الحريق** في دار المملكة، **فاحترقت** الدار التي استجدها بهروز الخادم، وكان السبب أن جارية كانت تختضب بالحناء في الليل، وقد أسندت الشمعة إلى خيش، فعلقت به النار، فما تجاسرت أن تنطق **فاحترقت** الدار، وكان السلطان نائما على السطح فنزل وهرب إلى سفينة، ووقف وسط دجلة، وقيل: أنه مضى إلى دار برنقش الزكوي، وذهب من الفرش والآلات والأواني واللؤلؤ والجوهر ما يزيد على قيمة ألف ألف دينار، وغسل غسالون التراب فظفروا بالذهب والحلي سبائك، ولم يسلم من الدار شيء ولا خشبة واحدة، وعاد السلطان إلى دار المملكة، وتقدم ببناء دار له على المسناة المستجدة، وأن تعمل آزاجا استظهارا، وأعرض عن الدار التي **احترقت**، وقال: إن أبي لم يتمتع بها ولا امتد بقاؤه بعد انتقاله إليها، وقد ذهبت أموالنا فيها فلا أريد عمارتها، ومضى الوزير ابن صدقة إليه مهنئا بسلامة نفسه.

[وصول الخبر **بحريق** جامع أصفهان]

ثم وصل الخبر من أصفهان بعد يومين **بحريق** جامع أصفهان، وأن ذلك كان في الليلة السابعة [والعشرين من ربيع الآخر] [١] قبل **حريق** الدار السلطانية بثمانية أيام، وهذا جامع كبير أنفقت الأموال في العمارة له، وكان فيه من المصاحف الثمينة نحو خمسمائة مصحف، من جملتها مصحف ذكر أنه بخط أبي بن كعب، **واحترقت** فيه ٨٠/ أأخشاب/ اعترم عليها زائد على ألف ألف دينار، وورد من أصفهان بعد ذلك القاضي أبو القاسم إسماعيل بن أبي العلاء صاعد بن محمد البخاري، ويعرف بابن الدانشمنده مدرس الحنفيين، وجلس في دار السلطان للوعظ في رمضان، وحضر السلطان وكافة أوليائه ثم اجتمع الشافعيون في دار الخلافة شاكين من هذا الوعظ، وذكروا أنه تسمح بذكر أصحابهم وغض منهم.

[قتل العيارين مسلحيا بالمختارة]

وقتل العيارون مسلحيا بالمختارة، فشكا الشحنة سعد الدولة إلى الديوان ما يتم

---

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.." (١)

"ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة

فمن الحوادث فيها:

أنه كان قد جرى في أواخر السنة الماضية كلام يتعلق بدار الضرب وشكا العمال [١] أنهم يخسرون، فنهض ابن **حريقا** وكذبهم، وقال: بل يربحون كثيرا، وعرض هذا الكلام على صاحب المخزن ابن طلحة فأراه عن ذلك [٢] ومنعه من الكلام فيه، فبلغ الخبر إلى المسترشد فأمر بحسابهم، فإذا ربحهم كثير، فظهر أن صاحب المخزن يعاونهم، وذكر أنه

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٧/١٩٤

كان يأخذ منهم كل شهر سبعين دينارا فثبت ذلك عليه، فأمر المسترشد بنقل النظر في ذلك إلى الديوان فانكسر صاحب المخزن بذلك كسرة عظيمة، وكان تمام ذلك في أول المحرم هذه السنة فصار صاحب المخزن يجلس ساعة في المخزن بعد أن كان يكون فيه معظم النهار، ولا يحضر باب الحجرة لما ظهر من ذلك عليه.

وخرج التوقيع إلى شرف الدين الوزير بأنك المعتمد عليه، والأمر ما تأمر به وأنت المختص بالثقة، فقوي جأشه بذلك.

وفي المحرم: تقدم الخليفة بحراسة الغلات وأوجب ذلك الغلاء، فصار كر الشعير باثني عشر دينارا.

---

[١] في ت: وشكا للعمال» .

[٢] في المطبوعة فلولاه عن ذلك.." (١)

"وقدم رسول سنجر فخلع عليه وهيئت خلع لسنجر بمائة ألف ونيف وعشرين ألف دينار، فرحل بها ابن الأنباري مع رسول سنجر في جمادى الآخرة، ثم بعث المسترشد إلى بهروز الخادم إلى القلعة يقول له: أنت مقيم ومعك الأموال، فينبغي أن تعطينا منها شيئا نفرقه على العسكر [١] ، فأبى، فبعث إليه عسكرا فحاصره [٢] ووقع القتال في أول شعبان، ثم صانع بإنفاذ مال.

وفي هذه الأيام حبس محمود المولد في ممطورة [٣] ، واتهم بأنه يكتب ملطفات [٤] .

وقدم البقش السلاحي طالبا للخدمة [٥] مع المسترشد، وهو من أكابر الأتراك، وخلع الخليفة على جميع الأمراء ثم عرض العسكر يوم عيد الفطر ونودي: لا يختلط بالعساكر أحد من العوام، ومن ركب بغلا أو حمارا في هذا اليوم أبيح دمه فما تجاسر/ أحد أن يفعل ذلك، وخرج الوزير شرف الدين وصاحب المخزن وقاضي القضاة ١٢٣/ ب ونقيب النقباء وأرباب الدولة في زي لم ير مثله من الخيل المجفجفة [٦] ، والعسكر اللابس والعدة الحسنة، وكل أمير يقبل في أصحابه بخلعة الخليفة فكان العسكر خمسة عشر ألف فارس سوى من كان غائبا عن البلد، ولم ير عيد خرج فيه [٧] أرباب المناصب إلا هذا.

وفي حادي عشر شوال: وقع **حريق** في خان السلسلة الذي عند باب دار الخليفة، فتلف مال لا يحصى، وسببه أن الخاني طبخ فعلقت النار بشيء وهو لا يعلم، فلما علم ظن أنه لا يقدر على إطفائه فلم يفتح الباب لأحد فاستوعب النار الكل.

---

[١] في الأصل: «تفرقه على العسكر» .

[٢] في الأصل: «فبعث اليه عسكر الخاصة» .

[٣] في الأصل: «في مطمورة» .

[٤] في الأصل: «يكبت مطالعات» .

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٦٩/١٧

[٥] في الأصل: «الصلاحي طالبا للخدمة» .

[٦] في الأصل: «من الخيل المخففة» .

[٧] في الأصل: «ولم يركب خرج فيه» .." (١)

"٤٠٠١- هبة الله بن عبد الله بن أحمد عبد الله، أبو القاسم الواسطي الشروطي

: [١]

من أهل الكرخ، ولد سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة، سمع أبا الغنائم بن المأمون، وأبا الحسين بن المهتدي، وأبا جعفر ابن المسلمة، وأبا بكر الخطيب، وكان ثقة صالحا فاضلا عالما مكثرا مقبلا على ما يعنيه.

توفي في ذي الحجة من هذه السنة.

٤٠٠٢- أم المسترشد بالله

: [٢]

توفيت وقت العتمة ليلة الاثنين تاسع عشر شوال هذه السنة، وأخرجت ليلا فدفنت في الرصافة [٣] .

١٢٧/ أومن العجائب أنه نفذ تلك الليلة/ إلى أبي القاسم بن السياف في معنى حاجة لأجل الميتة فنفذ معهم ابنا له صغيرا ليعطيهم حاجتهم، فدخلوا ومعهم نقاط فوقع من النفط في أعدال قطن فاحترقت، وحصل الصبي في الخزانة وحده، وأحاطت به النار فلم يجد محيصا فاحترق.

---

[١] انظر ترجمته في: (شذرات الذهب ٤/ ٨٦، وفيه: «هبة الله بن أحمد الواسطي الشروطي») .

[٢] في ت: «ومن العجائب بالله» وكتب فوق كلمة العجائب (ح) .

وانظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٧، والكامل ٩/ ٢٧٩) .

[٣] في ت: «في الرصافة. أم المسترشد أنه نفذ» . وكتب فوق «المسترشد» (م) .." (٢)

"بالمحال، [١] ورتب على كل محلة شحنة، وأقيم له نزل على أهل المحلة فضجوا وقالوا:

ما برحنا من العيارين.

[وفي يوم الأثنين رابع شوال: جاء مسعود في خمسة آلاف فارس على غفلة، وخرج الناس للقتال] [٢] .

[صلب اثنين من العيارين في درب الدواب]

وفي ثاني عشر شوال: صلب اثنان في درب الدواب من العيارين بسبب أنهما جبيا الدرب.

وفي ثامن عشرة: سد على باب السور الذي على باب السلطان بآجر وطين، وكان السبب أن العسكر خرجوا يطاردون فغدر منهم جماعة ومضوا إلى مسعود.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٨٣/١٧

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٩٠/١٧

وفي تاسع عشره: قبض على ابن كسبرة، وأخذ أخذة هائلة، ووكل به، وكبس بيته وأثبت جميع ما فيه، فلما كانت ليلة الأربعاء أخرج وقت ضرب الطبل، ونصبت له خشبة في الرحبة، وأخذ مع امرأة مسلمة كان يتهم بها وكانت مستحسنة، فجيء بحلة من قصب وجعلت المرأة فيها وضربها النفاط بالنار **فاحترقت** الحلة، وخرجت المرأة هاربة عريانة، فعفي عنها وقد نالها بعض **الحريق**، وقدم هو ليقتل وقيل للقاتل: اعرض عليه الإسلام، فقال: أخشى أن اقتل بعد ذلك، فأسلم فآمنوه.

وجاء ركابي لزنكي فأخذه العيارون فقتلوه فشكا ذلك زنكي، وقال: أريد أن أكبس الشارع والحريم على العيارين فأطلق في ذلك فنهب الشارع والحريم وأخذ ما قيمته خمسمائة ألف دينار من الأبريسم والثياب والذهب والفضة والمصاغ، وكان فيه ودائع أهل حنيفة والرصافة والمحال والقرى.

وفي غرة ذي القعدة: أحضر الغزنوي فنصب له منبر فتكلم عند السرادق وكان السبب ضيق صدر وجده أمير المؤمنين، [واستغاث الناس ليطلقوا في الخروج، فقيل لهم ينبغي أن تصرفوا نفقاتكم إلى الجهاد بين يدي أمير المؤمنين] [٣] ، ونفذ مسعود

---

[١] في ص: «شحنة وست شحنات بالمحال» .

[٢] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.

[٣] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.." (١)

"ثم مضى إلى داره وعاد الوزير إلى مسعود فأخبره بما جرى.

وفي جمادى الأولى في كانون الأول: أوقدت النيران على السطوح ببغداد ثلاث [ليال] [١] وضربت الدبادب والبوقات حتى خشي على البلد من **الحريق**، فنودي في الليلة الرابعة بإزالته.

[ورود الخبر بالوقعة التي جرت بين سنجر وبين كافر ترك]

وفي جمادى الآخرة: ورد الخبر بالوقعة التي جرت بين سنجر وبين كافر ترك، وكانت الوقعة فيما وراء النهر وبلغت الهزيمة إلى ترمذ وأفلت سنجر في نفر قليل فدخل إلى بلخ في ستة أنفس، وأخذت زوجته وبنت بنته زوجة محمود، وقتل من أصحاب سنجر مائة ألف أو أكثر، وقيل إنهم أحصوا من القتلى [٢] أحد عشر ألفا كلهم صاحب عمامة وأربعة آلاف امرأة وكان سنجر قد قتل أخا خوارزم شاه فبعث خوارزم [٣] إلى كافر ترك، وكان بينهما هدنة وقد تزوج إليه فسار إليه في ثلاثمائة ألف فارس، وكان هو معه مائة ألف فارس، فضربوا على سنجر فلم تر وقعة أعظم منها وكانت في محرم هذه السنة، [وقيل في صفر] [٤] .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٤٠٧٣- أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن الحسن بن حمدي، أبو جعفر العدل:

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٧/٣١٠

سمع الحديث من أبي محمد بن أيوب وغيره، وشهد عند أبي القاسم الزينبي، وكان له سمت حسن ودين وافر وطريقة مرضية ومذهب في النظافة شديد، وكان واصلا لرحمه، كثير التصدق على الفقراء، وكان يسرد الصوم ولا يفطر إلا الأيام المحرم صومها.

وتوفي ليلة الخميس حادي عشر ذي القعدة، وصلى عليه بجامع القصر، ودفن

---

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.

[٢] في ص: «أنهم أخلصوا من القتلى» .

[٣] في ص: «قد قتل أخا خوارزم شاه إلى كافر» .

[٤] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأضل.." (١)

"ثم دخلت سنة احدى وأربعين وخمسمائة

فمن الحوادث فيها.

[حريق في القصر الذي بناه المسترشد في البستان]

أنه في ليلة الاثنين مستهل ربيع الآخر وقع الحريق في القصر الذي بناه المسترشد في البستان الذي على مسناة باب الغربة، وكان تلك الليلة قد اجتمع الخليفة بخاتون فيه، وجمعوا من الأواني والأثاث [١] والزي كل طريف، وعزموا على المقام فيه ثلاثة أيام فما أحسوا إلا والنار قد لفحتهم من أعلى القصر، وكانوا نياما في أعلاه، وكان السبب أن جارية كانت بيدها شمعة فعلقت بأطراف الخيش فأصبح الخليفة فأخرج المحبوسين وتصدق بأشياء.

[خلع على ابن المرخم خلعة سوداء]

وفي ثالث جمادى الآخرة: خلع على ابن المرخم خلعة سوداء، وطيف [٢] به في الأسواق فقلد القضاء يحضر من أي صقع شاء [٣] وليس على يده يد، وكان مطيلسا بغير حنك ثم ترك الطيلسان.

ووصل الخبر يوم الثلاثاء خامس عشر ربيع الآخر بأن ثلاثة من خدم زنكي [الخواص] [٤] قتلوه، وقام بالأمر ابنه غازي في الموصل، وأكبر الولاية، وكان ابنه محمود في حلب.

---

[١] في الأصل: «وجمعوا من الأغاني والأثاث» والتصحيح من ص وط.

[٢] «الخيش، فأصبح الخليفة ... خلعة سوداء، وطيف» : العبارة ساقطة من ت.

[٣] في الأصل: «من أي سقع شاء» .

[٤] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.." (٢)

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٩/١٨

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٤٨/١٨

"تمتعتما يا ناظري بنظرة ... وأوردتما قلبي أمر الموارد

أعيني كفا عن فؤادي فإنه ... من البغي سعى اثنين في قتل واحد

وله أيضا [١] :

حيث انتهيت من الهجران لي فقف ... ومن وراء دمي بيض الظبا فجف

يا عابثا بعدات الوصل يخلفها ... حتى إذا جاء ميعاد الفراق يفي

يستوصفون لساني عن محبتهم [٢] ... وأنت أصدق يا دمعي لهم فصف

ليست دموعي لنار الشوق مطفئة ... وكيف والماء باد **والحريق** خفي

٣٢/ ب/ لم أنس يوم رحيل الحي موقفنا ... والعيس تطلع أولاها على شرف

والعين من لفتة الغيران ما حظيت ... والدمع من رقبة الواشين لم يكف

وفي الحدوج الغوادي كل آنسة ... إن ينكشف سجفها للشمس تنكسف

في ذمة الله ذاك الركب أنهم ... ساروا وفيهم حياة المغرم الدنف

فإن أعش بعدهم فردا فيا عجبا ... وإن أمت هكذا وجدا فيا أسفي

توفي القاضي أبو بكر بتستر في هذه السنة.

٤١٦٠- عبد الله بن عبد الباقي بن التبان، أبو بكر [3] الفقيه:

كان من أهل القرآن، سمع من أبي الحسين ابن الطيوري، وتفقه على ابن عقيل، وناظر وأفتى ودرس، وكان أميا لا يكتب. وتوفي في شوال عن تسعين سنة، ودفن بباب حرب.

٤١٦١- عبد الغني [بن محمد] [٤] بن سعد بن محمد، أبو البركات الحنبلي [٥] :

سمع أبا الغنائم ابن النرسي، وابن نبهان، وابن عقيل وغيرهم ولم يزل يسمع

---

[١] في الأصل: «وله» . وفي المطبوعة: «وله يمدح سعد الملك» .

[٢] في الأصل: «عن صحبتهم» .

[٣] في الأصل، ت: «بن عبد الباقي بن البيان» .

وانظر ترجمته في: (شذرات الذهب ٤/ ١٣٩) .

[٤] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.

[٥] في ت: «عبد الغني بن محمد بن سعد، أبو محمد بن أبي البركات الحنبلي» .." (١)

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٨/٧٤

"وإطلاقه ثلاث سنين وأربعة أشهر، وخرج أخوه والموكب فاستقبلوه، وكان يوما مشهودا.

وفي سلخ ربيع الآخر [١] : كثر الحريق ببغداد ودام أياما فوقع بدرب فراشا ودرب الدواب ودرب اللبان وخرابة ابن جردة والظفرية والخاتونية ودار الخلافة وباب الأزج وسوق السلطان وغير ذلك.

[خروج الخليفة إلى ناحية الدجيل]

وفي رجب: خرج الخليفة إلى ناحية الدجيل، وكان قد تولى حفره ابن جعفر صاحب الديوان ثم رجع وعاد فخرج فأبصر الأنبار وسار في أسواقها ودروبها [ثم رجع] [٢] وعاد متصيدا.

وجاءت الأخبار بان ملك شاه ابن اخي سليمان شاه قد انضاف إليه وأنهم اتصلوا بألدكز وتحالفوا فلما سمع بذلك محمد شاه سار إليهم وضرب معهم مصافا فانهزموا بين يديه وتشتت العسكر ووصل من عسكر الخليفة إلى بغداد نحو خمسين فارسا بعد أن كانوا ثلاثة آلاف/ ولم يقتل منهم أحد إنما أخذت خيولهم وأموالهم وتشتتوا وجاءوا ٤٨/ ب عراة، وجاء الخبر أن سليمان شاه انفصل عن ألدكز وجاء يقصد بغداد على طريق الموصل وكان عاجزا عن حسن التدبير فهان في عيون أهل الأطراف فخرج على كوجك أمير الموصل فقبض عليه ورقاه إلى القلعة في رمضان هذه السنة وبعث إلى محمد شاه يقول له قد قبضت عليه فتعال تسلمه وإن أردت أن تقصد بغداد فأنا ألحق بك، فسار محمد شاه يقصد بغداد فوصل إلى ناحية بعقوبا وبعث إلى علي كوجك فتأخر عنه، وانزعجت بغداد وأحضرت العساكر وخرج الوزير يستعرض العسكر وذلك في مستهل ذي الحجة فلما أقبل محمد شاه إلى بغداد اضطربت عساكر العراق على الخليفة فعصى بدر بن المظفر صاحب البطيحة وأرغش صاحب البصرة.

[إخراج الوزير شرف الدين الزينبي من داره وقلع من قبره]

وفي رجب هذه السنة: أخرج الوزير شرف الدين الزينبي من داره وقلع من قبره فحمل إلى الحربية في الماء ليلا بعد أن أحضر الوعاظ فتكلموا قبل قلعه من داره من أول الليل، وعبرت معه الاضوا ء الكثيرة [والخلق الكثير] [٣] .

---

[١] في الأصل: «وفي شهر ربيع الآخر» .

[٢] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.

[٣] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.." (١)

"ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة

فمن الحوادث فيها:

[وصول الحاج الى مكة]

أن الحاج وصلوا إلى مكة فلم يدخل أكثرهم لفتن جرت وإنما دخلت شرذمة يوم العيد فحجوا ورجع الأكثرون إلى بلادهم ولم يحجوا وخرج الخليفة إلى الصيد على طريق واسط. وادعت امرأة أن ابن النظام الفقيه مدرس النظامية تزوجها فجحد

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٠٧/١٨

[١] وحلف ثم قرر فأقر فافتضح وعزل من التدريس ووكل به وكان قد عقد بينهما فقيه يقال له الأشتري فأخذ وصفع على باب النوبي.

[ترافق رجل من أهل الحربية]

وفي ربيع الآخر: ترافق رجل من أهل الحربية وصبي في الطريق فقتله الصبي بسبب شيء من الذهب كان معه ودخل إلى الحربية فانذر به وقال قد قتل هنا قتيل فأخذوه وقالوا أنت كنت معه فجيء به في الباب فاعترف بالقتل فقتل.

وقبض على ابن الشمحل وحبس عند أستاذ الدار وقبض على زوجته بنت صاحب المخزن ابن طلحة ونقل ما في داره.

[حريق في سوق الطيوريين]

وفي جمادى الآخرة: وقع **حريق** عظيم احترق منه سوق الطيوريين والدور التي تليه مقابله إلى سوق الصفر الجديد والخان الذي في الرحبة ودكاكين البزوريين وغيرها ٧٥/ أواحترق فيها رجل شيخ/ لم يستطع النهوض **واحترقت** طيور كثيرة وكانت في أقفاص.

وفي رجب جلس يوسف الدمشقي في النظامية مدرسا وخلع عليه وحضر عنده جماعة من الأعيان.

---

[١] في، الأصل: «تزوجها بحجة» وما أثبتناه ما في ت.." (١)

"وفي جمادى الآخرة: خلع على ابن الأبقي خلع النقابة وذلك بعد وفاة أبيه.

٧٦/ ب وفي شعبان بني كشك بالحطمية للخليفة وكشك للوزير وانفق عليهما/ مال عظيم وخرج الخليفة إليه في شعبان وكان الخليفة والوزير وأصحابهما يصلون بجامع الرصافة الجمعة مدة مقامهم في الكشك. ووقع **حريق** عظيم من باب درب فراشة إلى مشرعة الصباغين من الجانبين.

وفي تاسع عشر ذي القعدة: خرج الخليفة إلى ناحية بدار الروز [١] متصيدا ومعه أرباب الدولة وعاد عشية الاثنين سابع عشر هذا الشهر.

وفي عشية الأحد حادي عشر ذي الحجة: قبض على ابن الأبقى الذي جعل نقيب النقباء وحمل إلى دار أستاذ الدار ثم حمل إلى التاج مقيدا وذكر أن السبب انه كاتب منكوبرس [٢] يحذره من المجيء إلى بغداد ويخوفه على نفسه.

وكانت بنو خفاجة في هذه الأيام تأخذ القوافل في باب الحربية وكثر العيث في الأطراف وفوض إلى حاجب الباب النظر في محلة باب البصرة فرتب فيها أصحابه وإنما كان أمر هذه المحلة إلى النقيب.

وخرج تشرين الأول والثاني بغير مطر إلا ما يبل الأرض.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٤٢٤٨- طلحة بن علي، أبو أحمد الزينبي نقيب النقباء

[٣] .

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٥٢/١٨

تولى النقابة وناب في الوزارة وحضر مجلسي مرارا. خرج يوما من الديوان معافي فبات في منزله فمات فذكر أنه أكل لبا وأزرا وجمارا ودخل الحمام فعرضت له سكتة ٧٧/ أفتوفي في ليلة الاثنين خامس ربيع الأول/ وصلى عليه بجامع القصر ودفن بمقبرة الشهداء من باب حرب.

---

[١] «إلى ناحية بدار الروز» سقطت من ت، ص.

[٢] في الأصل: «المتكيرس» .

[٣] انظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١٢/ ٢٤٧) .." (١)

"٨١/ أوفي رجب: نقص اليزدي عن مشاهرته التي كانت/ بسبب التدريس بجامع السلطان وكان مبلغها عشرة دنانير فكتب أقوام يقولون نحن نقنع بثلاثة فقيل لهم هو أحق بهذا فقنع بذلك ودرس ورضي بذلك القدر.

وتوفي الوزير فقبض على ولديه وأخذ حاجبه ابن تركان فحبس في دار أستاذ الدار وقدم رجل مغربي فنصب جذعا طويلا ووقف على رأسه يعالج فحاكاه صبي عجان وطاف [١] العجان البلاد فقدم وقد اكتسب الأموال والجواري [٢] والخدم فنصب جذعين طويلين شد احدهما إلى الآخر وصعد ورقص على كرة معه بحبال وحمل جرة ماء على رأسه ولبس سراويله هنا ورمى نفسه واستقبلها بحبل مشدود فحصل له مبلغ.

وفي ذي القعدة: وقع الحريق في السوق الجديد من درب فراشة إلى مشرعة الصباغين من الجانبين فذهب في ساعة حتى لم يبق للخشب الذي في الحيطان أثر.

وفي ذي الحجة: وقع حريق في الحضائر والدور التي تليها وتفاقم الأمر. ورخص السكر في هذه السنة والنبات فكان ينادي على السكر قيراط وحبة رطل وعلى النبات نصف رطل بقيراط وحبة وحبة وهذا شيء لم يعهد.

ذكر من توفي في هذه من الأكابر

٨١/ ب

٤٢٥٣-/ عمر بن بهليقا الطحان

. [٣]

عمر جامع العقبة بالجانب الغربي، وكان مسجدا لطيفا فاشترى ما حوله وأوسعه وسمت همته حتى استأذن أن يجعله جامعا فأذن له، إلا أن أكثر المواضع التي اشتراها كانت تربا فيها موتى فأخرجوا وبيعت، وكان المسجد الأول، مما يلي الباب والمنارة.

وتوفي في يوم الاثنين ثامن عشر ذي القعدة من هذه السنة، ودفن على باب

---

[١] في ص: «وسافر» .

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٨/١٥٦

[٢] في الأصل: «الجوائزي» .

[٣] انظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١٢/ ٢٤٩) .." (١)

"ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة

فمن الحوادث فيها:

أنه وقع حريق عظيم في درب المطبخ ثم في سويقة خرابة ابن جردة ثم أرجف على الخليفة بالمرض لانه انقطع عن الركوب ثم ركب وتصدق بالخبز والبقر وعملت دعوة في دار البدرية وخلعت الخلع وضربت الطبول للبشارة بسلامته وجاءت خرق البحر مع المكيين على عادتهم وبين يديها الطبول والهدايا ثم مرض المستنجد بالله فلما اشتد ٩٤/ ب مرضه/ كان الأتراك يحفظون البلد مديدة [١] ثم توفي ففتحت الحبوس وأخرج من فيها وما زالت الحمرة الكثيرة [عند مرض المستنجد] [٢] ترمي ضوءها [٣] على الحيطان مثل شعاع الشمس.

باب ذكر خلافة المستضيء بالله

واسمه: الحسن بن يوسف المستنجد بالله، ويكنى: أبا محمد، وأمه أرمنية تدعى: غضة، [٤] ولد في سادس شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة، ولم يتول

---

[١] في ص: «أياما» .

[٢] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٣] في الأصل: تكررت عبارة «منذ مرض المسترشد» هنا.

[٤] في الأصل: «غضوضة» .." (٢)

"وفي هذه الأيام: فتح قيماز بابا من داره التي بدار الخليفة إلى السوق مما يلي دكاكين الأساكفة ونصب عليه بابا من حديد فأنكر أبو بكر ابن العطار صاحب المخزن ذلك وحسن للخليفة التقدم بسده فتقدم بذلك.

/ وفي يوم الجمعة منتصف جمادى الأولى: جعل للشيخ ابن المنى حلقة في ٩٧/ ب الجامع فجلس فيها ولم يبن فيها دكة.

وفي صبيحة الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى: أصبحت الدنيا شديدة البرد وسقط الوفر على الناس نهارا إلى وقت الظهر إلا أنه كان خفيفا.

وفي يوم الأربعاء غرة رمضان: تكلمت في مجلسي بالحلبة فتاب على يدي نحو من مائتي رجل وقطعت شعور مائة وعشرين منهم.

وقدم في هذه الأيام محمد الطوسي الواعظ وفي رأسه حلق مشدودة وطوق وحواليه جماعة بسيوف فمضى إلى الوزير

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٨/١٦٤

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٨/١٩٠

فأنكر عليه ذلك ومنع [١] من حمل السلاح معه.

وفي يوم الأحد عاشر شوال: دخل نجاح الخادم على الوزير ابن رئيس الرؤساء ومعه خط من الخليفة يذكر أنه قد استغنى عنه فأمر بطبق دواته وحل إزاره وقيامه من مسنده ففعل ذلك وقبض على ولده أستاذ الدار وأفرج عن سعد الشرابي وأعيد عليه ما كان أخذ منه.

وفي صبيحة الثلاثاء دار الوزير ودار ولده فأخذ منها الكثير [٢] :

وفي ثاني عشر شوال استنيب صاحب المخزن ابن جعفر في الوزارة.

وفي سابع عشر شوال: وقع حريق عظيم في السوق الجديد من درب حديد إلى قريب من عقد الجديد احترقت فيه الدكاكين من الجانبين.

وفيه: فوض إلى ابن المعلم مدارس الحنفية يرتب فيها من يشاء.

وفي سادس عشرين ذي الحجة وصلت رسل ملك البحرين وكيش بهدايا فيها ألواح صندل وآبنوس وطيب وناب فيل.

---

[١] «ذلك ومنع من» كتبت من نسخة الأصل في آخر الفقرة.

[٢] «فأخذ منها الكثير» سقطت من ت.." (١)

"يحد فذكر أنه ذبح ثلاثة آلاف دجاجة وألف رأس من الغنم وعملت إحدى وعشرون ألف خشكنانكة من ستين كارة سميذا وشرع في عمارة دواليب على الشط قريبا من التاج فأحكمت.

وفي ربيع الآخر: درس ابن فضلان في المدرسة التي عملها فخر الدولة ابن المطلب عند عقد المأمونية وبنيت له دكة في جامع القصر.

وفي جمادى الأولى: جاء برد لم يسمع بمثله وكان في كانون الأول حتى جمدت مياه الآبار واستمر ذلك إلى نصف كانون الثاني.

ومن الحوادث: أن بعض الأمراء سأل الخليفة أن يأذن لأبي الخير القزويني في الوعظ بباب بدر ليسمعه أمير المؤمنين وأراد أن يخص بهذا دون غيره فتكلم هناك يوم الخميس غرة رجب.

٩٩/ أفلما كان يوم الثلاثاء سادس عشرين رجب تقدم/ لي بالجلوس هناك وأعطيت مالا وأخذ الناس أماكن من وقت الضحى للمجلس بعد العصر وكانت ثم دكاك فاكتريت حتى إن الرجل كان يكتري موضع نفسه بقيراطين وثلاثة وكنت أتكلم أسبوعا والقزويني أسبوعا إلى آخر رمضان وجمعي عظيم وعنده عدد يسير ثم شاع أن أمير المؤمنين لا يحضر إلا مجلسي.

وزادت دجلة في أوائل شعبان ثم تربى الماء فيها فلما كان الاثنين عاشر شعبان عظمت الزيادة فأسكرت المحال ووصل الماء إلى قبر الإمام أحمد ودخل مدرسة أبي حنيفة ودب من الحيطان إلى النظامية والى رباط أبي سعد الصوفي وأشغل

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٨/١٩٧

الناس بالعمل في القورج وتقدم من الديوان إلى الوعاظ بالخروج مع العوام ليعمل الناس كلهم، ثم من الله بنقص الماء في مفتتح رمضان.

ووقع **الحريق** من باب درب بهروز إلى باب جامع القصر ومن الجانب الآخر من حجرة النخاس إلى دار الخليفة وتغير ماء دجلة باصفرار وثخن الماء فبقي على هذا مدة.

وفي شعبان: مرت ريح سوداء أظلمت الدنيا فتقدم إلي بالجلوس بباب بدر يوم عرفة فحضر الناس من وقت الضحى وكان الحر شديدا والناس صيام.

وكان من أعجب ما جرى أن حمالا حمل على رأسه دار نوبة من قبل الظهر الى." (١)

"ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة

فمن الحوادث فيها.

[وقوع **حريق** بالظفرية]

أنه وقع **حريق** بالظفرية في ليلة الأربعاء ثالث المحرم **فاحترقت** مواضع كثيرة وما زالت النار تعمل إلى الفجر.

وفي يوم الجمعة: جلست في جامع المنصور فحزر الجمع بمائة ألف وتكلم يومئذ محمد الطوسي في التاجية وكان فيما قال ان ابن الملجم لم يكفر بقتل علي ١٠٠/ أعليه السلام فهاج الناس عليه [١] / ورموه بالآجر وخرج من المجلس والأتراك يحفظونه فلما كان في يوم مجلسه بالتاجية فرش له فاجتمع الناس في الصحراء متأهبين لرجمه وجاءوا بقوارير النفط فلم يحضر ومزق فرشه قطعا وتقدم إليه أن لا يجلس ولا يخرج من رباطه وما زال أهل البلد على حنق عليه، ثم منع الوعاظ كلهم من الوعظ في يوم الاثنين حادي عشرين المحرم ثم بعث إلى النائب في الديوان فقال قد تقدم إلى أن أتخير ثلاثة أنت ورجل من الشافعية ورجل من الحنفية وذلك في سادس صفر فتكلمنا ثم أطلق الوعاظ واحدا بعد واحد.

ورأينا في هذه السنة الحر في تموز وآب ما لم نره في أعمارنا وكان الحاج حينئذ [٢] في سفر الحجاز فاخبروا حين [٣] قدموا أنهم كانوا يتأذون بالبرد. وتغير الهواء

---

[١] تكررت من الأصل العبارة: «السلام فهاج الناس عليه» .

[٢] في الأصل: «يومئذ» .

[٣] في ص: «لما قدموا» .." (٢)

"ابن الحداد (أبو الفضل النحوي) - جعفر بن موسى.

حدير: (٤) [٢٣٩، ٢٤٠] .

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٨/٢٠٠

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٨/٢٠٢

حزقيل بن بوذي (عليه السلام) : (١) ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢.

ابن حزمة (صاحب كتاب التوحيد) : (١٦) ١٠٦.

حزن بن أبي وهب: (٤) [٨٩] .

حزورة بنت آدم: (١) ٢١٧.

حسان بن أبان بن عثمان (أبو علي الأيلي) :

(١٣) [٣٤٣] .

حسان بن إبراهيم (أبو هشام العنزي الكوفي) :

(٩) [١٢٠] .

حسان بن تبع: (٢) ٥١، ٧٥، ٧٦.

حسان بن ثابت بن المنذر: (٢) ٢٤٦، (٣) ٦٠، ١٧٨، ٢٥٣، ٢٩٩، (٤) ٥١، ٥٦، (٥) [٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣] ، (٧) ١٢٠.

حسان بن حريث: (٧) [١١٩، ١٢٠] .

أبو حسان الزيادي: (٥) ٢٤٠، (١١) ٢٠، ٢٨٣، [٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩] .

ابن أبي حسان الزيادي- عمر بن عبد الله.

حسان بن سعيد بن حسان (أبو علي) : (١٦) [١٣٥] .

حسان بن أبي سنان: (٨) [١٥٢، ١٥٣] .

حسان بن سنان بن أوفى (أبو العلاء التنوخي) :

(٩) [٤٩] .

حسان الشروي: (٨) ٢٥١.

حسان بن عبد الله بن سهل (أبو علي الكندي) : (١١) [٧٥] .

حسان بن عبد كلال الحميري: (٢) ٢٢٦.." (١)

"حديث بغي أخرى

[١] :

أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي قال: أنبأنا أبو الحسين الزينبي قال: حدثنا ابن المرزبان قال:

حدثني أبو أحمد الخراساني قال: حدثني أحمد بن أبي نصر قال: حدثنا إبراهيم بن خالد قال: حدثني أمية بن شبل عن/ عبد الله بن وهب [٢] قال إبراهيم: لا أراه إلا عن أبيه:

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٥٥/١٩

أن عابدا من عباد بني إسرائيل، كان يتعبد في صومعته، فجاء نفر من الغواة إلى امرأة بغي، فقالوا لها: لعلك تزيلينه فجاءته في ليله مظلمه فنادته فأشرف عليها، فقالت له: يا عبد الله آوني إليك أما ترى الظلمة والمطر فلم تزل به حتى آواها، فاضطجعت قريبا منه، فجعلت تريه محاسن وجهها [٣] حتى دعته نفسه إليها فقال: لا والله حتى أنظر [كيف] [٤] صبرك ع◌لى النار، فتقدم إلى المصباح فوضع إصبعا من أصابعه فيه حتى احترقت، ثم عاد إلى صلاته، فدعته نفسه أيضا، وعاود المصباح فوضع إصبعه الأخرى حتى احترقت، فلم تزل نفسه تدعوه وهو يعود إلى المصباح، حتى احترقت أصابعه جميعا [وهي تنظر] [٥] فضعفت المرأة فماتت [٦]

. حديث عفيف منهم عن المعاصي

: [٧]

أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو إسحاق البرمكي قال: أخبرنا أبو الحسين الزينبي قال: أخبرنا ابن المرزبان قال: أخبرني أحمد بن حرب قال: حدثني عبد الله بن محمد قال: حدثني [٨] أبو عبد الله البلخي:

---

[١] بياض في ت مكان «حديث بغي أخرى» .

[٢] حذف السند من ت.

[٣] في ت: «محاسن خلقها» .

[٤] ما بين المعقوفتين: سقط من الأصل.

[٥] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[6] في ت: «فوضع احترقت أصابعه جميعا فضعفت» .

[٧] بياض في ت مكان: «حديث عفيف منهم عن المعاصي» .

[٨] حذف السند من ت.." (١)

"منزله، فلم يلبث عبهلة بحران أن سار إلى صنعاء فأخذها، وكتب فروة بن مسيك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره، ولحق بفروة من بقي على إسلامه من مذحج/ ولم يكاتب الأسود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يرسل إليه لأنه لم يكن معه أحد يشاغبه، وصفا له ملك اليمن وقوي أمره [١] .

واعترض على الأسود وكاثره عامر بن شهر [٢] الهمداني في ناحيته وفيروز وداذويه في ناحيتهما، ثم تتابع الذين كتب إليهم على ما أمروا به.

ثم خرج الأسود في سبعمائة فارس إلى شعوب [٣] فخرج إليه شهر بن باذام وذلك لعشرين ليلة من خروجه، فقتل شهرا، وهزم الأبناء، وغلب على صنعاء لخمس وعشرين ليلة من خروجه. وخرج معاذ بن جبل هاربا حتى مر بأبي موسى وهو

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٨٢/٢

بمأرب [٤] ، فاقتحما حضرموت، فنزل معاذ السكون، ونزل أبو موسى السكاسك، ورجع عمرو وخالد إلى المدينة، وغلب الأسود وطابقت [٥] عليه اليمن وجعل أمره يستطير استطارة **الحريق**. ودانت له سواحل البحر، وعامله المسلمون بالتقية.

وكان خليفته في مذحج عمرو بن معديكرب، وكان قد أسند أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث، وأمر الأنباء إلى فيروز وداذويه.

ثم استخف بهم وتزوج امرأة شهر، وهي ابنة عم فيروز، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى نفر من الأبناء رسولا وكتب إليهم أن يجاولوا الأسود إما غيلة وإما مصادمة، وأمرهم أن يستنجدوا رجالا سماهم لهم ممن خرجوا حولهم من حمير وهمدان، وأرسل إلى أولئك النفر أن ينجدوهم، فدعوا قيس بن عبد يغوث حين رأوا الأسود قد تغير عليه، فحدثوه الحديث وأبلغوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأجاب ودخلوا على زوجته، فقالوا: هذا قتل أباك، فما عندك؟ قالت: هو أبغض خلق الله إلي وهو متحرز والحرس يحيطون بقصره

---

[١] تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٩.

[٢] في الأصل: «عمرو بن شهر، وما أوردناه من أوالطبري» .

[٣] شعوب: قصر باليمن معروف بالارتفاع، أو بساتين بظاهر صنعاء.

[٤] في الأصل: «وهو هارب» ، وما أوردناه من أوالطبري.

[٥] في الأصل: «وطائفته» ، وما أوردناه من أ.." (١)

"٥٥٦- مسلم بن يسار، أبو عبد الله مولى طلحة بن عبيد الله التيمي [١] :

لقي جماعة من الصحابة، وكان من العلماء المتعبدين، وكان حسن الخشوع في الصلاة، فوقع مرة إلى جانبه **حريق** فما شعر به حتى طفئ.

وكان أرفع عند الناس من الحسن حتى خرج مع ابن الأشعث فوضعه ذلك.

وكان يقول: ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح، فقال له قائل: فكيف بمن رآك واقفا في الصف؟ قال: هذا مسلم بن يسار، ما وقف هذا الموقف إلا وهو على الحق فقاتل فقتل. فبكى بكاء شديدا.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا علي بن محمد الأنباري، قال:

[أخبرنا] [٢] أحمد بن محمد بن يوسف، قال: حدثنا ابن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر [القرشي] [٣] ، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا علي بن إسحاق، قال:

حدثنا عبد الله، قال: أخبرنا جعفر بن حيان، قال:

ذكر لمسلم بن يسار قلة التفاته في الصلاة، قال: وما يدريكم أين قلبي [٤] .

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٩/٤

قال أحمد بن إبراهيم: وحدثنا هارون بن معروف، قال: حدثنا ضمرة، عن ابن شوذب قال:

كان مسلم بن يسار يقول لأهله إذا دخل في صلاته: تحدثوا فلست أسمع حديثكم [٥] .

قال: أخبرنا سعد الخير بن محمد، قال: أخبرنا علي بن أيوب، قال: أخبرنا الحسين بن محمد الخلال، قال: حدثنا علي بن عمر بن علي التمار، قال: حدثنا جعفر بن محمد الخالدي، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق، قال: حدثنا

---

[١] طبقات ابن سعد ٧/ ١/ ١٣٥، وتقريب التهذيب ٢/ ٢٤٧، والبداية والنهاية ٩/ ٢٠٨.

[٢] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، أوردناه من ت.

[٣] في ت: «أخبرنا» .

[٤] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، أوردناه من ت.

[٥] الخبر في طبقات ابن سعد ٧/ ١/ ١٣٥.." (١)

"ثم دخلت سنة ثمان ومائة

فمن الحوادث فيها غزوة مسلمة بن عبد الملك حتى بلغ قيسارية ففتحها الله على يديه.

وفيها: غزا إبراهيم بن هشام ففتح حصنا من حصون الروم.

وفيها: وقع حريق بدابق حتى احترق الرجال والدواب.

وفيها: حج بالناس إبراهيم بن هشام وهو الأمير على مكة والمدينة والطائف.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٥٩٢- بكر بن عبد الله المزني [١] :

أسند عن ابن عمر، وجابر، وأنس وغيرهم. وكان فقيها ثقة حجة عابدا شديد الخوف من الله عز وجل.

وقف [بعرفة] [٢] فرق فقال: لولا أني فيهم لقلت قد غفر لهم. وكان يلبس الثياب الحسان، وكانت قيمة كسوته أربعة آلاف درهم، فاشترى طيلسانا بأربعمائة درهم.

وكان يقال: الحسن شيخ البصرة، وبكر فتاها.

---

[١] طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٢، وطبقات خليفة ٢٠٧، والتاريخ الكبير ٢/ ١/ ٩٠، والجرح والتعديل ١/ ١/ ٣٨٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٣، وتهذيب التهذيب ١/ ٤٨٤.

[٢] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، أوردناه من ت.." (٢)

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٦٢/٧

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٢١/٧

"تظلم/ من سعيد بن دعلج، ثم صرفت الأحداث في هذه السنة عن عبد الملك بن ١٠٤/ أأيوب إلى عمارة بن حمزة، فولاها عمارة رجلا يقال له: المسور بن عبد الله وأمر عبد الملك على الصلاة.

وفيها: عزل قثم بن العباس عن اليمامة عن سخط فوصل كتاب عزله إلى اليمامة وقد توفي، فاستعمل مكانه بشر بن المنذر [١] البجلي.

وعزل يزيد بن منصور عن اليمن فاستعمل مكانه رجاء بن روح، وعزل الهيثم بن سعيد عن الجزيرة واستعمل عليها الفضل بن صالح، وعزل مطر مولى المنصور عن مصر واستعمل مكانه أبو ضمرة بن سليمان [٢] .

وفيها: أعتق المهدي الخيزران أم ولده وتزوجها [٣] .

وفيها: تزوج المهدي [أيضا] أم عبيد الله بنت صالح بن علي [٤] .

وفيها: وقع **حريق** في ذي الحجة في السفن [ببغداد، عند قصر عيسى بن علي، **فاحترقت** السفن] [٥] ، واحترق ن ا س كثير [٦] .

وفيها: كانت حركة من تحرك من بني هاشم وشيعتهم من أهل خراسان في خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، وتصيير ذلك لموسى بن المهدي، فلما تبين ذلك المهدي كتب إلى عيسى وهو بالكوفة ليقدم عليه، فأحس عيسى بذلك، فامتنع من القدوم، وكان المهدي قد سأل عيسى أن يخرج من الأمر، فامتنع عليه، فأراد الإضرار به، فولى الكوفة روح بن حاتم، وكان المهدي يحب أن يحمل روح على عيسى بعض الحمل، فلم يجد إلى ذلك سبيلا، وكان عيسى قد خرج إلى ضيعته بالرحبة فلا يدخل إلى الكوفة إلا في رمضان، فيشهد الجمع والعيد [٧] ، ثم يرجع إلى ضيعته، ثم إن

---

[١] في ت: «بشر بن الوليد» .

[٢] انظر: تاريخ الطبري ٨/ ١٢٠- ١٢١.

[٣] انظر: تاريخ الطبري ٨/ ١٢١.

[٤] انظر: تاريخ الطبري ٨/ ١٢١.

[٥] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[٦] انظر: تاريخ الطبري ٨/ ١٢١.

[٧] في ت: «ا لأعياد» .." (١)

"شهر رمضان يوم الجمعة سنة ٣٣٥ فنزل بموضع يعرف بالناظور وهو موضع معروف بأروسن من جنات القلعة محاصرا لأبي يزيد ثم صعد يوم السبت الثاني من رمضان إلى جبل كياتة وصعد في وعر بين صخور ومشى فيها راجلا في أماكن كثيرة فكانت بينه وبين أبي يزيد وقعة عظيمة تعرف بوقعة **الحريق** وأحرق فيها إسماعيل أخصاصا كثيرة لأصحاب أبي يزيد وقتل منهم عددا كثيرا ثم انهزموا في آخر النهار وسبى إسماعيل نساءهم وذراريهم وأخذ لهم من

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٢٩/٨

الخيل والجمال وصنوف الحيوان ما يفوت الإحصاء ويستغرق الاستقصاء وارتفع أبو يزيد ودخل قلعة كياتة وهي تاقربوست المطلة على قلعة حماد." (١)

"وقيل للعجوز: إن جرجيس قد افتتن وطمع في الملك. فخرجت تحمل ابنها على عاتقها في أعراضهم توبخ جرجيس، فلما دخل بيت الأصنام نظر فإذا العجوز وابنها أقرب الناس إليه، فدعا ابنها، فأجابه وما تكلم قبل ذلك قط، ثم نزل على عاتق أمه يمشي على قدميه سويتين وما وطئ الأرض قط. فلما وقف بين يدي جرجيس قال له: ادع لي هذه الأصنام، وهي على منابر من ذهب واحد وسبعون صنما، وهم يعبدون الشمس والقمر معها، فدعاها، فأقبلت تتدحرج إليه. فلما انتهت إليه ركض برجله الأرض فخسف بها وبمنابرها، فقال له الملك: يا جرجيس خدعتني وأهلكت أصنامي! فقال له: فعلت ذلك عمدا لتعتبر وتعلم أنها لو كانت آلهة لامتنعت مني. فلما قال هذا قالت امرأة الملك وأظهرت إسلامها، وعدت عليهم أفعال جرجيس وقالت: ما تنظرون من هذا الرجل إلا دعوة فتهلكون كما هلكت أصنامكم. فقال الملك: ما أسرع ما أضلك هذا الساحر! ثم أمر بها فعلقت على خشبة، ثم مشط لحمها بمشاط الحديد، فلما آلمها العذاب قالت لجرجيس: ادع الله أن يخفف علي الألم. فقال: انظري فوقك. فنظرت فضحكت. فقال لها الملك: ما يضحكك؟ قالت: أرى على رأسي ملكين معهما تاج من حلي الجنة ينتظران خروج روحي ليزيناني به ويصعدا بها إلى الجنة. فلما ماتت أقبل جرجيس على الدعاء وقال: اللهم أكرمتني بهذا البلاء لتعطيني أفضل منازل الشهداء، وهذا آخر أيامي، فأسألك أن تنزل بهؤلاء المنكرين من سطوتك وعقوبتك ما لا قبل لهم به، فأمطر الله عليهم النار فأحرقتهم. فلما احترقوا بحرها عمدوا إليه فضربوه بالسيوف فقتلوه، وهي القتلة الرابعة. فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها رفعت من الأرض وجعل عاليها سافلها، فلبث زمانا يخرج من تحتها دخان منتن.

وكان جميع من آمن به وقتل معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة الملك.." (٢)

"وهو الفجار الأول، فكان قيس بن الخطيم في حائط له، فانصرف فوافق قومه قد برزوا للقتال، فعجز عن أخذ سلاحه إلا السيف ثم خرج معهم، فعظم مقامه يومئذ وأبلى بلاء حسنا وجرح جراحة شديدة، فمكث حينا يتداوى منها، وأمر أن يحتمي عن الماء، فلذلك يقول عبد الله بن رواحة:

رميناك أيام الفجار فلم تزل ... حميا فمن يشرب فلست بشارب

[يوم معبس ومضرس]

ثم التقوا عند معبس ومضرس، وهما جداران، فكانت الخزرج وراء مضرس، وكانت الأوس وراء معبس، فأقاموا أياما يقتتلون قتالا شديدا، ثم انهزمت الأوس حتى دخلت البيوت والآطام، وكانت هزيمة قبيحة لم ينهزموا مثلها. ثم إن بني عمرو

---

(١) أخبار بني عبيد الصنهاجي ص/٧٢

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣٤١/١

بن عوف وبني أوس مناة من الأوس وادعوا الخزرج، فامتنع من الموادعة بنو عبد الأشهل وبنو ظفر وغيرهم من الأوس وقالوا: لا نصالح حتى ندرك ثأرنا من الخزرج. فألحت الخزرج عليهم بالأذى والغارة حين وادعهم بنو عمرو بن عوف وأوس مناة، فعزمت الأوس إلا من ذكرنا على الانتقال من المدينة، فأغارت بنو سلمة على مال لبني الأشهل يقال له الرعل، فقاتلوهم عليه، فجرح سعد بن معاذ الأشهلي جراحة شديدة، واحتمله بنو سلمة إلى عمرو بن الجموح الخزرجي، فأجاره وأجار الرعل من **الحريق** وقطع الأشجار، فلما كان يوم بعاث جازاه سعد على ما نذكره إن شاء الله. ثم سارت الأوس إلى مكة لتحالف قريشا على الخزرج، وأظهروا أنهم يريدون العمرة. وكانت عادتهم أنه إذا أراد أحدهم العمرة أو الحج لم يعرض إليه خصمه، ويعلق المعتمر على بيته كرانيف النخل ففعلوا ذلك وساروا إلى مكة فقدموها وحالفوا قريشا وأبو جهل غائب. فلما قدم أنكر ذلك وقال لقريش: أما سمعتم قول الأول: ويل للأهل من النازل! إنهم لأهل عدد وجلد، ولقل ما نزل قوم على قوم إلا أخرجوهم من بلدهم وغلبوهم عليه. قالوا: فما المخرج من حلفهم؟ قال: أنا أكفيكموهم، ثم خرج حتى جاء الأوس فقال: إنكم حالفتم قومي وأنا غائب، فجئت لأحالفكم وأذكر لكم من أمرنا ما تكونون بعده على رأس أمركم. إنا قوم تخرج إماؤنا إلى أسواقنا ولا يزال الرجل منا يدرك الأمة فيضرب عجيزتها، فإن طابت أنفسكم أن تفعل نساؤكم مثل ما تفعل نساؤنا حالفناكم، وإن كرهتم ذلك فردوا إلينا حلفنا. فقالوا: لا نقر بهذا. وكانت الأنصار بأسرها فيهم غيرة شديدة، فردوا إليهم حلفهم وساروا إلى بلادهم، فقال حسان بن ثابت يفتخر بما أصاب قومه من الأوس:." (١)

"واستعمل على أعمال حضرموت زياد بن لبيد الأنصاري، وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن ثور، وعلى بني معاوية ابن كندة عبد الله أو المهاجر، فاشتكى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يذهب حتى وجهه أبو بكر، فمات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهؤلاء عماله على اليمن وحضرموت.

وكان أول من اعترض الأسود الكاذب - شهر، وفيروز، وداذويه، وكان الأسود العنسي لما عاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من حجة الوداع، وتمرض من السفر غير مرض موته بلغه ذلك، فادعى النبوة، وكان مشعبذا يريهم الأعاجيب، فاتبعته مذحج، وكانت ردة الأسود أول ردة في الإسلام على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وغزا نجران، فأخرج عنها عمرو بن حزم وخالد بن سعيد، ووثب قيس بن عبد يغوث بن مكشوح على فروة بن مسيك، وهو على مراد، فأجلاه ونزل منزله، وسار الأسود عن نجران إلى صنعاء، وخرج إليه شهر بن باذان فلقيه، فقتل شهر لخمس وعشرين ليلة من خروج الأسود، وخرج معاذ هاربا حتى لحق بأبي موسى وهو بمأرب، فلحقا بحضرموت، ولحق بفروة من تم على إسلامه من مذحج.

واستتب للأسود ملك اليمن، ولحق أمراء اليمن إلى الطاهر بن أبي هالة، إلا عمرا وخالدا؛ فإنهما رجعا إلى المدينة، والطاهر بجبال عك وجبال صنعاء، وغلب الأسود على ما بين مفازة حضرموت إلى الطائف، إلى البحرين والأحساء، إلى عدن، واستطار أمره **كالحريق**، وكان معه سبعمائة فارس يوم لقي شهرا سوى الركبان، واستغلظ أمره، وكان خليفته

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١/٥٩٩

في مذحج عمرو بن معدي كرب، وكان خليفته على جنده قيس بن عبد يغوث، وأمر الأبناء إلى فيروز وداذويه.
وكان الأسود تزوج امرأة شهر بن باذان بعد قتله، وهي ابنة عم فيروز. وخاف من بحضرموت من المسلمين أن يبعث إليهم جيشا، أو يظهر بها كذاب مثل الأسود، فتزوج معاذ إلى السكون، فعطفوا عليه.
وجاء إليهم وإلى من باليمن من المسلمين كتب النبي – صلى الله عليه وسلم – يأمرهم بقتال الأسود، فقام معاذ في ذلك، وقويت نفوس المسلمين، وكان الذي قدم بكتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – وبر." (١)

[ذكر الخبر عن الذي هيج أمر القادسية وملك يزدجرد]

لما رأى أهل فارس ما يفعل المسلمون بالسواد قالوا لرستم والفيرزان، وهما على أهل فارس: لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهنتما أهل فارس، وأطمعتما فيهم عدوهم، ولم يبلغ من أمركما أن نقركما على هذا الرأي، وأن تعرضاها للهلكة، ما بعد بغداد وساباط وتكريت إلا المدائن، والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما، ثم نهلك وقد اشتفينا منكما. فقال الفيرزان ورستم لبوران ابنة كسرى: اكتبي لنا نساء كسرى وسراريه ونساء آل كسرى وسراريهم، ففعلت، فأحضروهن جميعهن، وأخذوهن بالعذاب يستدلونهن على ذكر من أبناء كسرى، فلم يوجد عند واحدة منهن أحد، وقال بعضهن: لم يبق إلا غلام يدعى يزدجرد من ولد شهريار بن كسرى، وأمه من أهل بادوريا.
فأرسلوا إليها وطلبوه منها، وكانت قد أنزلته أيام شيرى حين جمعهن فقتل الذكور، وأرسلته إلى أخواله، فلما سألوها عنه دلتهم عليه، فجاءوا به فملكوه وهو ابن إحدى وعشرين سنة، واجتمعوا عليه، فاطمأنت فارس واستوثقوا، وتبارى المرازبة في طاعته ومعونته، فسمى الجنود لكل مسلحة وثغر، فسمى جند الحيرة والأبلة والأنبار وغير ذلك.

"حذيفة في شرقي الفرات لا يرضى شيئا حتى أتى الكوفة، وكل رمل وحصباء مختلطين فهو كوفة، فأتيا عليها وفيها ديرات ثلاثة: دير حرمة، ودير أم عمرو، ودير سلسلة، وخصاص خلال ذلك، فأعجبتهما البقعة فنزلا فصليا ودعوا الله – تعالى – أن يجعلها منزل الثبات. فلما رجعا إلى سعد بالخبر وقدم كتاب عمر إليه أيضا كتب سعد إلى القعقاع بن عمرو وعبد الله بن المعتم أن يستخلفا على جندهما ويحضرا عنده، ففعلا. فارتحل سعد من المدائن حتى نزل الكوفة في المحرم سنة سبع عشرة، وكان بين نزول الكوفة ووقعة القادسية سنة وشهران، وكان فيما بين قيام عمر واختطاط الكوفة ثلاث سنين وثمانية أشهر.
ولما نزلها سعد وكتب إلى عمر: إني قد نزلت بالكوفة منزلا فيما بين الحيرة والفرات بريا وبحريا ينبت الحلفاء والنصي، وخيرت المسلمين بينها وبين المدائن فمن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة. ولما استقروا بها عرفوا أنفسهم ورجع إليهم ما كانوا فقدوا من قوتهم، واستأذن أهل الكوفة في بنيان القصب، واستأذن فيه أهل البصرة أيضا، واستقر منزلهم فيها في الشهر الذي نزل أهل الكوفة بعد ثلاث نزلات قبلها.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١٩٧/٢

فكتب إليهم: إن العسكر أشد لحربكم وأذكر لكم، وما أحب أن أخالفكم. فابتنى أهل المصرين بالقصب.

ثم إن **الحريق** وقع في الكوفة والبصرة، وكانت الكوفة أشد **حريقا** في شوال، فبعث سعد نفرا منهم إلى عمر يستأذنونه في البنيان باللبن، فقدموا عليه بخبر **الحريق**." (١)

"رجل من أصحاب يزدجرد، فأعلمه بذلك واستأذنه في قتله، فلم يأذن له.

وقيل: أراد يزدجرد صرف الدهقنة عن ماهويه إلى سنجان ابن أخيه، فبلغ ذلك ماهويه، فعمل في هلاك يزدجرد، فكتب إلى نيزك طرخان يدعوه إلى القدوم عليه ؛ ليتفقا على قتله ومصالحة العرب عليه، وضمن له إن فعل أن يعطيه كل يوم ألف درهم. فكتب نيزك إلى يزدجرد يعده المساعدة على العرب، وأنه يقدم عليه بنفسه إن أبعد عسكره وفرخزاد عنه. فاستشار يزدجرد أصحابه فقال له سنجان: لست أرى أن تبعد عنك أصحابك وفرخزاد. وقال أبو براز: أرى أن تتألف نيزك وتجيبه إلى ما سأل. فقبل رأيه وفرق عنه جنده، فصاح فرخزاد وشق جيبه وقال: أظنكم قاتلي هذا! ولم يبرح فرخزاد حتى كتب له يزدجرد بخط يده أنه آمن وأنه قد أسلم يزدجرد وأهله وما معه إلى ماهويه، وأشهد بذلك. وأقبل نيزك فلقيه يزدجرد بالمزامير والملاهي، أشار عليه بذلك أبو براز، فلما لقيه تأخر عنه أبو براز فاستقبله نيزك ماشيا، فأمر له يزدجرد بجنيبة من جنائبه، فركبها، فلما توسط عسكره تواقفا، فقال له نيزك فيما يقول: زوجني إحدى بناتك حتى أناصحك في قتال عدوك. فسبه يزدجرد، فضربه نيزك بمقرعته، وصاح يزدجرد، وركض منهزما. وقتل أصحاب نيزك أصحاب يزدجرد، وانتهى يزدجرد إلى بيت طحان، فمكث فيه ثلاثة أيام لم يأكل طعاما. فقال له الطحان: اخرج أيها الشقي فكل طعاما فقد جعت! فقال: لست أصل إلى ذلك إلا بزمزمة، وكان عند الطحان رجل يزمزم، فكلمه الطحان في ذلك ففعل وزمزم له فأكل. فلما رجع المزمزم سمع بذكر يزدجرد، فسأل عن حليته، فوصفوه له، فأخبرهم به وبحليته، فأرسل إليه أبو براز رجلا من الأساورة، وأمره بخنقه وإلقائه في النهر، وأتى الطحان فضربه ليدله عليه، فلم يفعل وجحده. فلما أراد الانصراف عنه قال له بعض أصحابه: إني لأجد ريح مسك ؛ ونظر إلى طرف ثوبه من ديباج في الماء، فجذبه فإذا هو يزدجرد، فسأله أن لا يقتله ولا يدل عليه، وجعل له خاتمه ومنطقته وسواره. فقال له: أعطني أربعة دراهم وأخلي عنك، فلم يكن معه وقال: إن خاتمي لا يحصى ثمنه فخذه، فأبى عليه، فقال له يزدجرد: قد كنت أخبر أني سأحتاج إلى أربعة دراهم فقد رأيت ذلك، ثم نزع أحد قرطيه، فأعطاه الطحان ليستر عليه، وأرادوا قتله، فقال: ويحكم! إنا نجد في كتبنا أنه من قتل الملوك عاقبه الله **بالحريق** في الدنيا، فلا تقتلوني واحملوني إلى الدهقان أو إلى العرب فإنهم يستبقون مثلي! فأخذوا ما عليه وخنقوه بوتر القوس وألقوه في الماء، فأخذه أسقف مرو وجعله في تابوت ودفنه. وسأل أبو." (٢)

"نزل فصاح بأصحابه، فأقبل إليه المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف فقاتلا حتى قتلا جميعا، وضاربهم ابن الزبير إلى الليل ثم انصرفوا عنه.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢/٣٥٣

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢/٤٩٢

هذا في الحصر الأول، ثم أقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرم وصفر كله حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين رموا البيت بالمجانيق وحرقوه بالنار وأخذوا يرتجزون ويقولون:

خطارة مثل الفنيق المزبد ... نرمي بها أعواد هذا المسجد

وقيل: إن الكعبة احترقت من نار كان يوقدها أصحاب عبد الله حول الكعبة وأقبلت شررة هبت◌ بها الريح فاحترقت ثياب الكعبة واحترق خشب البيت، والأول أصح، (لأن البخاري قد ذكر في صحيحه أن ابن الزبير ترك الكعبة ليراها الناس محترقة يحرضهم على أهل الشام) .

وأقام أهل الشام يحاصرون ابن الزبير حتى بلغهم نعي يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر.

ذكر وفاة يزيد بن معاوية

وفي هذه السنة توفي يزيد بن معاوية بحوارين من أرض الشام لأربع عشرة خلت من شهر ربيع الأول، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة (في قول بعضهم، وقيل: تسع وثلاثين، وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر) ، وقيل: ثمانية◌ أشهر، وقيل: توفي في ربيع الأول سنة ثلاث وستين، وكان عمره خمسا وثلاثين سنة، وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر، والأول أصح.

وأمه ميسون بنت بحدل بن أنيف الكلبية.." (١)

"ذكر استعمال مصعب على المدينة

في هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه عبيدة بن الزبير عن المدينة واستعمل أخاه مصعبا.

وسبب ذلك أن عبيدة خطب الناس فقال لهم: قد ترون ما صنع الله بقوم في ناقة قيمتها خمسة دراهم، فسمي مقوم الناقة، فبلغ ذلك أخاه عبد الله فعزله واستعمل مصعبا.

ذكر بناء ابن الزبير الكعبة

لما احترقت الكعبة غزا أهل الشام عبد الله بن الزبير أيام يزيد تركها ابن الزبير يشنع بذلك على أهل الشام، فلما مات يزيد واستقر الأمر لابن الزبير شرع في بنائها، فأمر◌ بهدمها حتى ألحقت بالأرض، وكانت قد مالت حيطانها من حجارة المنجنيق، وجعل الحجر الأسود عنده، وكان الناس يطفون من وراء الأساس، وضرب عليها السور وأدخل فيها الحجر (واحتج بأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لعائشة: " «لولا حدثان عهد قومك بالكفر، لرددت الكعبة على أساس إبراهيم، وأزيد فيها الحجر») .

فحفر ابن الزبير فوجد أساسا أمثال الجمال فحركوا منها صخرة فبرقت بارقة فقال: أقروها على أساسها وبنائها، وجعل لها بابين، يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر.

وقيل: كانت عمارتها سنة أربع وستين.." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٢٢/٣

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٨٦/٣

"عبد الله بن الشخير أبو مطرف.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم مما يلي الجزيرة ففتح قيسارية، وهي مدينة مشهورة. وفيها أيضا غزا إبراهيم بن هشام ففتح حصنا من حصون الروم.

وفيها وجه بكير بن ماهان إلى خراسان جماعة من شيعة بني العباس، منهم عمار العبادي، فسعى بهم رجل إلى أسد بن عبد الله أمير خراسان، فأخذ عمارا فقطع يديه ورجليه، ونجا أصحابه فوصلوا إلى بكير، فأخبروه بذلك، فكتب إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فأجابه: الحمد لله الذي صدق دعوتكم ونجى شيعتكم، وقد تقدم سنة سبع ومائة ذكر هذه القصة. وفيها: أن عمارا نجا، وفي هذه الرواية: أن عمارا قطع، فلهذا أعدنا ذكرها، والله أعلم.

وفيها وقع الحريق بدابق فاحترق المرعى والدواب والرحال. وفيها سار ابن خاقان ملك الترك إلى أذربيجان، فحصر بعض مدنها، فسار إليه الحارث بن عمرو الطائي، فالتقوا، فاقتتلوا، فانهزم الترك، وتبعهم الحارث حتى عبر نهر أرس، فعاد إليه ابن خاقان، فعاود الحرب أيضا، فانهزم ابن خاقان، وقتل من الترك خلق كثير.

وفيها خرج عباد الرعيني باليمن محكما، فقتله أميرها يوسف بن عمر، وقتل أصحابه. وكانوا ثلاثمائة.." (١)

"[ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة]

١٢٦ -

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة

ذكر قتل خالد بن عبد الله القسري

في هذه السنة قتل خالد بن عبد الله، وقد تقدم ذكر عزله عن العراق وخراسان، وكان عمله خمس عشرة سنة فيما قيل، ولما عزله هشام قدم عليه يوسف بن عمر واسطا فحبسه بها، ثم سار يوسف إلى الحيرة وأخذ خالدا فحبسه بها ثمانية عشر شهرا مع أخيه إسماعيل وابنه يزيد بن خالد وابن أخيه المنذر بن أسد. استأذن يوسف هشاما في تعذيبه فأذن له مرة واحدة، وأقسم لئن هلك ليقتلنه، فعذبه يوسف ثم رده إلى حبسه. وقيل: بل عذبه عذابا كثيرا، وكتب هشام إلى يوسف يأمره بإطلاقه في شوال سنة إحدى وعشرين، فأطلقه، فسار فأتى القرية التي بإزاء الرصافة فأقام بها إلى صفر سنة اثنتين وعشرين، وخرج زيد فقتل، فكتب يوسف بن عمر: إن بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعا فكانت همة أحدهم قوت عياله، فلما ولي خالد العراق أعطاهم الأموال، فتاقت أنفسهم إلى الخلافة، وما خرج زيد إلا عن رأي خالد.

فقال هشام: كذب يوسف! وضرب رسوله وقال: لسنا نتهم خالدا في طاعة.

وسمع خالد فسار حتى نزل دمشق وسار إلى الصائفة. وكان على دمشق يومئذ كلثوم بن عياض القشيري، وكان يبغض خالدا، فظهر في دور دمشق حريق كل ليلة يفعله رجل من أهل العراق يقال له ابن العمرس، فإذا وقع الحريق يسرقون، وكان أولاد خالد وإخوته بالساحل لحدث كان من الروم، فكتب كلثوم إلى هشام يخبره أن موالي خالد يريدون الوثوب

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١٨١/٤

على بيت المال وأنهم يحرقون البلد كل ليلة لهذا الفعل.
فكتب إلى هشام يأمره أن يحبس آل خالد الصغير منهم والكبير ومواليهم، فأنفذ وأحضر أولاد خالد وإخوته من الساحل في الجوامع ومعهم مواليهم، وحبس بنات خالد والنساء والصبيان، ثم ظهر علي بن العمرس ومن كان معه، فكتب الوليد بن." (١)

"وفيها **احترقت** السفن عند قصر عيسى ببغداذ بما فيها، واحترق ناس كثير.

وفيها عزل مطر مولى المنصور عن مصر، واستعمل عليها أبو ضمرة محمد بن سليمان.

وفيها غزا العباس بن محمد الصائفة الرومية، وعلى المقدمة الحسن الوصيف، فبلغوا أنقرة، وفتحوا مدينة للروم، ومطمورة، ولم يصب من المسلمين أحد، ورجعوا سالمين.

وفيها ولي حمزة بن يحيى سجستان، وجبرائيل بن يحيى سمرقند، فبنى سورها، وحفر خندقها.

وفيها عزل عبد الصمد بن علي عن المدينة، واستعمل عليها محمد بن عبد الله الكثيري، ثم عزله واستعمل مكانه محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان الجمحي.

وفيها بنى المهدي سور الرصافة ومسجدها، وحفر خندقها.

وفيها توفي معبد بن الخليل بالسند، وهو عامل المهدي عليها، واستعمل مكانه روح بن حاتم، أشار به أبو عبيد الله وزير المهدي.

وفيها أطلق المهدي من كان في حبوس المنصور، إلا من كان عنده تبعة من دم أو." (٢)

"أصحابه كتائب، ووقع القتال بين الطائفتين فغلبهم أهل الربض، وأحاطوا بقصره، فنزل الحكم من أعلى القصر، ولبس سلاحه، وركب وحرض الناس، فقاتلوا بين يديه قتالا شديدا.

ثم أمر ابن عمه عبيد الله، فثلم في السور ثلمة، وخرج منها ومعه قطعة من الجيش، وأتى أهل الربض من وراء ظهورهم، ولم يعلموا بهم، فأضرموا النار في الربض، وانهزم أهله، وقتلوا مقتلة عظيمة، وأخرجوا من وجدوا في المنازل والدور، فأسروهم، فانتقى من الأسرى ثلاثمائة من وجوههم، فقتلهم، وصلبهم منكسين، وأقام النهب والقتل **والحريق** والخراب في أرباض قرطبة ثلاثة أيام.

ثم استشار الحكم عبد الكريم بن عبد الواحد بن عبد المغيث، ولم يكن عنده من يوازيه في قربه، فأشار عليه بالصفح عنهم والعفو، وأشار غيره بالقتل، فقبل قوله، وأمر فنودي بالأمان على أنه من بقي من أهل الربض بعد ثلاثة أيام قتلناه وصلبناه، فخرج من بقي بعد ذلك منهم مستخفيا، وتحملوا على الصعب والذلول خارجين من حضرة قرطبة بنسائهم وأولادهم، وما خف من أموالهم، وقعد لهم الجند والفسقة بالمراصد ينهبون، ومن امتنع عليهم قتلوه.

فلما انقضت الأيام الثلاثة أمر الحكم بكف الأيدي عن حرم الناس، وجمعهن إلى مكان، وأمر بهدم الربض القبلي.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٤/٢٩٦

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥/٢١٣

وكان بزيع مولى أمية ابن الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام محبوسا في حبس الدم بقرطبة، في رجليه قيد ثقيل، فلما رأى أهل قرطبة قد غلبوا الجند، سأل الحرس أن يفرجوا له، فأخذوا عليه العهود إن سلم أن يعود إليهم، وأطلقوه، فخرج فقاتل قتالا شديدا لم يكن في الجيش مثله، فلما انهزم أهل الربض عاد إلى السجن، فانتهى خبره إلى الحكم، فأطلقه وأحسن إليه، (وقد ذكر بعضهم هذه الوقعة سنة اثنتين ومائتين) .

ذكر الوقعة بالموصل المعروفة بالميدان

وفيها كانت الوقعة المعروفة بالميدان بالموصل بين اليمانية والنزارية، وكان سببها أن عثمان بن نعيم البرجمي صار إلى ديار مضر، فشكا الأزد واليمن، وقال: إنهم يتهضموننا، ويغلبوننا على حقوقنا، واستنصرهم، فسار معه إلى الموصل ما يقارب عشرين." (١)

"وكتب المعتز إلى أخيه أبي أحمد يلومه للتقصير في قتال أهل بغداد، فكتب إليه في الجواب:

لأمر المنايا علينا طريق ... وللدهر فينا اتساع وضيق

وأيامنا عبرة للأنام فمنها البكور ومنها الطروق ... ومنها هنات تشيب الوليد ويخذل فيها الصديق الصدوق

وفتنة دين لها ذروة تفوق العيون

،

وبحر عميق قتال متين

،

وسيف عتيد وخوف شديد

،

وحصن وثيق وطول صياح ... لداعي الصباح السلاح السلاح

فما يستفيق فهذا طريح وهذا جريح ... وهذا حريق وهذا غريق

وهذا قتيل وهذا تليل وآخر يشدخه المنجنيق ... هناك اغتصاب وثم انتهاب ودور خراب

وكانت تروق إذا ما شرعنا إلى مسلك وجدناه ... قد سد عنا الطريق فبالله نبلغ ما نرتجي

وبالله ندفع ما لا نطيق

وهذه الأبيات لعلي بن أمية في فتنة الأمين والمأمون.

ذكر حال الأنبار

وسير محمد بن عبد الله إلى الأنبار نجوبة بن قيس، فأقام بها، وجمع بها نحوا من ألفي رجل، وأمده محمد بن عبد الله بألف وخمس مائة، وشق الماء من الفرات إلى." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٤٦٢/٥

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٢٠/٦

"وضم إليه طائفة من الأعراب، وأمر بإتيان البصرة من ناحية بني سعيد، وأمر يحيى بن محمد البحراني بإتيانها مما يلي نهر عدي، وضم إليه سائر الأعراب، فكان أول من واقع أهل البصرة علي بن أبان، وبغراج يومئذ بالبصرة، في جماعة من الجند، فأقام يقاتلهم يومين ومال الناس نحوه.

وأقبل يحيى بن محمد فيمن معه نحو الجسر، فدخل علي بن أبان وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة بقيت من شوال، فأقام يقتل ويحرق يوم الجمعة، وليلة السبت، ويوم السبت، وغادى يحيى البصرة يوم الأحد، فتلقاه بغراج وبرية في جمع فردوه، فرجع يومه ذلك.

ثم غاداهم اليوم الآخر، فدخل وقد تفرق الجند، وهرب برية، وانحاز بغراج ومن معه، ولقيه إبراهيم بن يحيى المهلبي، فاستأمنه لأهل البصرة، فأمنهم، فنادى منادي إبراهيم: من أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم، فحضر أهل البصرة قاطبة، حتى (ملئوا الرحاب) فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة لئلا يتفرقوا، فغدر بهم وأمر أصحابه بقتلهم، فكان السيف يعمل فيهم، وأصواتهم مرتفعة بالشهادة، فقتل ذلك الجمع كله، ولم يسلم إلا النادر منهم، ثم انصرف يومه ذلك إلى الحربية.

ودخل علي بن أبان الجامع فأحرقه، وأحرقت البصرة في عدة مواضع، منها المربد، وزهران، وغيرهما، واتسع **الحريق** من الجبل إلى الجبل، وعظم الخطب، وعمها القتل والنهب والإحراق، وقتلوا كل من رأوه بها، فمن كان من أهل اليسار أخذوا ماله وقتلوه ؛ ومن كان فقيرا قتلوه لوقته، بقوا كذلك عدة أيام.

ثم أمر يحيى أن ينادى بالأمان ليظهروا، فلم يظهر أحد ؛ ثم انتهى الخبر إلى الخبيث، فصرف علي بن أبان عنها، وأقر يحيى عليها لموافقته هواه في كثرة القتل." (١)

"[ممن] لم يأمرهم بالدخول، فصكت شذوات نصير، وصك بعضها بعضا، ولم يبق للملاحين فيها عمل.

ورأى الزنج ذلك فاجتمعوا على جانبي النهر، وألقى الملاحون أنفسهم في الماء خوفا من الزنج، ودخل الزنج الشذوات، فقتلوا بعض المقاتلة، وغرق أكثرهم، وصابرهم نصير، حتى خاف الأسر، فقذف نفسه في الماء فغرق، وأقام الموفق يومه يحاربهم، وينهبهم، ويحرق منازلهم، ولم يزل يومه مستعليا عليهم.

وكان سليمان بن جامع ذلك اليوم من أشد الناس قتالا لأصحاب الموفق، وثبت مكانه، حتى خرج عليه كمين للموفق، فانهزم أصحابه، وجرح سليمان جراحة في ساقه، وسقط لوجهه في موضع كان فيه **حريق**، وفيه بعض الجمر، فاحترق بعض جسده، وحمله أصحابه بعد أن كاد يؤسر، وانصرف الموفق سالما ظافرا.

وأصاب الموفق مرض المفاصل، فبقي به شهر شعبان، وشهر رمضان، وأياما من شوال، وأمسك عن حرب الزنج، ثم برأ، وتماثل، فأمر بإعداد آلة الحرب.

ذكر إحراق قنطرة العلوي صاحب الزنج

ولما اشتغل الموفق بعلته أعاد الخبيث القنطرة التي غرق عندها نصير، وزاد فيها وأحكمها، ونصب دونها أدقال ساج، وألبسها الحديد، وسكر أمام ذلك سكرا من حجارة ليضيق المدخل على الشذا، وتحتد جرية الماء في النهر، فندب

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير ، أبو الحسن ٢٩٧/٦

الموفق أصحابه، وسير طائفة من شرقي نهر أبي الخصيب، وطائفة من غربيه، وأرسل معهما النجارين، والفعلة لقطع القنطرة، وما جعل أمامها، وأمر بسفن مملوءة من القصب أن يصب عليها النفط، وتدخل النهر، ويلقى فيها النار ليحترق الجسر، وفرق جنده على الخبثاء ليمنعوهم عن معاونة من عند القنطرة.

فسار الناس إلى ما أمرهم به عاشر شوال، وتقدمت الطائفتان إلى الجسر، فلقيهما." (١)

"دار الهمداني، ومعهم الفعلة، وكان هذا الموضع محصنا بجمع كثير، وعليه عرادات، ومنجنيقات، وقسي، فاشتبكت الحرب، وكثرت القتلى، فانتصر أصحاب الموفق عليهم، وقتلوهم وهزموهم، وانتهوا إلى الدار، فتعذر عليهم الصعود إليها لعلو سورها، فلم تبلغه السلاليم الطوال، فرمى بعض غلمان الموفق بكلاليب كانت معهم، فعلقوها في أعلام الخبيث، وجذبوها، فتساقطت الأعلام منكوسة، فلم يشك المقاتلة عن الدار في أن أصحاب الموفق قد ملكوها، فانهزموا لا يلوي أحد منهم على صاحبه، فأخذها أصحاب الموفق. وصعد النفاطون وأحرقوها وما كان عليها من المجانيق، والعرادات، ونهبوا ما كان فيها من المتاع، والأثاث، وأحرقوا ما كان حولها من الدور، واستنقذوا ما كان فيها من النساء، وكن عالما كثيرا من المسلمات، فحملن إلى الموفقية، وأمر الموفق بالإحسان إليهن.

واستأمن يومئذ من أصحاب الخبيث، وخاصته الذين يلون خدمته جماعة كثيرة، فأمنهم الموفق، وأحسن إليهم، ودلت جماعة من المستأمنة الموفق على سوق عظيمة كانت للخبيث متصلة بالجسر الأول، تسمى المباركة، وأعلموه إن أحرقها لم يبق سوق غيرها، وخرج عنهم تجارهم الذين كان بهم قوامهم، فعزم الموفق على إحراقها، وأمر أصحابه بقصد السوق من جانبيها، فقصدوها، وأقبلت الزنج إليهم، فتحاربوا أشد حرب تكون، واتصلت أصحاب الموفق إلى طرف من أطراف السوق وألقوا فيه النار فاحترق واتصلت النار.

وكان الناس يقتتلون، والنار محيطة بهم، (واتصلت النار بظلال السوق **فاحترقت**) وسقطت على المقاتلة، واحترق بعضهم، فكانت هذه حالهم إلى مغيب الشمس، ثم تحاجزوا، ورجع أصحاب الموفق إلى عسكرهم، وانتقل تجار السوق إلى أعلى المدينة، وكانوا قد نقلوا معظم أمتعتهم وأموالهم من هذه السوق خوفا من مثل هذه.

ثم إن الخبيث فعل بالجانب الشرقي من حفر الخنادق، وتغوير الطرق مثل ما فعل بالجانب الغربي، بعد هذه الوقعة، واحتفر خندقا عريضا حصن به منازل أصحابه التي على النهر الغربي، فرأى الموفق أن يخرب باقي السور إلى النهر الغربي، ففعل ذلك." (٢)

"ذكر عدة حوادث

وفيها أخذ بالبصرة رجل ذكروا أنه أراد الخروج، وأخذ معه ولده وتسعة وثلاثون رجلا، وحملوا إلى بغداد، فكانوا يبكون، ويستغيثون، ويحلفون أنهم برآء، فأمر بهم المكتفي فحبسوا.

وفيها أغار أندرونقس الرومي على مرعش ونواحيها، فنفر أهل المصيصة وأهل طرسوس فأصيب أبو الرجال بن أبي بكار

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦/٤٠٦

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦/٤٠٨

في جماعة من المسلمين، فعزل الخليفة أبا العشائر عن الثغور، واستعمل عليهم رستم بن بردوا.

وفيها كان الفداء على يد رستم، فكان جملة من فودي به من المسلمين ألف نفس (ومائتي نفس) .

وحج بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن عباس بن محمد.

وفيها زادت دجلة زيادة مفرطة، حتى تهدمت الدور التي على شاطئها بالعراق.

وفيها في العشرين من أيار، طلع كوكب له ذنب عظيم جدا في برج الجوزاء.

وفيها وقع **الحريق** ببغداذ بباب الطاق من الجانب الشرقي إلى طرق الصفارين، فاحترق ألف دكان مملوءة متاعا للتجار.

[الوفيات]

وفيها توفي أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكجي، ويقال الكشي.." (١)

"وجرى على الناس أمر عظيم، وكانت الجنود متشاغلة بأمر الحسين بن حمدان.

وفيها عاد الحجاج وقد لقوا من العطش والخوف شدة، وخرج جماعة من العرب على أبي حامد ورقاء بن محمد المرتب (على الثعلبية) لحفظ الطريق، فقاتلهم، وظفر بهم، وقتل جماعة منهم، وأسر الباقين وحملهم إلى بغداذ، فأمر المقتدر بتسليمهم إلى صاحب الشرطة ليحبسهم، فثارت بهم العامة فقتلوهم وألقوهم في دجلة.

وفيها ظهر بالجامدة إنسان زعم أنه علوي فقتل العامل بها ونهبها، وأخذ من دار الخراج أموالا كثيرة، ثم قتل بعد ظهوره بيسير، وقتل معه جماعة من أصحابه، وأسر جماعة.

وفيها ظهرت الروم وعليهم الغثيط فأوقعوا بجماعة من مقاتلة طرسوس والغزاة، فقتلوا منهم نحو ستمائة فارس، ولم يكن للمسلمين صائفة.

وفيها خرج مليح الأرمني إلى مرعش، فعاث في بلدها، وأسر جماعة ممن حولها وعاد.

وفيها وقع **الحريق** ببغداذ في عدة مواضع، فاحترق كثير منها.

[الوفيات]

وفيها توفي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، صاحب كتاب " السنن "، بمكة، ودفن بين الصفا والمروة.." (٢)

"عن باب السلطان، فإنه إن غاب عنه أثار شغلا عظيما، كأنه يتوسم فيه ما فعل، فهكذا ينبغي أن تكون فراسة الملك.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وقع **حريق** بالكرخ من بغداذ، فاحترق فيه كثير من الدور والناس.

وفيها قلد إبراهيم بن حمدان ديار ربيعة، وقلد بني بن نفيس شهرزور فامتنعت عليه، فاستمد المقتدر، فسير إليه جيشا،

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥٤٥/٦

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦٤٢/٦

فحصرها ولم يفتحها، وقلد القتال بالموصل وأعمالها.

وفيها أوقع ثمل متولي الغزو في البحر بمراكب للمهدي العلوي، صاحب إفريقية، وقتل جماعة ممن فيها، وأسر خادما له.

وفيها انقض كوكب عظيم، (فاشتد ضوءه وعظم) ، وتفرق ثلاث فرق، وسمع عند انقضاضه مثل صوت الرعد الشديد، ولم يكن في السماء غيم.

وفيها كانت فتنة بالموصل بين أصحاب الطعام وبين الأساكفة، واحترق سوق الأساكفة وما فيه، وكان الوالي على الموصل وأعمالها العباس بن محمد بن إسحاق بن كنداج، وكان خارجا عن البلد، فسمع بالفتنة، فرجع ليوقع بأهل الموصل، فعزموا على قتاله، وحصنوا البلد، وسدوا الدروب فلما علم بذلك ترك قتالهم، وأمر الأعراب بتخريب الأعمال، فصاروا يقطعون الطريق على الجسر وفي الميدان، ويقاسمونه.." (١)

"فلما قرئ هذا على الوزير قال القاضي أبو عمرو للحلاج: من أين لك هذا؟ قال: من كتاب " الإخلاص للحسن البصري "، قال له القاضي: كذبت يا حلال الدم! (قد سمعناه بمكة وليس فيه هذا، فلما قال له: يا حلال الدم) ، وسمعها الوزير قال له: اكتب بهذا، فدافعه أبو عمرو، فألزمه حامد، فكتب بإباحة دمه، وكتب بعده من حضر المجلس. ولما سمع الحلاج ذلك قال: ما يحل لكم دمي واعتقادي الإسلام ومذهبي السنة، ولي كتب موجودة، فالله في دمي! (وتفرق الناس) وكتب الوزير إلى الخليفة يستأذن في قتله وأرسل الفتاوى إليه، فأذن في قتله، فسلمه الوزير إلى صاحب الشرطة، فضربه ألف سوط فما تأوه ثم قطع يده، ثم رجله، ثم يده، ثم رجله، ثم قتل وأحرق بالنار فلما صار رمادا ألقي في دجلة، ونصب الرأس ببغداذ، وأرسل إلى خراسان لأنه كان له بها أصحاب، فأقبل بعض أصحابه يقولون: إنه لم يقتل، وإنما ألقي شبهه على دابة، وإنه يجيء بعد أربعين يوما، وبعضهم يقول: لقيته على حمار بطريق النهروان، وإنه قال لهم: لا تكونوا مثل هؤلاء البقر الذين يظنون أني ضربت وقتلت.

ذكر عدة حوادث

وفيها في ربيع الأول، وقع حريق كبير في الكرخ، فاحترق فيه بشر كثير.

وفيها استعمل المقتدر على حرب الموصل ومعونتها محمد بن نصر الحاجب في." (٢)

"وأكرمه وأنفذه إليه، فحسن موقع ذلك من بني حمدان، ثم إن توزون انحدر إلى واسط لقصد البريدي، فأتاه أبو جعفر بن شيرزاد (هاربا من البريدي) ، فقبله وفرح به، وقلده أموره كلها.

ذكر مسير صاحب عمان إلى البصرة

في هذه السنة في ذي الحجة، سار يوسف بن وجيه صاحب عمان في مراكب كثيرة يريد البصرة، وحارب البريدي (فملك الأبلة) ، وقوي قوة عظيمة، وقارب أن يملك البصرة، فأشرف البريدي وإخوته على الهلاك.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦/٦٦٦

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦/٦٧٣

وكان له ملاح يعرف بالرنادي، فضمن للبريدي هزيمة يوسف، فوعده الإحسان العظيم، و أ◌خذ الملاح زورقين فملأهما سعفا يابسا، ولم يعلم به أحد، وأحدرهما في الليل حتى قارب الأبلة.

وكانت مراكب ابن وجيه تشد بعضها إلى بعض (في الليل) ، فتصير كالجسر، فلما انتصف الليل، أشعل ذلك الملاح النار في السعف الذي في الزورقين، وأرسلهما مع الجزر والنار فيهما، فأقبلا أسرع من الريح، فوقعا في تلك السفن والمراكب، فاشتعلت **واحترقت** قلوسها، واحترق من فيها، ونهب الناس منها مالا عظيما، ومضى يوسف بن وجيه هاربا في المحرم سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، (وأحسن البريدي إلى ذلك الملاح) ، وفي هذه الفتنة هرب ابن شيرزاد (من البريدي) وأصعد إلى توزون.." (١)

"إلى جبال كتامة وعجيسة وغيرهم، فتحصن بها واجتمع إليه أهلها، وصاروا ينزلون يتخطفون الناس، فسار المنصور عاشر شعبان إليه، فلم ينزل أبو يزيد، فلما عاد نزل إلى ساقة العسكر، فرجع المنصور، ووقعت الحرب فانهزم أبو يزيد، وأسلم أولاده وأصحابه، ولحقه فارسان فعقرا فرسه فسقط عنه، فأركبه بعض أصحابه، ولحقه زيري بن مناد فطعنه فألقاه، وكثر القتال عليه، فخلصه أصحابه وخلصوا معه، وتبعهم أصحاب المنصور، فقتلوا منهم ما يزيد على عشرة آلاف.

ثم سار المنصور في أثره أول شهر رمضان، فاقت◌تلوا أيضا أشد قتال، ولم يقدر أحد الفريقين على الهزيمة لضيق المكان وخشونته، ثم انهزم أبو يزيد أيضا، **واحترقت** أثقاله وما فيها، وطلع أصحابه على رءوس الجبال يرمون بالصخر، وأحاط القتال (بالمنصور وتواخذوا بالأيدي، وكثر القتل) حتى ظنوا أنه الفناء، وافترقوا على السواء، والتجأ أبو يزيد إلى قلعة كتامة، وهي منيعة، فاحتمى بها.

وفي ذلك اليوم (أتى إلى المنصور) جند له من كتامة برجل ظهر في أرضهم ادعى الربوبية، فأمر المنصور بقتله، وأقبلت هوارة وأكثر من مع أبي يزيد يطلبون الأمان، فأمن◌هم المنصور، وسار إلى قلعة كتامة، فحصر أبا يزيد فيها، وفرق جنده حولها، فناشبه أصحاب أبي يزيد القتال، وزحف إليها المنصور غير مرة، ففي آخرها ملك أصحابه بعض القلعة، وألقوا فيها النيران، وانهزم أصحاب أبي يزيد (وقتلوا قتلا ذريعا، ودخل أبو يزيد) وأولاده وأعيان أصحابه إلى قصر في القلعة، فاجتمعوا فيه، **فاحترقت** أبوابه وأدركهم القتل، فأمر المنصور بإشعال النار في شعاري الجبل وبين يديه لئلا يهرب أبو يزيد، فصار الليل كالنهار.

فلما كان آخر الليل، خرج أصحابه وهم يحملونه على أيديهم، و◌حملوا على." (٢)

"ولما مات ولي الأمر بعده ابنه معد، وهو المعز لدين الله، وأقام في تدبير الأمور إلى سابع ذي الحجة، فأذن للناس فدخلوا عليه، وجلس لهم فسلموا عليه بالخلافة، وكان عمره أربعا وعشرين سنة.

فلما دخلت سنة ست وأربعين [وثلاثمائة] صعد جبل أوراس، وجال فيه عسكره، وهو ملجأ كل منافق على الملوك، وكان فيه بنو كملان، ومليلة، وقبيلتان من هوارة، لم يدخلوا في طاعة من تقدمه، فأطاعوا المعز، ودخلوا معه البلاد، وأمر نوابه

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١١٨/٧

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١٥٠/٧

بالإحسان إلى البربر، فلم يبق منهم أحد إلا أتاه، وأحسن إليهم المعز، وعظم أمره، ومن جملة من استأمن إليه محمد بن خزر الزناتي أخو معبد، فأمنه المعز وأحسن إليه.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في ربيع الأول، ضرب معز الدولة وزيره أبا محمد المهلبي بالمقارع مائة وخمسين مقرعة، ووكل به في داره ولم يعزله من وزارته، وكان نقم عليه أمورا ضربه بسببها.

وفيها في ربيع الآخر، وقع حريق عظيم ببغداذ في سوق الثلاثاء، فاحترق فيه للناس ما لا يحصى.

وفي هذه السنة ملك الروم مدينة سروج، وسبوا أهلها وغنموا أموالهم، وأخربوا المساجد.

وفيها سار ركن الدولة من الري إلى طبرستان وجرجان، فسار عنها إلى ناحية نسا وأقام بها، واستولى ركن الدولة على تلك البلاد، وعاد عنها إلى الري، واستخلف بجرجان الحسن بن فيرزان وعلي بن كامة، فلما رجع ركن الدولة عنها، قصدها وشمكير فانهزموا منه، واستردها وشمكير.." (١)

"[ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة]

- ٣٥٤

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة

ذكر استيلاء الروم على المصيصة وطرسوس

في هذه السنة فتح الروم المصيصة وطرسوس.

وكان سبب ذلك أن نقفور ملك الروم بنى بقيسارية مدينة ليقرب من بلاد الإسلام، وأقام بها، ونقل أهله إليها، فأرسل إليه أهل طرسوس والمصيصة (يبذلون له إتاوة) ، ويطلبون منه أن ينفذ إليهم بعض أصحابه يقيم عندهم، فعزم على إجابتهم إلى ذلك.

فأتاه الخبر بأنهم قد ضعفوا وعجزوا، وأنهم لا ناصر لهم، وأن الغلاء قد اشتد عليهم، وقد عجزوا عن القوت، وأكلوا الكلاب والميتة، وقد كثر فيهم الوباء، فيموت منهم في اليوم ثلاثمائة نفس، فعاد نقفور عن إجابتهم، وأحضر الرسول وأحرق الكتاب على رأسه، واحترقت لحيته، وقال لهم: أنتم كالحية، في الشتاء تخدر وتذبل حتى تكاد تموت، فإن أخذها إنسان وأحسن إليها وأدفأها، انتعشت ونهشته، وأنتم إنما أطعتم لضعفكم، وإن تركتكم حتى تستقيم أحوالكم، تأذيت بكم.

وأعاد الرسول، وجمع جيوش الروم، وسار إلى المصيصة بنفسه، فحاصرها وفتحها عنوة (بالسيف يوم السبت ثالث عشر رجب) ، ووضع السيف فيهم، فقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم رفع السيف ونقل كل من بها إلى بلد الروم، كانوا نحو مائتي ألف إنسان.." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٠٠/٧

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٥٤/٧

"فلما دخل المغاربة البلد عاثوا فيه، ونهبوا قطرا منه، فثار الناس، وحملوا عليهم، ووضعوا السيف فيهم، فقتلوا منهم جماعة، وشرعوا في تحصين البلد وحفر الخنادق، وعزموا على اصطلاء الحرب، وبذل النفوس في الحفظ، وأحجمت المغاربة عنهم، ومشى الناس إلى الشريف أبي القاسم بن أبي يعلى، فطلبوا منه أن يسعى فيما يعود بصلاح الحال، ففعل، ودبر الحال إلى أن تقرر الصلح يوم الخميس لست عشرة خلت من ذي الحجة سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وكان الحريق قد أتى على عدة كثيرة من الدور وقت الحرب.

ودخل صاحب الشرطة جعفر بن فلاح البلد يوم الجمعة فصلى مع الناس وسكنهم وطيب قلوبهم، وقبض على جماعة من الأحداث في المحرم سنة ستين وثلاثمائة، وقبض على الشريف أبي القاسم بن أبي يعلى الهاشمي المذكور، وسيره إلى مصر، واستقر أمر دمشق.

(وكان ينبغي أن يؤخر) (ملك ابن الفلاح دمشق إلى آخر السنة) ، وإنما قدمته ليتصل خبر المغاربة بعضه ببعض.

ذكر اختلاف أولاد ناصر الدولة وموت أبيهم

كان سبب اختلاف أولاد ناصر الدولة أنه كان أقطع ولده حمدان مدينة الرحبة وماردين وغيرهما. وكان أبو تغلب وأبو البركات وأختهما جملة أولاد ناصر الدولة من زوجته فاطمة بنت أحمد الكردية، وكانت مالكة أمر ناصر الدولة، فاتفقت مع ابنها أبي تغلب، وقبضوا على ناصر الدولة، على ما ذكرناه، فابتدأ ناصر الدولة يدبر في القبض عليهم، فكاتب ابنه حمدان يستدعيه ليتقوى به عليهم، فظفر أولاده بالكتاب، فلم ينفذوه، وخافوا أباهم وحذروه، فحملهم خوفه على نقله إلى قلعة كواشي.

واتصل ذلك بحمدان، فعظم عليه، وصار عدوا مباينا، وكان أشجعهم، وكان قد." (١)

"وخطب هو وقرغويه في أعماله للمعز لدين الله العلوي، صاحب المغرب ومصر.

وفيها، في رمضان، وقع حريق عظيم ببغداذ في سوق الثلاثاء، فاحترق جماعة رجال ونساء، وأما الرحال، وغيرها فكثير، ووقع الحريق أيضا في أربعة مواضع من الجانب الغربي فيها أيضا.

وفيها كانت الخطبة بمكة للمطيع لله وللقرامطة الهجريين، وخطب بالمدينة للمعز لدين الله العلوي، وخطب أبو أحمد الموسوي والد الشريف الرضي خارج المدينة للمطيع لله.

[الوفيات]

وفيها مات عبيد الله بن عمر بن أحمد أبو القاسم العبسي المقرئ الشافعي بقرطبة، وله تصانيف كثيرة، وكان مولده ببغداذ سنة خمس وتسعين ومائتين، وأبو بكر محمد بن داود الدينوري الصوفي، المعروف بالرقي وهو من مشاهير مشايخهم، وقيل مات سنة اثنتين وستين [وثلاثمائة] .

وفيها توفي القاضي أبو العلاء محارب بن محمد الفقيه الشافعي في جمادى الآخرة، وكان عالما بالفقه والكلام.." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٨٢/٧

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٩٧/٧

"[ثم دخلت سنة اثنين وستين وثلاثمائة.]

- ٣٦٢

ثم دخلت سنة اثنين وستين وثلاثمائة.

ذكر انهزام الروم وأسر الدمستق في هذه السنة كانت وقعت بين هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان وبين الدمستق بناحية ميافارقين.

وكان سببها ما ذكرناه من غزو الدمستق بلاد الإسلام، ونهبه ديار ربيعة وديار بكر، فلما رأى الدمستق أنه لا مانع له من مراده له قوي طمعه على أخذ آمد إليها، وبها هزارمرد غلام أبي الهيجاء بن حمدان، فكتب إلى أبي تغلب يستصرخه ويستنجده، ويعلمه الحال، فسير إليه أخاه أبا القاسم هبة الله بن ناصر الدولة، واجتمعا على حرب الدمستق، وسارا فلقياه سلخ رمضان، وكان الدمستق في كثرة لكن لقياه في مضيق لا تجول فيه الخيل، والروم على غير أهبة، فانهزموا، وأخذ المسلمون الدمستق أسيرا، ولم يزل محبوسا إلى أن مرض سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، فبالغ أبو تغلب في علاجه، واجتمع الأطباء له، فلم ينفعه ذلك ومات.

ذكر حريق الكرخ

في هذه السنة في شعبان، احترق الكرخ حريقا عظيما.

وسبب ذلك أن صاحب المعونة قتل عاميا، فثار به العامة والأتراك، فهرب ودخل دار بعض الأتراك، فأخرج منها مسحوبا، وقتل وأحرق، وفتحت السجون فأخرج (من فيها، فركب) الوزير أبو الفضل لأخذ الجناة، وأرسل حاجبا له يسمى صافيا في جمع." (١)

"لقتال العامة بالكرخ، وكان شديد العصبية للسنة، فألقى النار في عدة أماكن، فاحترق حريقا عظيما، وكان عدة من احترق فيه سبعة عشر ألف إنسان، وثلاثمائة دكان، وكثيرا من الدور، وثلاثة وثلاثين مسجدا،، ومن الأموال ما لا يحصى.

ذكر عزل أبي الفضل من وزارة عز الدولة ووزارة ابن بقية

وفيها أيضا عزل الوزير أبو الفضل العباس بن الحسين من وزارة عز الدولة بختيار في ذي الحجة، واستوزر محمد بن بقية، فعجب الناس لذلك لأنه كان وضيعا في نفسه، وأهل أوانا، وكان أبوه أحد الزراعين، لكنه كان قريبا من بختيار، وكان يتولى له المطبخ، ويقدم إليه الطعام ومنديل الخوان على كتفه، إلى أن استوزر.

وحبس الوزير أبو الفضل، فمات عن قريب، فقيل إنه مات مسموما، وكان في ولايته مضيعا لجانب الله. فمن ذلك أنه أحرق الكرخ ببغداذ، فهلك فيه من الناس والأموال ما لا يحصى، ومن ذلك أنه ظلم الرعية، وأخذ الأموال ليفرقها على الجند ليسلم، فما سلمه الله تعالى، ولا نفعه ذلك، وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول: «من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس» .

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٧/٣١٠

وكان م ا فعله من ذلك أبلغ الطرق التي سلكها أعداؤه من الوقيعة فيه، والسعي به، وتمشى لهم ما أرادوا لما كان عليه من تفريطه في أمر دينه، وظلم رعيته، وعقب ذلك أن زوجته ماتت وهو محبوس وحاجبه وكاتبه، فخربت داره، وعفي أثرها، نعوذ بالله من سوء الأقدار، ونسأله أن يختم بخير أعمالنا، فإن الدنيا إلى زوال ما هي.

وأما ابن بقية فإنه استقامت أموره، ومشت الأموال بين يديه بما أخذه من أموال أبي." (١)

"الكرخ حريقا ثانيا، وظهرت السنة عليهم.

ذكر خلع المطيع وخلافة الطائع لله

وفي هذه السنة، منتصف ذي القعدة، خلع المطيع لله، وكان به مرض الفالج، وقد ثقل لسانه، وتعذرت الحركة عليه، وهو يستر ذلك، فانكشف حاله لسبكتكين هذه الدفعة، فدعاه إلى أن يخلع نفسه من الخلافة ويسلمها إلى والده الطائع لله، واسمه أبو الفضل عبد الكريم، ففعل ذلك، وأشهد على نفسه بالخلع ثالث عشر ذي القعدة. وكانت مدة خلافته تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر غير أيام، وبويع للطائع لله بالخلافة، واستقر أمره.

ذكر الحرب بين المعز لدين الله العلوي والقرامطة في هذه السنة سار القرامطة، ومقدمهم الحسن بن أحمد، من الأحساء إلى ديار مصر فحصرها، ولما سمع المعز لدين الله صاحب مصر بأنه يريد قصد مصر كتب إليه كتابا يذكر فيه فضل نفسه وأهل بيته، وأن الدعوة واحدة، وأن القرامطة إنما كانت دعوتهم إليه، وإلى آبائه من قبله، ووعظه وبالغ، وتهدده، وسير الكتاب إليه.

فكتب جوابه: وصل كتابك الذي قل تحصيله وكثر تفضيله، ونحن سائرون إليك على أثره، والسلام.

وسار حتى وصل إلى مصر، فنزل على عين شمس بعسكره، وأنشب القتال، وبث." (٢)

"وفيها هرب فولاذ زماندر من عند صمصام الدولة إلى الري، وكان سبب هربه أنه تحكم على صمصام الدولة تحكما عظيما أنف منه، فأراد القبض (عليه، فعلم) به فهرب منه.

وفيها كتب أهل الرحبة إلى بهاء الدولة يطلبون إنفاذ من يسلمون إليه الرحبة، فأنفذ خمارتكين الحفصي إلى الرحبة فتسلمها، وسار منها إلى الرقة، وبها بدر غلام سعد الدولة بن حمدان، فجرت بينهما وقعات، فلم يظفر بها، وبلغه اختلاف ببغداذ، فعاد، فخرج عليه بعض العرب، فأخذوه أسيرا، ثم افتدى منهم بمال كثير.

وفيها حلف بهاء الدولة للقادر بالله على الطاعة، والقيام بشروط البيعة، وحلف له القادر بالوفاء والخلوص، وأشهد عليه أنه قلده ما وراء بابه.

وفيها كثرت الفتن بين العامة ببغداذ، وزالت هيبة السلطنة، وتكرر الحريق في المحال، واستمر الفساد.

[الوفيات]

وفيها توفي قاضي القضاة عبيد الله بن أحمد بن معروف أبو محمد، ومولده سنة ست وثلاثمائة، وكان فاضلا، عفيفا،

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣١١/٧

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣١٨/٧

نزيها، وكان معتزليا، ومحمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان أبو بكر المعروف بابن المقري الأصبهاني، وله ست وتسعون سنة، وهو راوي مسند أبي يعلى الموصلي عنه.." (١)

"فأراد فساده، فقتل من الشيعة خلق كثير، وأحرقوا بالنار ونهبت ديارهم، وقتلوا في جميع إفريقية، واجتمع جماعة منهم إلى قصر المنصور قريب القيروان فتحصنوا به فحصرهم العامة وضيقوا عليهم فاشتد عليهم الجوع، فأقبلوا يخرجون والناس يقتلونهم حتى قتلوا عن آخرهم، ولجأ من كان منهم بالمهدية إلى الجامع فقتلوا كلهم، وكانت الشيعة تسمى بالمغرب المشارقة نسبة إلى أبي عبد الله الشيعي، وكان من المشرق، وأكثر الشعراء ذكر هذه الحادثة فمن فرح مسرور ومن باك حزين.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، في ربيع الأول، **احترقت** قبة مشهد الحسين والأروقة، وكان سببه أنهم أشعلوا شمعتين كبيرتين، فسقطتا في الليل على التأزير، فاحترق، وتعدت النار، وفيه أيضا احترق نهر طابق ودار القطن، وكثير من باب البصرة واحترق جامع سر من رأى.

وفيها تشعث الركن اليماني من البيت الحرام وسقط حائط بين يدي حجرة النبي صلى الله عليه وسلم ووقعت القبة الكبيرة على الصخرة بالبيت المقدس.

وفيها كانت فتنة كبيرة بين السنة والشيعة بواسط، فانتصر السنة وهرب وجوه الشيعة والعلويين إلى علي بن مزيد فاستنصروه.." (٢)

"وقاضي القضاة أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي الشوارب، ومولده في ذي القعدة سنة تسع عشرة وثلاثمائة وكان عفيفا نزها، وقيل توفي سنة سبع عشرة.

وبسيل ملك الروم، وملك بعده أخوه قسطنطين.

وفيها ورد رسول محمود بن سبكتكين إلى القادر بالله ومعه خلع قد سيرها له الظاهر لإعزاز دين الله العلوي، صاحب مصر، ويقول: أنا الخادم الذي أرى الطاعة مرضا، ويذكر إرسال هذه الخالع إليه، وأنه سيرها إلى الديوان ليرسم فيها بما يرى، فأحرقت على باب النوبي، فخرج منها ذهب كثير تصدق به على ضعفاء بني هاشم.

[تابع الوفيات]

وفيها توفي سابور بن أردشير، وزير بهاء الدولة وكان كاتبا سديدا، وعمل دار الكتب ببغداد سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وجعل فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد، وبقيت إلى أن **احترقت** عند مجيء طغرلبك إلى بغداذ سنة خمسين وأربعمائة.

وفيها توفي عثمان الخركوشي، الواعظ النيسابوري، وكان صالحا، خيرا، وكان إذا دخل على محمود بن سبكتكين يقوم ويلتقيه، وكان محمود قد قسط على نيسابور مالا يأخذه منهم، فقال له الخركوشي: بلغني أنك (تكدي الناس، وضاق

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٤٥٢/٧

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦٤٠/٧

صدري، فقال: وكيف؟ قال: بلغني أنك) تأخذ أموال الضعفاء، وهذه كدية. فترك القسط وأطلقه.

وفيها بطل الحج من العراق وخراسان.." (١)

"وسجستان، وصرنا ملوكا متبوعين، بعد أن كنا أصاغر تابعين، وما تقتضي نعم الله علينا أن نقابلها هذه المقابلة.

فقال طغرلبك: قل له في الجواب: يا أخي أنت ملكت خراسان وهي بلاد عامرة، فخربتها، ووجب عليك مع استقرار قدمك عمارتها، وأنا وردت بلادا خربها من تقدمني، واجتاحها من كان قبلي، فما أتمكن من عمارتها والأعداء محيطة بها، والضرورة تقود إلى طرقها بالعساكر، ولا يمكن دفع مضرتها عنها.

وله مناقب كثيرة تركناها خوف التطويل.

ذكر حريق بغداذ.

في هذه السنة احترقت بغداذ: الكرخ وغيره، وبين السورين، واحترقت فيه خزانة الكتب التي وقفها أردشير الوزير ونهبت بعض كتبها، وجاء عميد الملك الكندري، فاختار من الكتب خيرها، وكان بها عشرة آلاف مجلد وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم منها: مائة مصحف بخطوط بني مقلة، وكان العامة قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق، فأزالهم عميد الملك، وقعد يختارها، فنسب ذلك إلى سوء سيرته، وفساد اختياره، وشتان بين فعله وفعل نظام الملك الذي عمر المدارس، ودون العلم في بلاد الإسلام جميعها، ووقف الكتب وغيرها.

ذكر انحدار السلطان إلى واسط وما فعل العسكر وإصلاح دبيس.

في هذه السنة انحدر السلطان طغرلبك إلى واسط بعد فراغه من أمر بغداذ فرآها قد نهبت، وحضر عنده هزارسب بن بنكير، وأصلح معه حال دبيس بن مزيد، وأحضره معه إلى خدمة السلطان، وأصعد في صحبته إلى بغداذ، وكذلك صدقة بن منصور بن الحسين، وضمن واسطا أبو علي بن فضلان بمائتي ألف دينار وضمن البصرة الأغر أبو سعد سابور بن المظفر، وعبر السلطان إلى الجانب الشرقي من دجلة، وسار إلى." (٢)

"معهما طائفة من العسكر، فسير جمعا صالحا، فلما جاوزوا الفصيل أحاط بهم الكرج من أهل المدينة وقاتلوهم فأكثروا القتل فيهم، ولم يتمكن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك.

وخرج الكرج من البلد وقصدوا العسكر، واشتد القتال، وكان السلطان، ذلك الوقت، يصلي، فأتاه الصريخ، فلم يبرح حتى فرغ من صلاته، وركب، وتقدم إلى الكفار، فقاتلهم، وكبر المسلمون عليهم، فولوا منهزمين، فدخلوا البلد والمسلمون معهم، ودخلها السلطان وملكها، واعتصم جماعة من أهلها في برج من أبراج المدينة، فقاتلهم المسلمون، فأمر السلطان بإلقاء الحطب حول البرج وإحراقه، ففعل ذلك، وأحرق البرج ومن فيه، وعاد السلطان إلى خيامه، وغنم المسلمون من المدينة ما لا يحد ولا يحصى.

ولما جن الليل عصفت ريح شديدة. وكان قد بقي من تلك النار التي أحرق بها البرج بقية كثيرة، فأطارتها الريح،

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦٩١/٧

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١٦٦/٨

فاحترقت المدينة بأسرها، وذلك في رجب سنة ست وخمسين وأربعمائة، وملك السلطان قلعة حصينة كانت إلى جانب تلك المدينة، وأخذها. وسار منها إلى ناحية قرس ومدينة آني بالقرب منها ناحيتان يقال لهما سيل ورده. ونورة، فخرج أهلها مذعنين بالإسلام، وخربوا البيع، وبنوا المساجد.

وسار منها إلى مدينة آني فوصل إليها فرآها مدينة حصينة، شديدة الامتناع، لا ترام، ثلاثة أرباعها على نهر أرس، والربع الآخر نهر عميق شديد الجرية، لو طرحت فيه الحجارة الكبار لدحاها وحملها، والطريق إليها على خندق عليه سور من الحجارة الصم، وهي بلدة كبيرة، عامرة، كثيرة الأهل، فيها ما يزيد على خمسمائة بيعة، فحصرها وضيق عليها، إلا أن المسلمين قد أيسوا من فتحها لما رأوا من حصانتها، فعمل السلطان برجا من خشب، وشحنه بالمقاتلة. ونصب عليه المنجنيق، ورماة النشاب، فكشفوا الروم عن السور، وتقدم المسلمون إليه لينقبوه، فأتاهم من لطف الله ما لم يكن في حسابهم، فانهدم قطعة كبيرة من السور بغير سبب، فدخلوا المدينة وقتلوا من أهلها ما لا يحصى بحيث إن كثيرا من المسلمين عجزوا عن دخول البلد من كثرة القتلى، وأسروا نحوا مما قتلوا.." (١)

"وفيها، في جمادى الآخرة، كانت بخراسان والجبال زلزلة عظيمة، بقيت تتردد أياما، تصدعت منها الجبال، وأهلكت خلقا كثيرا، وانخسف منها عدة وخرج الناس إلى الصحراء فأقاموا هناك.

(وفيها، في جمادى الأولى، وقع حريق بنهر معلى، فاحترق من باب الجريد إلى آخر السوق الجديد، من الجانبين) .

وفيها ولدت صبية بباب الأزج ولدا برأسين، ورقبتين ووجهين وأربع أيد على بدن واحد.

[الوفيات]

وفي جمادى الآخرة توفي الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ومولده سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، وكان إماما في الحديث والفقه على مذهب الشافعي، وله فيه مصنفات أحدها: " السنن الكبير "، عشرة مجلدات، وغيره من التصانيف الحسنة وكان عفيفا، زاهدا، ومات بنيسابور. وفي شهر رمضان منها توفي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي.." (٢)

"وفيها، في ذي القعدة، احترقت تربة معروف الكرخي، رحمة الله عليه، وسبب حريقها أن قيمها كان مريضا، فطبخ لنفسه ماء الشعير، فاتصلت النار بخشب وبواري كانت هناك، فأحرقته واتصل الحريق، فأمر الخليفة أبا سعد الصوفي، شيخ الشيوخ، بعمارتها.

وفيها، في ذي القعدة، فرغت عمارة المدرسة النظامية، وتقرر التدريس بها للشيخ أبي إسحاق الشيرازي، فلما اجتمع الناس لحضور الدرس، وانتظروا مجيئه، تأخر، فطلب، فلم يوجد.

وكان سبب تأخره أنه لقيه صبي، فقال له: كيف تدرس في مكان مغصوب؟ فتغيرت نيته عن التدريس بها، فلما ارتفع النهار، وأيس من حضوره، أشار الشيخ أبو منصور بن يوسف بأبي نصر الصباغ، صاحب كتاب الشامل، وقال: لا

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١٩٦/٨

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٠٨/٨

يجوز أن ينفصل هذا الجمع إلا عن مدرس، ولم يبق ببغداذ من لم يحضر غير الوزير، فجلس أبو نصر للدرس، وظهر الشيخ أبو إسحاق بعد ذلك، ولما بلغ نظام الملك الخبر أقام القيامة على العميد أبي سعد، ولم يزل يرفق بالشيخ أبي إسحاق حتى درس بالمدرسة، وكانت مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوما. وفيها، في ذي القعدة، قتل الصليحي، أمير اليمن، بمدينة المهجم، قتله أحد ◌ أمرائها وأقيمت الدعوة العباسية هناك، وكان قد ملك مكة، على ما ذكرناه سنة خمس وأربعمائة، وأمن الحجاج في أيامه، فأثنوا عليه خيرا، وكسا البيت بالحرير الأبيض الصيني، ورد حلي البيت إليه، وكان بنو حسن قد أخذوه وحملوه إلى اليمن، فابتاعه الصليحي منهم.." (١)

"[ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة.]

٤٦١ -

ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة.

ذكر عدة حوادث.

في هذه السنة، في صفر، أعيد فخر الدولة بن جهير إلى وزارة الخليفة، على ما ذكرناه، فلما عاد مدحه ابن الفضل فقال:

قد رجع الحق إلى نصابه ... وأنت من كل الورى أولى به.

ما كنت إلا السيف سلته

يد ثم أعادته إلى قرابه.

وهي طويلة.

وفي شعبان احترق جامع دمشق. وكان سبب احتراقه أنه وقع بدمشق حرب بين المغاربة أصحاب المصريين والمشارقة، فضربوا دارا مجاورة للجامع بالنار فاحترقت، واتصلت بال◌جامع، (وكانت العامة تعين المغاربة، فتركوا القتال واشتغلوا بإطفاء النار من الجامع) فعظم الخطب واشتد الأمر، وأتى الحريق على الجامع، فدثرت محاسنه، وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة.." (٢)

"بن جهير على وزارته بوصية من القائم بذلك، وسير عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير إلى السلطان ملكشاه لأخذ البيعة، وكان مسيره في شهر رمضان، وأرسل معه من أنواع الهدايا ما يجل عن الوصف.

ذكر عدة حوادث.

في هذه السنة، في شوال، وقعت نار ببغداذ في دكان خباز بنهر المعلى، فاحترقت من السوق مائة وثمانون دكانا سوى الدور، ثم وقعت نار في المأمونية، ثم في الظفرية، ثم في درب المطبخ، ثم في دار الخليفة، ثم في حمام السمرقندي، ثم في باب الأزج ودرب خراسان، ثم في الجانب الغربي في نه◌ر طابق، ونهر القلائين، والقطيعة، وباب البصرة،

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢١٢/٨

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢١٦/٨

واحترق ما لا يحصى.

وفيها أرسل المستنصر بالله العلوي، صاحب مصر، إلى صاحب مكة ابن أبي هاشم رسالة وهدية جلية، وطلب منه أن يعيد الخطبة بمكة حرسها الله تعالى، وقال: إن أيمانك وعهودك كانت للقائم، وللسلطان ألب أرسلان، وقد ماتا، فخطب له بمكة وقطع خطبة المقتدي، وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة أربع سنين وخمسة أشهر، ثم أعيدت في ذي الحجة سنة ثمان وستين [وأربعمائة] .." (١)

"وفيها حصر تميم بن المعز بن باديس، صاحب إفريقية، مدينتي قابس وسفاقس في وقت واحد، وفرق عليهما العساكر.

[الوفيات]

وفيها، في ربيع الأول، توفي أبو الحسن بن فضال المجاشعي، النحوي، المقرئ.

وفي ربيع الآخر توفي شيخ الشيوخ أبو سعد الصوفي، النيسابوري، وهو الذي تولى بناء الرباط بنهر المعلى، وبنى وقوفه، وهو رباط شيخ الشيوخ الآن، وبنى وقوف المدرسة النظامية، وكان عالي الهمة، كثير التعصب لمن يلتجئ إليه، وجدد تربة معروف الكرخي بعد أن احترقت، وكانت له منزلة كبيرة عند السلطان، وكان يقال: نحمد الله الذي أخرج رأس أبي سعد من مرقعة ولو أخرجه من قباء لهلكنا.

وفيها توفي أبو علي (علي) بن أحمد التستري البصري، وكان خيرا، حافظا للقرآن، ذا مال كثير، وهو آخر من روى سنن أبي داود السجستاني عن أبي عمر الهاشمي.

وفيها توفي الشريف أبو نصر الزينبي، العباسي، نقيب الهاشميين، وهو محدث مشهور عالي الإسناد.." (٢)

"ذكر ما فعله العرب بالحجاج والكوفة

سار الحجاج هذه السنة من بغداذ، فقدموا الكوفة، ورحلوا منها فخرجت عليهم خفاجة، وقد طمعوا بموت السلطان، وبعد العسكر، فأوقعوا بهم، وقتلوا أكثر الجند الذين معهم، وانهزم باقيهم، ونهبوا الحجاج، وقصدوا الكوفة فدخلوها، وأغاروا عليها، وقتلوا في أهلها، فرماهم الناس بالنشاب، فخرجوا بعد أن نهبوا، وأخذوا ثياب من لقوه من الرجال والنساء، فوصل الخبر إلى بغداذ، فسيرت العساكر منها، فلما سمع بهم بنو خفاجة انهزموا، فأدركهم العسكر، فقتل منهم خلق كثير، ونهبت أموالهم، وضعفت خفاجة بعد هذه الوقعة.

ذكر عدة حوادث

فيها، في ربيع الأول، عاد السلطان من بغداذ إلى أصبهان، وأخذ معه الأمير أبا الفضل جعفر ابن الخليفة المقتدي بأمر الله من ابنة السلطان، وتفرق الأمراء إلى بلادهم، (ثم عاد إلى بغداذ، فتوفي كما ذكرناه) .

وفيها، في جمادى الأولى، احترق نهر المعلى، فاحترق عقد الحديد إلى خربة الهراس، إلى باب دار الضرب، واحترق

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٥٤/٨

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣١٤/٨

سوق الصاغة والصيارف، والمخلطين، والريحانيين، وكان **الحريق** من الظهر إلى العصر، فاحترق منها الأمر العظيم في الزمان القليل، واحترق من الناس خلق كثير، ثم ركب عميد الدولة بن جهير، وزير الخليفة، وجمع السقائين، ولم يزل راكبا حتى طفئت النار.." (١)

"وفيها كانت الفتنة بين أهل نهر طابق وأهل باب الأرجا، **فاحترقت** نهر طابق، وصارت تلولا، فلما **احترقت** عبر يمن، صاحب الشرطة، فقتل رجلا مستورا، فنفر الناس منه، وعزل في اليوم الثالث.

وفيها توفي محمد بن أبي هاشم الحسيني، أمير مكة، وقد جاوز سبعين سنة، ولم يكن له ما يمدح به، وكان قد نهب بعض الحجاج سنة ست وثمانين وأربعمائة وقتل منهم خلقا كثيرا.

وفيها، في ربيع الأول، قتل السلطان بركيارق عمه تكش وغرقه، وقتل ولده معه، وكان ملكشاه قد أخذه، لما خرج عليه، وكحله، وحبسه بقلعة تكريت، فلما ملك بركيارق أحضره إليه ببغداذ، وسار بمسيره، فظفر بملطفات إليه من أخيه تتش يحثه على اللحاق به، وقيل إنه أراد المسير إلى بلخ لأن أهلها كانوا يريدونه، فقتله، فلما غرق بقي بسر من رأى، فحمل إلى بغداذ، فدفن عند قبر أبي حنيفة.

وفيها، في جمادى الآخرة، كانت وقعة بين الأمير أنر وتورانشاه، ابن قاورت بك، وكانت تركان خاتون الجلالية، والدة محمود بن ملكشاه، قد أرسلته في عسكر ليأخذ بلاد فارس من تورانشاه، ولم يحسن الأمير أنر تدبير بلاد فارس، فاستوحش منه الأجناد، و ا جتمعوا مع تورانشاه، وهزموا أنر، ومات تورانشاه، بعد الكسرة (بشهر من سهم) أصابه فيها.

وفيها استولى أصبهبذ بن ساوتكين على مكة، حرسها الله، عنوة، وهرب منها الأمير قاسم بن أبي هاشم العلوي صاحبها، وأقام بها إلى شوال، وجمع الأمير قاسم،." (٢)

"مخوف الجانب وأمن البصريون به، وأسقط شيئا من المكوس، واتسعت إمارته باشتغال السلاطين، وملك المشان، واستضافها إلى ما بيده.

فلما كان هذه السنة كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم إليه، فقوي طمعه في واسط، فأصعد في السفن إلى نهرابان، وراسلهم في التسليم، فامتنعوا من ذلك، وقالوا: راسلناك، وقد رأينا غير ذلك الرأي. فأصعد إلى الجانب الشرقي، فخيم تحت النخيل، وسفنه بين يديه، وخيم جند واسط حذاءه، وراسلهم، ووعدهم، وهم لا يجيبونه.

واتفقت العامة مع الجند، وشتموه أقبح شتم، فلما أيس منهم عاد إلى البصرة، وساروا بإزائه من الجانب الآخر، فوصل إلى العمر، وعبر طائفة من أصحابه فوق البلد، وهو يظن أن البلد خال، وأن الناس قد خرجوا منه لما رأى كثرة من بإزائه، فيوقع **الحريق** في البلد، فإذا رجع الأتراك عاد هو من ورائهم، فكان ظنه خائبا لأن العامة كانوا على دجلة، وأولهم في البلد، وآخرهم مع الأتراك بإزائه.

فلما عبر أصحابه عاد الأتراك عليهم ومعهم العامة، فقتلوا منهم ثلاثين رجلا، وأسروا خلقا كثيرا، وألقى الباقون أنفسهم

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٨/٣٦٥

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٨/٣٨٥

في الماء، فأتاه من ذلك مصيبة لم يظنها، وصار أعيان أصحابه مأسورين، وعاد إلى البصرة، وكان عوده من سعادته، فإنه كان قد قصد الأمير أبو سعد محمد بن مضر بن محمود (البصرة ذلك الوقت) ، وله أعمال واسعة، منها: نصف عمان، وجنابة، وسيراف، وجزيرة بني نفيس.

وكان سبب قصده إياها أنه كان قد صار مع إسماعيل إنسان يعرف بجعفرك، وآخر اسمه زنجويه، والثالث بأبي الفضل الأبلي، فأطمعوه في أن يعمل مراكب يرسل فيها مقاتلة في البحر إلى أبي سعد هذا وغيره، فعمل نيفا وعشرين قطعة، فلما علم أبو سعد الحال أرسل جماعة كثيرة من أصحابه في نحو خمسين قطعة، فأتوا إلى دجلة البصرة وذلك في السنة الخالية، فأقاموا بها محاربين، وظفروا بطائفة من أصحاب إسماعيل." (١)

"ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبي سعد بن الموصلايا في الوزارة

في هذه السنة، منتصف رجب، قبض على الوزير سديد الملك أبي المعالي، وزير الخليفة، وحبس في دار بدار الخليفة، وكان أهله قد وردوا عليه من أصبهان، فنقلوا إليه، وكان محبسه جميلا.

وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة، فإنه قضى عمره في أعمال السلاطين، وليس لهم هذه القواعد، ولما قبض عاد أمين الدولة بن الموصلايا إلى النظر في الديوان.

ومن عجب ما جرى من الكلام الذي وقع بعد أيام أن سديد الملك كان يسكن في دار عميد الدولة بن جهير، وجلس فيها مجلسا عاما يحضره الناس لوعظ المؤيد عيسى الغزنوي، فأنشدوا أبياتا ارتجلها:

سديد الملك

سدت، وخضت بحرا ... عميق اللج، فاحفظ فيه روحك

وأحي معالم الخيرات، واجعل ... لسان الصدق في الدنيا فتوحك

وفي الماضين معتبر، فأسرج ... مروحك في السلامة، أو جموحك

ثم قال سديد الملك: من شرب من مرقة السلطان احترقت شفتاه، ولو بعد زمان، ثم أشار إلى الدار وقرأ: ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾ [إبراهيم: ٤٥] ، فقبض على الوزير بعد أيام.

ذكر ملك الملك دقاق مدينة الرحبة

في هذه السنة، في شعبان، ملك الملك دقاق بن تتش، صاحب دمشق، مدينة الرحبة، وكانت بيد إنسان اسمه قايماز من مماليك السلطان ألب أرسلان، فلما قتل كربوقا استولى عليها، فسار دقاق وطغتكين أتابكه إليه، وحصراه بها، ثم رحل عنه.." (٢)

"وفيها، في ذي الحجة، احترقت خرابة ابن جردة، فهلك فيها كثير من الناس، وأما الأمتعة، والأموال، وأثاث البيوت، فهلك ما لا حد عليه، وخلص خلق بنقب نقبوه في سور المحلة إلى مقبرة باب أبرز، وكان بها جماعة بها من

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٨/٤٧٠

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٨/٤٨٨

اليهود، فلم ينقلوا شيئا لتمسكهم بسبتهم، وكان بعض أهله قد عبروا إلى الجانب الغربي للفرجة، على عادتهم في السبت الذي يلي العيد، فعادوا فوجدوا بيوتهم قد خربت، وأهلها قد احترقوا، وأموالهم قد هلكت.

ثم تبع **حريق** في عدة أماكن منها: درب القيار، وقراح ابن رزين، فارتاع الناس لذلك، وبطلوا معايشهم، وأقاموا ليلا ونهارا يحرسون بيوتهم في الدروب، وعلى السطوح، وجعلوا عندهم الماء المعد لإطفاء النار، فظهر أن سبب هذا **الحريق** أن جارية أحبت رجلا، فوافقته على المبيت عندها في دار مولاها سرا، وأعدت له ما يسرقه إذا خرج، ويأخذها هي أيضا معه، فلما أخذها طرحا النار في الدار، فخرجا، فأظهر الله عليهما، وعجل الفضيحة لهما، فأخذا وحبسا.

وفيها جمع بغدوين ملك الفرنج عسكره وقصد مدينة صور وحصرها، وأمر ببناء حصن عندها، على تل المعشوقة، وأقام شهرا محاصرا لها، فصانعه واليها على سبعة آلاف دينار، فأخذها ورحل عن المدينة.

وقصد مدينة صيدا، فحصرها برا وبحرا ونصب عليها البرج الخشب، ووصل الأسطول المصري في الدفع عنها، والحماية لمن فيها، فقاتلهم أسطول الفرنج، فظهر المسلمون عليهم، فاتصل بالفرنج مسير عسكر دمشق نجدة لأهل صيدا، فرحلوا عنها بغير فائدة.." (١)

"الكيماوية، وكان زيهم زي أهل الأندلس، فقتل جماعة من أهل البلد على مثل زيهم، وقيل للأمير يحيى: إن هؤلاء رآهم بعض الناس عند المقدم بن خليفة، واتفق أن الأمير أبا الفتوح بن تميم، أخا يحيى، وصل تلك الساعة إلى القصر في أصحابه وقد لبسوا السلاح، فمنع من الدخول، فثبت عند الأمير يحيى أن ذلك بوضع منهما، فأحضر المقدم بن خليفة، وأمر أولاد أخيه فقتلوه قصاصا، لأنه قتل أباهم، وأخرج الأمير أبا الفتوح وزوجته بلارة بنت القاسم بن تميم، وهي ابنة عمه، ووكل بهما في قصر زياد بين المهدية وسفاقس، فبقي هناك إلى أن مات يحيى، وملك بعده ابنه علي سنة تسع وخمسمائة، فسير أبا الفتوح وزوجته بلارة إلى ديار مصر في البحر، فوصلا إلى إسكندرية، على ما نذكره إن شاء الله.

وفيها، في المحرم، قتل عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد أبو المحاسن الروياني الطبري، الفقيه الشافعي، مولده سنة خمس عشرة وأربعمائة، وكان حافظا للمذهب، ويقول: لو **احترقت** كتب الشافعي لأمليتها من قلبي.

[الوفيات]

وفيها، في جمادى الآخرة، توفي الخطيب أبو زكرياء يحيى بن علي التبريزي، الشيباني، اللغوي، صاحب التصانيف المشهورة، وله شعر ليس بالجيد.

وفيها، في رجب، توفي السيد أبو هاشم زيد الحسيني، العلوي، رئيس همذان، وكان نافذ الحكم، ماضي الأمر، وكانت مدة رئاسته لها سبعا وأربعين سنة وجده لأمه الصاحب أبو القاسم بن عباد، وكان عظيم المال جدا، فمن ذلك أنه أخذ منه السلطان محمد في دفعة واحدة سبع مائة ألف دينار لم يبع لأجلها ملكا ولا." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥٦١/٨

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥٧٦/٨

"ذكر الفتنة بطوس

في هذه السنة، في عاشوراء، كانت فتنة عظيمة بطوس، في مشهد علي بن موسى الرضا عليه السلام.

وسببها: أن علويا خاصم في المشهد، يوم عاشوراء، بعض فقهاء طوس، فأدى ذلك إلى مضاربة، وانقطعت الفتنة، ثم استعان كل منهما بحزبه، فثارت فتنة عظيمة حضرها جميع أهل طوس، وأحاطوا بالمشهد وخربوه، وقتلوا من وجدوا، فقتل بينهم جماعة ونهبت أموال جمة، وافترقوا.

وترك أهل المشهد الخطبة أيام الجمعات فيه، فبنى عليه عضد الدين فرامرز بن علي سورا منيعا يحتمي به من بالمشهد على من يريد ه بسوء، وكان بناؤه سنة خمس عشرة وخمسمائة.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وقعت النار في الحظائر المجاورة للمدرسة النظامية ببغداذ، **فاحترقت** الأخشاب التي بها، واتصل **الحريق** إلى درب السلسلة، وتطاير الشرر إلى باب المراتب، **فاحترقت** منه عدة دور، **واحترقت** خزانة كتب النظامية، وسلمت الكتب، لأن الفقهاء لما أحسوا بالنار نقلوها.

[الوفيات]

وفيها توفي عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول أبو محمد الأندلسي، السرقسطي، وكان فقيها، فاضلا، ورد العراق نحو سنة خمسمائة، سار إلى خراسان، فسكن مرو الروذ، فمات بها، وله شعر حسن، فمنه:

ومهفهف يختال في أبراده ... مرح القضيب اللدن تحت البارح

أبصرت في مرآة فكري خده ... فحكيت فعل جفونه بجوارحي." (١)

"بعضه، وتشعث بعض حرم النبي، صلى الله عليه وسلم، وتشعث غيرها من البلاد، وكان بالموصل كثير منها.

وفيها **احترقت** دار السلطان، كان قد بناها مجاهد الدين بهروز للسلطان محمد، ففرغت قبل وفاته بيسير، فلما كان الآن **احترقت**.

وسبب **الحريق** أن جارية كانت تخضبت ليلا، فأسندت شمعة إلى الخيش فاحترق، وعلقت النار منه في الدار، واحترق فيها من زوجة السلطان محمود بنت السلطان سنجر ما لا حد له من الجواهر، والحلى، والفرش، والثياب، وأقيم الغسالون يخلصون الذهب، وما أمكن تخليصه، وكان الجوهر ج ميعه قد هلك إلا الياقوت الأحمر.

وترك السلطان الدار لم تجدد عمارتها، وتطير منها، لأن أباه لم يتمتع بها، ثم احترق فيها من أموالهم الشيء العظيم، واحترق قبلها بأسبوع جامع أصبهان، وهو من أعظم الجوامع وأحسنها، أحرقه قوم من الباطنية ليلا وكان السلطان قد عزم على أخذ حق البيع، وتجديد المكوس بالعراق، بإشارة الوزير السميرمي عليه بذلك، فتجدد من هذين **الحريقين** ما هاله، واتعظ فأعرض عنه.

وفيها، في ربيع الآخر، انقض كوكب عشاء، وصار له نور عظيم، وتفرق منه أعمدة عند انقضاضه. وسمع عند ذلك

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٨/٦١٧

صوت هدة عظيمة كالزلزلة.

وفيها ظهر بمكة إنسان علوي، وأمر بالمعروف، فكثر جمعه، ونازع أمير مكة ابن أبي هاشم، وقوي أمره، وعزم على أن يخطف لنفسه، فعاد ابن أبي هاشم وظفر به، ونفاه عن الحجاز إلى البحرين، وكان هذا العلوي من فقهاء النظامية ببغداذ.

وفيها ألزم السلطان أهل الذمة ببغداذ بالغيار، فجرى فيه مراجعات انتهت إلى أن قرر عليهم للسلطان عشرون ألف دينار، وللخليفة أربعة آلاف دينار.." (١)

"ولما رحل العسكر من بغداد أصاب أهلها أمراض شديدة حادة، وموت كثير للشدة التي مرت بهم ؛ وأما ملكشاه وإيلدكز ومن معهما فإنهم ساروا من همذان إلى الري، فخرج إليهم إينانج شحنتها وقاتلهم فهزموه، فأنفذ السلطان محمد الأمير سقمس بن قيماز الحرامي في عسكر نجدة لإينانج، فسار سقمس، وكان إيلدكز وملكشاه ومن معهما قد عادوا من الري يريدون محاصرة الخليفة، فلقيهم سقمس وقاتلهم، فهزموه ونهبوا عسكره وأثقالهم، فاحتاج السلطان محمد إلى الإسراع، فسار، فلما بلغ حلوان بلغه أن إيلدكز بالدينور، وأتاه رسول من نائبه إينانج أنه دخل همذان، وأعاد الخطبة له فيها، فقويت نفسه وهرب شملة، صاحب خوزستان إلى بلاده، وتفرق أكثر جمع إيلدكز وملكشاه، وبقيا في خمسة آلاف فارس، فعادا إلى بلادهما شبه الهارب.

ولما رحل محمد شاه إلى همذان أراد التجهز لقصد بلاد إيلدكز، فابتدأ به مرض السل، وبقي به إلى أن مات.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في ربيع الأول، أطلق أبو البدر ابن الوزير ابن هبيرة من حبس تكريت ؛ ولما قدم بغداد خرج أخوه والموكب يتلقونه، وكان يوما مشهودا، وكان مقامه في الحبس يزيد على ثلاث سنين.

وفيها **احترقت** بغداد في ربيع الآخر، وكثر **الحريق** بها، واحترق درب فراشا، ودرب الدواب، ودرب اللبان، وخرابة ابن جردة، والظفرية، والخاتونية، ودار." (٢)

"وممن حج هذه السنة جدتنا أم أبينا، ففاتها الطواف والسعي، فاستفتي لها الشيخ الإمام أبو القاسم بن البرري، فقال: تدوم على ما بقي عليها من إحرامها، وإن أحبت تفدي وتحل من إحرامها إلى قابل، وتعود إلى مكة، فتطوف وتسعى، فتكمل الحجة الأولى، ثم تحرم إحراما ثانيا، وتعود إلى عرفات، فتقف وترمي الجمار، وتطوف وتسعى، فتصير لها حجة ثانية، فبقيت على إحرامها إلى قابل، وحجت وفعلت كما قال، فتم حجها الأول والثاني.

وفيها نزل بخراسان برد كثير عظيم المقدار، أواخر نيسان، وكان أكثره بجوين ونيسابور وما والاهما، فأهلك الغلات، ثم جاء بعده مطر كثير دام عشرة أيام.

وفيها، في جمادى الآخرة، وقع **الحريق** ببغداد، احترق سوق الطيوريين والدور التي تليه مقابله إلى سوق الصفر الجديد،

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦٧٣/٨

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٣٤/٩

والخان الذي في الرحبة، ودكاكين البزوريين وغيرها.

وفيها توفي الكيا الصباحي، صاحب ألموت، مقدم الإسماعيلية، وقام ابنه مقامه، فأظهر التوبة، وأعاد هو ومن معه الصلوات وصيام شهر رمضان، وأرسلوا إلى (قزوين يطلبون من يصلي) بهم، ويعلمهم حدود الإسلام، فأرسلوا إليهم.

وفيها، في رجب، درس شرف الدين يوسف الدمشقي في المدرسة النظامية ببغداد.

[الوفيات]

وفيها توفي شجاع الفقيه الحنفي ببغداد، وكان مدرسا بمدرسة أبي حنيفة." (١)

"ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وقع في بغداد حريق في باب درب فراشا إلى مشرعة الصباغين من الجانبين.

[الوفيات]

وفيها، في رجب، توفي سديد الدولة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم المعروف بابن الأنباري، كاتب الإنشاء بديوان الخلافة، وكان فاضلا أديبا ذا تقدم كثير عند الخلفاء والسلاطين، وخدم من سنة ثلاثين وخمسمائة إلى الآن في ديوان الخلافة، وعاش حتى قارب تسعين سنة.

وتوفي في رمضان هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز بن محمد أبو القاسم المتوثي، سمع الحديث، وهو من الشعراء المشهورين، إلا أنه كثير الهجو، ومن شعره:

يا من هجرت ولا تبالي ... هل ترجع دولة الوصال

هل أطمع يا عذاب قلبي ... أن ينعم في هواك بالي

الطرف كما عهدت باك ... والجسم كما ترين بالي

ما ضرك أن تعلليني ... في الوصل بموعد المحال

أهواك وأنت حظ غيري ... يا قاتلتي فما احتيالي

وهي أكثر من هذا.." (٢)

"ورأى الفرنج أن البلاد قد امتنعت عليهم، وربما سلمت إلى نور الدين، فأجابوا كارهين، وقالوا: نأخذ المال، فنتقوى به، ونعاود البلاد بقوة لا نبالي معها بنور الدين ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ [آل عمران: ٥٤] فعجل لهم شاور مائة ألف دينار، وسألهم الرحيل عنه ليجمع لهم المال، فرحلوا قريبا، وجعل شاور يجمع لهم المال من أهل القاهرة ومصر، فلم يتحصل له إلا قدر لا يبلغ خمسة آلاف دينار، وسببه أن أهل مصر كانوا قد احترقت دورهم وما فيها، وما سلم نهب، وهم لا يقدرون على الأقوات فضلا عن الأقساط.

وأما القاهرة فالأغلب على أهلها الجند وغلمانهم، فلهذا تعذرت عليهم الأموال، وهم خلال هذا يراسلون نور الدين بما

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٩/٢٩٦

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٩/٣٠٤

الناس فيه، وبذلوا له ثلث بلاد مصر، وأن يكون أسد الدين مقيما عندهم في عسكر، وأقطاعهم من البلاد المصرية أيضا خارجا عن الثلث الذي لهم.

وكان نور الدين لما وصله كتب العاضد بحلب أرسل إلى أسد الدين يستدعيه إليه، فخرج القاصد في طلبه، فلقيه على باب حلب، وقد قدمها من حمص وكانت إقطاعه، وكان سبب وصوله أن كتب المصريين وصلته أيضا في المعنى، فسار أيضا إلى نور الدين، واجتمع به، وعجب نور الدين من حضوره في الحال، وسره ذلك، وتفاءل به، وأمر بالتجهيز إلى مصر، وأعطاه مائتي ألف دينار سوى الثياب والدواب والأسلحة وغير ذلك، وحكمه في العسكر والخزائن، واختار من العسكر ألفي فارس، وأخذ المال، وجمع ستة آلاف فارس، وسار هو ونور الدين إلى دمشق فوصلها سلخ صفر، ورحل إلى رأس الماء، وأعطى نور الدين كل فارس ممن مع أسد الدين عشرين دينارا معونة غير محسوبة من جامكيته، وأضاف إلى أسد الدين جماعة أخرى من الأمراء منهم: مملوكه عز الدين جورديك، وعز الدين قلج، وشرف الدين بزغش،." (١)

"العدل مدرسة للشافعية أيضا، وعزل قضاة المصريين، وكانوا شيعة، وأقام قاضيا شافعيا في مصر، فاستناب القضاة الشافعية في جميع البلاد في العشرين من جمادى الآخرة.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة اشترى تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين منازل العز بمصر، وبناها مدرسة للشافعية.

وفيها أغار شمس الدولة تورانشاه أخو صلاح الدين أيضا على الأعراب الذين بالصعيد، وكانوا قد أفسدوا في البلاد، ومدوا أيديهم، فكفوا عما كانوا يفعلونه.

وفيها مات القاضي ابن الخلال من أعيان الكتاب المصريين وفضلائهم، وكان صاحب ديوان الإنشاء بها.

وفيها وقع **حريق** ببغداد في درب المطبخ، وفي خرابة ابن جردة.." (٢)

"ذكر حصر الفرنج بانياس وعودهم عنها

لما مات نور الدين محمود، صاحب الشام، اجتمعت الفرنج وساروا إلى قلعة بانياس من أعمال دمشق فحصروها، فجمع شمس الدين محمد بن المقدم العسكر عنده بدمشق، فخرج عنها، فراسلهم، ولاطفهم، ثم أغلظ لهم في القول، وقال لهم: إن أنتم صالحتمونا وعدتم عن بانياس، فنحن على ما كنا عليه، وإلا فنرسل إلى سيف الدين، صاحب الموصل، ونصالحه، ونستنجده، ونرسل إلى صلاح الدين بمصر فنستنجده، ونقصد بلادكم من جهاتها كلها، ولا تقومون لنا. وأنتم تعلمون أن صلاح الدين كان يخاف أن يجتمع بنور الدين، والآن فقد زال ذلك الخوف، وإذا طلبناه إلى بلادكم فلا يمتنع. فعلموا صدقه، فصالحوه على شيء من المال أخذوه وأسرى أطلقوا لهم كانوا عند المسلمين وتقررت الهدنة. فلما سمع صلاح الدين بذلك أنكره واستعظمه، وكتب إلى الملك الصالح والأمراء الذين معه يقبح لهم ما فعلوه ويبذل

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٩/٣٣٩

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٩/٣٦٢

من نفسه قصد بلاد الفرنج ومقارعتهم وإزعاجهم عن قصد شيء من بلاد الملك الصالح، وكان قصده أن يصير له طريق إلى بلاد الشام ليتملك البلاد، والأمراء الشاميون إنما صالحوا الفرنج خ◌وفا منه ومن سيف الدين غازي، صاحب الموصل، فإنه كان قد أخذ البلاد الجزرية، وخافوا منه أن يعبر إلى الشام، فرأوا صلح الفرنج أصلح من أن يجيء هذا من الغرب، وهذا من الشرق، وهم مشغولون عن ردهم.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، في المحرم، وقع **الحريق** ببغداد فاحترق أكثر الظفرية ومواضع غيرها، ودام **الحريق** إلى بكرة وطفئت النار.

وفيها في شعبان، بنى ابن سنكا، وهو ابن أخي شملة صاحب خوزستان، قلعة." (١)

"التجار المقيمين بها شيئا كثيرا، وأحرقوا دورا كثيرة.

ومن أعجب ما جرى فيها أن إنسانا زراقا ضرب دارا بقارورة نفط فأحرقها، وكانت لأيتام، فأحرقت ما فيها، ثم أخذ قارورة أخرى ليضرب بها مكانا آخر، فأتاه حجر فأصاب القارورة فكسرها، فاحترق هو بها، فبقي ثلاثة أيام يعذب **بالحريق** ثم مات.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، في شهر رمضان، انكسفت الشمس جميعها، وأظلمت الأرض حتى بقي الوقت كأنه ليل مظلم، وظهرت الكواكب، وكان ذلك ضحوة النهار يوم الجمعة التاسع والعشرين منه، وكنت حينئذ صبيا بظ◌اهر جزيرة ابن عمر مع شيخ لنا من العلماء أقرأ عليه الحساب، فلما رأيت ذلك خفت خوفا شديدا، وتمسكت به، فقوى قلبي، وكان عالما بالنجوم أيضا، وقال لي: الآن ترى هذا جميعه، فانصرف سريعا.

وفيها ولى الخليفة المستضيء بأمر الله حجابة الباب أبا طالب نصر بن علي الناقد، وكان يلقب في صغره قنبرا، فصاروا يصيحون به ذلك إذا خرج، فأمر الخليفة أن يركب معه جماعة من الأتراك ويمنعوا الناس، من ذلك، فامتنعوا، فلما كان قبل العيد خلع عليه ليركب في الموكب، فاشترى جماعة من أهل بغداد من القنابر شيئ◌ا كثيرا، وعزموا على إرسالها في الموكب إذا رأوا ابن الناقد، فأنهي ذلك إلى الخليفة، وقيل له يصير الموكب ضحكة، فعزله وولى ابن المعوج.

وفيها، في ذي الحجة، يوم العيد، وقعت فتنة ببغداد بين العامة وبعض الأتراك." (٢)

"فلما تعب هذا القسم انحدروا، وصعد القسم الثاني، وكانوا جلوسا ينتظرونهم، وهم حلقة صلاح الدين الخاص، فقاتلوا قتالا شديدا، وكان الزمان حرا شديدا، فاشتد الكرب على الناس، وصلاح الدين في سلاحه يطوف عليهم ويحرضهم وكان تقي الدين ابن أخيه كذلك، فقاتلوهم إلى قريب الظهر ثم تعبوا، ورجعوا.

فلما رآهم صلاح الدين قد عادوا تقدم إليهم وبيده جماق يردهم، وصاح في القسم الثالث، وهم جلوس ينتظرون نوبتهم،

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٩/٣٩٨

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٩/٤٢٠

فوثبوا ملبين، وساعدوا إخوانهم وزحفوا معهم، فجاء الفرنج ما لا قبل لهم به.
وكان أصحاب عماد الدين قد استراحوا فقاموا أيضا معهم، فحينئذ اشتد الأمر على الفرنج وبلغت القلوب الحناجر، وكانوا قد اشتد تعبهم ونصبهم، فظهر عجزهم عن القتال وضعفهم عن حمل السلاح لشدة الحر والقتال، فخالطهم المسلمون فعاد الفرنج يدخلون الحصن، فدخل المسلمون معهم.
وكان طائفة قليلة في الخيام شرقي الحصن فرأوا الفرنج قد أهملوا ذلك الجانب، لأنهم لا يرون فيه مقاتلا، وليكثروا في الجهة التي فيها صلاح الدين فصعدت تلك الطائفة من العسكر فلم يمنعهم مانع.
فصعدوا أيضا الحصن من الجهة الأخرى فالتقوا مع المسلمين الداخلين مع الفرنج فملكوا الحصن عنوة وقهرا ودخل الفرنج القلة التي للحصن، وأحاط بها المسلمون وأرادوا نقبها.
وكان الفرنج قد رفعوا من عندهم من أسرى المسلمين إلى سطح القلة، وأرجلهم في القيود والخشب المنقوب، فلما سمعوا تكبير المسلمين في نواحي القلعة كبروا في سطح القلة، وظن الفرنج أن المسلمين قد صعدوا على السطح فاستسلموا، وألقوا بأيديهم إلى الأسر، فملكها المسلمون عنوة، ونهبوا ما فيها، وأسروا وسبوا من فيها، وأخذوا صاحبها وأهله، وأمست خالية لا ديار بها، وألقى المسلمون النار في بعض بيوتهم **فاحترقت**.
ومن أعجب ما يحكى من السلامة أنني رأيت رجلا من المسلمين على هذا الحصن قد جاء من طائفة من المؤمنين شمالي القلعة إلى طائفة أخرى من المسلمين جنوبي القلعة. وهو يعدو في الجبل عرضا، فألقيت عليه الحجارة، وجاء حجر كبير لو ناله لبعجه.
فنزل عليه، فناداه الناس يحذرونه، فالتفت ينظر ما الخبر. فسقط على وجهه من عثرة، فاسترجع الناس، وجاء الحجر إليه، فلما قاربه وهو منبطح." (١)

"وجميع ما بيده، ويكون للعادل إقطاعه الذي كان قديما، ويكون مقيما بمصر عند العزيز، وإنما اختار ذلك لأن الأسدية والأكراد لا يريدون العزيز، فهم يجتمعون معه، فلا يقدر العزيز منعه عما يريد، فلما استقر الأمر على ذلك، وتعاهدوا عاد الأفضل إلى دمشق وبقي العادل بمصر عند العزيز.

ذكر عدة حوادث

في ذي القعدة، التاسع عشر منه، وقع **حريق** عظيم ببغداد بعقد المصطنع، **فاحترقت** المربعة التي بين يديه، ودكان ابن البخيل الهراس، وقيل كان ابتداؤه من دار ابن البخيل.." (٢)

"الأمير سالم بن قاسم الحسيني، أمير المدينة، ومع كل واحد منهما جمع كثير، فاقتتلوا قتالا شديدا، وكانت الحرب بذي الحليفة، بالقرب من المدينة، وكان قتادة قد قصد المدينة ليحصرها ويأخذها، فلقيه سالم بعد أن قصد الحجرة - على ساكنها الصلاة والسلام - فصلى عندها ودعا وسار فلقيه، فانهزم قتادة، وتبعه سالم إلى مكة فحصره

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١٠/٥٥
(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١٠/١٣٩

بها، فأرسل قتادة إلى من مع سالم من الأمراء، فأفسدهم عليه، فمالوا إليه وحالفوه، فلما رأى سالم ذلك رحل عنه عائدا إلى المدينة وعاد أمر قتادة قويا.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، في يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة، قطعت خطبة ولي العهد، وأظهر خط قرئ بدار الوزير نصير الدين ناصر بن مهدي الرازي وإذا هو خط ولي العهد الأمير أبي نصر ابن الخليفة إلى أبيه الناصر لدين الله أمير المؤمنين، يتضمن العجز عن القيام بولاية العهد، ويطلب الإقالة، وشهد عدلان أنه خطه، وأن الخليفة أقاله، وعمل بذلك محضر شهد فيه القضاة والعدول والفقهاء.

وفي هذه السنة ولدت امرأة ببغداد ولدا له رأسان وأربع أرجل ويدان، ومات في يومه.

وفيها أيضا وقع الحريق في خزانة السلاح التي للخليفة، فاحترق فيها منه شيء كثير، وبقيت النار يومين، وسار ذكر هذا الحريق في البلدان، فحمل الملوك من السلاح إلى بغداد شيئا كثيرا.

وفي هذه السنة وقع الثلج بمدينة هراة أسبوعا كاملا، فلما سكن جاء بعده سيل من الجبل من باب سرا، خرب كثيرا من البلد، ورمى من حصنه قطعة عظيمة، وجاء بعده برد شديد أهلك الثمار، فلم يكن بها تلك السنة شيء إلا اليسير.." (١)

"فوقف رحمه الله على هذه الترجمة وأكرم الرسول وأحسن مثواه. وكان شيخا حسن الخلق نبيها عارفا بالعربية والرومية والإفرنجية، ثم إن الإفرنج شدوا في حصار البلد وضايقوه لما قد حدث لهم من القوة بوصول الكندهري فإنه وصل على ما ذكر والله أعلم في عشرة آلاف مقاتل ووصلتهم نجدة أخرى في البحر قويت بها قلوبهم ونازلوا البلد بالقتال.

ذكر حريق المنجنيقات

وذلك أن العدو لما أحس في نفسه بقوته بسبب توالي النجدات عليهم اشتد طمعهم في البلد وركبوا عليه المنجنيقات من كل جانب وتناوبوا عليها بحيث لا يتعطل رميها ليلا ولا نهارا وذلك في أثناء رجب. ولما رأى أهل البلد ما نزل بهم من مضايقة العدو وتعلق طمعهم بهم حركتهم النخوة الإسلامية وكان مقدموه حينئذ أما والي البلد وحارسه فالأمير الكبير بهاء الدين قراقوش، وأما مقدم العسكر فالأمير الكبير الاسفهسلان حسام الدين أبو الهيجاء وكان رجلا ذا كرم وشجاعة وتقدم في عشيرته، ومضاء." (٢)

"في عزيمته فاجتمع رأيهم على أنهم يخرجون إلى العدو فارسهم وراجلهم على غرة وغفلة منهم ففعلوا ذلك وفتحت الأبواب وخرجوا دفعة واحدة من كل جانب ولم يشعر العدو إلا والسيف فيهم حاكم عادل، وسهم قدر الله وقضائه فيهم نافذ نازل، وهجم الإسلام على الكفر في منازله، وأخذ بناصية مناضله ورأس مقاتلة، ولما ولج المسلمون لخيام العدو

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٠٩/١٠

(٢) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية = سيرة صلاح الدين الأيوبي بهاء الدين بن شداد ٢٠٤/١

ذهلوا عن المنجنيقات وحياطتها وحراستها. وحفظها وسياستها. فوصلت شهب الزراقين المقذوفة. وجاءت عوائد الله في نصرة دينه المألوفة. فلم تكن ساعة حتى اضطرمت فيها النيران. وتحرقت منها بيدها ما شيدها الأعداء في المدة الطويلة في أقرب آن. وقتل من العدو سبعون فارسا وأسر خلق عظيم وكان من جملة الأسرى رجل مذكور منهم ظفر به واحد من آحاد الناس ولم يعلم بمكانته. ولما انفصل الحرب سأل الإفرنج عنه هل هو حي أم لا فعرف الذي هو عنده عند سؤالهم أنه رجل كبير فيهم وخاف أن يغلب عليه ويرد بنوع مصانعة أو على وجه من الوجوه فسارع وقتله وبذل الإفرنج فيه أموالا كثيرة ولم يزالوا يشتدون في طلبه ويحرصون عليه حتى ريئت لهم جثته فضربوا بنفوسهم الأرض وحثوا على رؤوسهم التراب ووقعت عليهم بسبب ذلك خمدة عظيمة وكتموا أمره ولم يظهروا من كان واستصغر المسلمون بعد ذلك أمرهم وهجم عليهم العرب من كل جانب يسرقون وينهبون ويقتلون ويأسرون إلى ليلة نصف شعبان وكان الكندهري قد أنفق على منجنيق كبير عظيم الشكل على ما نقل الجواسيس والمستأمنون ألفا وخمسمائة دينار وأعده ليقدمه إلى البلد ومنع من حريقه في ذلك اليوم كونه بعيدا عن البلد لم يقدم بعد إليه. ولما كانت الليلة المباركة المذكورة خرج الزراقون والمقاتلة تحفظهم من كل جانب والله يكلأهم فساروا من تحت ستر الله حتى أتوا المنجنيق المذكور وأضرموا فيه النار فاحترق من ساعته ووقع الصياح من الطائفتين وذهل العدو فإنه كان بعيدا من البلد وخافوا أن يكونوا قد أحيط بهم من الجوانب وكان نصرا من عند الله وأحرق بلهيبه منجنيقا لطيفا إلى جانبه.." (١)

"العدو وكان يغوص ويخرج من الجانب الآخر من مراكب العدو وكان ذات ليلة شد على وسطه ثلاثة أكياس فيها ألف دينار وكتب للعسكر وعام في البحر فجرى عليه أمر أهلكه وأبطأ خبره عنا. وكانت عادته إذا دخل البلد أطار طيرا عرفنا بوصوله فأبطأ الطير فاستشعرنا هلاكه. ولما كان بعد أيام بينا الناس على طرف البحر في البلد إذا هو قد قذف شيئا غريقا فتفقدوه فوجدوه عيسى العوام ووجدوا على وسطه الذهب وشمع الكتب وكان الذهب نفقة للمجاهدين فما رؤي من أدى الأمانة في حال حياته وقد ردها في مماته إلا هذا الرجل وكان ذلك في العشر الأواخر من رجب أيضا.

ذكر حريق المنجنيقات

وذلك أن العدو كان نصب على البلد منجنيقات هائلة حاكمة على السور وإن حجارتها تواترت حتى أثرت في السور أثرا بينا وخيف من غائلاتها فأخذ سهمان من سهام الجرخ العظيم فأحرق نصلاهما حتى بقيا كالشعلة من النار ثم رميا في المنجنيق الواحد فعلقا فيه واجتهد العدو في إطفائهما فلم يقدر على ذلك وهبت ريح شديدة فاشتعل اشتعالا عظيما واتصلت لهبته بالآخر فأحرقته واشتد ناراهما بحيث لم يقدر أحد أن يقرب من مكانهما ليحتال في إطفائهما وكان يوما عظيما اشتد فيه فرح المسلمين وساءت عاقبة الكافرين.

ذكر تمام حديث ملك الألمان." (٢)

---

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية = سيرة صلاح الدين الأيوبي بهاء الدين بن شداد ١/٢٠٥

(٢) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية = سيرة صلاح الدين الأيوبي بهاء الدين بن شداد ١/٢٠٧

"العدو بطسا متعددة لمحاصرة برج الذباب، وهو برج في وسط البحر مبني على الصخر على باب ميناء يحرس به الميناء، ومتى عبره المراكب أمن غائلة العدو، فأراد العدو أخذه ليبقى الميناء بحكمه ويمنع الدخول إليه بشيء من البطس فتنقطع الميرة عن البلد، فجعلوا على صواري البطس برجا وملأوه حطبا على أنهم يسيرون البطس، فإذا قاربت برج الذباب ولاصقته أحرقوا البرج الذي على الصاري وألصقوه ببرج الذباب ليلقوه على سطحه ويقتل من عليه من المقاتلة ويأخذوه، وجعلوا في البطسة وقودا كثيرا حتى يلقى في البرج إذا اشتعلت النار فيه، وعبوا بطسة ثانية وملؤوها حطبا ووقودا على أنهم يدفعون بها إلى أن تدخل بين البطس الإسلامية ثم يلهبونها فتحرق البطس الإسلامية ويهلك ما فيها من الميرة، وجعلوا في بطسة ثالثة مقاتلة تحت قبو بحيث لا يحصل لهم نشاب ولا شيء من آلات السلاح، حتى إذا أحرقوا ما أرادوا إحراقه دخلوا تحت ذلك القبو فأمنوا وقدموا البطسة نحو البرج المذكور، وكان طمعهم يشتد بحيث كان الهواء مصعدا لهم، فلما أحرقوا البطسة التي أرادوا أن يحرقوا بطس المسلمين بها والبرج الذي أرادوا أن يحرقوا به من على برج الذباب فأوقدوا النار وضربوا فيها النفط انعكس الهواء عليهم، كما شاء الله تعالى وأراد، واشتعلت البطسة التي كان فيها بأسرها، واجتهدوا في إطفائها فما قدروا، وهلك من كان فيها من المقاتلة إلا من شاء الله، واحترقت البطسة التي كانت معدة لإحراق بطسنا، ووثبت أصحابنا عليها فأخذوها إليهم. وأما البطسة التي كانت فيها القبو فإنهم انزعجوا وخافوا وهموا بالرجوع، واختلفوا واضطربوا اضطرابا." (١)

"يدخل تحتها من المقاتلة خلق عظيم ملبسة بصفائح الحديد ولها من تحتها عجا تحرك به من داخل وفيها المقاتلة حتى ينطح بها الصور ولها رأس عظيم برقبة شديدة من جديد وهي تسمى كبشا ينطح بها الصور بشدة عظيمة، لأنه يجرها خلق عظيم فتهدمه بتكرار نطحها. وآلة أخرى وهي قبو فيه رجال السحب لذلك، إلا أن رأسها محدد على شكل السكة التي يحرث بها، ورأس البرج مدور، وهذا يهدم بثقله، وتلك تهدم بحدتها وثقلها وهي تسمى سنورا، ومن الستائر والسلالم الكبار الهائلة. وأعدوا في البحر بطسة هائلة وضعوا فيها برجا بخرطوم إذا أرادوا قلبه في السور انقلب بالحركات ويبقي طريقا إلى المكان الذي ينقلب عليه تمشي عليه المقاتلة، وعزموا على تقريبه إلى برج الذباب ليأخذوه به.

ذكر حريق برج الكبش وغيره من الآلات

وذلك أن العدو لما رأى آلاته قد تمت واستكملت شرع في الزحف على البلد ومقاتلته من كل جانب، وأهل البلد كلما رأوا ذلك اشتدت عزائمهم في نصرة دين الله وقويت قلوبهم على المصابرة. ولما كان يوم الإثنين ثالث شهر رمضان من السنة المذكورة وهي التي قدمت به العساكر من الشام." (٢)

"لكثرة ما شاهدوا وذاقوا من الجرح والقتل، وبقي في الخندق خلق عظيم وقع فيهم السيف وعجل الله بأرواحهم إلى النار، ولما رأى المسلمون ما نزل بالعدو من الخذلان والهزيمة هجموا على كبشهم فألقوا فيه النار والنفط وتمكنوا

---

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية = سيرة صلاح الدين الأيوبي بهاء الدين بن شداد ٢١١/١

(٢) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية = سيرة صلاح الدين الأيوبي بهاء الدين بن شداد ٢١٤/١

من حريقه فأحرقوه حريقا شنيعا، وظهرت له لهبة عظيمة نحو السماء، وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل. والشكر للقوي الجليل. وسرت نار الكبش بقوتها إلى السنور فاحترق، وعلق المسلمون في الكبش الكلاليب الحديدية المصنوعة في السلاسل فسحبوه وهو يشتعل حتى حصلوه عندهم في البلد وكان مركبا من آلات هائلة عظيمة ألقى الماء عليه حتى برد حديده بعد أيام. وبلغنا من اليزك أن وزن ما كان عليه من الحديد يبلغ مائة قنطار بالشامي، والقنطار مائة رطل، والرطل الشامي بالبغدادي أربعة أرطال وربع رطل. ولقد أنفذ رأسه إلى السلطان ومثل بين يديه، وشاهدته وقلبته، وشكله على مثل السفود الذي يكون بحجر المدار، قيل أنه ينطح به فيهدم ما يلاقيه. وكان ذلك من أحسن أيام الإسلام، ووقع على العدو خذلان عظيم، ورفعوا ما سلم من آلاتهم، وسكنت حركاتهم التي ضيعوا فيها نفقاتهم وتحيرت أبصار حيلهم، واستبشر السلطان بغرة ولده واستبارك بها حيث وجد النصر مقرونا بقدومه مرة بعد أخرى، وثانية بعد أولى.." (١)

"ولما كان يوم الأربعاء الخامس عشر رمضان خرج أصحابنا من الثغر المحروس في شوان على بغتة من العدو، وضربوا البطسة المعدة لأخذ برج الذباب بقوارير نفط فاحترقت وارتفع لهبها في البحر ارتفاعا عظيما، وحزن الألمان لذلك حزنا شديدا، وغشيته كآبة عظيمة ووقع عليهم خذلان عميم. ولما كان يوم الخميس السادس عشر الشهر وصل كتاب طائر في طي كتاب وصل من حماة قد طار به الطائر من حلب يذكر فيه أن البرنس صاحب أنطاكية خرج بعسكر نحو القرى الإسلامية التي تليه لشن الغارات عليها، فبصرت به العساكر ونواب الملك الظاهر، فكمنت له الكمينات، فلم يشعر بهم إلا والسيف قد وقع فيهم، فقتل منهم خمسة وسبعون نفرا، وأسر خلق عظيم، واستعصم لنفسه في موضع يسمى شيحا، حتى اندفعوا وسار إلى بلده.." (٢)

"ذكر حريق الدبابة

وذلك أن العدو كان قد اصطنع دبابة عظيمة هائلة أربع طبقات، الطبقة الأولى من الخشب والثانية من الرصاص والثالثة من الحديد والرابعة من النحاس وكانت تعلو على السور وكان يركب فيها المقاتلة وخاف أهل البلد منها خوفا عظيما وحدثتهم نفوسهم بطلب الأمان من العدو وكانوا قد قربوها من السور بحيث لم يبق بينها وبين السور إلا مقدار خمسة أذرع على ما يشاهد برأي العين وأخذ أهل البلد في تولية ضربها بالنفط ليلا ونهارا حتى قدر الله تعالى حرقها واشتعال النار فيها وظهر له ذؤابة نار نحو السماء فاشتدت الأصوات بالتهليل والتكبير ورأوا الناس فيها لما ظهرت لها تلك النيران ولقوا جبرا من ذلك الوهن ومحوا لذلك الأثر ونعمة بعد نقمة وإيناسا بعد يأس وكان ذلك يوم غرق البطسة فوقع من المسلمين موقعا عظيما وكان مسليا لحزنهم.

ذكر وقعات عدة

ولما كان يوم الجمعة تاسع عشر الشهر زحف العدو على البلد زحفا عظيما وضايقوه مضايقة شنيعة وكان قد استقر بيننا وبينهم أنهم متى زحف العدو عليهم ذقوا كؤوسهم فضربوا بكؤوسهم فأجابت كؤوس السلطان وركبت العساكر وضايقهم

---

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية = سيرة صلاح الدين الأيوبي بهاء الدين بن شداد ٢١٦/١

(٢) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية = سيرة صلاح الدين الأيوبي بهاء الدين بن شداد ٢١٧/١

السلطان من خارج وزحف عليهم حتى هجم المسلمون عليهم في خيامهم فجازوا خنادقهم وأخذوا القدور وما فيها وحضر من الغنيمة المأخوذة من خيامهم شيء عند السلطان وأنا حاضر ولم يزل القتل يعمل حتى أيقن العدو أنه قد هجم عليه فأخذوا يتراجعون عن قتال البلد وشرعوا في قتال العساكر وانتشب الحرب بينهم ولم تزل ناشبة حتى قام قائم الظهيرة وغشي الناس من الحر أمر عظيم من الجانبين وتراجعت الطائفات إلى خيامهم وقد أخذ منهم التعب والحر.." (١)

"العادل يخبر أن القوم لم يعلموا بخراب البلد وأن سوف القوم وطول الحديث لعلنا نتمكن من الخراب، وأمر بحشو أبراج البلد بالأحطاب وأن تحرق، وأصبح الحادي والعشرون فركب يحث الناس، ودام يستعملهم على التخريب ويطوف عليهم بنفسه حتى التاث مزاجه التياثا قويا امتنع بسببه من الركوب والغذاء يومين، وأخبار العدو تتواصل إليه في كل وقت ويجري بينهم وبين اليزك والعسكر وقعات وهو يواظب على الحث على الخراب، ونقل الثقل إلى قريب البلد ليعاونوا الغلمان والحمالين وغيرهم من ذلك، فخرب من السور معظمه، وكان عظيم البناء بحيث أنه كان عرضه في مواضع تسعة أذرع وفي مواضع عشرة أذرع، وذكر بعض الحجارين للسلطان وأنا حاضر أن عرض السور الذي ينقبون فيه مقدار رمح، ولم يزل التخريب والحريق يعمل في البلد وأسواره إلى سلخ شعبان، وعند ذلك وصل من جرديك كتاب يذكر فيه أن القوم يتفسحون وصاروا يخرجون من يافا يغيرون على البلاد القريبة منها، فتحرك السلطان لعله يبلغ منهم غرضا في غرتهم، فعزم على الرحيل على أن يخلف في عسقلان حجارين ومعهم خيل تحميهم ويستنهضونهم في الخراب، ثم رأى أن يتأخر بحيث يحرق البرج المعروف بالأسبتار، وكان برجا عظيما مشرفا على البحر كالقلعة المنيعة، ولقد دخلته وطفته فرأيت بناءه أحكم بناه، يقرب من أن لا تعمل فيه المعاول، وإنما أراد أن يحرقه حتى يبقى بالحريق قابلا للخراب ويعمل الهدم فيه. وأصبح مستهل رمضان فأمر ولده الملك الأفضل أن يباشر ذلك بنفسه وخواصه. ولقد رأيته يحمل الخشب ويحشونه في البرج حتى امتلأ، ثم أطلقت." (٢)

"وصفى السلطان وصفح، وأصلح واصطلح، ولما ملك انتجح وأبقى للملك الصالح حلب وأعمالها، وأستقرى كل عثرة فأقالها ورد إليه عزاز واعتذروا عن كل ما أسخطه وحلفوا له على ما شرطه، وكان الصلح لهم وللمواصلة وللديار بكريه عاما، ولشمول المصالح الجامعة ضاما وكتبت نسخ أيمان بأسامي ملوك ديار بكر والروم وصاحب الموصل على الشرط المعلوم وهو أنه إن غدر منهم واحد وخالف ولم يف بما عليه حالف كان الباقون عليه يدا واحدة حتى يفي إلى الوفاء والوفاق ويرجع إلى مرافقة الرفاق.

وسار بهذه الرسالة إليهم سعد الدين أبو حامد وكان جلدا كافيا وبتدبير الأمور وافيا فمضى إلى الملوك ونظمهم من سلك نهج الموافقات في السلوك.

ذكر الرحيل من حلب

قال: ولما أنتظم بحلب الصلح وتم النحج ذكر السلطان ثأره عند الإسماعيلية وكيف قصدوه بتلك البلية، فرحل منها يوم

---

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية = سيرة صلاح الدين الأيوبي بهاء الدين بن شداد ١/٢٤٥

(٢) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية = سيرة صلاح الدين الأيوبي بهاء الدين بن شداد ١/٢٨٢

الجمعة لعشر بقين من المحرم مصمما على الجهاد الأعظم وأناخ علىٰ حصنهم مصيات فانهض إليه الرجال وحرض الأبطال وأمر بنصب المنجنيقاي الكبار. وأقام أياما واستطال عليهم فريقه واستطار فيهم **حريقه**، وشرع العسكر يخرب ديارهم ويقرب دمارهم حتى جاء خاله شهاب الدين الحارني وهو صاحب حماة وشفع فيهم لأن بلده جار نواحيم، أراد الأمن من خوف عواديه وكانوا قد راسلوه وأرغبوه وأرهبوه. ولكن شهاب الدين مقبول مأمول الطول ورأى أيضا من أمرائه ميلا إلى الانكفاء وأبت تركهم همته الأبية لولا الشفاعة الشهابيه ورحلنا وقد انتقمنا منهم.

ذكر كسرى على الفرنج

قال: كان شميس الدين بن المقدم متولي بعلبك وأعمال هو مدبر أحوالها فعرف أن الفرنج قد أغاروا على البقاع فكمن لهم عند العياض وأوتر عليهم حنايا المنايا لتفريق التوفيق في الأنباض وأسر منهم سوى من قتل أكثر من مائتي أسير وأحضرهم عندنا ونحن على مصياف، ولولا هذا الحادث لم يصرف عنها الأحداث.

وكان قد خرج الملك المعظم شمس الدولة أخو السلطان حين سمع أن الفرنج على الخروج وباسطهم عند عين الجر في تلك المروج ووقع عدة من أصحابه في الآسار منهم سيف الدين أبو بكر بن السلار وأجترا الفرنج في تلك الجوله واغتروا بتلك الصولة وانبسطوا في تلك العياض وانهاضوا بما قدم أبن المقدم من الأنهاض.

ووصل السلطان إلى حماة فاجتمع فيها بأخيه شمس الدين يوم الثلاثاء ثاني صفر وهو أول يوم لقائه بعد ما أزمع عنه إلى اليمين السفر، وتعانق الأخوان في المخيم في الميدان وتحدثا في الحدثان. وكان قد وصل إلى السلطان من أخيه هذا عند مفارقة اليمن كتاب ضمنة هذه الأبيات من شعر أبي المنجم.

المصري قلت ومنها:

(١٨٤) أبدى التجلد والجوانح تلتظى ... وأرى التصبر والحشى تتقطع

وحملت من فقد الأحبة مفردا ... ما ليس يحمله الأحبة أجمع

وإلى صلاح الدين أشكو أنني ... من بعده مضني الصبابة موجع

جزعا لبعد الدار منه ولم أكن ... لولا هواه لبعد داري أجزع

ولا ركبن إليه متن عزائمي ... ويخب بي ركب الغرام ويوضع

حتى أشاهد منه أسعد طلعة ... من أفقها صبح السعادة يطلع

قال: فسألني السلطان أن أكتب في جوابها على وزنها ورويها فقلت أبياتا منها:

صب تولى حالتيه في الهوى ... جلد له عاصي ودمعي طيع

ذو ناظر ربع الكرى في جفنه ... صبح السيادة من سناه يطلع

لولا ترجى قرب عودك لم يكن ... لي في الحياة لأجل بعدك مطمع

قسما ببيت أمه زواره ... والطايعون الساجدون الركع

أن لي سواك من الحوادث ملجأ ... أو لي سواك من النوايب مفزع

قال: ولما رآني بالمخيم بميدان حماه عند أخيه مخصوصا بتوقيه وتوخيه بشرلى وبش، وشرع في تقريظي والثناء على قريضي. ثم سرنا إلى دمشق ووصلنا إليها في سابع عشر صفر، ووجه النجح قد سفر، وفوض ملك دمشق إلى أخيه الملك المعظم وعزم على السفر إلى مصر.

ذكر ووفاء القاضي كمال الدين بدمشق في سادس المحرم

وما آل إليه أمر القضاء." (١)

"قال: كان أصحابنا قد ألغوا من مفتتح الفتح الحصول من غير تعب على هني الربح فما التقطوا إلا درة ثمينة ولا اشترطوا إلا لقمة سمينة فلما حصروا صور وأبصروا الأمور وشاهدوا الشهادة واحتاجوا إلى هجر المعيشة الرحبة المألوفة وأنفقوا الأموال في جلب القوت والعلوفة مشي رجالنا ومالت إلى الزوال أموالنا وفيها جماعة كرهوا الرحيل وقالوا: قد أوهنا العدو ورزقنا الله عليه الغلبة والعلو وقد فرق علينا السلطان من الأموال آلافا مؤلفه حتى استتبت الأسباب فإذا رحلنا أحبطنا الأعمال وأذهبنا غبنا تلك وقد قال الله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون " وإذا امتثلتم هذه الأوامر فإنكم بوعده الصادق تفلحون وتفتحون ومن الناس من هو ساكن ساكت حتى يبصر ما يكون من حكم القدر ويقضي الله أما بالرحيل وأما بالفتح والظفر فجاء الألوف إلى السلطان وقالوا: قد بان تعذر الإمكان وقد أشرفنا على كانون وكل ومل المؤمنون وما ينقضي يوم إلا ويقضي أو يجرح فيه قوم وهؤلاء رجالك فلا تفرط فيهم ولا تحملهم على ما يرديهم وبين أيدينا بلاد أهون من صور فأرح لفتحها عسكرك المنصور فقال السلطان: قد أنهينا في بحر الاجتهاد العوم فكيف يطرق بالرحيل إلينا اللوم وما عذرنا إذا فرجنا عن عداته وخرجنا عن مواقيت عداته وبالصبر ينال الظفر وبتوفيق الله لإتباع أمره يوافق القدر وهذه صور إن بقيت أتعبت وإن نفس كربها أكربت ولم يبق بهذا الساحل مدينة للسوء سواها وما نخاف اجتماع مدد الفرنج إلى الساحل لولاها فإذا فتحنا رتاجها فتحنا كل رتاج وأوضحنا كل منهاج والحصون والمعاقل الباقية في يد الكفر مجاورة لبلادنا في البر وما أهون فتحها إذا يئس رجالها من إمداد البحر وإذا تركنا هذه الجمرة في رمادها وهذه الشعلة المتوارية في زنارها أعصفت بها نكب الرياح وعنت بوريقها الذي للإقتداح فانتشر حريقها واتسعت للطورق طريقها وقد قرب من نار شره الخمود وتعذرت من سوره الحدود وإذا مضينا وتفرقنا فمتى نجتمع ونعود وقد أمكننا الغربة وأنتم الاسود وقد لاحت الفرصة وقد حميت الحمية فماذا الخمود فتأبوا إلى ما رآه وأتوا على رضاه فأقمنا بعد ذلك أياما نوفي الباصرة حقها والمرابطة صدقها والسلطان يفرق على الرجال الأموال ويحبب إلى أولياء الله في سبيله القتال في انفس المتضجرين بالمقام ما فيها وكم ثبتت متجلدة على ما ينافيها فتمكنت الفترات في عزماتها وتطرقت السكنات إلى حركاتها وصارت تخل بنوب المنجنيق وتدعى سانحات اسباب التعويق ويقول الأمير: رجالي يجرحون فكيف يعدون للنوبة أو يروحون وبقيت المنجنيقات واقفة لا فادح لزنادها بحجارة ولا قابل لسومها بيع ولا إجارة وقد استوفيت شرح ذلك في كتاب الفتح القدسي واديت العنى باللفظ القسي فعزم السلطان على الرحيل وأمر بنقض الابراج والمنجنيقات ونقل الأثقال والآلات فحمل بعضها إلى صيدا وبيروت في البحر والبر وأحرق بعضها لئلا

---

(١) مختصر سنا البرق الشامي البنداري ص/٤٤

يحصل بها نفع للكفر وانتقل السلطان إلى المنزلة الأولى وشرع جمع العسكر في الإفتراق كأنهم قد أطلقوا عن الوثاق ورحل الملك المظفر تقي الدين وسار إلى دمشق على طريق هونين واستصحب معه عساكر الشرق وجموع الجزيرة والموصل وسنجار وديار بكر وماردين ثم استقل السلطان راجلا وسلكنا بالخيل في خدمته ورأى الباقين فوق الجبل في ثلاث مراحل حتى انخنا بظاهر عكا عند التل وخيم السلطان (٢٣٩ أ) هناك وأقر الفضل وأرف الظل وعين يوم رحيله أمراء يقيمون على صدر إلى أن يعرفوا عبور النقل فإن طريق الناقورة في الجبل المطل على البحر ضيقة المسلك لا نعبر بها إلا جمل جمل فعبرت بها الأثقال والأحمال في أسبوع وسار الملك العادل إلى مصر والملك الظاهر إلى حلب واستأذن أيضا بدر الدين دلدرم الياروقي في المسير وصار هاولا في الجم الغفير والجمع الكثير.." (١)

"وليتها إذ فدت عمرا بخارجة ... فدت عليا بمن شاءت من البشر١

وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن ... أتت بمعضلة الألباب والفكر٢

فبعضنا قائل ما اغتاله أحد ... وبعضنا ساكت لم يؤت من حصر٣

وأردت ابن زياد بالحسين فلم ... يبؤ بشسع له قد طاح أو ظفر٤

وعممت بالظبى فودي أبي أنس ... ولم ترد الردى عنه قنا زفر٥

وأنزلت مصعبا من رأس شاهقة ... كانت بها مهجة المختار في وزر٦

ولم تراقب مكان ابن الزبير ولا ... راعت عياذته بالبيت والحجر٧

وأعملت في لطيم الجن حيلتها ... واستوسقت لأبي الذبان ذي البخر٨

ولم تدع لأبي الذبان قاضبه ... ليس اللطيم لها عمرو بمنتصر٩

وأحرقت شلو زيد بعدما احترقت ... عليه وجدا قلوب الآي والسور١٠

=وجهه، والحسين: هو ابنه. أشقاها: هو عبد الرحمن بن ملجم الذي طعن عليا، وشمر: هو ابن الجوشن: أحد العاملين على قتل الحسين في كربلاء.

١-عمرو: هو عمرو بن العاص، وخارجة: رجل من أنصاره في مصر.

٢- ابن هند: هو معاوية بن أبي سفيان، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة. وحسن: هو الحسن بن علي بن أبي طالب. المعضلة: المشكلة أو المسألة الصعبة. الألباب: العقول والأفهام.

٣- الحصر: يقال: حصر فلان حصرا: ضاق صدره، وحصر القارئ: عي في منطقه ولم يقدر على الكلام، وحصر عن الشيء: امتنع عنه عجزا.

٤- ابن زياد: هو عبيد الله بن زياد بن أبيه، أمير الكوفة، وأحد مدبري مقتل الحسين في كربلاء.

يبوء: يرجع. الشسع: رباط النعل. والمعنى: أن الليالي اقتصت للحسين من ابن زياد بميتة مشابهة على يد إبراهيم بن

---

(١) مختصر سنا البرق الشامي البنداري ص/١٥٧

الأشتر النخعي من بعد.

٥- أبو أنس: هو الضحاك بن قيس الفهري. زفر: هو زفر بن الحارث الكلابي، حليف الضحاك في معركة مرج راهط. الظبى: جمع ظبة: حد السيف. الفود: جانب الرأس. القنا: الرماح.

٦- مصعب: هو مصعب بن الزبير، وكان واليا على العراق من قبل أخيه عبد الله. الشاهقة: العالية، المرتفعة، والمراد بها: قلعة الكوفة.

٧- يريد: عبد الله بن الزبير، وكان يسمى العائذ؛ لأنه كان يقول: أنا العائذ بالبيت. ولكن تلك العياذة لم تمنعه من منجنيق الحجاج بن يوسف الثقفي وسيفه.

٨- لطيم الجن: هو عمرو بن سعيد الأموي، وكان عبد الملك بن مروان قد استدرجه بالحيلة إلى داره وقتله. وأبو الذبان: كنية نبز بها عبد الملك، وكان أبخر.

٩- قاضبه: سيفه.

١٠- الشلو: العضو. زيد: هو زيد بن علي بن الحسين، وكان ثار على الأمويين، وبويع بالخلافة في الكوفة سنة ١٢٢ هـ.." (١)

"وتحالف معهم جماعة من السفلة و [الإخوان] (١)، وأمدوهم بعيدان الحطب (٢) والقش. فلما **احترقت** البوابة اندفع التركمان إلى داخل المدينة، ولما أبلغوا النائب بتلك الجرأة، ركب لدفعهم حتى وصل إلى البوابة، وحين رآهم يحرقون الباب وأن الأمر يتجاوز حد التدارك، عد الفرار لازما فتحنك بشال العمامة (٣) وأخذ يركض هنا وهناك، ويقول بصوت عال لخداع الأتراك/: أين النائب؟ وأخذ يكرر ذلك.

حتى إذا وصل إلى باب قصره نزل، ودخل من البوابة متلصصا واختفى ببيت أحد أتباعه.

وانتشر التركمان المفسدون في المدينة كالجراد المنتشر، فحطموا أبواب الأنزال (٤) - وكانت مخازن لتجار الديار والأمصار- كما حطموا أبواب قصور الأمراء وبيوتهم بالعصى والبلط، وجمعوا الأمتعة وربطوها رزما وملأوا الأكياس بالنقود، وظهرت للعيان من جديد حكاية الغز واستيلائهم على نيسابور (٥).

وفي اليوم التالي أتوا «بالجمري» فأدخلوه المدينة، وأجلسوه في دار الحكم

---

(١) إضافة من أ. ع، ٦٩١.

(٢) كذا في أ. ع، أيضا: نى، وفي الأصل: دونى: وعاء كبير.

(٣) في الأصل: أدار شال العمامة على رأسه على شكل: تحت الحنك. وفي القاموس تحنك: أدار العمامة من تحت حنكه.

(٤) في الأصل: كاروانسراها: جمع نزل، وهو ما يشبه الفندق في أيامنا هذه.

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المراكشي ص/٦٥

(٥) عبارة الأصل مضطربة للغاية، راجع أ. ع، ٦٩٢. وكان الأتراك الغز قد اجتاحوا خراسان في عهد السلطان «سنجر السلجوقي» سنة ٥٤٨ هـ، وهزموا السلطان نفسه واعتقلوه، وألحقوا الدمار الشديد حينذاك بمدن خراسان العامرة. انظر ابن الأثير في حوادث السنة المذكورة: الكامل ١١: ١٧٦.." (١)

"ثم إن عبد الله ابنه هذا مر به بعد حين فتذكر قول أبيه فيه فقال

(أحمامة الوادي أخفت من الحمام ... فشكوت ما تلقين شكوى المستهام)

(كذب الحمام فأين دعوى مظهر ... أشجانه من ذي خفاء واكتتام)

(شهدت دموعي والجوى ولو أنني ... خاصمت بالجسم السقيم كفى السقام)

(بل قد عذرتك يا حمام فلم تطق ... عونا يبين عن الذي بك من أوام)

(ما باختيارك خضبت كف ولا ... قلدت طوقا ما له عنك انفصام)

(أو ما ترى الكحلاء طبعا تشتكي ... ثكلا وناظرها يدل على اتهام)

(ردي الهديل فإنني أشجي به ... يا ليتني لم أدر يوما ما الغرام)

ووجدت منسوبا إليه

(بدا محيا جابر ... والليل ملق أزره)

(والبدر قد قابله ... والمشتري والزهره)

(فقلت ذا أضوأ من ... تلك الثلاث النيرة)

(فقال صحبي كلهم ... إي وال◌ذي قد صوره)

وهذه الأبيات قد أنشدنيها أبو بكر محمد بن الحاج أبي عامر محمد بن حسن ابن محمد بن عبد الرحمن الفهري ببلنسية بعد سنة عشر وستمائة لشيخنا أبي الحسن بن حريق وحدثني أنه سمعها منه عند ارتجاله إياها في شبيبة أبي." (٢)

"الحسن قال وكان يميل إلى وسيم يعرف بجعفر الخضري فقعد وأنا معه في إحدى الليالي المقمرة بين العشاءين ومعنا طائفة من أترابنا ترتقب وصول جعفر هذا فلما أطل قال ذلك وأول الأبيات

(بدا محيا جعفر ...)

إلى آخرها إلا أنه قال فقلت ذا أجمل مكان أضوأ وهي بابن حريق أولى مع أني لم أجدها في ديوان شعره إذ قرأته عليه ولا أدري كيف نسبت إلى ابن وزير

١٦٥ - إبراهيم بن محمد بن صناديد الأنصاري أبو إسحاق

---

(١) أخبار سلاجقة الروم = مختصر سلجوقنامه مجهول - من أهل القرن السابع الهجري ص/٣٩٦

(٢) الحلة السيراء ابن الأبار ٢/٢٩٨

كان أبوه واليا على جيان وقد وليها هو بآخره وتصرف قبل ذلك بثغر بطليوس وهنالك صاحبته ومنه خاطبني وخاطبته وأصل أوليته من شقورة." (١)

"وكانت لأبيه نكايات في العداة وعنايات بالعفاة حتى لدونت أمداحه وشهر بأسه وسماحه

وأما ابنه هذا فغلب الأدب عليه وانتسب السرو إليه وإلا يكن معه بأس أبيه ومضاؤه فمعه معروفه المعروف وسخاؤه حدثني شيخنا أبو الحسن بن حريق أنه أيام اشتغاله بجهة جيان وتردده عليها في صدر هذه المائة لقى أبا إسحاق هذا فأفهمه بمقتضى سروه الحرص على مدحه ثم بعث قريحته على ذلك بجزيل من منحه فقال فيه قصيدته الفريدة التي أولها وأنشدني جميعها

(أعرى من المدح الطرف الذي ركبا ... لماجرى في ميادين الصبا فكبا)

(تمر وثبا به خيل الشباب فلا ... يسطيع من مربط الخمسين أن يثبا)

(وربما شق أسداف الظلام به ... ركضا وشق به الأستار والحجبا)

يقول فيها

(يلقى الغواني بإنكار معارفه ... وهن أقرب خلق منه منتسبا)

(إن كن سمينه عصر الشباب أخا ... لهن فاليوم أحرى أن يكون أبا)

(رعينه خضرا رطبا فحين عسا ... أتين يرعين ذاك الإل والنسبا)." (٢)

"يكن بداخل الولاة وأصحابهم ولا يقوم لأحد منهم إن رآه وقلما تعدى مسجده وداره واختلف علي في وفاته والذي تقرر عندي أنها قبل سنة ثمان عشرة وستمائة

٢٨١ - أحمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى بن عبد المؤمن القيسي من أهل شريش يكنى أبا العباس روى عن أبي الحسن بن لبال وأبي بكر بن أزهر وأبي عبد الله بن زرقون وأبي العباس بن مقدام وأبي الحسين بن جبير وغيرهم وأقرأ العربية وله تواليف أفاد بما حشر فيها منها شرح الإيضاح للفارسي والجمل للزجاجي وشرح مقامات الحريري في ثلاث نسخ كبراها الأدبية ووسطاها اللغوية وصغراها المختصرة وله في العروض تأليف وجمع مشاهير قصائد العرب واختصر نوادر أبي علي القالي لقيته بدار شيخنا أبي الحسن بن حريق من بلنسية قبل توجهي إلى إشبيلية في سنة ست عشرة وستمائة وهو إذ ذاك يقرأ عليه شرحه للمقامات فسمعت عليه بعضه وأجاز لي سائره مع روايته وتواليفه وأخذ عنه أصحابنا ثم لقيته ثانية مقدمه من مرسية وتوفي بشريش بلده في سنة تسع عشرة وستمائة

٢٨٢ - أحمد بن تميم بن هشام بن أحمد بن حنون البهراني من ساكني إشبيلية وأصله من لبلة يكنى أبا العباس روى عن أبيه وأبي بكر بن الجد وأبي عبد الله بن زرقون وأبي محمد بن جمهور وغيرهم ورحل إلى المشرق فسمع ببغداد من أبي حفص عمر بن طبرزد وبخراسان من المؤيد بن محمد الطوسي وبهراة من أبي روح وعبد المعز وبمرومن عبد الرحيم

---

(١) الحلة السيراء ابن الأبار ٢/٢٩٩

(٢) الحلة السيراء ابن الأبار ٢/٣٠٠

بن عبد الكريم السمعاني ومن جماعة غير هؤلاء وسمع أيضا بدمشق من أبي الفضل الحرستاني وسواه وبها توفي قبل العشرين وستمائة من خبره عن ابن نقطة وقال فيه ثقة صالح

٢٨٣ – أحمد بن طلحة بن محمد بن عبد الملك الأموي من أهل يابرة ونشأ بإشبيلية يكنى أبا العباس وهو أخو الأستاذ أبي بكر محمد بن طلحة أخذ عن أخيه وغيره." (١)

"جده ووجدت أنا سماعه من يونس القاضي في موطأ القعنبي أصل أحمد بن خالد سنة عشر وأربعمائة

٣٤٣ – إبراهيم بن قاسم بن إسماعيل بن يونس المعافري من أهل المرية وأصله من شذونة يكنى أبا إسحاق حدث عن أبيه وغيره روى عنه أبو الحسن بن بطال أجاز له في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وأربعمائة وأجاز أيضا لحاتم بن محمد الطرابلسي وقاسم أبوه من رواة سعيد بن فحلون وأحمد بن جابر بن عبيدة أكثره عن ابن عياد

٣٤٤ – إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الهوزني من أهل إشبيلية يكنى أبا إسحاق ذكره صاعد القاضي وقال كان متفننا في ضروب المعارف وتوفي بمصر سنة عشرين وأربعمائة وهو لم يتمكن في سن الكهولة

٣٤٥ – إبراهيم بن عيسى بن مزاحم الأموي من أهل سرقسطة كان صدرا في نبهائها والمشاورين من فقهائها وهو أحد المفتين في قصة أبي عمر الطلمنكي والشهادة عليه في سرقسطة بمخالفة السنة من فوائد ابن غشليان

٣٤٦ – إبراهيم بن معاذ القاضي من أهل لاردة من الثغر الشرقي يكنى أبا إسحاق حكى ابن عياد قال سمعت أبا عمران بن زرارة المذكر صاحبنا يقول حدثني رجل من إخواني عن إبراهيم بن معاذ القاضي من أهل لاردة قال كات بلاردة دار وقعت فيها النار فاحترق جميع ما كان فيها وكان لي في جملة متاعها خزانة عليها مصحف فاحترقت بما كان فيها مع المصحف وإذا على الخزانة إضبارة بقيت من المصحف فيها مكتوب كان ذلك في الكتاب مسطورا

٣٤٧ – إبراهيم بن مسرة التميمي من أهل مدينة الفرج ومن ولد الفقيه وهب بن مسرة صاحب ابن وضاح وكان من معلمي العربية ببلده وكانت له معرفة وتقدم في الآداب

٣٤٨ – إبراهيم بن حفص من أهل مدينة الفرج كان من أهل العلم بالعربية." (٢)

"يكنى أبا عبد الله ويعرف بالقباعي روى ببلده عن أبي عبد الله بن عبد الخالق وأبي العباس بن زرقون وأبي عبيد الله بن أبي صوفة وأبي الحسن علي بن خلفون القروي وسمع بمالقة من أبي عبد الله بن معمر وأبي محمد الوحيدي وابن أخت غانم وكتب إليه أبو علي الصدفي وأبو جعفر بن عبد العزيز وغيرهما وولي الصلاة والخطبة بموضعه وكان فقيها مشاورا حسن الخلق ذا دعابة وفكاهة مع الخشية والخشوع حدث عنه أبو الحسن بن القاسم صاحب الوثائق وأبو الصبر السبتي وأبو البقاء يعيش بن القديم وأبو الخطاب بن الجميل من شيوخنا وغيرهم ووقفت على إجازته لأبي الحسن الفهمي الضرير في رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة

١٢٤ – محمد بن غالب الرفاء الرصافي رصافة بلنسية وسكن مالقة يكنى أبا عبد الله كان شاعر وقته المعترف له

---

(١) التكملة لكتاب الصلة ابن الأبار ٩٩/١

(٢) التكملة لكتاب الصلة ابن الأبار ١١٧/١

بالإجادة مع العفاف والانقباض وعلو الهمة والتعيش من صناعة الرفو التي كان يعالجها بيده لم يبتذل نفسه في خدمة ولا تصدي لانتجاع بقافية حملت عنه في ذلك أخبار عجيبة وقد سكن غرناطة وقتا وامتدح واليها حينئذ ثم رفض تلك العلق ورضي بالقناعة مالا وهو مع ذلك مرغوب فيه ينظم البديع ويبدع المنظوم وكان من الرقة وسلاسة الطبع وتنقيح القريض وتجويده على طريقة متحدة وسمعت شيخنا أبا الحسن بن **حريق** يعيبه بالإقلال وليس كذلك وخرج صغيرا من وطنه فكان يكثر الحنين إليه ويقصر أكثر منظومة عليه وشعره مدون بأيدي الناس متنافس فيه وقد حمل عنه وسمع منه ومن رواته أبو علي بن كسرى المالقي وأبو الحسين بن جب◌ير." (١)

"مروان بن قزمان وأبو العباس بن سيد الإشبيلي وقد قيل أنه دخل في الإجازة العامة من ابن قزمان وكتب إليه أبو طاهر السلفي والحشوعي ويروى عن أبي الحسن المعروف بالأرجفي من أصحاب المازري وكان فقيها مالكيا حافظا مبرزا متعصبا للمذهب قائما عليه حتى امتحن بالسلطان من أجله واعتقل مدة بسبتة ومن تواليفه الكتاب المعلي في الرد على المحلي والمجلي لأبي محمد بن حزم وكتاب قطب الشريعة في الجمع بين الصحيحين ومنها اقتضابه لكتاب الأموال لأبي عبيد وغير ذلك وله كتاب في الفقه لم يكمله سماه تهذيب المسالك في تحصيل مذهب مالك كتب إلي بإجازة ما رواه وألفه في سنة ثمان وستمائة ثم لقيته بإشبيلية غير مرة في سنة ثمان عشرة وقبلها ولم يكن له بصر بالحديث وكان يعترف بالقصور عنه وعلى ذلك عنى الناس بالسماع منه وقد كتب عنه من الجلة شيخنا أبو الربيع بن سالم وعندي بخطه مجموعة في حديثي جابر وبريرة وعاد بأخره إلى تدريس الفقه وتعليم الرأي مع ذكره للآداب وعمارة مجلسه به وربما نظم اليسير توفي يوم السبت رابع شوال سنة إحدى وعشرين وستمائة ودفن بقبلي مسجده بالحصارين من داخل إشبيلية وهو ابن ثلاث وثمانين سنة مولده وقرأته بخطه في ربيع ولم يبين الأول من الثاني سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وذكر أبو القاسم بن فرقد أنه ولد يوم الاثنين السابع عشر لرجب من السنة المذكورة ورأيت ذلك بخط بعض أصحابنا إلا أنه قال التاسع عشر وحكى أنه قرأه بخط أبيه على ظهر سفر من كتاب البخاري

٣٢١ – محمد بن موسى بن محمد من أهل شاطبة يعرف بالقطني ويكنى أبا عبد الله سمع من أبي الخطاب بن واجب وأبي عمر بن عات من شيوخنا وأبي محمد بن حوط الله وغيرهم ولقي بمدينة فاس أبا القاسم عبد الرحيم بن عيسى بن الملجوم فسمع منه وأخذ عن أبي الحسن بن **حريق** الأدب وعنى بالعربية فأقرأها وعلم بها وحدث بيسير وتوفي في سنة إحدى وعشرين وستمائة قاله لي أبو محمد بن خيرة." (٢)

"ويكنى أبا عبد الله وقال فيه بعض أصحابنا أنه من ولد جابر بن عبد الله ولم يرفع في نسبه وغلط في ذلك قرأ القرآن على جده المكتب أبي إسحاق ابراهيم بن محمد وعلي أبي الحسن علي بن عبد الله بن فرج الغساني وأبي محمد عبد الله بن محمد المعروف بالكواب المقرىء وسمع الحديث من أبي خالد بن رفاعة وأبي بكر بن أبي زمنين وأبي جعفر بن اليسر وأبي جعفر بن شراحيل وأبي القاسم بن سمجون وأبي زكرياء الأصبهاني وممن أجاز له ولقيه أبو جعفر

---

(١) التكملة لكتاب الصلة ابن الأبار ٤٦/٢

(٢) التكملة لكتاب الصلة ابن الأبار ١٢٤/٢

بن حكم وأبو بكر بن مسعده وأبو جعفر بن عميره الضبي وأبو محمد بن بونة وأبو بكر عبد الله بن طلحة بن عطية وأجاز له ممن لم يلقه أبو بكر بن الجد وأبو عبد الله بن زرقون وأبو محمد بن عبيد الله وأبو عبد الله بن الفخار وأبو محمد بن جمهور وأبو عبد الله بن حميد وأبو العطاء بن نذير وأبو ذر الخشني وأبو الحجاج بن الشيخ وأبو الحسن بن خروف النحوي وغيرهم وتصدر ببلده للإقراء وولي الصلاة والخطبة بجامعه وشارك في العربية وحدث وأخذ عنه وكان موصوفا بالصلاح والهدى الحسن والانقباض عن الناس مولده في شهر ذي القعدة سنة ٥٧٩ وتوفي سنة ٦٣٦

٣٦٨ – محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الأنصاري من أهل شاطبة يعرف بالولي ويكنى أبا القاسم سمع أباه وأبا عبد الله بن سعادة وأخذ عنهما القراءات وأبا الخطاب بن واجب وأبا عمر بن عات وأبا جعفر بن عميرة وأبا القاسم الطرسوني وأبا عبد الله بن ملوك البلوي وأبا الحسن بن حريق وغيرهم وتصدر للإقراء ببلده وأخذ عنه وتوفي سنة ٦٣٦

٣٦٩ – محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن أبي الحسن الكناني الضرير من أهل شاطبة يعرف بابن الأحدب ويكنى أبا عبد الله أخذ القراءات عن أبي عبد الله بن نوح وأبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن ياسين وأبي زكرياء بن سيد بونه الخزاعي وأبي الحسن علي بن إبراهيم بن عقاب وأبي عبد الله محمد بن." (١)

"حسن

وشعره كثير واعتنى بتدوينه أخذ عنه جلة منهم أبو جعفر الذهبي وأبو الحجاج بن مرطير وأبو الحسن بن حريق وأبو محمد بن نصرون وأبو عبد الله بن عياد وأبو عامر بن نذير وأبو الربيع بن سالم وأبو محمد بن سعدون وغيرهم من المحدثين والأدباء وأنشد له ابن عياد وقرأته بخطه

(وعجل شيبي أن ذا الفضل مبتلى ... بدهر غدا ذو النقص فيه مؤملا)

(ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... بها الحر يشقى واللئيم مموﻻ)

(متى ينعم المعتر عينا إذا اعتفى ... جوادا مقلا أو غنيا مبخلا)

وتوفي ببلنسية بعد صلاة الظهر من يوم الأحد مستهل رجب سنة ٥٧٨ وحمل إلى دانية فدفن بقريته منها ومولده سنة ٥١٧

بعض خبره عن ابن سالم

٧٩٦ – عبد الله بن فرج بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري الوراق من أهل قرطبة يكنى أبا محمد روى عن أبي الوليد بن طريف وأبي بكر بن العربي وأجاز له أبو محمد بن عتاب ما رواه عن مكي بن أبي طالب خاصة وكان شيخا صالحا أصابته زمانة أقعدته عن التصرف فكان يسمع منه بداره وتوفي في رمضان سنة ٥٧٩ ذكره ابن حوط الله

٧٩٧ – عبد الله بن محمد بن وقاص اللمطي من أهل ميورقة يكنى أبا محمد روى عن أبي القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن عمير الثقفي سمع منه سنة ٥٤٤ بميورقة وسمع من غيره

ورحل إلى المشرق وحج وقفل إلى بلده فولي الصلاة والخطبة بجامعه وكان فقيها مفتيا يستخلف في الأحكام حدث

---

(١) التكملة لكتاب الصلة ابن الأبار ١٤٢/٢

عنه ابنه أبو عبد الله وأبو عبد الله البنيولي وغيرهما واستشهد في الحادثة بقصر ميورقة عند وفاة أميرها إسحاق بن محمد سنة ٥٨٠ أخبرني بذلك الثقة

٧٩٨ – عبد الله بن اسماعيل بن فرج الأموي بفتح الهمزة مولى إبراهيم بن جعفر بن عبد الله الزهري أصله من سرقسطة وسكن قرطبة يعرف بابن العطار ويكنى." (١)

"يعرف بابن الشريك ويكنى أبا الحسن أخذ القراءات عن أبي إسحاق بن محارب وعلم العربية عن أبي القاسم بن تمام ورحل إلى مرسية واتخذها دارا وهناك سمع من أبي القاسم بن حبيش وأبي عبد الله بن حميد وأدب بالقرأن والعربية وبلغ في الفهم والذكاء الغاية ويقال أنه كان أول أمره نجارا فلما كف بصره أقبل علي العلم فبرع في العربية واستفاد بتعليمها مالا جليلا ومولده بدانية سنة خمس وخمسين وخمسمئة وتوفي بمرسية يوم الخميس الموفي ثلاثين لرجب سنة ٦١٩ وبعض أصحابنا يقول أنه توفي سنة خمس عشرة وستمائة وهو وهم

٥٨٥ – علي بن محمد بن يوسف القيسي الأديب من أهل قرطبة يكنى أبا الحسن ويعرف بابن خروف أخذ بقرطبة عن مشيخة بلده وكان بينه وبين الخطيب أبي جعفر بن يحيى تباعد ورحل إلى المشرق فأدي الفريضة ولقي أبا الطاهر الخشوعي فحمل عنه مقامات الحريري سماعا لثلاثين منها وإجازة لسائرها وكتب الحديث وجاور بالقدس وغيره وقد أخذ عنه بعض أصحابنا وتوفي بحلب مترديا في بئر سنة عشرين وستمائة

٥٨٦ – علي بن محمد بن يوسف بن عبد الملك الأنصاري الوراق من أهل مرسية يكنى أبا الحسن ويعرف بابن المؤذن غلب عليه الاشتهار بعد المسفر بالمحتسب لطول اشتغاله بخطة السوق ببلده سمع من أبي الحجاج بن الشيخ وأبي جعفر بن حكم وأبي أحمد بن سفيان وجماعة من شيوخنا وأجاز له أبو القاسم بن سمجون وأبو زكرياء الدمشقي ورحل حاجا فأدي الفريضة وعاد إلى مرسية فأخذ بها عنه بيسير وتوفي سنة إحدى وعشرين وستمائة ومولده بعد الخمسين وخمسمائة

٥٨٧ – علي بن محمد بن أحمد بن حريق المخزومي من أهل بلنسية." (٢)

"ووفد بهم الأمير أبو زائدة، ووصلوا إلى وادي بطنان. واتفق وصول

المعروف بتركمان التركي في آلف فارس من الغز، ومعه جملة من العدد لمحاصرة حلب ومعونة تتش.

وعبر تركمان على طريق الفايا، فسار الأمير أبو زائدة بمن معه من الجمع، ولقوا تركمان في أرض الفايا، فأوقعوا به وكبسوا عسكره، وقتلوه، ونهبوا ما كان فيه بأسره وجميع ما كان للتجار الواصلين في صحبته، واتصل هذا الخبر بتاج الدولة وهو منازل حلب، فرحل عنها إلى الفرات، وتوجه نحو ديار بكر وشتى بها.

عودة تاج الدولة

ثم عاد وقطع الفرات، وتسلم منبج وحصن الفايا وحصن الدير، وشحنها بالرجال، وسار بالعسكر إلى حصن بزاعا، وكان

---

(١) التكملة لكتاب الصلة ابن الأبار ٢٧٥/٢

(٢) التكملة لكتاب الصلة ابن الأبار ٢٣٢/٣

صاحبه شبل بن جامع، وبعض رجال هذا الحصن ممن كانت له النكاية العظيمة في عسكر تركمان، فقاتله تاج الدولة، وفتحه بالسيف، وقتل كافة من كان فيه، ونهبه وشحنه بالرجال.

ورحل إلى عزاز وقد انضوى إلى قلعتها خلق عظيم، ومنعهم الوالي بها من الصعود إليها فالتجئوا إلى سند القلعة بأقمشتهم، والناس عليها، وأساء الوالي بها وكان اسمه عيسى، التدبير والسياسة.

فزحف العسكر إلى القلعة، وقاتلها، وضربها بالنار، **فاحترقت** أقمشة

الناس، وغلاتهم، وحرمهم، وأولادهم، وأشرفت على الأخذ وخرج قوم من **الحريق** إلى عسكر تاج فأمنهم، وتقدم إليهم بالعودة إلى ضياعهم.

ورحل الملك تاج الدولة إلى جبرين قور سطايا، فأخذها وشحنها بالرجال، فخرج الأمير أبو زائدة محمد بن زائدة من حلب في الليل، ووصل إلى ضيعة تعرف بكرمين، فوجد بها خمسين فارسا من الغز، فقتلوا أكثرهم، وغنموا كل ما كان معهم، وعادوا إلى حلب سالمين.." (١)

"وباعوا بعضهم واستعبدوا بعضا وأخذ لأهل حلب جشير خيل ثلاثمائة رأس، وكان **حريق** الزرع من رهقات بلك وكان سبباغ للغلاء العظيم.

ثانيا بلك بن بهرام بن أرتق

وفي صباح يوم الثلاثاء، غزة جمادى الأولى من سنة سبع عشرة وخمسمائة، تسلم مدينة حلب سلمها إليه مقلد بن سقويق بالأمان ومفرج بن الفضل، ونودي بشعار بلك من عدة جهات، وكسر باب أنطاكية، وأخربت ثلمة من غربي باب اليهود.

وفي يوم الجمعة رابع الشهر تسلم القلعة وجلس بها بعد ما نزل بدر الدولة منها بيوم، وقرر حالها، وأخرج سلطان شاه بن رضوان، وسيره إلى حران، وكان في فتحها في شهر ربيع الآخر خوفا منه.

ثم أنه سار إلى البارة وهجمها، وأسر الأسقف الذي بها وقيده، ووكل به، ورحل إلى كفر طاب فغفل الموكل به فهرب إلى كفر طاب، فعزم على قتال حصنها، واسترجاع الأسقف في يوم الثلاثاء الثاني عشر من جمادى الآخرة. فوصله من أخره أن بغدوين الرويس وجوسلين وقلران وابن اخت طنكريد وابن أخت بغدوين وغيرهم من الأسرى الذين كانوا مسجونين بجب خرتبرت عاملوا قوما من أهل حصن خرتبرت فأطلقوهم، ووثبوا على الحصن فملكوه، وأخذوا كل ما كان لنور الدولة فيه وكان جملة عظيمة، فقال جوسلين: كنا قد أشرفنا على الهلاك والآن فقد خلصنا، والصواب أن نمضي ونحمل ما قدرنا عليه. فما سمحت نفس بغدوين بترك الحصن والخروج منه.

فاتفق رأيهم على خروج جوسلين، وحلفوا على أنه لا يغير ثيابه ولا يأكل لحما ولا يشرب إلا وقت القربان إلى أن يجمع جموع الفرنجة ويصل بهم إلى خرتبرت ويخلصهم.." (٢)

---

(١) زبدة الحلب في تاريخ حلب ابن العديم ص/١٩٨

(٢) زبدة الحلب في تاريخ حلب ابن العديم ص/٢٨٥

"وأوهموه أنه يميل إلى الملك الصالح، ووضعوا على لسانه أشعارا نسبوها إليه، فأوجب ذلك استيحاشه، وتوجه إلى الموصل. وعرض القضاء على عمي أبي غانم محمد بن هبة الله بن أبي جرادة فامتنع. فقلد والدي القضاء بحلب وأعمالها، وبقي على قضائها إلى أن مات الملك الصالح، وفي دولة عز الدين، وعماد الدين، ومدة من دولة السلطان الملك الناصر.

وقبض الملك الصالح قرية للإسماعيلية تعرف بحجيرا من ضياع نقرة بني أسد، فكتب سنان إلى الملك الصالح كتبا عدة في إطلاقها، فلم يطلقها، فأرسل جماعة من الرجال معهم النفط والنار، فعمدوا إلى الدكان التي في رأس الزجاجين من الشرق في القرنة، فألقوا فيها النار.

فنهض نائب رئيس البلد بمن معه في المربعة، والجماعة المرتبون لحراسة الأسواق، وأخذوا السقائين ليطفئوا **الحريق**، فأتى الإسماعيلية من أسطحة الأسواق، وألقوا النار والنفط في الأسواق، فاحترق سوق البز الكبير، وسوق العطارين، وسوق مجد الدين، المعد للبز، وسوق الخليع، وسوق الشراشين وهو الآن يعرف الكتانيين وسوق السراجين، والسوق الذي غربي الجامع، جميعه، إلى أن انتهى **الحريق** إلى المدرسة الحلاوية.

واحترق للتجار والسوقية، من القماش والآلات شيء كثير، وافتقر كثير منهم بسبب ذلك، ولم يظفروا من الإسماعيلية بأحد، وذلك في سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

ومات سيف الدين غازي، صاحب الموصل، ووليها أخوه عز الدين مسعود، وذلك في سنة ست وسبعين وخمسمائة.

وفاة إسماعيل بن نور الدين زنكي

وكان الملك الصالح في هاتين السنتين رخي البال، مستقرا في مملكته، سالكا في الإحسان إلى أهل حلب طريق أبيه. عفيف اليد والفرج واللسان، فقدر الله تعالى." (١)

"جعلوا في البطسة وقودا كثيرا، ليلقوه في البرج إذا اشتعلت النار فيه. وعبؤوا بطسا ملؤوها حطبا، على أنهم يدفعونها لتدخل بين بطس المسلمين، ثم يلهبونها لتحرق بطس المسلمين.

وجعلوا في بطسة ثالثة مقاتلة، تحت قبو، بحيث لا يصل إليهم نشاب، ويكونون تحت القبو، ويقدمون البطسة إلى البرج، فأوقدوا النار، وضربوا النفط، فانعكس الهواء عليهم، **فاحترقت** البطسة، وهلك من فيها، **واحترقت** البطسة الثانية، وأخذها المسلمون، وانقلبت الثالثة التي فيها القبو بمن فيها.

وفي هذه السنة، في ربيع الأول، أحرق المسلمون ما كان صنعه الفرنج من آلات الحرب والزحف إليهم، وهي أبرجة عظيمة المقدار، يزحف بها على عجل، وفيها المقاتلة، والجروخ، والمجانيق، فعمد لها رجل دمشقي يعرف بعلي بن النحاس، فرماها من السور، بقدور نفط متتابعة، وصار فيها ريح غريبة، كانت سببا لإحراق تلك الآلات وما فيها ومن فيها.

واشتد حصار الفرنج على عكا، ومل من بها من الأجناد المقام، ووصل إليهم من مصر مراكب فيها غلة، فأتلفوها

---

(١) زبدة الحلب في تاريخ حلب ابن العديم ص/٣٧٨

بالإضاعة وبالتغريق، تبرما بالمقام.

وفي ربيع الأول، وصلت من بلاد الفرنج مراكب كثيرة، فيها ألوف من مقاتلة الفرنج من أكبرهم ملكان: يعرف أحدهما بملك الفرنسيس والآخر بملك انكتير، فاشتدت وطأتهما على عكا، وعظمت نكايتهما، في سورها. وقل ما بها من الميرة والسلاح.

فأمر السلطان بأن أوسق مركب عظيم من بيروت، واستكثر فيه من السلاح والأقوات والمقاتلة، وأظهر عليه زي الفرنج وشعارهم، وأخذ قوم من أساري الفرنج الذين في قبضة المسلمين، فتركوا على ظاهر المركب، وأنزل معهم في المركب جماعة من المسلمين ممن يعرف لغة الفرنج، وتزيوا بزي الفرنج، وحلقوا شعورهم، وأخذوا معهم خنازير، ورفعوا على قلع المركب صليبا. وأوهموا الفرنج." (١)

"المحال. ووقف عليها وقفا لإصلاحها، وذلك في سنة سبع وستمائة.

وتوفي وزير السلطان الملك الظاهر نظام الدين محمد بن الحسين بحلب، بعلة الدوسنطاريا، في صفر سنة سبع وستمائة. وكان رحمه الله وزيرا صالحا مشفقا، ناصحا، واسطة خير عند السلطان، لا يشير عليه إلا بما فيه مصلحة رعيته والإحسان إليهم. وقام بعمه بكتابة الإنشاء والأسرار شرف الدين أبو منصور بن الحصين، وشمس الدين بن أبي يعلى كان مستوفي الدواوين. فلما مات أبو منصور بن الحصين استقل بالوزارة، وأضيف إليه ديوان الإنشان مع الاستيفاء. وعمر السلطان باب قلعة حلب، والدركاه، وأوسع خندقها وعمل البغلة من الحجارة الهرقلية، وعمق الخندق، إلى أن نبع الماء في سنة ثمان وستمائة. وخرجت من مصر، في هذه السنة، الملكة الخاتون، ضيفة خاتون بنت الملك العادل إلى حلب، مع شمس الدين بن التنبي. والتقاها الملك الظاهر بالقاضي بهاء الدين من دمشق، ثم بالعساكر الحلبية بعد ذلك بتل السلطان واحتفل في اللقاء، وبالغ في العطاء. ووصلت إلى حلب في النصف من المحرم من سنة تسع وستمائة.

وملك ابن التنبي قرية من قرى حلب، من ضياع الأرتيق يقال لها تلع وأعطاه عطاء وافرا، وحظيت عنده حظوة، لم يسمع بمثلها.

ووقعت النار في مقام إبراهيم عليه السلام وهو الذي فيه المنبر، ليل الميلاد، وكان فيه من الخيم والآلات والسلاح ما لا يوصف، فاحترق الجميع، ولم يسلم غير الجرن الذي فيه رأس يحيى بن زكريا عليه السلام واحترقت السقوف والأبواب، فجدده السلطان الملك الظاهر، في أقرب مدة أحسن مما كان.

وتوفي شرف الدين عبد الله بن الحصين كاتب السلطان، واستقل شمس الدين عبد الباقي بن أبي يعلى بالوزارة، في سنة تسع وستمائة.

وشرع الملك الظاهر في هدم باب اليهود وحفر خندقه وتوسعته. وبناه بناء حسنا، وغيره عن صورته التي كان عليها، وبنى عليه برجين عظيمين، وسماه باب النصر. وأتم بناءه، في سنة عشر وستمائة.." (٢)

---

(١) زبدة الحلب في تاريخ حلب ابن العديم ص/٤٢٣

(٢) زبدة الحلب في تاريخ حلب ابن العديم ص/٤٥١

"(يرجون ميلاد ابن مريم نصرة ... ولم يغن عند القوم عنهم ولاده)

(مدينة إفك منذ خمسين حجة ... يفل حديد الهند عنها حداده)

(تفوت مدى الأبصار حتى لو أنها ... ترقت إليه خان طرفا سواده)

(وجامحة عز الملوك قيادها ... إلى أن ثناها من يعز قياده)

(فأوسعها حر القراع مؤيد ... بصير بتمرين الألد لداده)

(كأن سنا لمع الأسنة حوله ... شرار ولكن في يديه زناده)

(فأضرمها نارين حربا وخدعة ... فما راع إلا سورها وانهداده)

(فصدت صدود البكر عند افتضاضها ... وهيهات كان السيف حتما سفاده)

(فيا ظفرا عم البلاد صلاحه ... بمن كان قد عم البلاد فساده)

(فلا مطلق إلا وشد وثاقه ... ولا موثق إلا وحل صفاده)

(ولا منبر إلا ترنح عوده ... ولا مصحف إلا أنار مداده)

(فإن يثكل ال إبرنز فيها حياته ... وإلا فقل للنجم كيف سهاده)

(وباتت سرايا القمص تقمص دونها ... كما يتنزى عن **حريق** جراده)

(إلى أين يا أسرى الضلالة بعدها ... لقد ذل غاويكم وعز رشاده)

(رويدكم لا مانع من مظفر ... يعاند أسباب القضاء عناده)

(مصيب سهام الرأي لو أن عزمه ... رمى سد ذي القرنين أصمي سداده)

(وقل لملوك الكفر تسلم بعدها ... ممالكها إن البلاد بلاده)

(كذا عن طريق الصبح أيتها الدجى ... فيا طالما غال الظلام امتداده)." (١)

"وغيرهم وقصدوا الباب الشرقي وفعلوا مثل ذلك وحصلوا في جمع كثير وامتلأت بهم الأزقة والدروب فحين عرف مجير الدين وأصحابه هذه الصورة اجتمعوا في القلعة بالسلاح الشاك وأخرج ما في خزائنه من السلاح والعدد وفرقت على العسكرية وعزموا على الزحف على جمع الأوباش والإيقاع بهم والنكاية فيهم فسأل جماعة من المقدمين التمهل في هذا الأمر وترك العجلة بحيث تحقن الدماء ويسلم البلد من النهب **والحريق** وألحوا عليه إلى أن أجاب سؤالهم ووقعت المراسلة والتلطف في إصلاح ذات البين فاشترط الرئيس وأخوه شروطا أجيبا إلى بعضها واعرض عن بعض بحيث يكون ملازما لداره ويكون ولده وولد أخيه في الخدمة في الديوان ولا يركب إلى القلعة إلا مستدعي إليها وتقررت الحال على ذلك وسكنت الدهماء

ثم حدث بعد هذا التقرير عود الحال إلى ما كانت عليه من العناد وإثارة الفساد وجمع الجمع الكثير من الأجناد والمقدمين والرعاع والفلاحين واتفقوا على الزحف إلى القلعة وحصر من بها وطلب من عين عليه من الأعداء الأعيان في

---

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ١٤٢/١

أواخر رجب ونشبت الحرب بين الفريقين وجرح وقتل بينهم نفر يسير وعاد كل فريق منهم إلى مكانه

ووافق ذلك هروب السلار زين الدين إسماعيل الشحنة وأخيه إلى ناحية بعلبك ولم تزل الفتنة ثائرة والمحاربة متصلة إلى أن اقتضت الصورة إبعاد من التمس إبعاده من خواص مجير الدين وسكنت الفتنة وأطلقت أيدي النهابة في دار السلارين." (١)

"(وأهم المهم أمر جهاد الكفر ... فاسمع فعندنا التحقيق)

(وأصلتهم منا السرايا فأشجاهم ... بكور منا لهم وطروق)

(وأباحت ديارهم فأباد القوم ... قتل ملازم وحريق)

(وانتظرنا بزحفنا برء نور الدين ... علما منا بأن سيفيق)

(وهو الآن في أمان من الله ... وما يعتريه أمر يعوق)

(ما لهذا المهم مثلك مجد الدين ... فانهض به فانت حقيق)

(قل له لا عداه رأي ولا زال ... لديه لكل خير طريق)

(أنت في حسم داء طاغية الكفار ... ذاك المرجو والمرموق)

(فاغتنم بالجهاد أجرك كي يلقى ... رفيقا له ونعم الرفيق)

فأجابه أسامة بقصيدة منها

(يا أمير الجيوش ما زال للإسلام ... والدين منك ركن وثيق)

(أسمعت دعوة الجهاد فلباها ... مليك بالمكرمات خليق)

(ملك عادل أنار به الدين ... فعم الإسلام منه الشروق)

(ما له عن جهاده الكفر والعدل ... وفعل الخيرات شغل يعوق)

(هو مثل الحسام صدر صقيل ... لين مسه وحد ذليق)

(ذو أناة يخالها الغر إهمالا ... وفيها حتف الأعادى المحيق)

(فاسلما للإسلام كهفين ما طرز ... ثوب الظلام برق خفوق)." (٢)

"ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعله مقدم عسكره وصاحب رأيه وكان لا يفصل أمرا ولا يقرر حالا إلا بمشورته ورأيه لما لاح له منه من آثار الإقبال والسعادة والفكرة الصحيحة واقتران النصر بحركاته وسكناته

فساروا حتى وصلوا مصر وشاور معهم وكان لوصولهم إلى مصر وقع عظيم وخافه أهل مصر ونصر شاور على خصمه وأعاده إلى منصبه ومرتبته وقرر قواعده وشاهد البلاد وعرف أحوالها وعلم أنها بلاد بغير رجال تمشي الأمور فيها بمجرد الإيهام والمحال

---

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٢٢٤/١

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٣٦٧/١

وكان ابتداء رحيله عنها متوجها إلى الشام في السابع من ذي الحجة فأقام بالشام مدبرا لأمره مفكرا في كيفية رجوعه إلى البلاد المصرية محدثا بذلك نفسه مقررا لقواعد ذلك مع نور الدين إلى سنة اثنتين◌ وستين

قلت ولفعل شاور ما فعل مع أسد الدين وصفه الشعراء بالغدر ووقعوا فيه قبل قتله وبعده على ما سنذكره وبقي متخوفا من أسد الدين

فقال عرقلة الكلبي من جملة قصيدة له

(وهل هم يوما شيركوه بجلق ... إلى الصيد إلا ارتاع في مصر شاور)

(هو الملك المنصور والأسد الذي ... شذا ذكره في الشرق والغرب سائر)

في ذي الحجة من هذه السنة **احترقت** جيرون بعد رجوع أسد الدين إلى دمشق فقال العرقلة بمدحه ويذكر ذلك

(جاز صرف الردى على جيرون ... وسقى أهلها كؤوس المنون)." (١)

"(أصبحت جنة وأمست جحيما ... تتلظى بكل قلب حزين)

(كيف لا تذرف الدموع عليها ... وهي في الشام نزهة للعيون)

(حبذا حصنها الحصين لقد كان ... جمالا لكل حصن حصين)

(أي سيف سطا على دار سيف ... وزبون أتى بحرب زبون)

(خلت نيرانها وكل ظلام ... نار ليلى تلوح للمجنون)

(كم غني اليمين أمسى فقيرا ... وفقير أمسى غني◌ اليمين)

(كل حين لها **حريق** جديد ... ليت شعري ماذا لها بعد حين)

(كل هذا البلاء عاقبة الفسق ... وشرب الخمور والتلحين)

(ولقد ردها بعزم وحزم ... أسد الدين غاية المسكين)

(وحمى الجامع المقدس والمشهد ... من جمرها بماء معين)

(ملك فعله بدلجة والباب ... فعال الإمام في صفين)

فصل في فتح حارم

قال العماد الكاتب وفي تلك السنة يعني سنة تسع وخمسين اغتنم نور الدين خلو الشام من الفرنج وقصدهم واجتمعوا على حارم فضرب معهم المصاف فرزقه الله تعالى الانتقام منهم فأسرهم وقتلهم." (٢)

"الخوف منهم على الامتناع فحفظوا البلد وقاتلوا دونه وبذلوا جهدهم في حفظه ولو أن الفرنج أحسنوا السيرة مع أهل بلبيس لملكوا مصر والقاهرة سرعة ولكن الله تعالى حسن لهم ذلك ﴿ليقضي الله أمرا كان مفعولا﴾ وكان شاور أمر بإحراق مدينة مصر تاسع صفر قبل نزول الفرنج عليهم بيوم واحد خوفا عليها من الفرنج فبقيت النار فيها تحرقها أربعة

---

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٤١٤/١

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٤١٥/١

وخمسين يوما إلى خامس ربيع الآخر

ثم ضاق الحصار وخيف البوار وعرف شاور أنه يضعف عن الحماية فشرع في تمحل الحيل وأرسل إلى ملك الإفرنج يذكر له مودته ومحبته القديمة وأن هواه معه وتخوفه من نور الدين والعاضد وإنما المسلمون لا يوافقونه على التسليم إليه ويشير عليه بالصلح وأخذ مال لئلا تسلم البلاد إلى نور الدين فأجابه إلى الصلح على أخذ ألف دينار مصرية يعجل البعض ويؤخر البعض واستقرت القاعدة على ذلك ورأى الفرنج أن البلاد امتنعت عليهم وربما سلمت إلى نور الدين فأجابوا كارهين وقالوا نأخذ المال نتقوى به ونكثر من الرجال ثم نعود إلى البلاد بقوة لا نبالي معها بنور الدين ولا غيره ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ فعجل لهم شاور مئة ألف دينار وسألهم الرحيل عن البلد ليجمع لهم المال فرحلوا قريبا

وكان خليفة مصر العاضد عقيب حريق مصر أرسل إلى نور الدين." (١)

"ونوبة البابين وحصار الإسكندرية وانصراف الغز راجعين والفرنج بعدهم فما هو إلا أن توهم شاور أن الدهر قد نام وغفا وصفح عن عادته معه وعفا وإذا الأيام لا تخطب إلا زواله وفوته ولا تريد إلا انتقاله وموته فكان من قدوم الفرنج إلى بلبيس وقتل من فيها وأسرهم بأسرهم ما أوجب حريق مصر ومكاتبة الأجل نور الدين بن القسيم وإنجاده كلمة الإسلام بأسد الدين ومن معه من المسلمين الذين قلت فيهم وقد ربط الإفرنج الطريق عليهم

(أخذتم على الإفرنج كل ثنية ... وقلتم لأيدي الخيل مري على مري)

(لئن نصبوا في البر جسرا فإنكم ... عبرتم ببحر من حديد على الجسر)

قلت وهذان البيتان من قصيدة له ستأتي ومري هذا هو أسم ملك الإفرنج

قال عمارة فقضى قدوم الغز برحيل الفرنج عن الديار المصرية ولم يلبث شاور ان مات قتيلا بعد قدوم الغز بثمانية عشر يوما وهذه السنوات التي وزر فيها شاور وزارته الثانية كثيرة الوقائع والنوازل وفيها ما هو عليه أكثر مما هو له

قال ولم يرب أحد رجال الدولة مثل ما رباهم الصالح بن زريك ولا." (٢)

"والحجارة عمد لها في اليوم الرابع فزلزل عمدها وقاتلها فأزال جلدها وزيل جلمدها ثم رأى أن الشوكة ربما أصابت غير ذات الشوكة من جندها وأن المسلم قد آمنه الله من عذاب الحريق ولا يأمن أن تحرقه القسي من السهام بشرار زندها فعدل إلى منجنيقه الذي أمل صاحبها منه منجى نيقه ورأى أنه سوط سطوته يضرب الحجر ويضرب عن أن يباشر البشر وتلك الأبرجة قد شمخت بأنفها ونأت بعطفها وتاهت على وامقها وغضت عين رامقها فهي في عقاب لوح الجو كالطائر إلا أن المنجنيق أغرى بها عقابيه وضغمها بمخلبيه وجثم أمامها يخاصمها وقام إلى الغير يحاكمها ويضرب

---

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٤٨/٢

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٦٢/٢

بعصاه الحجر فتنبجس من النقوب أعين لا ترسل الماء ولكن تروي العطاش إلى منهل المدينة وتنهل الظماء كذلك أياما حتى محا من الشرفات شنب ثغرها وتناوبها كأس فتك تبين بهز أبراجها آثار سكرها وعلت الأيدي الرامية لها وغلت الأيدي المحامية عنها فلم يبق على سورها من يفتح جفنا وشن المنجنيق عليها غارته إلى أن صارت شنا وفضت صناديق الحجارة المقفلة وفصلت منها أعضاء السور المتصلة ووجب القتال لئلا يظن بالخادم ألا جند له إلا جندله فأوعز بالتقدم إليها ودخول النقابين فيها فأثخنت جراحا بالنقوب وهتك الحجاب من أضالع البلد فكاد يوصل إلى ما وراءها من القلوب وخشيت معرة الجيش في." (١)

"بقية ذلك الشهر وفي ثامن جمادى الأولى وصل معين الدين من الراوندان وقد سلمها إلى علم الدين سليمان ثم مضى إلى خدمة السلطان

قال ابن القادسي وقدم الحاج في عاشر صفر فأخبروا أن سيف الإسلام أخا صلاح الدين ملك مكة وضرب الدنانير فيها باسم أخيه ومنع من قولهم حي على خير العمل وشرط على العبيد أن لا يؤذوا الحاج

وأخبر الحاج أن قفل باب الكعبة تعسر حتى فتح ولما فتح مات في الدوسة أربعة وثلاثون شخصا من بين رجل وامرأة

قال ووصل الخبر أن ريحا هبت بالبصرة فكسرت نخيلا كثيرا وماتت بهائم كثيرة ووصل الخبر إلى بغداد بقتل البهلوان وأن القتال وقع هناك وأحرقت المحال ونهبت الأموال واقتتل أهل المذاهب **واحترقت** مدارس وبقي الأمر على ذلك من سابع محرم إلى ربيع الآخر فأحصوا من القتلى أربعة آلاف رجل وسبع عشرة امرأة بعد أن أحترق أطفال في المهود بالليل وقام قزل أخو البهلوان فكف الناس وكان قزل قد رتب شحنة في أصفهان بعد الفتنة التي وقعت بها ومعه ألف فارس فما زال يهذب البلد والرساتيق بالقتل والصلب وصادرهم وأشير على قزل بأن يلزم أهل البلد سبعين ألف دينار فقال له الشحنة أهل البلد فقراء

فقال بعض المصالحة لقزل ما نأخذ إلا من الأغنياء

فوثب عيار فقتل المصلحي وكان العيار متعلقا على قاضي البلد فوكل الشحنة بدار القاضي فجاء ابن الخجندي إلى دار القاضي فحسن له إخراج الموكلين بها وتحالفا على إخراج الشحنة من البلد وأن يقطعوا خطبة السلطان الذي نصبه قزل ففعل ذلك." (٢)

"في سابع شوال ثم كثر القتل في البلد فكل من في قلبه على أحد شر وثب عليه فقتله من رجل أو امرأة وكان القتل الكثير في أصحاب ابن الخجندي وكان **الحريق** والنهب وإحراق الدور في أصحاب القاضي وجرى القتال يوم عرفة ويوم العيد ودام وبطل الناس من المعايش وخربت الأسواق ووقع الغلاء ومات الناس من الجوع وبقي أهل أصفهان على قدم الخوف وأخذت ثياب الناس فلا يتجاسر أحد أن يلبس ثوبا جديدا والعيارون يأخذون أموال الناس مقاواة وهرب

---

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٣/١٥٠

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٣/٢٧١

الناس من أصفهان

فصل

قال العماد مما قدره الله تعالى من أسباب نصرة الإسلام ووهن الكفر أن قومص طرابلس رغب في مصافاة السلطان والالتجاء إليه والمساعدة له على أهل ملته بسبب أنه كان تزوج بالقومصية صاحبة طبرية وكان أخوها الملك المجذوم لما هلك أوصى بالملك لابن أخته هذه وهو صغير فتزوج القومص أمه ورباه فمات الصغير وانتقل الملك إلى." (١)

"نحوهم للمصاف معهم فسار ونزل على بحيرة طبرية عند قرية تسمى الصنبرة ورحل من هناك ونزل على غربي طبرية على سطح الجبل لتعبئة الحرب منتظرا أن الفرنج إذا بلغهم ذلك قصدوه فلم يتحركوا من منزلتهم فنزل جريدة على طبرية وترك الأطلاب على حالها قبالة وجه العدو ونازل طبرية وزحف عليها فهجمها وأخذها في ساعة من نهار وامتدت الأيدي إليها بالنهب والأسر **والحريق** والقتل واحتمت القلعة وحدها

فرحل الفرنج وقصدوا طبرية للدفع عنها فأخبرت الطلائع الإسلامية الأمراء بحركة الفرنج فسيروا إلى السلطان من عرفه ذلك فترك على طبرية من يحفظ قلعتها ولحق العسكر هو ومن معه فالتقى العسكران على سطح جبل طبرية الغربي منها وحال الليل بين الفئتين فباتتا على مصاف شاكين في السلاح إلى صبيحة الجمعة فركب العسكران وتصادما وذلك بأرض قرية تسمى اللوبيا ولم تزل الحرب إلى أن حال بينهم الظلام

وجرى في ذلك اليوم من الوقائع العظيمة والأمور الجسيمة ما لم يحك عمن تقدم وبات كل فريق في سلاحه ينتظر خصمه في كل ساعة وقد أقعده التعب عن النهوض حتى كان صباح السبت الذي بورك فيه فطلب كل من الفريقين مقامه وعلمت كل طائفة أن المكسورة منها مدحورة الجنس معدومة النفس وتحقق المسلمون أن من ورائهم الأردن ومن بين أيديهم بلاد القوم ولا ينجيهم إلا الله

وكان الله قد قدر نصره للمسلمين فيسره وأجراه على وفق ما قدره." (٢)

"ويدرجها على الطيران من البعد وكنا نقول ما لهذا الولع بما لا ينفع حتى جاءت نوبة عكا فنفعت وشفت الغليل ونقعت وأتت بالكتب سارحة شارحة وكنا نطلبها منه مع الليل والنهار حتى قل وجودها عنده لكثرة الارسال ولقد عطب عوامون فما ارتدع الباقون ومنهم من سلم مرارا من القوم فاجترأ وأنس بالعوم

فصل في قدوم الملوك **وحريق** الأبراج

قال العماد ولما انقضى الشتاء وانفتح البحر وحان زمان القتال جاءت العساكر الإسلامية من البلاد فكان أول من وصل الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة وسابق الدين عثمان صاحب شيزر وعز الدين إبراهيم بن المقدم ووفد معهم جموع من الأجناد والأعيان وحشود من العرب والتركمان

---

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٢٧٢/٣

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٢٩٤/٣

فرحل السلطان وتقدم وعزم على طلب العدو وصمم ونزل ءلى تل كيسان يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع الأول ورتب عسكره فكان تقي الدين في آخر الميمنة والعادل في آخر." (١)

"ولو ذراعا على حسب التيسير في تيسيرها وسقوها بالخل والخمر وكشفوا من جوانبها الثلاثة سور البلد وشرعوا في طم الخندق

وجاء عوام من عكا فأخبر السلطان فركب بالعسكر ولازمهم من الجمعة إلى الجمعة يقاتلهم صباحا ومساء ليشغلهم فافترقوا قسمين فريق للقتال وفريق آخر مع الأبراج فأشفى البلد وبقي له رمق ضعيف ورميت الأبراج بكل قارورة نفط فما أثرت

ولم نشعر يوم السبت الثامن والعشرين من ربيع الأول بالأبراج إلا وقد اشتعلت والتهبت ووقعت وكانت آية من قدرة الله تعالى ظهرت وذلك أنه كان بعكا شاب من أهل دمشق يعرف بعلي ابن عريف النحاسين وكان أبدا بجمع آلات الزراقين مولعا ولتحصيل عقاقيرها متتبعا وكل من عرفه عذله وينكر عمله وكان قد ألف منها مقادير وقدورا وملأ بغيظ من أهل تلك الصناعة صدورا ولم يكن النفط من صناعته ولكن الله وفقه لسعادته

فلما كان يوم حريقها جاء إلى أمير قراقوش وهو مغتاظ وأخلاقه فظاظ غلاظ وقال تأذن لي في تصويب المنجنيق لأحرق البروج والله ولي التوفيق

فزجره وزبره ونهاه ونهره وقال صناع هذا الشغل قد." (٢)

قال القاضي وفي الثاني والعشرين من شعبان جهز العدو لعنه الله بطسا متعددة لمحاصرة برج الذبان وهو برج في وسط البحر مبني على الصخر على باب ميناء عكا يحرس منه الميناء ومتى عبره المركب أمن من غائلة العدو فأراد العدو أخذه ليبقى الميناء بحكمه ويمنع من دخول شيء من البطس إليه فتنقطع الميرة عن البلد

فجعلوا على صواري البطس برجا وملؤوه حطبا ونفطا على أنهم يسيرون البطس فإذا قاربت برج الذبان ولاصقته أحرقوا البرج الذي على الصاري وألصقوه ببرج الذبان ليلقوه على سطحه ويقتل من عليه من المقاتلة ويأخذوه وجعلوا في البطسة وقودا كثيرا حتى يلقى في البرج إذا اشتعلت النار فيه وعبوا بطسة ثانية وملؤوها حطبا ووقودا على أنهم يدفعونها إلى أن تدخل بين البطس الإسلامية ثم يلهبونها فتحرق البطس الإسلامية ويهلك ما فيها من المير

وجعلوا في بطسة ثالثة مقاتلة تحت قبو بحيث لا يصل إليهم نشاب ولا شيء من آلات السلاح حتى إذا أحرقوا ما أرادوا "دخلوا تحت القبو فأمنوا وأحرقوا أرادوا ما أرادوا إحراقه وقدموا البطسة نحو البرج المذكور وكان طمعهم فأوقدوا مشتدا حيث كان الهواء مسعدا لهم فلما أحرقوا البطسة التي أرادوا يحرقون بها بطس المسلمين والبرج الذي أرادوا يحرقون به من على البرج فأقدوا النار وضربوا فيها النفط فانعكس الهواء عليهم كما شاء الله تعالى وأراد واشتعلت البطسة التي

---

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٤/١١٩

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٤/١٢٥

كان فيها البرج بأسرها واجتهدوا في إطفائها فما قدروا وهلك من كان بها من المقاتلة إلا من شاء الله تعالى ثم **احترقت** البطسة التي كانت معدة لاحراق بطسنا ووثب أصحابنا عليها فأخذوها

وأما البطسة التي فيها القبو فإنهم انزعجوا وخافوا وهموا بالرجوع واختلفوا واضطربوا اضطرابا عظيما فانقلبت وهلك جميع من كان بها لأنهم كانوا في قبو لم يستطيعوا الخروج منها وكان ذلك من أعظم آيات الله وأندر العجائب في نصرة دين الله ولله الحمد وكان يوما مشهودا

وقال العماد وعند ميناء عكا في البحر برج يعرف ببرج الذبان وهو في حراسة المينا عظيم الشان وهومنفرد عن البلد محمي بالرجال والعدد وقصد الافرنج حصاره قبل مجيء ملك الألمان في الثاني والعشرين من شعبان ببطس كبار جهزوها ومراكب عظام الآلات أبرزوها ومكر مكروه ودبر دبروه." (١)

"الرهط ثم عمل الفرنج برجا عاليا في أكبر مركب وحشوه بالحطب وعملوا على رأس صاريه مكانا يقعد فيه الزراق وقدموه إلى برج الذبان وسلطوا على جوانبه النيران فأهب الله من مهب لطفه نكباء نكتب النار عن البرج المحروس وكبت الفرنج على الوجوه والرؤوس

قال القاضي وفي ثالث رمضان زحف العدو على البلد في خلق لا تحصى فأهملهم أهل البلد حتى نشبت مخاليب أطماعهم فيه وسحبوا آلاتهم المذكورة حتى قاربوا أن يلصقوها بالسور

وتحصل منهم في الخندق جماعة عظيمة فأطلقوا عليهم الجروخ والمجانيق والسهام والنيران وصاحوا صيحة الرجل الواحد وفتحوا الأبواب وهجموا على العدو من كل جانب وكبسوهم في الخنادق فهربوا ووضع السيف فيمن بقي في الخندق منهم ثم هجموا على كبشهم فألقوا فيه النار والنفط وتمكنوا من **حريقه** لهرب المقاتلة عنه فأحرق **حريقا** شنيعا وظهرت له لهبة نحو السماء وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل والشكر وسرت نار الكبش بقوتها إلى السفود فاحترق وعلق المسلمون في الكبش الكلاليب الحديد المصنوعة في الأسل فسحبوه وهو يشتعل حتى حصلوه عندهم في البلد وكان مركبا." (٢)

"وحزن الناس لذلك حزنا شديدا والسلطان يتلقى ذلك بيد الاحتساب في سبيل الله تعالى والصبر على بلائه

قال وكان العدو المخذول قد صنع دبابة عظيمة هائلة أربع طبقات الأولى من الخشب والثانية من الرصاص والثالثة من الحديد والرابعة من النحاس وكانت تعلو على السور وتركب فيها المقاتلة وخاف أهل البلد منها خوفا عظيما وحدثتهم نفوسهم بطلب الأمان من العدو وكانوا قد قربوها من السور بحيث لم يبق بينها وبين السور إلا مقدار خمس أذرع على ما نشاهد وأخذ أهل البلد في تواتر ضربها بالنفط ليلا ونهارا حتى قدر الله تعالى **حريقها** واشتعال النار فيها وظهر لها ذؤابة نار نحو السماء

واشتدت الأصوات بالتكبير والتهليل ورأى الناس ذلك جبرا لذلك الوهن ومحوا لذلك الأثر ونعمة بعد نقمة وإيناسا

---

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٤/١٦٢

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٤/١٦٤

بعد يأس وكان ذلك في يوم غرق البطسة

قال العماد فكان ذلك تسميتا لتلك العطسة." (١)

"إلى خدمته سحرا وكنت فارقته بعد مضي نصف الليل فحضرت وبدأ بالحديث في معنى خرابها وأحضر ولده الأفضل وشاوره في ذلك وطال الحديث ولقد قال لي رحمه الله والله لأن أفقد أولادي بأسرهم أحب إلي من أن أهدم منها حجرا واحدا ولكن إذا قضى الله بذلك وعينه لحفظ مصلحة المسلمين طريقا فكيف أصنع

قال ثم استخار الله تعالى فأوقع في نفسه أن المصلحة في خرابها فاستحضر الوالي وأمره بذلك في تاسع عشر شعبان ولقد رأيته وقد اجتاز بالسوق والوطاق بنفسه يستنفر الناس للخراب وقسم السور على الناس وجعل لكل أمير وطائفة من العسكر بدنة معلومة وبرجا معلوما يخربونه ودخل الناس إلى البلد ووقع فيه الضجيج والبكاء وكان بلدا نضرا خفيفا على القلب محكم الأسوار عظيم البناء مرغوبا في سكناه فلحق الناس عليه حزن عظيم

وكان هو بنفسه وولده الأفضل يستعملان الناس في الخراب خشية أن يسمع العدو فيحضر ولا يمكن من خرابها وأباح الناس الهري الذي كان ذخيرة في البلد للعجز عن نقله وضيق الوقت والخوف من هجوم الفرنج وأمر **بحريق** البلد فأضرمت النار فيه والأخبار تتواتر من جانب العدو بعمارة يافا." (٢)

"وخرب من سور عسقلان معظمه وكان عظيم البناء بحيث إنه كان في موضع تسع أذرع وفي موضع عشرا وذكر بعض الحجارين للسلطان وأنا حاضر أن عرض البرج الذي ينقبون فيه مقدار رمح فلم يزل الخراب **والحريق** يعمل في البلد وأسواره إلى سلخ شعبان

وعند ذلك وصل من جرديك كتاب يذكر فيه أن القوم قد تفسحوا وصاروا يخرجون من يافا ويغيرون على البلاد القريبة منها فلو تحرك السلطان لعله يبلغ منهم غرضا في غرتهم فعزم على الرحيل وعلى أن يخلف في عسقلان حجارين ومعهم خيل تحميهم يستقصون في الخراب ثم رأى أن يتأخر بحيث يحرق البرج المعروف بالاسبتار وكان برجا عظيما مشرفا على البحر كالقلعة المنيعة ولقد دخلته وطفته فرأيت بناءه أحكم بناء لا تعمل فيه المعاول وإنما أحرق ليبقى **بالحريق** قابلا للخراب وبقيت النار تشعل فيه يومين بليلتيهما

قال العماد ونقص منها الأبراج التي على ساحل البحر ودخلتها فرأيتها أحسن مدينة منيعة حصينة فطال بكائي على رسومها وفض ختومها وقبض أرواحها من جسومها وحلول الدوائر بدورها ونزول السوء بسورها فما برح السلطان منها حتى رأينا طلولها دوارس ورسومها طوامس والرؤوس حياء من معاهدها نواكس." (٣)

---

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٤/٢٤٩

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٤/٢٧٩

(٣) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٤/٢٨٠

"سورها واحرق الهيكل. وكان لشمعون رئيس الكهنة عند هذا القائد منزلة فسأله في امر كتب الوحي فلم يحرقها فجمعها هذا شمعون باتفاق ارميا النبي ووضعاها مع لوحي الناموس وعصا موسى ومجمرة البخور وباقي آلات القدس في تابوت العهد ورميا بها في بعض الآبار ولم يعرف مكانها الى الآن. وجلس ارميا النبي ينوح على أورشليم عشرين سنة. ثم انتقل الى مصر فقبض عليه قوم من اليهود وحبسوه في جب ثم أخرجوه ورجموه ومات ودفن في مصر. ثم الإسكندر في زمانه نقل تابوته الى الاسكندرية فدفن هناك. وكان حزقيال النبي في جملة من سبي الى بابل. فقتله اليهود لأجل توبيخه لهم. فمن السنة الرابعة من ملك سليمان التي كان فيها الشروع في بنيان هيكل الرب الى خرابه الكلي وحريقه اربعمائة واثنتان وأربعون سنة. وعلى رأي من جعل مدة ملك صدقيا تسعا وستين سنة تكون مدة الهيكل عامرا خمسمائة سنة.." (١)

"جاءوا ببقرة الذبيحة فولدت حملا في وسط الهيكل. وأبواب النحاس التي كانت على باب الهيكل ولم تكن تغلق وتفتح دون اجتماع عشرين رجلا وجدت نصف الليل مفتوحة من غير علة. وكانوا عامة السنة يسمعون في الهيكل أصواتا مختلفة تقول: انا سننتقل من هاهنا.

(طيطوس قيصر)

ملك سنتين. وفي السنة الثانية لملكه انشق جبل بالروم وخرج منه شهب نار أحرقت مدنا كثيرة. ووقع برومية حريق كثير. وخطب بعض الخطباء ذات يوم خطبة في حفل من الناس وفي جملة الانباز التي نبزها طيطوس اشتق له اسما [١] من اسماء الله تعالى. ولأنه سر بذلك فجأه الموت فجأة.

(ذوميطيانوس قيصر)

ملك ست عشرة سنة. ونفى من رومية المنجمين واصحاب الزجر والفأل والعيافة والطيرة. وأمر ان لا يغرس برومية كرم البتة. وفي السنة التاسعة لملكه اضطهد النصارى اضطهادا شديدا ومع هذا كان الناس يدخلون في دين المسيح أفواجا ويتمسكون به تمسكا أشد. فقال فطروفيلس المحصل لارسنيوس الحكيم معلمه ما الذي الجأ ديونوسيوس [٢] رئيس حكماء اثيناس وافريقيانوس الاسكندري ومرطيانوس الباذوي الى ان يسجدوا لرجل مصلوب. فأجابه قائلا: ان آلهة السماء اقتضوا هذا.

فاستنار واختار اتباع النصارى بالسيرة الحسنة وترك الدنيا وملاذها يفيدهم الأيد بالقول والعمل.

وفي هذا الزمان عرف افولونيوس الطلسماطيقي وكان يضاد التلاميذ بأفاعيله المخالفة لأفاعيل المسيح ويقول: الويل لي ان سبقني ابن مريم. وهذا الملك نفى يوحنا الانجيلي الى بعض الجزائر. وكتب اليه دينوسيوس اسقف اثيناس كتابا يقول فيه: لا يعترينك الضجر والملل فانه لا يطول سجنك فالمسيح يعمل لك الخلاص فألهم نفسك بالصبر.

وبعد قليل قتل دوميطيانوس قيصر على بساطه في مجلسه.

(ناورن [٣] قيصر الصغير) ملك سنة واحدة. وأمر ان يرد المنفيون. ورجع يوحنا الانجيلي الى مدينة أفسوس بعد ست

---

(١) تاريخ مختصر الدول ابن العبري ص/٤٢

سنين لنفيه. ثم جذم نارون ومات في بستان خارج رومية.

[١-)] اسما ر لقبا.

[٢-)] ديونوسيوس ر ثاوذوسيوس س ثاودوروس [؟] .

[٣-)] نارون ر ناران.." (١)

"وظهر ايضا رجل يسمى ابن ديصان لأنه ولد على نهر ديصان فوق مدينة الرها.

وكان يسمي الشمس اب الحياة والقمر ام الحياة وان في أول كل شهر تخلع ام الحياة النور الذي هو لباسها وتدخل على اب الحياة فيجامعها فتلد أولادا يمدون العالم السفلي بالنمو والزيادة.

(فرطيناخس قيصر)

ملك ستة أشهر وقتل غيلة في مجلسه.

(سوريانس قيصر)

ملك ثماني عشرة سنة. وفي السنة الاولى من ملكه ثارت فتنة عظيمة بين اليهود والسمرة فتحاربوا وقتل من الفريقين خلق كثير. ومن السنة التاسعة من ملكه الى آخر عمره اضطهد النصارى اضطهادا شديدا واعتسفهم بالسجود للأصنام والأكل من ذبائحهم. ثم قتل في غزو الصقالبة.

(انطونيانس قيصر)

ملك سبع [١] سنين وأزال عن النصارى الاضطهاد وغزا ما بين النهرين وقتل بين الرها وحران.

(ماقرينوس قيصر [٢]

ملك سنة واحدة. وفي زمانه وقع حريق فظيع في رومية.

ووثب عليه غلمانه وقتلوه.

(انطونيانس قيصر المعروف باليوغالي)

ملك اربع سنين [٣] . وفي زمانه بنيت مدينة نيقوبوليس. وهي التي يسميها الكتاب الالهي عماوس [٤] . وكان يتولى بنيانها افريقيانوس المؤرخ.

(الإسكندروس قيصر)

ملك ثلث عشرة سنة. وكان اسم أمه ماما. هذه آمنت بالمسيح وكان منها معونة كثيرة للمؤمنين. وفي السنة الثالثة من ملك هذا الإسكندروس قيصر وهي سنة خمسمائة واثنتين وأربعين للإسكندر ابتدأت مملكة الفرس الاخيرة المعروفة ببيت ساسان. ودامت اربعمائة وثماني عشرة سنة اعني الى ظهور الإسلام وملكهم.

(مكسيميانوس قيصر)

---

(١) تاريخ مختصر الدول ابن العبري ص/٧٠

ملك ثلث سنين واضطهد النصارى وقتل سرجيس وباخوس الشاهدين وقوفريانوس الأسقف مع جماعة من المؤمنين.
(غورديانس [٥] قيصر)
ملك ست سنين. وغزا بلاد فارس وقتل هناك. وفي هذا

[١-)] سبع س اربع.
[٢-)] ماقرينوس ر مقاريوس.
[٣-)] اربع سنين ر سنتين.
[٤-)] [؟] .
[٥-)] غورديانس ر غوذريانس.." (١)

"عقيما لم يلد ولدا. وملك بعده ألب ارسلان بن داود جعفري [١] اخي السلطان طغرلبك.
وفي سنة ثمان وخمسين ولدت صبية بباب الأزج ولدا برأسين ورقبتين ووجهين واربع أيد على بدن واحد. وفي سنة احدى وستين احترق جامع دمشق فدثرت محاسنه وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة. وكان سبب ذلك حرب وقعت بين المغاربة اصحاب المصريين والمشارقة فضربوا دارا مجاورة للجامع بالنار فاحترقت واتصلت النار بالجامع.
وفي سنة ثلث وستين واربعمائة خرج رومانوس [٢] ملك الروم الملقب ديوجانيس وهو اسم من اسماء الحكماء في مائة ألف ووافي بتجمل [٣] كثير وزي عظيم فوصل الى ملازكرد من اعمال خلاط [٤] وكان السلطان ألب ارسلان بمدينة خونج من اذربيجان فسار اليه في خمسة عشر ألف فارس إذ لم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو. فجد في السير فلما قرب العسكران أرسل السلطان الى رومانوس الملك يطلب منه المهادنة. فقال: لا أهادنه الا بالري. فانزعج السلطان لذلك. فلما كان يوم الجمعة بعد الزوال صلى وبكى فبكى الناس لبكائه. وقال لهم: من أراد الانصراف فلينصرف فما ههنا سلطان يأمر وينهى. وألقى القوس والنشاب وأخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط وقال: ان قتلت فهذا كفني.
وزحف الى الروم وزحفوا اليه واشتد القتال فانهزم الروم وقتل منهم خلق وأسر الملك اسره بعض المماليك اسمه شادي وكان قد حضر عنده مع رسول فعرفه فلما رآه نزل وسجد له وقصد به السلطان. فضربه ثلث مقارع بيده وقال له: ألم أرسل إليك في المهادنة فأبيت. فقال: دعني من التوبيخ وافعل ما تريد. فقال السلطان: ما عزمت ان تفعل بي ان أسرتني. فقال: القبيح. قال له: فما تظن انني افعل بك. قال: اما ان تقتلني واما ان تشهرني في بلادك. والاخرى بعيدة وهي العفو وقبول الأموال واصطناعي نائبا عنك. قال: ما عزمت على غير هذا. ففداه بألف ألف دينار وان يطلق كل أسير عنده من المسلمين. واستقر الأمر على ذلك وأجلسه معه على سريره وأنزله في خيمة وأرسل اليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها واطلق جماعة من البطارقة وخلع عليه وعليهم وسير معه عسكرا يوصلوه الى مأمنه وشيعه فرسخا. واما الروم فلما بلغهم

---

(١) تاريخ مختصر الدول ابن العبري ص/٧٤

خبر الوقعة وثب

[١-)] ويروى: جعدى.

[٢-)] هو رومانوس الرابع.

[٣-)] بتجمل ر بخيل.

[٤-)] يقال خلاط واخلاط.." (١)

"مما عندكم في الأنبار. ففتحوها وصاروا ينقلون ما فيها من الغلات ورموا ما في الصناديق من الكتب وجعلوا اواري للخيل واحضروا الطعام والشراب هناك وأكلوا وشربوا وطربوا.

ثم خرج جنكزخان الى منزله وجمع الايمة والمشايخ والسادات والعلماء وقال لهم: ان الله ملك الكل وضابط الكل أرسلني لا طهر الأرض من بغي الملوك الجائرة الفسقة الفجرة وذكر لهم ما فعله امير اترار باذن سلطانه بالتجار الى غير ذلك ثم أمرهم ان يعتزلوا الأغنياء واصحاب الثروة بمعزل عن الفقراء فعزلوهم وكانوا مائتي ألف وثمانين ألفا. فقال لهم: ان الأموال التي فوق الأرض لا حاجة بنا الى استعلامها منكم وانما نريد ان تظهروا لنا الدفائن التي تحت الأرض. فقبلوا بالسمع والطاعة. ووكلوا مع كل قوم باسقاها يستخرج المال وأشار سرا الى المستخرجين ان لا يكلفوهم ما لا يطيقونه ويرفقوا بهم وذلك لما رأى من حسن اجابتهم الى ما أمرو ا به. ولأن جماعة من عسكر السلطان كانوا مختفين بالمدينة امر فرموا في محالها النار **فاحترقت** المدينة بأسرها لان جل عمائرها من خشب فبقيت عرصة بخارا قاعا صفصفا وتفرق أهلها منتزحين الى خراسان.

وفيها في ربيع الاول نزل جنكزخان على مدينة سمرقند وكان قد رتب السلطان محمد فيها مائة ألف وعشرة آلاف فارس يقومون بحراستها. فلما نازلها منع أصحابه عن المقاتلة وانفذ سنتاي نوين ومعه ثلثون ألف محارب في اثر السلطان محمد. وغلاق نوين وبسور [١] نوين الى جانب طالقان. وأحاط باقي العسكر بالمدينة وقت سحر فبرز إليهم مبارزو الخوارزمية ونازعوهم القتال وجرحوا جماعة كثيرة من التاتار وأسروا جماعة وأدخلوهم المدينة.

فلما كان من الغد ركب جنكزخان بنفسه ودار على العسكر وحثهم على القتال فاشتد القتال ذلك اليوم بينهم ودام النهار كله من اوله الى أول الليل ووقف الابطال من المغول على أبواب المدينة ولم يمكنوا أحدا من المجاهدين من الخروج فحصل عند الخوارزمية فتور كثير ووقع الخلف بين أكابر المدينة وتلونت الآراء فبعض مال الى المصالحة والتسليم وبعض لم يأمن على نفسه وان أومن خوفا من غدر التاتار فقوي عزم القاضي وشيخ الإسلام على الخروج فخرجا الى خدمة جنكزخان وطلبا الامان لهما ولأهل المدينة فلم يجبهما الا الى أمان أنفسهما ومن يلوذ بهما. فدخلا الى المدينة وفتحا أبوابها فدخل المغول واشتغلوا ذلك اليوم بتخريب مواضع من السور وهدم بعض الابرجة ولم يتعرضوا الى احد الى ان هجم الليل فدخلوا الى المدينة وصاروا يخرجون من الرجال والنساء مائة [٢]

---

(١) تاريخ مختصر الدول ابن العبري ص/١٨٥

[(١-)] بسور ر يسورس [؟] (انظر السطر ٥ من الصفحة ٢٥٥ من هذا الكتاب) .

[(٢-)] من الرجال والنساء مائة ر الرجال من النساء من مائة.." (١)

"مائة بالعدد الى الصحراء ولم ينكفوا الا عن القاضي وشيخ الإسلام وعمن التجأ إليهما فاحتمى بهما نيف وخمسون ألفا من الخلق. ولما أصبح الصباح شرع المغول في نهب المدينة وقتل كل من لحقوه مختبئا في المغائر ومتواريا بالستائر وقتلوا تلك الليلة نحو ثلثين ألف تركي وقنقلي وقسموا بالنهار ثلثين ألفا على الأولاد والأمراء وأطلقوا الباقي ليرجعوا الى المدينة ويجمعوا من بينهم مائتي ألف دينار ثمن أرواحهم وكان المحصل لهذا المال ثقة الملك والأمير عميد وهما من أكابر سمرقند والشحنة طايفور [١] . ومن هناك توجه جنكزخان بعساكره الى نواحي خوارزم وانفذ الرسل إليهم يدعوهم الى الايلية [٢] والدخول في طاعته وشغلهم أياما بالوعد والوعيد والتأميل والتهديد الى ان اجتمعت العساكر ورتب آلات الحرب من منجنيق وما يرمى بها. ولأن صقع خوارزم لم يكن فيه حجر كان المغول يقطعون من أشجار التوت قطعا كالحجارة ويرمون بها وملأوا الخندق بالتراب والخشب والهشيم وانشبوا الحرب والقتال على المدينة من جميع جوانبها حتى عجز من فيها عن المقاومة فملكوا سورها واضرموا النار في محالها فأتت على اكثر دورها وما فيها فأيس المغول من الانتفاع بشيء من غنائمها فاعرضوا عن **الحريق** وصاروا يملكون محلة محلة لان أهلها كانوا يمتنعون فيها اشد امتناع. ولم يزالوا كذلك الى ان ملك المغول كل المحال واخرجوا الخلائق كافة الى الصحراء وفرزوا الصناع والمحترفين الى الناحية وكانوا مائة ألف وأسروا البنين والبنات والنساء اللواتي ينتفع بهن وقسموا الباقي من الرجال والنساء العجائز على العسكر ليقتلوهم فقتل كل واحد منهم أربعا وعشرين شخصا. وفي أوائل سنة ثماني عشرة وستمائة عبر جنكزخان نهر جيحون وقصد مدينة بلخ فخرج اليه أعيانها وبذلوا الطاعة وحملوا الهدايا وأنواعا من الترغو اي المأكل والمشرب.

فلم يقبل عليهم بسبب ان السلطان جلال الدين بن السلطان محمد كان في تلك النواحي يهيي اسباب الحرب ويستعد للقتال فأمر بخروج اهل بلخ الى الصحراء ليعدوهم كالعادة فلما خرجوا بأسرهم رمى فيهم السيف. ومن هناك توجه نحو الطالقان وقتل اكثر أهلها وأسر من صلح للاسر وأبقى البعض. وسار الى الباميان فعصى أهلها وقاتلوا قتالا شديدا واتفق ان أصيب بعض أولاد جغاتاي بسهم جرح فقضى نحبه وكان من احب أحفاد جنكزخان اليه فعظمت المصيبة بذلك واضطرمت النيران في قلوب المغول وجدوا في القتال الى ان فتحوها وقتلوا كل من فيها حتى الدواب والبقر والاجنة التي في بطون

---

(١) تاريخ مختصر الدول ابن العبري ص/٢٣٤

[(١-)] ويروى: كايفور.

[(٢-)] كذا في الأصل. والصواب الألية اي القسم.." (١)

"ترجمة ابن العبري

هو غريغوريوس ابو الفرج بن اهرون المعروف بابن العبري ولد سنة ١٢٢٦ للمسيح. وكانت ولادته في مدينة ملطية قاعدة ارمينية الصغرى. وكان أبوه وجيها في قومه نافذ الكلمة في اهل بلده كريما على عشيرته. فلما آنس من غريغوريوس حذقا ورأى منه ذكاء وفهما دفعه من صغره الى تلقي الآداب والتخرج في العلوم التي كانت لأهل ذلك العصر. فجد الولد في الحفظ واقبل على ارتشاف سلافة العلم فدرس اولا اليونانية والسريانية والعربية ثم اشتغل بالفلسفة واللاهوت وقرأ الطب على أبيه وغيره من مشاهير أطباء زمانه.

الا انه بينما كان عاكفا على التحصيل جادا في الطب انثالت المصائب على بلاده انثيالا وأفرغت النوائب إفراغا وتعاقب عليها الخراب من جانب المسلمين والفرنج والروم ثم من التاتار المغول الذين أسرفوا في القتل والنهب والسبي **والحريق** حتى لم يسمع في التاريخ عن جهة من الأرض انها أصيبت بـمثل ما نزل بهذه البلاد من المخاوف والجوائح والمقاتل. وعندها فر به والده الى انطاكية وكان ذلك سنة ١٢٤٣ فاختار ابو الفرج هنالك طريقة الزهد والنسك وانفرد في مغارة بالبرية. فلما انتهى خبر فضله الى اغناطيوس سابا بطريرك شيعته خف لزيارته في تلك المغارة وأبدى له غاية التجلة والتكريم. ولم يلبث غريغوريوس برهة في المغارة المشار إليها حتى شخص الى طرابلس الشام وأكمل قراءة البيان والطب مع رفيق له يسمى صليبا وجيه على عالم اسمه يعقوب من مذهب النساطرة.." (٢)

"إذا ما شئت أن تسلى حبيبا ... فأكثر دونه عدد الليالي

فلما سلى حبيبك مثل نأي ... ولا أبلى جديدك كابتذال

وأنشد له أبو تمام في حماسته:

فارس يكلأ الصحابة منه ... بحسام يمر مر **الحريق**

لا تراه لدى الوغى في مجال ... يعتلي العير لا ولا في مضيق

من يراه يخله في الحرب يوما ... أنه أخرق مضل الطريق

وذكر صاحب قطب السرور أنه أسره همام بن مرة سيد وائل، فعرض عليه في فدائه مائة من الإبل، فأبى أن يقبلها، وقال: أحسن من ذلك عندي أن أطلقك على ألا تشرب شرابا أبدا إلا بدأت بذكري وحياتي، وشربت قبل نفسك. فأطلقه على ذلك الشرط.

---

(١) تاريخ مختصر الدول ابن العبري ص/٢٣٥

(٢) تاريخ مختصر الدول ابن العبري ص/٣

زهير بن شريك الكلبي

من واجب الأدب: كان من رؤساء كلب في الجاهلية، وكان منهوما في الخمر، وهو القائل:

ألا أصبحت أسماء في الخمر تعذل ... وتزعم أني بالسفاه موكل." (١)

"في النحو وله شرح الجمل وشرح المقامات وعظمت منزلته عند المنصور وكان له ملح وشعر مليح كقوله ...

تقحمت جاحم حر الضلوع ... كما خضت بحر دموع الحدق

أكنت الخليل أكنت الكليم ... أمنت **الحريق** أمنت الغرق ...

وقوله ... طرفي وحقك يرعى الن ... جوم نجما فنجما

مرددا فكأني ... أفك منها معمى ...

توفي في المائة السادسة وله رسالة إلى محبوب يستدعيه

فبا الله إلا ما لقيت الرسول بوجه يدل على القبول وتفضلت بأن تصل قبل رجوعه إلينا وتخالفه من طريق مختصر حتى تطلع قبله علينا هنالك كنا نخر للفضائل سجدا ولا نزال نوالي شكرك وذكرك أبدا

علماء اللغة

٤٩ – أبو عبد الملك عثمان بن المثنى القيسي القرطبي

وصفه ابن حيان بمعرفة اللغة والتجويد في الشعر وذكر أنه رحل ولقي أبا تمام الطائي وأخذ عنه شعره ولقي ابن الأعرابي وغيره وكان شجاعا مكثرا للغزو في الثغور وأدب أولاد عبد الرحمن بن الحكم سلطان الاندلس." (٢)

"وقوله ... لا تنكروا غزر الدموع فكل ما ... ينحل من جسم يصير دموعا

والعبد قد يعصي وأحلف أنني ... ما كنت إلا سامعا ومطيعا

قولوا لمن أخذ الفؤاد مسلما ... يمنن على برده مصدوعا ...

وقوله ... بدر بدا يحمل شمسا بدت ... فحدها في الحسن من حده

تغرب في فيه ولكنها ... من بعد ذا تطلع في خده ...

وقوله ... صد عني فليس يعلم أني ... كنت في كربة ففرج عني

وتجنى علي من غير ذنب ... فتجنى على كثير التجني

حسن ظني قضى علي بهذا ... حكم الله لي على حسن ظني ...

وقوله ... قفوا تشهدوا بثي وإنكار لاعج ... على بكائي في الرسوم الطواسم

أيأمن أن يغدو **حريق** تنفسي ... وإلا غريقا في الدموع السواجم

فهذا حمام الأيك يبكي هديله ... بكائي فليفزع للوم اللوائم

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/١٧٣

(٢) المغرب في حلى المغرب ابن سعيد المغربي ١١٢/١

وما هي إلا فرقة تبعث الأسى ... إذا نزلت بالناس أو بالبهائم

خلا ناظري من نومة بعد خلوة ... متى كان مني النوم ضربة لازم ...." (١)

"وقوله ... غنت الورق في الفصون سحيرا ... فأباحت مني غراما مصونا

لم تفض عينها بدمع ولكن ... فجرت لي فيمن أحب عيونا ...

وقوله ... إذا مدحت فلا تمدح سواه ففي ... يمناه بحر محيط للعفاة زخر

يصغي إلى المدح من جود ومن أدب ... كمشتكي الجدب قد أصغى لصوب مطر ...

وقوله ... بالليالي التي تولت وأولت ... مهجتي حسرة بها لا أفيق

أترى لي إلى رضاك وإقصاء ... وشاتي عن جانبيك طريق

آه من لوعتي ومن طول وجدي ... سال دمعي وفي فؤادي حريق ...

وقوله ... كيف لي صبر وقد هجرت ه من لها روحي وتظلمني

غادة كالغصن في هيف ... وتثن عاد كالوثن

كلنا من جاهليتها ... أبدا لا زلت في فتن ...

وقوله ... ناح الحمام على غصن تلاعبه ... كف النسيم فأبكاني وأشجاني

ذكرت قدا لمن أهواه منعطفا ... هذا على أنه ما زال ينساني ...." (٢)

"..كم وقفة قلبي أضحى بها ... يخفق في الصدر خفوق السراب

والعيس قد ولت بأحبابنا ... تمر في البيداء مر السحاب ...

٥٦٣ – أبو الحسن علي بن حريق

أخبرني والدي أنه اجتمع به في سبتة في مدة مستنضر بني عبد المؤمن وقد قصد صاحب أعمالها ابن عبد الصمد مادحا للذائع من كرمه فرأى خير من يجتمع به أدبا وشعرا وظرفا وحسن زي قال وشهدت له بحفظ الآداب والتاريخ ومما قيدته عنه من شعره قوله ... يا ويح من بالمغرب الأقصى ثوى ... حلف النوى وحبيبه بالمشرق

لولا الحذار على الورى لملأت ما ... بيني وبينك من زفير محرق

وسكبت دمعي ثم قلت لسكبه ... من لم يذب من زفرة فليفرق

لكن خشيت عقاب ربي إن أنا ... أغرقت أو أحرقت من لم أخلق ...

وقوله ... يا صاحبي وما البخيل بصاحب ... هذي الديار فأين تلك الأدمع

أتمر بالعرصات لا تبكي بها ... وهي المعاهد منهم والأربع

---

(١) المغرب في حلى المغرب ابن سعيد المغربي ٣٩٣/١

(٢) المغرب في حلى المغرب ابن سعيد المغربي ١٨٣/٢

هيهات لا ريح اللواعج بعدهم ... رهو ولا طير الصبابة وقع

يا سعد ما هذا المقام وقد مضوا ... أتقيم من بعد القلوب الأضلع ...." (١)

"وقوله ... وما بقيت من اللذات إلا ... محادثة الرجال على الشراب

ولثمتك وجنتي قمر منير ... يجول بخده ماء الشباب ...

وقوله ... إن ماء كان في وجنتها ... شربته السن حتى نشفا

وذوى العناب من أنملها ... فأعادته الليالي حشفا ...

وقوله في الشواني ... وكأنما سكن الأرقم جوفها ... من عهد نوح مدة الطوفان

فإذا رأين الماء يطفح نضنضت ... من كل خرت حية بلسان ...

وقوله ... بلنسية قرارة كل حسن ... حديث صح في شرق وغرب

فإن قالوا محل غلاء سعر ... ومسقط ديمتي طعن وضرب

فقل هي جنة حفت رباها ... بمكروهين من جوع وحرب ...

قال صفوان اجتمع مرج كحل وابن **حريق** في مجلس أحد الوزراء فابتدأ مرج كحل ينشد قصيدة في الفخر أولها ... هكذا كل جزيري النسب فقال ابن **حريق** يا بس الراحة مبلول الذنب." (٢)

"وقوله ... في خد أحمد خال ... يصبو إليه الخلي

كأنه روض ورد ... جنانه حبشي ...

وقوله ... قلبي ترى أي طريق سلك ... فحق يا جسمي أن أسألك

أنينه دل عليه فهل ... أنحله السقم الذي أنحلك

ويا رشا خول أسد الشرى ... هناك رب العرش ما خولك

قتلت يا بدر جميع الورى ... فمن إلى قتل الورى أنزلك

ما ملك الموت كما حدثوا ... بل لحظك الموت وأنت الملك

يا يوسفا أزرى بحسن الذي ... آمن في الجب وقوع الهلك

أقسمت لو أنك في عصره ... بآية الحسن الذي دللك

ما خلت الحسناء يوما به ... تيها ولا قالت له هيت لك

إن قطعت أيدي نساء له ... فكم قلوب قطع الناس لك ...

---

(١) المغرب في حلى المغرب ابن سعيد المغربي ٣١٨/٢

(٢) المغرب في حلى المغرب ابن سعيد المغربي ٣٢٠/٢

الأهداب

موشحة لابن حريق ... سل حارسي روضة الجمال ... وصولجي ذلك العذار

من توج الغصن بالهلال ... وأنبت الورد في البهار ...." (١)

"العمال

٦٢٨ – أبو الربيع سليمان بن مهران

من الذخيرة من شعراء الثغر كان في ذلك العصر وله شعر كثير وإحسان شهير وعلى لفظه ديباجة رائقة ومما بقي منه قوله ... خليلي ما للريح تأتي كأنما ... يخالطها عند الهبوب خلوق

أم الريح جاءت من بلاد أحبتي ... فأحسبها عرف الحبيب تسوق

سقى الله أرضا حلها الأغيد الذي ... له بين أحناء الضلوع حريق

أصار فؤادي فرقتين فعنده ... فريق وعندي للسياق فريق ...

وذكر الحجاري أنه خدم المظفر بن أبي عامر وتصرف في الأعمال السلطانية وأنشد له قوله ... بما بجفنيك من فتور ... وفوق خديك من حياء

إلا ترفقت بي قليلا ... فقد أطال النوى عنائي

أرجوك لكن رجاء برق ... خلبه قاطع رجائي

وكيف أبغي لديك وصلا ... وأنت ما جدت باللقاء

في كل يوم لي التماح ... منك إلى كوكب السماء ...." (٢)

"مكانه ابن يزيد للنصف من شهر ربيع الأخر. وفيها توفي أبو الحسن بن حاتم الرسول إلى بغداد، في شوال. وفيها توفي أبو موسى عيسى بن مسكين القاضي فصلى عليه أبو جعفر أحمد بن خالد السهمي في قريته بالساحل. و (فيها) توفي (أبو عياش) أحمد بن موسى بن مخلد (الفقيه وكان يحمي إلى غافق، وكان من أصحاب سحنون بن سعيد) ، وكان زاهدا ورعا متعبدا فاضلا (وعالما بما فيه كتبه، كثير لحكاية، سمع منه بشر كثير من أهل القيروان، ودف بباب سلم. وفيها، مات سعيد بن إسحاق الفقيه، مولى كلب وكان من رجال سحنون بن سعيد، وسمع من جماعة من إفريقية وكان كثير الرباط والرواية والجمع للحديث، وكان مولده سنة ٢١٢) .

وفقي سنة ٢٩٦، وصل خليل (أبي عبد الله الشيعي) (الداعي) إلى قسطيلية، وانهزم أبو مسلم منصور بن إسماعيل، (وشبيب بن أبي الصارم، وانقبضا) إلى مدينة توزر، وانبسطت الخيل (هنالك واحترقت القرى) وأفسدت ما مرت به من النعم. وكان أبو عبد الله قبل ذلك قد أمر أصحابه بالكف عن الغارات وألا يرموا مكانه، فأقاموا نحو شهرين لم تظهر له حركة، حتى قيل فيه نأنه مريض وقيل: بل مات. ولما وصل الخبر بانبساط جيوش أبي عبد الله إلى زيادة الله هالة وراءه،

(١) المغرب في حلى المغرب ابن سعيد المغربي ٢/٣٣٩

(٢) المغرب في حلى المغرب ابن سعيد المغربي ٢/٤٤٢

وارتجت الحضارة واضطربت أحوال الجند ويئسوا من البلد وخافوا على ذراريهم وأهاليهم السبي والاسترقاق: وجعل عبد الله بن الصائغ يقول لزيادة الله (هذا ما تضيع الشيخ السوء أبي مسلم ومن سوء نظره!) وكان ابن الصائغ كاتبا لأبي مسلم في أيام إبراهيم بن أحمد، ففسدت الحال بينهما، ولم يزل يرفع على أبي مسلم يومئذ حتى عزل. ثم لما دارت هذه الدائرة بقسطيلية، نسب ذلك ابن الصائغ إليه وأوقد زيادة الله عليه وأغراه به حتى كتب إلى شبيب بن أبي الصارم يأمره بضرب عنق أبي مسلم وصلبه يوما وليلة ثم يدفنه. وبعث إليه من ثقاته من يحضر تنفيذ ذلك فيه فلما وصل الكتاب إلى شبيب اغتنم ولم يجد." (١)

"وفي سنة ٢٣٢، قحطت الأندلس قحطا شديدا؛ وكانت فيها مجاعة عظيمة، حتى هلكت المواشي، **واحترقت** الكروم، وكثر الجراد.

وفي سنة ٢٣٤، أمر الأمير بتوجيه العساكر إلى أهل جزيرة ميورقة، لنكايتهم، وإذلالهم، ومجاهرتهم بنقضهم العهد، وإضرارهم بمن مر عليهم من مراكب المسلمين. فغرتهم ثلاثمائة مركب؛ فصنع الله للمسلمين جميلا، وأظفرهم بهم، وفتحوا أكثر جزائرهم.

وفي سنة ٣٤ المذكورة، توفي يحيى بن يحيى؛ فاستراح القضاة من همه.

وفي سنة ٢٣٥، ورد كتاب أهل ميورقة ومنورقة إلى الأمير عبد الرحمن، يذكرون ما نالهم من نكاية المسلمين لهم؛ فكتب إليهم كتابا أذكر هنا فصولا منه، وهو: (أما بعد، فقد بلغنا كتابهم، تذكرون فيه أمركم، وإغارة المسلمين الذين وجهناهم إليكم لجهادكم، وإصابتهم ما أصابوه منكم من ذراريكم وأموالكم، والمبلغ الذي بلغوه منكم، وما أشفيتم عليه من الهلاك. وسألتم التدارك لأمركم، وقبول الجزية منكم، وتجديد عهدكم على الملازمة للطاعة، والنصيحة للمسلمين، والكف عن مكروههم، والوفاء بما وتحملونه عن أنفسكم. ورجونا أن يكون فيما عوقبتم به صلاحكم، وقمعكم عن العود إلى مثل الذي كنتم عليه. وقد أعطيناكم عهد الله وذمته!) وفيها، كان سيل عظيم بجزيرة الأندلس، حمل وادي شيل، وخرب فوسين من حنايا قنطرة إستجة، وخرب الأسداد والأرحاء. وذهب السيل بست عشرة قرية من قرى إشبيلية على النهر الأعظم. وحمل وادي تاجه؛ فأذهب ثمان عشرة قرية؛ وصار عرضة ثلاثين ميلا.

وفي سنة ٢٣٦، ثار رجل من البربر، يقال له حبيب البرنسي، بجبال." (٢)

"وفيها، عظم السيل بقرطبة، وانهدم رجل من قنطرتها.

وفيها، خرج من قرطبة أحمد بن معاوية ابن الإمام هشام إلى فحص البلوط. ثم تقدم إلى ترجيله؛ فأقام فيها مدة يسيرة. وانحشدت إليه الحشود؛ فدخل إلى سمورة وبها قتل في شهر ربيع الأول.

وفي سنة ٢٩١، كان غزو أبان ابن الإمام عبد الله – رحمه الله – إلى رية؛ وقاد الخيل أحمد بن محمد بن أبي عبدة. وفصل يوم الخميس لخمس خلون من جمادي الآخرة؛ ونهض حتى احتل بوادي نسقانية، واضطرب في هذه المحلة.

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ابن عذاري المراكشي ١٤٥/١

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ابن عذاري المراكشي ٨٩/٢

وخرج إليه عمر بن حفصون؛ ثم التقيا؛ فوقعت بينهما حرب شديدة؛ ثم انكشفت الهزيمة على أصحاب ابن حفصون؛ فقتل منهم عدد كثير؛ ثم أضرم قرى وادي نسقانية وما حواليها نارا. ثم انتقل وحل على وادي بينش المجاور لببشتر، ووقعت الحرب بين أهل العسكر وبين ابن حفصون؛ فانهزم ابن حفصون، وقتل له رجال، وعقرت له خيل. واتصل **الحريق** في جميع قرى تلك الناحية. ثم انتقل إلى محلة طلجيرة؛ فأقام بها أياما، يحارب فيها ابن حفصون كل يوم، وينال منه. وفي هذه الأيام، أحرقت منية لجعفر بن عمر بن حفصون. وفي هذه الغزاة، حوربت طرش والرجل، وقتل أخو زيني وجماعة من حماة ابن حفصون. ونصب المنجنيق على الرجل؛ فأثر فيه." (١)

"الساقة. فأمر الناصر – رحمه الله – بتعبئة العساكر، وضبط أطرافها؛ ثم نهض بها موغلا في بلاد الكفرة؛ فتطللوا على كدي مشرفة وأجبل منيعة؛ ثم تعرضوا من كان في أطراف الجيش، وجعلوا يتصابحون، ويولولون ليضعنوا من قلوب المسلمين؛ فعهد الناصر – رحمه الله – بالنزول والاضطراب وإقامة الأبنية. ثم تبادر الناس إلى محاربة الكفرة، وقد أسهلوا من تلك الأجبل؛ فواضعوهم القتال، واقتحم عليهم حشم أمير المؤمنين ورجاله وأبطال الثغر وحماته، ويضعون أسلحتهم فيهم، ويمطرون رماحهم عليهم، حتى انهزم المشركون، لا يلوون على مكان مضطربهم، ولا يهتدون لوجه متقلبهم، والمسلمون على آثارهم، يقتلون من أدركوا منهم، حتى حجز الظلام بينهم.

ولجأ عند الهزيمة أزيد من ألف علج إلى حصن مويش، ورجوا التمتع فيه. فأمر الناصر بتقديم المظل وأبنية العسكر إلى الحصن؛ فأحبط به من جميع جهاته، وحوربوا داخله حتى تغلب عليه، واستخرج جميع العلوج منه، وقدموا إلى الناصر – رحمه الله –؛ فضربت رقاب جميعهم بين يديه، وأصيب في الحصن والمحلة التي كانت للكفرة بقربه من الأمتعة والأبنية والحلية المتقنة والآنية ما لا يحصى كثرة؛ وأصيب لهم نحو ألف وثلاثمائة فرس. وكسر أمير المؤمنين – رحمه الله – بهذه المحلة أربعة أيام، يغير جميع ما حواليها من نعم المشركين وثمراتهم ومزارعهم؛ ثم انتقل – رحمه الله – يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول إلى حصن كان أتخذه شانجه على أهل بقيرة؛ فألقاه خاليا، قد فر عنه أهله؛ فعهد بهدمه، ولم يبرح أمير المؤمنين – رحمه الله – من محلته هذه حتى انتقل إلى حصن بقيرة من أطعمة الكفرة ألف مدي تقوية لأهله.

ثم انتقل إلى حصون المسلمين يسكنها وينظر في مصالح أهلها؛ فكلما ألفى بقربها معقلا للمشركين، هدمه وأحرق بسيطه، حتى لقد اتصل **الحريق** في بلاد المشركين عشرة أميال في مثلها. واجتمع عند الناس من الأطعمة والخيرات ما عجزوا عن حمله، ولم يجدوا لها ثمنا تباع به؛ وكان القمح في العسكر تبذل." (٢)

"وفي سنة ٣٤٣، ولي الناصر مدينة طليطلة القائد أحمد بن يعلى، وصرف عنها محمد بن عبد الله بن حدير. وفيها، فصل القائد حميد بن يصل، المستأمن إلى الناصر، بالجيش الذي ضمه إليه إلى بلاد الغرب، وخرج معه القرشي السليماني المستأمن إلى الناصر أيضا، الذي كان أميرا على مدينتي تنس وأرشقول وما بينهما من أرض إفريقية؛ فأخرجه

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ابن عذاري المراكشي ٢/١٤٠

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ابن عذاري المراكشي ٢/١٧٩

عنها قواد الشيعي. واسمه علي بن يحيى، ينتسب إلى علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –؛ فكان خروجهما من بين يدي الناصر بعد أن خلع عليهما خلع الوداع، بعد خلع تقدمت له عليهما بيوم قبل وصولهما من دراريع الديباج والخز وعمائم الشرب المذهبة وغير ذلك. ودفع لحميد سبعة عشر ألفا للنفقة على الجند، ومن أحمال الكسوة سبعة أحمال.
وفيها، وصل إلى قرطبة وقد أزداجة من البربر الذين انحاشوا إلى الطاعة؛ فكساهم الناصر ووصلهم. وورد كتاب فتح من حميد بن يصل قائد الناصر بالعدوة بما فتح الله عليه من مدينة آسلان وانتشار الدعوة الأموية بنواحيها.
وفيها، قدم الحجاج؛ فذكروا أنه وقع بقشطاط مصر **حريق** عظيم احترق فيه ستة ألفا بين دار ومسكن.
وفي سنة ٣٤٤، وردت قواد الثغور لسبع خلون من ربيع الآخر على الناصر، وفيهم غالب، ومطرف، ومحمد بن يعلى، وعبيد الله بن أحمد بن يعلى، وهذيل ابن هاشم النجيبي، ومروان بن رزين، وعامر بن مطرف بن ذي النون، يذكرون أنهم دخلوا إلى أرض العدو، وقصدوا حصنا من بلد قشتيلة؛ فتغلبوا على أرباضه، وقتلوا جماعة من أهله، وقفلوا عنه؛ فوافتهم جموع النصرانية؛ فأيد الله المسلمين، وانهزم المشركون أمامهم مقدار عشرة أميال، يقتلونهم كيف شاءوا؛ فأحصى أنه قتل منهم مقدار عشرة آلاف. وكانت هذه الوقيعة بينهم لليلة." (١)

"فقوم يونس لما آمنوا كشف ال ... عذاب عنهم وعم القوم نعماء

ونحن أمة هذا المصطفى ولنا ... منه إلى عفوك المرجو دعاء

هذا الرسول الذي لولاه ما سلكت ... محجة في سبيل الله بيضاء

فارحم وصل على المختار ما خطبت ... على علا منبر اللأوراق ورقاء

ونظم بعضهم في هذه النار وغرق بغداد

سبحان من أصبحت مشيئته ... جارية في الورى بمقدار

في سنة أغرق العراق وقد ... أحرق أرض الحجاز بالنار

وفيها ليلة الجمعة أول ليلة من رمضان احترق مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكان ابتداء **حريقه** من زاويته – الغربية من الشمال – فعلقت في الأبواب ثم اتصلت بالسقف بسرعة ثم دبت في السقوف آخذة قبلة فاعجلت الناس عن قطعها فما كان إلا ساعة حتى **احترقت** سقوف المسجد أجمع ووقع بعض أساطينه وذاب رصاصها وكل ذلك قبل أن ينام الناس واحترق سقف الحجرة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ووقع ما وقع منه في الحجر وبقي على حاله لما شرع في عمارة سقفه وسقف المسجد واصبح الناس يوم الجمعة فعزلوا موضعا للصلاة ونظم في **حريق** المسجد.

لم يحترق حرم النبي لحادث ... يخشى عليه ولا دهاه العار.

لكنما أيدي الروافض لامست ... ذاك الجناب فطهرته النار.." (٢)

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ابن عذاري المراكشي ٢/٢١٩

(٢) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ١/١٠

"وقال معين الدين بن تولوا المعزى

قل للروافض بالمدينة مالكم ... يقتادكم للذم كل سفيه.

ما أصبح الحرم الشريف محرقا ... إلا لسبكم الصحابة فيه.

وعلى ما وقع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من جملة الآيات فقال شهاب الدين أبو شامة في ذلك وفيما تقدم

بعد ست من المئين وخمسين ... لدى أربع جرى في العام.

نار ارض الحجاز مع حرق المسجد ... معه تغريق دار السلام.

ثم أخذ التتار بغداد في أو ... ل عام من بعد ذاك بعام.

لم يعن أهلها والكفر أعوا ... ن عليهم يا ضيعة الإسلام.

وانقضت دولة الخلافة منها ... صار مستعصم بغير اعتصام.

رب سلم وصن وعاف بقايا ال ... مدن يا ذا الجلال والإكرام.

فحنانا على الحجاز ومصر ... وسلام على بلاد الشآم.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة وفي ليلة السادس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر أول الليل وكان شديد الحمرة ثم انجلى وكسفت الشمس في غده واحمرت وقت طلوعها وقريب غروبها واتضح بذلك ما صوره الشافعي رحمة الله عليه من اجتماع الكسوف والخسوف واستبعده أهل النجامة.." (١)

"وإذا العدو يحت لدن رماحه ... فبكت ثعالبها بقلب أسوده

من كل أسمر في الملاحم طالما ... عاد الردى مهج الكماة بعوده

غصبت عواملها ظلام نجومه ... والبان قد سلبته لين قدوده

سمر إذ الجبار سام دفاعها ... وردت أسنتها نجيع وريده

عذباتها صفر كوجه عدوه ... بالنصر تخفق مثل قلب حسوده

ملك الآن لنا الزمان وإنما ... داود معجزه بلين حديده

وقال:

حكاه من الغصن الرطيب وريقه ... وما الخمر إلا وجنتا وريقه

هلال ولكن أفق قلبي محله ... غزال ولكن سفح عيني عقيقه

وأسمر يحكي الأسمر اللون قده ... غدا راشقا قلب المحب رشيقه

على خده جمر من الحسن مضرم ... يشب ولكن في فؤادي حريقه

أقر له من كل حسن جليله ... ووافقه من كل معنى دقيقه

بديع التثني راح قلبي أسيره ... على أن دمعي في الغرام طليقه

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ١١/١

على سالفيه للعذار جريره ... وفي شفتيه للسلاف عتيقه

يهدد منه الطرف من ليس خصمه ... ويسكر منه الريق من لا يذوقه

على مثله يستحسن الصب هتكه ... وفي حبه يجفو الصديق صديقه." (١)

"ولا حل في حي تلوح قبابه ... ولا سار في ركب يساق وسيقه

ولا بات صبا بالفريق وأهله ... ولكن إلى خاقان يعزى فريقه

له مبسم ينسى المدام بريقه ... ويخجل نوار الأقاحي بريقه

٤٧ب – تداويت من حر الغرام ببردهفأضرم في ذاك الحريق رحيقه

إذا خفق البرق اليماني موهنا ... تذكرته فاعتاد قلبي خفوقه

حكى وجهه بدر السماء فلو بدا ... مع البدر قال الناس هذا شقيقه

وأشبه زهر الروض حسنا وقد بدا ... على عارضيه آسه وشقيقه

رآني خيالا حين وافى خياله ... فاطرق من فرط الحياء طروقه

وأشبهت منه الخصر سقما فقد غدا ... يحملني كالخصر ما لا أطيقه

فما بال قلبي كل حب يهيجه ... وحتام طرفي كل حسن يروقه

فهذا ليوم البين لم تطف ناره ... وهذا لبعد الدار ماجف موقه

ولله قلبي ما أشد عفافه ... إن كان قلبي مستمرا فسوقه

أرى الناس أضحوا جاهلية وده ... فما باله عن كل صب يعوقه

فما فاز إلا من يبيت صبوحه ... شراب ثناياه ومنها غبوقه

وكتب إليه لغزا في شبابة:

وناطقة خرساء باد شحوبها ... تكنفها عشر وعنهن تخبر." (٢)

"وهوا لمسيء اختيار اذنوى سفرا ... وقد رأى طالعا في العقرب القمرا

وله يقول:

أقول وقد ذم الوزير زمانه ... من العجز ذم العاجز المتحير

تذم زمان السوء يا صدر ظالما ... ولولا زمان السوء لم تتصدر

وقال أيضا:

حيث انتهيت من الهجران بي فقف ... ومن وراء دمى سمر القنا فخف

يا عابثا بعدات الوصل يخلفها ... حتى إذا جاء ميعاد الفراق يفي

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٩٨/١

(٢) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٩٩/١

إعدل كفاتن قد منك معتدل ... واعطف كسائل غصن منك منعطف

ويا عذول ومن يصغي إلى عذل ... إذا رنا أحمر العينين ذوهيف

تلوم قلبي إن أصماه ناظره ... فيم اعتراضك بين السهم والهدف

سلوا عقائل هذا الحي أي دم ... للأعين البخل عند الأعين الذرف

يستوصفون لساني عن محبتهم ... وأنت أصدق يا دمعي لهم فصف

ليست دموعي لنار الشوق مطفيئة ... فكيف والماء باد **والحريق** خفى

لم إنس يوم رحيل الحي وقفتنا ... والعيس تطلع أولاها على شرف." (١)

"أعدو أنت أخبر ... ني بصدق أم صديق

سني من شعرك البا ... رد حر بل **حريق**

ما له لفظ جليل ... لا ولا معنى دقيق

لم يصح لي منه ... الأمقة منك وموق

اعف من برك هذا ... فمن البر عقوق

قال الشيخ شرف الدين رحمه الله حفظ والدي القرآن العظيم وعمره تسع سنين وصلى التراويح بجامع دمشق برواق الحنابلة وتلقنه من صالح المقرئ وتأدب على الشيخ يوسف البوني ثم على الشيخ العالم الحكيم أبي محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان الغساني الأندلسي ثم على شيخنا تاج الدين أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي وتفقه على الشيخ شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون ثم على الشيخ ضياء الدين الدولعي ونظم الشعر وأنشأ الرسائل وعمره عشر سنين وما حولها ومما نظمه في صباه:

وذات قوام إذا ما انثنى ... رأيت القلوب به في عنا

تراءت لنا كهلال السماء ... وظبي الفلاة إذا ما رنا

كشفنا لها بلسان الجفون ... ونطق الحواجب ما عندنا

فأفهمنا لحظها أنها ... تروم التواصل لو أمكنا

ولازمنا طرفها ناظرا ... يخبر أن بها مثلنا." (٢)

"وكانت مدة القتال ثلاثة أيام آخرها يوم الخميس ثاني عشر شهر رجب المبارك فلم يفلت منهم أحد. وعاجلناهم في هذه المدة القريبة فلم يغنهم ما فعلوه في تحصن البلد ولم يمس أحد منهم في ليلة الجمعة وقد نجا من القتل إلا وهو أسير، واحتطنا بها فما نجا منهم بحمد الله صغير، ولا كبير وعجلنا للمجلس بهذه البشارة ليأخذ منها حظا وافرا، ويقرأ آيات نصر الله على أصحابه من الفقهاء والعدول ويحدث بها فيكون تاليا لها بين الأنام وذاكرا، ويكتب بمضمون ذلك

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ١/٢٣٠

(٢) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٢/٢٧٩

إلى نوابه من الحكام، وليشهر هذا الخبر السعيد بين الأنام، ويواصلنا بدعائه فإننا نرجو به الزيادة والله تعالى يجزينا ويجزيه من ألطافه على أجمل عادة، بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى: كتب ثاني عشر شهر رجب المبارك وبين الأسطر وعدة الأسرى ألف أسير وما القتل فكثير لأن القلعة أخذت بالسيف.

وعاد الملك الظاهر إلى القاهرة وزينت لدخوله فدخلها في ثاني عشر شعبان من باب النصر وخرج من باب زويلة وعبر بالأسرى على الجمال وكان يوما مشهودا، وفي جمادى الآخرة وقعت نار بحارة الباطلية بالقاهرة فأحرقت ثلاثة وستين دارا جامعة ثم كثر **الحريق** بعد ذلك بمصر حتى أحرق ربع فرج وكان وقفا على أشراف المدينة النبوية صلوات الله على ساكنها وسلامه بحيث لم يبق فيه مسكن والوجه المطل على النيل من ربع العادل وكان وقفا على تربة الإمام الشافعي رحمة الله عليه وكانت توجد لفائف مشاق فيها النار والكبريت على." (١)

"أسطحة الآدر وعظم هذا الأمر على المسلمين ورتب بالشوارع والأزقة دنان الماء واتهم بذلك النصارى الكركيين والملكيين، فلما قدم الملك الظاهر الديار المصرية عزم على استئصال النصارى واليهود بسبب **الحريق** فأمر بوضع الأحطاب والحلفاء في حفرة كانت في وسط القلعة وإن تضرم فيها النار ويطرح فيها النصارى واليهود فجمعوا على اختلاف طبقاتهم حتى لم يبق إلا من هرب وذلك يوم الأربعاء ثامن عشر شعبان وكتفوا ليرموا في الحفرة فشفع فيهم الأمراء فأمر أن يشتروا أنفسهم فقرر عليهم خمسمائة ألف دينار يقومون منها في كل سنة بخمسين ألف دينار يؤخذ منهم بحسب قدرة كل واحد منها في كل سنة بخمسين ألف دينار يؤخذ منهم بحسب قدرة كل واحد منهم وضمنهم راهب يعرف بالحبيس كان مبدأ أمره كاتبا في صناعة الإنشاء ثم ترهب وانقطع في جبل حلوان فيقال أنه وجد في مغارة منه مالا للحاكم أحد الخلفاء المصريين، ولما وجد المال وأسى به الفقراء والصعاليك من كل ملة واتصل خبره بالملك الظاهر فطلبه إليه وطلب منه المال فقال أما أني أعطيك من يدي إلى يديك فلا ولكنه يصل إليك من جهة من تصادره وهو لا يقدر على ما تطلبه منه فلا تعجل، وشفع فيه فلما كانت هذه الواقعة ضمنهم وحضر موضع الجباية منهم فمن قرر عليه شيء وعجز عن أدائه ساعده ومن لم يكن معه شيء أدى عنه سواء كان نصرانيا أو يهوديا وكان يدخل الحبوس ويطلق منها من عليه دين ومن وجده ذا هيئة رثة واساه ومن شكا إليه ضرورة أزاحها عنه فانتفعت به سائر الطوائف، ولما طلب من أهل الصعيد المقرر على الذمة الذين." (٢)

"صفد التي باء بأثمها حاملها على النصرانية، ومسلطها بالنكاية، على البلاد الإسلامية، حتى جعلها للشرك ما سدة آساده ومراد مراده، ومجر رماحه ومجرى جياده، كم استبيح للإسلام من حمى، وكمن استرق الكفار بواسطتها مسلمة من الأحرار ومسلما، وكم تسرب منها جيش الفرنج إلى بلاد المسلمين فحازوا ومغنما وقوضوا معلما، فنازلناها منازلة الليل بانعقاد القساطل، وطالعناها مطالعة الشمس ببريق المرهفات وأسنة الذوابل، وقصدناها بجحفل لم يزحم بلدا إلا هدمه ولا قصد جيشا إلا هزمه ولا أم ممتنعا طغا جبارة الأسهلة وقصمه فلما طالعتها أوائل طلائعنا منازلة وقابلتها

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٢/٣٢٠

(٢) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٢/٣٢١

وجوه كماتنا المقاتلة اغتر كافرها فبرز للمبارزة والقتال ووقف دون المنازلة
داعيا نزال، فتقدم إليه من فرساننا كل حديد الشباجديد الشباب يهوى إلى الحرب فيرى منه ومن طرفه أسد فوق عقاب، ويخفف نحوها متسرعا فيقال إذا لقاء أعداء أم لقاء أحباب، فهم فوارس كمناصلهم رونقا وضياء، تجري بهم جياد كذوابلهم علانا ومضاء، إذا مشوا إلى الحرب مزجوا المرح بالتيه فيظن في أعطافهم كسل، وهزوا قاماتهم مع الذوابل فجهلت الحرب من منهم الأسل، فحين شاهد أعداء الله آساد الله تصول من رماحها بأساودها، وتبدي ظمأ لا ينفعه إلا أن ترد من دماء الأعداء محمر مواردها، وأنها قد أقبلت نحوم بجحافل تضيق رحب الفضاء، وتحقق بنزولها ونزالها كيف نزول القضاء، وإنه جيش بعثه الله بإعزاز الجمعة وإذلال الأحد، وعقد برايته مذ عقدها إن لا قبل بها لأحد، وإن الفرار ملازم أعدائه ولا قرار على زائر على الأسد ولو مدبرين وأدبروا على أعقابهم ناكصين ولجأوا إلى معقلهم معتقلين لا متعقلين، فعند ذلك زحفنا إليه من كل جانب حتى صرنا كالنطاق بخصره، ودرنا به حتى عدنا كاللثام بثغره، وأمطرنا عليه من السهام وبلا سحبت ذيول سحبه المتراكمة، وأجرينا حولها من الحديد بحرا غرقه أمواجه المتلاطمة، وضايقناها حتى لو قصد وفد النسيم وصولا إليه لما تخلص، أو رام ظل الشمس أن يعود عليه فيئا لعجز لأخذنا عليه أن يتقلص، ثم وكلنا به من المجانيق كل عالي الغوارب عاري المناكب عبل الشوى، سامي الذرى، له وثبات تحمل إلى الحصون البوائق وثبات تزول دونه ولا يزول الشواهق، ترفع لمرورها الستائر فتدخل أحجاره بغير استيذان، وتوضع لنزوله رؤوس الحصون فتخر خاضعة للأذقان، فلم يزل يصدع بثبات أركانه حتى هدمها، وتقبل ثنيات ثغره حتى أبدى ثرمها، وفي ضمن ذلك لصق الحجارون بجداره وتعلقوا باذيال أسواره ففتحوها أسرابا، وأججوها جحيما يستعر جمرها التهابا فصلى أهل النار بنارين من **الحريق** والقتال، ومنوا بعذابين من حر الضرام وحد النصال، هذه تستعر عليهم وقودا، وهذه تجعل هامهم للسيف غمودا. اعيا نزال، فتقدم إليه من فرساننا كل حديد الشباجديد الشباب يهوى إلى الحرب فيرى منه ومن طرفه أسد فوق عقاب، ويخفف نحوها متسرعا فيقال إذا لقاء أعداء أم لقاء أحباب، فهم فوارس كمناصلهم رونقا وضياء، تجري بهم جياد كذوابلهم علانا ومضاء، إذا مشوا إلى الحرب مزجوا المرح بالتيه فيظن في أعطافهم كسل، وهزوا قاماتهم مع الذوابل فجهلت الحرب من منهم الأسل، فحين شاهد أعداء الله آساد الله تصول من رماحها بأساودها، وتبدي ظمأ لا ينفعه إلا أن ترد من دماء الأعداء محمر مواردها، وأنها قد أقبلت نحوم بجحافل تضيق رحب الفضاء، وتحقق بنزولها ونزالها كيف نزول القضاء، وإنه جيش بعثه الله بإعزاز الجمعة وإذلال الأحد، وعقد برايته مذ عقدها إن لا قبل بها." (١)

"لأحد، وإن الفرار ملازم أعدائه ولا قرار على زائر على الأسد ولو مدبرين وأدبروا على أعقابهم ناكصين ولجأوا إلى معقلهم معتقلين لا متعقلين، فعند ذلك زحفنا إليه من كل جانب حتى صرنا كالنطاق بخصره، ودرنا به حتى عدنا كاللثام بثغره، وأمطرنا عليه من السهام وبلا سحبت ذيول سحبه المتراكمة، وأجرينا حولها من الحديد بحرا غرقه أمواجه المتلاطمة، وضايقناها حتى لو قصد وفد النسيم وصولا إليه لما تخلص، أو رام ظل الشمس أن يعود عليه فيئا لعجز لأخذنا عليه أن يتقلص، ثم وكلنا به من المجانيق كل عالي الغوارب عاري المناكب عبل الشوى، سامي الذرى، له وثبات

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٣٤٠/٢

تحمل إلى الحصون البوائق وثبات تزول دونه ولا يزول الشواهق، ترفع لمرورها الستائر فتدخل أحجاره بغير استيذان، وتوضع لنزوله رؤوس الحصون فتخر خاضعة للأذقان، فلم يزل يصدع بثبات أركانه حتى هدمها، وتقبل ثنيات ثغره حتى أبدى ثرمها، وفي ضمن ذلك لصق الحجارون بجداره وتعلقوا باذيال أسواره ففتحوها أسرابا، وأججوها جحيما يستعر جمرها التهابا فصلى أهل النار بنارين من الحريق والقتال، ومنوا بعذابين من حر الضرام وحد النصال، هذه تستعر عليهم وقودا، وهذه تجعل هامهم للسيف غمودا.

فعند ذلك جاءهم الموت من فوقهم ومن أسفل منهم، وأصبح ثغرهم الذي ظنوه عاصما لا يغني عنهم، ومع ذلك فقاتلوا قتال مستقتل لا يرى من الموت بدا، وثبتوا متحايين يقدرون ببيضهم البيض والأبدان." (١)

"حاطة في الهواء رحلها، جائمة جثوم الهزم هادية هداية العلم، تحلق تحليق الصقور، وتحني الصخور، بالصخور وما زالت بها حتى هدمت منها الأركان، وما برح النقابون حتى سروا في ضمائرها سريان الدم في مفاصل الإنسان، وقصدوا بمباضع إقطاعاتهم عروق تلك الأبدان، واستكنوا بها داء معضلا لا يجد العدو إليه من فتكاته دواء موصلا، تنموا بتنقيص المواد أخلاطه، ولا يرجى ببحارين الأمطار المرسلة انحطاطه، حتى تجللت من الحصن المذكور قواه، واحترقت حماة من النيران الموقدة بأحشاء حماه، فحينئذ بلغت روحه التراقي، وعجلت عليه المجانيق المذكورة التي أصابته بعين ما لها من راقي، من كل ذات أعضاء وأعضاد وأعصاب من السرياقات وعروق تتخلل تلك الأجساد وذات زمانة كم لها خطوة في الهواء بعيدة المنال، وأمانة كم ردت إلى الحبال، ما عجزت عن حمله الجبال، لها كف متسمحة، وأعطاف لا تبرح حين تجود مترنحة. ما زالا هذا بعويل معاوله وهذا بأنين سهامه ينعيان الكفر مساء صباحا ويترنمان بما يظنه المسلم له غناء وتحسبه للكفر عليه نواحا، حتى تسلمناه في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شعبان المبارك فيأخذ حظه من هذه البشارة الحسنة، ويجعل الأصوات بها على الأدعية الصالحة مؤمنة، والله يمتع الشريعة بمساعيه المستحسنة بمنه وكرمه: كتب في التاريخ أعلاه، ولما حصل الاستيلاء على حصن الأكراد كتب صاحب أنطرطوس." (٢)

"سمع من الشريف افتخار الدين بن هاشم عبد المطلب بن الفضل وغيره وحدث، وكان شيخا حسنا فاضلا، وبيته مشهور بالعلم والتقدم والسنة؛ وكانت وفاته في خامس عشرين ذي القعدة بالقاهرة، ودفن من الغد يوم الأربعاء بسفح المقطم - رحمه الله تعالى، وهو خال قاضي القضاة كمال الدين أحمد بن الأستاذ. وله شعر جيد ومنه في مليح في عنقه شامة:

المعز بدر ولكن ليس شامته ... مسروقة من دجى صدغيه والغسق

وإنما حبة القلب التي احترقت ... في حبه علقت للطم في العنق

عثمان بن عبد الله الآمدي حطيم الحنابلة بالحرم الشريف اتجاه الكعبة المعظمة كان سيدا كبيرا شيخا جليلا صالحا

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٢/٣٤١

(٢) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٢/٤٤٧

عالما إماما فاضلا زاهدا عابدا ورعا ربانيا منقطعا متعكفا على العبادة والاشتغال بالله تعالى في سائر أوقاته، وله المكرمات الظاهرة لم يكن له نظير في وقته؛ أقام بالحرم الشريف ما يقارب خمسين سنة. وكانت وفاته يوم الخميس ضحىً النهار الثاني والعشرين من المحرم رحمه الله ورضي عنه، وكنت أود رؤيته وأتشوق إلى ذلك وأخشى أن تحول المنية دون الأمنية. فاتفق أني حججت في سنة ثلاث وسبعين وست مئة، وزرته وتمليت برؤيته، وحصل لي نصيب وافر من إقباله ودعائه، وقدرت وفاته إلى رحمة الله تعالى ورضوانه عقيب ذلك. وكذلك كنت أود رؤية الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله، فاتفق سفري إلى الديار المصرية في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وست مئة فرأيته وسمعت منه، ثم توفي بعد ذلك." (١)

"مسلم نفس في يد حنينه ... راهب دير فان من كمينه

مستوحش كالليث في عرينه ... ألهاه عن تسبيحه ودينه

تأنيسها حتى تراه قد صبى

وخشية ألفه لعربها ... إذا حدا في الليل حادي ركبها

أسكرني وهل نسيم قربها ... كأنما الصهباء مقطوب بها

ماء جنى ورد إذا الليل عسا

يخالها النعمان أو شقيقها ... يا زيد أنعمت في حريقها

كالكأس تجلى في جلي رحيقها ... يمتاحها راشف برد ريقها

بين بياض الظلم منها واللمى

يا معجبا من دمع عيني مهملا ... يذكر روضا بالحمى ومنهلا

ومنزلا إلى العقيق قد خلا ... سقى العقيق فالحزيز فالملا

إلى النحيت فالقريان الدنا

ربع العلا أفقر من أربابه ... وسورة الفتح على أبوابه

ومبسم الأفواه الأمير يترابه ... فالمربد إلا على الذي تلقى به

مصارع الأسد بألحاظ المها

ربع على منزله بقربه ... وأشرقت أنواره بغربه

وقد زها نوارها بتربه ... محله كل مقرم سمت به

مآثر الآباء في فرع العلا." (٢)

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٣/١٣٧

(٢) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٣/٣٦٢

"عجبا من سقام حصر نحيل ... كيف يقوى لحمل ردف ثقيل

ومريض الأجفان بلبل عقلي ... بعذار من فوق خد أسيل

جؤذري اللحاظ حلو الثنايا ... طاب سقمي في حبه ونحولي

مقلة الروم من بني الروم رام ... بسهام تصمى قلوب الفحول

ما عليه لو جاد لي برضاب ... من لماه عساه يشفى غليلي

أو عساه يرد قلبا رهينا ... في يديه من وقت يوم الرحيل

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

ولى رشأ أحوى حوى الحسن كله ... بمشرف صدغيه بمائل قده

تبدى فخلنا البدر تحت لثامه ... وماس فخلنا الغصن في طي برده

وقفت له أشكو إليه توجهي ... وما نال قلبي من مرارة صده

وسعرت الأنفاس نار صبابتي ... فمن حرها أثر **الحريق** بخده

ولولا ارتشافي من برود رضابه ... لأحرقت نبت الآس من حول ورده

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

ما زال يرميني بكل بلية ... ويتحفني من هجره بالعظائم

إلى أن رماه الله بالحب بغتة ... وأصغر ممشاه إلى غير راحم

وقفت له كالمشفى في طريقه ... وأنشدته بيتا كضرب الصوارم

وقد كنت أرجو ان أراك معذبا ... بنار الهوى يشجيك نوح الحمائم

وقلبك ملآن من الهم والأسى ... وطرفك مسلوب الكرى غير نائم

بليت بما قد كنت لي مبتلى به ... ولا ظالما إلا سيبلى بظالم." (١)

"لا راحل بل قائم عني إلى ... ماء الفرات يخوض منه غمارا

وأما تراني فاقدا ومنعما ... في الجو ليلا خلفه ونهارا

دعني فقد برد الهواء وقد أتى ... أيلول يطفى للهجير جمارا

ووراء تشرين جاور عدة ... عجلان يحدو للسحاب وطارا

والبارق الهامي على قلل الحمى ... سرى هناك خيوطه كالتارا

والفيض طام ماؤه متدفق ... والطير فيه يلاعب التيارا

والنهر حن به فراح مسلسلا ... صبا تحيرا لا يصيب قرارا

بهر النواظر حين أنبت شطه ... للناظرين شقائقا وبهارا

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٤/ ٨٠

والصبح في آفاقه يا سعد قد ... أخفى النجوم وأطلع العرارا

فانهض إلى المرنى الأنيق بنا وقد ... هب الصباح ونبه الأطيارا

وتباعث جناتها في أفقها ... مثل النعام قوادما يتسارى

من جو زور للعراق قوادما ... يا مرحبا بقدومها زوارا

فاصح إلى رشق القسى إذا ارتمت ... مثل **الحريق** أطار عنه شرارا

وأطرب على نغمات أطيار بدت ... في الجو وهى تجاوب الأوتار ا

من كل طيار كأن له دما ... عند الرماة فثار يبغي الثارا

هل جاء في طلب العش لحتفه ... أم جاء يطلب عندها الآثارا

فاكتم يطرب بالجناح كأنه ... أيدي القيان تحرك الأوتارا

خاض الظلام وعب فيه فسود ... الرجلين منه وسود المنقارا." (١)

"ذلك إلا اليسير، وبعد الفراغ من عرضها، ركب إلى دار السعادة.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشرين شعبان طافوا بالكسوة الشريفة التي عملت برسم الكعبة عظمها الله تعالى بمصر والقاهرة على العادة.

وفي ليلة الأحد عاشر رمضان المعظم **احترقت** اللبادين بدمشق الشمالية بكمالها، وجسر الكتبيين بأسره، وأكثر اللبادين القبلية العلو والسفل من ذلك جميعه، والفوارة والسوق الذي يليها للقماش المعروف بسوق عسا الله، وسقاية جيرون، ووصلت النار إلى الربع الملاصق لحمام الصحن من قبلية، فاحترق بعضه إلى باب درج العجم بوسط جيرون، وإلى جدر المسجد العمري الذي على درج باب الجامع الملاصق لسجن زين العابدين رحمة الله عليه إلى داخل مشهد علي رضوان الله عليه وإلى جدار دار الخشب وخزائن السلاح وإلى الرابع المستجد بجيرون قبالة درب العجم، واحترق أكثره، واحترق من الكتب ما يزيد على ستة آلاف مجلد، ومن عجيب الاتفاق أنه وجد وريقة عتيقة من كتاب وقد احترق أكثرها وبقي فيها مكتوب:

فوض الأمر راضيا ... جف بالكائن القلم

ليس في الرزق حيلة ... إنما الرزق بالقسم

ذل رزق الضعيف ... وهو لحم على وضم

وافتقار الغنى إذ ... يرهب الأسد في الأجم

إن للخلق خالقا ... لا مرد لما حكم." (٢)

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٤/١٣٨

(٢) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٤/١٤٦

"وبالجملة فكان حريقا عظيما لم يشهد مثله، وخيف على الجامع منه وكان بداية الحريق بين المغرب والعشاء، والناس على الفطر، واستمرت النار تعمل إلى الثلث الأخير من الليل، وهي في قوة وتزيد، ثم تناقصت وخمد لهبها قبل طلوع الشمس، وكان السبب في إخمادها الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنة رحمه الله فإنه لما بلغه خبرها، بطل الفطر وحضر بنفسه وخواصه ومماليكه مسرعا، وحضر إليه جميع الأمراء ومماليكهم وكثير من الجند، وظهر من اهتمامه في إخمادها ما تضاعفت الأدعية له بسببها، وأقام الدخان يصعد من خلال الأبنية والردوم نحو أسبوع، وتقدم من غد يومه إلى الصاحب محي الدين محمد بن النحاس بعمارة ما احترق، وإعادته إلى ما كان عليه، وندب من جهته مشدا بين يدي الصاحب محي الدين لذلك، وقطعت رواتب الناس كافة على المصالح، وحصل الاهتمام التام من الصاحب محي الدين، فبنى أحسن مما كان، وأتم بالانقاش في مدة قريبة.

وفي ليلة الخميس حادي وعشرين منه وصل إلى دمشق رسل الملك أحمد بن هولاكو من مصر عائدين إلى مخدومهم، ونزلوا بدار رضوان بالقلعة، وسافروا ليلة الأحد رابع عشرين منه إلى بلادهم، ولم يتوجه معهم رسول من جهة الملك المنصور.

وفي يوم عيد النحر وهو يوم الخميس قدم الملك المنصور ناصر الدين محمد صاحب حماة إلى دمشق متوجها إلى الديار المصرية إلى خدمة السلطان." (١)

"فرقوا لقلب في ضرام غرامه ... حريق وأجفان بأدمعها غرقا

سميري من سعد خذا نحو أرضهم ... يمينا ولا تستبعدا نحوها الطرقا

وعوجا على أفق يوشح شيحه ... بطيب الشذى المكى أكرم به أفقا

فإن به المغنى الذي يبرأ به ... وذكراه يستسقى لقلبي ويسترقا

ومن دونه عرب يرون نفوس من ... يلوذ بمغناهم حلالا لهم طلقا

بأيديهم بيض بها الموت احمر ... وسم لذا هيجانهم يحمل الرزقا

وقولا محب بالشام غدا لقا ... لفرقة قلب بالحجاز غدا ملقا

تعلقكم في عنفوان شبابه ... ولم يسل عن ذاك الغرام وقد أبقا

وكان يمنى النفس بالقرب فاغتدى ... بلا أمل إذ لا يؤمل أن يبقا

عليكم سلام الله أما ودادكم ... فباق وأما العهد عنكم فما أبقى

وإن أنتما استنشقتما طيب طيبه ... تضوع كعرق المسك احكمته سحقا

وعاينتما قبر النبي الذي غدا ... لفرط سناه الغرب بالنور والشرقا

فقولا فلان فوق ما تعهدونه ... غراما بكم ما حبه لكم مذقا." (٢)

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ١٤٧/٤

(٢) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٢٢٠/٤

"فتقدم طاهر فنزل حلوان، ولحقه هرثمة بجيش من عند المأمون، وكتاب يأمره فيه أن يسلم ما حوى من المدن والكور إلى هرثمة، وأن يتوجه طاهر إلى الأهواز، ففعل ذلك، وأقام مرثمة بحلوان، ولما تحقق المأمون قتل ابن ماهان وانهزام عساكر الأمين، أمر أن يخطب له بإمرة المؤمنين، وأن يخاطب بأمير المؤمنين، وعقد للفضل بن سهل على المشرق، من جبل همدان إلى التبت طولا، ومن بحر فارس إلى بحر الديلم وجرجان عرضا، ولقبه ذا الرياستين، رياسة الحرب والقلم، وولى الحسن بن سهل ديوان الخراج، وذلك كله في هذه السنة، ثم استولى طاهر على الأهواز، ثم على واسط، ثم على المدائن، ونزل صرصر ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة في هذه السنة حاصر طاهر وهرثمة بالعساكر الذين صحبتهما بغداد، وحصروا الأمين، ووقع في بغداد النهب **والحريق**، ومنع طاهر دخول الميرة إلى بغداد، فغلت بها الأسعار ودام الحصار وشدة الحال، إلى أن انقضت هذه السنة.

وفي هذه السنة أعني سنة سبع وتسعين ومائة، توفي إبراهيم بن الأغلب عامل إفريقية، وقد تقدم ذكر ولايته في سنة أربع وثمانين ومائة ولما توفي تولى على إفريقية بعد ولده أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة.

استيلاء طاهر على بغداد وقتل الأمين في هذه السنة هجم طاهر على بغداد بعد قتال شديد، ونادى مناديه: من لزم بيته فهو آمن. وأخذ الأمين أمه وأولاده إلى عنده بمدينة المنصور، وتحصن بها؛ وتفرق عنه عامة جنده وخصيانه، وحصره طاهر هناك، وأخذ عليه الأبواب، ولما أشرف على أخذه، طلب الأمين الأمان من هرثمة، وأن يطلع إليه فروجع في الطلوع إلى طاهر، فأبى ذلك، فلما كانت ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، خرج الأمين بعد عشاء الآخرة وعليه ثياب بيض وطيلسان أسود، فأرسل إليه هرثمة يقول: إني غير مستعد لحفظك، وأخشى أن أغلب عنك، فأقم إلى الليلة القابلة، فأبى الأمين إلا الخروج تلك الليلة، ثم دعا الأمين لابنيه وضمهما إليه وقبلهما وبكى، ثم جاء راكبا إلى الشط، فوجد حراقة هرثمة، فصعد إليها، فاحتضنه هرثمة وضمه إليه، وقبل يديه ورجليه ثم شد أصحاب طاهر على حراقة هرثمة حتى غرقوها، فأخرج الملاح هرثمة من الماء، وأما الأمين فلما سقط في الماء، شق ثيابه، ثم أخذ بعض أصحاب طاهر الأمين وهو عريان عليه سراويل وعمامة، فأمر به طاهر فحبس في بيت، فلما انتصف الليل، أرسل إليه طاهر قوما من العجم فقتلوه وأخذوا رأسه ومضوا به إلى طاهر، فنصبه على برج من أبرجة بغداد، وأهل بغداد ينظرون إليه.

ثم أرسل طاهر رأس الأمين إلى أخيه المأمون وكتب بالفتح، وأرسل البردة والقضيب، ودخل طاهر المدينة يوم الجمعة، وصلى بالناس وخطب للمأمون، وكان قتل الأمين لست بقين من المحرم، سنة ثمان وتسعين." (١)

"فرقة مع الإفشين خيذر ابن كاؤوس ميمنة، وفرقة مع أشناس ميسرة، وفرقة مع المعتصم في القلب، وبين كل فرقة وفرقة فرسخان، وأمرهم المعتصم **بحريق** القرى وتخريب بلاد الروم ففعلوا ذلك، حتى وصلوا إلى عمورية، فأول من قدمها أشناس، ثم المعتصم، ثم الإفشين، فأحدقوا بها، وكان نزوله عليها لست خلون من رمضان، من هذه السنة، وأقام عليها

---

(١) المختصر في أخب ا ر البشر أبو الفداء ٢/٢٠

المنجنيقات، وجرى بين المسلمين والروم عليها قتال شديد يطول شرحه، وآخره أن المسلمين خربوا في السور مواضع بالمنجنيق، وهاجموا البلد وقتلوا أهله، ونهبوا الأموال والنساء، وأقبل الناس بالسبي والأسرى إلى المعتصم، من كل جهة، وأمر بعموربة فهدمت، وأحرقت، وكان مقامه على عمورية خمسة وخمسين يوما، ثم ارتحل

راجعا إلى الثغور، فلما كان في أثناء الطريق، بلغ المعتصم أن العباس بن المأمون قد بايعه جماعة من القواد وهو يريد أن يثب عليه، ويأخذ الخلافة منه، فدعا المعتصم بالعباس بن المأمون، وأمسكه. وسلمه إلى الافشين خيذر، فلما وصل إلى منبج طلب العباس الطعام، فأكل ومنع الماء حتى مات بمنبج، فصلى عليه بعض أخوته وأتم المعتصم سيره حتى دخل سامراء.

وفيها أعني سنة ثلاث وعشرين ومائتين، توفي ملك إفريقية زيادة الله إبراهيم بن الأغلب، وتولى بعده أخوه أبو عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب.

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين في هذه السنة مات إبراهيم المهدي في رمضان، وصلى عليه المعتصم.

وفيها مات أبو عبيد القاسم بن سلام الإمام اللغوي، وكان عمره سبعا وستين سنة.

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين في هذه السنة توفي أبو دلف وعلي بن محمد المدايني المشهور.

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين في هذه السنة غضب المعتصم على الإفشين خيذر بن كاؤوس، وحبسه حتى مات في حبسه، وأخرج فصلب، أحرقت جثته، والإفشين هو الذي قاتل بابك المجوسي، الذي استولى على جبال طبرستان مدة عشرين سنة، وعظم أمره، وهزم عدة مرار عساكر المعتصم، حتى انتدب له المعتصم الإفشين المذكور، فجرى له معه قتال شديد، في مدة طويلة، انتصر الإفشين وأخذ مدينة بابك البذ، وأسر بابك، وأحضره إلى المعتصم، فقتله والإفشين خيذر المذكور بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها والذال المعجمة وفي آخرها راء مهملة.

وفي هذه السنة توفي الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله العلاف البصري شيخ المعتزلة وزاد عمره على مائة سنة.

وفيها توفي أبو عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب، وتولى بعده أخوه أبو العباس محمد بن إبراهيم بن الأغلب، فكانت ولاية الأغلب سنتين وتسعة أشهر. ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين.

وفاة المعتصم وفيها توفي أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد، لثماني عشرة مضت من ربيع الأول." (١)

"الحرمين في حقه: ما من شافعي المذهب إلا وللشافعي عليه منة، إلا أحمد البيهقي، فإن له على الشافعي منة، لأنه كان أكثر الناس نصر المذهب الشافعي. وفيها توفي أبو علي محمد ابن الحسين بن الحسن بن الفراء الحنبلي، وعنه انتشر مذهب أحمد بن حنبل، وهو مصنف كتاب الصفات، أتى فيه بكل عجيبة، وترتيب أبوابه يدل على التجسيم المحض، وكان ابن التميمي الحنبلي يقول: لقد خرى أبو يعلي بن الفراء على الحنابلة خرية لا يغسلها الماء.

وفيها توفي الحافظ أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده المرسي، وكان إماما في اللغة، صنف فيها المحكم، وهو كتاب مشهور، وله غيره عدة مصنفات وكان ضريرا، وتوفي بدانية من شرق الأندلس، وعمره نحو ستين سنة.

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٣٤/٢

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة فيها في ذي القعدة فرغت عمارة المدرسة النظامية، وتقرر التدريس بها للشيخ أبي إسحاق الشيرازي واجتمع الناس فتأخر أبو إسحق عن الحضور لأنه سمع شواذا أن أرض المدرسة مغصوبة، ولما تأخر ألقي الدرس بها إلى يوسف بن الصباغ صاحب كتاب الشامل مدة عشرين يوما، ثم اجتهدوا بأبي إسحاق فلم يزالوا به حتى درس فيها.

ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة فيها كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة حتى طلع الماء من رؤوس الآبار، وهلك من الردم عالم عظيم، وزال البحر عن الساحل مسيرة يوم، فنزل الناس أرضه يلتقطون فرجع الماء عليهم وأهلك خلقا كثيرا. وفيها توفي الشيخ أبو منصور عبد الملك بن يوسف، وكان من أعيان الزمان.

ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة فيها احترق جامع دمشق بسبب فتنة وقعت بين المغاربة والمشارقة، فضربت دار مجاورة للجامع بالنار، فاتصلت النار بالجامع، وعجز الناس عن إطفائها، فأتى **الحريق** على الجامع، فدثرت محاسنه، وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة.

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة في هذه السنة توفي طفغاج خان ملك ما وراء النهر، واسمه أبو إسحاق إبراهيم بن نصر أيلك خان، وملك بعده ابنه شمس الملك نصر بن طفغاج، وبقي شمس الملك حتى توفي، ولم يقع لي تاريخ وفاته، وملك بعده أخوه حصر خان بن طفغاج، ثم ملك بعده ابنه أحمد، وبقي أحمد المذكور حتى قتل سنة ثمان وثمانين وأربعمائة على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها كان بمصر غلاء شديد حتى أكل الناس بعضهم بعضا، وانتزح منها من قدر على الانتزاح، واحتاج خليفة مصر المستنصر العلوي إلى إخراج الآلات وبيعها، فأخرج من خزانته ثمانين ألف قطعة بلور كبار، وخمسا وسبعين ألف قطعة من الديباج وأحد عشر ألف كزغندو، وعشرين ألف سيف محلى، ووصل من ذلك مع التجار إلى بغداد.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة فيها قطع محمود بن نصر بن صالح ابن مرداس صاحب حلب خطب المستنصر العلوي، وخطب للقائم العباسي خليفة بغداد. وفيها سار السلطان ألب أرسلان إلى ديار بكر، فأتى صاحبها نصر." (١)

"ذكر وفاة خوارزم شاه في هذه السنة، تاسع جمادى الآخرة، توفي خوارزم شاه أطسز بن محمد بن أنوش تكين، وكان قد أصابه فالج، فاستعمل أدوية شديدة الحرارة، فاشتد مرضه وتوفي، وكانت ولادته في رجب سنة تسعين وأربعمائة، وكان حسن السيرة، ولما توفي ملك بعده ابنه أرسلان بن أطسز.

ذكر وفاة ملك الروم وفي هذه السنة توفي الملك مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بن سلجوق، صاحب قونية وغيرها من بلاد الروم، ولما توفي ملك بعده ابنه قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان المذكور.

ذكر هرب السلطان سنجر من أسر الغز في هذه السنة في رمضان، هرب السلطان سنجر بن ملكشاه من أسر الغز. وسار إلى قلعة ترمذ، ثم سار من ترمذ إلى جيحون، ووصل إلى دار ملكه بمرو في رمضان من هذه السنة، فكانت مدة

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٢/١٨٦

أسره من سادس جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين إلى رمضان سنة إحدى وخمسين وخمسمائة.

ذكر غير ذلك من الحوادث في هذه السنة بايع عبد المؤمن لولده محمد بولاية العهد بعده، وكانت ولاية العهد لأبي حفص عمر، وكان من أصحاب ابن تومرت، وهو من أكبر الموحدين، فأجاب إلى خلع نفسه والبيعة لابن عبد المؤمن.

وفيها استعمل عبد المؤمن أولاده على البلاد، فاستعمل ابنه عبد الله على بجاية وأعمالها، وابنه عمر على تلمسان وأعمالها، وابنه عليا على فارس وأعمالها، وابنه أبا سعيد على سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة، وكذلك غيرهم.

وفي هذه السنة سار الملك محمد ابن السلطان محمود السلجوقي، من همذان بعساكر كثيرة إلى بغداد، وحصرها، وجرى بينهم قتال، وحصن الخليفة المقتفي دار الخلافة، واعتد للحصار، واشتد الأمر على أهل بغداد، وبينما الملك محمد على ذلك، إذ وصل إليه الخبر، أن أخاه ملكشاه ابن السلطان محمود، والدكز صاحب بلاد أران، ومعه الملك أرسلان ابن الملك طغريل بن محمد، وكان الدكز مزوجا بأم أرسلان المذكور، قد دخلوا إلى همذان، فرحل الملك محمد عن بغداد وسار نحوهم، في الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة اثنين وخمسين وخمسمائة.

وفيها **احترقت** بغداد، فاحترق درب فراشا، ودرب الدواب، ودرب اللبان، وخرابة ابن جردة، والظفرية، والخاتونية، ودار الخلافة، وباب الأدج، وسوق." (١)

ذكر غير ذلك من الحوادث

في هذه السنة وصل من الخليفة المستعصم، الخلعة والطوق والتقليد، إلى الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز. وفيها استجار الناصر داود بنجم الدين الباذراي، في أن يتوجه صحبته إلى بغداد، فأخذه صحبته، وتوصل الناصر يوسف صاحب دمشق إلى منعه عن ذلك، فلم يتهيأ له، وسار الناصر داود مع الباذراي إلى قرقيسيا، فأخره الباذراي ليشاور عليه، فأقام الناصر داود في قرقيسيا ينتظر الإذن بالقدوم إلى بغداد فلم يؤذن له، وطال مقامه، فسافر إلى البرية وقصد تيه بني إسرائيل، وأقام مع عرب تلك البلاد.

وفي هذه السنة أو التي قبلها، ظهرت نار بالحرة، عند مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان لها بالليل ضوء عظيم، يظهر من مسافة بعيدة جدا، ولعلها النار التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم من علامات الساعة، فقال " نار تظهر بالحجاز تضيء منها أعناق الإبل ببصرى " ثم اتفق أن الخدام بحرم النبي صلى الله عليه وسلم، وقع منهم في بعض الليالي تفريط، فاشتعلت النار في المسجد الشريف، **واحترقت** سقوفه، ومنبر النبي صلى الله عليه وسلم، وتألم الناس لذلك.

ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة.

ذكر استيلاء التتر على بغداد

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٣/٣٠

وانقراض الدولة العباسية:

في أول هذه السنة قصد هولاكو ملك التتر بغداد وملكها، في العشرين من المحرم، وقتل الخليفة المستعصم بالله، وسبب ذلك أن وزير الخليفة مؤيد الدين ابن العلقمي، كان رافضيا، وكان أهل الكرخ أيضا روافض، فجرت فتنة بين السنية والشيعة ببغداد، على جاري عادتهم، فأمر أبو بكر ابن الخليفة، وركن الدين الدوادار، العسكر، فنهبوا الكرخ وهتكوا النساء، وركبوا منهن الفواحش، فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمي، وكاتب التتر وأطمعهم في ملك بغداد." (١)

"ساروا إلى جهة المجمع، وكان سلار والجاشنكير هما المتغلبان على المملكة، فداخل الأمراء الطمع، ولم يكملوا عدة جندهم، فنقص العسكر كثيرا مع سوء التدبير، ونحو ذلك من الأمور الفاسدة التي أوجبت هزيمة العسكر، ثم ساروا والتقوا عند العصر من نهار الأربعاء، السابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة، الموافق للثالث والعشرين من كانون الأول من شهور الروم، بالقرب من مجمع المروج في شرقي حمص، على نحو نصف مرحلة من حمص، فولت ميمنة المسلمين، ثم الميسرة، وثبت القلب، واحتاطت به التتر وجرى بينهم قتال عظيم، وتأخر السلطان إلى جهة حمص حتى أدركه الليل، فولت العساكر الإسلامية تبتدر الطريق، وتمت بهم الهزيمة إلى ديار مصر المحروسة، وتبعهم التتر واستولوا على دمشق، وساقوا في إثر الجفال إلى غزة والقدس وبلاد الكرك، وكسبوا وغنموا من المسلمين الجفال شيئا عظيمة.

ذكر المتجددات بعد الكسرة

وكان ق بجق وبكتمر السلحدار والبكي مع قازان، من حين هربوا من حمص على ما قدمنا ذكره في سنة سبع وتسعين وستمائة، فلما استولى قازان على دمشق، أخذ سيف الدين قبجق الأمان لأهل دمشق ولغيرهم، من قازان ملك التتر، واستولى قازان على مدينة دمشق، وعصت عليه القلعة، وأمر بحصارها، فحوصرت، وكان النائب بها الأمير سيف الدين أرحواش المنصوري، فقام في حفظها أتم قيام، وصبر على الحصار ولم يسلمها، وأحرق الدور التي حوالي القلعة والمدارس، فاحترقت دار السعادة التي كانت مقر نواب السلطنة، وكذلك احترق غيرها من الأماكن الجليلة، وأما عسكر مصر فإنهم لما وصلوا إلى مصر، رسم لهم بالنفقة، فأنفق فيهم أموال جليلة، وأصلحوا أحوالهم، وجددوا عدتهم وخيولهم، وأقام قازان بمرج دمشق المعروف بمرج الزنبقة، ثم عاد إلى بلاده الشرقية، وقرر في دمشق قبجق، وجرد صحبته عدة من المغل.

فلما بلغ العساكر المصرية مسير قازان عن الشام، خرجوا من مصر في العشر الأول من شهر رجب من هذه السنة، وخرج السلطان إلى الصالحية، ثم اتفق الحال على مقام السلطان بالديار المصرية، ومسير سلار، وبيبرس الجاشنكير بالعساكر إلى الشام، فسار المذكوران بالعساكر، وكان قبجق وبكتمر السلحدار، والألبكي، قد كاتبوا المسلمين في الباطن وصاروا معهم، فلما خرجت العساكر من مصر، هرب قبجق ومن معه من دمشق وفارقوا التتر، وساروا إلى جهة ديار مصر، وبلغ ذلك التتر المجردين بدمشق، فخافوا وساروا من وقتهم إلى البلاد الشرقية، وخلا الشام منهم، ووصل قبجق والألبكي

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ١٩٣/٣

وبكتمر السلحدار إلى الأبواب السلطانية، فأحسن إليهم سلطان، ووصل سلار وبيبرس الجاشنكير إلى دمشق، وقررا أمور الشام، ورتبا في." (١)

"ثم سار منها حتى وصل إلى عانة، ولما وصل المذكور هناك، هرب آل عيسى إلى وراء الكبيسات، وعيسى المذكور هو أعيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عصبة بن فضل بن ربيعة، وأقام السلطان موضع مهنا؛ محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة بن عصبة المذكور، ولما جرى ذلك، عاد الأمير سيف الدين المذكور وأقام بالرحبة حتى نجزت مغلاتها وحملت إلى القلعة، ثم سار منها ونزل على سلمية في يوم الخميس منتصف رجب من السنة المذكورة، الموافق للحادي والعشرين من آب، واستمر مقيما على سلمية حتى وصل إليه الدستور، فسمار منها إلى الديار المصرية في يوم الاثنين تاسع شهر رمضان من السنة المذكورة، الموافق لثالث عشر تشرين الأول، وأتم سيره حتى وصل إلى مصر.

ذكر هلاك صاحب سيس

في هذه السنة مات صاحب سيس، أرشين بن ليفون، عقيب الإغارة على بلده، وكان المذكور مريضا لما دخلت العساكر إلى بلاده، وشاهد حريق بلاده وخراب أماك‍نه، وقتل رعيته وسوق دوابهم، فتضاعفت أحلامه وهلك في جمادى الأولى من هذه السنة، وخلف ولدا صغيرا دون البلوغ فأقيم مكانه، وتولى تدبير أمره جماعة من كبار الأرمن.

ذكر مقتل حميضة

ولما جرى من حميضة ما تقدم ذكره، واستمر وصول العساكر من الديار المصرية إلى مكة لحفظها من المذكور رأى المذكور عجزه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، فعزم على الحضور إلى مقدم العسكر المقيم بمكة، وهو الأمير ركن الدين بيبرس أمير أخور، ودخوله في الطاعة، وكان قد هرب من بعض المماليك السلطانية من منى، لما حج السلطان، ثلاثة مماليك، يقال لأحدهم أيدغدي والتجأوا إلى حميضة في برية الحجاز، فآواهم وأكرم مثواهم، فلما عزم حميضة على الحضور إلى الطاعة، اتفقوا على قتله واغتياله، وكان حميضة قد نزل على القرب من وادي نخلة، فلما كان وقت القيلولة، ذهب إلى تحت شجرة ونام، فقتله أيدغدي المذكور بالسيف، وقطع رأس حميضة وأحضره إلى مقدم العسكر بمكة، فحمل إلى جن يدي السلطان بالديار المصرية، وكفى الله شر حميضة المذكور ولقاه عاقبة بغيه.

وكان حميضة المذكور قد ذبح أخاه أبا الغيث فاقتص الله منه، وكان مقتله في يوم الخميس سابع عشر جمادى الأولى من هذه السنة، الموافق للرابع والعشرين من تموز، بالقرب من وادي نخلة.

وفيها تصدق السلطان على ولدي محمد، وأرسل له تشريفا، أطلس أحمر بطرز زركش، وقندس، وتحتاني أطلس أصفر، وشربوش مزركش، ومكلل باللؤلؤ، وأمر له بأمرية وستين فارسا لخدمته طبلخاناه، فركب محمد بالتشريف المذكور بحماة، يوم الاثنين الخامس من رجب الموافق لحادي عشر آب، وكان." (٢)

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٤٣/٤

(٢) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٨٩/٤

"يعرف الحاجبية والتصريف، وكان فيه دين وصداقة رحمه الله تعالى.

وفيها في ربيع الآخر، تولى قضاء القضاة بحلب، القاضي شمس الدين محمد بن النقيب، نقل من طرابلس وولي طرابلس كعده شمس الدين محمد بن المجد عيسى البعلي، سار من دمشق إليها.

وفيها في جمادى الأولى، أنشأ الأمير سيف الدين مغلطاي الناصري مدرسة حنفية بالقاهرة ومكتب أيتام. وفيها في جمادى الآخرة مات الأمير العالم سيف الدين أبو بكر محمد بن صلاح الدين بن صاحب الكرك بالجبل، وكان فاضلا شاعرا.

وفيه وصل الخبر بعافية السلطان من كسر يده، فزينت دمشق وخلع على الأمراء والأطباء.

وفيه مات بمكة قاضيها الإمام نجم الدين أبو حامد. وفيه مات الشيخ إبراهيم الهدمة، وله كرامات وشهرة.

وفيه حضرت رسل الفرنج يطلبون بعض البلاد، فقال السلطان ألولا أن الرسل لا يقتلون لضربت أعناقكم، ثم سفروا.

وفيها في رجب ماتت زوجة تنكز، وعمل لها تربة حسنة قرب باب الخواصين، ورباط.

وفيها في رمضان مات قاضي طرابلس شمس الدين محمد بن مجد الدين عيسى الشافعي البعلي وكان صاحب فنون قلت:

لقد عاش دهرا يخدم العلم جهده ... وكان قليل المثل في العلم والود

فلما تولى الحكم ما عاش طائلا ... فما هنئ ابن المجد والله بالمجد

وفيه أنشأ الأمير سيف الدين قوصون الناصري جامعا عند جامع طولون، عند دار قتال السابع، فخطب به أول يوم قاضي القضاة جلال الدين بحضور السلطان وقرر لخطابته القاضي فخر الدين محمد بن شكر.

وفيها في شوال مات رئيس الكحالين نور الدين علي بمصر.

وفيها احترقت الكنيسة المعلقة بمصر، وبقيت كوما.

وفيها قدم رسول صاحب اليمن بهدية، فقيد وسجن، لأن صاحب الهند بعث إلى السلطان بهدايا فأخذها صاحب اليمن، وقتل بعض من كان معها وحبس بعضهم.

وفيها في ذي القعدة مات الأمير علاء الدين قلبرس ابن الأمير علاء الدين طبرس بدمشق بالسهم، وكان مقدم ألف، وله معروف، وخلف أموالا. ومات الأمير جف الدين كوليجار المحمدي.

وفيها بدمشق في ذي الحجة، مات المعمر المسند زين الدين أيوب بن نعمة، وكانت لحيته شعرات يسيرة وكان كحالا. ومات بها أيضا الصالح الزاهد الشيخ حسن المؤذن بالمأذنة الشرقية بالجامع، وكان مجاورا به. ومات بدر الدين محمد بن الموفق إبراهيم بن داود بن العطار، أخو الشيخ علاء الدين، ببستانه، وصلاح الدين يوسف بن شيخ السلامية صهر الصاحب، وشيعه الخلق وفجع به أبواه وكان شابا متميزا من أبناء الدنيا المتنعمين.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة.

فيها وردت كتب الحجاج بما جرى بمكة، شرفها الله تعالى، حول البيت من ثورة عبيد مكة، ساعة الجمعة بالوفد، من النهب والجراحة وقتل جماعة من الحجاج، وقتل أمير." (١)

"ستروا المكرم بالحرير وستره ... بالدر والياقوت غير كثير

ستروه وهو من الغواية سترنا ... عجبي لهذا الساتر المستور

ومات فجأة التاجر علاء الدين علي السنجاري بالقاهرة، وهو الذي أنشأ دار القرآن بباب الناطفانيين قلت:

ما مات من هذي صفاته ... فوفاة ذا عندي حياته

إن مات هذا صورة ... أحيت معنى سالفاته

ومات بمصر، الواعظ شمس الدين حسين، وهو آخر أصحاب الحافظ المنذري، سمع من جماعة، وكان عالما حسن الشكل. ومات الفاضل الأديب زكي الدين المأمون الحميري المصري المالكي بمصر، ولي نظر الكرك والشوبك، وعمر نحو تسعين سنة.

وفيها في رجب مات الفقيه محمد بن محي الدين محمد ابن القاضي شمس الدين ابن الزكي العماني، شابا درس مدة بدمشق.

ومات الحافظ قطب الدين الكلبي بالحسينية حفظ الألفية والشاطبية، وسمع من القاضي شمس الدين بن العماد وغيره، وحج مرات وصنف وكان كيسا حسن الأخلاق؛ مطرحا للتكلف؛ ط ا هر اللسان مضبوط الأوقات، شرح معظم البخاري، وعمل تاريخا لمصر لم يتمه، ودرس الحديث بجامع الحاكم، وخلف تسعة أولاد، ودفن عند خاله الشيخ نصر المنبجي.

وفيه أخرج السلطان من حبس الإسكندرية ثلاثة عشر نفرا منهم تمر الساقي الذي ناب بطرابلس، وبيبرس الحاجب وخلع على الجميع، وفيه طلب قاضي الإسكندرية فخر الدين بن سكين وعزل بسبب فرنجي.

وفيها في شعبان مات المفتي بدر الدين محمد بن الفويرة الحنفي سمع وحدث.

ومات القاضي زين الدين عبد الكافي بن علي بن تمام، روى عن الأنماطي وأخذ عنه ابن رافع وغيره.

ومات عز الدين يوسف الحنفي بمصر، حدث عن إبراهيم، وناب في الحكم.

وفيها في رمضان مات صاحبنا شمس الدين محمد بن يوسف التدمري، خطيب حمص، كان يفتي ويدرس.

وتولى قضاء الإسكندرية العماد محمد بن إسحاق الصوفي.

وفيها في شوال قدم عسكر حلب، والنائب من غزاة بلد سيس، وقد خربوا في بلد أذنة وطرسوس، وأحرقوا الزروع واستاقوا المواشي، وأتوا بمائتين وأربعين أسيرا، وما عدم من المسلمين سوى شخص واحد، غرق في النهر، وكان العسكر عشرة آلاف سوى من تبعهم، فلما علم أهل إياس بذلك أحاطوا بمن عندهم من المسلمين التجار وغيرهم، وحبسوهم في خان ثم أحرقوه، فقل من نجا، فعلوا ذلك بنحو ألفي رجل من التجار البغاددة وغيرهم في يوم عيد الفطر فلله الأمر.

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ١٠١/٤

واحترق في حماة مائتان وخمسون حانوتا، وذهبت الأموال واهتم الملك بعمارة ذلك وكان **الحريق** عند الفجر إلى طلوع الشمس، وذكر أن شخصا رأى ملائكة يسوقون النار، فجعل ينادي." (١)

"أمسكوا يا عباد الله، لا ترسلوا، فقالوا أبهذا أمرنا ثم إن رجل توفي لساعته.

وناب بدمشق في القضاء، شهاب الدين أحمد بن شرف الزرعي الشافعي.

قاضي حصن الأكراد.

وورد الخبر **بحريق** أنطاكية قبل رجوع العسكر، فلم يبق بها إلا القليل، ولم يعلم سبب ذلك.

وفيها في ذي القعدة توفيت زينب بنت الخطيب يحيى ابن الإمام عز الدين بن عبد السلام السلمي، سمعت من جماعة، وكان فيها عبادة وخير وحدثت.

ومات الطبيب جمال الدين عبد الله بن عبد السيد، ودفن في قبر أعده لنفسه، وكان من أطباء المارستان النوري بدمشق، وأسلم مع والده الذبان سنة إحدى وسبعمائة.

ومات حسام الدين مهنا بن عيسى أمير العرب، وحزن عليه آله، وأقاموا مأتما بليغا ولبسوا السواد، أناف على الثمانين. وله معروف، من ذلك مارستان جيد بسرمين، ولقد أحسن برجوعه إلى طاعة سلطان الإسلام قبل وفاته، وكانت وفاته بالقرب من سلمية.

ومات المحدث الرئيس العالم شمس الدين محمد بن أبي بكر بن طرخان الحنبلي سمع من ابن عبد الدائم وغيره، وكان بديع الخط، وكتب الطباق، وله نظم.

وفيها في ذي الحجة مات الفقيه الزاهد شرف الدين فضل بن عيسى بن قنديل العجلوني الحنبلي بالمسمارية، كان له اشتغال وفهم ويد في التعبير، وتعفف وقوة نفس، عرض عليه خزن المصحف العثماني فامتنع، رحمه الله تعالى.

وفيها وصل الأمير سيف الدين أبو بكر الباشري إلى حلب، وصحب معه، الرجال والصناع، وتوجه إلى قلعة جعبر، وشرع في عمارتها، وكانت خرابا من زمن هولاكو، وهي من أمنع القلاع، تسبب في عمارتها الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام، ولحق المملكة الحلبية وغيرها بسبب عمارتها ونفوذ ماء الفرات إلى أسفل منها كلفة كثيرة.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وسبعمائة.

فيها في المحرم، باشر السيد النقيب الشريف بدر الدين محمد ابن السيد شمس الدين بن زهرة الحسيني، وكالة بيت المال بحلب، مكان شيخنا القاضي فخر الدين أبي عمرو وعثمان بن الخطيب زين الدين علي الجبريني.

وفيها في المحرم نزل نائب الشام الأمير سيف الدين تنكز بعسكر الشام إلى قلعة جعبر وتفقدها، وقرر قواعدها وتصيد حولها، ثم رحل فنزل بمرج بزاعا، ومد له نائب حلب الأمير علاء الدين الطنبغا به سماطا، ثم سافر إلى جهة دمشق.

وفيها في صفر طلب من البلاد الحلبية رجال للعمل في نهر قلعة جعبر، ورسم أن يخرج من كل قرية نصف أهلها، وجلا كثير من الضياع بسبب ذلك، ثم طلب من أسواق حلب أيضا رجال، واستخرجت أموال، وتوجه النائب بحلب إلى قلعة

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٤/١١٥

جعبر بمن حصل من الرجال، وهم نحو عشرين ألفا.

وفيها في جمادى الآخرة، وصل البريد إلى حلب بعزل القاضي شمس الدين محمد بن بدر الدين أبي بكر بن إبراهيم ابن النقيب، عن القضاء بالمملكة الحلبية، وبتولية شيخنا قاضي القضاة فخر الدين أبي عمر وعثمان بن خطيب." (١)

"لقد قالت لنا حلب مقالا ... وقد عزم المشد على الرواح

إذا عم الفساد جميع وقفي ... فكيف أكون قابلة الصلاح

وفيها في جمادى الآخرة ولي القاضي برهان الدين إبراهيم بن خليل بن إبراهيم الرسعني قضاء الشافعية بحلب، بذل لطرغاي نائبها مالا، فكاتب في ولايته، وهو أول من بذل في زماننا على القضاء بحلب، وكان القضاة قبله يخطبون ويعطون من بيت المال، حتى بلوا، ولذلك لم يصادف راحة في ولايته، ويعجبني قول القائل:

فلان لا تحزن إذا ... نكبت واعرف ما السبب

فما تولى حاكم ... بفضة إلا ذهب

وفيها توفي طقتمر الخازن نائب قلعة حلب، كانت تصدر منه في الدين ألفاظ منكرة، واشترى قبل وفاته دارا عند مدرسة الشاذبخت، وعمل فيها تصاوير، وكثر الطعن عليه بسببها. قلت:

ما حل فيها زحل ... إلا لنحس المشتري

فانعدمت صورته ... من شؤم تلك الصور

وخلف مالا طائلا.

وفيها في شعبان، توفي الخليفة أبو الربيع سليمان المستكفي بالله، في قوص، وقد أخرج إلى الصعيد سنة ثمان وثلاثين، وخلافته تسع وثلاثون سنة؛ ولله قولي على لسانه: مثلي يعيش بالموت، ويبلغ المنى بالفوت، إلى كم لهم العيشة الرطبة، ولي مجرد الخطبة، فلهم الملك الصريح، ولسليمان الريح:

أحمد الله الذي جنبني ... كلف الملك وأمرا صعبا

لم أجد للملك ماء صافيا ... فتيممت صعيدا طيبا

وفيها بعد موت المستكفي، بويع بالخلافة أبو إسحاق إبراهيم ابن أخي المستكفي. وفيها كان **الحريق** بدمشق، وذهبت فيه أموال ونفوس، **واحترقت** المنارة الشرقية، والدهشة، وقيسارية القواسين، وتكرر، وأفرت طائفة من النصارى بدمشق بفعله، فصلب تنكز منهم أحد عشر رجلا، ثم وسطوا بعد أن أخذ منهم ألف ألف درهم، وأسلم ناس منهم، وبيعت بنت الملين بمال كثير، فاشتراها تنكز، وعملت المقامة الدمشقية في هذا المعنى، وسميتها صفو الرحيق، في وصف **الحريق**. وختمتها بقولي:

وعادت دمشق فوق ما كان حسنها ... وأمست عروسا في جمال مجدد

وقالت لأهل الكفر موتوا بغيظكم ... فما أنا إلا للنبي محمد

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ١١٦/٤

ولا تذكروا عندي معابد دينكم ... فما قصبات السبق إلا لمعبد

وفيها في ذي الحجة، باشر القاضي ناصر الدين محمد ابن الصاحب شرف الدين يعقوب،." (١)

"وفيها أبو بكر محمد بن العباس بن نجيح البغدادي البزار، وله اثنتان وثمانون سنة، وكان يحفظ ويذاكر روى عن أبي قلابة الرقاشي وعدة.

وفيها أبو عمر الزاهد، غلام ثعلب، وصاحبه وهو محمد بن عبد الواحد البغدادي اللغوي، قيل إنه أملى ثلاثين ألف ورقة في اللغة من حفظه، وكان ثقة، آية في الحفظ والذكاء، وقد روى عن موسى الوشاء، وأحمد بن عبيد الله النرسي وطائفة.

وفيها الوزير الماذرائي، أبو بكر محمد بن علي البغدادي الكاتب، وزر لخمارويه صاحب مصر، وعاش نحو التسعين، **واحترقت** سماعاته، وسلم له جزءان، سمعهما من العطاردي، وكان من صلحاء الكبراء، وأما معروفه، فإليه المنتهى، حتى قيل إنه أعتق في عمره مائة ألف رقبة. وأنفق في حجة حجها، مائة ألف دينار، وبغ ارتفاع مغله بمصر، من أملاكه في العام، أربعمائة ألف دينار، قاله المسبحي.

وفيها مكرم بن أحمد، القاضي أبو بكر البغدادي البزار. سمع م حمد ابن عيسى المدايني، والدير عاقولي وجماعة، وثقة الخطيب.

وفيها المسعودي المؤرخ، صاحب مروج الذهب في جمادى الآخرة. وهو علي بن الحسين بن علي.." (٢)

"أبو سعيد الإدريسي، وعاش ستا وثمانين سنة.

وفيها الدراج، أبو عمر وعثمان بن عمر بن خفيف البغدادي المقرئ، روى عن ابن المجدر وطائفة. قال البرقاني: كان بدلا من الأبدال.

وفيها محمد بن الحارث بن أسد المحاسبي القيرواني، أبو عبد الله الحافظ، نزيل قرطبة، صنف كتاب الاختلاف والافتراق في مذهب مالك، وكتاب الفتيا، وكتاب تاريخ الأندلس، وكتاب تاريخ أفريقية، وكتاب النسب.

سنة اثنتين وستين وثلاثمئة

فيها أخذت الروم نصيبين واستباحوها، وتوصل من نجا إلى بغداد، وقام معهم المطوعة، واستنفروا الناس، ومنعوا من الخطبة، وحاولوا الهجوم على المطيع، وصاحوا عليه بأنه عاجز مضيع لأمر المسلمين، فسار العسكر من جهة الملك م، عز الدولة بختيار، فالتقوا الروم، فنصروا عليهم، وأسروا جماعة من البطارقة، ففرح المسلمون.

وفي رمضان، قتل ببغداد رجل من أعوان الوالي، فبعث الوزير الشرازي – قبحه الله – من طرح النار، من النحاسين إلى السماكين فاحترق ببغداد **حريق** لم يسمع بمثله، واحترق فيه جماعة كثيرة في البيوت، فأحصي ذلك، فكان ثلاثمئة

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ١٣٢/٤

(٢) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٧١/٢

وسبعة عشر دكانا، وثلاثمائة وعشرين دارا، وثلاثة وثلاثين مسجدا فاستغاث رجل: أيها الوزير: أريتنا قدرتك، ونرجو من." (١)

"وفيها توفي الحرفي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفي المحدث. قال الخطيب: كان صدوقا، غير أن سماعه في بعض ما وراء عن النجتد، كان مضطربا، مات في شوال، وله سبع وثمانون سنة. د والنعيمي أبو الحسن علي بن أحمد البصري الحافظ، روى عن طائفة، ومات كهلا. قال الخطيب: كان حافظا عارفا متكلما شاعرا.

والكاغدي، أبو الفضل منصور بن نصر السمرقندي، مسند ما وراء النهر. روى عن الهيثم الشاشي، ومحمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة، توفي بسمرقند، في ذي القعدة، وقد قارب المئة.

سنة أربع وعشرين وأربعمئة

فيها اشتد الخطب ببغداد، بأمر الحرامية، وأخذوا أموال الناس عيانا، وقتلوا صاحب الشرطة، وأخذوا لتاجر ما قيمته عشرة آلاف دينار، وبقي الناس لا يجسرون أن يقولوا فعل البرجمي، خوفا منه، بل يقولون عنه، القائد أبو علي، واشتهر عنه أنه لا يتعرض لامرأة، ولا يدع أحدا يأخذ شيئا عليها، فلما زاد وأسرف، انتدب له جماعة أمراء وتطلبوه، وجاءوا إلى الأجمة التي يأوي إليها، فبرز لهم وقال: من العجب خروجكم إلي وأنا كل ليلة عندكم، فإن شئتم فارجعوا، وأنا أجيء إليكم، وإن شئتم فادخلوا، فلم يتجاسروا عليه، ثم زادت العملات والكبسات، ووقع القتال في القلائين، **واحترقت** أماكن وأسواق ومساجد، واستفحل الشر، وثارت الجند بالسلطان جلال الدولة، وقبضوا عليه ليرسلوه إلى واسط والبصرة، وأنزلوه في مركب، وابتلت ثيابه وأهين، ثم رحموه، فأخرجوه وأركبوه فرسا ضعيفة." (٢)

"وخديجة بنت محمد بن علي الشاهجانية الواعظة ببغداد، كتبت بخطها عن ابن سمعون، وتوفيت في المحرم، عن أربع وثمانين سنة.

وعائشة بنت الحسن الوركانية الأصبهانية. روت عن أبي عبد الله بن مندة.

وعبد الدائم بن الحسن الهلالي الحوراني ثم الدمشقي، آخر أصحاب عبد الوهاب الكلابي، عن ثمانين سنة.

سنة إحدى وستين وأربعمئة

في نصف شعبان، احترق جامع دمشق كله، من حرب وقع بين الدولة، فضربوا بالنار دارا مجاورة للجامع، فقضي الأمر، واشتد الخطب، وأتى **الحريق** على سائره، ودثرت محاسنه، وانقضت مدة ملاحته.

وفيها توفي الفوراني، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن فوران المروزي، شيخ الشافعية، وتلميذ القفال، وذو التصانيف الكثيرة، وعنه أخذ أبو سعد المتولي، صاحب التتمة، وكان صاحب النهاية، يحط على الفوراني بلا حجة.

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٢/١١٢

(٢) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٢/٢٥٠

وعبد الرحيم بن أحمد البخاري الحافظ، أبو زكريا، ذو الرحلة الواسعة، سمع ببخارى من الحليمي، وبخراسان من أبي يعلى المهلبي، وبدمشق من تمام، وبمصر من عبد الغني بن سعيد، وببغداد من أبي عمر بن." (١)

"سنة خمس وثمانين وأربعمئة

فيها وقة جيان بالأندلس، أقبل الإذفونش في جموع عظيمة، فالتقاه المسلمون فانهزموا. ثم تراجع الناس وثبتوا ونزل النصر، فانزم الملاعين. وقتل منهم خلق عظيم، وكان ملحمة كبرى.

وفي عاشر رمضان قتل نظام الملك.

وفيها أخذت خفاجة ركب العراق، وكان **الحريق** العظيم ببغداد، فاحترق من الناس عدد كثير، واحترق عدة أسواق كبار، من الظهر إلى العصر.

وفيها توفي أبو الفضل، جعفر بن يحيي الحكاك، محدث مكة، وكان متقنا، حجة صالحا. روى عن أبي ذر الهروي وطائفة، وعاش سبعين سنة.

ونظام الملك، الوزير أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، قوام الدين، كان من جلة الوزراء، ذكره أبو سعد السمعاني فقال: كعبة المجد، ومنبع الجود، كان مجلسه عامرا بالقراء والفقهاء، أنشأ المدارس بالأمصار، ورغب في العلم، وأملى وحدث، وعاش ثمانيا وسبعين سنة، أتاه شاب صوفي الشكل من الباطنيِة، ليلة عاشر رمضان، فناوله قصة، ثم ضربه بسكين في صدره، قضى عليه، فيقال إن ملكشاه، دس عليه هذا، فالله أعلم.

وأبو عبد الله بن المرابط، قاضي المرية وعالمها محمد بن خلف بن سعيد الأندلسي، روى عن المهلب بن أبي صفرة وجماعة، وصنف شرحا للبخاري، وكان رأسا في مذهب مالك، ارتحل الناس إليه، وتوفي في شوال.

وأبو بكر الشاشي، محمد بن علي بن حامد الفقيه، شيخ الشافعية،." (٢)

"وصاحب الطريقة المشهورة، والمصنفات المليحة، درس مدة بغزنة ثم بهراة ونيسابور، وحدث عن منصور الكاغدي، وتفقه ببلاده على أبي بكر السنجي، وعاش نيفا وتسعين سنة. توفي بهراة.

ومحمد بن عيسى بن فرج، أبو عبد الله التجيبي المغامي الطليطلي، مقرئ الأندلس، أخذ عن أبي عمرو الداني، ومكي بن أبي طالب وجماعة. أقرأ الناس مدة.

وابو عبد الله البانياسي، مالك بن أحمد بن علي بن الفراء البغدادي واحترق في **الحريق** الذكور في جمادى الآخرة، له سبع وثمانون سنة، وهو آخر من حدث عن أبي الحسن بن الصلت المجبر، وسمع من جماعة.

والسلطان ملكشاه، أبو الفتح جلال الدولة بن السلطان ألب أرسلان محمد ابن داود السلجوقي التركي، تملك بلاد ما وراء النهر، وبلاد الهياطلة، وبلاد الروم، والجزيرة، والشام، والعراق، وخراسان، وغير ذلك. قال بعض المؤرخين: ملك من مدينة كاشغر الترك، إلى بيت المقدس طولا، ومن الـقسطنطينية وبلاد الخزر، إلى بحر الهند عرضا، وكان حسن السيرة،

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٢/٣١١

(٢) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٢/٣٤٩

محسنا إلى الرعية، وكانوا يلقبونه بالسلطان العادل، وكان ذا غرام بالعمائر وبالصيد، مات في شوال، بعد وزيره النظام بشهر، فقيل إنه سم في في خلال، ونقل في تابوت، فدفن بأصبهان، في مدرسة كبيرة له.

سنة ست وثمانين وأربعمئة

لما علم تتش بدمشق موت أخيه، أنفق الأموال، وتوجه ليأخذ السلطنة، فسار معه من حلب، قسيم الدولة، آقسنقر، ودخل في طاعته باغبسان." (١)

"وأبو الحسن عبد العزيز بن عبد الملك بن شفيع الأندلسي المربي المقرئ، تلميذ عبد الله بن سهل. تصدر للإقراء مدة. وحدث، عن ابن عبد البر وجماعة. وفي روايته عن ابن عبد البر كلام. توفي في عشر التسعين.

وأبو الحسن بن الموازيني علي بن الحسن السلمي، أخو محمد. روى عن ابن سعدان، وابن عبد الرحمان بن أبي نصر وطائفة، وعاش أربعا وثمانين سنة.

ومحمود بن إسماعيل أبو منصور الإصبهاني الصيرفي الأشقر، راوي " المعجم الكبير " عن ابن فاذشاه، عن مؤلفه الطبراني، وله ثلاث وتسعون سنة.

توفي في ذي القعدة.

قال السلفي: كان صالحا.

سنة خمس عشرة وخمس مئة

فيها احترقت دار السلطنة ببغداد، وذهب ما قيمته ألف ألف دينار.

وفيها توفي أبو علي الحداد الحسن بن أحمد بن الحسن الإصبهاني المقرئ المجود مسند الوقت. توفي في ذي الحجة عن ست وتسعين سنة. وكان مع علو إسناده أوسع أهل وقته رواية. حمل الكثير عن أبي نعيم، وكان خيرا صالحا ثقة.

والأفضل أمير الجيوش شاهنشاه أبو القاسم ابن أمير الجيوش." (٢)

"قلت: ثم استولى أسد الدين على الصعيد وتقوى بخراجها.

وأقامت الفرنج بالقاهرة حتى استراشوا ثم قصدوا الإسكندرية وقد أخذها صلاح الدين.

فحاصروه أربعة أشهر ثم كر أسد الدين منجدا له فترحلت الملاعين بعد أن استقر لهم بالقاهرة شحنة وقطيعة مائة ألف دينار في العام.

وصالح شاور أسد الدين على خمسين ألف دينار أخذها ونزل إلى الشام.

وفيها قدم قطب الدين صاحب الموصل على أخيه نور الدين فغزوا الفرنج وأخذوا غير حصن.

وفيها احترقت اللبادين حريقا عظيما صار تاريخا وأقامت النار تعمل أياما.

وصار أصلها من دكان طباخ وذهب للناس مالايحصى.

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٢/٣٥٠

(٢) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٢/٤٠٤

وفيها توفي خطيب دمشق أبو البركان الخضر بن شبل بن عبد الحارثي الدمشقي الفقيه الشافعي.

درس بالغزاليه والمجاهدية.

وبنى له نور الدين مدرسته التي عند باب الفرج فدرس بها وتعرف الأن بالعمادية.

قرأ علبى أبي الوحش سبيع صاحب الأهوازي وسمع من أبي الحسن بن الموازيني توفي في ذي القعدة.

وعبد الجليل بن أبي سعد الهروي أبو محمد المعدل مسند هراة.

تفرد بالرواية عن بيبي الهرثمية وعبد الرحمان كلار وعاش اثنتين وتسعين سنة.

وهو أكبر شيخ للحافظ عبد القادر الرهاوي.

والحافظ أبو سعد السمعاني تاج الإسلام عبد الكريم بن محمد بن منصور المروزي محدث المشرق وصاحب التصانيف الكثيرة والرحلة الواسعة.

عاش ستا وخمسين سنة.

سمع حضورا من الشيروي وأبي منصور الكراعي.." (١)

"وجمال الدين بن فضلان العلامة أبو القاسم يحيى بن علي البغدادي الشافعي.

عاش ثمانين سنة.

وروى عن أبي غالب ابن البنا.

وكان من أئمة علم الخلاف والجدل مشارا إليه في ذلك.

ارتحل إلى محمد بن يحيى صاحب الغزالي مرتين.

وكان يجري له وللمجير البغدادي بحوث ومحافل.

توفي في شعبان.

والمنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيسي الملقب بأمير المؤمنين.

بويع سنة ثمانين بعد أبيه وسنة اثنتان وثلاثون سنة.

وكان صافي اللون جميلا أعين أفوه أقنى أكحل مستدير اللحية ضخما جهوري الصوت جزل الألفاظ كثير الإصابة بالظن والفراسة خبيرا ذكيا شجاعا محبا للعلوم كثير الجهاد ميمون النقيبة ظاهري المذهب معاديا لكتب الفقه والراي.

أباد منها شيئا كثيرا **بالحريق**.

وحمل الناس على التشاغل بالأثر.

سنة ست وتسعين وخمس مائة

فيها تسلطن علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش بعد موت أبيه علاء الدين..

.

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٣٧/٣

وفيها كانت دمشق محاصرة وبها العادل وعليها الأفضل والظاهر ابن صلاح الدين وعساكرهما نازلة قد خندقوا عليهم من أرض اللوان إلى يلدا خوفا من كبسة عسكر العادل.

ثم ترضوا عنها ورد الظاهر إلى حلب وسار الأفضل إلى مصر.

فساق وراءه وأدركه عند الغرابي.

ثم." (١)

"سنة إحدى وثمانين وست مئة

في ليلة حادي عشر رمضان احترقت اللبادين وجميع أسواقها الفوقانية والتحتانية وقواسيرها.

وكان منظرا مهولا ذهب للناس فيه من الأموال ما لا يوصف ولم يحترق فيه أحد.

وكان مبدأه من دكان أولاده عثمان الجابي وأعيد هذا أحسن ما كان عمارة مع الملازمة وكثرة الصناع في سنتين.

وفيها توفي الأمين الأشتري الإمام أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الشافعي الحلبي.

ولد سنة خمس عشرة وسمع من أبي محمد بن علوان والقزويني وابن روزبة وطائفة.

وكان بصيرا بالمذهب ورعا صالحا كبير القدر.

توفي بدمشق فجأة في ربيع الأول.

وابن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الإربلي الشافعي.

ولد سنة ثمان وست مائة.

وسمع البخاري من ابن مكرم وأجاز له المؤيد الطوسي وجماعة.

وتفقه بالموصل على الكمال بن يونس وبالشام على ابن شداد.

ولقي كبار العلماء وبرع في الفضائل والآداب وسكن مصر مدة وناب في القضاء.

ثم ولي قضاء الشام عشر سنين.

وعزل بابن الصايغ سنة تسع وستين.

فأفام سبع سنين معزولا بمصر ثم رد إلى قضاء الشام.

وكان كريما جوادا سريا ذكيا أحوزيا عارفا بأيام الناس.

توفي في رجب.

والبرهان الدرجي أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى القرشي الدمشقي الحنفي إمام مدرسة الكشك.

روى عن الكندي وأبي الفتوح البكري.

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ١١٣/٣

وأجاز له أبو جعفر الصيدلاني وطائفة.

روى المعجم الكبير." (١)

"وجمع الخلق على وجوههم في الوحل والأمطار ثم ساق الشيخ تقي الدين في البريد إلى القاهرة وحرضهم على الجهاد واجتمع بأكابر الأمراء ثم نودي في دمشق: من قدر على الهرب فلينج بنفسه.

فانقلبت المدينة وانرص الخلق بالقلعة وأشرف الناس على خطة صعبة وأبيع اللحم بتسعة دراهم وبقي الخوف أياما.

ثم تناقص برجعة غازان لما ناله من المشاق والثلوج.

وفيها توفي العز أحمد بن العماد عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف ابن محمد بن قدامة أبو العباس المقدسي الصالح.

روى عن الشيخ الموفق وابن أبي لقمة وابن راجح وموسى بن عبد القادر وطائفة وخرج له مشيخة سمعها خلق.

وزاره نائب السلطنة توفي في ثالث المحرم وله ثمان وثمانون سنة.

والعماد أحمد بن محمد بن سعد بن عبد الله بن سعد أبو العباس المقدسي الصالحي الحنبلي.

شيخ صالح فاضل مشهور.

روى عن القزويني وابن الزبيدي وجماعة.

وروى الكثير.

توفي في المحرم وله ثل ا ث وثمانون سنة.

والشيخ إسماعيل بن إبراهيم بن سونح الصالح الفقير شيخ البكرية.

كان يتوب لأبي بكر رضي الله عنه وله أصحاب وفيه خير وسكون.

مات كهلا.

وابن الفراء العدل المسند الكبير عز الدين أبو الفداء إسماعيل بن عبد الرحمن بن عمرو المرداوي الصالحي الحنبلي.

روى عن الموفق وابن راجح وابن البن وجماعة.

وروى الصحيح مرات وكان صالحا متواضعا متعبدا قاسى الشدائد عام أول واحترقت أملاكه.

توفي في سادس جمادى الآخرة وله تسعون سنة.." (٢)

"وكان بالقاهرة الحريق الكبير المتتابع، وذهبت الأموال ودام أياما في أماكن، ثم ظفر بفاعلية جماعة من النصارى يعملون قوارير ينقدح ما فيها ويحرق. فقتل جماعة وكان أمرا مزعجا، قيل: فعلوا ذلك لإخراب كنيسة لهم.

وأخرب ببغداد الفاحشة، وأريقت الخمور، ثم قتل اثنان لإخفائهما الخمر. وجدد بمسجد القصب جمعة. وأخربت كنيسة اليهود.

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٣/٣٤٧

(٢) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٣/٤٠٦

وحج نائب دمشق وفي صحبته خطيب البلد جلال الدين، والقاضي جلال الدين الحنفي، والصاحب عز الدين حمزة، وقاضي الركب النجم الدمشقي، وعلم الدين البرزالي.

ومات شيخ الشيعة بدمشق وفاضلهم، محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم الهمذاني ثم الدمشقي السكاكيني في صفر عن ست وثمانين سنة. وكان لا يغلو ولا يسب معينا، ولديه فضائل. روى عن ابن مسلمة، والعراقي، ومكي بن علان. وتلا بالسبع، وله نظم كثير. وأخذ عن أبي صالح الحلبي الرافضي. وأخذه معه منصور صاحب المدينة فأقام فيها سنوات، وكان يتشيع به سنة، ويتسنن به رافضة. وفيه اعتزال.

ومات بالفيوم خطيبها الرئيس الأكمل المحتشم مجد الدين أحمد بن القاضي معين الدين أبي بكر الهمداني المالكي صهر الوزير تاج الدين بن حنا. وكان يضرب به المثل في السؤدد والمكارم، عزى به الناس أخاه قاضي." (١)

"ونقض رخام الحائط القبلي من ناحية الجامع الغربية، فوجد الحائط منحدبا، فنقض كأنه تغير من زلزلة، فأخرب إلى الأرض مساحة خمسين ذراعا، فبني وأحدث فيه محراب للحنفية، وجدد ترخيم حيطان الجامع سوى المقصورة وأركان القبة.

وكان بالفرايين حريق عظيم. ثم جدد بعده قيساريتان. وفيها في المحرم درس العلائي بحلقة ابن صاحب حمص بحضرة القضاة، فأورد درسا باهرا نحو ستمائة سطر.

ومات بالثغر المعمر الإمام القدوة عز الدين إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن الحسيني الغرافي الشافعي، في المحرم، من ولد موسى الكاظم. سمع من والده، وحليمة بنت ولد جمال الإسلام، والبادرائي، وجماعة. وأجاز له ابن يعيش، وابن رواج. ونسخ بالأجرة. وتفرد مع التقوى، والعلم، والورع. عاش تسعين سنة.

ومات ببغداد الإمام الواعظ مسند العراق شيخ المستنصرية عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المحسن بن أبي الحسن البغدادي ابن الخر ا ط الحنبلي، عن تسعين سنة. مات في جمادى الأولى. وكان مولده في ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين، ومرة كتبه في سنة تسع. سمع من عجيبة كثيرا، وابن الخير، وابن قميرة، وأخيه، والأعز بن العليق، وعبد الملك بن قيبا، وطائفة وتفرد.." (٢)

"عماد الدين بن الشيرجي. وظلم الأمير حمزة، وعصر الدويدار وابن جملة، وكاتب السر الشرف، وتمرد وتمكن من النائب. وبنى حماما في القنوات في غاية السعة والزخرف، ثم استأصله الله، وعرفه ملك الأمراء فصودر وضرب بالبندق، وعصر وقطع لسانه من أصله، فهلك وما رق له مسلم، نسأل الله العفو.

ورضي السلطان عن ثلاثة عشر أميرا وأطلقهم، منهم تمر الساقي الذي ناب بطرابلس، وبيبرس الحاجب. وأغار المسلمون على بلاد سيس فوثب الملاعين على التجار والعربان فقتلوا ألفي مسلم. ووقع بحماة حريق كثير ذهبت به الأموال، واحترق مائتان وخمسون دكانا. وسمر بمصر إبراهيم الساحر.

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٤/٦٠

(٢) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٤/٨٣

ومات بدمشق رئيس المؤذنين وأطيبهم صوتا برهان الدين إبراهيم بن محمد الخلاطي الواني الشافعي عن أكثر من تسعين سنة. توفي في صفر. حدث عن الرضي بن البرهان، وابن عبد الدايم، وجماعة.

ومات بعده بشهر ولده المحدث مفيد الجماعة أمين الدين محمد عن." (١)

"الزنكلوني الشافعي، في ربيع الأول، عن بضع وستين سنة. إمام، مفت، ورع، صالح، مصنف. ألف للتنبيه شرحا، وللتعجيز. وتفقه به جماعة. روى عن الأبرقوهي وغيره، ودرس.

وماتت مسندة الشام أم عبد الله زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحيم المقدسية، المرأة الصالحة العذراء، في تاسع عشر جمادى الأولى، عن أربع وتسعين سنة. روت عن محمد بن عبد الهادي، وخطيب مردا، واليلداني، وسبط ابن الجوزي وجماعة. وبالإجازة عن عجيبة الباقدارية وابن الخير، وابن العليق، والنشري، وعدد كثير. وتكاثروا عليها. وتفردت. وروت كتبا كبارا. رحمها الله.

وفي ليلة السادس والعشرين من شوال وقع بدمشق **حريق** كبير شمل اللبادين القبلية، وما تحتها وما فوقها، إلى عند سوق الكتب واحترق سوق الوراقين، وسوق الدهشة وحاصل الجامع وما حوله، المئذنة الشرقية، وعدم للناس فيه من الأموال والمتاع مالا يحصر. ونسب فعل ذلك إلى النصارى ف أمسك كبارهم وسمروا حتى ماتوا.

وفي هذا العام مات الخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن الحاكم العباسي بقوص. وكانت خلافته ثمانيا وثلاثين سنة. وبويع لأخيه إبراهيم بغير عهد.

ومات القاضي الإمام محيي الدين إسماعيل بن يحيى بن جهبل الشافعي عن سن عالية. حكم بدمشق نيابة، ثم ولي قضاء طرابلس، ثم عزل. وحدث عن ابن عطاء، وابن البخاري وجماعة.." (٢)

"سنة سبع وخمسين وسبعمائة

وفي رابع ربيع الآخر

هبت ريح من جهة الغرب، وامتدت من مصر إلى الشام في يوم وليلة، فغرق ببولاق نحو ثلاثمائة مركب واقتلعت من النخيل والجميز ببلاد مصر وبلبيس وغيرها شيئا كثيرا، فكانت آية.

وفيها أفرج عن الأمير سيف الدين أرغون الكاملي من الإسكندرية، وأقام بالقدس.

وفيها **احترقت** القيسارية خراج باب الفرج وما حولها من الحوانيت فكانت جملة الحوانيت المحترقة نحو سبعمائة حانوت سوى البيوت، وعدم الناس فيها ما لا يحصى.

وفيها احترق سوق الصالحية عن آخره.

وفيها غارت الفرنج ومن تبعهم من المسلمين العجز المتحربين في السواحل، واستباحوا بلد صيدا، وآياس، وغير ذلك من البلاد الساحلية.

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٤/١٠٠

(٢) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٤/١١٧

ومات بدمشق في شوال المعمر ناصر الدين محمد بن محمد بن أبي القاسم شاهد القيمة المعروف بابن الدجاجية ثنا عن الأبرقوهي.

ومات بحلب قاضيها الفقيه نجم الدين محمد بن عثمان بن أحمد بن عمرو الزرعي الشافعي ابن شمرنوح.

ومات بالقاهرة العدل الكبير شهاب الدين أحمد بن الحسن بن الفرات الشروطي. حدث عن الدمياطي، والرضي الطبري، وطائفة.

ومات الإمام كمال الدين أحمد ابن العلامة عز الدين عمر بن أحمد بن." (١)

"كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا» ، ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو صلى الله عليه وسلم بيده وبني عليه [١] .

حديث الحمد

وقال ابن وهب، عن يونس، عن الزهري قال: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلم أجمرت امرأة الكعبة فطارت شرارة من مجمرتها في ثياب الكعبة فاحترقت، فهدموها حتى إذا بنوها فبلغوا موضع الركن اختصمت قريش في الركن أي القبائل تضعه [٢] ؟ قالوا: تعالوا نحكم أول من يطلع علينا [٣] فطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام عليه وشاح نمرة [4] فحكموه فأمر بالركن فوضع في ثوب، ثم أخذ سيد كل قبيلة بناحية من الثوب [٥] ، ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن، فكان هو يضعه، ثم طفق لا يزداد على السن إلا رضا حتى دعوه الأمين، قبل أن ينزل عليه وحي، فطفقوا لا ينحرون جزورا إلا التمسوه فيدعو لهم فيها [٦] .

---

[١] انظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٢١- ٢٢٨، والسير والمغازي لابن إسحاق ١٠٣- ١٠٨ ونهاية الأرب ١٦/ ٩٩- ١٠٣ طبقات ابن سعد ١/ ١٤٥، ١٤٦، عيون الأثر ١/ ٥١- ٥٢، تاريخ الطبري ٢/ ٢٨٦- ٢٩٠، السيرة لابن كثير ١/ ٢٧٣، ٢٧٤ و ٢٧٦- ٢٨١، أخبار مكة ١/ ١٥٨- ١٦٤.

[٢] في أخبار مكة للأزرقي ١/ ١٥٩ وسيرة ابن كثير ١/ ٢٧٤ «تلي رفعه» .

[٣] في أخبار مكة «يطلع علينا من هذه السكة فاصطلحوا على ذلك» .

[٤] قال ابن الأثير في النهاية: «كل شملة مخططة من مآزر الأعراب فهي نمرة» .

[٥] العبارة عند الأزرقي وابن كثير: «ثم أمر (ثم أخرج) سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب» .

[٦] انظر: أخبار مكة للأزرقي ١/ ١٥٨- ١٥٩ سيرة ابن كثير ١/ ٢٧٤، المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٥٢، ٢٥٣.

وقال: هذا سياق حسن وهو من سير الزهري.

وفيه من الغرابة قوله: «فلما بلغ الحلم» والمشهور أن هذا كان ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمره خمس وثلاثون

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ١٧١/٤

سنة، وهو الذي نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله» .

وانظر نحو هذا الحديث في المصنف لعبد الرزاق ٥/ ١٠٠، ١٠١، رقم ٩١٠٤.." (١)

"وأنا أسمع: أدركت في البيت تمثال مريم وعيسى؟ قال: نعم أدركت تمثال مريم مزوقا في حجرها عيسى قاعد [١] ، وكان في البيت ستة أعمدة سواري [٢] ، وكان تمثال عيسى ومريم في العمود الذي يلي الباب [٣] ، فقلت لعطاء: متى هلك؟ قال في **الحريق** زمن ابن الزبير، قلت: أعلى عهد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- تعني كان؟ قال: لا أدري، وإني لأظنه قد كان على عهده [٤] .

قال داود بن عبد الرحمن، عن ابن جريج: ثم عاودت عطاء بعد حين فقال: تمثال عيسى وأمه في الوسطى من السواري [٥] .

قال الأزرقي: ثنا داود العطار، عن عمرو بن دينار قال: أدركت في الكعبة قبل أن تهدم تمثال عيسى وأمه، قال داود: فأخبرني بعض الحجبة عن مسافع بن شيبة: أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «يا شيبة امح كل صورة [٦] إلا ما تحت يدي» قال: فرفع يده عن عيسى ابن مريم وأمه [٧] .

قال الأزرقي، عن سعيد بن سالم، حدثني يزيد بن عياض بن جعدبة [٨] ، عن ابن شهاب: «أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة وفيها صور

---

[١] عند الأزرقي «قاعدا مزوقا» .

[٢] بين الأزرقي وصفها كما نقطت في هذا التربيع:

[٣] قال ابن جريج: فقلت لعطاء. (الأزرقي) .

[٤] أخبار مكة ١/ ١٦٨.

[٥] انظر أخبار مكة ١/ ١٦٨.

[٦] عند الأزرقي «كل صورة فيه» .

[٧] أخبار مكة ١/ ١٦٨.

[٨] كذا في الأصل، وفي أخبار مكة ١/ ١٦٨. وفي نسخة دار الكتب بالأزلام، ما شأن إبراهيم." (٢)

"المسيب أنه سمع أبا هريرة يصف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كان مفاض الجبين، أهدب الأشفار، أسود اللحية، حسن الثغر، بعيد ما بين المنكبين، يطأ بقدميه جميعا، ليس له أخمص [١] .

وقال عبد العزيز بن أبي ثابت الزهري: نا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن موسى بن عقبة، عن كريب، عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين، إذا تكلم رئي كالنور بين ثناياه [٢] ، عبد العزيز متروك [٣] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١/٦٨

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١/٧٣

وقال المسعودي، عن عثمان بن عبد الرحمن بن هرمز، عن نافع بن

---

[١] رواه الفسوي مختصرا في المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٨٠، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٣٢٠ عن عبد الرزاق الصنعاني، والحديث في المصنف لعبد الرزاق ١١/ ٢٥٩- ٢٦٠، ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ٢٢٧، والشمائل لابن كثير ٢٢، والخصائص الكبرى للسيوطي ١/ ٧٤ نقلا عن البزار والبيهقي.

[٢] رواه الفسوي في المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٨٨.

[٣] قال البخاري: منكر الحديث، لا يكتب حديثه، وقال النسائي: متروك الحديث، وقال العقيلي: حديثه غير محفوظ ولا يعرف إلا به، وقال ابن أبي حاتم الرازي: سألت أبي عن عبد العزيز بن عمران.. فقال: متروك الحديث، ضعيف الحديث، منكر الحديث جدا.

قلت: يكتب حديثه؟ قال: على الاعتبار. وقال يحيى بن معين: ليس بثقة، وإنما كان صاحب شعر، وقال ابن عدي: حدث عنه جماعة من الثقات أحاديث غير محفوظة، وقال ابن حبان: يروي المناكير عن المشاهير، وقال الترمذي والدارقطني: ضعيف، وقال عمر بن شبة في أخبار المدينة: كان كثير الغلط في حديثه لأنه احترقت كتبه فكان يحدث من حفظه.

توفي سنة ١٩٧ هـ.

انظر عنه: التاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٢٩ رقم ١٥٨٥، والتاريخ الصغير له ٢٠٧، والضعفاء الصغير له ٢٦٨ رقم ٢٢٣، والضعفاء والمتروكين للنسائي ٢٩٨ رقم ٣٩٣، والضعفاء للعقيلي ٣/ ١٣- ١٤ رقم ٩٦٩، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ٣٩٠- ٣٩١ رقم ١٨١٧، والضعفاء والمتروكين للدارقطني ١٢١ رقم ٣٤٩، والمجروحين لابن حبان ٢/ ١٣٩- ١٤٠، والكامل في الضعفاء لابن عدي ٥/ ١٩٢٤، وميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٦٣٢ رقم ٥١١٩، والمغني في الضعفاء له ٢/ ٣٩٩ رقم ٣٧٤٧، والكاشف له ٢/ ١٧٧ رقم ٣٤٥٢، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٦/ ٣٥٠- ٣٥١ رقم ٦٧١١، وتقريب التهذيب له ١/ ٥١١ رقم ١٢٤٢.." (١)

"وكان كثيرا ما يتمثل ببيت الأخطل:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ... ذخرا يكون كصالح الأعمال [١] .

وقد كان الخليل آية في قوة الذكاء [٢] .

قال النضر بن شميل: ما رأيت في المشايخ أشد تواضعا منك يا خليل بن أحمد، لا ابن عون، ولا غيره [٣] .

ويقال: برز من أصحاب الخليل أربعة: النضر، وسيبويه، وعلي بن نصر [٤] ، ومؤرج بن عمرو السدوسي، وكان أبرعهم في النحو: سيبويه، وغلب على النضر اللغة، وعلى مورج الشعر واللغة، وعلى علي الحديث [٥] .

وللخليل كتاب «العين» ، وهو نفيس مشهور [٦] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤١٩/١

قال علي بن الحارث الكندي، فيما رواه عنه الطحاوي، عن أبي شمر، قال: لقيني الخليل بن أحمد فقال: قد وضعت كتابا أجمع فيه بين المختلفين، فقلت: إن كان كذلك، فما شيء بعد القرآن أنفع منه، قال:

فعرضه علي فإذا هو أبعد شيء مما سمى، فقلت له: إن الله قد آتاك علما له

---

[١] البيت في ديوان الأخطل ١٥٨، وإنباه الرواة ١/ ٣٤٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٤٨.

[٢] قيل: لم يكن بعد الصحابة أذكى من الخليل، ولا أجمع لعلم العرب (إنباه الرواة ١/ ٣٤٥) .

[٣] يروى عن النضر بن شميل أنه قال: كنا نمثل بين ابن عون والخليل بن أحمد أيهما نقدم في الزهد والعبادة فلا ندري أيهما نقدم. وكان النضر يقول: ما رأيت رجلا أعلم بالسنة بعد ابن عون من الخليل بن أحمد. (نزهة الألباء ٤٧) .

[٤] هو الجهضمي.

[٥] نزهة الألباء ٥٥.

[٦] أكثر العلماء العارفين باللغة يقولون: إن كتاب العين في اللغة المنسوب إلى الخليل بن أحمد ليس تصنيفه، وإنما كان قد شرع فيه ورتب أوائله وسماه ب «العين» ثم مات فأكمله تلامذته النضر بن شميل ومن في طبقته وهم: مؤرج السدوسي ونصر بن علي الجهضمي وغيرهما، فما جاء الذي عملوه مناسبا لما وضعه الخليل في الأول، فلهذا وقع فيه خلل كثير يبعد وقوع الخليل في مثله. وقد صنف ابن درستويه في ذلك كتابا استوفى الكلام فيه، وهو كتاب مفيد. (وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٦، ٢٤٧) .

ولكتاب العين حكاية طريفة في طبقات ابن المعتز، يتبين منها أن النسخة الأصلية التي كتبها الخليل **احترقت** قبل أن ينسخها أي إنسان، والذي وضع بعد ذلك كان حفظا.." (١)

"عالم الديار المصرية، وقاضيها ومفتيها ومحدثها أبو عبد الرحمن الحضرمي المصري.

روى عن: عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وعطاء بن أبي رباح، ومشرح بن هاعان، وأبي يونس مولى أبي هريرة، وموسى بن وردان، ويزيد بن أبي حبيب، وأبي الأسود يتيم عروة، وعبيد الله بن أبي جعفر، وخلق كثير من أهل بلده ومن أهل الحرمين.

وعنه: ابن وهب، والوليد بن مسلم، وابن المبارك، وأبو عبد الرحمن المقرئ، وعبد الله بن صالح، وقتيبة بن سعيد، ويحيى بن بكير، ومحمد بن رمح، وكامل بن طلحة، وخلق كثير.

ومن الكبار: الأوزاعي، وعمرو بن الحارث، وشعبة، وجرير بن حازم.

قال أبو داود: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما كان محدث مصر إلا ابن لهيعة [١] .

وقال ابن بكير: احترق منزل ابن لهيعة وكتبه سنة سبعين ومائة [٢] .

وقال أحمد بن حنبل أيضا [٣] : من كان بمصر مثل ابن لهيعة في كثرة حديثه وضبطه وإتقانه؟ حدثني إسحاق بن

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٠/١٧٣

عيسى أنه لقيه سنة أربع وستين ومائة، وأن كتبه احترقت سنة تسع وستين ومائة.

وأما سعيد بن أبي مريم فقال: لم يحترق له كتاب، وكان سيئ الرأي فيه، فكأنه احترقت بعض كتبه [٤] .

---

[١] تهذيب الكمال ١٥/ ٤٩٦.

[٢] تاريخ البخاري الكبير ٥/ ١٨٣، الضعفاء الكبير للعقيلي ٢/ ٢٩٤، الجرح والتعديل ٥/ ١٤٦، المجروحين لابن حبان ٢/ ١١، الكامل ٤/ ١٤٦٢.

[٣] في العلل ومعرفة الرجال ٢/ ٦٧، ٦٨ رقم ١٥٧٢، واقتبسه ابن عدي في (الكامل ٤/ ١٤٦٣) .

[٤] قال العقيلي في (الضعفاء الكبير ٢/ ٢٩٤) : «حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح قال: سألت أبي: متى احترقت دار ابن لهيعة؟ فقال: في سنة سبعين ومائة، قلت: واحترقت كتبه كما يزعم العامة؟ فقال: معاذ الله! ما كتبت كتاب عمارة بن غزية إلا من أصل كتاب ابن لهيعة بعد احتراق داره، غير أن بعض ما كان يقرأ منه احترق، وبقيت أصول كتبه بحالها، قال ابن عثمان: قال أبي، ولا أعلم أحدا أخبر بسبب علة ابن لهيعة مني، أقبلت أنا وعثمان بن عتيق بعد انصرافنا من." (١)

"وقال أحمد بن صالح: كان ابن لهيعة صحيح الكتاب طلابا للعلم [١] .

وقال زيد بن الحباب: سمعت الثوري يقول: كان عند ابن لهيعة الأصول، وعندنا الفروع [٢] .

وقال عثمان بن صالح السهمي: احترقت له كتب مع داره وسلمت أصوله، أنا كتبت كتاب عمار بن غزية من أصله [٣] .

قلت: ضعفه يحيى بن سعيد القطان [٤] وغيره، وسائر النقاد على أنه لا يحتج بحديثه.

قال عبد الرحمن بن مهدي: كتب إلي ابن لهيعة كتابا، فإذا فيه: ثنا عمرو بن شعيب. فقرأته على ابن المبارك، فأخرج إلي كتابه عن ابن لهيعة، فإذا فيه: حدثني إسحاق بن أبي فروة، عن عمرو بن شعيب [٥] .

قال معاوية بن صالح، عن ابن معين: ضعيف [٦] .

وروى عباس، عن ابن معين: ليس بذلك القوي [٧] .

[()] الصلاة يوم الجمعة نريد ابن لهيعة فوافيناه أمامنا راكبا على حمار يريد إلى منزله، فأفلج وسقط عن حماره، فبدر ابن عتيق إليه فأجلسه، وصرنا إلى منزله، فكان ذلك أول سبب علته» .

وقال أبو حاتم الرازي: «سمعت ابن أبي مريم يقول: حضرت ابن لهيعة في آخر عمره وقوم من أهل بربر يقرءون عليه من حديث منصور، والأعمش، والعراقيين، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، ليس هذا من حديثك. فقال: بلى، هذه أحاديث قد مرت على مسامعي. فلم أكتب عنه بعد ذلك» .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢١٩/١١

وقال ابن أبي مريم أيضا: «ما أقربه قبل الاحتراق وبعده» . (الجرح والتعديل ٥/ ١٤٦) .

[١] المعرفة والتاريخ ٢/ ١٨٤ و ٤٣٤، وفي: (تاريخ أسماء الثقات ١٨٥ رقم ٦٠١) قال ابن شاهين: «قال أحمد بن صالح: ثقة، ووقع به وقال: فيما روى عن الثقات من الأحاديث، ووقع فيه تخليط. يطرح ذلك التخليط» .

[٢] تهذيب الكمال ١٥/ ٤٩٥.

[٣] الضعفاء الكبير للعقيلي ٢/ ٢٩٤.

[٤] قال الحميدي: عن يحيى بن سعيد: كان لا يراه شيئا. (التاريخ الكبير ٥/ ١٨٢) ونقله العقيلي في (الضعفاء الكبير ٢/ ٢٩٣) وابن أبي حاتم في (الجرح والتعديل ٥/ ١٤٦) وابن عدي في (الكامل ٤/ ١٤٦٢) .

[٥] الضعفاء الكبير ٢/ ٢٩٤.

[٦] الضعفاء الكبير ٢/ ٢٩٥.

[٧] الجرح والتعديل ٥/ ١٤٧ برواية ابن أبي خيثمة، عن يحيى بن معين، وفيه: «ليس حديثه بذلك." (١)

"أخرجت من حديثه شيئا قط إلا حديثا واحدا، وهو حديث عمرو بن الحارث، عن ابن لهيعة، عن مشرح، عن عقبة مرفوعا، قال: «في الحج سجدتان» [١] . أنا به هلال بن العلاء، نا معافى بن سليمان، عن موسى بن أعين، عنه [٢] .

وقال الجوزجاني [٣] : ابن لهيعة لا يوقف على حديثه، ولا ينبغي أن يحتج به، ولا يعتد به [٤] .

وقال الحميدي، عن يحيى بن القطان: إنه كان لا يرى ابن لهيعة شيئا [٥] .

وقال البخاري [٦] : حدثني أحمد بن عبد الله، أنا صدقة بن عبد الرحمن، نا ابن لهيعة، عن مشرح بن هاعان، عن عقبة: سمعت رسول الله صلى الله عليه◌ وسلم يقول: «لو تمت البقرة ثلاثمائة آية لتكلمت» . قال الميموني: سمعت أبا عبد الله، وذكر ابن لهيعة فقال: كانوا يقولون احترقت كتبه، فكان يؤتى بكتب الناس فيقرأها [٧] .

أحمد بن حنبل: نا خالد بن خداش: قال لي ابن وهب، ورآني لا أكتب حديث ابن لهيعة: إني لست كغيري في ابن لهيعة، فاكتبها [٨] .

وعن أبي الوليد بن أبي الجارود، عن ابن معين قال: يكتب عن ابن لهيعة ما كان قبل احتراق كتبه [٩] .

---

[١] أخرجه الترمذي في الصلاة (٥٧٨) باب ما جاء في السجدة في الحج، وأبو داود في الصلاة (١٤٠٢) باب ما جاء في عدد الآي، وأحمد في المسند ٤/ ١٥١ و ١٥٥، وابن ماجة في الأدب (٣٧٨٦) ، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٢٢ و ٢/ ٣٩٠، والدار الدارقطني في سننه ١/ ١٥٧، وانظر تخريج الحديث في: (سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٣، ٢٤ الحاشية ٢) .

[٢] الكامل لابن عدي ٤/ ١٤٧١.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١١/ ٢٢٠

[٣] في أحوال الرجال ١٥٥ رقم ٢٧٤.

[٤] هكذا في الأصل، وفي (أحوال الرجال) : «ولا يغتر بروايته» .

[٥] ذكره البخاري في تاريخه الكبير ٥/ ١٨٢، والعقيلي في ضعفائه ٢/ ٢٩٣، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٥/ ١٤٦، وابن عدي في الكامل ٤/ ١٤٦٢.

[٦] في الضعفاء، كما قال المؤلف- رحمة الله- في (الميزان الاعتدال ٢/ ٤٨٣) .

[٧] الضعفاء الكبير للعقيلي ٢/ ٢٩٥.

[٨] الضعفاء الكبير للعقيلي ٢/ ٢٩٥.

[٩] الضعفاء الكبير للعقيلي ٢/ ٢٩٥.." (١)

"قال ابن حبان [١] : كان ابن لهيعة شيخا صالحا، ولكنه كان يدلس عن الضعفاء قبل احتراق كتبه، ثم **احترقت** كتبه قبل موته بأربع سنين.

وكان من أصحابنا يقولون: سماع من سمع منه قبل احتراق كتبه مثل العبادلة: عبد الله بن وهب وعبد الله بن المبارك، وعبد الله بن يزيد المقرئ، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، فسماعهم صحيح، ومن سمع منه بعد احتراق كتبه، فسماعه ليس بشيء [٢] .

قال [٣] : وكان ابن لهيعة من الكتابين للحديث، والجماعين للعلم، والرحالين فيه. ولقد حدثني شكر نا يوسف بن مسلم، عن بشر◌ بن المنذر قال:

كان ابن لهيعة يكنى أبا خريطة، وذاك أنه كانت له خريطة معلقة في عنقه، فكان يدور بمصر، فكلما قدم قوم كان يدور عليهم فكان إذا رأى شيخا سأله: من لقيت، وعمن كتبت؟

عثمان بن صالح السهمي: نا إبراهيم بن إسحاق قاضي مصر قال: أنا حملت رسالة الليث إلى مالك. فجعل مالك يسألني عن ابن لهيعة وأخبره بحاله، فجعل يقول: أليس يذكر الحج؟ فسبق إلى قلبي أنه يريد مشافهته والسماع منه [٤]
.

قال ابن حبان [٥] : قد سمعت أخبار ابن لهيعة من رواية المتقدمين والمتأخرين فرأيت التخليط◌ عنه في رواية المتأخرين موجودا، وما لا أصل له في رواية المتقدمين كثيرا. فرجعت إلى الاعتبار، فرأيته يدلس عن قوم ضعفاء على قوم رآهم ابن لهيعة ثقات، فألزق تلك الموضوعات بهم.

---

[١] في المجروحين ٢/ ١١.

[٢] وقال الدار الدارقطني نحوه مختصرا: «ويعتبر بما يروي عنه العبادلة، ابن المبارك والمقرئ، وابن وهب» .

[٣] في المجروحين ٢/ ١١، ١٢.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١١/٢٢٢

[٤] المجروحين ٢/ ١٢.

[٥] في المجروحين ٢/ ١٢.." (١)

"قال قتيبة [١] : لما احترقت كتب ابن لهيعة بعث إليه الليث بن سعد بألف دينار.

وقال: حضرت موت ابن لهيعة، فسمعت الليث يقول: ما خلف مثله [٢] .

وقال نعيم بن حماد: سمعت يحيى بن حسان يقول: جاء قوم ومعهم جزء فقالوا: سمعناه من ابن لهيعة، فنظرت فيه فإذا ليس فيه حديث من حديثه، فقمت إلى ابن لهيعة فقلت: ما هذا؟.

قال: فما أصنع بهم؟ يجيئون بكتاب فيقولون: هذا من حديثك، فأحدثهم به [٣] .

قلت: ولي ابن لهيعة قضاء مصر للمنصور في سنة خمس وخمسين ومائة، فبقي تسعة أشهر، ورزق في الشهر ثلاثين دينارا [٤] .

وقد قال ابن وهب مرة: حدثني والله الصادق البار عبد الله بن لهيعة [٥] .

قلت: ومناكيره جمة، ومن أردئها: كامل بن طلحة، عن ابن لهيعة، أن حيي بن عبد الله أخبره، عن أبي عبد الرحمن الجبلي، عن عبد الله بن عمرو:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه: «ادعوا لي أخي» .

فدعوا أبا بكر، فأعرض عنه ثم قال: «ادعوا لي أخي» .

فدعوا له عمر، فأعرض عنه، ثم عثمان كذلك، ثم قال: «ادعوا لي أخي» . فدعوا له عليا، فستره بثوبه وانكب عليه، فلما خرج قيل: يا أبا الحسن ماذا قال لك؟

---

[١] هو: قتيبة بن سعيد، كما في) سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٣) .

[٢] المجروحون لابن حبان ٢/ ١٢.

[٣] المجروحون ٢/ ١٣، وانظر نحوه في طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٦ قال: «كان ضعيفا وعنده حديث كثير، من سمع منه في أول أمره أحسن حالا في روايته ممن سمع منه بآخره، وأما أهل مصر فيذكرون أنه لم يختلط ولم يزل أول أمره وآخره واحدا، ولكن كان يقرأ عليه ما ليس من حديثه فيسكت عليه، فقيل له في ذلك، فقال: وما ذنبي؟ إنما يجيئون بكتاب يقرءونه ويقومون، ولو سألوني لأخبرتهم أنه ليس من حدثني» .

[٤] انظر: الولاة والقضاة للكندي ٣٦٨- ٣٧١.

[٥] الكامل لابن عدي ٤/ ١٤٦٣.." (٢)

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٢٣/١١

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٢٤/١١

"ذكر ثورة أهل قرطبة

وفي رمضان ثار أهل قرطبة بأميرهم الحكم بن هشام الأموي وحاربوه لجوره وفسقه، وتسمى وقعة الربض. وخرج عليه أهل ربض البلد، وشهروا السلاح، وأحاطوا بالقصر، واشتد القتال، وعظم الخطب، واستظهروا على أهل القصر. فأمر الحكم أمراءه فحملوا عليهم، وأمر طائفة فنقبوا السور، وخرج منه عسكر، فأتوا القوم من وراء ظهورهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، ونهبوا الدور، وأسروا وعملوا كل قبيح، ثم لقوا الحكم، فانتقى من الأسرى ثلاثمائة من وجوه البلد، فصلبوا على النهر منكسين. وبقي النهب والسلب **والحريق** في أرباض قرطبة ثلاثة أيام ثم أمنهم، فهج أهل قرطبة وتفرقوا أيادي سبأ في الطرق، ومضى خلق منهم إلى الإسكندرية فسكنها [١] .

---

[١] الكامل في التاريخ ٦/ ٢٩٨- ٣٠٠، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٧٠- ٢٧٢، الحلة ال سيراء ١/ ٤٤، ٤٥، النجوم الزاهرة ٢/ ١٥٨.." (١)

"ثم أطلقوه بعد جمعة [١] .

وأقبل الملك توفيل في جيوش الروم، لعنهم الله، إلى حصن لؤلؤة فأحاط بعجيف. فبلغ ذلك المأمون، فجهز الجنود لحربه، فارتحل توفيل وكتب كتابا إلى المأمون يطلب الصلح فبدأ بنفسه وأغلظ في المكاتبة. فاستشاط المأمون غضبا وقصد الروم، وعزم على المسير إلى قسطنطينية، ثم فكر في هجوم الشتاء فرجع [٢] .

[حريق البصرة]

وفيها وقع **حريق** عظيم بالبصرة يقال إنه أتى على أكثرها، وكان أمرا مزعجا يفوق الوصف [٣] .

---

[١] المعرفة والتاريخ ١/ ٢٠١، تاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٦٧، تاريخ الطبري ٨/ ٦٢٨، الكامل في التاريخ ٦/ ٤٢١، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٣٠، نهاية الأرب ٢٢/ ٢٣٢، ٢٣٣، أخبار الزمان لابن العبري ٢٧، تاريخ مختصر الدول له ١٣٥، البداية والنهاية ١٠/ ٢٧١، وفي تاريخ اليعقوبي أن عجيفا مكث في أيدي الروم أسيرا مدة شهر. (٢/ ٤٦٧)

.

[٢] تاريخ الطبري 8/ ٦٣١ و ٦٣٢، العيون والحدائق ٣/ ٣٧٥، الكامل في التاريخ ٦/ ٤٢١، البداية والنهاية ١٠/ ٢٧١، ٢٧٢، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٢٣.

[٣] النجوم الزاهرة ٢/ ٢٢٣.." (٢)

"فاليوم حاجتنا إليك، وإنما ... يدعى الطبيب لساعة [١] الأوصاب [٢]

وقال أبو العيناء: كان أحمد بن أبي دؤاد شاعرا مجيدا، فصيحا، بليغا [٣] ، ما رأيت رئيسا أفصح منه.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٣/٦٨

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٥/١٨

وقال فيه بعض الشعراء:

لقد أنست مساوئ كل دهر ... محاسن أحمد بن أبي دؤاد

وما سافرت في الآفاق إلا ... ومن جدواك راحلتي وزادي

يقيم [٤] الظن عندك والأماني ... وإن قلقت ركابي في البلاد [٥]

وقال الصولي: ثنا عون بن محمد الكندي قال: لعهدي بالكرخ، وإن رجلا لو قال ابن أبي دؤاد مسلم لقتل في مكانه.

ثم وقع **الحريق** في الكرخ، وهو الذي لم يكن مثله قط. كان الرجل يقوم في صينية شارع الكرخ فيرى السفن في دجلة. فكلم ابن أبي دؤاد المعتصم في الناس وقال: يا أمير المؤمنين رعيتك في بلد آبائك ودار ملكهم، نزل بهم هذا الأمر، فاعطف عليهم بشيء يفرق فيهم يمسك أرماقهم ويبنون به ما انهدم.

فلم يزل ينازله حتى أطلق له خمسة آلاف ألف درهم، وقال: يا أمير المؤمنين إن فرقها عليهم غيري خفت أن لا يقسم بالسوية.

قال: ذاك إليك.

فقسمها على مقادير ما ذهب منهم، وغرم من ماله جملة.

قال عون: فلعهدي بالكرخ بعد ذلك، وإن إنسانا لو قال: زر ابن أبي دؤاد وسخ لقتل [٦] .

وقال ابن دريد: أنا الحسن بن الخضر قال: كان ابن أبي دؤاد مؤالفا لأهل الأدب من أي بلد كانوا. وكان قد ضم إليه جماعة يمونهم، فلما مات

---

[١] في وفيات الأعيان: «الشدة» .

[٢] البيتان في: تاريخ بغداد ٤/ ١٤٣، ووفيات الأعيان ١/ ٨٧، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٢٠.

[٣] تاريخ بغداد ٤/ ١٤٣.

[٤] في تاريخ بغداد: «مقيم» .

[٥] تاريخ بغداد ٤/ ١٤٥.

[٦] تاريخ بغداد ٤/ ١٤٩.." (١)

"عبيد الله بن يحيى أن يكتب لنا بأرزاقنا إلى الثغر ونقيم به في ثوابه.

ففعلنا ذلك، فلما صرنا بطرسوس سر بما رأى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم عاد إلى العراق وارتفع محله.

قال محمد بن يوسف الهروي، نزيل دمشق: كنا عند الربيع بن سليمان سنة ثمان وستين، إذ جاء رسول أحمد بن طولون

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٧/٤٢

بكيس فيه ألف دينار، وقال لي عبد الله القيرواني: بل كان سبعمائة دينار، وصرة فيها ثلاثمائة دينار، لابنه أبي الطاهر. فدعى الربيع ابنه حتى جاءه فأمره بقبض المال [١] .

ذكر محمد بن عبد الملك الهمداني أن أحمد بن طولون جلس يأكل، فرأى سائلا، فأمر له بدجاجة ورغيف وحلوى. فجاء الغلام وقال: ناولته فما هش له. فقال: علي به. فلما مثل بين يديه لم يضطرب من الهيبة، فقال:

أحضر الكتب التي معك وأصدقني، فقد ثبت عندي أنك صاحب خبر. وأحضر السياط فاعترف فقال بعض من حضر: هذا والله السحر.

قال: ما هو بسحر، ولكنه قياس صحيح. رأيت سوء حاله، فسيرت له طعاما يسر له الشبعان، فما هش، فأحضرته فتلقاني بقوة جأش، فعلمت أنه صاحب خبر.

قال أبو الحسين الرازي: سمعت أحمد بن حميد بن أبي العجائز وغيره من شيوخ دمشق قالوا: لما دخل أحمد بن طولون دمشق وقع فيها حريق عند كنيسة مريم، فركب إليه أحمد ومعه أبو زرعة البصري، وأبو عبد الله محمد بن أحمد الواسطي كاتبه، فقال ابن طولون لأبي زرعة: ما يسمى هذا الموضع؟

فقال: كنيسة مريم.

فقال أبو عبد الله: وكان لمريم كنيسة؟

قال: ما هي من بناء مريم، إنما بنوها على اسمها.

فقال ابن طولون: ما لك والاعتراض على الشيخ.

ثم أمر بسبعين ألف دينار من ماله، وأن يعطى كل من احترق له شيء، ويقبل قوله ولا يستحلف. فأعطوا وفضل من المال أربعة عشر ألف دينار.

ثم أمر ابن طولون بمال عظيم ففرق في فقراء أهل دمشق والغوطة. وأقل

---

[١] الخبر باختصار في: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٩٥.." (١)

"وبين يهودي، فقال له: أدخل يدك ويدي في النار، فمن كان محقا لم تحترق يده. فذكر أن يده لم تحترق وأن يد اليهودي احترقت.

رواها الخطيب [١] ، عن البرقاني [٢] .

توفي سنة تسعين، عن ثلاث وستين سنة [٣] .

٣٧٥- عمر بن بحر الأسدي الأصبهاني [٤] .

عن: دحيم، وغيره.

وعنه: أحمد بن بندار، وأبو الشيخ.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٠/٤٨

توفي سنة ثمان وثمانين.

وصحب ذا النون، وابن أبي الحواري.

٣٧٦- عمر بن عبد العزيز بن عمران بن أيوب بن مقلاص [٥] .

أبو حفص الخزاعي.

عن: أبيه، وسعيد بن أبي مريم، ويحيى بن بكير.

وعنه: أبو جعفر الطحاوي، وعبد الله بن جعفر بن الورد، وأحمد بن الحسن بن عتبة الرازي، والطبراني.

وكان فقيها خيرا.

توفي سنة خمس وثمانين.

٣٧٧- عمر بن موسى بن فيروز [٦] .

---

[١] في تاريخه.

[٢ [وقد أثنى عليه جدا.

[٣] تاريخ بغداد ١١/ ٢١٥، ٢١٦.

[٤] انظر عن (عمر بن بحر) في:

ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم ١/ ٣٥٤ وكنيته: أبو حفص.

[٥] انظر عن (عمر بن عبد العزيز بن عمران) في:

المعجم الصغير للطبراني ١/ ١٨٥، ومسند الشاميين، له ١/ ٤٠ رقم ٢٩، والمعجم المشتمل لابن عساكر ٢٠١ رقم ٦٧٢، وتهذيب الكمال (المصور) ٢، والكاشف ٢/ ٢٧٤ رقم ٤١٥٣، وتهذيب التهذيب ٧/ ٤٧٥ رقم ٧٨٩، وتقريب التهذيب ٢/ ٥٩ رقم ٤٧٥، وخلاصة تذهيب التهذيب ٢٨٤.

[٦] انظر عن (عمر بن موسى بن فيروز) في:

تاريخ بغداد ١١/ ٢١٤ رقم ٥٩٢٤.." (١)

"سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة

- حرف الألف-

١١٩- أحمد بن حامد بن مخلد البغدادي [١] .

أبو عبد الله القطان المقرئ.

سمع: إبراهيم بن عبد الله القصار، وأحمد بن أبي خيثمة.

وعنه: ابن شاهين، وأبو القاسم بن الثلاج، وأبو الحسن بن الصلت الأهوازي.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢١/٢٣٢

وثقه الخطيب.

١٢٠- أحمد بن عبد الله بن إسحاق [٢] .

أبو الحسن الخرقي.

تقلد القضاء بواسط، ثم بمصر والمغرب. ثم ولي قضاء بغداد سنة ثلاثين

---

[١] انظر عن (أحمد بن حامد) في:

تاريخ بغداد ٤/ ١٢١ رقم ١٧٩٠.

[٢] انظر عن (أحمد بن عبد الله الخرقي) في:

تاريخ بغداد ٤/ ٢٣٢ رقم ١٩٤٢، والولاة والقضاة للكندي ٤٨٩، ٥٦٦، والعبر ٢/ ٢٣٦، ومرآة الجنان ٢/ ٣١٦، وزبدة الحلب ١/ ١٠٦، ١٠٧.

وجاء في الأنساب لابن السمعاني ترجمة لآخر من الخرقيين توفي في هذه السنة أيضا ٣٣٤ هـ. بدمشق. هو: «أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقي، من أهل بغداد صاحب الكتاب المختصر، في الفقه على مذهب أحمد بن حنبل، وكان فقيها صالحا سديدا شديد الورع، قال القاضي أبو يعلى بن الفراء: كانت له مصنفات كثيرة وتخريجات على المذهب لم تظهر لأنه خرج عن مدينة السلام لما ظهر سب الصحابة، وأودع كتبه، قال: فحكى لي عن أبي الحسن التميمي أنه قال: كانت كتبه مودعة في درب سليمان، واحترقت الدار التي كانت فيها، واحترقت الكتب أيضا، ولم تكن قد انتشرت لبعده عن البلد، ومات الخرقي بدمشق سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة» . (٥/ ٩٢، ٩٣) ".. (١)

"الحرمين والثغر. وأفرد لهذه الوقوف ديوانا سماه «ديوان البر» .

١٤٥- عمر بن الحسين بن عبد الله [١] .

أبو القاسم البغدادي الخرقي الحنبلي، صاحب «المختصر في الفقه» .

روى عنه: عبد الله بن عثمان الصفار حكاية، وكان من كبار الأئمة.

قال أبو يعلى بن الفراء [٢] : كانت لأبي القاسم مصنفات كثيرة لم تظهر لأنه خرج عن بغداد لما ظهر بها سب الصحابة، وأودع كتبه في دار، فاحترقت تلك الدار.

قلت: قدم دمشق وبها مات. وقبره بباب الصغير.

قال أبو بكر الخطيب [٣] : زرت قبره.

قلت: وكان أبوه من أئمة الحنابلة رحمه الله تعالى.

١٤٦- عمرو بن عبد الله بن درهم [٤] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٥/٩٧

أبو عثمان النيسابوري الزاهد المطوعي، والمعروف بالبصري.

سمع: محمد بن عبد الوهاب الفراء، وأحمد بن معاذ.

وعنه: أبو علي الحافظ، وأبو إسحاق المزكي، وأبو عبد الله بن منده، والحسن بن علي بن المؤمل، ومحمد بن محمش، وغيرهم.

قال الحاكم: لم أرزق السماع منه، على أنه كان يحضر منزلنا وانبسط

---

[١] انظر عن (عمر بن الحسين) في:

تاريخ بغداد ١١/ ٢٣٤، ٢٣٥، وطبقات الفقهاء للشيرازي، ١٧٢، وطبقات الحنابلة ٢/ ٧٥- ١١٨، والأنساب ٥/ ٩٢، وتاريخ دمشق (مخطوطة الظاهرية) ١٢/ ٣٥٢ أ، والمنتظم ٦/ ٣٤٦ رقم ٥٦١، والكامل في التاريخ ٨/ ٤٦٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤١، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٩٦، والعبر ٢/ ٣٣٨، ٣٣٩، ودول الإسلام ١/ ٢٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦٣، ٣٦٤ رقم ٨٦ أ، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٨٠، والبداية والنهاية ١١/ ٢١٤، وشذرات الذهب ٢/ ٣٣٦، ٣٣٧، وديوان الإسلام ٢/ ٢٢٣ رقم ٨٥٦، وكشف الظنون ٤٤٦، وغيرها، ومفتاح السعادة ١/ ٤٣٨، والأعلام ٥/ ٤٤، ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٨٢.

[٢] في طبقات الحنابلة.

[٣] في تاريخ بغداد.

[٤] انظر عن (عمرو بن عبد الله) في:

سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦٤، ٣٦٥، رقم ١٨٨.." (١)

"وسكنها ليغير كل وقت، وترك أبناءه بالقسطنطينية، فبعث أهل طرسوس والمصيصة إليه يسألونه أن يقبل منهم حملا كل سنة، وينفذ إليهم نائبا له يقيم عندهم، فأجابهم، ثم رأي أن أهل البلاد قد ضعفوا جدا وأنهم لا ناصر لهم، وأنهم من القحط قد أكلوا الميتة والكلاب، وأنه يخرج كل يوم من طرسوس ثلاثمائة جنازة، فبدا له في الإجابة، ثم أحضر رسولهم وقال: مثلكم مثل الحية في الشتاء إذا لحقها البرد ضعفت وذبلت حتى يظن الظان أنها ميتة، فإذا أخذها إنسان وأحسن إليها ودفاها انتعشت ولدغته قتلته، وأنا إن أترككم حتى تستقيم أحوالكم تأذيت بكم، ثم أحرق الكتاب على رأس الرسول فاحترقت لحيته، وقال: قم، ما لهم عندي إلا السيف. ثم سار بنفسه إلى المصيصة ففتحها بالسيف في رجب، وقتل وسبى وأسر ما لا يحصى، ثم سار إلى طرسوس فحاصرها، فطلب أهلها أمانا، فأعطاهم، ففتحوا له، فدخلها، ولقي أهلها بالجميل، وأمرهم بالخروج منها وأن يحمل كل واحد من ماله وسلاحه ما أطاق، ففعلوا، وبعث من يخفرهم إلى أنطاكية، وجعل الجامع إصطبلا لدوابه، وعمل فيها وفي المصيصة جيشا يحفظونهما وأمر بتحصينهما. وقيل رجع جماعة من أهل المصيصة إليها وتنصروا [١] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٠٩/٢٥

وكان السبب في فتح المصيصة أنهم هدموا سورها بالثقوب، فأشار عليهم رجل بحيث أن يخرجوا الأسارى ليعطف عليهم الملك نقفور [٢] ، فأخرجوهم، فعرفه الأسارى بعدم الأقوات، وأطمعوه في فتحها، فزحف عليها. ولقد قاتل أهلها في الشوارع حتى أبادوا من الروم أربعة آلاف، ثم غلبوهم بالكثرة وقتلوهم وأخذوا من أعيانهم مائة ضربوا رقابهم بإزاء طرسوس، فأخرج أهل طرسوس من عندهم من الأسرى فضربوا أعناقهم على باب البلد، وكانوا ثلاثة آلاف [٣] .

---

[١] في الأصل «تبصروا» . والتصويب عن المنتظم ٧/ ٢٤. وانظر: تكملة تاريخ الطبري ١٩٠، زبدة الحلب ١/ ١٤٢، ١٤٣، الكامل ٨/ ٥٦٠، ٥٦١، تجارب الأمم ٢/ ٢١١، تاريخ الأنطاكي.

[٢] في الأصل «يقفور» .

[٣] راجع في هذا: تكملة تاريخ الطبري ١٩٠، تجارب الأمم ٢/ ٢١٠- ٢١٢، المنتظم ٧/ ٢٤،." (١)

"ألا موت يباع فأشتريه ... فهذا العيش ما لا خير فيه

ألا موت لذيذ الطعم هاني [١] ... يخلصني من العيش [٢] الكريه

إذا أبصرت قبرا من بعيد ... وددت لو أنني قد صرت فيه [٣]

ألا رحم المهيمن نفس حر ... تصدق بالوفاة على أخيه

فلما سمعه اشترى له لحما بدرهم وطبخه وأطعمه. ثم تقلبت الأحوال ووزر المهلبي، وضاقت الحال بذاك الرجل فقصد المهلبي وكتب إليه:

ألا قل للوزير فدته نفسي ... مقالة [٤] مذكر ما قد نسيه

أتذكر إذ تقول لضنك [٥] عيش ... ألا موت يباع فأشتريه

فلما وقف عليها أمر له في الحال بسبعمائة درهم، ووقع في ورقته:

مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله: كمثل حبة أنبتت ٢: ٢٦١ [٦] . ثم دعا به فخلع عليه وولاه عملا يرتفق به.

وللوزير المهلبي أخبار [٧] وشعر رائق. وتوفي في طريق واسط، وحمل إلى بغداد. ومن شعره:

قال لي من أحب والبين قد جد ... وفي مهجتي لهيب الحريق

ما الذي في الطريق تصنع بعدي؟ ... قلت: أبكي عليك طول الطريق [٨]

توفي المهلبي لثالث من شعبان عن نيف وستين سنة.

ولابن الحجاج من أبيات يرثيه:

---

[١] هكذا في الأصل، وفي وفيات الأعيان والوافي ويتيمة الدهر وشذرات الذهب «يأتي» .

[٢] كتب في الأصل «الموت» وفوقها كتب بين السطور «العيش» . (ورقة ٢٣) .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٦/١٨

[٣] في وفيات الأعيان واليتيمة وفوات الوفيات: «وددت لو أنني مما يليه» ، وفي: الوافي بالوفيات: «وددت بأنني مما يليه» .

[٤] في الأصل «مقال» والتصحيح من وفيات الأعيان والوافي بالوفيات واليتيمة والشذرات.

[٥] في الوافي «لضيق عيش» .

[٦] سورة البقرة- الآية ٢٦١.

[٧] تكررت كلمة «أخبار» في الأصل.

[٨] كتب بجانب هذا البيت: «يقي» .." (١)

"بالنفير في الناس، فخرج من العوام خلق عدد الرمل، ثم جهز جيشا، وغزوا فهزموا الروم، وقتلوا منهم مقتلة كبيرة، وأسروا أميرهم وجماعة من بطارقته، وأنفذت رءوس القتلى إلى بغداد، وفرح المسلمون بنصر الله [١] .

وصادروا بختيار بن بويه [وزير] المطيع فقال: أنا ليس لي غير الخطبة، فإن أحببتم اعتزلت، فشدوا عليه حتى باع قماشه، وحمل أربعمائة ألف درهم، فأنفقها ابن بويه في أغراضه، وأهمل الغزو، وشاع في الألسنة أن الخليفة صودر، كما شاع قبله أن القاهر كدي يوم جمعة، فانظر إلى تقلبات الدهر [٢] .

وفي شهر رمضان قتل رجل من أعوان الوالي في بغداد، فبعث الرئيس أبو الفضل الشيرازي- وكان قد أقامه عز الدولة على الوزارة- من طرح الناس من النحاسين [٣] إلى السماكين، فاحترق حريق عظيم لم يشهد مثله، وأحرقت أموال عظيمة وجماعة كثيرة من النساء، والرجال، والصبيان، والأطفال في الدور وفي الحمامات، فأحصى ما أحرق (من بغداد) [٤] فكان سبعة عشر [ألفا] [٥] وثلاثمائة دكان، وثلاثمائة وعشرين دارا، أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربعون ألفا، ودخل في الجملة ثلاثون [٦] مسجدا.

فقال رجل [٧] لأبي الفضل الشيرازي: أيها الوزير أرينا قدرتك، ونحن

---

[١] راجع هذه الواقعة في تكملة تاريخ الطبري ١/ ٢١٠ و ٢١١، تجارب الأمم ٢/ ٣٠٣ و ٣٠٤، المنتظم ٧/ ٦٠، الكامل لابن الأثير ٨/ ٦١٨ (حوادث سنة ٣٦١) ، البداية والنهاية ١١/ ٢٧١ و ٢٧٣ (حوادث سنتي ٣٦١ و ٣٦٢ هـ.) ، النجوم ٤/ ٦٥، دول الإسلام ١/ ٢٢٣.

[٢] راجع في ذلك. تجارب الأمم ٢/ ٣٠٧، الكامل لابن الأثير ٨/ ٦١٩ و ٦٢٠، البداية والنهاية ١١/ ٢٧٢، تاريخ الخلفاء ٤٠٢.

[٣] هكذا في الأصل، وفي المنتظم «النخاسين» .

[٤] ما بين القوسين عن الهامش.

[٥] ما بين الحاصرتين إضافة من المنتظم ٧/ ٦٠ ويوضح ابن كثير أنهم «سبعة عشر ألف إنسان» ١١/ ٢٧٣ وابن

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٧١/٢٦

الأثير ٨/ ٦٢٨ وفي العبر ٢/ ٣٢٥ و ٣٢٦ «ثلاثمائة وسبعة عشر دكانا» .

[٦] وفي تكملة تاريخ الطبري ١/ ٢١٢ والمنتظم ٧/ ٦٠ والكامل ٨/ ٦٢٨. (ثلاثة وثلاثون) .

[٧] هو: أبو أحمد الموسوي. (تكملة الطبري ١/ ٢١٢) .." (١)

"[حوادث] سنة أربع وستين وثلاثمائة

في المحرم أوقع العيارون [١] حريقا بالخشابين مبدؤه من باب الشعير، فاحترق أكثر هذا السوق، وهلك شيء كثير، واستفحل أمر العيارين ببغداد حتى ركبوا الخيل وتلقبوا بالقواد، وغلبوا على الأمور وأخذوا الخفارة من الأسواق والدروب، وكان فيهم أسود الزند [٢] كان يأوي قنطرة الزبد [٣] وشحذ [٤] وهو عريان، فلما كثر الفساد [رأى] [٥] هذا الأسود من هو أضعف منه قد أخذ السيف، فطلب الأسود سيفا ونهب وأغار، وحف به طائفة وتقوى، وأخذ الأموال، واشترى جارية بألف دينار، ثم راودها فتمنعت، فقال: ما تكرهين مني قالت: أكرهك كلك، قال: ما تحبين؟ قالت: تبيعني. قال: أو خيرا من ذلك. فحملها إلى القاضي وأعتقها، ووهبها ألف دينار، فتعجب الناس من

---

[١] انظر عن بدء أمرهم ببغداد في (مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٢٣٩- ٢٤١) .

[٢] كذا في الأصل، وفي الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ٣/ ١٦٠ وتكملة تاريخ الطبري ١/ ٢١٧، والمنتظم لابن الجوزي ٧/ ٥٧ «أسود الزيد» .

[٣] في الأصل «الزند» وهو تصحيف، والتصحيح من (تاريخ بغداد ١/ ١١٢) ويقال لها «قنطرة رحا البطريق» .

[٤] في المنتظم ٧/ ٧٥ «ويستعظم من حضر» .

[٥] ما بين الحاصرتين إضافة من تكملة تاريخ الطبري ١/ ٢١٧ والمنتظم ٧/ ٧٥ والنجوم ٤/ ١٠٨.." (٢)

"بسم الله الرحمن الرحيم

الطبقة الثامنة والثلاثون

حوادث سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة

فيها سرق السبع الفضة الذي على زبزب عضد الدولة، وعجب الناس كيف كان هذا مع هيبة عضد الدولة المفرطة، وكونه شديد المعاقبة على أقل جناية تكون، وقلبت الأرض على سارقه، فلم يوقف له على خبر. ويقال أن صاحب [مصر] [١] دس من فعل هذا.

وكان العزيز العبيدي قبل هذا قد بعث رسولا إلى عضد الدولة، وكتابا أوله: «من عبد الله نزار العزيز بالله أمير المؤمنين، إلى عضد الدولة أبي شجاع مولى أمير المؤمنين، سلام عليك، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله [٢] أن يصلي على جده محمد صلى الله عليه وسلم» . والكتاب مبني على الاستمالة مع ما يسر إليه [٣]

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٦/٢٤٨

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٦/٢٥٧

الرسول عتبة [٤] بن الوليد، فبعث مع الرسول رسولا له وكتابا فيه مودة وتعللات مجملة.

وفي ربيع الأول وقع **حريق** بالكرخ من حد درب القراطيس إلى بعض

---

[١] ساقطة من الأصل استدركناها من (المنتظم ٧/ ١٠٧) .

[٢] في الأصل «تسأله» .

[٣] في الأصل «عليه» .

[٤] في الأصل «عقبة» والتصويب من (ذيل تجارب الأمم ٢٧) .." (١)

"[حوادث] سنة ثمانين [١] وثلاثمائة

فيها زاد أمر العيارين ببغداد وصاروا مبيتين، ووقعت بينهم حروب عظيمة، واتصل القتال من أهل الكرخ وباب البصرة، وقتل الناس ونهبت الأموال وتواترت العملات، وأحرق بعضهم محال بعض، ووقع **حريق** في نهر الدجاج ذهب فيه شيء كثير [٢] .

آخر الحوادث

---

[١] في الأصل «سبعين» وهو خطأ.

[٢] في الأصل «كبير» والتصحيح من (المنتظم ٧/ ١٥٣) وانظر عن هذا الخبر (ذيل تجارب الأمم ١٨٧ حوادث سنة ٣٨١ هـ.، الكامل في التاريخ ٩/ ٧٦، البداية والنهاية ١١) ٣٠٨، مرآة الجنان ٢/ ٤٠٨) .." (٢)

"روى عنه هبة الله بن إبراهيم الصواف، وانتقى عليه الدار قطني، مع جلالته.

ورخه الحبال.

محمد بن عبد الأعلى، أبو بكر النيسابوري الفقيه.

سمع الأصم، وأبا الوليد الفقيه.

محمد بن عبد الواحد بن محمد بن زكريا، أبو حاتم الخزاعي الرازي اللبان.

عن ميسرة بن علي، وحامد الرفاء، وابن عدي.

وعنه: أبو العلاء الواسطي، والجوهري، وابن المهتدي بالله، وعدة.

بقي إلى هذا العام.

محمد بن محمد بن جعفر [١] ، أبو بكر الدقاق، الفقيه الشافعي الحاكم.

قال الخطيب: روى حديثا واحدا، ولم يكن عنده سواه، لأن كتبه **احترقت**. أنبأه الصيمري عنه، عن أحمد بن إسحاق

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٧١/٢٦

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٨٧/٢٦

بن البهلول، عن أبي كريب.

وكان أبو بكر هذا يلقب خباط. وله كتاب في الأصول على مذهب الشافعي، وكان فيه دعابة.

محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم، أبو سهل الضبي ابن أخي عبد الله الحاكم النيسابوري.

قال الحاكم: سمع الكثير قبلي ومعي، وكتب بخطه جملة، وحدث، وكان أكبر مني بخمس عشرة سنة، وكذا علقمة بن قيس، أكثر من عمه عبد الله بن شبرمة.

---

[١] تاريخ الخطيب ٣/ ٢٢٩ رقم ١٢٩٤، طبقات الفقهاء ١١٨، الوافي بالوفيات ١/ ١١٦ رقم ١٨، المنتظم ٧/ ٢٢٢ رقم ٣٥٤، الكامل في التاريخ ٩/ ١٧١، طبقات الشافعية للسبكى ١/ ٥٢٢، ٥٢٣ رقم ٤٧٥، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٠٦، الأنساب ٥/ ٣٦١، كشف الظنون ١٣٠٠، معجم المؤلفين ١١/ ٢٠٣.." (١)

"عيد الأضحى، فركب الطائع إلى المصلى، وعليه قباء وعمامة، وخطب خطبة خفيفة، بعد أن صلى بالناس، ثم إن عز الدولة [أدخل يده] [١] في إقطاع سبكتكين، فجمع سبكتكين، الأتراك الذين ببغداد، ودعاهم إلى طاعته، فأجابوه، وراسل أبا إسحاق معز الدولة يعلمه بالحال ويطمعه أن يعقد له الأمر، فاستشار أمه، فمنعته، فصار إليها من بغداد جماعة، فصوبوا لها محاربة سبكتكين فحاربوه فهزمهم، واستولى على ما كان ببغداد لعز الدولة، ونادت العامة بنصر سبكتكين، فبعث إلى عز الدولة يقول: إن الأمر قد خرج عن يدك، فأخرج لي عن واسط وبغداد، وليكونا لي، ويكون لك الأهواز والبصرة، ودعي الحرب.

وكتب عز الدولة إلى عضد الدولة يستنجده، فتوانى، وصار الناس حزبين، وأهل التشيع ينادون بشعار عز الدولة، والسنة والديلم ينادون بشعار سبكتكين، واتصلت الحروب، وسفكت الدماء، وكشفت الدور، وأحرق الكرخ حريقا ثانيا [٢] .

وكان الطائع شديد الحيل، قويا في خلقه [٣] .

[وتقلد] [٤] بهاء الدولة بن عضد الدولة بإشارة الأمراء ومعونتهم. ثم كان في دار عبد القادر بالله مكرما محترما، إلى أن مات ليلة عيد الفطر، وصلى عليه القادر بالله، وكبر عليه خمسا، وحمل إلى الرصافة، وشيعه الأكابر

---

[١] ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإستدراك من المنتظم ٧/ ٦٨ (حوادث سنة ٣٦٣ هـ.) .

[٢] المنتظم ٧/ ٦٨.

[٣] قال ابن الجوزي إن الطائع كان «حسن الجسم شديد القوة، وفي رواية أنه كان في دار الخلافة أيل عظيم، فكان يقتل بقرنه الدواب والبغال ولا يتمكن أحد من مقاومته، فاجتاز الطائع لله فرآه وقد شق راويه، فقال للخدم: أمسكوه، فسعوا خلفه حتى ألجئوه إلى مضيق وبادر الطائع فأمسك قرنيه بيديه، فلم يقدر أن يخلصهما، واستدعى بنجار فقال: ركب المنشار عليهما، ففعل، فلما بقيا على يسير قطعهما بيده، وهرب الأيل على وجهه» .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٧/٢٧٥

(المنتظم ٧/ ٦٨، ٦٧) ٨.

[٤] في الأصل بياض، وقد أضفنا ما بين الحاصرتين لضرورة السياق.." (١)

"سنة سبع وأربعمائة

[احتراق مشهد الحسين]

فيها احترق مشهد الحسين رضي الله عنه بكربلاء من شمعتين سقطتا في جوف الليل على التأزير [١] .

[احتراق دار القطن]

وفيها احترقت دار القطن [٢] ونهر طابق.

[وقوع قبة الصخرة]

وفيها وقعت القبة الكبيرة التي على الصخرة ببيت المقدس [٣] .

[الفتنة بين الشيعة والسنة]

وفيها هاجت الفتنة بين الشيعة والسنة بواسطة، ونهبت دور الشيعة الزيدية وأحرقت، وهرب وجوه الشيعة والعلويين، فقصدوا علي بن مزيد واستنصروا به [٤] .

---

[١] المنتظم ٧/ ٢٨٣، الكامل في التاريخ ٩/ ٢٩٥، البداية والنهاية ١٢/ ٤، ٥، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٤١.

[٢] في المنتظم: احترق نهر طابق ودار الركن اليماني من البيت الحرام، والمثبت يتفق مع: الكامل في التاريخ ٩/ ٢٩٥، والبداية والنهاية ١٢/ ٥ وفيه يتضح أن خبر الركن اليماني قد اختلط في «المنتظم» بخبر دار القطن.

[٣] المنتظم ٧/ ٢٨٣، الكامل في التاريخ ٩/ ٢٩٥، دول الإسلام ١/ ٢٤٣، مرآة الجنان ٣/ ٢٠، البداية والنهاية ١٢/ ٥، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٤١، شذرات الذهب ٣/ ١٨٤.

[٤] المنتظم ٧/ ٢٨٣، الكامل في التاريخ ٩/ ٢٩٥، دول الإسلام ١/ ٢٤٣، مرآة الجنان ٣/ ٢٠، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٤١.." (٢)

"تكبيرهم. واقتضى رأيه أن يزحف بهم إلى فتوح، وهي التي أعيت الملوك، غير كشاسب على ما زعمته المجوس، وهو ملك الملوك في زمانه، فزحف السلطان بهم وبجنوده، وعبر مياه سيحون وتلك الأودية التي تجل أعماقها عن الوصف، ولم يطأ مملكة من تلك الممالك إلا أتاه الرسول واضعا خد الطاعة، عارضا في الخدمة الاستطاعة. إلى أن جاءه جنكي بن شاهي وسهمي صاحب درب قشمير، عالما بأنه بعث الله الذي لا يرضيه إلا الإسلام أو الحسام. فضمن إرشاد الطريق، وسار أمامه هاديا. فما زال يفتح الصياصي والقلاع حتى مر بقلعة هارون. فلما رأى ملكها الأرض تموج بأنصار الله ومن حولها الملائكة زلزلت قدمه، وأشفق أن يراق دمه، ورأى أن يتقي بالإسلام بأس الله، وقد شهرت

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٧/٢٨٧

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٨/٢٥

حدوده ونشرت بعذبات العذاب بنوره، فنزل في عشرة آلاف ينادون بدعوة الإسلام.

ثم سار بجيوشه إلى قلعة كلنجد، وهو من من رءوس الشياطين، وفكانت له معه ملحمة عظيمة، هلك فيها من الكفار خمسون ألفا، من بين قتيل وحريق وغريق. فعمد كلنجد إلى زوجته فقتلها، ثم ألحق بها نفسه. وغنم السلطان مائة وخمسة وثمانين فيلا. ثم عطف إلى البلد الذي يسمى المعبد، وهو مهرة الهند بطالع ابنيتها التي تزعم أهلها أنها من بناء الجن، فرأى ما يخالف العادات، وتفتقد روايتها إلى الشهادات. وهى مشتملة على بيوت أصنام بنقوش مبدعة، وتزاويق تخطف البصر.

قال: وكان فيما كتب به السلطان أنه لو أراد مريد أن يبني ما يعادل تلك الابنية ليعجز عنها بإنفاق مائة ألف ألف درهم، في مدة مائتين سنة، على أيدي عملة كملة، ومهرة سحرة.

وفي جملة الأصنام خمسة من الذهب معمولة طول خمسة أذرع، عينا كل واحد منها ياقوتتان، قيمتهما خمسون ألف دينار بل أزيد. وعلى آخر ياقوتة زرقاء، وزنها أربعمائة وخمسون مثقالا. فكان جملة الذهبيات الموجودة على أحد الأصنام المذكورة ثمانية وتسعين ألف مثقال. ثم أمر السلطان بسائر الأصنام فضربت بالنفط، وحاز من السبايا والنهاب ما يعجز عنه أنامل الحساب. ثم سار." (١)

"نفسي فدى لمة وقد ... كحلت الليل والصباحا

ومقلة أولعت بقتلي ... قد صيرت لحظها سلاحا

وعقرب سلطت علينا ... تملأ أكبادنا جراحا

ومن قصيدته في أبي على القالي، أولها:

من حاكم بيني وبين عذولي ... الشجو شجوي والعويل عويلي [١]

في أي جارحة أصون معذبي ... أو قلت في كبدي فثم غليلي [٢]

وله في ألثغ:

لا الراء تطمع في الوصال ولا أنا ... الهجر يجمعنا ونحن سواء

فإذا خلوت كتبتها في راحتي ... وبكيت منتحبا أنا والراء [٣]

وله:

لا تنكروا غزر الدموع فكلما ... ينحل من جسمي يصير دموعا

والعبد قد يعصي وأحلف أنني ... ما كنت إلا سامعا ومطيعا

قولوا لمن أخذ الفؤاد مسلما ... يمنن علي برده مصدوعا [٤]

ومن شعره في صاحب سرقسطة عبد الرحمن بن محمد التجيبي، وأجازه بثلاثمائة دينار:

قفوا تشهدوا بثي وإنكار لائمي ... علي بكائي في الرسوم الطواسم

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٨/٣٠

أنأمن من أن تغدو حريق تنفسي ... وإلا غريقا في الدموع السواجم

وما هي إلا فرقة تبعث الأسى ... إذا نزلت بالناس أو بالبهائم [٥]

وله:

قالوا: اصطبر وهو شيء لست أعرفه ... من ليس يعرف صبرا كيف يصطبر

---

[١] البيت في: جذوة المقتبس ٣٧٠، وبغية الملتمس ٤٩٣.

[٢] الأبيات في: يتيمة الدهر ٢/ ١٠٠، ١٠١، ووفيات الأعيان ٧/ ٢٢٦.

[٣] البيتان في: وفيات الأعيان ٧/ ٢٢٧.

[٤] الأبيات في: جذوة المقتبس ٣٧٢، وبغية الملتمس ٤٩٥، والروض المعطار ٢٦٨، ٢٦٩.

[٥] الأبيات في جذوة المقتبس ٣٧١، وبغية الملتمس ٤٩٤ من أبيات أخرى.." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

الطبقة الثانية والأربعون

سنة إحدى عشر وأربعمائة

[فقد الحاكم بأمر الله]

في شوال فقد الحاكم صاحب مصر، وكان يواصل الركوب وتتصدى له العامة فيقف عليهم ويسمع منهم. وكان الخلق في ضنك من العيش معه. وكانوا يدسون إليه الرقاع المختومة بالدعاء عليه والسب له ولأسلافه، حتى أنهم عملوا تمثال امرأة من كاغد بخف وإزار ثم نصبوها له، وفي يدها قصة. فأمر بأخذها من يدها، ففتحها فرأى فيها العظائم، فقال: أنظروا من هذه. فإذا هي تمثال مصنوع. فتقدم بطلب الأمراء والعرفاء فحضروا، فأمرهم بالمصير إلى مصر وضربها بالنار ونهبها وقتل أهلها [١] . فتوجهوا لذلك فقاتل المصريون عن أنفسهم بحسب ما أمكنهم. ولحق النهب والحريق الأطراف والنواحي التي لم يكن لأهلها قوة على امتناع ولا قدرة على دفاع.

واستمرت الحرب بين العبيد والرعية ثلاثة أيام، وهو يركب ويشاهد النار، ويسمع الصياح. فيسأل عن ذلك، فيقال له: العبيد يحرقون مصر. فيتوجع ويقول: من أمرهم بهذا؟ لعنهم الله.

---

[١] روى ابن العبري هذا الخبر على هذا النحو:

«وتمادى الخليفة الحاكم حتى السنة ٤١١ للعرب (١٠٢٠ م.) في الضغط على المصريين حتى كرهوه وأبغضوه جدا وجعلوا يكتبون رقاعا يحشونها سبا وذما وتهكما به وبنسائه ويغلفونها ويدفعونها له ليلا وهو راكب ويختفون. وأفضى بهم الأمر إلى أن صنعوا من البردي شكل امرأة باسطة يدها وبين أصابعها رقعة مكتوبة ونصبوها في إحدى الزوايا ليلا

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٨/٩٤

حيث يمر الحاكم وأخفوا الشبح بقرطاس أبيض. ولما مر وشاهدها احتدم سخطا وأمر عبيده أن يقطعوها بالسيف، فانتهوا إليها ورأوها صورة خيالية وانتزعوا القرطاس من يدها وانقلبوا فأخبروا الحاكم، ففتح القرطاس وقرأ فيه كلمات قبيحة تمس شرف أختـه العذراء» (تاريخ الزمان ٧٩) .." (١)

"قلت: بل لعنة الله على الكافر.

فلما كان في اليوم الثالث اجتمع الأشراف والشيوخ إلى الجامع ورفعوا المصاحف، وعج الخلق بالبكاء والاستغاثة بالله. فرحمهم الأتراك وتقاطروا إليهم وقاتلوا معهم. وأرسلوا إلى الحاكم يقولون له: نحن عبيدك ومماليكك، وهذه النار في بلدك وفيه حرمنا وأولادنا، وما علمنا أن أهله جنوا جناية تقتضي هذا. فإن كان باطن لا نعرفه عرفنا به، وانتظر حتى نخرج عيالنا وأموالنا، وإن كان ما عليه هؤلاء العبيد مخالفا لرايك أطلقنا في معاملتهم بما نعامل به المفسدين.

فأجابهم: إني ما أردت ذلك ولا أذنت فيه، وقد أذنت لكم في الإيقاع بهم.

وأرسل العبيد سرا بأن كونوا على أمركم، وقواهم بالسلاح.

فاقتتلوا، وعاودوا الرسالة: إنا قد عرفنا غرضك، وإنه إهلاك البلد.

ولوحوا بأنهم يقصدون القاهرة. فلما رآهم مستظهرين، ركب حماره ووقف بين الفريقين، وأومأ إلى العبيد بالانصراف. وسكنت الفتنة.

وكان قدر ما أحرق من مصر ثلثها، ونهب نصفها. وتتبع المصريون من أسر الزوجات والبنات، فاشتروهن من العبيد بعد أن زنوا بهن، حتى قتل جماعة أنفسهن من العار.

ثم زاد ظلم الحاكم، وعن له أن يدعي الربوبية، كما فعل فرعون، فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون: يا واحد يا أحد [١] ، يا محيي يا مميت.

وكان قد أسلم جماعة من اليهود، فكانوا يقولون: إنا نريد أن نعاود ديننا، فيأذن لهم [٢] .

---

[١] في المنتظم: «يا واحدنا يا أحدنا» ، وانظر: تاريخ الزمان لابن العبري- ص ٨١.

[٢] المؤلف- رحمه الله- ينقل هذا الخبر عن «المنتظم» لابن الجوزي ٧/ ٢٩٧، ٢٩٨ باختلاف بعض الألفاظ، وانظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير ٩/ ٣١٥، وتاريخ الزمان لابن العبري ٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١٧٧ وفيه: «ولما أمر بحريق مصر واستباحها، بعث خادمه ليشاهد الحال، فلما رجع قال: كيف رأيت؟ قال: لو استباحها طاغية الروم ما زاد على ما رأيت، فضرب عنقه» ، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٨٠- ١٨٣، وبدائع الزهور ج ١ ق ١/ ٢٠٨، ٢٠٩.." (٢)

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٣٧/٢٨

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٣٨/٢٨

"وأوحش أخته بمراسلات قبيحة، وأنها ترتكب الزنا. فراسلت ابن دواس

[()] وقد أورد هذا الخبر بتفصيل وإسهاب مؤرخ نصراني معاصر للحاكم بأمر الله هو «يحيى بن سعيد الأنطاكي» المتوفى سنة ٤٥٨ هـ. وكان بطريركا على الإسكندرية، وذلك في كتابه «تاريخ الأنطاكي» المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، وقد ذكره في حوادث سنة ٤١٠ هـ. فقال:

«وظهر في أيدي المصريين أبيات شعر وقصائد منسوبة إلى الحاكم تنضمن وعيده لهم **بحريق** دورهم، ونهب أموالهم، وسبي حريمهم، وسفك دمائهم، وكثر الإرجاف بهم، فقرئ عليهم سجل بتطمينهم، ويزيل سوء ظنهم» .

وتناسخوا أيضا كتابا ذكروا أنه من الحاكم، تاريخه العشر الأخير من شهر رمضان سنة عشر وأربعمائة، يتضمن تفنيدهم على تخلفهم عن تسليم الحق إلى أهله، وتركهم التشاغل بعيوب نفوسهم، واعتراضهم عليه فيما يفعله، ويشير عليهم بالمبادرة إلى الإيمان في أوانه وقبل فو ا ته، ويوبخهم على مخالفتهم إياه فيما قصد بهم إليه مما يعود عليهم بالقرب إلى باريهم، ومجاهرتهم له بما أتوه من الخطايا وتظاهروا به من البدع، ويتواعدهم بأن كل عقوبة سيحلها بهم إن لم يزروا الشر ويعملون الخير ويعمدوا عليه، ويسلموا إلى إمام دهرهم، ويولجوا إليه أمرهم، ويذكرهم بما تقدم من إنذاره لهم، وتخويفه إياهم على مباينته، ويعد من قبل أوامره واحتذى مرضاته بالإحسان إليهم والإبقاء عليهم، ويحذر من صبر على الأفعال المنكرة بخلاء ديارهم، وتعفية آثارهم، وسبي نساءهم (كذا) وأولادهم، ونهب أموالهم، وأنهم حينئذ يطلبون ناصرا فلا ينصرون، ويقسم على من وقع كتابه بيده أن يقرأه على أهله وجيرانه، ويجعلهم على علم من مضمونه.

وتفاوض المسلمون بينهم أن قصده سياقتهم إلى ما دعا إليه الدرزي، وأن حنقه عليهم إنما هو لنفورهم منه. وأكثروا الكلام في ذلك، وعملوا أشعارا يكفرونه فيها، يشيرون بها إليه، وترنموا بأغاني تتضمن شتيمة له وألفاظا قبيحة يشيرون بها إليه، وجميعها تتصل به في وقتها، فازداد غضبا عليهم.

وتقدم في ذي القعدة سنة عشر وأربعمائة بأن يفرق على العبيد السودان من العسكرية سلاح، وأوعز إليهم بالنزول إلى مصر، وأن يتعمدوا حرقها وسبي حريم أهلها وأولادهم، ونهب أموالهم، فبدءوا في طرح النار في طرف مصر في الموضع المعروف بالتبانين، وتركوا أيديهم في النهب، وامتدوا فيه إلى أن أتوا على ما في القياسر التي يباع فيها البز، وعلى كثير من الحوانيت والمساكن، وأسروا خلقا من النسوان وافترسوهن، وتهارب جماعة منهم إلى الجامع تحرما به فلم يحمهم، ونهبوا مواضع كثيرة من مصر، وأحرقت النار شطرا كبيرا من البلد، ولم يتجاسر المصريون على إطفائها خوفا من أن يجري عليهم ما هو أعظم وأشد. وانتهى إلى الحاكم عظم الحادثة بمصر من **الحريق** والنهب والأسر، فإنه لم يؤمن تفاقمه وخروجه إلى ما يصعب تلافيه واستدراكه، فتقدم إلى غادي الخادم الصقلبي بالنزول إلى مصر في جماعة من الجند ليسكن الفتنة، فنزل وشاهد أمرا فظيعا وحالة قبيحة، فقتل بعضا من العبيد ومن أهل الشر لتوقع الهيبة فيهم، وفرق جمعهم، وعاد إلى الحاكم وهو حنق مما شاهد، وشرح له قبح النازلة وعظم الحادثة، وقال له في جملة كلامه: لو أن باسيل ملك

الروم دخل إلى مصر لما استجاز أن يفعل بها مثل هذا، فنقم عليه الحاكم وقتله، فاستغاث المصريون إليه في العفو عنهم والتقدم بإطفاء النار لئلا تهلكهم، فأذن بذلك بعد أن تلف من العقارات والرحالات ما يعظم قدره.." (١)

"الأمير، وكان متخوفا من الحاكم. ثم جاءت إليه فقبل الأرض بين يديها، فقالت: قد جئتك في أمر أحرس نفسي ونفسك.

قال: أنا خادمك.

فقالت: أنت ونحن على خطر عظيم من هذا. وقد أنضاف إلى ذلك ما تظاهر به وهتك الناموس الذي أقامه آباؤنا، وزاد جنونه وحمل نفسه على ما لا يصبر المسلمون على مثله. وأنا خائفة أن يثور الناس علينا فيقتلوه ويقتلونا، فتنقضي هذه الدولة أقبح انقضاء.

قال: صدقت في الرأي.

قالت: تحلف لي وأحلف لك على الكتمان.

فتحالفا على: قتله وإقامة ولده مكانه، وتكون أنت مدبر دولته.

قالت: فاختر لي عبدين تثق بهما على سرك وتعتمد عليهما.

فأحضر عبدين موصوفين بالأمانه والشهامة. فحلفتهما ووهبتهما ألف دينار، ووقعت لهما بإقطاع، وقالت: اصعدوا إلى الجبل فاكمنا له، فإن غدا يصعد الحاكم إليه وليس معه إلا الركابي وصبي، وينفرد◌ بنفسه. فإذا جاء فاقتلاه مع الصبي. وأعطتهما سكينتين مغربيتين [١] .

وكان الحاكم ينظر في النجوم. فنظر مولده، وكان قد حكم عليه بقطع [٢]

[()] وقال بعض الناس: إن السبب في ما أمر به من حريق مصر ونهبها أن أكثر تلك الأشعار والقصائد المنسوبة إليه أو كلها هم انحلوه إياها وعملوها على لسانه، وكذلك الكتاب المكتسب عنه، وأنه قصده أن يحقق فيهم ما تفاءلوا به على أنفسهم، وبعثه عليه أيضا ذكرهم له في أشعارهم وأغانيهم وتشيرهم (كذا) له وتلقيبهم إياه.

وقال بعضهم: بل هو لحنقه عليهم لتخلفهم عن المسارعة إلى الدخول في دعوة الدرزي والهادي.

ولعله كان للحالتين جميعا.

وقرئ عليهم بعد ما جرى من الحريق والنهب سجل بالغم مما نالهم، وأنه لم يكن بأمره ولا جرى باختياره.

(تاريخ الأنطاكي- بتحقيقنا- ص ٣٤٥- ٣٤٨- طبعة جروس برس، طرابلس ١٩٩٠) .

[١] المنتظم ٧/ ٢٩٨.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٨/٢٣٩

[٢] أي حادث خطير، أو أمر جلل إذا تخطاه وقطعه سلم. ويقال بالعامية: قطوع. وانظر: اتعاظ الحنفا للمقريزي- ج ٢/ ١١٥ بتحقيق الدكتور محمد حلمي محمد أحمد حيث يقول في." (١)

"وأضحت دمشق في مصاب وأهلها ... لهم خبر قد سار في الشرق والغرب

حريق وجوع دائم ومذلة ... وخوف فقد حق الكباء مع الندب

وأضحت تلالا قد تمحت رسومها ... كبعض ديار الكفر بالخسف والقلب

في أبيات.

[رواية ابن القلانسي عن هلاك ولي العهد]

قال أبو يعلى حمزة في تاريخه [١] : عاد عبد الرحيم ولي العهد إلى دمشق في رجب [٢] ، فتعجب الناس من اختلاف أراء الحاكم. فلم يلبث أن وصل ابن داود المغربي على نجيب مسرع ومعه جماعة، يوم عرفة (من سنة إحدى عشر) [٣] ، بسجل إلى ولي العهد المذكور. ودخلوا عليه القصر، وجرى بينهم كلام طويل، ثم إنهم أخرجوه وضربوه. وأصبح الناس يوم الأضحي لم يصلوا صلاة العيد لا في المصلى ولا في الجامع. وسار به أولئك إلى مصر [٤] .

[ولاية أبي المطاع ابن حمدون دمشق]

ثم وصل على إمرة دمشق ثانيا أبو المطاع بن حمدان [٥] ، وكان سائسا [٦] أديبا شاعرا، فولي مدة شهرين.

[ولاية سختكين دمشق]

ثم عزل بشهاب الدولة سختكين [٧] ، فولي عامين [٨] ، وأعيد ابن حمدان [٩] .

---

[١] ذيل تاريخ دمشق- ص ٧٠.

[٢] سنة ٤١٢ هـ. كما في: ذيل تاريخ دمشق.

[٣] ما بين القوسين ليس في: ذيل تاريخ دمشق، وهو من إضافة المؤلف- رحمه الله-، وقد أشرت قبله إلى أن ابن القلانسي يؤرخ الخبر بسنة ٤١٢ هـ.

[٤] ذيل تاريخ دمشق ٧٠٠.

[٥] هو: ذو القرنين بن أبي المظفر حمدان بن ناصر الدولة. انظر: أخبار مصر في سنتين للمسبحي ٣٤، ٥٢، ٥٨، ١٠٠، ١٧٢، ويتيمة الدهر ١/ ١٠٦، وتهذيب تاريخ دمشق ٥/ ٢٦٢، وأمراء دمشق في الإسلام للصفدي ٣٣ رقم ١٠٧، ووفيات الأعيان ٢/ ١٤٤، وشذرات الذهب ٣/ ٢٣٨.

[٦] في: ذيل تاريخ دمشق ٧٠ «ساميا» ! والمثبت يتفق مع: تهذيب تاريخ دمشق ٥/ ٢٦٢.

[٧] في: ذيل تاريخ دمشق ٧٠ «شحتكين» ، وفي: تهذيب تاريخ دمشق ٦/ ٦٨ «سحتكين» بالسين المهملة، والمثبت أعلاه يتفق مع: أمراء دمشق في الإسلام للصفدي ٣٧ رقم ١٢٠.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٨/٢٤٠

[٨] في: ذيل تاريخ دمشق ٧١ «فكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر ويومين» .

[٩] ذيل تاريخ دمشق ٧٠، ٧١.." (١)

"عنه، وأظهر المنكر والأغاني والخمور، فأحبه أحداث البلد، ولكن أبغضه الأجناد لبخله، وكاتبوا فيه الحاكم وحذروا من خروجه. ووقع الشر بين الجند والأحداث بسببه وازداد البلاء، ووقع الحرب بدمشق والنهب **والحريق** إلى ان طلب من مصر، فسار علي رأس عشرة أشهر من ولايته، ثم رجع إليها بعد أربعة أشهر، وقد غلب على دمشق محمد بن أبي طالب الجرار، والتف عليه الأحداث وحاربوا الجند وقهروهم. فراسله ولي العهد ولاطفه فلم يطعه. فتوثب الجند ليلة على محمد بن أبي طالب وقبضوا عليه وطلبوه، ودخل ولي العهد وتمكن، فأخذ في مصادرة الرعية وبالغ فأبغضوه فجاءهم موت الحاكم وقيام ابنه الطاهر.

ثم جاء كتاب الطاهر إلى الأمراء بالقبض علي ولي العهد فقيدوه، وسجن إلى أن مات. فقيل إنه قتل نفسه بسكين في الحبس.

وقد جرت فتنة يوم القبض عليهـ، وكان يوم عيد النحر، فلم تصل صلاة العيد، ولا خطب لأحد البتة.

١٦- عبد الغني بن عبد العزيز الفأفاء المصري [١] .

السائح.

سمع من: عثمان بن محمد السمرقندي.

وتوفي في رجب.

١٧- عبد القاهر بن عبد العزيز بن إبراهيم [٢] .

أبو الحسين الأزدي المقرئ الشاهد، الصائغ.

قرأ على جماعة من أصحاب هارون الأخفش من أجلهم محمد بن النضر بن الأخرم.

وقرأ أيضا على أحمد بن عثمان غلام السباك.

وسمع من: ابن حذلم، وعلي بن أبي العقب.

وادرك ابن جوصا، وغيره.

وكان يعرف أيضا بالجوهري.

---

[١] لم أقف على مصدر ترجمته.

[٢] لم يذكره ابن الجزري في طبقات القراء.." (٢)

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٤٤/٢٨

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٧٩/٢٨

"- حرف السين-

٢٥٠- سابور بن أردشير [١] .

الوزير.

وزر لبهاء الدولة بن عضد الدولة. وكان شهما مهيبا، ذا رأى وحزم وخبرة.

وكان بابه محط الشعراء.

مدحه الكاتب أبو الفرج الببغاء، وجماعة.

وقد صرف عن الوزارة، ثم أعيد إليها.

وتوفي ببغداد [٢] .

- حرف الصاد-

٢٥١- صالح بن إبراهيم بن رشدين المصري [٣] .

أبو علي.

روى عن: العباس بن محمد الرافقي.

وعنه: خلف بن أحمد الحوفي.

---

[١] انظر عن (سابور بن أردشير) في:

يتيمة الدهر للثعالبي ٣/ ١٢٤- ١٣١، والمنتظم ٨/ ٢٢، ٢٣ رقم ٤٢، والكامل في التاريخ ٩/ ٣٥٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٥٤- ٣٥٦ رقم ٢٥٥، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٨٧ رقم ٢٤٧، والبداية والنهاية ١٢/ ١٩.

و «سابور» بفتح السين المهملة وضم الباء الموحدة وبعد الواو راء. والأصل فيه: «شاه بور» فعرب لأن الشاه بالعجمي: الملك، وبور: ابن، فكأنه قال ابن الملك، وعادة العجم تقديم المضاف إليه على المضاف، وأول من سمي بهذا الاسم سابور بن أردشير بن بابك بن ساسان أحد ملوك الفرس. (وفيات الأعيان ٢/ ٣٥٦) .

و «أردشير» : بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الدال المهملة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء. قاله الدارقطني الحافظ، وقال غيره: معناه دقيق حليب، وقيل:

معناه دقيق وحلو. وقال بعضهم: «أزدشير» بالهمزة والزاي، وهو لفظ عجمي، و «أرد» عندهم:

الدقيق. و «شير» : الحليب. و «شيرين» : الحلو. (وفيات الأعيان) .

[٢] قال ابن الأثير: وكان كاتبا سديدا، وعمل دار الكتب ببغداد سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وجعل فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد، وبقيت إلى أن احترقت عند مجيء طغرلبك إلى بغداد سنة خمسين وأربعمائة. (الكامل ٩/ ٣٥٠)

.

[٣] لم أقف على مصدر ترجمته.." (١)

"٣٣٠- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدان [١] .

أبو القاسم القرشي النيسابوري السراج.

روى عن: أبي العباس الأصم، وأبي منصور محمد بن القاسم الصبغي، ومحمد بن سليمان البزاري، وأحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفي، وجماعة.

روى عنه: أبو بكر الخطيب، وعلي بن أحمد الأخرم المديني، وأبو صالح المؤذن، وعثمان المحمي [٢] ، وفاطمة بنت الدقاق، وجماعة.

مات في صفر.

وكان إماما جليلا، ثقة كبير القدر فقيها.

تفقه على الأستاذ أبي الوليد.

٣٣١- عبد الوهاب بن جعفر بن علي [٣] .

أبو الحسين بن الميداني، الدمشقي المحدث.

روى عن: أبي علي بن هارون، وأحمد بن محمد بن عمارة، وأبي عبد الله بن مروان، والحسين بن أحمد بن أبي ثابت، وأبي بكر بن أبي دجانة، وأبي عمر بن فضالة، وخلق كثير بعدهم.

روى عنه: رشأ بن نظيف، وأبو سعد السمان، وعبد العزيز الكتاني، وعلي بن محمد بن أبي العلاء، وأبو العباس أحمد بن قبيس المالكي، وآخرون.

توفي في جمادى الأولى.

قال الكتاني: ذكر أبو الحسين أنه كتب بمائة رطل حبر، وقد احترقت كتبه

---

[١] انظر عن (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله) في:

المنتخب من السياق ٣٠١ رقم ٩٩٥.

[٢] المحمي: بالحاء المهملة الساكنة بين الميمين أولاهما مفتوحة، هذه النسبة إلى محم، وهو بيت كبير بنيسابور يقال له المحمية. (الأنساب ١١/ ١٧٣) .

[٣] انظر عن (عبد الوهاب بن جعفر) في:

تاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ٢٥/ ١٤٩، والعبر ٣/ ١٢٨، ١٢٩، والإعلام بوفيات الأعلام ١٧٥، وسير أعلام

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٤٠/٢٨

النبلاء ١٧/ ٤٩٩، ٥٠٠ رقم ٣٢٢، والمغني في الضعفاء ٢/ ٤١٢، والمشتبه في أسماء الرجال ٢/ ٦٢٣، وميزان الاعتدال ٢/ ٦٧٩، ومرآة الجنان ٣/ ٣٣، ولسان الميزان ٤/ ٨٦، وشذرات الذهب ٣/ ٣١٠.." (١)

"أبو بكر البغدادي، الخفاف الوراق.

عن: القطيعي، ومخلد الباقرحي، وطبقتهما.

قال الخطيب [١] : كتبت عنه، وكان غير ثقة. يضع ويختلق الأسماء. قال لي: **احترقت** من كتبي ألف وثمانون منا كلها سماعي.

٣٤٠- محمد بن زهير بن أخطل [٢] .

أبو بكر النسائي، الفقيه الشافعي. رأس الشافعية بنسا وخطيبها.

رحل الناس إليه للأخذ عنه.

سمع من: الأصم، وأبي حامد بن حسنويه، وابن عبدوس الطرائفي، وأبي الوليد حسان بن محمد، وأبي سهل بن زياد القطان، وأبي بكر الشافعي.

وعمر دهرا.

روى عنه: أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن.

وتوفي ليلة الفطر.

٣٤١- محمد بن علي بن إسحاق [٣] .

أبو منصور البغدادي الكاتب.

حدث عن: أبي بكر بن مقسم المقرئ، وأبي علي بن الصواف.

قال الخطيب: كتبنا عنه، وسماعه صحيح.

٣٤٢- محمد بن محمد أحمد بن الروزبهان [٤] .

أبو الحسن البغدادي.

كان يسكن بناحية نهر طابق [٥] .

---

[١] في تاريخه ٢/ ٢٥٠.

[٢] انظر عن (محمد بن زهير) في:

العبر ٣/ ١٢٩، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٩٢ رقم ٢٥٤، والوافي بالوفيات ٣/ ٧٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ١٤٩، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٨٢، وشذرات الذهب ٣/ ٢١٠.

[٣] انظر عن (محمد بن علي) في: تاريخ بغداد ٣/ ٩٣ رقم ١٠٩٠.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٨/٤٤٩

[٤] انظر عن (محمد بن محمد) في: تاريخ بغداد ٣/ ٢٣١ رقم ١٠٣١.

[٥] نهر طابق: أو نهر الطابق: محلة ببغداد من الجانب الغربي قرب نهر القلاءين شرقا، وإنما هو نهر بابك منسوب إلى بابك بن بهرام بن بهرام، وهو قديم. (معجم البلدان ٥/ ٣٢١) .." (١)

"٢٢٩- عبد الباقي بن هبة الله بن محمد بن جعفر [١] .

أبو القاسم البغدادي الحفار.

٢٣٠- عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن الشرفي القرطبي [٢] .

والد الحاكم أبي إسحاق.

ولي القضاء بعدة كور ميورقة، وغيرها.

وعاش نيفا وسبعين سنة.

٢٣١- عبد الرحمن بن محمد بن عباس بن جوشن [٣] .

أبو محمد الأنصاري، عرف بابن الحصار الطليطلي.

خطيب طليطلة.

روى عن: أبي الفرج عبدوس بن محمد، ومحمد بن عمرو بن عيشون، وتمام بن عبد الله، وطائفة من شيوخ طليطلة.

وروى عن: أبي جعفر بن عون الله، وأحمد بن خالد التاجر، وابن مفرج، ومحمد بن خليفة.

وحج، وسمع يسيرا، وعني بالرواية والجمع حتى كان أوحد عصره.

وكانت الرحلة إليه. وكان ثقة صدوقا صبورا على النسخ.

ذكر أنه نسخ «مختصر ابن عبيد» وعارضه في يوم واحد.

وكان مولده في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة.

حدث عنه: حاتم بن محمد، وأبو الوليد الوخشي، وجماهر بن عبد الرحمن، وأبو عمر بن سميق، وأبو الحسن بن الألبيري ووصفه بالدين والفضل والوقار.

وضعف في آخر عمره عن الإمامة، فلزم داره.

[()] وقال عبد الغافر الفارسي: «قعد للتدريس والفتوى ومجلس المناظرة، إلى أن أصابته عين الكمال وأدركته المنية في حد الكهولة، واحترقت قلوب أهل السنة» . (المنتخب من السياق ٢٧٦) .

[١] لم أجد مصدر ترجمته.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٨/٤٥٢

[٢] انظر عن (عبد الرحمن بن إبراهيم) في: الصلة لابن بشكوال ٢/ ٣٣١ رقم ٧٠٥.

[٣] انظر عن (عبد الرحمن بن محمد الطليطلي) في: الصلة لابن بشكوال ٢/ ٣٣٠ رقم ٧٠٤.." (١)

"أبو الفتح المصري [١] .

سمع: أبا الحسن الحلبي، وابن جميع الصيداوي.

وعنه: أبو بكر الخطيب. وقال: تكلموا فيه [٢] .

٢٩٩- محمد بن إبراهيم بن علي [٣] .

أبو ذر الصالحاني الأصبهاني الواعظ.

سمع: أبا الشيخ، وغيره.

روى عنه: الحداد، وأحمد بن بشرويه.

مات في ربيع الأول.

٣٠٠- محمد بن جعفر بن محمد بن فسانجس [٤] .

الوزير الكبير أبو الفرج ذو السعادات.

[()] ٤٢١، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢١/ ٣١١ رقم ٢٤٣، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٤/ ١٠٢، ١٠٣، رقم ١٣٠٧.

وهو: «محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو الفتح المصري الصواب» .

[١] له سماع بصيداء، ودمشق، ومصر.

[٢] قال الخطيب: سمع القاضي أبا الحسن علي بن محمد بن يزيد الحلبي، ومن بعده بمصر، وأبا الحسين بن جميع يصيدا، وقدم بغداد قبل سنة أربعمائة، فأقام بها وكتب عن عامة شيوخها حديثا كثيرا، واحترقت كتبه دفعات، وروى شيئا يسيرا، فكتبت عنه على سبيل التذكرة ...

سمعت أبا علي الحسن بن أحمد الباقلاني وغيره يذكرون: أن المصري كان يشترى من الوراقين الكتب التي لم يكن سمعها ويسمع فيها لنفسه ... وقال الباقلاني: جاءني المصري بأصل لأبي الحسن بن رزقويه عليه سماعي لأشتريه منه، ولم يكن عليه سماعه، وقال: لو كان هذا سماعي لم أبعه، فمكث عندي مدة ثم رددته عليه، فلما كان بعد سنين كثيرة حمل إلي ذلك الأصل بعينه، وقد سمع عليه لنفسه ونسي أنه كان قد حمله إلي قبل التسميع، فرددته عليه. قال أبو الفضل: وأنا رأيت الأصل عند خالي وعليه تسميع المصري لنفسه بخطه. سألت أبا الفتح المصري عن مولده فقال: في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة. (تاريخ بغداد ١/ ٣٥٤، ٣٥٥) .

[٣] انظر عن (محمد بن إبراهيم) في: الإعلام بوفيات الأعلام ١٨٢، والعبر ٣/ ١٩٣، وشذرات الذهب ٣/ ٢٦٤.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٦٢/٢٩

[٤] انظر عن (محمد بن جعفر الوزير) في:
دمية القصر للباخرزي (طبعة بغداد بتحقيق د. سامي مكي العاني) ١/ ٢٨٧ رقم ١٠٣، وأخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي ٩٩، والمنتظم، له ٨/ ١٣٨، ١٣٩ رقم ١٩٣ (١٥/ ٣١٦ رقم ٣٢٨٧) ، والكامل في التاريخ ٥٤٢٩، ٥٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٢٠ رقم ٤١٦، والوافي بالوفيات ٢/ ٣٠٤، والبداية والنهاية ١٢/ ٥٨، والنجوم الزاهرة ٥/ ٤٥.." (١)

"أتانا الخبر أنه قتل شهرا وهزم الأبناء، وغلب على صنعاء بعد نيف وعشرين ليلة، وخرج معاذ هاربا حتى مر بأبي موسى الأشعري بمأرب، فاقتحما حضر موت.

وغلب الأسود على ما بين أعمال الطائف إلى البحرين وغير ذلك، وجعل يستطير [١] استطارة **الحريق**، وكان معه سبعمائة فارس يوم لقي شهرا، وكان قواده: قيس بن عبد يغوث، ويزيد بن مخزوم، وفلان، وفلان، واستغلظ أمره وغلب على أكثر اليمن، وارتد معه خلق، وعامله المسلمون بالتقية، وكان خليفته في مذحج عمرو بن معديكرب، وأسند [٢] أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث، وأمر الأبناء [٣] إلى فيروز الديلمي، وداذويه [٤] ، فلما أثخن في الأرض استخف بهؤلاء، وتزوج امرأة شهر، وهي بنت عم فيروز، قال: فبينا نحن كذلك بحضر موت ولا نأمن أن يسير إلينا الأسود، وقد تزوج معاذ في السكون [٥] ، إذ جاءتنا كتب النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا فيها أن نبعث الرجال لمجاولته ومصاولته، فقام معاذ في ذلك، فعرفنا القوة ووثقنا بالنصر.

وقال سيف: فحدثنا المستنير، عن عروة، عن الضحاك بن فيروز، عن جشنس [٦] ابن الديلمي قال: قدم علينا وبر بن يحنس بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[١] في نسخة دار الكتب «وجعل أمره يستطير» ، وهو مغاير لما في الأصل وتاريخ الطبري ٣/ ٢٣٠ و (ع) والمنتقى لابن الملا.

[٢] في نسخة دار الكتب (وأسلم) .

[٣] أي أبناء أهل فارس في اليمن. (فتوح البلدان ٣/ ١٢٥، ١٢٦) .

[٤] في الأصل وفي (ع) والمنتقى لابن الملا (ذادويه) ، والتحقيق من تاريخ خليفة بن خياط- ص ١١٧ وتاريخ الطبري ٣/ ٢٣٠، وفتوح البلدان للبلاذري ١/ ١٢٦ والمعرفة والتاريخ للفسوي ٣/ ٢٦٢.

[٥] السكون: بطن من كندة. وهو السكن بن أشرس بن ثور. (اللباب ٢/ ١٢٥) .

[٦] في الأصل «جشنسن» ، وفي نسخة (ع) و (ح) «خشنس» وعند الطبري ٣/ ٢٣١: «جشيش» و «جشنس» ،

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٨٩/٢٩

وعند ابن ماكولا في الإكمال ٣/ ١٥٢ «جشيش» وقال: في نسب الفرس:

جشنس جماعة. (٣/ ١٥٦) ، وورد في المشتبه للذهبي ١/ ٢٦٥ «جشيش» .." (١)

"فنازلها [١] .

وقال أبو عبيدة بن المثني: فيها حاضر هرم بن حيان أهل دست هر [٢] ، فرأى ملكهم امرأة تأكل ولدها من الجوع فقال: الآن أصالح العرب، فصالح هرما على أن يخلي لهم المدينة [٣] .

وفيها نزل الناس الكوفة [٤] ، وبناها سعد باللبن، وكانوا بنوها بالقصب فوقع بها حريق هائل.

وفيها كان طاعون عمواس [٥] بناحية الأردن، فاستشهد فيه خلق من المسلمين. ويقال: إنه لم يقع بمكة ولا بالمدينة طاعون.

---

[١] تاريخ خليفة ١٤٠.

[٢] هكذا في الأصل، وفي تاريخ خليفة «ريشهر» ، وفي معجم البلدان ٣/ ١١٢ هي ناحية من كورة أرجان.

[٣] تاريخ خليفة ١٤١.

[٤] تاريخ خليفة ١٤١.

[٥] انظر: تاريخ خليفة ١٣٨، تاريخ الطبري ٤/ ٩٦ وما بعدها، والمعرفة والتاريخ ٣/ ٣٠٦، تهذيب تاريخ دمشق ١/ ١٧٦، الكامل لابن الأثير ٢/ ٥٥٥.." (٢)

"[المجلد الحادي والثلاثون (سنة ٤٦١- ٤٧٠)]

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبقة السابعة والأربعون

سنة إحدى وستين وأربعمائة

[حريق جامع دمشق]

في نصف شعبان حريق جامع دمشق.

قال ابن الأثير [١] : كان سبب احتراقه حرب وقع بين المغاربة والمشارقة، يعني الدولة، فضربوا دارا مجاورة للجامع بالنار **فاحترقت**، واتصل **الحريق** إلى الجامع. وكانت العامة تعين المغاربة، فتركوا القتال واشتغلوا بإطفاء النار، فعظم الأمر، واشتد الخطب، وأتى **الحريق** على الجامع، فدثرت محاسنه، وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة، وتشوه منظره، **واحترقت** سقوفه المذهبة [٢] .

[تغلب حصن الدولة على دمشق]

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣/١٦

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣/١٧٠

وفيها وصل حصن الدولة معلى بن حيدرة [٣] الكتامي إلى دمشق، وغلب عليها قهرا من غير تقليد، بل بحيل نمقها واختلقها. وذكر أن التقليد بعد ذلك وافاه، فصادر أهلها وبالغ، وعاث، وزاد في الجور إلى أن خربت أعمال دمشق،

---

[١] في: الكامل في التاريخ ١٠/ ٥٩.

[٢] تاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ١٢/ ١٢، تاريخ مختصر الدول ١٨٥، ذيل تاريخ دمشق ٩٦، تاريخ دولة آل سلجوق ٣٧، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٥/ ٢٥٩ (رقم ٢٤٨) ، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨٦، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٣٨، العبر ٣/ ٢٤٧، دول الإسلام ١/ ٢٧٠، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٣، اتعاظ الحنفا ٢/ ٣٠٠، ٣٠١، مرآة الزمان (في حاشية ذيل تاريخ دمشق ٩٧، ٩٨) ، تاريخ الخلفاء ٤٢١، شذرات الذهب ٣/ ٣٠٨، ٣٠٩، أخبار الدول) الطبعة الجديدة) ٢/ ١٦٣، تهذيب تاريخ دمشق ٥/ ٢٤.

وجاء في: تاريخ الفارقي ١٩٢ أن **الحريق** كان في سنة ٤٦٣ هـ، وفي الدرة المضية سنة ٤٦٢ هـ.

[٣] أمراء دمشق في الإسلام ٨٥ رقم ٢٥٨.." (١)

"[اختلاف العرب بإفريقية]

وفيها اختلفت العرب بإفريقية وتحاربوا، وقويت بنو رياح على قبائل زغبة، وأخرجوهم عن البلاد [١] .

[**حريق** بغداد]

وفيها وقع ببغداد **حريق** عظيم بمرة، هلك فيه ما لا يعلمه إلا الله [٢] . قال صاحب «مرآة الزمان» [٣] : أكلت النار البلد في ساعة واحدة، فصارت بغداد تلولا.

[تحديد المنجمين موعد النيروز]

وفيها جمع نظام الملك المنجمين، وجعلوا النيروز أول نقطة من الحمل، وقد كان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت. وصار ما فعله النظام مبدأ التقاويم [٤] .

[عمل الرصد للسلطان ملك شاه]

وفيها عمل الرصد للسلطان ملك شاه، وأنفق عليه أموالا عظيمة، وبقي دائرا إلى آخر دولته [٥] .

[وفاة صاحب حلب]

وفيها مات صاحب حلب عز الدولة محمود بن نصر، وتملك ابنه نصر بعده [٦] .

---

[١] الكامل في التاريخ ١٠/ ٩٨، البيان المغرب ١/ ٣٠٠.

[٢] المنتظم ٨/ ٢٩٤ (١٦/ ١٦٧) ، الكامل في التاريخ ١٠/ ٩٧، تاريخ الخميس ٢/ ٤٠٠، ٤٠١، البداية والنهاية ١٢/ ١١١.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٥/٣١

[٣] في مرآة الزمان (حوادث ٤٦٧ هـ-.)
[٤] الكامل في التاريخ ١٠/ ٩٨، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩١، العبر ٣/ ٢٦٣، شذرات الذهب ٣/ ٣٢٦.
[٥] الكامل في التاريخ ١٠/ ٩٨، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩١، ١٩٢، مرآة الجنان ٣/ ٩٤، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٨، شذرات الذهب ٣/ ٣٢٥، البداية والنهاية ١٢/ ١١١.
[٦] تاريخ حلب للعظيمي (زعرور) ٣٤٩ (سويم) ١٦، العبر ٣/ ٢٦٦، دول الإسلام ٢/ ٣، النجوم الزاهرة ٥/ ١٠٠، شذرات الذهب ٣/ ٣٢٩.." (١)

"جزء، كتاب «تقييد العلم» [١] ثلاثة أجزاء، كتاب «القول في علم النجوم» ، جزء، كتاب «روايات الصحابة من التابعين» [٢] ، جزء، «صلاة التسبيح» جزء، «مسند نعيم بن همار» [٣] جزء، «النهي عن صوم يوم الشك» جزء، «الإجازة للمعدوم والمجهول» [٤] جزء، «روايات الستة من التابعين بعضهم عن بعض» [٥] .

وذكر تصانيف أخر، قال: فهذا ما انتهى إلينا من تصانيفه. حج وحدث ونعم الشيخ كان. ولما حج كان معه حمل كتب ليجاور، وكان في جملة كتبه «صحيح البخاري» ، سمعه من الكشميهني، فقرأت عليه جميعه في ثلاثة مجالس.

وقد سقنا هذا في سنة ثلاثين في ترجمة الحيري، وهذا شيء لا أعلم أحدا في زماننا يستطيعه.

وقد قال ابن النجار في «تاريخه» [٦] : وجدت فهرست مصنفات الخطيب وهي نيف وستون مصنفا، فنقلت أسماء الكتب التي ظهرت منها، وأسقطت ما لم يوجد، فإن كتبه احترقت بعد موته، وسلم أكثرها.

ثم سرد ابن النجار أسماءها، وقد ذكرنا أكثرها آنفا، ومما لم نذكره:

كتاب «معجم الرواة عن شعبة» ثمانية أجزاء، كتاب «المؤتلف والمختلف» أربعة

[(- ١٣٨٦] هـ-. ثم أعيدت طباعته مرتين.
[١] حققه المرحوم يوسف العش، ونشره المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٤٩ م، ثم أعادت دار إحياء السنة النبوية نشره مصورا سنة ١٩٧٤ م.
[٢] في (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٩٢) : «رواية الصحابة عن تابعي» ، والمثبت يتفق مع: المنتظم، ومعجم الأدباء.
[٣] في (المنتظم) و (سير أعلام النبلاء) : «مسند نعيم بن حماد» . وفي (معجم الأدباء) : «مسند نعيم بن هماز» (بالزاي) ، والمثبت يتفق مع (موارد الخطيب ٥٧) للدكتور أكرم ضياء العمري، وهو «الغطفاني» ، وذكره الأستاذ العش «همار العصاني» .
[٤] في (معجم الأدباء) : «الإجازة للمعلوم والمجهول» ، وفي (سير أعلام النبلاء) : «إجازة المعدوم و «المجهول» ، والمثبت يتفق مع (المنتظم) ، وقد طبع ضمن «مجموعة رسائل في علوم الحديث» بعناية صبحي البدري السامرائي، ونشرته المكتبة السلفية سنة ١٩٦٩ م.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣١/٣٠

[٥] في (المنتظم) - بطبعتيه-: «روايات السنة من التابعين» ، ومثله في (معجم الأدباء) وهو تحريف. أما في (سير أعلام النبلاء) : «ما فيه سنة تابعيون» .

[٦] في الجزء الذي لم يصلنا من «ذيل تاريخ بغداد» .." (١)

"سنة أربع وستين وأربعمائة

- حرف الألف-

٩٥- أحمد بن أسعد بن محمد بن حسين [١] .

أبو نصر الهروي التاجر.

سمع: أباه، وعمه، وأبا علي منصور بن عبد الله الخالدي، وغيرهم.

٩٦- أحمد بن عبد العزيز بن علي بن محمد [٢] .

القاضي أبو سعيد الثقفي الأصبهاني.

روى عن: أبي عبد الله بن منده.

وعنه: جماعة.

٩٧- أحمد بن عثمان بن الفضل بن جعفر [٣] .

أبو الفرج البغدادي، المعروف بابن المخبزي [٤] .

من بيت حشمة. ذكر أن كتبه ذهبت في حريق الكرخ.

قال أبو سعد السمعاني [٥] : كبر وضعف، وكان مقلا من الحديث، وسماعه صحيح.

---

[١] لم أجد مصدر ترجمته.

[٢] لم أجد مصدر ترجمته.

[٣] انظر عن (أحمد بن عثمان) في: تاريخ بغداد ٤/ ٣٠٢ رقم ٢٠٨١، والإكمال لابن ماكولا ٧/ ٣١٠، والمنتظم ٨/ ٢٧٤ رقم ٣١٨ ١٦/ ١٤٠، ١٤١ رقم ٣٤١٣) ، والأنساب ١١/ ٧٧.

وهو أخو «عبد الوهاب بن عثمان، أبو الفتح» المتوفى سنة ٤٥٠ هـ-. (تاريخ بغداد ١١/ ٣٤، ٣٥) .

[٤] المخبزي: بفتح الميم: وسكون الخاء المنقوطة، وفتح الباء المنقوطة بواحدة، وبعدها زاي، هذه النسبة إلى المخبز، وهو موضع يخبز فيه الرغفان. (الأنساب) .

[٥] قوله ليس في (الأنساب) ولعله في (ذيل الأنساب) .." (٢)

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٩٩/٣١

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٤٣/٣١

"كان يسافر كثيرا إلى خراسان، والعراق، والشام، ثم سكن في الآخر إصبهان، وبها مات في المحرم [١] .

وقد سكن دمشق مدة.

وحدث عن: علي بن محمد القصار، وأبي طاهر بن محمش، والسلمي، وعبد الله بن يوسف بن باموية، والحسن بن شهاب العكبري، وجماعة.

روى عنه: أبو بكر الخطيب، وسهل بن بشر، وهبة الله بن الأكفاني، وأبو سعد أحمد بن محمد البغدادي، وجماعة آخرهم موتا إسماعيل بن علي الحمامي.

وكان سماعه من القصار قديما في سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وله سبع سنين. وهو آخر من حدث عنه.

قال ابن ماكولا [٢] : كان عبد الجبار يبيع الجوهر. سمعت منه بدمشق، وبغداد [٣] .

٢٥٠- عبد الرحمن بن علي بن محمد بن أحمد بن الحسين بن موسى [٤] .

أبو نصر النيسابوري المزكي التاجر.

سمع: أبا الحسين الخفاف، ويحيى بن إسماعيل الحربي، وأبا القاسم علي بن أحمد الخزاعي، وأبا أحمد بن أبي مسلم الفرضي، وأبا عمر بن مهدي، وطائفة سواهم بنيسابور، وبغداد.

---

[١] وكان مولده في شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة.

[٢] في الإكمال ١/ ٢٣٨، ٢٣٩.

[٣] قال ابن عساكر: قال لي أبو محمد بن الأكفاني: ولد أبو الفتح عبد الجبار في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، وكان شيخا كبيرا. قلت له: هل مات بدمشق؟ فقال: لا، بل خرج منها قبل حريق الجامع بسنة أو نحوها إلى بغداد ومات بها. (تاريخ دمشق ٣٩/ ٤٢٦) .

[٤] انظر عن (عبد الرحمن بن علي بن محمد) في: المنتخب من السياق ٣١٣، ٣١٤ رقم ١٠٢٧، والعبر ٣/ ٢٦٧، والإعلام بوفيات الأعلام ١٩٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٥٥، ٣٥٦ رقم ١٧٠، وشذرات الذهب ٣/ ٣٣٠.." (١)

"الشرقي بالكلية، اكترى والدي زورقا، وركب فيه، وحمل أصحابه الصوفية وأهله. وكان الزورق يدور على الماء، والماء يخرب الحيطان، ويحمل الأخشاب إلى البحر، فقال أحمد بن زهراء لوالدي: لو اكتريت زورقا ورجلا يأخذ هذه الجذوع ويربطها في موضع، حتى إذا نقص الماء بنيت الرباط، كان أخف عليك.

قال: يا شيخ أحمد هذا زمان التفرقة، ولا يمكن الجمع في زمن التفرقة.

فلما هبط الماء بنى الرباط أحسن مما كان [١] .

توفي في ربيع الآخر [٢] ، وهو الذي تولى رباط نهر المعلى.

وكان عالي الهمة، كثير التعصب لأصحابه، جدد تربة معروف الكرخي بعد أن احترقت. وكان ذا منزلة كبيرة عند السلطان،

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٥٥/٣١

وحرمة عند الدولة. وكان يقال:

الحمد لله الذي أخرج رأس أبي سعد من مرقعة، فلو خرج من قباء لهلكنا [٣] .

وابن زهراء هذا هو أبو بكر الطريثيثي.

٢٧٢- أحمد بن محمد بن مفرج [٤] .

أبو العباس الأنصاري القرطبي.

يعرف بابن رميلة. كان معنيا بالعلم، وصحبة الشيوخ. وله شعر حسن في الزهد، وفيه عبادة. واستشهد بوقعة الزلاقة، مقبلا غير مدبر رحمه الله وكانت يوم الجمعة ثاني عشر رجب على مقربة من بطليوس. قتل فيها من الفرنج ثلاثون ألف فارس، ومن الرجالة ما لا يحصى، وهي من الملاحم المشهورة كما يأتي [٥] .

---

[١] المنتظم ٩/ ١١ (١٦/ ٢٣٥) وكان ابن دوست قبل بناء الرباط ينزل في رباط عتاب، فخرج يوما فرأى الخبز النقي فقال في نفسه إن الصوفية لا يرون مثل هذا، فإن قدر لي بناء رباط شرطت في سجله أن لا يقدم بين يدي الصوفية خشكار، فهم الآن على ذلك.

[٢] في المنتظم: «وتوفي ليلة الجمعة ودفن من يومه تاسع ربيع الآخر من سنة ٤٧٧ هـ.» .

[٣] الكامل في التاريخ ١٠/ ١٥٩.

[٤] انظر عن (أحمد بن محمد بن مفرج) في: الصلة لابن بشكوال ١/ ٦٨ رقم ١٤٤ وفيه «فرج» بدل «مفرج» .

[٥] هكذا في الأصل. وهو وهم، فقد تقدم خبر الزلاقة في حوادث السنة ٤٧٩ هـ. من هذه الطبقة.." (١)

"وبلغ ذلك عثمان بن نظام الملك [١] ، فشغب عليهم سائر الغلمان الصغار، وقال:

هذا قاتل أستاذكم. ففتكوا به، وقطعوه في المحرم سنة ست [٢] .

وكان كثير المحاسن والفضائل وإنما غطى ذلك ممالأته على قتل نظام الملك، ولأن مدته لم تطل. وعاش سبعا وأربعين سنة [٣] .

[إيقاع عرب خفاجة بالركب العراقي]

وأما عرب خفاجة فطمعوا بموت السلطان، وخرجوا على الركب العراقي، فأوقعوا بهم، وقتلوا أكثر الجند الذين معهم، ونهبوا الوفد، ثم أغاروا على الكوفة، فخرجت عساكر بغداد وتبعتهم حتى أدركتهم، فقتل من خفاجة خلق، ولم تقو لهم شوكة بعدها [٤] .

[حريق بغداد]

وفيها كان الحريق المهول ببغداد، وكان من الظهر إلى العصر.

قال صاحب «الكامل» : واحترق من الناس خلق كثير، واحترق نهر معلى، من عقد الحديد إلى خزانة [٥] الهراس، إلى

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٢/٢٦٠

باب دار الضرب، واحترق سوق الصاغة، والصيارف، والمخلطين، والريحانيين. وركب الوزير عميد الدولة [٦] بن جهير وأتى، فما زال راكبا حتى أطفئ [٧] .

---

[١] في الكامل في التاريخ ١٠/ ٢١٦: «عثمان نائب نظام الملك» .

[٢] المنتظم ٩/ ٦٣ (١٦/ ٣٠١) ، الكامل في التاريخ ١٠/ ٢١٦، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٣٧، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٣، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٧٩ و ٥/ ١٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٦.

[٣] الكامل في التاريخ ١٠/ ٢١٦، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٣.

[٤] تاريخ حلب للعظيمي (بتحقيق زعرور) ٣٥٦ (وتحقيق سويم) ٢٣، المنتظم ٩/ ٦٣ (١٦/ ٣٠١) ، الكامل في التاريخ ١٠/ ٢١٧، العبر في خبر من غبر ٣/ ٣٠٧، دول الإسلام ٢/ ١٤، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٢٢، مرآة الجنان ٣/ ١٣٥، البداية والنهاية ١٢/ ١٣٩.

[٥] هكذا في الأصل، وفي المنتظم: «خرابة» ، وفي الكامل: «خربة» .

[٦] في الأصل: «عميد الله» . والتصحيح من: المنتظم، و الكامل.

[٧] المنتظم ٩/ ٦١ (١٦/ ٢٩٩) ، الكامل في التاريخ ١٠/ ٢١٧، ٢١٨، البداية والنهاية ١٢/ ١٣٩.." (١)

"سمع أبا الحسن بن السمسار، وأبا عثمان الصابوني. وصنف جزءا في قدم الحروف، رأيته، يدل على تقصير كثير [١] .

١٩٠- عبد الواحد بن علي بن محمد بن فهد [٢] .

أبو القاسم بن العلاف البغدادي قال السمعاني: شيخ صالح صدوق مكثر، انتشرت عنه الرواية. وكان خيرا، ثقة، مأمون، متواضعا، سليم الجانب، على جادة القدماء. وكانت بلاغاته في كتب الناس، لأن كتبه ذهبت حريقا ونهبا [٣] .

سمع: أبا الفتح بن أبي الفوارس، وأبا الفرج الغوري، وهو آخر من حدث عنهما.

وسمع: أبا الحسين بن بشران.

روى لنا عنه: إسماعيل بن السمرقندي، وأبو سعد البغدادي، وأبو القاسم إسماعيل الطلحي، وعبد الخالق بن يوسف.

وتوفي في سادس عشر ذي القعدة [٤] .

قلت: آخر من حدث عنه: أبو الفتح بن البطي. وقع لي من عواليه [٥] .

---

[١] وحدث الشريف الجواني النسابة عن أبيه قال: تكلم الشيخ أبو الفرج- أي الشيرازي الخزرجي- في مجلس وعظه، فصاح رجل متواجدا، فمات في المجلس، وكان يوما مشهودا. فقال المخالفون في المذهب: كيف نعمل إن لم يمت في مجلسنا أحد؟ وإلا كان وهنا- فعمدوا إلى رجل غريب دفعوا له عشرة دنانير، فقالوا: احضر مجلسنا، فإذا طاب

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٧/٣٣

المجلس فصح صيحة عظيمة، ثم لا تتكلم حتى نحملك ونقول: فقالوا: مات، وحمل. فجاء رجل في الليل، وسافر عن البلد، ففعل وصاح صيحة عظيمة، فقالوا: مات، وحمل. فجاء رجل من الحنابلة وزاحم حتى حصل تحته، وعصر على خصاه، فصاح الرجل، فقالوا: عاش، عاش.

وأخذ الناس في الضحك، وقالوا: المحال ينكشف. (ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٧٠، ٧١) .

وقال ابن القلانسي: «كان وافر العلم، متين الدين، حسن الوعظ، محمود السمت» . (ذيل تاريخ دمشق ١٢٥) .

[٢] انظر عن (عبد الواحد بن علي) في: المنتظم ٩/ ٧٨ رقم ١١٥ (١٧/ ٦، ٧ رقم ٣٦٣٧) ، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١/ ٢٧١- ٢٧٣ رقم ١٥٢، والعبر ٣/ ٣١٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٦٠٤، ٦٠٥ رقم ٣٢١، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٩٩، وشذرات الذهب ٣/ ٣٧٨.

[٣] انظر: ذيل تاريخ بغداد ١/ ٢٧١.

[٤] ذيل تاريخ بغداد ١/ ٢٧١.

[٥] وقال القاضي عياض: سألت القاضي أبا علي الحسين بن محمد الصدفي المعروف بابن." (١)

"قدم بغداد ووعظ وحصل، له قبول عظيم، ثم ذهب، فمات بأسفرايين في هذه السنة [١] .

- حرف الفاء-

٣١٣- الفضل بن عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن الفضل بن يعقوب [٢] .

أبو عبد الله بن أبي القاسم بن الشيخ أبي الحسين بن القطان المتوثي [٣] .

قال السمعاني: هو والد شيخنا هبة الله الشاعر. كان من أولاد المحدثين، وكان بقية بيته.

سمع: محمد بن علي بن كردي، وأبا طالب بن غيلان، وغيرهما.

وروى لنا عنه: عبد الوهاب الحافظ، ومحمد بن ناصر، وأبو طاهر السنجي المروزي.

---

[١] وذكره الهمذاني في (الذيل) وقال: كان الغزنوي كاتبا بين يدي عبد الحميد وزير صاحب غزنة، فترك دنيا واسعة، ثم أقبل على العلم، وطاف خراسان وأراد التخلي والانفراد ليتخلص من مظالم العباد. وكان حسن الصورة، فقدم بغداد حاجا، وأقام بها بعد عوده من الحج سنة وشهرا، وجلس بها، وحصل له القبول التام، وكان مقيما برباط أبي سعد الصوفي، وكان فصيحا، فجلس بجامع القصر، وتاب على يده خلق كثير، ونصر مذهب الأشعري، وكتب عنه مدة سنة زيادة على خمسة آلاف بيت من الشعر، وأنشدها على الكرسي، ثم سافر عن بغداد في سنة ٤٩٧ ووصل إلى إسفرائين فمات بها في سنة ٤٩٨.

قال: وجلس الغزنوي في دار عميد الدولة بن جهير، وكان الوزير سديد الملك أبو المعالي المفضل بن عبد الرزاق حاضرا، وهو يومئذ وزير المستظهر، فقال الغزنوي في كلامه: من شرب مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد زمان. قال الله عز

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٣/١٨١

وجل: وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ١٤: ٤٥ الآية، وأنشد:

سديد الملك سدت وخضت بحرا ... عميق الملح، فاحفظ فيه روحك

وأحي معالم الخيرات واجعل ... لسان الصدق في الدنيا فتوحك

وفي الماضين معتبرا، فاشرح ... مدوحك في السلامة أو جموحك

وقبض على الوزير بعد أيام، فعجب الناس من هذا الاتفاق، ودار عميد الدولة بنيت على الظلم. قلت: والمشهور في الوعاظ أن الغزنوي الذي كان يعظ ببغداد هو أبو الحسن علي بن الحسين الغزنوي ووعظ بها ونصر مذهب الأشعري، فلعله غزنوي آخر. (مرآة الزمان) .

[٢] لم أجد مصدر ترجمته.

[٣] المتوثي: بفتح الميم، وضم التاء المثلثة المشددة ثالث الحروف، وفي آخرها الثاء المثلثة.

هذه النسبة إلى متوث، وهي بليدة بين قرقوب وكور الأهواز. (الأنساب ١١/ ١٢٥، ١٢٦) .." (١)

"صاحبها أحمد بن خراسان على ما أراد [١] .

[فتح ابن باديس جبل وسلات]

وفيها افتتح ابن باديس جبل وسلات [٢] وحكم عليه. وهو جبل منيع كان أهله يقطعون الطريق، فظفر بهم، وقتل منهم خلقا [٣] .

[فتنة مشهد الرضا]

وفي يوم عاشوراء كانت فتنة في مشهد علي بن موسى الرضا بطوس، خاصم علوي فقيها، وتشاتما وخرجا، فاستعان كل منهما بحزبه، فثارت فتنة عظيمة هائلة، حضرها جميع أهل البلد، وأحاطوا بالمشهد وخربوه، وقتلوا جماعة، ووقع النهب، وجرى ما لا يوصف، ولم يعمر المشهد إلى سنة خمس عشرة وخمسمائة [٤] .

[حريق بغداد]

ووقع ببغداد حريق عظيم، ذهب للناس فيه جملة [٥] .

[هرب ابن صنجيل بالبقاع]

وقال أبو يعلى بن القلانسي: وفي سنة عشر ورد الخبر بأن بدران بن صنجيل صاحب طرابلس جمع وحشد، ونهض إلى البقاع، وكان سيف الدين سنقر البرسقي صاحب الموصل قد وصل ألى دمشق لمعونة الأتابك طغتكين، فتلقاه وسر به، فاتفقا على تبييت الفرنج، فساقا حتى هجما على الفرنج وهم غارون، فوضعوا فيهم السيف قتلا وأسرا، فقيل هلك منهم نحو ثلاثة آلاف

---

[١] الكامل في التاريخ ١٠/ ٥٢١.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٤/٢٨٤

[٢] في الأصل: «وسلاب» ، والمثبت عن: الكامل ١٠/ ٥٢٢.
وفي الروض المعطار ٦١٢: «واسللت: جبل عظيم طوله يومان، وبينه وبين القيروان خمسة عشر ميلا، وفيه عمارات ومياه جارية، وفيه حصون كثيرة عامرة ... » .
[٣] الكامل ١٠/ ٥٢٢.
[٤] الكامل ١٠/ ٥٢٢، ٥٢٣.
[٥] المنتظم ٩/ ١٨٤ (١٧/ ١٤٥) ، الكامل في التاريخ ١٠/ ٥٢٣، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٦٢، الدرة المضية ٤٧٩، عيون التواريخ ١٢/ ٦٤.." (١)

"أبو المحاسن الروياني [١] ، الطبري، فخر الإسلام، القاضي، أحد الأئمة الأعلام.
له الجاه العريض، والقبول التام في تلك الديار.
سمع: أبا منصور محمد بن عبد الرحمن الطبري، وأبا محمد عبد الله بن جعفر الخبازي، وأبا حفص بن مسرور، وأبا بكر عبد الملك بن عبد العزيز، وأبا عبد الله محمد بن بيان الفقيه، وأبا غانم أحمد بن علي الكراعي، وعبد الصمد بن أبي نصر العاصمي البخاري، وأبا نصر أحمد بن محمد البلخي، وأبا عثمان الصابوني، وجده أبا العباس أحمد بن محمد بن أحمد الروياني، وتفقه عليه.
وسمع بمرو، وغزنة، وببخارى من طائفة.
روى عنه: زاهر الشحامي، وأبو رشيد إسماعيل بن غانم، وأبو الفتوح الطائي، وعبد الواحد بن يوسف، وإسماعيل بن محمد التيمي الحافظ، وأبو طاهر السلفي، وجماعة كثيرة.
ولد في ذي الحجة سنة خمس عشرة وأربعمائة، وتفقه ببخارى مدة، وبرع في المذهب، حتى كان يقول فيما بلغنا: لو **احترقت** كتب الشافعي أمليتها من حفظي [٢] .

[١٦٠٥،)] ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢٩، وعيون التواريخ (مخطوط) ١٣/ ٢٣٤، ومرآة الجنان ٣/ ١٧١، ١٧٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٧/ ١٩٣، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٥٦٥، ٥٦٦، والبداية والنهاية ١٢/ ١٧٠، وطبقات الشافعية لابن كثير (مخطوط) ١٠٤ أ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٩٤، ٢٩٥ رقم ٢٥٦، وتاريخ الخميس ٢/ ٤٠٣، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٩٧، ومفتاح السعادة ٢/ ٣٥١، وكشف الظنون ١/ ٢٢٦، ٣٥٥، وشذرات الذهب ٤/ ٤، وديوان الإسلام ٢/ ٣٤٥، ٣٤٦ رقم ١٠١١، وهدية العارفين ١/ ٦٣٤، وإيضاح المكنون ٢/ ١٣٠، والأعلام ٤/ ٣٢٤، ومعجم المؤلفين ١/ ٢٠٦، والذيل على طبقات ابن الصلاح ٢/ ٨٠٠، ٨٠١.
[١] الروياني: بضم الراء وسكون الواو وفتح الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفي آخرها النون.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٨/٣٥

هذه النسبة إلى رويان وهي بلدة بنواحي طبرستان. (الأنساب ٦/ ١٨٩) .

[٢] الكامل في التاريخ ١٠/ ٤٧٣، المنتظم.." (١)

"سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

[حريق محلات ببغداد]

فيها كان حريق كبير ببغداد، احترقت الريحانيتين ومسجد ابن عبدون [١] .

[إعدام ابن الجزري]

وفيها قبض على صاحب المخزن أبي طاهر بن الجزري [٢] وأعدم. وأخذ من داره أربعمائة ألف دينار مدفونة [٣] .

[وفاة ولدي المسترشد بالله]

وتوفي ولد المسترشد بالله الكبير، ثم الصغير بالجدري، فبكى عليه المسترشد بالله حتى أغمي عليه [٤] .

[مصادرة ابن كمونة]

وقبض على ابن كمونة وصودر، وأخذ منه مال كثير.

[إمارة الموصل]

وفيها كان على إمرة الموصل مسعود بن السلطان ملك شاه، وله أربع عشرة

---

[١] المنتظم ٩/ ١٩٦ (١٧/ ١٦١) وفيه: «احترقت سوق الريحانيين وسوق عبدون» ، تاريخ حلب للعظيمي (بتحقيق زعرور) ٣٦٩ (بتحقيق سويم) ٣٤، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٧٠، الكواكب الدرية ٨٢، 3,8

[2] الكامل ١٠/ ٥٣٧: أبو طاهر يوسف بن أحمد الحزي، وفي الكواكب الدرية ٨٣: «الخزري» .

[٣] المنتظم ٩/ ١٩٨ (١٧/ ١٦٣) .

[٤] المنتظم ٩/ ١٩٨ (١٧/ ١٦٣) .." (٢)

"محمود القضاء بجميع الممالك سوى العراق مراعاة لقاضي القضاة أبي القاسم الزينبي، وركب إلى داره ومعه كافة الأمراء [١] .

[احتراق دار المملكة] وفي جمادى الآخرة احترقت دار المملكة التي استجدها بهروز الخادم، وكان بها السلطان نائما على سطح، فنزل وهرب في سفينة، وذهب من الفرش والآلات والجواهر ما يزيد ثمنه على ألف ألف دينار، وغسل الغسالون التراب، وظفروا بالذهب والحلي قد تسبك [٢] ، ولم يسلم من الدار ولا خشبة، وأمر السلطان ببناء دار على المسناة المستحدثة [٣] ، وأعرض عن الدار التي احترقت، وقال: إن أبي لم يمتع بها ولا امتد بقاؤه بعد انتقاله إليها. وقد ذهبت أموالنا فيها [٤] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٦٣/٣٥

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٧٢/٣٥

[احتراق جامع بإصبهان]

واحترق بإصبهان جامع كبير أنفقت عليه أموال، يقال إنه غرم على أخشابه ألف ألف دينار [٥] .

[انعقاد مجلس السلطان]

وفي شعبان عقد مجلس، وحلف السلطان للخليفة على المناصحة والطاعة. ثم نفذ هدية إلى الخليفة. وجلس الخليفة في الدار الشاطئية، وهي من الدور البديعة التي أنشأها المقتدي، وتممها المسترشد، فجلس في قبته، وعليه ثوب مصمت وعمامة رصافية [٦] ، وعلى كتفه البردة [٧] ، وبين يديه القضيب.

---

[١] المنتظم ٩/ ٢٢٣ (١٧/ ١٩٣) .

[٢] في المنتظم: «فظفروا بالذهب والحلي سبائك» .

[٣] في المنتظم: «المستجدة» ، وهما سواء.

[٤] المنتظم ٩/ ٢٢٣، ٢٢٤ (١٧/ ١٩٤) ، الكامل في التاريخ ١٠/ ٥٩٤، ٥٩٥، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٩٦، العبر ٤/ ٣٤، مرآة الجنان ٣/ ٢١١، عيون التواريخ ١٢/ ١٢٠، الكواكب الدرية ٨٦، ٨٧، شذرات الذهب ٤/ ٤٧.

[٥] المنتظم ٩/ ٢٢٤ (١٧/ ١٩٤) ، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٩٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٨٨، عيون التواريخ ١٢/ ١٢٠، الكواكب الدرية ٨٧.

[٦] في الأصل: «وعمامة وصافنة» . و التصحيح من: المنتظم.

[٧] في الأصل: «البرد» .." (١)

"سنة أربع وعشرين وخمسمائة

[المطر والحريق بالموصل]

وردت أخبار بأن في جمادى الأولى ارتفع سحاب أمطر بلد الموصل مطرا عظيما، وأمطر عليهم نارا أحرقت من البلد مواضع ودورا كثيرة، وهرب الناس [١] .

[كسرة الإفرنج عند دمشق]

وفيها كسرت الإفرنج على دمشق، وقتل منهم نحو عشرة آلاف، ولم يفلت منهم سوى أربعين. وصل الخبر إلى بغداد بذلك، وكانت ملحمة عظيمة [٢] .

[الملحمة بين ابن تاشفين وابن تومرت]

وفيها كانت ملحمة كبرى بين ابن تاشفين، وبين جيش ابن تومرت، فقتل من الموحدين ثلاثة عشر ألفا، وقتل قائدهم عبد الله الونشريسي، ثم تحيز عبد المؤمن بباقي الموحدين. وجاء خبر الهزيمة إلى ابن تومرت وهو مريض، ثم مات في آخر السنة [٣] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٥/٢٨٧

[١] المنتظم ١٠/ ١٤ (١٧/ ٢٥٦) ، البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٠، تاريخ الخلفاء ٤٣٥، أخبار الدول ٢/ ١٧٢.

[٢] المنتظم ١٠/ ١٥ (١٧/ ٢٥٧) ، تاريخ حلب للعظيمي (بتحقيق زعرور) ٣٨٢ (وتحقيق سويم) ٤٤.

[٣] دول الإسلام ٢/ ٤٦.." (١)

"٩- على بن عبد الواحد بن أحمد [١] .

أبو الحسن الدينوري، ثم البغدادي.

سمع: أبا الحسن القزويني، وأبا محمد الخلال، وابا محمد الجوهري، وغيرهم.

روى عنه: أبو المعمر الأنصاري، والحافظ ابن عساكر، وأخوه الصائن، وابن الجوزي [٢] .

قال ابن السمعاني: كان صاحب الخبر. توفي في جمادى الأولى [٣] .

١٠- علي بن المبارك بن علي بن الفاعوس [٤] .

أبو الحسن البغدادي، الإسكاف، الزاهد [٥] .

كان شيخا صالحا، خيرا، عابدا، متقشفا، من أصحاب الشريف أبي جعفر بن أبي موسى.

كان يقرأ للناس يوم الجمعة الحديث بلا سند، وكان صاحب إخلاص، وله قبول تام عند العامة [٦] .

---

[١] انظر عن (علي بن عبد الواحد) في: المنتظم ١٠/ ٧ رقم ٢ (١٧/ ٢٤٦ رقم ٣٩٤٤) ، ومشيخة ابن الجوزي ٦٣، ومشيخة ابن عساكر ٢٩٢، والعبر ٤/ ٥٠، والإعلام بوفيات الأعلام ٢١٤، والمعين في طبقات المحدثين ١٥٢ رقم ١٦٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٢٥، ٥٢٦ رقم ٣٠٦، وعيون التواريخ ١٢/ ١٩٦، ومرآة الجنان ٣/ ٢٢٨، وشذرات الذهب ٤/ ٦٤.

[٢] وهو قال: سمعت عليه الحديث.

[٣] وزاد ابن السمعاني: وكان يقول: قد مر بي أبي من الدينور وأنا صبي، واحترقت كتب أبي زمن المستظهر، وقد سمع أبو الحسن القزويني من جدي أحمد. (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٢٦) .

[٤] انظر عن (علي بن المبارك) في: المنتظم ١٠/ ٧ (١٧/ ٢٤٧ رقم ٣٩٤٥) ، ومشيخة ابن عساكر ٣٥٤، والكامل في التاريخ ١٠/ ٦٤٨، والعبر ٤/ ٥٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٢١- ٥٢٣ رقم ٣٠٣، وعيون التواريخ ١٢/ ١٩٦، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٧٣- ١٧٦ رقم ٧٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٣٣، وشذرات الذهب ٤/ ٢٤.

[٥] زاد ابن الأثير: «حنبلي» . (الكامل) .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٦/٢١

[٦] وقال ابن الجوزي: حدثني أبو الحكم الفقيه قال: كان يجيء ساقي الماء إلى حلقته، فيأخذ منه الكوز ويشرب لئلا يظن أنه صائم. (المنتظم) .." (١)

"وقال المرواني: ولد في سنة سبع وخمسين وأربعمائة، وتوفي في جمادى الآخرة سنة سبع، رحمه الله تعالى.

٣٤١- محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله [١] .

الخطيب، أبو الفضل الهاشمي، العباسي، البغدادي.

ولد سنة تسع وأربعين وأربعمائة.

وسمع: ابا الغنائم بن المأمون، وأبا الحسين بن المهتدي، واحترق سماعه منهما.

وحدث عن: أبي الحسين بن النقور، وعبد الله بن الحسن الخلال، وأبي القاسم بن البسري [٢] ، وجده طاهر بن الحسين القواس، وطراد الزينبي.

وحدث.

وكان خطيب جامع القصر، صالح، خير. سرد الصوم نيفا وخمسين سنة [٣] .

قال: سمعت من: أبي المأمون، وابن المهتدي بالله، لكن احترقت كتبي.

قلت: قرأ القرآن على: أبي الخطاب أحمد بن علي الصوفي [٤] صاحب الحمامي.

وتلا عليه أبو اليمن الكندي بخمس روايات.

وسمع منه هو، وابن طبرزد، وجماعة.

وتوفي ثامن عشر جمادى الأولى.

---

[١] انظر عن (محمد بن عبد الله بن أحمد) في: المنتظم ١٠/ ١٠٥ رقم ١٤٧ (١٨/ ٢٩ رقم ٤٠٩٥) ، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٨٢، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٤٨٨، ٤٨٩ رقم ٤٣٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١١٥، ١١٦ رقم ٧٠، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٥، ١٦، وغاية النهاية ٢/ ١٧٦، رقم ٣١٤٧، وعقد الجمان (مخطوط) ١٦/ ١٣٣، ١٣٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٧٣.

[٢] تصحفت في (غاية النهاية ٢/ ١٧٦) إلى «البشري» بالشين المعجمة.

[٣] المنتظم ١٠/ ١٠٥.

[٤] في الأصل: «الصولي» .." (٢)

"روى عنه: ابن بشكوال.

٣٦٧- عبد الخالق بن عبد الصمد بن علي بن الحسين بن عثمان بن البدن [١] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٦٧/٣٦

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٥٢/٣٦

أبو المعالي الصفار.

شيخ بغدادي، متسبب، صالح، دين، ثقة. قيم بكتاب الله، كثير البكاء من خشية الله.

سمع الكثير، وذهبت أصوله في **الحريق**.

سمع: الحسين بن المهتدي بالله، وعبد الصمد بن المأمون، وأبا جعفر ابن المسلمة، وابن النقور، وجماعة.

قال ابن السمعاني: قرأت عليه الكثير، وولد سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة [٢] . وتوفي في أحد الربيعين.

قلت: وروى عنه: ابن عساكر [٣] ، وابن الجوزي [٤] ، وعمر بن طبرزد، وجماعة.

قال ابن نقطة: ثنا عنه أبو أحمد بن سكينة.

٣٦٨- عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن محمد [٥] .

أبو زيد الخزرجي، القرطبي، المقرئ. من كبار القراء بقرطبة.

تصدر للإقراء بالجامع. وكان قد أخذ القراءات عن: أبي جعفر أحمد بن عبد الرحمن الخزرجي، وأبي الأصبغ عيسى بن خيرة.

[()] (الغنية ١٥٧) .

والشطر تضمين للآية ٣٨ من سورة الأنفال قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنت الأولين ٨: ٣٨.

[١] انظر عن (عبد الخالق بن عبد الصمد) في: المنتظم ١٠/ ١٠٩ رقم ١٠٥ (١٨/ ٣٤ رقم ٤٠٩٨) ، والعبر ٤/ ١٠٣، ١٠٤، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٨٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٦٠ رقم ٣٦، وشذرات الذهب ٤/ ١١٦.

[٢] وكذا ورخ ابن الجوزي مولده.

[٣] في مشيخته ١٠٥ أ.

[٤] وهو قال: وكان سماعه صحيحا، وكان عبدا صالحا سريع الدمعة.

[٥] انظر عن (عبد الرحمن بن علي) في: غاية النهاية ١/ ٣٧٥ رقم ١٥٩١.." (١)

"٣٢١- شكر بن أبي طاهر أحمد بن أبي بكر [١] .

أبو زيد الأبهري، الأصبهاني، المؤدب، الأديب.

سمع: أبا عبد الله الثقفي، الرئيس.

وتوفي في ذي القعدة.

- حرف الصاد-

٣٢٢- صافي [٢] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٦/٤٦٥

أبو الفضل، مولى ابن الخرقي. بغدادي، مقرئ، مجود، صالح، متعبد. وله إسناد عالي في القراءات، فإنه قرأ على رزق الله التميمي، ويحيى بن أحمد السيبي.

وسمع: مالك بن أحمد البانياسي، وغيره.

واحترقت كتبه.

قال السمعاني: سمعته يقول: سلوا القلوب عن المودات، فإنها لا تقبل الرشا.

سمعت منه أحاديث. وتوفي أظن في سنة ست وأربعين، ولم يبق إلى سنة سبع، رحمه الله.

- حرف العين-

٣٢٣- عبد الله بن أحمد بن عمروس [٣] .

أبو محمد الشلبي [٤] ، الأندلسي، المالكي. كان فقيها، حافظا، مشاورا، لغويا، فاضلا.

---

[١] انظر عن (شكر بن أبي طاهر) في: التحبير ١/ ٣٢٦ رقم ٢٦٩، وتكملة الإكمال (مخطوط) ورقة ٧٩ ب، وملخص تاريخ الإسلام ٨/ ورقة ٨٠ أ.

[٢] انظر عن (صافي) في: معرفة القراء الكبار ١/ ٥٠٣، ٥٠٤، رقم ٤٥٤، وغاية النهاية ١/ ٣٣١، والوافي بالوفيات ١٦/ ٢٤٤، ٢٤٥ رقم ٢٦٥.

[٣] لم أجده.

[٤] الشلبي: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وآخره باء موحدة، قال ياقوت: هكذا سمعت جماعة من أهل الأندلس يتلفظون بها. وقد وجدت بخط بعض أدبائها شلب، بفتح الشين. وهي مدينة بغربي الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام، وهي غربي قرطبة، وهي قاعدة ولاية أشكونية،." (١)

"حلب بعد أن تفقد أحوالها وهذبها. وفي شوال تقررت الموادعة بينه وبين ملك الفرنج سنة كاملة، وأن المقاطعة المحمولة إليهم من دمشق ثمانية آلاف دينار صورية. وكتبت الموادعة بذلك، وأكدت الأيمان، فبعد شهرين غدرت الفرنج لوصول نجدة في البحر، [ونهضوا] [١] إلى الشعرا من ناحية بانياس، وبها جشارات [٢] الخيول، فاستاقوا الجميع، وأسروا خلقا [٣] .

[الحريق ببغداد]

وفيها كثر الحريق ببغداد، ودام أياما ووقع في تسع دروب سماها ابن الجوزي [٤] .

[سفر الخليفة إلى دجيل]

وفيها سافر أمير المؤمنين إلى ناحية دجيل بعد قدومه من حلوان يتصيد [٥] .

[المصاف بين سليمان شاه ومحمد شاه]

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٧/٢٤٣

وانضاف إلى سليمان ابن أخيه ملك شاه وألدكز [٦] وتحالفوا، فسار لقتالهم محمد شاه، فعملوا مصافا فانتصر محمد شاه، ووصل إلى بغداد من عسكرها خمسون فارسا بعد أن خرجوا ثلاثة آلاف. ولم يقتل منهم أحد، إنما

---

[١] في الأصل بياض، والمستدرك من: ذيل تاريخ دمشق.

[٢] الجشار: مكان رعي الماشية من خيل وغيرها.

[٣] ذيل تاريخ دمشق ٣٣٧، كتاب الروضتين ١/ ٢٥٨، ٢٥٩.

[٤] في المنتظم ١/ ١٦٥ (١٨/ ١٠٧) وهي: درب فراشا، ودرب الدواب، ودرب اللبان، وخرابة ابن جردة، والظفرية، والخاتونية، ودار الخلافة، وباب الأزج، وسوق السلطان. وانظر:

الكامل في التاريخ ١١/ ٢١٦، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٣٠، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٥٦، ٥٧، والدرة المضية ٥٦٩، وشذرات الذهب ٤/ ١٥٧.

[٥] المنتظم ١٠/ ١٦٥ (١٨/ ١٠٧) .

[٦] يرد: «ألدكز» و «إيلدكز» .." (١)

"سنة سبع وخمسين وخمسمائة

[رجوع الحاج العراقي]

فمن الحوادث فيها أن الحاج العراقي وصلوا مكة، فلم يدخل أكثرهم لفتن جرت، وإنما دخلت شرذمة، ورجع أكثر الناس بلا حج [١] .

[خروج الخليفة للصيد]

وفيها خرج الخليفة للصيد على طريق واسط [٢] .

[الحريق ببغداد]

ووقع فيها حريق عظيم ببغداد، احترق سوق الطير، والبزوريين وإلى سوق الصفر والخان، واحترق كثير من الطيور [٣] .

[انتصار المسلمين على الكرج]

وفيها كان مصاف كبير وحرب شديد بين جيوش أذربيجان، وأرمينية، وبين الكرج، فنصر المسلمون، وغنموا ما لا يحد ولا يوصف [٤] .

---

[١] المنتظم ١٠/ ٢٠٢، ٢٠٣ (١٨/ ١٥٢) ، الكامل في التاريخ ١١، ٢٨٧، ٢٨٨، العبر ٤/ ١٦٢، مرآة الجنان ٣/ ٣١٢، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٣٩، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٦٤، الكواكب الدرية ١٦٠، مرآة الزمان ٨/ ٢٤١.

[٢] المنتظم ١٠/ ٢٠٣ (١٨/ ١٥٢) ، دول الإسلام ٢/ ٧٢.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٧/٣٨

[٣] المنتظم ١٠/ ٢٠٣ (١٨/ ١٥٢) ، الكامل في التاريخ ١١/ ٢٨٨.
[٤] الكامل في التاريخ ١١/ ٢٨٦، ٢٨٧، دول الإسلام ٢/ ٧٢، العبر ٤/ ١٦١، البداية والنهاية ١٢/ ٢٤٥، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٣٩، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٦٤.." (١)

"[حريق اللبادين]

وفيها، قال أبو المظفر ابن الجوزي [١] : احترقت اللبادين، وباب الساعات [٢] بدمشق حريقا عظيما صار تاريخا، رقد طباخ هريسة على القدر ونام، فاحترقت دكانه، ولعبت النار في اللبادين، وتعدت إلى دور كثيرة، ونهبت أموال عظيمة، وأقامت النار تلعب أياما.

[مسير شيركوه إلى مصر]

وفيها كان مسير الأمير أسد الدين شيركوه المسير الثاني إلى مصر. جهز السلطان نور الدين المعظم جيوشه، وقيل: بل جهز معه ألفي فارس، فنزل بالجيزة محاصرا لمصر مدة نيف وخمسين يوما، فاستنجد شاور بالفرنج، فدخلوا مصر من دمياط لنجدته، فرحل أسد الدين من بين أيديهم، وتقدم عن منزلته، ثم وقع بينه وبين المصريين حرب على قلة عسكره وكثرة عدوه، فانتصر فيها أسد الدين، وقتل من الفرنج ألوفا وأسر منهم سبعين فارسا [٣] .

قال ابن الأثير [٤] : كانت هذه الوقعة من أعجب ما يؤرخ أن ألفي فارس تهزم عساكر مصر والفرنج الساحلية.

---

[١] في مرآة الزمان ٨/ ٢٧٠، وانظر: دول الإسلام ٢/ ٧٥، ٧٦.
[٢] باب الساعات: هو الباب الغربي للجامع الأموي ويعرف بباب الزيادة، سمي بباب الساعات لأنه كان هناك منكاب الساعات يعلم بها كل ساعة تمضي من النهار، عليها عصافير من نحاس، وحية من نحاس، وغراب، فإذا تمت الساعة خرجت فصفرت العصافير، وصاح الغراب وسقطت حصاة. (الدارس في تاريخ المدارس ٢/ ٣٨٦، ٣٨٧) .
أما اللبادين فهي محلة في شرق جامع دمشق مكان النوفرة اليوم وما حولها. (معجم الأماكن الطبوغرافية، للمنجد) وقد تصحفت إلى «البلادين» في مرآة الجنان ٣/ ٣٧٠، والخبر في: النجوم الزاهرة ٥/ ٣٧٣.
[٣] أخبار الدول المنقطعة ١١٥، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٤٣، مرآة الزمان ٨/ ٢٦٨، دول الإسلام ٢/ ٧٦، اتعاظ الحنفا ٣/ ٢٨٤.
[٤] في الكامل في ال‍تاريخ ١١/ ٣٢٦، والتاريخ الباهر ١٣٣، والعبر ٤/ ١٧٦، ومرآة الجنان ٣/ ٣٧٠.." (٢)

"سنة سبع وستين وخمسمائة

[عزل ابن رئيس الرؤساء]

في هذه السنة دخل نجاح الخادم على الوزير ابن رئيس الرؤساء ومعه خط الخليفة بعزله، وأمر بطبق [١] دواته، وحل

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٥/٣٨
(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٨/٣٩

أزراره، وإقامته من مسنده، وقبض على ولده أستاذ الدار، ثم نهبت داره ودار ولده، واستنيب ابن جعفر ناظر المخزن في الوزارة [٢] .

[الحريق ببغداد]

وفيها وقع حريق عظيم ببغداد [٣] .

[هدية صاحب البحرين]

ووصلت رسل صاحب البحرين إلى الخليفة بهدايا [٤] .

[تدريس ابن الجوزي «بالحلبة»]

قال ابن الجوزي [٥] : وتكلمت في رمضان بالحلبة، فتاب نحو مائتي رجل، وقطعت شعور مائة وعشرين منهم.

---

[١] في الأصل: «بطرق» .

[٢] المنتظم ١٠/ ٢٣٧، ٢٣٨ (١٨/ ١٩٧) ، دول الإسلام ٢/ ٧٩، تاريخ ابن الفرات م ٤ ج ١/ ١٨٧.

[٣] المنتظم ١٠/ ٢٣٨ (١٨/ ١٩٧) ، تاريخ ابن الفرات م ٤ ج ١/ ١٨٧.

[٤] المنتظم ١٠/ ٢٣٨ (١٨/ ١٩٧) ، تاريخ ابن الفرات م ٤ ج ١/ ١٨٧.

[٥] في المنتظم ١٠/ ٢٣٧ (١٨/ ١٩٧) ، ونقل عنه ابن الفرات في تاريخه م ٤ ج ١/ ١٨٧.." (١)

"سنة تسع وستين وخمسمائة

[حريق الظفرية]

في المحرم وقع حريق بالظفرية، فاحترقت مواضع كثيرة [١] .

[تدريس ابن الجوزي بجامع المنصور]

قال ابن الجوزي [٢] : وجلست يوم عاشوراء في جامع المنصور، فحزر الجميع بمائة ألف، كذا قال.

[الازدحام على درس ابن الجوزي بالحربية]

قال [٣] : وسألني في ربيع الأول أهل الحربية أن أعمل عندهم مجلسا، فوعدتهم ليلة، فانقلبت بغداد، وعبر أهلها، وتلقيت بشموع حزرت ألف شمعة، وما رأيت البرية إلا مملوءة بالضوء، وكان أمرا مفرطا، فلو قال قائل: إن الخلق كانوا ثلاثمائة ألف لما أبعد.

[وصول التقادم من نور الدين إلى الخليفة بمصر]

وفي رجب وصل ابن الشهرزوري [٤] بتحف وتقادم للخليفة من نور الدين، وفيها حمار مخطط [كثوب] [٥] عتابي، وخرج الخلق للفرجة عليه.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٩/٣٣

[١] المنتظم ١٠/ ٢٤٢ (١٨/ ٢٠٢) .

[٢] في المنتظم ١٠/ ٢٤٢ (١٨/ ٢٠٢) .

[٣] في المنتظم ١٠/ ٢٤٣ (١٨/ ٢٠٣) .

[٤] في المنتظم، بطبعتيه القديمة والحديثة: «ابن الهروي» ، والمثبت يتفق مع: الكامل ١١/ ٣٩٥.

[٥] في الأصل بياض، والمثبت من المصادر. انظر: المنتظم ١٠/ ٢٤٤ (١٨/ ٢٠٤) ،." (١)

"القلانسي سنة سبع عشرة وخمسمائة ببغداد. وأقرأ الناس.

وروى عن: أبي القاسم بن الحصين.

٢٧٧- عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فتوح [١] .

أبو محمد الحضرمي، الداني، النحوي، المعروف بعبدون، وبابن صاحب الصلاة.

أخذ القراءات عن أبي عبد الله بن سعيد الداني، وقرأ عليه الأدب، وعلى: والده يحيى، وأبي الحسن طاهر.

وحمل عن: الحافظ أبي الوليد بن خيرة.

وأقرأ النحو بشاطبة زمانا. ثم أدب بني صاحب بلنسية. وكان مبرزا في العربية، مشاركا في الفقه وقول الشعر، متواضعا، طيب الأخلاق.

أخذ عنه جله منهم: أبو جعفر الذهبي، وأبو الحسن بن حريق، وأبو محمد بن نصرون، وأبو الربيع بن سالم.

وتوفي في مستهل رجب ببلنسية وله إحدى وستون سنة.

٢٧٨- عبد [الله] [٢] بن القاضي أبي خازم محمد بن القاضي أبي يعلى بن الفراء.

الحنبلي أخو أبي يعلى الصغير.

سمع: أباه، وابن الحصين، وابن كادش.

وعنه: القطيعي، وعبد الله بن أحمد الخباز.

ولد سنة عشر وخمسمائة.

ومات في ذي الحجة.

---

[١] انظر عن (عبد الله بن يحيى) في: المقتضب من تحفة القادم ٦٨، ٦٩، وتكملة الصلة ٢/ ٨٥٧، ٨٥٨ رقم ٢٠٦٦، والوافي بالوفيات ١٧/ ١٦٨- ١٧٠ رقم ٥٦٦، وبغية الوعاة ٢/ ٦٥، ٦٦ رقم ١٤٥١.

[٢] في الأصل بياض، والمستدرك من: ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٥١- ٣٥٣ رقم ١٧١.." (٢)

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٩/٤٨

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٠/٢٦٤

"وببغداد: هبة الله بن الحسن الدقاق، ومحمد بن عبد الباقي ابن البطي، ويحيى بن ثابت، وصالح بن الرحلة، وشهدة الكاتبة، وجماعة.

وبهمذان: أبا العلاء العطار الحافظ، وبأصبهان محمد بن أحمد بن ماشاذة صاحب سليمان بن إبراهيم الحافظ، وأبا رشيد عبد الله بن عمر، وعلي بن محمد بن أحمد بن مردويه، والحافظ أبا موسى المديني، وطائفة.

وبتبريز: محمد بن أسعد العطاري، حفدة أو لقيه بالموصل.

روى عنه: ولده أمين الدين سالم.

وصنف التصانيف، وجمع «المعجم» لنفسه في ستة عشر جزءا، وصنف «فضائل الصحابة» ، و «فضائل القدس» ، و «عوالي ابن عيينة» ، وجزءا في «رباعيات التابعين» . وأصيب بكتبه فإنها **احترقت** لما وقع **الحريق** بالكلاسة [١] . ثم وقف بعد ذلك خزانة أخرى.

وكان ثقة متقنا، مستقيم الطريقة، لين الجانب، سمحا، كريما. رحل سنة ثمان وسبعين بابنه أبي الغنائم سالم، فسمعه من ابن شاتيل وطبقته.

قال أبو عبد الله الدبيثي [٢] : كان ثقة، وتوفي سنة ست وثمانين. وكتب إلينا بالإجازة.

قلت: عاش تسعا وأربعين سنة.

٢٠٦- الحسين بن محمد بن الحسين [٣] .

أبو علي الفارسي، الدارابجردي، المقرئ، الخواص، المؤدب [٤] .

---

[١] الكلاسة: بتشديد اللام، موضع بدمشق. (تاج العروس- كلس- ٤/ ٢٣٥) .

[٢] في تاريخه، ورقة ٢٠.

[٣] انظر عن (الحسين بن محمد) في: التكملة لوفيات النقلة ١/ ١٤١، ١٤٢ رقم ١١٨، وتاريخ ابن الفرات ج ٤ ق ١/ ٢٤٦ وفيه «الحسن» ، والمقفى الكبير للمقريزي ٣/ ٦٢٠ رقم ١٢٦١.

[٤] وقال ابن الفرات: «ويعرف بالمجاور» وهو والد الوزير أبي الفتح يوسف وزير الملك العزيز.." (١)

"سنة ستمائة

[كسرة صاحب الموصل]

قال سبط ابن الجوزي [١] : فيها سار نور الدين صاحب الموصل إلى تلعفر [٢] ، فأخذها وكانت لابن عمه قطب الدين بن عماد الدين صاحب سنجار، فاستنجد القطب بالملك الأشرف جاره فجمع جمعا كثيرا وساق، فعمل مصافا مع صاحب الموصل فكسره الأشرف، وأسر جماعة من أمرائه، منهم مبارز الدين سنقر الحلبي، وابنه غازي [٣] .

[زواج الأشرف]

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤١/٢٣٨

ثم اصطلحا في آخر السنة. وتزوج الأشرف بأخت نور الدين، وهي الست الأتابكية صاحبة التربة بقاسيون [٤] .

[احتراق خزانة السلاح بدمشق]

وفيها احترقت خزانة السلاح بدمشق، وذهب جميع ما كان فيها.

---

[١] في مرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ٥١٨.

[٢] في مفرج الكروب ٣/ ١٥٦ «تليعفر» .

وفي تقويم البلدان ٢٨٤ «تل أعفر» من إقليم الجزيرة. قال: التل معروف. وأعفر بفتح الألف وسكون العين المهملة وفتح الفاء ثم راء مهملة. وهكذا وردت في مرآة الزمان.

وقال ابن الأثير في اللباب ١/ ٢١٩ في نسبة التلعفري: بفتح التاء المنقوطة باثنتين من فوقها واللام والعين المهملة وفتح الفاء وفي آخرها الراء. موضع بنواحي الموصل.

[٣] الكامل في التاريخ ١٢/ ١٩٢، مفرج الكروب ٣/ ١٥٥- ١٥٧، مرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ٥١٨، تاريخ الزمان ٢٤٢، الدر المطلوب ١٥٧، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٧٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٢١، ١٢٢، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٣٩، ٢٤٠، تاريخ ابن سباط ١/ ٢٣٥.

[٤] مرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ٥١٨.." (١)

"[المجلد الثالث والأربعون (سنة ٦٠١- ٦١٠)]

بسم الله الرحمن الرحيم

[الطبقة الحادية والستون]

سنة إحدى وستمائة ومما تم فيها:

[عزل ولي العهد]

فيها عزل الناصر لدين الله ولده أبا نصر محمدا عن ولاية العهد، بعد أن خطب له بولاية العهد سبع عشرة سنة، ومال إلى ولده علي ورشحه للخلافة، فاخترم في إبان شبابه، فاضطر الناصر إلى إعادة عدة الدين أبي نصر وهو الخليفة الظاهر [١] .

[الحريق بدار الخلافة]

قال أبو شامة [٢] : وفيها وقع **حريق** عظيم بدار الخلافة لم ير مثله، **واحترقت** جميع خزانة السلاح والأمتعة وقدور النفط. ثم قال: وقيمة ما ذهب ثلاثة آلاف دينار وسبعمائة ألف دينار [٣] .

[دفاع المنصور عن حماه]

قال [٤] : وفيها أخذت الفرنج النساء من على العاصي بظاهر حماه،

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٢/٥١

[١] الكامل في التاريخ ١٢/ ٥٥٢، ٢٠٦، ذيل الروضتين ٥٠، مرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ٥٢٢، ٥٢٣، العسجد المسبوك ٢/ ٢٩٣، الجامع المختصر ٩/ ١٤٤، البداية والنهاية ١٣/ ٤٠، مفرج الكروب ٣/ ١٦٨، ١٦٩.

[٢] في ذيل الروضتين ٥١.

[٣] انظر عن (خبر **الحريق** أيضا) في: الكامل في التاريخ ١٢/ ٢٠٦، ومرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ٥٢٣، ودول الإسلام ٢/ ١٠٨، والعسجد المسبوك ٢/ ٢٩٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٤١.

[٤] في ذيل الروضتين ٥١.." (١)

"له جبل قاسيون، فقلنا قد **احترقت** دمشق، قال: وخرج أهل قريتنا الرجال والنساء يتفرجون على الضوء، فلما جئنا إلى بعض الطريق سألنا: أيش **الحريق** الذي كان بدمشق؟ فقالوا: ما كان بها **حريق**. فلما وصلنا إلى هنا قال لي ابني: إن الشيخ الموفق توفي. فقلت: ما كان هذا النور إلا لأجله.

قال الضياء: وقد سمعنا نحو هذا من غير واحد يحدثه، أنه رأى ذلك بحوران، وبالطريق.

وسمعت العدل أبا عبد الله محمد بن نصر بن قوام التاجر بعد موت الشيخ الموفق بأيام. قال: رأيت ليلة الجمعة في الثلث الأخير، الحق عز وجل، وكأنه عال علينا بنحو من قامة، يعني ليس هو على الأرض، وإلى جانبي رجل خطر في قلبي أنه الخضر عليه السلام، فذكر الشيخ الموفق، فقال الحق للخضر: هل تعرف أخته وابنته؟ فقال: لا. قال: بلى اذهب، فعزهما في الموفق. وخطر ببالي أنه تعالى يقول: فإني أعددت له ما لا عين رأيت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم انتبهت.

وقد ساق الضياء منامات كثيرة في سيرة الشيخ الموفق، تركتها خوف الإطالة.

ثم قال: تزوج ببنت عمته مريم بنت أبي بكر عبد الله بن سعد، فولدت له أولادا، عاش منهم حتى كبر: أبو الفضل محمد، وأبو المجد عيسى، وأبو العز يحيى، وصفية، وفاطمة. فمات بنوه في حياته، ولم يعقب منهم سوى عيسى.

وتسرى، بجارية، ثم ماتت هي وزوجته بعدها، ثم تسرى بجارية، وجاءه منها بنت، ثم ماتت البنت، وروح الجارية، ثم تزوج عزية بنت إسماعيل، وتوفيت قبله. ومن شعره:

أتغفل يا ابن أحمد والمنايا ... شوارع يخترمنك عن قريب

أغرك أن تخطتك الرزايا ... فكم للموت من سهم مصيب

كؤوس الموت دائرة علينا ... وما للمرء بد من نصيب

إلى كم تجعل التسويف دأبا ... أما يكفيك إنذار المشيب." (٢)

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٣/٥

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٤/٤٩٥

"جمادى الأولى وقعت بينهم وقعة عظيمة [١] .

قال أبو شامة [٢] : قتل فيها خلق كثير، ونهب قصر حجاج والشاغور، وأطلق فيها النيران، وتسلموا حصن عزتا صلحا مع متوليه.

دخول الكامل دمشق

وفي تاسع جمادى الآخرة وصل الكامل، فنزل عند مسجد القدم، فأنفذ الناصر إليه جماعة من الكبراء: الدولعي، والقاضي شمس الدين الخويي، والقاضي شمس الدين ابن الشيرازي، والشيخ جمال الدين الحصيري، نيابة عنه في السلام والخدمة.

ثم خرج من الغد عز الدين أيبك أستاذ الدار باستدعاء من الكامل فتحدثا في الصلح، فلما كان يوم منتصف الشهر، كان بينهم وقعة تلقاء باب الحديد وفي الميدان، وانتصر الدمشقيون. ثم أصبح من الغد النهب **والحريق** بظاهر باب توما، وبدعوا في الغوطة، وخربوها، وغلت الأسعار، وصار اللحم بستة دراهم، والجبن بست○○ة دراهم أيضا. واشتد الحصار، ثم إنهم زحفوا على دمشق من غربيها مرارا، وتكون الكرة عليهم، واتخذوا مسجد خاتون، ومسجد الشيخ إسماعيل، وخانقاه الطاحون، وجوسق الميدان، حصونا وظهرا لهم. وأحرق الناصر لأجل ذلك مدرسة أسد الدين، وخانقاه خاتون، وخانقاه الطواويس، وتلك الخانات. وجرت أمور.

ثم زحفوا في تاسع رجب إلى أن قاربوا باب الحديد، ثم كان انتظام الصلح في أول شعبان، وذلك أن الملك الناصر داود خرج ليلة رابع عشر رجب إلى الكامل واجتمع به، ثم اجتمع به مرات، وتقرر الصلح، أن الناصر رضي بالكرك ونابلس وبعض الغور والبلقاء. ثم دخل الملك الكامل القلعة، ونزل إلى قبة والده، ووجه العسكر، فنازلوا حماة، وحاصروها.

---

[١] انظر عن (محاصرة دمشق) في: ذيل الروضتين ١٥٤، والكامل في التاريخ ١٢/ ٤٨٤، ومرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ٦٥٤، ومفرج الكروب ٤/ ٢٥٢- ٢٥٣، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ١٤٢، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٥٣- ١٥٥، وتاريخ المسلمين ١٣٨، والبداية والنهاية ١٣/ ١٢٤، ومرآة الجنان ٤/ ٥٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٥٠، والسلوك ج ١ ق ١/ ٢٣٤، وتاريخ ابن سباط ١/ ٢٩٥.

[٢] في ذيل الروضتين ١٥٥.." (١)

"روى عنه الدبيثي، والبرزالي، وجماعة. وتوفي في العشرين من جمادى الأولى. وقد حدث من بيته جماعة: فجده من شيوخ الكندي، وأبوه من شيوخ الشيخ الموفق، وله أخوان رويا، عبد الله، وعلي مضيا قبله. وكان لا بأس به [١] .

١١٦- عطاء الله بن منصور [٢] بن نصر.

القاضي، الفقيه، أبو محمد، اللكي، الإسكندراني، المالكي.

ولد سنة ثلاث وخمسين. وناب في الحكم ببلده مدة. وكان دينا، خيرا، مقبلا على شأنه. وجد نصر بالتحريك [٣] .

ولم يسمع من السلفي، إنما روى عنه بالإجازة.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٥/٣٣

١١٧- علي ابن علم الدين [٤] سليمان بن جندر، الأمير سيف الدين.

من أمراء حلب الأعيان، بنى بحلب مدرستين، وبنى الخانات في الطريق. وله المواقف المشهورة، والصدقات.

مات بحلب في جمادى الأولى.

١١٨- علي بن محمد بن أحمد [٥] بن **حريق**.

أبو الحسن، المخزومي، البلنسي، الشاعر.

---

[١] ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٢/ ٩٠.

[٢] انظر عن (عطاء الله بن منصور) في: التكملة لوفيات النقلة ٣/ ١٥١ رقم ٢٠٤٨، والمشتبه ٢/ ٦٤٢، وتوضيح المشتبه ٩/ ٨٤.

[٣] قيده المنذري، والمؤلف- رحمه الله- وابن ناصر الدين.

[٤] انظر عن (علي بن علم الدين) في: مرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ٦٣٧، وذيل الروضتين ١٤٥، ١٤٦، والبداية والنهاية ١٣/ ١٠٨.

[٥] انظر عن (علي بن محمد بن أحمد) في: صلة الصلة لابن الزبير ١٢٩، وتكملة الصلة لابن الأبار ٣/ ورقة ٧٣، ٧٤ (نسخة الأزهر) ، والمطبوع، رقم ١٨٩٥، وزاد المسافر ٢٢- ٢٧، وإنباه الرواة ٢/ ٣١٠، والذيل والتكملة على كتابي الموصول والصلة ٥/ ٢٧٥- ٢٧٧ رقم ٥٥٣، ورايات المبرزين ٨٦، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٩٥، ٢٩٦ رقم ١٧٣، وفوات الوفيات ٢/ ٧٠، والوافي بالوفيات ١٢/ ١٤٥، والمغرب في حلى المغرب ٢/ ٣١٨، والعسجد المسبوك ٢/ ٤١٥، ونفح الطيب (في مواضع كثيرة) ، وبغية الوعاة ٢/ ١٨٦، ومعجم المؤلفين ٧/ ١٧٩، ١٨٠.." (١)

"فقال لهن: أخرجن. يعني لما **احترقت** العقيبة، فقلن: والله لا نخرج، **الحريق** أهون من الفضيحة. فاحترقن في الدار.

قلت: هذه حكاية منكرة، وابن الجوزي حاطب ليل وصاحب غرائب.

[رواية ابن حمويه]

وقال سعد الدين ابن حمويه في ذكر انتقاله من خدمة صاحب ميافارقين:

ثم خرجنا من حماة في أول ربيع الأول مع رسل حماة، ومعهم مائتا فارس لخوف الطريق، فنزلنا سلمية وسرنا فيها، والخوارزمية على الطرقات يأخذون من كل أحد شيئا.

إلى أن قال: ونزلت عند ابن عمي معين الدين بالقرب من المصلى، فخلع علي. ورأيت دمشق وقد قطع العسكر أكثر أشجارها، ونضبت أنهارها، وخربت أكثر ديارها. وكان الصالح إسماعيل قد خرب أرباضها وأحرقها، وخرب عسكر مصر بقية العمارة التي تليهم بحيث ما بقي بظاهر البلد عمارة تسكن. وكان عليها المجانيق منصوبة من باب الجابية إلى باب

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٥/١١٩

النصر.

وفي ربيع الأول قفر إلينا ابن صاحب صرخد، فأعطاه ابن عمي ألف دينار وخلعة وفرس، وكان في أكثر الأيام يفرق خمسمائة خلعة وخمسة آلاف دينار على المقفرين.

[رواية أبي شامة]

قال أبو شامة [١] : وفي ثامن جمادى الأولى زال الحصار وترحل عن البلد سلطانه الملك الصالح عماد الدين ورفيقه صاحب حمص إلى بعلبك وحمص، ودخل من الغد [نائب] [٢] صاحب مصر معين الدين حسن [٣] ابن شيخ الشيوخ

---

[١] في ذيل الروضتين ١٧٦.

[٢] إضافة على الأصل من: ذيل الروضتين.

[٣] في ذيل الروضتين: «حسين» .." (١)

"[خلاف وزير المستعصم والدويدار الصغير]

ونسب إلى مجاهد الدين الدويدار الصغير أنه عامل على خلع المستعصم وتولية ولده، فأسرع مجاهد الدين وحلف وسأل أن يواقف القائل عنه. ولبس اللأمة جنده واستوحش من الوزير، فهاشت العامة وعظم الأمر. وقتل جماعة كثيرة وجرح خلق. ثم كتب المستعصم أمانا بخطه للدويدار فرضي.

حريق المسجد [١]

وفي ليلة الجمعة مستهل رمضان احترق مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكان ابتداء حريقه من زاويته الغربية بشمال. دخل بعض القوم إلى خزانة ومعه مسرجة فعلقت في الآلات، ثم اتصلت بالسقف سريعا، ثم دبت في السقوف آخذة نحو القبلة، وعجز الناس عن إطفائها، فما كان إلا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد كلها، ووقعت بعض أساطينه وذاب رصاصها، وكل ذلك قبل أن ينام الناس. واحترق سقف الحجرة النبوية، ووقع ما وقع منه في الحجرة، وترك على حاله لما شرعوا في عمارة سقفها وسقف المسجد [٢] .

نقل هذا أبو شامة وغيره.

ومما قيل في ذلك:

لم يحترق حرم الرسول لحادث ... يخشى عليه ولا دهاه العار

لكنها أيدي الروافض لامست ... ذاك الجدار [٣] فطهرته النار [٤]

---

[١] انظر خبر حريق المسجد في:

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٩/٤٧

المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٩٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩٤، والعبر ٥/ ٢١٦، ودول الإسلام ٢/ ١٥٨، ومرآة الجنان ٤/ ١٣٤، ١٣٥، وعيون التواريخ ٢٠/ ٩٢، والبداية والنهاية ١٣/ ١٩٣، وذيل الروضتين ١٩٤، وتاريخ الخميس ٢/ ٤١٨- ٤٢٠، وذيل مرآة الزمان ١/ ١٠، والعسجد المسبوك ٢/ ٦٢٠، ٦٢١، وعقد الجمان (١) ١٢٨، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٦، وشذرات الذهب ٥/ ٢٦٣، ٢٦٤، وتحقيق النصرة للمراغي ٦٨، ٦٩، وبدائع الزهور ج ١ ق ١/ ٢٩١ (حوادث سنة ٦٥١ هـ) .

[٢] نهاية الأرب ٢٩/ ٤٥٤، ٤٥٥.

[٣] في عيون التواريخ ٢٠/ ٩٢ «ذاك الجناب» ، ومثله في ذيل الروضتين، وذيل مرآة الزمان.

[٤] البيتان في: ذيل الروضتين ١٩٤، وعيون التواريخ، ٢/ ٩٢، وتاريخ الخميس ٢/ ٤١٩، وذيل مرآة الزمان ١/ ١٠، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٦، وشذرات الذهب ٥/ ٢٦٣، ٢٦٤.." (١)

"قامة، وفي عرض أربعة أذرع، وبنوا حائطا ارتفاع خمسة أذرع كالسور عليهم وعملوا فيه أبوابا، ونصبوا على باب العراق الذي للبلد أكثر من عشرين منجنيقا، وألحوا بالرمي بها ليلا ونهارا، وأخذوا في نقب السور، فلم يزالوا إلى أن ظهروا أولا من حمام حمدان في ذيل قلعة الشريف، وركبوا الأسوار من كل ناحية في اليوم التاسع من صفر، فهرب المسلمون إلى جهة القلعة، ورمى خلق نفوسهم في الخندق، وبذلت التتار السيف في العالم، ودخل خلق إلى القلعة، وذلك يوم الأحد.

وأصبحوا يوم الإثنين وهم على ما أمسوا عليه من القتل والسبي، وامتلأت الطرقات بالقتلى. وأحمي في البلد أماكن لفرمانات كانت بأيديهم، فمن ذلك دار شهاب الدين بن عمرون، ودار نجم الدين ابن أخي مردكين، ودار البازيار [١] ، ودار علم الدين قيصر الموصلي، والخانقاه التي فيها زين الدين الصوفي، وكنيسة اليهود، فنجا من القتل في هذه الأماكن أكثر من خمسين ألفا، واستتر أيضا جمع كثير، فقتل أمم لا يحصيهم إلا الله سبحانه وتعالى [٢] .

وبقي القتل والأسر **والحريق** والبلاء إلى يوم الجمعة الرابع عشر من صفر، ثم نودي برفع السيف، وأذن المؤذنون يومئذ بالجامع، وأقيمت الخطبة والصلاة. ثم أحاطوا بالقلعة وحاصروها، وبالقلعة الملك المعظم [٣] .

[هرب الملك الناصر من دمشق]

ووصل الخبر بأخذ حلب إلى دمشق يوم السبت فهرب الملك الناصر من

---

[١] في المختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٠١ «البازياد» بالدال. والمثبت هو الصحيح كما في تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٠٣.

[٢] الحوادث الجامعة ١٦٤، ١٦٥ (باختصار شديد) ، أخبار الأيوبيين ١٧١، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٠١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٠٢، مرآة الجنان ٤/ ١٤٨، ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٤٥، ٣٤٦، السلوك ج ١ ق ٢/ ٤٤٢،

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٨/٢٤

.٤٢٣

[٣] العبر ٥/ ٢٤١، دول الإسلام ٢/ ١٦٢، مرآة الجنان ٤/ ١٤٨، تاريخ ابن سباط ١/ ٣٨٣، السلوك ج ١ ق ٢/ ٤٢٢، تاريخ الزمان ٣١٦، تاريخ مختصر الدول ٢٧٩، عقد الجمان (١) ٢٣٠، ٢٣١، مآثر الإنافة ٢/ ١٠٤، شذرات الذهب ٥/ ٢٩٠.." (١)

"حكاه من الغصن الرطيب وريقه ... وما الخمر إلا وجنتاه وريقه

هلال ولكن أفق قلبي محله ... غزال ولكن سفح عيني عقيقه

أقر له من كل حسن جليله ... ووافقه من كل معنى دقيقة

بديع أتتني راح قلبي أسيره ... على أن دمعي في الغرام طليقه

على سالفيه للعذار جديدة [١] ... وفي شفتيه للسلاف عتيقه

يهدد منه الطرف من ليس خصمه ... ويسكر منه الريق من لا يذوقه [٢]

على مثله يستحسن الصب هتكه ... وفي حبه يجفو الصديق صديقه

من الترك لا يصبيه وجد إلى الحمى ... ولا ذكر بانات الغوير تشوقه [٣]

له مبسم ينسي المدام بريقه ... ويخجل نوار الأقاصي بريقه

تداويت من حر الغرام ببرده ... فأضرم من ذاك الرحيق حريقه [٤]

حكى وجهه بدر السماء فلو بدا ... مع البدر قال الناس: هذا شقيقه

وأشبه زهر الروض حسنا وقد بدا ... على عارضيه آسه وشقيقه

وأشبهت من الخصر سقما فقد غدا ... يحملني الخصر ما لا أطيقه [٥]

في أبيات أخر تركتها.

سار مع لؤلؤ فمات بتبريز في جمادى الأولى كهلا.

وهو القائل:

جاء غلامي فشكا ... أمر كميتي وبكى [٦]

وقال لي لا شك ... برذونك قد تشبكا [٧]

---

[١] في ذيل المرآة: «جريرة» ، والمثبت يتفق مع المصادر.

[٢] في فوات الوفيات ١/ ١٤٣ «يذيقه» .

[٣] هذا البيت غير موجود في ذيل مرآة الزمان.

[٤] في ذيل المرآة: «فأضرم في ذاك الحريق رحيقه» ، وفي فوات الوفيات ١/ ١٤٤ «فأضرم من حر الحريق رحيقه»

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٨/٥٠

.

[٥] ذيل المرآة، سير أعلام النبلاء، وفي عيون التواريخ ٢٠/ ١٥٨ البيت الأول فقط. وكلها في فوات الوفيات مع زيادة، وعقود الجمان، والوافي بالوفيات، والمنهل الصافي، والنجوم الزاهرة.

[٦] في الأصل: «وبكا» .

[٧] في الأصل: «تشكا» .." (١)

"[فتح قيسارية وأرسوف]

قال: وفي ربيع الآخر توجه السلطان بالعساكر إلى قيسارية فحاصرها، وافتتحها عنوة في ثامن جمادى الأولى، وامتنعت القلعة عشرة أيام وأخذت، وهرب من فيها إلى عكا، فخربها السلطان، وأقطع قراها.

ثم سار فنازل أرسوف، ونصب عليها المجانيق إلى أن تداعى برج تجاه الأمير بليك الخزندار، فهجم البلد بأصحابه على غفلة، ووقع القتل والأسر، وذلك في ثاني عشر رجب. ثم هدمت، وعاد السلطان، وزينت القاهرة [١] .

[اتهام النصارى بحريق الباطنية]

وفيها أحرق بحارة الباطنية [٢] بالقاهرة حريق كبير، ذهب فيه ثلاثة وستون دارا. ثم كثر بعد ذلك الحريق بالقاهرة، واحترق ربع العادل وغير ذلك، فكانت توجد لفائف مشاق فيها النار والكبريت على الأسطحة. وعظم ذلك على الناس، واتهموا بذلك النصارى، وقدم السلطان فهم باستئصال النصارى واليهود، وأمر بجمع الأحطاب والحلفاء في حفيرة ليحرقوا فيها. ثم كتفوا ليرموا في الحفيرة، فشفع فيهم الأمراء، وأمروهم أن يشتروا أنفسهم، فقرروا عليهم خمسمائة ألف دينار يقومون منها في العام بخمسين ألف دينار.

وضمنهم الحبيس، وكان كاتبا ثم ترهب، وأقام بجبل حلوان. فيقال إنه وجد

[()] ودول الإسلام ٢/ ١٦٨، البداية والنهاية ١٣/ ٢٤٤، وعيون التواريخ ٢٠/ ٣١٨، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣١٨، والسلوك ج ١ ق ٢/ ٥٢٣، ٥٢٤.

[١] انظر خبر قيسارية وأرسوف في: ذيل الروضتين ٢٣٣ و ٢٣٥، والروض الزاهر ٢٣٠- ٢٤٣، والدرة الزكية ١٠٧، والمختصر في أخبار البشر ٤/ ٢، والتحفة الملوكية ٥٣- ٥٤، وزبدة الفكرة ج ٩/ ٦٩ أ- ٧٠ أ، ونزهة المالك والمملوك، ورقة ١٠٤، ونهاية الأرب ٣٠/ ١١٣، ١١٤، ودول الإسلام ٢/ ١٦٨، والعبر ٥/ ٢٧٢، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١٧، ومرآة الجنان ٤/ ١٦١، والبداية والنهاية ١3/ ٢٤٤، ٢٤٥، وعيون التواريخ ٢٠/ ٣١٩، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٨٢، والسلوك ج ١ ق ٢/ ٥٢٥، وعقد الجمان (١) ٣٩٦، وتاريخ ابن سباط ١/ ٤١٠، والإعلام والتبيين ٦٢

---

(١) تاريخ الإسل ا م ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٢٧/٤٨

(في سنة ٦٦٢ هـ) .

[٢] يقال: الباطنية، والباطلية، كما في: عيون التواريخ ٢٠/ ٣١٩.." (١)

"في مغارة من الجبل دفينا للحاكم العبيدي، فلما ظفر بالمال واسى به الفقراء والصعاليك من كل ملة، فاتصل خبره بالسلطان، فطلبه وطلب منه المال، فقال: لا يشمل إلى أن أعطيك من يدي إلى يدك. ولكن يصل إليك من جهة من تصادره ولا يقدر على تطلبه منه، فلا تعجل علي. فلما جرت هذه الواقعة للنصارى ضمنهم [١] .

وقد ذكرنا وفاته في سنة ست وستين، وكانت قد وصلت الفتاوى بقتله خوفا من الفتنة على ضعفاء الإيمان من المسلمين، من علماء الإسكندرية.

فقيل إن مبلغ ما وصل إلى بيت المال من طريقه في مدة سنتين ستمائة ألف دينار. وقد ضبط ذلك بقلم الصيارفة الذين كان يجعل عندهم المال، ويكتب إليهم أوراقه. وذلك خارجا عما كان يعطيه بيده سرا.

وكان لا يأكل من هذا المال ولا يلبس، بل إن النصارى يتصدقون عليه بما يأكل ويلبس. ولم يظهر له بعد موته ولا دينار واحد. وكان يقول: من لم يكن معه شيء أديت عنه في المصادرة. فكان يدخل الحبس ويطلق من عليه دين، ومن وجده ذا هيئة رثة واساه، ومن شكى إليه ضرورة أزاحها عنه.

وقد سافر إلى الإسكندرية، وأدى جملة عن أهل الذمة، وكذا سافر إلى الصعيد، وأدى المقرر على أهل الذمة. وكان عجيب الحال، لعنه الله. ومن لطف الله أنه غير مسلم، وإلا لو كان مسلما لتألهه الناس، وادعوا فيه النبوة أو القطبية. نسأل الله العافية.

[الشروع في حفر بحر أشموم]

وفي شوال شرع السلطان في حفر بحر أشموم، وفرقه على الأمراء،

---

[١] انظر خبر **الحريق** في: تاريخ الدولة التركية لمؤرخ مجهول، ورقة ١٠ أوب، ونهاية الأرب ٣٠/ ١١٤، والسلوك ج ١ ق ٢/ ٥٣٥، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٤٥، وعيون التواريخ ٢٠/ ٣١٩، ٣٢٠، وعقد الجمان. (١) ٤١٠، وتاريخ الخلفاء ٤٨٠، وبدائع الزهور ج ١ ق ١/ ٣٢٤، ٣٢٥.." (٢)

"[هبوب ريح عظيمة بمصر]

وفي ذي الحجة هبت ريح عظيمة بمصر غرقت في النيل نحو مائتي مركب، وهلك كثير من الناس [١] .

[المطر بقليوب]

وأمطرت قليوب مطرا غزيرا [٢] .

[عصيان تاكودر على الملك أبغا]

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٩/ ١٧

(٢) تاريخ ال إسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٩/ ١٨

وفيها عصى تاكودر [٣] على الملك أبغا وحاربه، فانتصر أبغا، ثم إن برق ابن عم تاكودر [٢] انتصر له، وقصد يشير أخا أبغا فكسره [٤] .

[حريق سوق الصالحية]

وفي رجب احترق سوق جبل الصالحية، وراح أكثر ما فيه من قماش ومتاع، وكان حريقا كبيرا.

قال بعض الفضلاء: ما رأيت في عمري حريقا أكبر منه. احترق السوق من أوله إلى آخره من الجهتين، واحترق فيه دكانان للعطر لم يكن في دمشق أحسن منهما ولا أكبر من الصيني والمطعم بالفضة وغير ذلك. وهلك لتاجر شيء بخمسة عشر ألف درهم.

---

[١] خبر الريح بمصر في: المقتفي للبرزالي ١/ ورقة ١٥ ب، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٥٥، وعيون التواريخ ٢٠/ ٣٨٢، وعقد الجمان (٢) ٥١.

[٢] خبر المطر في: المقتفي للبرزالي ١/ ورقة ١٥ ب، وزاد: «وكان بالشام من هذه الريح صقعة أحرقت الأشجار» ، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٥٥، وعيون التواريخ ٢٠/ ٣٨٢.

[٣] هكذا في الأصل بالتاء المثناة، وضم الدال المهملة. وفي الدرة الزكية: «ناكورا» بالنون وفتح الدال المهملة، وفي عقد الجمان (٢) ٣٤ «تكدار بن موجي بن جغطاي» . و (٢) ٥٠.

[٤] الدرة الزكية ١٤٠.." (١)

"[كشف السلطان على حصن الأكراد وعكار]

وفي ذي الحجة سار السلطان إلى حصن الأكراد وحصن عكار فأشرف عليهما، ورجع إلى دمشق [١] .

[زواج الصاحب شرف الدين هارون]

وفيها تزوج الصاحب شرف الدين هارون بن الوزير شمس الدين الجويني ببغداد برابعة بنت أحمد بن أمير المؤمنين المستعصم، على صداق مبلغه مائة ألف دينار مصري، وعقده قاضي القضاة سراج الدين محمد بن أبي فراس في دار صاحب الديوان علاء الدين، بإنشاء بهاء الدين علي بن عيسى الإربلي، وشرطت عليه والدة العروس بأن لا يشرب الخمر، فأجاب.

[الحريق ببغداد]

واحترق ببغداد (...) [٢] من النظامية كله، واحترق فيه خلق كانوا في الغرف.

آخر المجلد العشرين

[()] الفضائل ٤٠.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٩/٤٦

[١] التحفة الملوكية ٧٣، زبدة الفكرة ج ٩/ ورقة ٧٧ أ، المقتفي للبرزالي ١/ ورقة ٣٠ ب، تاريخ الملك الظاهر لابن شداد ٣٦، ٣٧، الأعلاق الخطيرة ج ٢ ق ٢/ ١١٣، والنهج السديد لابن أبي الفضائل (نشره بلوشه) ٥٣٢، ٥٣٣، المختصر في أخبار البشر ٤/ ٦، نهاية الأرب ٣٠/ ١٩٢.

[٢] بياض في الأصل.." (١)

"ونظم «المفصل» للزمخشري، و «شيوخ البيهقي» .

وله تصانيف كثيرة سوى ما ذكرت، وأكثرها لم يفرغها [١] .

وذكر أنه حصل له الشيب وهو ابن خمس وعشرين سنة، وولي مشيخة القراءة بالتربة الأشرفية، ومشيخة الحديث بالدار الأشرفية.

وكان مع كثرة فضائله متواضعا مطرحا للتكلف، ربما ركب الحمار بين الدوائر.

أخذ عنه القراءات: الشيخ شهاب الدين حسين الكفري، والشيخ أحمد اللبان، وزين الدين أبو بكر بن يوسف المزي، وجماعة.

وقرأ عليه «شرح الشاطبية» : الشيخ برهان الدين الإسكندراني، والخطيب شرف الدين الفزاري.

وفي جمادى الآخرة من هذه السنة جاءه اثنان جبلية إلى بيته الذي بآخر المعمور من حكر طواحين الأشنان، فدخلوا عليه في صورة صاحب فتيا فضرباه ضربا مبرحا كاد أن يتلف منه، وراحا ولم يدر بهما أحد، ولا أغاثه أحد.

قال رحمه الله: في سابع جمادى الآخرة جرت لي محنة بداري بطواحين الأشنان، فألهم الله تعالى الصبر ولطف.

وقيل لي: اجتمع بولاة الأمر. فقلت: أنا قد فوضت أمري إلى الله وهو يكفينا.

وقلت في ذلك:

قلت لمن قال: [٢] تشتكي ... مما قد جرى فهو عظيم جليل

---

[١] وقال بن شاكر الكتبي: ووقف كتبه بخزانة العادلية الكبيرة، وشرط فيها شروطا ضيق فيها فاحترقت بجملتها عند ما احترقت المدرسة العادلية في سنة تسع وتسعين وستمائة، ولم يبق فيها شيء إلا ما تخطفه الناس في تلك السنة. كان شرطه فيها ألا تخرج من خزائنها، بل من أراد النفع بها ينتفع بها في حريم الخزانة، فذهبت جملة كافية. (عيون التواريخ) .

[٢] في ذيل المرآة ٢/ ٣٦٨ «ألا» ، ومثله في: عيون التواريخ ٢٠/ ٣٥٤، والمثبت يتفق مع شذرات." (٢)

"يومئذ الفرخان [١] ، فانهزم الفرخان والمشركون.

(وفيها) ظهرت الخوارج الذين بمصر، ودعوا إلى عبد الله بن الزبير، وكانوا يظنونه على مذهبهم، ولحق به خلق من مصر

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٩/٦٦

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٩/١٩٦

إلى الحجاز، فبعث ابن الزبير على مصر: عبد الرحمن بن جحدم الفهري [٢] ، فوثبوا على سعيد الأزدي فاعتزلهم.

وأما الكوفيون، فإنهم بعد هروب ابن زياد اصطلحوا على عامر بن مسعود الجمحي، فأقره ابن الزبير [٣] (وفيها) هدم ابن الزبير الكعبة لما **احترقت**، وبناها على قواعد إبراهيم الخليل، صلى الله عليه وعلى نبينا- الحديث المشهور-، وهو في البخاري، ومتنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة، ولأدخلت الحجر في البيت، ولجعلت لها بابين، بابا يدخل الناس منه، وبابا يخرجون منه، وقال: «إن قريشا قصرت بهم النفقة، فتركوا من أساس إبراهيم الحجر، واقتصروا على هذا» ، وقال: «إن قومك عملوا لها بابا عاليا، ليدخلوا من أرادوا، أو يمنعوا من أرادوا» [٤] فبناه ابن الزبير كبيرا، وألصق بابه بالأرض، فلما قتل ابن الزبير وولي الحجاج على مكة أعاد البيت على ما كان في زمن النبي صلى الله عليه ◌ وسلم، ونقض حائطه

[()] المراتب العظيمة عند الفرس. (التنبيه والإشراف للمسعودي ٩١) .

[١] في تاريخ خليفة ٢٦١ «البرجان» .

[٢] تاريخ الطبري ٥/ ٥٣٠ و ٥٤٠.

[٣] تاريخ الطبري ٥/ ٥٢٤

[٤] أخرجه البخاري في العلم ١/ ١٩٨ ١/ ١٩٨ و ١٩٩، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه، وفي الحج، باب فضل مكة وبنيانها، وفي الأنبياء، باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا ٤: ١٢٥، وفي تفسير سورة البقرة، باب قوله تعالى: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ٢: ١٢٧، وفي التمني، باب ما يجوز من اللو.

وأخرجه مسلم في الحج (١٣٣٣) باب نقض الكعبة وبنائها.." (١)

"لا أرى معكم رجالة [١] والقوم ذوو رجال [٢] وفرسان، والقوم كراديس.

قال: فعبأ سليمان بن صرد كنانته، وانتهى إلى عين الوردة، فنزل في غربيها، وأقام خمسا، فاستراحوا وأراحوا خيولهم، ثم قال سليمان: إن قتلت فأميركم المسيب، فإن أصيب فالأمير عبد الله بن سعد بن نفيل، فإن قتل فالأمير عبد الله بن وال، فإن قتل فالأمير رفاعة بن شداد، رحم الله من صدق ما عاهد الله عليه، ثم جهز المسيب بن نجبة في أربعمائة، فانقضوا على مقدمة القوم، وعليها شرحبيل بن ذي الكلاع، وهم غارون، فقاتلوهم فهزم◌وهم، وأخذوا من خيلهم وأمتعتهم وردوا، فبلغ الخبر عبيد الله بن زياد.

فجهز إليهم الحصين بن نمير في اثنى عشر ألفا، ثم ردفهم بشرحبيل في ثمانية آلاف، ثم أمدهم من الصباح بأدهم بن محرز في عشرة آلاف، ووقع القتال، ودام الحرب ثلاثة أيام قتالا لم ير مثله، وقتل من الشاميين خلق كثير. وقتل من التوابين- وكذا كانوا يسمون، لأنهم تابوا إلى الله من خذلان الحسين رضي الله عنه- فاستشهد أمراؤهم الأربعة، لم يخبر

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٥/٣٩

رفاعة بمن بقي ورد إلى الكوفة، وكان المختار في الجيش، فكتب إلى رفاعة بن شداد:

مرحبا بمن عظم الله لهم الأجر، فأبشروا إن سليمان قضى ما عليه، ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون، إني أنا الأمير المأمون، وقاتل الجبارين، فأعدوا واستعدوا، وكان قد حبسه الأميران إبراهيم بن محمد بن طلحة، وعبد الله بن يزيد الخطمي، فبقي أشهرا، ثم بعث عبد الله بن عمر يشفع فيه إلى الأميرين، فضمنه جماعة وأخرجوه، وحلفوه فحلف لهما مضمرا للشر، فشرعت الشيعة تختلف إليه وأمره يستفحل [٣] .

وكانت الكعبة احترقت في العام الماضي من مجمر، علقت النار في

---

[١] في نسخة القدسي ٢/ ٣٧٠: «رجال» ، والتصحيح من تاريخ (الطبري ٥/ ٥٩٥) .

[٢] في نسخة القدسي ٢/ ٣٧٠ «رجالا» .

[٣] الخبر في الطبري مطولا ٥/ ٥٩٣- ٦٠٧.." (١)

"العجمي، زين الدين، أبو المظفر العدل، العاقد بالقاهرة.

ولد سنة إحدى وتسعين وخمسمائة.

وسمع من: الافتخار، وثابت بن مشرف.

روى عنه الدمياطي من نظمه.

وتوفي في ذي القعدة بالقاهرة [١] .

---

[١] وقال البرزالي: وكان يجلس مع الشهود بالشارع ظاهر القاهرة وهو خال قاضي القضاة كمال الدين ابن الأستاذ قاضي حلب. أجاز لي جميع ما يرويه. روى لنا عنه قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة.

وقال ابن شداد: وكان فقيها فاضلا أديبا له شعر رائق ونثر فايق. عمل كتاب ضاهى بها المقامات والخطب النباتية، وله مصنف كبير في الألغاز والأحاجي من نظمه، وله كتاب على طريقة الصوفية ونمطهم لما ولي مشيخة الشيوخ بحلب، وله مدايح في النبي صلى الله عليه وسلم في مجلد واحد. وله مدايح في أصحابه وغيرهم سفر كبير، لا على جهة الرفد، فإنه كان ذا ثروة ومكانة ووجاهة. خلع عليه بطيلسان في سنة أربع وأربعين في الأيام الناصرية بحلب.

جمع بخطه ما كتب به إلي تفضلا لا استرفادا، مجلدا كاملا، وله في الغزل مجلد كبير.

فمن شعره في اللينوفر:

لينوفر خضر يحكي لرامقه ... عند الصباح إذا ما لاح م الورق

نجوم جو بدت في الأرض طالعة ... والماء من تحتها ينساب كالشفق

وقال في دمل أصابت الأمير شهاب الدين موسى بن مجلي بن مروان الهكاري، وكان من أعيان الأمراء بحلب، في

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٨/٥

ركبته:

أظن دمل موسى عند رؤيته ... خافته فاجتمعت من عظيم هيبته

وعند ما عاينته عينها سجدت ... وقبلت شفتاها عين ركبته

وقال في غلام اسمه عيسى:

عادة عيسى في الورى لم تزل ... تعيد من مات لهم حيا

والآن عيسى في الهوى قاتلي ... وهو الذي يحيي إذا حيا

وقال في يوم غيم وثلج وريح شديدة باردة فانكشفت السماء وثبت الثلج على الأرض، وذلك في شهور سنة ثلاث وعشرين وستمائة:

وجه تجلى منيرا بارزا نضرا ... وكان عنا بنقب الغيم محتجبا

أظن إذ صفقت فيه الرياح رمى ... به على الأرض من إيقاعه طربا

وقال في غلام في عنقه خال:

العز بدر ولكن ليس شامته ... مسلوخة في دجى صدغيه والغسق

وإنما حبة القلب التي احترقت ... في حبه علقت للظلم في العنق." (١)

"السمن حتى قاسي منه شدة. وأشار عليه الطبيب بعدم النوم على جنب. وبقي مدة لا يرمي جنبه إلى الأرض خوفا من أن يغرق في النوم فيموت.

٤٨٣- أبو بكر بن محمد [١] بن إبراهيم.

الأديب غرس [٢] الدين الإربلي.

أديب شاعر، فاضل، دين، خير.

توفي في ذي القعدة بدمشق.

فمن شعره قوله:

وبي [٣] رشأ أحوى حوى الحسن كله ... بمشرف صدغيه وعامل قده

تبدى فخلنا البدر تحت لثامه ... وماس فقلنا: الغصن في طي برده

وقفت له أشكو إليه توجعي [٤] ... وما نال قلبي من مرارة صده

وسعرت الأنفاس نار صبابتي ... فمن حرها أثر الحريق بخده

ولولا ارتشافي من برود رضابه ... لأحرقت نبت الآسي من حول ورده [٥]

روى عنه شمس الدين محمد بن الجزري في «تاريخه» ، وذكر أنه كان صديق والده.

٤٨٤- أبو بكر بن محمد بن طرخان [٦] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٥٨/٥٠

الإمام، المقرئ بالألحان زين الدين الصالحي.

---

[١] انظر عن (أبي بكر بن محمد) في: المختار من تاريخ ابن الجزري ٣٠٣، وذيل مرآة الزمان ٤/ ٩٣- ٩٥، وتالي كتاب وفيات الأعيان ١٢٧، وعيون التواريخ ٢١/ ٢٧٠- ٢٧١، وعقد الجمان (٢) ٢٥٩.

[٢] في ذيل المرآة: «عرش» . وهو تصحيف واضح.

[٣] في ذيل المرآة: «ولي» .

[٤] في ذيل المرآة: «توجهي» .

[٥] الأبيات في المختار من تاريخ ابن الجزري ٣٠٣، وذيل المرآة، وعيون التواريخ ٢١/ ٢٧٠، ٢٧١.

[٦] انظر عن (أبي بكر بن محمد بن طرخان) في: المقتفي للبرزالي ١/ ورقة ٨٩ أ.." (١)

"[وزارة مصر]

وفيها ولي الوزارة بمصر نجم الدين ابن الأصفوني، وأصفون من قرى قوص [١] .

[قضاء القاهرة]

وولي قضاء القاهرة شهاب الدين ابن الخويي [٢] .

[زيارة القدس والخليل]

وفيها قدم رسول الملك أحمد، وهو بهاء الدين أتابك الروم، وشمس الدين ابن البتي الآمدي، وقطب الدين الشيرازي العلامة وزاروا القدس والخليل في طريقهم. وكان سيرهم في الليل [٣] .

[**حريق** الأسواق بدمشق]

وفي ليلة الإثنين حادي عشر رمضان **احترقت** اللبادين، والكتبيين، والخواتميين، والزجاجين، وبعض سوق الأساكفة، والمرجانيين، وما فوق ذلك، وما تحته من الأسواق والقياسير والفوارة، وكان **حريقا** عظيما مهولا، ذهب فيه من الأموال ما لا يحصى، ولم يحترق فيه أحد. وأصله أن دكان أولاد الجابي كانت إلى جنب دكان أبي، وعملوا مجمرة نار على العادة، ووضعت في البويب، وخرج الخارج يزعجه، ودفع الكساء الذي يكون على الباب، فرمى المجمرة، وأغلق الدكان، وذهب للإفطار، فعملت النار والناس في إفطارهم، واشتد الدخان، وخرجت من الدار قبل عشاء الآخرة، فعلقت

---

[١] ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٤٤، عيون التواريخ ٢١/ ٣٠٤، السلوك ج ١ ق ٣/ ٧٠٦، بدائع الزهور ج ١ ق ١/ ٣٥٢،

[٢] ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٤٤، المقتفي للبرزالي ١/ ورقة ١١٠ أ، نهاية الأرب ٣١/ ٨٧، عيون التواريخ ٢١/ ٣٠٤،

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٥٠/٣٣٥

٣٠٥، السلوك ج ١ ق ٣/ ٧٠٦.

[٣] ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٤٥.." (١)

"بالسقوف العتق والبواري، واشتد عملها، وعجزوا عنها. وجاء الوالي، ونزل ملك الأمراء حسام الدين لاجين، فأعجزتهم، وقضي الأمر.

واستمرت إلى نصف الليل، ولولا لطف الله لاحترق الجامع واجتهدوا في إطفائها بكل ممكن [١] .

[عمارة الأماكن المحترقة]

ثم اهتم بذلك محيي الدين ابن النحاس ناظر الجامع اهتماما لا مزيد عليه، وشرع في عمارته، فبني ذلك وتكامل في سنتين. وبعض ذلك وقف المارستان الصغير [٢] .

قال شمس الدين ابن الفخراني: فخر الدين ابن الكتبي احترق له كتب بعشرة آلاف درهم، وأن الشمس الليثي، يعني الفاشوشة، ذهب له كتب ومال في **الحريق** بما يقارب مائة ألف.

قال: وكان مغل الأملاك المحترقة، يعني الأوقاف، في السنة مائة ألف وأربعين ألف درهم.

قلت: وفرقت هذه الأسواق، فعملوا سوق تجار جيرون على باب دار الخشب، وسكن الزجاجون عند حمام الصحن، وسكن الذهبيون في أماكن إلى أن تكامل البنيان وعادوا.

---

[١] انظر عن (**الحريق**) في: دول الإسلام ٢/ ١٨٤، والعبر ٥/ ٣٣٣، وذيل مرآة الزمان ٤/ ١٤٦، ١٤٧، والبداية والنهاية ١٣/ ٣٠٠، وعيون التواريخ ٢١/ ٣٠٥، والسلوك ج ١ ق ٣/ ٧٠٩، وتاريخ ابن الفرات ٧/ ٢٤٦، وتاريخ ابن سباط ١/ ٤٨١، وتاريخ الأزمنة للدويهي ٢٦٠، والمقتفي للبرزالي ١/ ورقة ١١١ أ، ونهاية الأرب ٣١/ ٨٩، ومنتخب الزمان في تاريخ الخلفاء والعلماء والأعيان لابن الحريري ٢/ ٣٦٤، وتذكرة النبيه ١/ ٧٣، ٧٤، ودرة الأسلاك ١/ ورقة ٧٠.

[٢] ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٤٧.." (٢)

"فلما احتاطوا على تقي الدين أعادوا ابن الشيرازي إلى الحسبة مستقلا [١] .

[ركب الشام]

وفيه حج بركب الشام زين الدين غلبك [٢] .

[وعظ ابن البزوري]

وفيها قدم دمشق الواعظ نجم الدين ابن البزوري ووالده، ووعظ على باب مشهد علي مرات، وحضره الخلق. وكان رأسا في الوعظ [٣] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٧/٥١

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٨/٥١

[١] المقتفي للبرزالي ١/ ورقة ١٥٠ ب، المختار ٣٣١، البداية والنهاية ١٣/ ٣١٤.

[٢] المختار ٣٣٢، عيون التواريخ ٢٣/ ٢٣.

[٣] ومن أخبار هذه السنة ما ذكره «البرزالي» : «في عاشر جمادى الآخرة وقع حريق في مشهد علي رضي الله عنه بجامع دمشق في خزانة المصحف الكريم والستر الذي عليها، وتداركوه سريعا، وسلم الله تعالى» . (المقتفي ١/ ورقة ١٥٢ أ) .." (١)

"[نظر الجامع الأموي]

وفيها ولي نظر الجامع وجيه الدين ابن المنجا [١] .

[شنق ابن المقدسي]

وفيها قبض على ناصر الدين ابن المقدسي، واعتقل بالعذراوية، ثم شنق نفسه، والظاهر أنه شنق لأنه طلب إلى مصر، فخافوا من مرافعته وبتوه.

وكان ظالما مرافعا، فقيها في فتح أبواب الشر والحيل، سامحه الله [٢] .

[نيابة غزة]

وفيها ولي نيابة غزة أحد أمراء دمشق عز الدين الموصلي [٣] .

[حريق درب اللبان]

وفي رجب وقع حريق كبير بدرب اللبان، واتصل بدرب الوزير بدمشق، واحترقت دار صاحب حماة بحماة، وعملت النار فيها يومين. وكان هو في الصيد، وراح فيها من الأموال والمتاع ما لا يوصف [٤] .

[التدريس بأم الصالح]

وفيها درس بأم الصالح بعد ناصر الدين ابن المقدسي إمام الدين القزويني الذي ولي القضاء [٥] .

---

[١] البداية والنهاية ١٣/ ٣١٧.

[٢] عيون التواريخ ٢٣/ ٤٠ و ٤٢، ٤٣، تاريخ ابن الفرات ٨/ ٩٢، ٩٣.

[٣] تاريخ ابن الفرات ٨/ ٩٣.

[٤] البداية والنهاية ١٣/ ٣١٧.

[٥] المقتفي للبرزالي ١/ ورقة ١٦٢ أ، البداية والنهاية ١٣/ ٣١٧ وفيه: «القونوي» بدل «القزويني» .." (٢)

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٥١/٣٦

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٥١/٣٩

"كان فقيها، عالما، متفننا، ذكيا، دينا، صالحا، زاهدا.

توفي كهلا في رمضان بكرة الليلة التي احترقت فيها اللبادين وأسواقها.

عاش ستا وأربعين سنة. وأخذ عن ابن عبد السلام.

وأعاد بالشامية، وكان من أئمة الدنيا.

٣٨- علي بن صالح [١] بن، أبي علي بن يحيى بن إسماعيل.

أبو الحسن العلوي، الحسيني، المكي.

سمع من: أبي الحسن علي ابن البناء الخلال.

ثنا عنه أبو الحسن ابن العطار، واستجازه لي.

وقال شيخنا التوزري: توفي في نصف رجب سنة إحدى.

وأما ابن الخباز فقال: توفي في عاشر شوال سنة ثلاث وثمانين، والأول أثبت.

قال البرزالي: سمع «الترمذي» من ابن البناء، و «مسند الشافعي» من ابن باق.

وقال: وهو تاج الدين البهنسي، عاش نحوا من خمس وثمانين سنة.

وكان إمام المقام وخطيب المسجد الحرام، معروفا بالصلاح. حضر عند الشيخ أبي عبد الله القرشي، وعادت بركته [٢] عليه، وأجاز لنا مروياته.

٣٩- علي بن الأمير ناصر الدين عيسى [٣] ابن الأمير سيف الدين أبي الحسن علي ابن الأمير أسد الدين يوسف بن أبي الفوارس.

الأمير، عماد الدين القيمري، الكردي، ابن صاحب قلعة قيمر.

---

[١] انظر عن (علي بن صالح) في: معجم شيوخ الذهبي ٣٦٨، ٣٦٩ رقم ٥٣١، والعقد الثمين ٦/ ١٧٦، والمنهل الصافي ١/ ٤٥٧، وذيل التقييد ٢/ ١٩٤، ١٩٥ رقم ١٤٢٣، والدليل الشافي ١/ ٤٥٧.

[٢] وقع في معجم الشيوخ ٣٦٨ «وعادت تركته» .

[٣] انظر عن (علي بن عيسى) في: ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٧٤، وعيون التواريخ ٢١/ ٣١٥، والوافي بالوفيات ٢١/ ٣٧٨ رقم ٢٤٩.." (١)

"القاضي، نجم الدين الجهني، الحموي، الشافعي، المعروف بابن البارزي، قاضي حماة، وابو قاضيها شرف الدين هبة الله.

ولد بحماة سنة ثمان وستمائة.

وحدث عن: موسى بن الشيخ عبد القادر.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٨٤/٥١

وسمع منه: ابنه، والحافظ أبو العباس بن الظاهرى، وولده أبو عمرو عز الدين، والبدر أبو عبد الله النحوي، وجماعة.

وكان إماما، فاضلا، فقيها، اصوليا، أديبا، شاعرا، له خبرة بالعقليات، ونظر في الفنون.

وقد سمع من: أبي القاسم بن رواحة، وغيره.

وسماعه من موسى بدمشق. وقد حكم بحماة قديما بحكم النيابة عن والده، ثم ولي بعده، ولم يأخذ على القضاء رزقا.

وعزل عن القضاء قبل موته بأعوام، وكان مشكورا في احكامه، وافر الديانة، ومحبا للفقراء والصالحين كولده. درس وافتى وصنف، واشغل مدة.

واخرج له الأصحاب في المذهب.

وله شعر رائق، فمنه:

إذا شمت من تلقاء أرضكم برقا ... فلا أضلعي تهدا ولا أدمعي ترقا

وإن ناح فوق البان ورق حمائم ... سحيرا فنوحي في الدجى علم الورقا [١]

فرقوا لقلب في ضرام غرامه ... حريق وأجفان بأدمعها عرقا

سميري من سعد خذا [٢] نحو أرضهم ... يمينا ولا تستبعدا [٣] نحوها الطرقا

وعوجا على أفق توشح شيحه ... بطيب الشذا المكي أكرم به افقا

---

[١] في ذيل المرآة ٤/ ٢١٩ «ألوقا» .

[٢] في الأصل: «خذوا» ، والصواب ما أثبتناه، وهو في ذيل المرآة.

[٣] في الأصل: «ولا تستبعدوا» .." (١)

"[حصار قلعة دمشق

وفي سلخ الشهر كان قبجق قد سكن بدار السعادة، ويذهب إليها من خان الغرباء، فرموا عليه بالمنجنيق وبالنار من القلعة، فوقع فيها الحريق [١] ، وابتدئ يومئذ بحصار قلعة دمشق من داخل البلد وخارجه. ودخل المغل للحصار، وملئوا باب البريد إلى الظاهرية الى ناحية الخاتونية وحارة البلاطة.

وباتوا هناك. وعملت هذه الأيام المجانيق للتتار بجامع دمشق، وقطعت لها الأخشاب النفيسة من الغيظة [٢] ، وأحضرت الأعواد الكبار إلى الجامع، وبات الترك لحفظها. وكسرت دكاكين باب البريد ونهبت، وتحول في الليل جميع أهل تلك النواحي من الأسطحة، وذهبت أموالهم وأقواتهم، وتعثروا وقاسوا الشدائد، ولم يبق بذاك الخط ديار من أهله.

ونهبت دار للسكر يومئذ وأبادتها الحرافشة [٣] .

إنفاق السلطان في شراء الخيل

وأما الجيوش فدخلت القاهرة وأنفق فيهم السلطان، وشرعوا في شراء الخيل والعدد. وغلت هذه الأشياء حتى أبيع

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٥١/ ١٥٠

الجوشن الذي بعشرة بمائة درهم [٤] ونحو ذلك.

وكانت نفقة عظيمة لم يعهد مثلها، ولا سيما في الشاميين. ولعلها تجاوزت ألف ألف دينار، وأزيحت علل الجيش بكل ممكن. واحتفل سلار لذلك، واجتهد بكل ممكن هو وكبار الأمراء، وبعثوا قصادا يكشفون لهم خبر الشام وبذلوا لهم ذهبا كثيرا [٥] .

---

[١] المقتفي ٢/ ورقة ٨ ب.

[٢] كذا. والمراد: «الغيضة» .

[٣] تاريخ ابن سباط ١/ ٥٢٠، المقتفي ٨٢/ ورقة ٨ ب و ١٠ ب، السلوك ج ٣١/ ٨٩٢ ٨٩٣، عقد الجمان (٤) ٤١، ٤٢.

[٤] في المقتفي ٢/ ورقة ٨ ب: «يبلغ ثمنه إلى مائتي درهم» .

[٥] المقتفي ٢/ ورقة ٨ ب، النفحة المسكية، ورقة ٤٥، نزهة المالك والمملوك، ورقة ١٢٠،." (١)

"رفع الحصار عن القلعة

وفي الثاني والعشرين منه، بطل التتار حصار القلعة [١] ومشى الناس في تلك النواحي وقد بقيت بلاقع من **الحريق** والخراب وذهاب الأبواب والشبابيك.

وفي الثالث والعشرين بطل عمل المنجنيق [٢] ، فنزل من الغد القلعية ونشروا الأخشاب وأفسدوها، وظفروا بالشريف القمي فأسروه وأخذوه إلى القلعة [٣] .

خروج التتار من دمشق

ورحل عن البلد النوين خطلوشاه وصاحب سيس، وخف التتار من البلد جدا. وقلعت ستائرهم من أماكنها، وتنسم الناس الخير [٤] .

وصف المؤلف لباب البريد

وعبرنا في باب البريد فإذا هو أنحس من خان في منزلة، دكاكينه بوائك، وأرضه مرصوصة بالزبل سمك ذراع وأقل. ووصلنا إلى باب النضر [٥] .

ودقت البشائر يومئذ بالقلعة وجليت لسلامتها [٦] ، ولله الحمد.

وخرج يومئذ من البلد الصفي السنجاري، والأمير يحيى.

---

[١] دول الإسلام ٢/ ٢٠٤، البداية والنهاية ١٤/ ٩.

[٢] المقتفي ٢/ ورقة ١٢ أ، البداية والنهاية ١٤/ ٩.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٥٢/ ٨٥

[٣] المقتفي ٢/ ورقة ١٢ أ، والشريف القمي هو: الشمس محمد بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم المرتضى العلوي، وكان ممن يلوذ بالتتار، البداية والنهاية ١٤/ ٩.

[٤] البداية والنهاية ١٤/ ٩.

[٥] تاريخ سلاطين المماليك ٧٦، دول الإسلام ٢/ ٢٠٣، منتخب الزمان ٢/ ٣٧٦.

[٦] المقتفي ٢/ ورقة ١٢ أ.." (١)

"وسمع الكثير وأسمعه. وحدث «بالصحيحين» مرات، «وبمسند أبي يعلى» ، و «مسند أبي عوانة» ، و «مسند أبي العباس السراج» و «تفسير البغوي» بفوت، و «موطأ أبي مصعب» ، و «الزهد» للبيهقي، و «مشيخة أبي المظفر السمعاني» ، وأجزاء كثيرة لا يمكن ضبطها، و «رسالة القشيري» .

وأكثرت عنه أنا، والمزي، والبرزالي، والمقاتلي، والختني، والنابلسي.

وسمع منه خلق كثير. وانتهى إليه علو الإسناد بدمشق.

وكان شيخا مهيبا، تركي الأم، فيه خير وإيثار وعدالة، وعنده عامية خرج له ابن المهندس «مشيخة» في أربعة أجزاء وسمعها منه أهل البلد وأهل الجبل. وكانت له قاعة كيسة عند المعينية، **فاحترقت** فيما احترق حول القلعة، فانتقل إلى درب الأكفانيين، وقاسي مشقة ومصادرة. وتوفي وهو قاعد، ولم يلين مفاصله، فبقي مقرفصا على النعش، وصلينا عليه بالجامع وشيعه عدد كثير ، وخرجنا به من نقب في السور بقرب باب النصر، وهي أول جنازة أخرجت على العادة. وقبل ذلك كان الناس يخرجون أمواتهم كيف جاء بحسب الحال. ودفناه بتربة بني عساكر التي في أول مقابر الصوفية يوم الخامس والعشرين من جمادى الأولى.

٥٩١- إبراهيم بن أحمد بن أبي عمرو [١] .

البرهان، المصري، الإسكندراني، تلميذ العفيف التلمساني، وكان يبالغ في تعظيمه. وكان يشهد بسوق القمح، ويبخل عن نفسه، ويقتر عليها، فمات على حصير وهو في حال ضنك. وقد سمع الكثير من أصحاب الخشوعي مع ابن جعوان، وغيره.

وخلف جملة من المال.

توفي بالرواحية في المحرم.

---

[١] انظر عن (ابن أبي عمرو) في: المقتفي ٢/ ورقة ٢ أ، ب.." (٢)

"وفيها ولي إمرة الإسكندرية عياض بن غنم التجيبي.

وبعث فيها عبد الملك بن مروان بالشعبي إلى مصر، إلى أخيه عبد العزيز بن مروان، فأقام عنده سنة.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٨٩/٥٢

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٩٠/٥٢

وفيها فتحت المصيصة، على يد عبد الله بن عبد الملك [١] .

وفيها افتتح موسى بن نصير بلد أولية [٢] من المغرب، فقتل وسبى، حتى قيل إن السبي بلغ خمسين ألفا.

وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية فهزمهم وحرق كنائسهم وضياعهم، وتسمى سنة **الحريق**.

---

[١] تاريخ الطبري ٦/ ٣٨٥، الكامل في التاريخ ٤/ ٥٠٠، فتوح البلدان ١٩٦، الخراج وصناعة الكتابة ٣٠٧، تاريخ خليفة ٢٩١.

[٢] في طبعة القدسي ٣/ ٢٣٤ «أوربة» والتصحيح من تاريخ خليفة ٢٩٢.." (١)

"الملك: رأيت الشعبي جالسا على جلد أسد [١] . وروى قيس بن الربيع، عن مجالد قال: رأيت على الشعبي قباء سنور [٢] .

جرير بن عبد الحميد، عن عطاء بن السائب، عن الشعبي قال: ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها [٣] .

قتيبة: ثنا عبد الواحد بن زياد، عن الحسن بن عبد الرحمن، قال:

رأيت الشعبي يسلم على موسى النصراني فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فكلم في ذلك، فقال: أوليس في رحمة الله، لو لم يكن في رحمته هلك [٤] .

المدائني، عن أبي بكر الهذلي قال: قال الشعبي: أرأيتم ل◌و قتل الأحنف بن قيس، وقتل طفل، أكانت ديتهما سواء، أم يفضل الأحنف لعقله وحلمه؟ قلت: بل سواء، قال: فليس القياس بشيء [٥] . أبو يوسف القاضي:

ثنا مجالد، عن الشعبي قال: نعم الشيء الغوغاء يسدون السبل، ويطفئون **الحريق**، ويشغبون على ولاة السوء [٦] . ابن شبرمة قال: ولى ابن هبيرة الشعبي القضاء، وكلفه أن يسامره فقال: لا أستطيع، فأفردني بأحدهما [٧] .

إسحاق الأزرق، عن الأعمش: سأل رجل الشعبي فقال: ما اسم امرأة إبليس؟ قال: ذاك عرس ما شهدته [٨] . سلمة بن كهيل وغيره، عن الشعبي قال: شهدت عليا رضي الله عنه◌ جلد شراحة يوم الخميس، ورجمها من الغد، وقال: جلدتها بكتاب الله، ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[١] الطبقات ٦/ ٢٥٣.

[٢] في طبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٤ «سمور» .

[٣] حلية الأولياء ٤/ ٣١٣.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢١/٦

[٤] هذا يخالف حديث مسلم في صحيحه (٢١٦٧) عن أبي هريرة مرفوعا: «لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام»

.

[٥] حلية الأولياء ٤/ ٣٢٠.

[٦] حلية الأولياء ٤/ ٣٢٤.

[٧] المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٩٣، أخبار القضاة ٢/ ٤١٤.

[٨] تاريخ دمشق (عاصم- عائذ) ٢٣٢.." (١)

"ولهن بالبيت العتيق لبانة ... والبيت يعرفهن لو يتكلم

لو كان حيا قبلهن ظعائنا ... حيا الحطيم وجوههن وزمزم [١]

لكنه مما يطيف بركنه ... منهن صماء الصدا مستعجم

وكأنهن وقد صدرن عشية ... بيض بأكناف الخيام منظم [٢]

وفي كتاب النسب للزبير بن بكار لعمر بن أبي ربيعة:

نظرت إليها بالمحصب من منى ... ولي نظر لولا التحرج عارم

فقلت: أشمس أم مصابيح بيعة ... بدت لك تحت [٣] السجف أم أنت حالم

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل ... أبوها وإما عبد شمس وهاشم

فلم أستطعها غير أن قد بدا لنا ... عشية راحت وجهها والمعاصم [٤]

قال الزبير: وثنا سلم بن عبد الله بن مسلم بن جندب، عن أبيه قال:

أنشد ابن أبي عتيق سعيد بن المسيب، قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

أيها الراكب المجد ابتكارا ... قد قضى من تهامة الأوطارا

إن يكن قلبك الغداة جليدا ... ففؤادي بالحب أمسى معارا [٥]

ليت ذا الدهر كان حتما علينا ... كل يومين حجة واعتمارا

فقال سعيد: لقد كلف المسلمين شططا. وروى الأصمعي، عن صالح بن أسلم قال: قال لي عمر بن أبي ربيعة: إني قد أنشدت من الشعر ما بلغك، ورب هذه البنية ما حللت إزاري على فرج حرام قط. وروي أن عمر بن أبي ربيعة غزا البحر، فاحترقت سفينته واحترق، رحمه الله.

---

[١] الأبيات الأربعة في الأغاني بتقديم وتأخير (١/ ٢٧٧) وانظر ١/ ٢٨١- ٢٨٢، والبيتان ٣ و ٤ في سير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٠.

[٢] البيت في الأغاني ١/ ٢٨١.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٣١/٧

وكأنهن وقد حسرن لواغبا ... بيض بأكناف الحطيم مركم

[٣] في الأغاني ١/ ١٢٧ «خلف» .

[٤] الأبيات مع غيرها في الأغاني ١/ ١٢٧.

[٥] البيت في الأغاني ١/ ١٦٧.

من يكن قلبه صحيحا سليما ... ففؤادي بالخيف أمسى معارا." (١)

"رجل خاصة نفسه، ولو خيرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي. وكذا قال ابن المبارك وغيره.

قال الخريبي: كان الأوزاعي أفضل أهل زمانه.

وقال الوليد: ما رأيت أكثر اجتهادا في العبادة منه.

وقال بشر بن المنذر: رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع.

وقال أبو مسهر: كان الأوزاعي يحيي الليل صلاة وقرآنا وبكاء.

وقال ابن مهدي: إنما الناس في زمانهم أربعة: حماد بن زيد بالبصرة، والثوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام [١] .

وقال أحمد: الأوزاعي إمام.

وقال إسحاق: إذا اجتمع الثوري والأوزاعي ومالك على أمر فهو سنة.

وروى عمر بن عبد الواحد عن الأوزاعي قال: دفع إلي الزهري صحيفة فقال: اروها عني ودفع إلي يحيى بن أبي كثير صحيفة فقال: اروها عني.

قال الوليد: قال الأوزاعي: نعمل بها ولا نحدث بها.

وقال هشام بن عمار: سمعت الوليد يقول: احترقت كتب الأوزاعي زمن الرجفة ثلاثة عشر فنداقا فأتاه رجل بنسخها فقال: يا أبا عمرو هذه نسخة كتابك وإصلاحك بيدك، فما عرض لشيء منها حتى فارق الدنيا، وسمعته يقول: لا نأمن بإصلاح اللحن.

وقال الوليد بن مزيد: سمعت الأوزاعي يقول: إذا أراد الله بقوم شرا فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل.

---

[١] قال يحيى بن معين: العلماء أربعة: الثوري وأبو حنيفة ومالك، والأوزاعي، على ما في البداية والنهاية لابن كثير وغيره. وهذا القول غير موجود في التاريخ لابن معين.." (٢)

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٨٥/٧

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٨٧/٩

"(إن بكى يحق له ... ليس ما به لعب)

(تضحكين لاهية ... والمحب ينتحب)

(تعجبين من سقمي ... صحتي هي العجب)

والله أعلم.

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة: فيها أمر المأمون أن يخطب له بأمره المؤمنين لما تحقق قتل ابن ماهان، وعقد للفضل بن سهل على المشرق من جبل همدان إلى البيت طولا ومن بحر فارس إلى بحر الديلم عرضا ولقبه ذا الرياستين رياسة السيف والقلم، وولى الحسن بن سهل ديوان الخراج، ثم استولى طاهر على الأهواز ثم واسط ثم المدائن ونزل صرصر.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة: فيها حاصر طاهر وهرثمة بعسكر المأمون صحبتهما بغداد وحصروا الأمين، ووقع فيها النهب **والحريق** ومنعوا الميرة، واشتد الحال إلى خروجهما.

وفيها: توفي إبراهيم بن الأغلب عامل إفريقيا، فقام بعده ابنه أبو العباس عبد الله.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة: فيها هجم طاهر بغداد بعد قتال وأخذ الأمين أمه وأولاده وتحصن بالمنصورة، وتفرق عنه جنده فحصر، ثم خرج ليلا وعليه ثياب بيض وطيلسان أسود وركب مع هرثمة في حراقة فأحتضنه هرثمة وكبل يديه ورجليه، ثم شدوا عليه فغرقوها به، فشق الأمين ثيابه فاستخرجه رجل من الماء وعليه سراويل وعمامة لا غير، وأرسل إليه طاهر من العجم من قتله ونصبوا رأسه على برج ببغداد، ثم أرسل به إلى المأمون وأرسل البردة والقضيب، وصلى طاهر بالناس الجمعة وخطب للمأمون، وكان قتله لست بقين من المحرم وخلافته أربع سنين وثمانية أشهر وكسر، وعمره ثمان وعشرون سنة، كان سبطا أنزع صغير العينين أقنى جميلا طويلا منهمكا في اللذات محتجبا عن إخوته وأهل بيته، قسم الأموال والجواهر في خواصه، وعمل خمس حراقات على صورة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس بمال عظيم، وذكر ذلك أبو نواس فقال:

(سخر الله للأمين مطايا ... لم تسخر لصاحب المحراب)

(فإذا ما ركابه سرن برا ... سار في الماء راكبا ليث غاب)

(عجب الناس إذ رأوك عليه ... كيف لو أبصروك فوق العقاب)

(ذات ظفر ومنسر وجناحين ... تشق العباب بعد العباب)

(أخبار المأمون بن الرشيد)

ولما قتل الأمين تمكن المأمون في المشرق والمغرب وهو سابعهم، فولى الحسن بن سهل أخا الفضل بن سهل الجبال والعراق وفارس والأهواز والحجاز واليمن.

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة: فيها ظهر ابن طباطبا العلوي إبراهيم بن." (١)

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ٢٠٢/١

"عليا على فاس، وابنه أبا سعيد على سبته والجزيرة الخضراء ومالقه وكذلك غيرهم.

وفيها: سار الملك محمد بن محمود السلجوقي من همدان بعساكر وحصر بغداد، وحصن المقتفي دار الخلافة واعتد للحصار واشتد الأمر على أهل بغداد، فبلغ محمدا أن أخاه ملك شاه وايل دكر صاحب بلاد أران ومعه الملك أرسلان بن طغرل بك بن محمد وايل دكر، كان متزوجا بأم أرسلان، قد دخلوا همدان، فرحل الملك محمد عن بغداد نحوهم في ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة.

وفيها: احترقت بغداد حتى دار الخلافة وغيرها.

وفيها: توفي أبو الحسن بن الخل شيخ الشافعية في بغداد من أصحاب الشاشي عالم عامل، وتوفي ابن الآمدي الشاعر من النيل في طبقة الغزي والأرجاني، وعمره فوق التسعين.

وفيها: قتل في الحمام مظفر بن حماد صاحب البطيحة، وتولاها ابنه.

وفيها: توفي الوأواء الحلبي الشاعر المشهور.

وفيها: توفي أبو جعفر بن محمد البخاري بإسفراين عالم بالفلسفة.

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة:

أخبار بني منقذ والزلازل

فيها: في رجب زلزل الشام فخرجت حماة وشيزر وحمص وحصن الأكراد، وطرابلس وأنطاكية وغيرها من مجاوراتها، ووقعت الأسوار والقلاع، فقام نور الدين أتم قيام وتدارك بالعمارة، وأغار على الفرنج ليشغلهم عن الإسلام، وهلك ما لا يحصى حتى أن معلم كتاب بحماه فارق المكتب وجاءت الزلزلة فسقط المكتب على الصبيان فلم يحضر أحد يسأله عن صبي، وكان بعض أمراء نور الدين بالقرب من شيزر فصعد إليها خربة وتسلمها نور الدين وعمر أسوارها، وكان بنو منقذ الكنانيين يتوارثونها من أيام صالح بن مرداس؛ قاله ابن الأثير، وقال ابن خلكان وابن أبي الدم: استولى بنو منقذ على شيزر سنة أربع وسبعين وأربعمائة أخذها من الروم علي بن مقلد بن نصر بن منقذ، وكتب إلى بغداد كتابي من حضرة شيزر رحمهما الله تعالى وقد رزقني الله عز وجل من الاستيلاء على هذا العقل العظيم ما لم يتأت لمخلوق في هذا الزمان، وإذا عرف الأمر على حقيقته علم أني هاروت هذه الأمة وسليمان الجن والمردة، وأنني أفرق بين المرء وزوجته واستزل القمر من محله أنا أبو النجم وشعري شعري نظرت إلى هذا الحصن فرأيت أمرا يذهل الألباب يسع ثلاثة آلاف رجل بالأهل والمال، ويمسكه خمس نسوة فعمدت إلى تل بينه وبين حصن الروم يعرف بالجراص، ويسمى هذا التل تل الجسر فعمرته حصنا وجمعت فيه أهلي وعشيرتي ونفرت ونفرة على حصن الجراص فأخذته بالسيف من الروم ومع ذلك فلما أخذت من به من الروم أحسنت إليهم وأكرمتهم ومزجتهم بأهلي وخلطت خنازيرهم بغنمي ونواقيسهم بصوت." (١)

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ٢/٥٦

"القامة عريض الصدر واللحية طويلها أسمر مقرون الحاجبين حفيا ذا صوت جهوري، كان يجلس لوعظه رجلان وثلاثة، ثم تسامعوا وازدحموا فجلس في المصلى بباب الحلبة ثم ضاق بهم الوسع فحمل الكرسي إلى خارج البلد وجعل في المصلى وجاء الناس على الخيل والبغال والحمير والجمال يقفون بمدار المجلس كالسور، وكان يحضر مجلسه نحو من سبعين ألفا، وأن الأولياء والملائكة ليزدحمون في مجلسه، ومن لا يرى فيه أكثر ممن يرى.

وعن الشيخ أبي زكريا يحيى بن أبي نصر بن عمر البغدادي المشاه الصحراوي قال: سمعت أبي يقول: استدعيت الجان مرة بالعزائم وأبطأت علي إجابتهم أكثر من عادتي ثم أتوني وقالوا لي: لا تعد تستدعينا إذا كان الشيخ عبد القادر يتكلم على الناس، فقلت: ولم؟ قالوا بالحضرة، قلت وأنتم أيضا؟ قالوا: إن ازدحامنا بمجلسه أشد من ازدحام الإنس، وإن منا طوائف كثيرة أسلمت وتابت على يديه.

وعن أبي البقاء عبد الله بن الحسين الحنبلي العكبري قال: سمعت يحيى بن نجاح الأديب يقول: قلت في نفسي أريد أحصي كم يقص الشيخ عبد القادر شعرا من الثواب في مجلس وعظه، فحضرت المجلس ومعي خيط فكلما قص شعرا عقدت عقدة تحت ثيابي في الخيط وأنا في آخر الناس وإذا به يقول: أنا أحل وأنت تعقد.

وعن الخضر الحسيني الموصلي أن الشيخ كان يتكلم في أول مجلسه بأنواع العلوم وكان إذا صعد الكرسي لا يبصق أحد ولا يتمخط ولا يتنحنح ولا يتكلم ولا يقوم هيبة له إلى وسط المجلس فيقول الشيخ مضى القال وعطفا بالحال فيضطرب الناس اضطرابا شديدا ويتداخلهم الحال والوجد، وكان يعد من كراماته أن أقصى الناس في مجلسه يسمع صوته كما يسمعه أدناهم منه على كثرتهم، وكان يتكلم على خواطر أهل المجلس ويواجههم بالكشف.

وكان الناس يضعون أيديهم في مجلسه فتقع على رجال بينهم يدركونهم باللمس ولا يرونهم ويسمعون وقت كلامه في الفضاء حسا وصياحا، وربما سمعوا وجبة ساقطة من الجو إلى أرض المجلس وذلك رجال الغيب وغيرهم.

وعن الحافظ أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي الرازي قال: حضرت مجلس الشيخ عبد القادر الجيلي ببغداد سنة سبع وخمسين وخمسمائة فسمعته يقول: إنما كلامي على رجال يحضرون مجلسي من وراء جبل قاف أقدامهم في الهواء وقلوبهم في حضرة القدس، تكاد قلانسهم وطواقيهم تحترق من شدة شوقهم إلى ربهم عز وجل، وكان ابنه عبد الرزاق إذ ذاك جالسا على المنبر تحت رجل أبيه فرفع رأسه إلى الهواء فشخص ساعة ثم غشي عليه **واحترقت** طاقيته وزيقه فنزل الشيخ وأطفأها، وقال: وأنت أيضا يا عبد الرزاق منهم، وقال: فسألت عبد الرزاق ما أغشاه؟ فقال: لما نظرت إلى الهواء رأيت." (١)

"وفيها: أو التي قبلها ظهرت نار بالحرة عند مدينة النبي – صلى الله عليه وسلم –، وكانت تضيء بالليل من مسافة بعيدة جدا. ولعلها النار التي ذكرها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من علامات الساعة؟ فقال نار تظهر بالحجاز تضيء لها أعناق الأبل ببصرى.

قلت: ولم يكن لها حر على عظمها وشدة ضوئها، ودامت أياما وتواتر شأن هذه النار، ونظمت الشعراء عند ظهور هذه

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ٦٩/٢

النار مدائح في النبي – صلى الله عليه وسلم –، فمما نظم المشد سيف الدين عمر بن قزل يخاطب به النبي – صلى الله عليه وسلم –.

(ولما نفى عني الكرا خبر التي ... أضاءت بأحد ثم رضوى ويذبل)

(ولاح سناها من جبال قريظة ... لسكان تيما فاللوى فالعقيقل)

(وأخبرت عنها في زمانك منذرا ... بيوم عبوس قمطرير مطول)

(ستظهر نار بالحجاز مضيئة ... لأعناق عيس نحو بصرى لمجتلى)

(فكانت كما قد قلت حقا بلا مرا ... صدقت وكم كذبت كل معطل)

(لها شرر كالبرق لكن شهيقها ... فكالرعد عند السامع المتأمل)

(وأصبح وجه الشمس كالليل كاسفا ... وبدر الدجى في ظلمة ليس ينجلي)

(وأبدت من الآيات كل عجيبة ... وزلزلت الأرضون أي تزلزل)

(جزعت فقام الناس حولي وأقبلوا ... يقولون لا تهلك أسي وتحمل)

(طفى النار نور من ضريحك ساطع ... فعادت سلاما لا تضر بمصطلي)

وهي طويلة، والله أعلم.

ثم اتفق الخدم بحرم النبي – صلى الله عليه وسلم – وقع منهم في بعض الليالي تفريط، فاشتعلت النار في المسجد الشريف، **واحترقت** سقوفه وتألم الناس لذلك.

قلت: وكان أصل هذا **الحريق** من مسرجة قيم، وقلت في ذلك:

(والنار أيضا من جنود نبينا ... لم تأت إلا بالذي يختار)

(متغلبون يزخرفون بسحتهم ... حرم النبي فطهرته النار)

ذكر استيلاء التتر على بغداد

ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة: فيها قصد هولاكو ملك التتر بغداد، وملكها في العشرين من المحرم، وقتل الخليفة المستعصم بالله وسببه أن وزير الخليفة مؤيد الدين بن العلقمي، كان رافضيا وأهل الكرخ روافض فافتتن السنية والشيعة ببغداد كعادتهم فأمر أبو بكر ابن الخليفة ركن الدين الدواتدار العسكر فنهبوا الكرخ وركبوا من النساء الفواحش فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمي، وكاتب التتر وأطعمهم في بغداد وطمع الخبيث الغوي في إقامة خليفة علوي.

قلت: وكتب ابن العلقمي إلى وزير إربل يطلعه على ذلك برسالة منها: إنه قد نهب." (١)

"وفيها: في شعبان توفي الشيخ الأديب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن سباع الصائغ، كان فاضلا يقرى الأدب في دكانة، شرح الدريدية جيدا وشرح ملحمة الإعراب وقصيدة ابن الحاجب في العروض، وله قصيدة تائية ألفا

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ١٨٩/٢

بيت ذكر فيها العلوم والصنائع.

وما أحسن قوله:

(يا ذا الذي لولاه ما حركت ... يد الهوى من باطني ساكنا)

(رفقا بقلب لم يزل خافقا ... وأنت ما زلت به ساكنا)

وفيها: أمسك علم الدين الجاولي بغزة وحمل إلى الإسكندرية وكان قد تهيأ للحج وهيأ طعاما كثيرا وغيره.

وفيه: أريقت الخمور في خندق قلعة المدينة السلطانية وأحرقت الظروف وذلك أنه وقع ثم برد كبار وزن البردة ثمانية عشرة درهما مواشي وأعقبه سيل مخوف فسأل أبو سعيد الفقهاء عن سببه فقالوا من الظلم والفواحش فأبطل الحانات في مملكته وأبطل مسك الغلة.

وفيها: في ذي الحجة توفي قاضي القضاة كمال الدين عمر بن العديم ودفن بالمقام، ونقل ابنه قاضي القضاة ناصر الدين محمد من قضاء حماه إلى حلب عوضا عنه.

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وسبعمائة: فيها أهدى أبو سعيد إلى السلطان صناديق ودقيقا وجمالا وتحفا.

وفيها: أخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية من القلعة بعد العصر بمرسوم السلطان ومدة إقامته في القلعة خمسة أشهر وثمانية عشر يوما.

وفيها: في شهر ربيع الآخر حفر السلطان حفيرا قرب بحر النيل، وكان جواره كنيسة فأراد هدمها فلما شرعوا في هدمها قام الصوت في القاهرة ومصر بهدم الكنائس فلم يبق بمصر والقاهرة كنيسة حتى حاصروها، منها ما هدم، ومنها ما نهب ومنها ما لم يصلوا إليه فغضب السلطان، واستفتى القضاة فأفتوه بتعزيزهم فأخذ جماعة من الحبس فشنق وقطع أيديا وخزم حتى سكنوا، واختفى النصارى أياما، وجرى ذلك في الفيوم وأحرقوا الأموات المدفونين في كنائسها.

وفيه: أمسك سيف الدين جوبان أحد أمراء دمشق وحمل إلى القاهرة لسوء مراجعته للنائب وعوتب بالقاهرة وأعطي خبرا يليق به.

وفيه: وقع بالقاهرة حريق عظيم أتلف أملاكا وأتعب الناس حتى أطفئ ثم في الغد وقع حريق أعظم منه في وضع آخر وقرب من دار كريم الدين فنزل الأمراء والنائب من القلعة خوفا على دار كريم الدين لكونها خزانة المسلمين وأحرقوا بها حتى أطفئت وتوالى الحريق بالقاهرة وتحير السلطان والرعية له، وتتبع ذلك فقيل: أنه وجد بعض النصارى ومعه آلة الحريق كالنفط وغيره، فأخذوا وعرضوا على السلطان فذكر بعضهم أن القسيسين." (١)

"اتفقوا على هذا بسبب ما حصل من التعرض إلى كنائسهم وأنهم رتبوا أربعين نفسا من النصارى يلقون النار في بيوت المسلمين ومساجدهم فحرق بعضهم.

ثم أن جمعا قصدوا كريم الدين وهجموا عليه بالحجارة فهرب منهم فأمسك السلطان جماعة من المسلمين وقطع أيدي أربعة وقيد جماعة، ثم نودي على النصارى أن يخرجوا بالثياب الزرق والعمائم الزرق وأن يجعل الجرس في أعناقهم في

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ٢٦٢/٢

الحمام ويركبوا عرضا ولا يستخدموا في ديوان، فعند ذلك خف الإحراق بعد أن كان أمرا عظيما، وكم سقط به دار وكم خرج منه حريم مكشفات حتى قنت الناس له في الصلوات، وأعدوا الدنان مملؤءة ماء في الأسواق فالله يهلك أعداء الإسلام.

وأخبر ابن الأيدمري أن له ربعا وقعت فيه النار تسعا وعشرين مرة، ونسب ذلك إلى النصارى فأمسك منهم جماعة فأقروا بذلك فأحرق منهم خمسة وضرب عنق سادس وأسلم منهم جماعة، وسار كل نصراني يظهر بالقاهرة يضرب وربما قتل **والحريق** لم ينقطع بالكلية.

وفي ثاني جمادى الآخرة أمسك نصرانيان من الغرماء وصلبا وسمرا وطيف بهما على جملين بالقاهرة ومصر.

قلت:

(عدمتكم نصارى مصر كفوا ... فكم آذيتمونا من طريق)

(**حريق** النار قد عجلتموه ... فأجلنا لكم نار **الحريق**)

وفيها: في آخر جمادى الآخرة ورد كتاب من بغداد مؤرخ بالحادي والعشرين من جمادى الآخرة، وفيه إنه جرى ببغداد شيء ما جرى من زمان الخليفة إلى الآن وذلك أنهم خربوا البازار من أوله إلى آخره وما يعلم ما غرموا عليه إلا الله تعالى ما تركوا بالبلد خاطئة إلا توبوها وزوجوها وارقوا الشراب ومنعوا الناس من العصير ونودي أن من تخلف عنده شيء من الشراب حل ماله ودمه للسلطان فطلع بعد ذلك عند شخص جرة فقتلوه، وعند آخر جرتان فقطعوا رأسه وعلموا اليهود والنصارى بالعلائم وأسلم جماعة، وفي كل يوم جمعة يسلم جمع ولله الحمد.

وفيها: في تاسع عشرين رجب خربت الكنيسة المعروفة بالقرايين من اليهود بدمشق، واجتهد المسلمون في هدمها واليهود في إبقائها، وأثبت اليهود عند بعض القضاة أنها قديمة، وأثبت المسلمون أنها محدثة وتألم المسلمون فأعان الله وأذن بهدمها، وكان مبدؤها بيتا صغيرا فوسعت وكانت في داخل درب الفواخير غالب أهل اليهود.

وفيها: في رمضان أقيمت الجمعة بالجامع الكريمي بالقابون، وحضرها القضاة الأربعة.

وفيها: أغار نائب الروم تمرتاش بن جوبان على بلاد سيس فخرب وحرق ونهب." (١)

"وفيها: في جمادى الأولى كان **حريق** عظيم بدمشق في سوق الفرانين والقيسارية الجديدة والمسجد وذهب للناس أموال عظيمة.

وفيها: في خامس جمادى الآخرة توفي قاضي القضاة شمس الدين بن الحريري الحنفي بالسكتة، ولي قضاء دمشق سنين ثم صرف ثم طلب إلى مصر فولي القضاء بها، وكانت له همة عالية وناموس وهيبة وسطوة على الأمراء والمتجوهين وأوراد رحمه الله تعالى، وولي مكانه الشيخ برهان الدين إبراهيم بن علي بن قاضي حصن الأكراد وأكرمه السلطان وسر به.

وفيه: توفي بالقدس شيخنا العلامة شهاب الدين أحمد بن جبارة المرداوي الحنبلي الزاهد الفقيه الأصولي المقري النحوي

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ٢/٢٦٣

أقام رحمه الله بمصر دهرا وجاور بمكة، ثم قدم دمشق واشتغل الناس عليه بها مدة، ثم أقام بحلب واشتغلنا عليه ثم بالقدس. وكان صالحا صادقا زاهدا قانعا، وله مصنفات منها شرح الشاطبية أربع مجلدات.

وفيها: في شعبان قبض على تمرتاش بن جوبان ثم مات في شوال.

وفيها: في ليلة الإثنين والعشرين من ذي القعدة توفي شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن المفتي شهاب الدين عبد الحليم بن شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني الحنبلي معتقلا بقلعة دمشق وغسل وكفن وأخرج وصلى عليه أولا بالقلعة الشيخ محمد بن تمام، ثم بجامع دمشق بعد الظهر وأخرج من باب الفرج واشتد الزحام في سوق الخيل، وتقدم عليه في الصلاة هناك أخوه، وألقى الناس عليهم مناديلهم وعمائمهم للتبرك، وتراص الناس تحت نعشه، وحزرت النساء بخمسة عشر ألفا، وأما الرجال فقيل: كانوا مائتي ألف وكثر البكاء عليه وختمت له عدة ختم وتردد الناس إلى زيارة قبره أياما، ورؤيت له منامات صالحة ورثاء جماعة.

قلت: ورثيته أنا بمرثية على حرف الطاء فشاعت واشتهرت وطلبها مني الفضلاء والعلماء من البلاد وهي:

(عثا في عرضه قوم سلاط ... لهم من نثر جوهره التقاط)

(تقي الدين أحمد خير حبر ... خروف المعضلات به تخاط)

(توفي وهو محبوس فريد ... وليس له إلى الدنيا انبساط)

(ولو حضروه حين قضى لألفوا ... ملائكة النعيم به أحاطوا)

(قضى نحبا وليس له قرين ... ولا لنظيره لف القماط)

(فتى في علمه أضحى فريدا ... وحل المشكلات به يناط)

(وكان إلى النقى يدعو البرايا ... وينهي فرقة فسقوا ولاطوا)

(وكان الجن تفرق من سطاء ... بوعظ للقلوب هو السياط)

(فيا لله ما قد ضم لحد ... ويا لله ما غطى البلاط)." (١)

"وفيها: في رجب ماتت زوجة تنكز وعمل لها تربة حسنة قرب باب الخوصين ورباطا.

وفيها: في رمضان مات قاضي طرابلس شمس الدين محمد بن مجد الدين عيسى الشافعي البعلي، وكان صاحب فنون.

قلت:

(لقد عاش دهرا يخدم العلم جهده ... وكان قليل المثل في العلم والود)

(فلما تولى الحكم ما عاش طائلا ... فما هنئ ابن المجد والله بالمجد)

وفيه: أنشأ الأمير سيف الدين قوصون الناصري جامعا عند جامع طولون عند دار قتال السبع، فخطب به أول يوم قاضي القضاة جلال الدين بحضور السلطان، وقرر لخطابته القاضي فخر الدين محمد بن شاكر.

وفيها: في شوال مات رئيس الكحالين نور الدين علي بمصر.

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ٢/٢٧٥

وفيه: احترقت الكنيسة المعلقة بمصر وبقيت كوما.

وفيه: قدم رسول صاحب اليمن بهدية فقيد وسجن لأن صاحب الهند بعث إلى السلطان بهدايا فأخذها صاحب اليمن وقتل بعض من كان معها وحبس بعضهم.

وفيها: في ذي القعدة مات الأمير علاء الدين قلبرس بن الأمير علاء الدين طبرس بدمشق بالسهم وكان مقدم ألف، وله معروف وخلف أموالا، ومات الأمير سيف الدين كوليجار بالمحمدي.

وفيها: بدمشق في ذي الحجة مات المعمر المسند زين الدين أيوب بن نعمة، وكانت لحيته شعرات يسيرة، وكان كحالا ومات بها أيضا الصالح الزاهد الشيخ حسن المؤذن بالمأذنة بالشرقية بالجامع، وكان مجاورا به ومات بدر الدين محمد بن الموفق إبراهيم بن دواد بن العطار أخو الشيخ علاء الدين ببستانه وصلاح الدين يوسف بن شيخ السلامية صهر الصاحب وشيعه الخلق وفجع به أبوٍاه، وكان شابا متميزا من أبناء الدنيا المتنعمين.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة فيها: وردت كتب الحجاج بما جرى بمكة شرفها الله تعالى حول البيت من ثورة عبيد مكة ساعة الجمعة بالوفد من النهب والجراحة، وقتل جماعة من الحجاج، وقتل أمير مصري وهو أيدمر أمير جندار وابنه، ولما بلغ السلطان ذلك غضب وجرد جيشا من مصر والشام للانتقام من فاعلي ذلك.

وفيها: في المحرم أيضا مات الأمير الكبير شهاب الدين طغان بن مقدم الجيوش سنقر الأشقر ودفن بالقرافة جاوز الستين، وكان حسن الشكل، ومات الصالح كمال الدين محمد بن الشيخ تاج الدين القسطلاني بمصر سمع ابن الدهان وابن علاق والنجيب وحدث، وكان صوفيا.." (١)

"ومات فجأة التاجر علاء الدين علي السنجاري بالقاهرة، وهو الذي أنشأ دار القرآن بباب الناطفانيين.

قلت:

(ما مات من هذي صفاته ... فوفاة ذا عندي حياته)

(إن مات هذا صورة ... أحيته معنى سالفاته)

ومات بمصر الواعظ شمس الدين حسين وهو آخر أصحاب الحافظ المنذري سمع من جماعة، وكان عالما حسن الشكل.

ومات الفاضل الأديب زكي الدين المأمون الحميري المصري المالكي بمصر ولي نظر الكرك والشوبك وعمر نحو تسعين سنة. وفيها: في رجب مات الفقيه محمد بن محيي الدين محمد بن القاضي شمس الدين بن الزكي العثماني شابا درس مدة بدمشق.

ومات الحافظ قطب الدين الكلبي بالحسينية حفظ الألفية والشاطبية وسمع من القاضي شمس الدين بن العماد وغيره، وحج مٍرات وصنف وكان كيسا حسن الأخلاق مطرحا للتكلف طاهر اللسان مضبوط الأوقات شرح معظم البخاري وعمل تاريخا لمصر لم يتمه، ودرس الحديث بجامع الحاكم، وخلف تسعة أولاد، ودفن عند خاله الشيخ نصر المنبجي

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ٢/ ٢٨٤

وفيه: أخرج السلطان من حبس الإسكندرية ثلاثة عشر نفرا منهم تمر الساقي الذي ناب طرابلس وبيبرس الحاجب وخلع على الجميع.

وفيه: طلب قاضي الإسكندرية فخر الدين بن سكين وعزل بسبب إفرنجي.

وفيها: في شعبان مات المفتي بدر الدين محمد بن الفويرة الحنفي سمع وحدث.

ومات: القاضي زين الدين عبد الكافي بن علي بن تمام روى عن الأنماطي وأخذ عنه ابن رافع وغيره.

ومات عز الدين يوسف الحنفي بمصر حدث عن إبراهيم وناب في الحكم.

وفيها: في رمضان مات صاحبنا شمس الدين محمد بن يوسف التدمري خطيب حمص، كان يفتي ويدرس، وتولى قضاء الإسكندرية العماد محمد بن إسحاق الصوفي.

وفيها: في شوال قدم عسكر حلب والنائب من غزاة بلد سيس، وقد خربوا في بلد أدنة وطرسوس وأحرقوا الزروع واستقاوا المواشي وأتوا بمائتين وأربعين أسيرا، وما عدم من المسلمين سوى شخص واحد غرق في النهر وكان العسكر عشرة آلاف سوى من تبعهم فلما علم أهل أياس بذلك أحاطوا بمن عندهم من المسلمين التجار وغيرهم وحبسوهم في خان ثم أحرقوه فقل من نجى فعلوا ذلك بنحو ألفي رجل من التجار البغاددة وغيرهم في يوم عيد الفطر فلله الأمر، واحترق في حماه مائتان وخمسون حانوتا، وذهبت الأموال واهتم الملك بعمارة ذلك، وكان **الحريق** عند الفجر إلى طلوع الشمس.." (١)

"وذكر أن شخصا رأى ملائكة يسوقون النار فجعل ينادي أمسكوا يا عباد الله لا ترسلوا فقالوا: بهذا أمرنا، ثم أن الرجل توفي لساعته، وناب بدمشق في القضاء شهاب الدين أحمد بن شرف الزرعي الشافعي قاضي حصن الأكراد، وورد الخبر **بحريق** أنطاكية قبل رجوع العسكر فلم يبق بها إلا قليل ولم يعلم سبب ذلك.

وفيها: في ذي القعدة توفيت زينب بنت الخطيب يحيى بن الإمام عز الدين بن عبد السلام السلمي سمعت من جماعة، وكان فيها عبادة وخير وحدثت.

ومات الطبيب جمال الدين عبد الله بن عبد السيد ودفن في قبر أعده لنفسه، وكان من أطباء المارستان النوري بدمشق، وأسلم مع والده الذبان سنة إحدى وسبعمائة.

ومات حسام الدين مهنا بن عيسى أمير العرب وحزن عليه آله و أقاموا مأتما بليغا ولبسوا السواد أناف على الثمانين، وله معروف من ذلك مارستان جيد بسرمين ولقد أحسن برجوعه إلى طاعة سلطان الإسلام قبل وفاته، وكانت وفاته بالقرب من سلمية.

ومات المحدث الرئيس العام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن طرخان الحنبلي سمع من ابن عبد الدائم وغيره، وكان بديع الخط وكتب الطباق، وله نظم.

وفيها: في ذي الحجة مات الفقيه الزاهد شرف الدين فضل بن عيسى بن قنديل العجلوني الحنبلي بالمسمارية، كان له

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ٢/ ٣٠٠

اشتغال وفهم ويد في التعبير، وتعفف وقوة نفس، عرض عليه حزن المصحف العثماني فامتنع رحمه الله تعالى.

وفيها: وصل الأمير سيف الدين أبو بكر الباشري إلى حلب وصحب معه منها الرجال والصناع وتوجه إلى قلعة جعبر وشرع في عمارتها وكانت خرابا من زمن هولاكو وهي من أمنح القلاع تسبب في عمارتها الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام ولحق المملكة الحلبية وغيرها بسبب عمارتها ونفوذ ماء الفرات إلى أسفل منها كلفة كثيرة.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وسبعمائة: فيها في المحرم باشر السيد النقيب الشريف بدر الدين محمد بن السيد شمس الدين بن زهرة الحسيني وكالة بيت المال بحلب مكان شيخنا القاضي فخر الدين أبي عمر وعثمان بن الخطيب زين الدين علي الجبريني.

وفيها: في المحرم نزل نائب الشام الأمير سيف الدين تنكز بعسكر الشام إلى قلعة جعبر وتفقدها وقرر قواعدها وتصيد حولها، ثم رحل فنزل بمرج بزاعا، ومد له نائب حلب الأمير علاء الدين الطنبغا به سماطا ثم سافر إلى جهة دمشق.

وفيها: في صفر طلب من البلاد الحلبية رجال للعمل في نهر قلعة جعبر ورسم أن يخرج من كل قرية نصف أهلها وجلا كثير من الضياع بسبب ذلك ثم طلب من أسواق حلب أيضا رجال واستخرجت أموال وتوجه النائب بحلب إلى قلعة جعبر بمن حصل من الرجال وهم نحو عشرين ألفا.." (١)

"(أحمد الله الذي جنبني ... كلف الملك وأمرا صعبا)

(لم أجد للملك ماء صافيا ... فتيممت صعيدا طيبا)

وفيها: بعد موت المستكفي بويع بالخلافة أبو إسحاق إبراهيم ابن أخ المستكفي.

وفيها: كان الحريق بدمشق وذهبت فيه أموال ونفوس واحترقت المنارة الشرقية والدهشة وقيسارية القواسين وتكرر وأقرت طائفة من النصارى بدمشق بفعله فصلب تنكز منهم أحد عشر رجلا ثم وسطوا بعد أن أخذ منهم ألف ألف درهم وأسلم ناس منهم وبيعت بنت الملين بمال كثير فاشتراها تنكز وعملت المقامة الدمشقية في هذا المعنى، وسميتها صفو الرحيق في وصف الحريق، وختمتها بقولي:

(وعادت دمشق فوق ما كان حسنها ... وأمست عروسا في جمال مجدد)

(وقالت لأهل الكفر موتوا بغيظكم ... فما أنا إلا للنبي محمد)

(ولا تذكروا عندي معابد دينكم ... فما قصبات السبق إلا لمعبد)

وفيها: في ذي الحجة باشر القاضي ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين يعقوب كتابة السر بحلب وسررنا به.

وفيه قبض على تنكز نائب الشام وأهلك بمصر رسم السلطان لطشتمر حمص أخضر وكان نائبا بصفد أن يأتيه من حيث لا يحتسب ويقبض عليه وما أشبه تمكنه عند السلطان الملك الناصر إلا بجعفر عند الرشيد والرشيد أضمر إهلاك جعفر ست سنين حتى قتله والملك الناصر أضمر إهلاك تنكز عشر سنين وهو يخوله ويعظمه وينعم عليه وفي قلبه له ما فيه

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ٣٠١/٢

حتى قبض عليه.

وكان تنكز عظيم السطو شديد الغضب قتل خلقا منهم عماد الدين إسماعيل بن مزروع الفوعي نائب فحليس بدمشق وعلي بن مقلد حاجب العرب والأمير حمزة رماه بالبندق ثم أهلكه سرا وغيرهم.

وله بدمشق والقدس وغيرهما آثار حسنة وأوقاف، وقتل أكثر الكلاب بدمشق ثم حبس الباقي، وحال بين أناثها وذكورها، ولما استوحش من السلطان عزم على نكثه من جهة التتر وأخذ السلطان من أمواله ما يفوت الحصر، زعم بعضهم أنه يقارب مال قارون وكان قبل ذلك قد تبرم من نقيق الضفادع فأخرجها من الماء، فقال بعض الناس فيه:

(تنكر تنكز بدمشق تيها ... وذلك قد يدل على الذهاب)

(وقالوا للضفادع ألف بشرى ... بميتته فقلت وللكلاب)

" تولى دمشق بعده الطنبغا " الحاجب الصالحي، كان تنكز قد سعى عليه حتى نقل من نيابة حلب إلى نيابة غزة فأورثه الله أرضه ودياره.

وفيها: بعد حادثة تنكز عوقب أمين الملك عبد الله الصاحب بدمشق، واستوفى ماله ومات تحت العقوبة، قبطي الأصل، وكان فيه خير وشر ووزر بمصر ثلاث مرات.

وفيه يقول صاحبنا الشيخ جمال الدين بن نباتة المصري:." (١)

"وجئناهم نمشي كأن صفوفنا ... شهاب حريق رفعتها الجنائب

فقالوا لنا إنا نرى أن تبايعوا ... عليا فقلنا بل نرى أن تضاربوا

فطارت إلينا بالرماح كماتهم ... وطرنا إليهم بالأكف قواضب

إذانحن قلنا استهزموا عرضت لنا ... كتائب منهم وأزحجت كتائب

فلاهم مولون الظهور فيدبروا ... فرارا كفعل الجاذرات الذرائب

يعني بالذرايب الضواري: يقال ذرب على الشيء إذا تعوده. قال ابن شهاب فأنشدت عائشة رضي الله تعالى عنها أبياته هذه فقالت ما سمعت شاعرا أصدق شعرا منه. قال أهل التاريخ وصح عن أبي وائل عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل أنه قال رأيت كأن قبابا في رياض، فقيل هذه لعمار بن ياسر وأصحابه، فقلت: وكيف وقد قتل بعضهم بعضأ؟ قال انهم وجدوا الله واسع المغفرة. وممن قتل يومئذ مع معاوية أيضا كريب بن صباح الحميري أحد الأبطال المذكورين، قتل جماعة بارزة، ثم بازرعليا، فقتله علي رضي الله عنه. وذكر أن عليا واجه في بعض تلك المعارك معاوية فقال له علي: هلك المسلمون بيني وبينك، ابنزلي، فإذا قتل أحدنا صاحبه استراحوا من القتل والقتال، او كما قال، فسكت معاوية، ثم ذكر ذلك لوزيره عمرو بن العاص، فقال: انصفك الرجل. فقال له معاوية: ما أظنك إلا طمعت فيها قلت يعني إنك تعلم أني ما أنا له بمقاتلة، فإذا قتلني أخذ الخلافة بعدي. وقال بعض أصحاب التواريخ: بلغنا أن الأشعث بن قيس الكندي برز في ألفين وبرز أبو الأعور السلمي في خمسة آلاف، ثم اقتتلوا، فغلب الأشعث على الماء، وأزالهم عنه. التقى أصحاب

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ٣١٨/٢

علي وأصحاب معاوية يوم الأربعاء سابع صفر ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت، ثم لما خاف أهل الشام الكثرة رفعوا المصاحف بإشارة عمرو بن العاص، ودعوا إلى الحكم بما في كتاب الله، فأجاب علي رضي الله عنه إلى تحكيم الحكمين، فاختلفت عليه جيشه، وخرجت الخوارج، وقالوا لا حكم إلا لله وكفروا عليا ثم حاربهم. فقتل منهم جمعا كثيرا. ورجع إليه منهم جمع كثير وبقي منهم على الخلاف جمع. ولهم قصص طويلة في القتال والمقال. اوضحتها في كتاب المرهم ففيه لذكرها مجال. وسيأتي ذكر شيء منها في سنة أربعين في ترجمة علي رضي الله عنه. وفي تحكيم الحكمين هو ما روي أنه اجتمع في رمضان أبو موسى الأشعري ومن معه." (١)

"كريز، وهي أم عثمان بن عفان رضي الله عنه، واسمه عبد الملك. قال أبو الفرج في كتاب الأغاني: اسمه عيسى بن عبد الله، وقال الجوهري في الصحاح: اسمه طاوس فلما ثخنث أو قال خنث سمي طويس، وكان من المبرزين في الغناء المجيدين فيه، وممن يضرب به الأمثال، وإياه عنى الشاعر بقوله في مدح معبد المغني.

يغني طويس والشريحي بعده ... وما قصبات السبق إلاّ لمعبد

وطويس المذكور هو الذي يضرب به المثل في الشوم، فيقال أشأم من طويس، لأنه ولد في اليوم النمي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفطم في اليوم الذي مات فيه الصديق رضي الله تعالى عنه، وختن في اليوم الذي قتل فيه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وقيل بل بلغ الحلم في ذلك اليوم، وتزوج في اليوم الذي قتل فيه عثمان رضي الله تعالى عنه، وولد مولود له في اليوم الذي قتل فيه علي رضي الله تعالى عنه، وقيل بل في يوم مات الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما، فلذلك تشاءموا به. قلت وهذا إن صح من عجائب الاتفاقات، وكان مفرطا في طوله مضطربا في خلقه أحول العين، سكن المدينة، ثم انتقل عنها إلى السويداء على مرحلتين من المدينة في طريق الشام، وبها توفي، وطويس تصغير طاوس بعد حذف الزيادات.

"الغلامين بالعمد وأخرجوا يوسف بن عمر، فضربوا عنقه لكونه قتل خالد بن عبد الله القسري والد يزيد المذكور. ولما قتلوه أخذوا رأسه عن جسده وشدوا أرجله، وقتل في مذاكيره حبل وهو يجر في ذلك الموضع نعوذ بالله من جميع الشرور ونسأله حسن عاقبة الأمور. وفيها توفي الحكم وعثمان ولدا الوليد بن عبد الملك المذكوران. وفيها توفي عبد الله بن دينار. مولى ابن عمر، وعمير بن هاني العنسي بالنون بعد العين المهملة الداراني، روى عن أبي هريرة وعن معاوية قال له عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: اراك لا تفتر من الذكر فكم تسبح؟ قال: مائة ألف إلا أن يخطي الأصابع رحمه الله تعالى. وفيها توفي عبد الرحمن بن مالك الحراني الحافظ، ووهب بن كيسان، وقاضي المدينة سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري. قال شعبة: كان يصوم الدهر ويختم كل يوم، وقيل مات في سنة ست والإمام السدي المفسر الكوفي المشهور. وفيها وقيل في سنة ثمان توفي أبو إسحاق السبيعي شيخ الكوفة وعالمها، عاش نحو المائة.

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٨٦/١

وفيها توفي السيد الكبير الولي الشهير ذو الإيمان الوثيق والورع الدقيق والمناقب العديدة والسيرة الجميلة الجليل الفضل والمقدار: ابو يحيى مالك بن دينار صاحب الهمة العلية والفضائل السنية، روي أنه أقام أربعين سنة لم يأكل من رطب البصرة ولا من تمرها. وروي أنه قد وقع **حريق** في البصرة، فقال شباب الحي بيت أبي يحيى مالك بن دينار، فخرج متزرا بارية وبيده مصحف وقال: فاز المخففون أو قال: نجا المخففون، وكان عالما زاهدا ورعا لا يأكل إلا من كسبه، وكان يكتب المصاحف بالأجرة. وحكى أبو القاسم بن خلف الأندلسي في كتابه قال: بينا مالك بن دينار يوما جالسا إذ جاءه رجل، فقال: يا أبا يحيى ادع الله لامرأة حبلى منذ أربع سنين قد أصبحت في كرب شديد، فغضب المالك وأطبق المصحف ثم قال: ما يرى هؤلاء القوم إلا أننا أنبياء ، ثم قرأ ثم دعا فقال: اللهم هذه المرأة إن كان في بطنها جارية فأبدلها بها غلاما فإنك تمحو ما يشاء وتثبت وعندك أم الكتاب، ثم رفع مالك يده فما حطها حتى طلع الرجل من باب المسجد." (١)

"سامراء فقتلوه بقادسية سامراء في آخر رمضان، وكان مسرفا في تبذير الجوائز والذخائر.

وفيها توفي بندار محمد بن بشار البصري الحافظ رحمه الله تعالى.

ثلاث وخمسين ومائتين

فيها وقيل في سنة ست، وقيل إحدى وخمسين ومائتين توفي الشيخ الكبير العارف بالله الشهير ذو المقامات العلية والأحوال السنية والكرامات الخارقة والأنفاس الصادقة، حب الفضل العديد والعزم السديد والورع الشديد السري السقطي أحد أولاء الطريقة، ومعادن أسرار الحقيقة، خال الأستاذ أبي القاسم الجنيد وأستاذه وتلميذ الشيخ العارف بالله المقرب المعروف في بغداد بالترياق المجرب معروف القرخي، يقال: أن السري كان في دكان، فجاء معروف يوما ومعه صبي يتيم فقال: اكس هذا، قال السري: فكسوته ففرح بذلك معروف وقال: بغض الله إليك الدنيا. وزاد بعضهم في روايته: وأراحك مما أنت.، فقال السري: فقمت من الدكان، وليس شيء أبغض إلي من الدنيا وكل ما أنا فيه من تركات معروف.

ويحكى أنه قال: منذ ثلاثين سنة أنا في الإستغفار من قولي مرة الحمد لله، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: وقع ببغداد **حريق** فاستقبلني إنسان وقال: سلم حانوتك، فقلت: الحمد لله. فأنا نادم من ذلك الوقت على ما فعلت، حيث أردت لنفسي خيرا من الناس. وقال أبو قاسم الجنيد: دفع إلي السري رقعة وقال: هذه خير لك من سبع مائة قصة، فإذا فيها:

ولما ادعيت الحب قالت كذبتني ... فما لي أرى الأعضاء منك كواشيا

فما الحب حتى يلصق الظهر بالحشا ... وتذبل حتى لا تجيب المناديا

وتنحل حتى ليس يبقي لك الهوى ... سوى مقلة تبكي بها وتناجيا

وقال أيضا: دخلت على السري يوما وهو يبكي فقلت: ما يبكيك. قال: جاءتني البارحة الصبية فقالت: يا أبت، هذه ليلة حارة، وهذا الكوز أعلقه ها هنا، ثم إني حملتني، فنمت فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء، فقلت:

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٢١١/١

لمن أنت. قالت: لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان، وتناولت الكوز فضربت به الأرض. قال الجنيد: فرأيت الخزف المكسورة لم يرفعها حتى عفي عليه التراب، وفضائل السري ومحاسنه معروفة، وأوصافه بالجميل والجمال موصوفة قدس الله أسراره.

وفيها توفي الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر، وصيف التركي، وكان من أكبر أمراء الدولة. وأبو جعفر أحمد بن سعيد بن صخر الدارمي السرخسي، أحد الفقهاء والأئمة في الأثر، رحمة الله عليه.." (١)

"المسعودي الفقيه الشافعي الفاضل المبرز الورع، من أهل مرو. تفقه على أبي بكر القفال المروزي، وشرح مختصر المزني، وأحسن فيه، وروى قليلا من الحديث عن أستاذه القفال. وحكى عنه الغزالي في كتاب الوسيط في الايمان مسألة لطيفة فقال: فرع لو حلف لا يأكل بيضا، ثم انتهى إلى رجل، فقال: والله لآكلن ما في كمك، فإذا هو بيض، فقد سئل القفال عن هذه المسألة وهو على الكرسي فلم يحضر جواب. فقال المسعودي: يتخذ منه الناطف، ويأكله، فيكون قد أكل ما في كمه، ولم يأكل البيض، فاستحسن ذلك منه. وهذه الحيلة من لطائف الحيل الوافية من الوقوع في الخلل. توفي المسعودي المذكور بعد نيف وعشرين وأربع مائة بمرو – رحمه الله تعالى – ونسبته إلى جده مسعود.

سنة واثنتين وعشرين واربع مائة

فيها عزم الصوفي الملقب بالمنصور على الغزو، فكتب له السلطان منشورا، وقصد الجامع لقراءة المنشور وبين يديه الرجال بالسلاح يترضون على الشيخين، وصاحوا: هذا يوم معاوي. قلت: يعنون فيه إظهار شعار معاوية بن ابي سفيان في الذكر لإبي بكر وعمر دون علي رضي الله تعالى عنهم فحصبهم أهل الكرخ، فسارت الفتنة، واضطربت، ونهبت العامة دار الشريف المرتضى، ودافع عنه جيرانه الأتراك، **واحترقت** له سرية، وبات الناس في ليلة صعبة، وتأهبوا للحرب، واجتمعت العامة وخلق من الترك، وقصدوا الكرخ، فرموا النار في الأسواق، وأشرف أهل الكرخ على التلف، فركب الوزير والجند، فوقعت آجره على صدر الوزير، وسقطت عمامته، وقتل جماعة من الشيعة، وزاد النهب فيهم، واحرق في هذه السائرة عدة اسواق، ولم يجر من السلطان إنكار لضعفه وعجزه، وتبسطت العامة، وآثاروا الفتن: فالنهار فتن ومحن، والليل عملات ونهب. وقامت الجند على السلطان جلال الدولة لإطراحه مصالحهم، وراموا قطع الخطبة، فارضاهم بالمال، فساروا بعد أيام عليه. وثم مات القادر بالله، واستخلف ابنه القائم بأمر الله، فبايعه الشريف المرتضى، ثم الأمير حسن بن عيسى بن المقتدر، وقامت الأتراك على القائم بالرسم الذي للبيعة، فقال: إن القادر لم يخلف مالا، وصدق لأنه كان من أفقر الخلفاء، ثم صالحهم على ثلاثة ألاف دينار، وعرض القائم خانا وبستانا للبيع، وصغر دست – الخلافة إلى هذا الحد، وصارت الأموال والأعمال مقسومة بين الأتراك والأعراب، مع ضعف ارتفاع الخراج، والوزارة خالية من أهلية، وما يناسبها من صلاحيته، والوقت هرج ومرج، والناس بلا رأس.." (٢)

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ١١٨/٢

(٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٣٢/٣

"وفيها توفي مسند الآفاق، كان إماما في علوم القرآن، كثير التصانيف، - مبين الديانة. عالي الإسناد، وقاضي القضاة أبو بكر الناصحي محمد بن عبد الله بن الحسين النيسابوري. قال الشيخ عبد الغافر: هو في عصره أفضل أصحاب أبي حنيفة، وأعرفهم بالمذهب، وأوجههم في المناظرة، مع حظ وافر من الأدب والطب، ولم تحمد سيرته في القضاء. وفيها توفي المعتصم محمد بن معن الأندلسي التجيبي صاحب المرية ومحاوية والصمارحية من بلاد الأندلس، وتوفي وجيش ابن تاشفين محاصرون.

سنة خمس وثمانين واربع مائة

فيها أخذت ركب العراق خفاجة بالخاء المعجمة والفاء والجيم بين الالف والهاء، وكان **الحريق** ببغداد، احترق فيه من الناس عدد كثير وأسواق كبار من الظهر إلى العص. وفي عاشر رمضان فيها، قتل الوزير الكبير الحميد الشهير، نظام الملك، قوام الدين: أبو علي الحسين بن علي بن إسحاق الطوسي، كان من جلة الوزراء. قلت: وهذا أول ما بلغناه من التلقيب بفلان الدين، ثم استمر ذلك إلى يومنا، وإنما كانوا يلقبون بفلان الدولة والملك من يعظم شأنه عندهم، ثم عموا التلقيب بالدين فيما بعد، حتى في السوقية والفجرة، لقبوهم بنور الدين وشمس الدين وزين الدين وكمال الدين وأشباه ذلك - ممن هم ظلام الدين وشين الدين ونقص الدين وأشباه ذلك من أضداد الدين، وإلى ذلك أشرت بقولي في بعض القصائد: يسمى فلان الدين من هو عكس ما يسمى به حاوي الصفات الدنيه، فالنور ظلامة، والكمال نقيصة، ومحيي مميت، ثم عكس التقية سوى السيد الحبر النواوي، وشبهه إمام الهدى محيي الدين. وما أحسن ما قال الشيخ بركة الزمن وزين اليمن ذو المجد الأثيل: أحمد بن موسى بن عجيل، قال رضي الله عنه: تتبعت هذه الألقاب فلم أجد منها صادقا إلا صارم الدين، يعني: قاطع الدين. رجعنا إلى ذكر الوزير نظام الملك، ذكره أبو سعد السمعاني فقال: كعبة المجد ومنبع الجود، كان مجلسه عامرا بالقراء والفقهاء، أنشأ المدارس بالأمصار، ورغب في العلم." (١)

"وفيها قتلت بجامع آمد يوم الجمعة في شهر الله المحرم فخر الإسلام القاضي أبا المحاسن عبد الواحد بن اسماعيل بن أحمد الروياني الفقيه الإمام، الشافعي مذهبا أحد الرؤوس الأكابر في أيامه، شيخ الشافعية فروعا وأصولا وخلافا، صاحب التصانيف السنية، سمع الشيخ أبا الحسن عبد الغافر بن محمد الفارسي، وأبا عبيد الله محمد بن بيان الكازروني، وتفقه على مذهب الإمام الشافعي، وروى عنه زاهر بن طاهر الشحامي وغيره. وكان له الجاه العظيم والحرمة الوافرة، وكان الوزير نظام الملك كثير التعظيم له بكمال فضله، رحل إلى بخارى، ودخل غزنة، ونيسابور، ولقي الفضلاء، وحضر مجلس ناصر المروزي، وعلق عنه الحديث، وبنى بآمل طبرستان مدرسة، ثم انتقل إلى الري، ودرس بها، وقدم أصبهان، وأملأ بجامعها، وصنف الكتب المفيدة منها: بحر المذهب، هو من أطول كتب الشافعية، وكتاب الكافي، وكتاب حيلة المؤمن، وصنف في الأصول والخلاف. ونقل عنه أنه يقول: لو **احترقت** كتب الشافعي لأمليتها من خاطري، ذكره الحافظ أبو محمد عبد الله بن يوسف القاضي في طبقات أئمة الشافعي، وأثنى عليه. وذكره الحافظ يحيى بن منده، فأثنى عليه، وروى الحديث عن خلق كثير في بلاد متفرقة. وقال الحافظ أبو طاهر السلفي: بلغنا أن أبا المحاسن

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٣/١٠٣

الرؤياني أملى بمدينة آمل، وقتل بعد فراغه من الإملاء بسبب التعصب في الدين. وذكر الحافظ أبو سعد السمعاني أنه قتل في الجامع يوم الجمعة – الحادي عشر من المحرم – من السنة المذكورة، قتله الملاحمة، وقال بعضهم: عاش سبعا وثمانين سنة. وعظم الخطب بهؤلاء الملحدين، وخافهم كل أمير وعالم بهجومهم على الناس. وفي السنة المذكورة توفي أبو القاسم الربعي علي بن الحسين الفقيه الشافعي المعتزلي ببغداد، قلت: يعنون أنه شافعي الفروع، معتزلي الأصول، كما قيل إن جار الله الزمخشري حنفي الفرع معتزلي الأصول، وأشباه ذلك كثر، يكون أحدهم فروعي مذهب آخر. وفيها توفي أبو زكريا التبريزي الخطيب صاحب اللغة يحيى بن علي بن محمد الشيباني، صاحب التصانيف، أخذ اللغة عن أبي العلاء المعري، وسمع من سليمان بن أيوب بصور، وكان شيخ بغداد في الادب. وسمع الحديث بمدينة صور من الفقيه أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي وجماعة، وروى عنه الخطيب الحافظ أبو بكر وغيره من أعيان الأئمة، وتخرج عنه خلق كثير، وتلمذوا له، وصنف في الأدب كتبا مفيدة، منها شرح." (١)

"سنة خمس عشرة وخمس مائة

فيها احترقت دار السلطنة ببغداد، فتلف ما قيمته ألف ألف دينار. وفيها توفي أبو علي الحداد: الحسن بن أحمد الأصبهاني المقرىء المجود، مسند الوقت، وكان مع علو إسناده أوسع أهل زمانه رواية، حمل الكثير عن أبي نعيم، وكا ن خيرا صالحا. وفيها توفي الملك الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني، كان الملك الأفضل وزيرا للمستعلي العبيدي، وكان حسن التدبير فحل الرأي، وهو الذي أقام المستعلي بعد موت أبيه المستنصر مقامه، وخلف من الأموال ما لم يسمع بمثلهما، قيل إنه خلف ستمائة ألف دينار عينا، ومائتين وخمسين إردبا دراهم نقد مصر، وخمسا وسبعين ألف ثوب ديباج أطلس، وثلاثين راحلة أخفافها من ذهب عراقي، وداوة ذهب فيها جوهر قيمته أثنا عشر ألف دينار، ومائة مسمار من ذهب وزن كل مسمار مائة مثقال، في عشرة مجالس، في كل مجلس عشرة مسامير، على كل مسمار منديل مشدود بذهب من الألوان أيما أحب منها لبسه – وخمس مائة صندوق لكسوته خاصة من دف دمياط وبلد أخرى سموها، وخلف من الرقيق والخيل والبغال والمراكب والطيب والتجمل والحلي ما لا يعلم قدره إلا الله، وخلف خارجا من ذلك من البقر والجواميس والغنم كما يطول عدده، وبلغ ضمان ألبانها في سنة وفاته ثلاثين ألف دينار، ووجد في تركته صندوقان كبيران فيهما إبر ذهب برسم النساء والجواري. وكان شهما مهيبا بعيد الغور، ولي وزارة السيف والقلم، وإليه قضاء القضاة والتقدم على الدعاة في ولاية المستعلي، ثم الأمر، وكانا معه صورة بلا معنى، وكان قد أذن للناس في إظهار عقائدهم، وأمات شعار دعوة الباطنية، فنقموه لذلك، ووثب عليه ثلاثة من الباطنية فضربوه بالسكاكين فقتلوه، وحملوه بآخر رمق، وقيل إن الأمير دسهم عليه بتدبير أبي عبد الله البطائحي الذي وزر بعده، ولقب بالمأمون. وفيها توفي أبو القاسم علي بن جعفر السعدي الصقلي المولد، المعروف بابن القطاع." (٢)

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ١٣١/٣

(٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ١٦١/٣

"استولى أسد الدين على بلاد الصعيد وتقوى بخراجها، وأقامت الفرنج بالقاهرة حتى استر أسوا، ثم قصدوا الاسكندرية وقد أخذها صلاح الدين، فحاصروه أربعة أشهر، ثم كرأسد الدين منجدا له، فترحلت الملاعين بعد أن قد استقر لهم بالقاهرة شحنة، وقطيعة مائة ألف دينار في الشام. وصالح شاور أسد الدين على خمسين ألف دينار، وأخذها ونزل الشام.

وفيها قدم قطب الدين صاحب الموصل على أخيه نور الدين، فغزوا الفرنج، فأخذوا حصنا بعد حصن. وفيها احتراق البلادين حرقا عظيما، حتى صار تاريخا، وأقامت النار أياما. وفيها توفي خطيب دمشق أبو البركات الخضر بن شبل الفقيه الشافعي، درس بالغزالية وبالمجاهدية، وبنى له نور الدين المدرسة المعروفة بالعمادية. وفيها توفي ابن حمدون صاحب التذكرة أبو المعالي محمد بن أبي سعد ألفاتب الملقب كافي الكفاءة البغدادي. كان فاضلا ذا معرفة تامة بالأدب والكتابة، من بيت مشهور بإلىئاسة والفضل، صنف كتاب التذكرة، وهو من أحسن المجاميع، يشتمل على التاريخ والأدب والنوادر والأشعار، لم يجمع أحد من المتأخرين مثله، ذكره العماد ألفاتب في كتاب الخريدة، وأنشد لنفسه لغزا في مروحة الجيش:

ومرسلة معقودة دون قصدها ... منفذة تجري لجيش طليقها

يمر خفيف الريح وهي مقيمة ... وتسري وقد سدت عليها طريقها

لها من سليمان النبي وراثة ... وقد عزمت نحو النبيط عروقها

إذا صدق النوء الشمالي أمحلت ... وتمطر والجوزاء ذاك **حريقها**

وتحسبها إحدى الصنائع أنها ... لذلك كانت كل روح صديقها

قلت: وفي المروحة أيضا أنشدنا بعض شيوخنا، وهو الشيخ الصالح أبو بكر ابن ألفائغ لنفسه:

وفي عدن حر كأن لهيبه ... من النار في أرجأنها اليوم لافح

أدافع عني بالمراوح جيشه ... فيا ضعف من يحمي قفاه المراوح." (١)

"وله في ابن طليب المصري، وقد **احترقت** داره:

انظر إلى الأيام كيف تسوقنا ... قهرا إلى الإقرار بالأقدار

ما أوقد ابن طليب قط بداره ... نارا وكان خرابها بالنار

قال ابن خلكان: ومما يناسب هذه الواقعة أن الوجيه بن صورة المصري – دلال الكتب – كانت له دار موصوفة بالحسن **فاحترقت**، فقال علي بن مفرج المعروف بالمنجم:

أقول وقد عاينت دار ابن صورة ... وللنار فيها مارج يتضرم

كذا كل مال أصله من نهاوش ... فمما قليل في نهار يعدم

قلت: ومع هذا البيتين بيت ثالث أفرط فيه ما ينبغي أن يذكر، والبيت الثاني مأخوذ من قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٢٧٨/٣

" من أصاب مالا من نهاوش أهبه الله في نهابر ". والنهاوش الحرام، والنهابر المهالك. وقال لغزا، وقد قلع ضرسه:

وصاحب لا أمل الدهرصحبتهيشفي لنفسيويسعى سعي مجتهد

لم ألقه مذ تصاحبنا فحين بدا ... لناظري افترقنا فرقة الأبد

قلت: وقد فسرت هذا اللغز حيث قلت:

ضرس امرىء غاب عن عينيه في فمه ... عليه في طحن مايغذوه معتمد

نعم الرحى صور الباري بحكمته ... تراه عند انقلاع غير مرتدد

وفيها توفي الإمام عبد الرحمن بن محمد بن حبيش الأنصاري. كان من أئمة الحديث والقراءات والنحو واللغة، ولي خطابة مرسية وقضاءها، واشتهر ذكره وبعد صيته، وصنف كتاب المغازي في مجلدات. وفيها توفي شيخ الحنفية في زمانه بما وراء النهر عمر ابن الإمام شمس الأئمة بكر بن علي رحمه الله تعالى. وفيها توفي التاج المسعودي محمد بن عبد الرحمن الخراساني الصوفي الرحال." (١)

"أعايش؛ لولا أنني كنت طاويا ... ثلاثا لألقيت ابن أختك هالكا

غداة ينادي والرماح تنوشه ... بآخر صوت اقتلوني ومالكا

فنجاه مني أكله وشبابه ... وخلوة جوف لم يكن متماسكا

وقيل إن عائشة رضي الله تعالى عنها أعطت البشارة على سلامة ابن الزبير من الأشتر

عشرة آلاف درهم، وان ابن الزبير قال: لاقيت الأشتر النخعي، وما ضربته ضربة إلا ضربني ستا أو سبعا. والله أعلم. رجعنا إلى ما كنا فيه. ثم إن الفرنج جاءتهم الأمداد من البحر، واستظهروا على المسلمين بعكا، فضاق المسلمون من ذلك، وعزموا على صلح الفرنج بأن يسلموا البلد وجميع ما فيه من الآلات والعدة والأسلحة والمراكب ومائتي ألف دينار وخمس مائة أسير مجاهيل ومائة أسير معينين من جهتهم، ويخرجوا بأنفسهم وما معهم سالمين من الأموال والأقمشة مختصة بهم، وذراريهم ونسائهم، وكتبوا بذلك كتبا فلما علم السلطان أنكره إنكارا عظيما، وعظم عليه هذا الأمر وعزم على أن يكتب إليهم في الإنكار عليهم المصالحة على هذا الوجه، وبقي مترددا في هذا، فلم يشعر إلا وقد ارتفعت أعلام العدو وصلبانه وناره وشعاره على سور البلد، وصاح الفرنج صيحة واحدة، وعظمت المصيبة على المسلمين واشتد حربهم، ووقع فيهم الصياح والعويل والبكاء والنحيب. وذكر بعضهم أن الفرنج خرجوا من عكا قاصدين عسقلان ليأخذوها، وساروا على الساحل - والسلطان وعساكره قبالتهم، وكان بينهم قتال عظيم، ونال المسلمين منه وهن شديد - فاستشار السلطان أرباب مشورته في خراب عسقلان خوفا من أن يصل العدو إليها ويستولي عليها وهي عامرة، ويأخذ بها القدس، وينقطع بها طريق مصر، فاتفق رأيهم على ذلك، فشرع في خرابها، فلحق الناس من خرابها حزن عظيم، واشتد على أهل البلد ذلك، وعظم فراق أوطانهم، وشرعوا في بيع ما لا يقدرون على حمله، فباعوا ما يساوي عشرة دراهم بدرهم، وباعوا اثني عشر طير دجاج بدرهم واحد، واختبط البلد وخرج الناس بأهلهم وأولادهم إلى المخيم، وتشتتوا، فذهب بعضهم إلى مصر

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٣/٣٢٤

وبعضهم إلى الشام وجرت عليهم أمور عظيمة. ثم وصل خبر من جانب الملك العادل أن الفرنج قد تحدثوا معه في الصلح، وطلبوا جميع البلاد الساحلية، فرأى السلطان أن ذلك مصلحة لما علم ما في النفوس من الضجر، وكثرة ما هم عليهم من الديون. وكتب إليه بالإذن بذلك وتفويض الأمر إلى رأيه، وحث الناس على العجلة في الخراب المذكور خوفا من هجوم الفرنج، وأمر بإحراق البلد، فأضرمت النيران في بيوته، وكان سورها عظيما، ولم يزل **الحريق** يعمل في البلد من عشرين." (١)

"يعاتبني وينهى عن أمور ... سبيل الله أن ينهوك عنها

أتقدر أن تكون كمثل عيني ... وحقك ما علي أضر منها

سنة سبع وست مائة

فيها توفي صاحب الموصل أرسلان شاه ابن السلطان مسعود، وكان شهما شجاعا سائسا مهيبا، قال أبو السعادات ابن الأثير وزيره: ما قات له في فعل خير الإبادر فيه، وقال أبو المظفر ابن جوزي: كان جبارا سافكا للدماء. وقال ابن خلكان: كان شهما عارفا بالأمور تحول شافعيا، ولم يكن في بيته شافعي سواه، وبنى مدرسة للشافعية بالموصل قل أن يوجد مدرسة في حسنها. توفي في شبارة بالشط ظاهر الموصل والشبارة بالشين المعجمة مفتوحة والموحدة مشددة، وبين الألف والهاء راء، وهي عندهم الحراقة عند أهل مصر، وكتم موته حتى دخل به إلى دار السلطنة بالموصل. ودفن في تربته التي بمدرسته المذكورة، وخلف ولدين هما الملك القاهر مسعود، والملك المنصور زنكي، وسيأتي ذكر كل واحد منهما في ترجمتـه إنشاء الله تعالى، وتسلطن بعده ابنه مسعود.

وفيها توفي مؤيد الدولة أسامة بن مرشد الكلبي من اكابر أهل قلعة سعير وشجعانهم علمائهم، له تصانيف عديدة في فنون الأدب، وله ديوان شعر في جزأين منه قوله.

لا تستعر جلدا على هجرانهم ... فقواك تضعف عن صدود دائم

وإعلم بأنك إن رجعت إليهم ... طوعا وإلا عدت عودة راغم

ومنه قوله في دار ابن طليب **احترقت:**

أنظر إلى الأيام كيف تسوقنا ... قهرا إلى الإقرار بالأقدار

ماأوقد ابن طليب قط بداره ... نارا وكان خرابها بالنار

ومما يناسب هذه الواقعة ما حكي، أن إنسانا معروفا بابن صورة المصري كانت له بمصر دار موصوفة بالحسن **فاحترقت**، فقال أبو الحسن بن مفرج المعروف بابن المنجم

أقول وقد عاينت دار ابن قعورة ... وللنار فيها مارج يضرم." (٢)

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٣/٣٤٨

(٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٤/١٢

"وكان الغالب عليه علم النحو وتصانيفه مفيده منها شرح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي وديوان المتنبي واعراب القرآن الكريم في جزأين وكتاب اعراب الحديث وكتاب شرح اللمع لابن جني وكتاب اللباب في علل النحو وكتاب اعراب شعر الحماسة وشرح المفصل للزمخشري شرحا مفصلا وشرح الخطيب النباتية والمقامات الحريرية، وصنف في النحو والحساب، واشتغل عليه خلق كثير، وانتفعوا به واشتهر اسمه في البلاد في حياته وبعد صيته، وحكى في شرح المقامات عند ذكر العنقاء أن أهل الرس كان بأرضهم جبل يقال له: دمح صاعد في السماء قد رميل، وكانت به طيور كثيرة، وكانت العنقاء طائرة عظيمة الخلق طويلة العنق لها وجه إنسان وفيها من كل حيوان شبه من أحسن الطير، وكانت تأتي في السنة مرة هذا الجبل، فتلتقط طيره، فجاعت في بعض السنين وأعوزها الطير، فانقضت على صبي، فذهبت به، فسميت عنقاء مغرب والمغرب النى يجيء بالغرائب ل إبعادها بما تذهب به، ثم ذهبت بجارية أخرى، فشكى أهل الرسل إلى نبيهم حنظلة بن صفوان، فدعا عليها فأصابتها صاعقة، **فاحترقت**، والله أعلم انتهى.

قال بعض أهل العلم: هذا حنظلة بن صفوان نبي أهل الرس كان في زمن الفترة بين عيسى ونبينا صلوات الله وسلامه عليهما.

وذكر بعض المؤرخين، وهو الفرغاني نزيل مصر أن العزيز نزار بن المعز صاحب مصر اجتمع عنده من غرائب الحيوان ما لم يوجد عند غيره، فمن ذلك العنقاء، وهي طائر جاءه من صعيد مصر في طول البلسون، وأعظم جسما منه له غبب ولحية، وعلى رأسه وقاية، وفيه عدة ألوان، ومشابهة من طيور كثيرة.

وذكر الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار في باب الطير، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الله تعالى خلق في زمن موسى طائرة اسمها العنقاء، لها أربعة أجنحة من كل جانب، ووجه كوجه الإنسان وأعطاها من كل شيء قسطا، وخلق لها ذكر أمثلها، وأوحي إليه إني خلقت طائرين عجيبين وجعلت رزقهما في الوحوش التي حول بيت المقدس وأنستك بهما وجعلتهما زيادة فيما فضلت به بني إسرائيل، فتناسلا، وكثر نسلهما، فلما توفي موسى عليه السلام انتقلت، فوقعت بنجدوا الحجاز، فلم تزل تأكل الوحوش، وتخطف الصبيان إلى أن شكوها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فدعا الله تعالى، فقطع نسلهما وانقرضت، والله أعلم.

قلت: وأما ما يقال في المثل في عدم وجود بعض الأشياء كالعنقاء يسمع بها ولا يرى." (١)

"مرة أخرى في العشر الأول بعد السبع مائة، فجرى سنة كاملة، وأزيد، ثم انخرق في سنة أربع وثلاثين وسبع مائة، وكان ذلك بعد توتر أمطار عظيمة في الحجاز في تلك السنة، وكثر الماء وعلا من جانبي السد، ومن دونه مما يلي الجبل وغيره، فجاء سيل طام لا يوصف ومجراه ملاصق لقبة حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه، وقيل: جبل عنيين بفتح العين المهملة وكسر النون بين المثناة من تحت الساكنين، وفي آخره نون.

قلت: ولعله الجبل الن! ي أمر صلى الله عليه واله وسلم الرماة أن يقفوا عليه، وحفر السيل المذكور الدور، وأخر قتلى الجبل المذكور، وبقيت القبة والجبل المذكور أن في وسط السيل وتمادت مدة جريه قريبامن سنة.

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٤/٢٧

قلت: وهذاالسيل المذكور قد شاهدته، وأقمت عنده أياما وليالي، وكشف عن عين قديمة قبل الوادي، فجددهاالأمرودي صاحب المدينة الشريفة.

وفي السنة المذكورة أول ليلة من رمضان ليلة الجمعة احترق الـمسجد الشريف النبوي بعد صلاة التراويح على يد فراش في الحرم الشريف عرف بأبي بكر المراغي لسقوط ذبالةيده في المساق عن غير اختيار منه، حتى احترق هو أيضا، واحترق جميع سقف المسجد الشريف، حتى لم يبق إلاالسواري قائمة، وحيطان المسجدالشريف، والحائط الذي بناه عمر بن عبد العزيز حول حائط الحجرة الشريفة المجعول على خمسةأركان لئلا يصل إلى الضريح الطاهر الشريف، ووقع ما ذكرنامن **الحريق** بعدأن عجزعن إطفائه كل فريق.

ثم سقف المستعصم في سنة خمس من ذلك الحجرة الشريفة، وما حولها إلى الحائط القبلي، وإلى الحائط الشرقي إلى بات جبرائيل عليه السلام المعروف قديما بباب عثمان، ومن جهة المغرب إلى المنبر الشريف، ثم قتل الخليفة المستعصم في أول السنة السادسة، فوصلت الآلات من مصر من صاحبها يومئذ الملك المنصورعلى ابن الملك المعز الصالحي، ووصل أيضامن صاحب اليمن يومئذ الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول الآت وأخشاب، فعملوا إلى باب السلام المعروف قديمابباب مروان، ثم عزل صاحب مصر، وتولى مكانه مملوك أبيه الملك المظفر سيف الدين قطز سنة ثمان وخمسين، فكان العمل في تلك السنة من باب السلام إلى باب الرحمة المعروف قديمابباب عاتكة ابنة عبد الله بن زيد بن حارثة، كانت لها دار مقابل الباب، فنسب إليها ومن باب جبرائيل إلى باب النساء المعروف قديما بباب ريطة ابنة أبي العباس السفاح، وتولى مصر اخرتلك السنة." (١)

"الملك الظاهر ركن الدين الصالحي، فعمل في أيامه باقي المسجدالشريف، ولما احترق المنبر المذكور أرسل الملك المظفر صاحب اليمن في سنةست وخمسين بمنبر عمله، فوضع موضع منبر النبي صلى الله عليهوآله وسلم، ولم يزل إلى سنة ست وستين وست مائة يخطب عليه وزبنتاه من الصندل فأرسل الملك الظاهر هذا المنبر الموجود اليوم، فقلع منبر صاحب اليمن، وحمل إلى حامل الحرم، وهو باق إلى اليوم، ونصب هذا مكانه وطوله أربعة أذرع، ومن رأسه إلى عينيه سبعة أذرع يزيدقليلا، وعدد درجاته سبع بالمقعد، وبين المنبر ومصلى رسول الله صلى الله عليهوآله وسلم أربع عشرة فراعاوشبر، وبين القبر الشريف المحفوف بالنور، وبين المنبرالمشرف المذكورثلاثة وخمسون فراعا، وبين المصلىالمبارك المذكور، وبين آخر مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القديم المشكور على ما ذكره الحافظ أبو الحسن رزين بن معاويةبن عمران العبدري الـأندلسي في كتابه في ذكردارالهجرة، فإنه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زاد في مسجده زيادتين، الزيادة الأخيرة بلغت فيها مساحته منها مائة ذراع، وجعل عرضه كطوله في الإتساع قلت: هذا ما اقتصرت عليه تنبيها على ما يحتاج إليه.

وفي سنة أربع وخمسين التي وقع في **الحريق** المذكور، وظهور النار المذكورة، وكان غرق بغداد بزيادة دجلة زيادة ما سمع بمثلها، وغرق خلق كثير، ووقع شيء كثير من الدور على أهلها، وأشرف الناس على الهلاك، وغرقت المراكب في أزقة

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ١٠٣/٤

بغداد، وركب الخليفة في مركب، وابتهل الخلق إلى الله تعالى بالدعاء.
وفيها ملكت التتار سائر الروم بالسيف.
وفيهاتوفي شيخ الطريق العارف بالله ذوالتحقيق عبد الله بن محمد الرازي الصوفي، سمع الكثير من جماعة، وصحب الشيخ نجم الدين الكبري، وهومن شيوخ الدمياطي.
وفيها توفي الشيخ الكبير الشأن أوالجد والاجتهاد والأحوال عيسى بن أحمد الجويني صاحب الشيخ عبد الله بن أحمد، المتقدم ذكره، كان صواما قواما متبتلا قانتا، منقطع القرين، حسن العيش في مطعمه وملبسه يقال له: سلاب الأحوال بجدة فيه مع ذلك.
وفيها توفي الكمال أبو البركات المبارك بن حمدان الموصلي مؤلف عقود الجمان في شعراء الزمان.
وفيها توفي العلامة الواعظ المؤرخ شمس الدين أبو المظفر يوسف التركي ثم البغدادي المعروف بابن الجوزي سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي، أسمعه جده منه." (١)

"ورأيت قبيل قتله في المنام. كان القمر في السماء قد احترق بالنار، وأظن أني رأيته سقط إلى الأرض، وكان قبل ذلك بأيام قد جاء بجيش يريد أخذ مكة وقتل جماعة فيها من الفقهاء، والمجاورين على ما قيل، وقد كان مخرجا منها. ومن جملة المذكورين، القاضي الجليل الإمام الحفيل نجم الدين الطبري، جاءني، وهو خائف يقول: أين أذهب، وعندي بنات. يعني لا أستطيع الذهاب عنهن، فرأيت في المنام، في ضحى ثاني ذلك اليوم الذي قال فيه: ذلك المقال كأني شاهدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقبلت قدمه الشريفة، وقلت: يا رسول الله نجم الدين، فتبسم صلى الله عليه وآله وسلم، وقال لي: " ما يصيبه شر " فقلت له: أهل مكة، فانقبض عليه السلام، ولم يجبني بجواب، فأعدت عليه ذلك، فلم يجبني، ثم أعدت عليه ثالثا فقال: " ما عليهم إلا خير " يقول ذلك بغير بشاشة منه، ثم أقبل بالجيش عقب هذا المنام إلى أن بلغ بطن مر، فخرج إليه أخوته عطيفة، وعطاف، وآخر من أخوته مع عسكر ضعيف، فنصرهم الله عليه، وكسروه، فانهزم ولم يكن قبل ذلك يكسر، بل كانت العربان تهابه هيبة عظيمة، وكانت له سطوة، وإقبال، وسعادة عاجلة، وكان يقول: كان لأبي نمي خمس فضائل، الشجاعة، والكرم، والحلم والشعر، والسعادة، قال: فورثت هذه الخمس، خمسة من أولاده، فالشجاعة لعطيفة، والكرم لأبي الغيث، والحلم لرميثة، والشعر لسليمة، والسعادة لي حتى لو قصدت جبلا لدهكته، ثم قتل بعد كسرته المذكورة، بعد أيام يسيرة.

سنة إحدى وعشرين وسبع مائة

فيها أطلق ابن تيمية بعد الحبس بخمسة أشهر، وأقبلت الحرامية في جمع كثير، فنهبوا في بغداد علانية سوق الثلاثاء، فانتدب لهم عسكر، فقتلوا فيهم مقتلة نحو المائة، وأسروا جماعة.
ووقع الحريق الكثير بالقاهرة، ودام أياما، وذهبت الأموال، ثم ظهر فاعلوه، وهم جماعة من النصارى، يعملون قوارير ينقدح ما فيها، ويحرق، فقتل جماعة وكان أمرا مزعجا قيل: فعلوه، لإخراب كنيسة لهم، وأخرب ببغداد مواضع الفاحشة،

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٤/١٠٤

وارتفعت الخمور، وأخربت كنيسة اليهود وحج تائب دمشق، وفي صحبته خطيب البلد القاضي جلال الدين القزويني، وجماعة من العلماء والأكابر.

وفيها مات شيخ الشيعة، وفاضلهم الشمس محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم." (١)

"يكترثون، ولا يرقون، ولا يرحمون، ولا يبصرون، ولا يسمعون، يجولون في الأسواق بأصوات مرتفعة مثل زئير الأسد، تقشعر من هيبتها الجلود، وتطيش من سمعها الأحلام، بألسنة لا يفقهونها، ووجوه ظاهر عليها المنكر، لا يعرفونها. فوعزتي لأعطلن بيوتهم من كتبي وقدسي، ولأخلين مجالسهم من حديثها ودروسها، ولأوحشن مساجدهم من عمارها وزوارها، الذين كانوا يتزينون بعمارتها لغيري، ويتهجدون فيها ويتعبدون لكسب الدنيا بالدين، ويتفقهون فيها لغير الدين، ويتعلمون فيها لغير العمل. لأبدلن ملوكها بالعز الذل، وبالأمن الخوف، وبالغنى الفقر، وبالنعمة الجوع، وبطول العافية والرخاء أنواع البلاء، وبلباس الديباج والحرير مدارع الوبر والعباء، وبالأرواح الطيبة والأدهان جيف القتلى، وبلباس التيجان أطواق الحديد والسلاسل والأغلال. ثم لأعيدن فيهم بعد القصور الواسعة والحصون الحصينة الخراب، وبعد البروج المشيدة مساكن السباع، وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب، وبعد ضوء السراج دخان **الحريق**، وبعد الأنس الوحشة والقفار، ثم لأبدلن نساءها بالأسورة الأغلال، وبقلائد الدر والياقوت سلاسل الحديد، وبألوان الطيب والأدهان النقع والغبار، وبالمشي على الزرابي عبور الأسواق والأنهار والخبب إلى الليل في بطون الأسواق، وبالخدور والستور الحسور عن الوجوه والسوق والإسفار، والأرواح السموم، ثم لأدوسنهم بأنواع العذاب حتى لو كان الكائن منهم في حالق، لوصل ذلك إليه.

إني إنما أكرم من أكرمني، وإنما أهين من هان عليه أمري. ثم لآمرن السماء خلال ذلك ؛ فلتكونن عليهم طبقا من حديد، ولآمرن." (٢)

"فقضى بينهم أن يجعلوه في مرط، ثم ترفعه جميع القبائل كلهم.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا حماد بن سلمة وقيس وسلام كلهم عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة عن علي بن أبي طالب قال: لما انهدم البيت بعد جرهم بنته قريش فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه؟ فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بني شيبة فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه، وأمر كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب فرفعوه وأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه.

قال يعقوب بن سفيان: أخبرني أصبغ بن فرج أخبرني ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلم جمرت امرأة الكعبة فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة **فاحترقت** فهدموها حتى إذا بنوها

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ١٩٦/٤

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٣٦٧/٢

فبلغوا موضع الركن اختصمت قريش في الركن أي القبائل تلي رفعه؟ فقالوا: تعالوا نحكم أول من يطلع علينا فطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام عليه وشاح نمرة فحكموه فأمر بالركن فوضع في ثوب، ثم أخرج سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب، ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن فكان هو يضعه فكان لا يزداد على السن إلا رضا حتى دعوه الأمين قبل أن ينزل عليه الوحي فطفقوا لا ينحرون جزورا؛ إلا التمسوه." (١)

"وقالت عاتكة أيضا فيما نقله الأموي:

هلا صبرتم للنبي محمد ... ببدر ومن يغشى الوغى حق صابر

ولم ترجعوا عن مرهفات كأنها ... **حريق** بأيدي المؤمنين بواتر

ولم تصبروا للبيض حتى أخذتموا ... قليلا بأيدي المؤمنين المساعر

ووليتم نفرا وما البطل الذي ... يقاتل من وقع السلاح بنافر

أتاكم بما جاء النبيون قبله ... وما ابن أخي البر الصدوق بشاعر

سيكفي الذي ضيعتم من نبيكم ... وينصره الحيان عمرو وعامر

وقال طالب بن أبي طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرثي أصحاب القليب من قريش الذين قتلوا يومئذ من قومه، وهو بعد على دين قومه إذ ذاك:

ألا إن عيني أنفدت دمعها سكبا ... تبكي على كعب وما إن ترى كعبا

ألا إن كعبا في الحروب تخاذلوا ... وأرداهم ذا الدهر واجترحوا ذنبا

وعامر تبكي للملمات غدوة ... فيا ليت شعري هل أرى لهم قربا." (٢)

"غداة أتاهم يهوي إليهم ... رسول الله كالقمر المنير

له خيل مجنبة تعادى ... بفرسان عليها كالصقور

تركناهم وما ظفروا بشيء ... دماؤهم عليها كالعبير

فهم صرعى تحوم الطير فيهم ... كذاك يدان ذو العند الفجور

فأنذر مثلها نصحا قريشا ... من الرحمن إن قبلت نذيري

قال: وقال حسان بن ثابت أيضا في بني قريظة:

تفاقد معشر نصروا قريشا ... وليس لهم ببلدتهم نصير

هم أوتوا الكتاب فضيعوه ... وهم عمي من التوراة بور

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٣/٤٧٩

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥/٢٩٠

كفرتم بالقران وقد أتيتم ... بتصديق الذي قال النذير

فهان على سراة بني لؤي ... حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال:

أدام الله ذلك من صنيع ... وحرق في طوائفها السعير

ستعلم أينا منها بنزه ... وتعلم أي أرضينا تضير." (١)

"فليتوضأ ". فتوضأت وصليت، وأمرني عليهم، وأعطاني صدقتهم، فقام رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، فلان ظلمني. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا خير في الإمرة لمسلم ". ثم جاء آخر فسأل صدقة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الصدقة صداع في الرأس، وحريق في البطن، أو داء ". قال: فأعطيته صحيفتي، أو قال: صحيفة إمرتي وصدقتي. فقال: " ما شأنك؟ " فقلت: كيف أقبلها وقد سمعت منك ما سمعت؟! فقال: " هو ما سمعت» .

وذكرنا في باب الوفود من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن زياد ابن نعيم الحضرمي، عن زياد بن الحارث الصدائي في قصة وفادته، فذكر حديثا طويلا فيه: «ثم قلنا: يا رسول الله، إن لنا بئرا إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها واجتمعنا عليها، وإذا كان الصيف قل ماؤها فتفرقنا على مياه حولنا، وقد أسلمنا، وكل من حولنا عدو، فادع الله لنا في بئرنا فيسعنا ماؤها فنجتمع عليه ولا نتفرق. فدعا بسبع حصيات فعركهن بيده، ودعا فيهن ثم قال: " اذهبوا بهذه الحصيات، فإذا أتيتم البئر فألقوا واحدة واحدة واذكروا الله عز وجل ". قال الصدائي: ففعلنا ما قال لنا، فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر." (٢)

"«أن خالها حبيب بن فويك حدثها أن أباه خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئا أصلا، فسأله " ما أصابك؟ " فقال: كنت أمري جملا لي، فوقعت رجلي على بيض حية فأصيب بصري. قال: فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر، فرأيته وإنه ليدخل الخيط في الإبرة، وإنه لابن ثمانين سنة، وإن عينيه لمبيضتان.» قال البيهقي: كذا في كتابه، وغيره يقول: حبيب بن مدرك. قال وقد مضى في هذا المعنى حديث قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه، فسالت حدقته على وجنته، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضعها، فكان لا يدري أيهما أصيبت. قلت: وقد تقدم ذلك في غزوة أحد، وقد ذكرنا في مقتل أبي رافع مسحه بيده الكريمة على رجل عبد الله بن عتيك وقد انكسر ساقه، فبرأ من ساعته. وذكر البيهقي بإسناده أنه صلى الله عليه وسلم مسح يد محمد بن حاطب وقد احترقت يده بالنار، فبرأ من ساعته، وأنه، عليه." (٣)

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٢٤/٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦٢٢/٨

(٣) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦٨/٩

"فمات الرجل قبلهما. وبقي أبو هريرة وسمرة، فكان الرجل إذا أراد أن يغيظ أبا هريرة يقول: مات سمرة. فإذا سمعه غشي عليه وصعق، ثم مات أبو هريرة قبل سمرة، فقتل سمرة بشرا كثيرا.» وقد ضعف البيهقي عامة هذه الروايات ؛ لانقطاع بعضها وإرساله، ثم قال: وقد قال بعض أهل العلم: إن سمرة مات في **الحريق**. ثم قال: ويحتمل أن يورد النار بذنوبه، ثم ينجو منها بإيمانه، فيخرج منها بشفاعة الشافعين، والله أعلم.

ثم أورد من طريق هلال بن العلاء الرقي أن عبد الله بن معاوية حدثهم عن رجل قد سماه، أن سمرة استجمر فغفل عن نفسه وغفل أهله عنه حتى أخذته النار. قلت: وذكر غيره أن سمرة بن جندب، رضي الله عنه، أصابه كزاز شديد، فكان يوقد له على قدر مملوءة ماءا حارا، فيجلس فوقها؛ ليتدفأ ببخارها، فسقط يوما فيها فمات رضي الله عنه، وكان موته سنة تسع وخمسين بعد أبي هريرة بسنة، وقد كان ينوب عن زياد بن سمية في البصرة إذا سار إلى الكوفة، وفي الكوفة إذا سار إلى البصرة، فكان يقيم في كل منهما ستة أشهر من السنة، وكان شديدا على الخوارج، يكثر القتل فيهم، ويقول: هم شر قتلى تحت أديم السماء. وقد كان الحسن البصري ومحمد بن سيرين وغيرهما من." (١)

"حبيب بن فويك، حدثها «أن أباه خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئا أصلا، فقال له: " ما أصابك؟ " قال: كنت أمري جملا لي فوقعت رجلي على بيض حية، فأصيب بصري. فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر، فرأيته وإنه ليدخل الخيط في الإبرة، وإنه لابن ثمانين سنة، وإن عينيه لمبيضتان» . قال البيهقي: كذا في كتابه، وغيره يقول: حبيب بن مدرك.

وثبت في " الصحيح " «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفث في عيني علي يوم خيبر، وهو أرمد فبرأ من ساعته، ثم لم ترمد بعدها أبدا، ومسح رجل عبد الله بن عتيك، وقد انكسرت رجله ليلة قتل أبا رافع تاجر أهل الحجاز الخيبري، فبرأ من ساعته أيضا. وروى البيهقي» «أنه صلى الله عليه وسلم مسح يد محمد بن حاطب، وكانت قد **احترقت** بالنار فبرأ من ساعته، ومسح رجل سلمة بن الأكوع، وقد أصيبت يوم خيبر، فبرأت من ساعتها، ودعا لسعد بن أبي وقاص أن يشفى من مرضه ذلك فشفي» . وروى البيهقي «أن عمه أبا طالب مرض، فسأل منه صلى الله عليه وسلم." (٢)

"المال، فكان أول ما بنوا المنازل بالقصب **فاحترقت** في أثناء السنة، فبنوها باللبن عن أمر عمر، بشرط أن لا يسرفوا ولا يجاوزوا الحد. وبعث سعد إلى الأمراء والقبائل فقدموا عليه، فأنزلهم الكوفة وأمر سعد أبا هياج الموكل بإنزال الناس فيها بأن يعمروا ويدعوا للطريق المنهج وسع أربعين ذراعا، ولما دون ذلك ثلاثين أو عشرين ذراعا، وللأزقة سبعة أذرع. وبني لسعد قصر قريب من السوق، فكانت غوغاء الناس تمنع سعدا من الحديث، فكان يغلق بابه، ويقول: سكن الصويت. فلما بلغت هذه الكلمة عمر بن الخطاب بعث محمد بن مسلمة، فأمره إذا انتهى إلى الكوفة أن يقدح زناده ويجمع حطبا ويحرق باب القصر، ثم يرجع من فوره. فلما انتهى إلى الكوفة فعل ما أمره به عمر، وأمر سعدا أن لا يغلق بابه عن الناس، ولا يجعل على بابه أحدا يمنع الناس عنه، فامتثل ذلك سعد، وعرض على محمد بن مسلمة

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢٢٨/٩

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٤٠٠/٩

شيئا من المال فامتنع من قبوله، ورجع إلى المدينة. واستمر سعد بعد ذلك في الكوفة ثلاث سنين ونصفا، حتى عزله عنها عمر، من غير عجز ولا خيانة.

[قصة أبي عبيدة وحصر الروم له بحمص وقدوم عمر إلى الشام أيض ا لينصره]

وذلك أن جمعا من الروم عزموا على حصار أبي عبيدة بحمص، واستجاشوا بأهل الجزيرة وخلق ممن هنالك، وقصدوا أبا عبيدة، فبعث أبو." (١)

"فخرجت العامة إلى الطحان فقتلوه، وخرج أسقف فأخذ جسده من النهر وجعله في تابوت وحمله إلى إصطخر فوضعه في ناووس.

ويروى أنه مكث في منزل ذلك الطحان ثلاثة أيام لا يأكل حتى رق له وقال له: ويحك يا مسكين ألا تأكل؟ وأتاه بطعام فقال: إني لا أستطيع أن آكل إلا بزمزمة. فقال له: كل وأنا أزمزم لك. فسأل أن يأتيه بمزمزم، فلما ذهب يطلب له من بعض الأساورة شموا رائحة المسك من ذلك الرجل، فأنكروا رائحة المسك منه، فسألوه، فأخبرهم، فقال: إن عندي رجلا من صفته كيت وكيت. فعرفوه وقص◌دوه مع الطحان، وتقدم الطحان، فدخل عليه، وهم بالقبض عليه، فعرف يزدجرد ذلك فقال له: ويحك خذ خاتمي وسواري ومنطقتي ودعني أذهب من هاهنا. فقال: لا، أعطني أربعة دراهم وأنا أطلقك. فزاده إحدى قرطيه من أذنيه، فلم يقبل حتى يعطيه أربعة دراهم، فهم في ذلك إذ دهمهم الجند، فلما أحاطوا به وأرادوا قتله قال: ويحكم لا تقتلوني فإنا نجد في كتبنا أن من اجترأ على قتل الملوك عاقبه الله **بالحريق** في الدنيا مع ما هو قادم عليه، فلا تقتلوني واذهبوا بي إلى الملك أو إلى العرب فإنهم يستحيون م◌ن قتل الملوك. فأبوا عليه ذلك فسلبوه ما كان عليه من الحلي، فجعلوه في جراب وخنقوه بوتر وألقوه في النهر، فتعلق بعود فأخذه أسقف - واسمه إيليا - فحن عليه؛ لما كان من أسلافه من الإحسان إلى النصارى الذين كانوا ببلادهم، فوضعه في تابوت ودفنه." (٢)

"أهل الدار، وآخرون من أولئك الفجار، وجرح عبد الله بن الزبير جراحات كثيرة، وكذلك جرح الحسن بن علي، ومروان بن الحكم فقطع إحدى علباويه، فعاش أوقص حتى مات.

ومن أعيان من قتل من أصحاب عثمان، زياد بن نعيم الفهري، والمغيرة بن الأخنس بن شريق، ونيار بن عبد الله الأسلمي، في أناس وقت المعركة.

ويقال: إنه انهزم أصحاب عثمان ثم تراجعوا. ولما رأى عثمان ذلك عزم على الناس لينصرفوا إلى بيوتهم، فانصرفوا - كما تقدم - فلم يبق عنده أحد سوى أهله، فدخلوا عليه من الباب ومن الجدران، وفزع◌ عثمان إلى الصلاة وافتتح سورة طه - وكان سريع القراءة - فقرأها والناس في غلبة عظيمة، قد احترق الباب والسقيفة التي عنده، وخافوا أن يصل **الحريق** إلى بيت المال، ثم فرغ عثمان من صلاته وجلس وبين يديه المصحف، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿الذين قال لهم

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٣٥/١٠

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢٤١/١٠

الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ [آل عمران: ١٧٣] فكان أول من دخل عليه." (١)

"[ثم دخلت سنة أربع وثمانين]

قال الواقدي: فيها افتتح عبد الله بن عبد الملك بن مروان المصيصة.

وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية فقتل منهم خلقا كثيرا، وحرق كنائسهم، وضياعهم. وتسمى سنة **الحريق.**

وفيها استعمل الحجاج على فارس محمد بن القاسم الثقفي وأمره بقتل الأكراد.

وفيها ولى عبد الملك الإسكندرية عياض بن غنم التجيبي، وعزل عنها عبد الملك بن أبي الكنود الذي كان قد وليها في العام الماضي.

وفيها افتتح موسى بن نصير طائفة من بلاد المغرب من ذلك بلد أوربة، وقتل من أهلها بشرا كثيرا جدا، وأسر نحوا من خمسين ألفا.

وفيها قتل الحجاج أيضا جماعة من رؤساء أصحاب ابن الأشعث منهم:

أيوب بن القرية

وكان فصيحا بليغا واعظا، قتله صبرا بين يديه،." (٢)

"وأكثر هذه الطلسمات أو كلها كانت مودعة في سقف الجامع، مما يلي السبع، فأحرقت لما وقع فيه **الحريق**، وكان ذلك ليلة النصف من شعبان بعد العصر، سنة إحدى وستين وأربعمائة، في دولة الفاطميين، كما سيأتي ذلك في موضعه.

وقد كانت بدمشق طلسمات وضعتها اليونان، بعضها باق إلى يومنا هذا. والله أعلم.

فمن ذلك، العمود الذي في رأسه مثل الكرة بسوق الشعير عند قنطرة أم حكيم، وهذا المكان يعرف اليوم بالعلبيين، ذكر مشايخ دمشق أنه من وضع اليونان لعسر بول الحيوان، فإذا داروا بالحيوان حول هذا العمود ثلاث دورات انطلق بوله، وذلك مجرب عند اليونان.

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٣١٤/١٠

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٣٥٠/١٢

وما زال سليمان بن عبد الملك يعمل في تكملة الجامع الأموي بعد موت أخيه مدة ولايته، وجددت له فيه المقصورة، فلما ولي عمر بن عبد العزيز، عزم." (١)

"أرجة، وشوارعه فرجة، فحيث ما شئت شممت طيبا، وأين سعيت رأيت منظرا عجيبا، وأفضيت إلى جامعه، فشاهدت منه ما ليس في استطاعة الواصف أن يصفه، ولا الرائي أن يعرفه، وجملته أنه بكر الدهر، ونادرة الوقت، وأعجوبة الزمان، وغريبة الأوقات، ولقد أثبت الله، عز وجل، به ذكرا يدرس، وخلف به أمرا لا يخفى ولا يدرس.

قال ابن عساكر: وأنشدني بعض أهل الأدب لبعض المحدثين في جامع دمشق، عمره الله بذكره:

دمشق قد شاع حسن جامعها ... وما حوته ربى مرابعها

بديعة الحسن في الكمال لما ... يدركه الطرف من بدائعها

طيبة أرضها مباركة ... باليمن والسعد أخذ طالعها

جامعها جامع المحاسن قد ... فاقت به المدن في جوامعها

بنية بالإتقان قد وضعت ... لا ضيع الله سعي واضعها

تذكر في فضله ورفعته ... أخبار صدق راقت لسامعها

قد كان قبل الحريق مدهشة ... فغيرته نار بلافعها." (٢)

"فأذهبت بالحريق بهجته ... فليس يرجى إياب راجعها

إذا تفكرت في الفصوص وما ... فيها تيقنت حذق راصعها

أشجارها لا تزال مثمرة ... لا تذهب الريح من مدافعها

كأنها من زمرد غرست ... في أرض تبر تغشى بفاقعها

فيها ثمار تخالها ينعت ... وليس يخشى فساد يانعها

تقطف باللحظ لا بجارحة ال ... أيدي ولا تجتنى لبائعها

وتحتها من رخامه قطع ... لا قطع الله كف قاطعها

أحكم ترخيمها المرخم قد ... بان عليها إحكام صانعها

وإن تفكرت في قناطره ... وسقفه بان حذق رافعها

وإن تبينت حسن قبته ... تحير اللب في أضالعها

تخترق الريح في مخارمها ... عصفا فتقوى على زعازعها

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٢/٥٨٠

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٢/٥٨٥

وأرضه بالرخام قد فرشت ... ينفسح الطرف في مواضعها

مجالس العلم فيه متقنة ... ينشرح الصدر في مجامعها." (١)

"حتى لا ينسج في زواياه، فيركبه الغبار والوسخ.

قال الحافظ ابن عساكر: وسمعت جدي أبا الفضل يحيى بن علي القاضي، يذكر أنه أدرك في الجامع قبل **حريقه** طلسمات لسائر الحشرات، معلقة في السقف فوق البطائن مما يلي السبع، وأنه لم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل **الحريق**، فلما **احترقت** الطلسمات وجدت، وكان **حريق** الجامع ليلة النصف من شعبان بعد العصر سنة إحدى وستين وأربعمائة.

وقد كانت بدمشق طلسمات كثيرة، ولم يبق منها سوى العمود الذي بسوق العلبيين اليوم الذي في أعلاه مثل الكرة العظيمة، وهو لعسر بول الدواب إذا داروا بالدابة حوله ثلاث مرات انطلق.

وقد كان شيخنا العلامة أبو العباس ابن تيمية رحمه الله يقول: إنما هذا قبر مشرك متمرد مدفون هنالك يعذب، فإذا سمعت الدابة صياحه فزعت فانطلق طبعها. قال: ولهذا يذهبون بالدواب إلى مقابر اليهود والنصارى إذا مغلت فينطلق طباعها وتروث، وما ذاك إلا أنها تسمع أصواتهم وهم يعذبون. والله أعلم.." (٢)

"العامة لها: قبة أبي نواس. فكان بناؤها في سنة تسع وستين وثلاثمائة، أرخ ذلك ابن عساكر عن خط بعض الدماشقة، وأما القبة الغربية العالية التي في صحن الجامع، التي يقال لها: قبة عائشة. فسمعت شيخنا الذهبي يقول: إنها إنما بنيت في حدود سنة ستين ومائة، في أيام المهدي بن المنصور العباسي، وجعلوها لحواصل الجامع وكتب أوقافه. وأما القبة الشرقية التي على باب مشهد علي فيقال: إنها بنيت في زمن الحاكم العبيدي في حدود سنة أربعمائة.

وأما الفوارة التي تحت درج جيرون فعملها الشريف فخر الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسن بن العباس الحسيني، وكأنه كان ناظر الجامع، وجر إليها قطعة من حجر كبير من قصر حجاج، وأجرى فيها الماء ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من ربيع الأول سنة سبع عشرة وأربعمائة، وعملت حولها قناطر، وعقد عليها قبة، ثم سقطت القبة بسبب جمال تحاكت عندها وازدحمت، وذلك في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة، فأعيدت، ثم سقطت أعمدتها وما عليها من **حريق** اللبادين ودار الحجارة في شوال سنة اثنتين وستين وخمسمائة. ذكر ذلك كله الحافظ ابن عساكر.

قلت: وأما القصعة التي كانت في الفوارة، فما زالت وسطها، وقد أدركتها." (٣)

"كذلك، ثم رفعت بعد ذلك.

وكان بطهارة جيرون قصعة أخرى مثلها، فلم تزل بها، ثم لما انهدمت اللبادين بسبب **حريق** النصارى في سنة إحدى

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥٨٦/١٢

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥٩٨/١٢

(٣) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦٠٠/١٢

وأربعين وسبعمائة، استؤنف بناء الطهارة على وجه آخر أحسن مما كانت، وذهبت تلك القصعة فلم يبق لها أثر، ثم عمل الشاذروان الذي هو شرقي فوارة جيرون بعد الخمسمائة، أظنه سنة أربع عشرة وخمسمائة. والله أعلم.

[ذكر ابتداء أمر السبع بالجامع الأموي]

قال أبو بكر بن أبي داود: ثنا أبو عامر موسى بن عامر المري، ثنا الوليد هو ابن مسلم قال: قال أبو عمرو الأوزاعي، عن حسان بن عطية قال: الدراسة محدثة، أحدثها هشام بن إسماعيل المخزومي في قدمته على عبد الملك، فحجبه عبد الملك، فجلس بعد الصبح في مسجد دمشق فسمع قراءة، فقال: ما هذا؟ فأخبر أن عبد الملك يقرأ في الخضراء، فقرأ هشام بن إسماعيل، فجعل عبد الملك يقرأ بقراءة هشام، فقرأ بقراءته مولى له، فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد، فقرءوا بقراءته.

وقال هشام بن عمار خطيب دمشق: ثنا أيوب بن حسان، ثنا الأوزاعي،." (١)

"كان لا يفضل عليه أحد في زمانه، وكان عابدا ورعا زاهدا كثير الخشوع وقيل: إنه وقع في داره **حريق** فأطفئوه، وهو في الصلاة لم يشعر به، وله مناقب كثيرة، رحمه الله. قلت: وانهدمت مرة ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدتها، وإنه لفي المسجد في صلاته فما التفت.

وقال ابنه: رأيته ساجدا، وهو يقول: متى ألقاك وأنت عني راض؟ ثم يذهب في الدعاء ثم يقول: متى ألقاك وأنت عني راض؟ وكان إذا كان في غير صلاة كأنه في الصلاة، وقد تقدمت ترجمته.

حنش بن عبد الله بن عمرو الصنعاني

كان والي إفريقية و بلاد المغرب وبإفريقية توفي غازيا، وله روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة.

خارجة بن زيد بن الضحاك، الأنصاري المدني الفقيه، كان يفتي بالمدينة، وكان من فقهائها المعدودين، كان عالما بالفرائض وتقسيم المواريث، وهو أحد الفقهاء السبعة الذين مدار الفتوى على قولهم.." (٢)

"دم، أو ممن يسعى في الأرض فسادا، أو عنده حق لأحد، فكان من جملة من أخرج من المطبق يعقوب بن داود مولى بني سليم، والحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن، وأمر الخليفة بصيرورة الحسن بن إبراهيم إلى نصير الخادم ليحترز عليه.

وكان الحسن قد عزم على الهرب من السجن قبل خروجه منه، فلما خرج يعقوب بن داود من السجن، ناصح الخليفة بما كان عزم عليه الحسن بن إبراهيم، فنقله الخليفة من السجن، وأودعه عند نصير الخادم ليحتاط عليه، وحظي يعقوب بن داود عند المهدي جدا حتى صار يدخل عليه في الليل بلا استئذان، وجعله الخليفة على أمور كثيرة فوضها إليه، وأطلق له مائة ألف درهم، وما زال عنده كذلك حتى تمكن المهدي من الحسن بن إبراهيم، فسقطت منزلة يعقوب عند المهدي. وقد عزل المهدي نوابا كثيرة عن البلاد، وولى بدلهم عليها.

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦٠١/١٢

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦٦٣/١٢

وفي هذه السنة تزوج المهدي بابنة عمه أم عبد الله بنت صالح بن علي، وأعتق جاريته الخيزران، وتزوجها أيضا، وهي أم الرشيد.

وفيها وقع **حريق** عظيم في السفن التي بدجلة بغداد.

ولما ولي المهدي سأل عيسى بن موسى – وكان ولي العهد من بعد المهدي – أن يخلع نفسه من الأمر، فامتنع على المهدي، وسأل أن يقيم بأرض الكوفة في ضيعة له، فأذن له، وكان قد استقر على إمرة الكوفة روح بن حاتم، فكتب إلى المهدي: إن عيسى بن موسى لا يأتي الجمعة ولا الجماعة مع الناس إلا." (١)

"وطول صياح لداعي الصباح ... السلاح السلاح فما يستفيق

فهذا طريح وهذا جريح ... وهذا **حريق** وهذا غريق

وهذا قتيل وهذا تليل ... وآخر يشدخه المنجنيق

هناك اغتصاب وثم انتهاب ... ودور خراب وكانت تروق

إذا ما سمونا إلى مسلك ... وجدناه قد سد عنا الطريق

فبالله نبلغ ما نرتجيه ... وبالله ندفع ما لا نطيق

قال ابن جرير: هذا الشعر ينشد لعلي بن أمية في فتنة المخلوع والمأمون.

وقد استمرت الفتنة والقتال ببغداد بين أبي أحمد أخي المعتز وبين محمد بن عبد الله بن طاهر نائب المستعين، والبلد محصور وأهله في ضيق شديد جدا بقية شهور هذه السنة، وقتل من الفريقين خلق كثير في وقعات متعددات، وأيام نحسات ؛ فتارة يظهر أصحاب أبي أحمد، ويأخذون بعض الأبواب، فتحمل عليهم الطاهرية فيزيحونهم عنها، ويقتلون منهم خلقا، ثم يتراجعون إلى مواقفهم ويصابرونهم مصابرة عظيمة، لكن أهل بغداد كل ما لهم إلى ضعف بسبب قلة الميرة والجلب إلى داخل البلد.

ثم شاع بين العامة أن محمد بن عبد الله بن طاهر يريد أن يخلع المستعين ويبايع للمعتز، وذلك في أواخر السنة، فتنصل من ذلك، واعتذر إلى." (٢)

"واتفق أنه وقع بها **حريق** عند كنيسة مريم، فنهض بنفسه إليه ومعه أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الحافظ الدمشقي، وكاتبه أبو عبد الله أحمد بن محمد الواسطي، ثم أمر كاتبه أن يخرج من مال الأمير سبعين ألف دينار تصرف إلى أهل الدور والأموال التي أحرقت، فصرف إليهم جميع قيمة ما ذكروه، وبقي أربعة عشر ألف دينار، فأمر بها أن توزع عليهم على قدر حصصهم، ثم أمر بمال عظيم يفرق على فقراء دمشق وغوطتها، فأقل ما حصل للفقير دينار، رحمه الله.

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٤٧٨/١٣

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٤٨٣/١٤

ثم خرج إلى أنطاكية فحاصر بها صاحبها سيما حتى قتله، وتسلم البلد - كما ذكرنا ذلك فيما تقدم - ثم كانت وفاته بمصر في أوائل ذي القعدة من هذه السنة من علة أصابته من أكل لبن الجواميس، فأصابه ذرب، فداواه الأطباء، فلم يقبل منهم، فكان يأكل منه في الخفية، فمات. رحمه الله.

وقد ترك من الأموال والأثاث والدواب شيئا كثيرا جدا ; من ذلك عشرة آلاف ألف دينار، وكان له ثلاثة وثلاثون ولدا ; منهم سبعة عشر ذكرا، فقام." (١)

[من توفي فيها من الأعيان]

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان:

النسائي أحمد.

بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبو." (٢)

"[سنة سبع وثلاثمائة]

[الأحداث التي وقعت فيها]

ثم دخلت سنة سبع وثلاثمائة

في صفر منها وقع **حريق** بالكرخ في الباقلانيين هلك فيه خلق كثير من الناس.

وفي ربيع الآخر منها دخل بأسارى من الكرخ نحو من مائة وخمسين أسيرا أنقذهم الأمير بدر الحمامي.

وفي ذي القعدة انقض كوكب عظيم غالب الضوء وتقطع ثلاث قطع وسمع بعد انقضاضه صوت رعد شديد هائل من غير غيم. ذكره ابن الجوزي.

وفيها دخلت القرامطة إلى البصرة فأكثروا فيها الفساد.

وفيها عزل حامد بن العباس عن الوزارة وأعيد إليها أبو الحسن بن الفرات المرة الثالثة.

وفيها كسرت العامة أبواب السجون فأخرجوا من كان بها، فأدركت الشرطة الذين أخرجوا من السجن فلم يفتهم أحد منهم، بل ردوا إلى السجون.

وحج بالناس في هذه السنة أحمد بن العباس أخو أم موسى القهرمانة.

[من توفي فيها من الأعيان]

وممن توفي فيها من الأعيان:

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥٩١/١٤

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٧٩٢/١٤

أحمد بن علي بن المثنى.

أبو يعلى الموصلي صاحب " المسند " المشهور، سمع الإمام أحمد بن حنبل وطبقته وكان حافظا خيرا حسن." (١)

"[سنة تسع وثلاثمائة]

[الأحداث التي وقعت فيها]

ثم دخلت سنة تسع وثلاثمائة

فيها وقع **حريق** كثير في نواحي بغداد بسبب زنديق قتل فألقى من كان من جهته **الحريق** في أماكن كثيرة فهلك بسبب ذلك خلق كثير من الناس.

وفي جمادى الأولى منها قلد المقتدر مؤنسا الخادم بلاد مصر والشام ولقبه المظفر وكتب بذلك في المراسلات إلى الآفاق.

وفي ذي القعدة منها أحضر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - رحمه الله - إلى دار الوزير عيسى بن علي لمناظرة الحنابلة في أشياء نقموها عليه فلم يحضروا ولا واحد منهم.

وقدم الوزير حامد بن العباس للخليفة بستانا بناه وسماه الناعورة قيمته مائة ألف دينار وفرش مساكنه بأنواع المفارش المفتخرة.

وفيها كان مقتل الحسين بن منصور الحلاج ولنذكر شيئا من ترجمته وسيرته وكيفية قتله، على وجه الإيجاز وبيان المقصود بطريق الإنصاف والعدل.

[فتنة الحلاج]

[ترجمة الحلاج]

وهذه نبذة من سيرته وأحواله وكشف سريرته وأقواله

الحسين بن منصور بن محمي الحلاج أبو مغيث، ويقال أبو عبد الله،." (٢)

"[ثم دخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

كتب ملك الروم، وهو الدمستق - لعنه الله - إلى أهل السواحل أن يحملوا إليه الخراج وإلا قاتلهم، فأبوا عليه، فركب إليهم في أول هذه السنة، فعاث في الأرض فسادا، ودخل ملطية فقتل من أهلها كثيرا وأسر، وأقام بها ستة عشر يوما، وجاء أهلها إلى بغداد يستنجدون الخليفة عليه.

ووقع ببغداد **حريق** في مكانين، مات بسببه خلق كثير، واحترق بأحدهما ألف دار ودكان، وجاءت الكتب بموت الدمستق ملك النصارى - لعنه الله - فقرئت الكتب على المنابر بذلك، وجاءت الكتب من مكة أن أهلها في غاية

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٤/٨١٢

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٤/٨١٨

الانزعاج بسبب اقتراب القرمطي إليهم وقصده إياهم، فرحلوا منها إلى الطائف وتلك النواحي، وهبت ريح عظيمة بنصيبين اقتلعت الأشجار وهدمت البيوت.

قال ابن الجوزي: وفي يوم الأحد لثمان مضين من شوال منها - وهو سابع كانون الأول - سقط ببغداد ثلج عظيم جدا وحصل بسببه برد شديد، بحيث أتلف كثيرا من النخيل والأشجار، وجمدت الأدهان حتى الأشربة، وماء الورد، والخل، والخلجان الكبار، ودجلة.

وعقد بعض مشايخ الحديث." (١)

"القائم بأمر الله بن المهدي المدعي أنه فاطمي، وقد تلقب بأمير المؤمنين، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد، الملقب بالناصر الأموي، وخراسان وما وراء النهر في يد السعيد نصر بن أحمد الساماني، وطبرستان وجرجان في يد الديلم، والبحرين واليمامة وهجر في يد أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي، لعنه الله.

وفيها وقع ببغداد غلاء عظيم وفناء كثير، بحيث عدم الخبز منها خمسة أيام، ومات من أهل البلد خلق كثير، وأكثر ذلك كان في الضعفاء، وكان الموتى يلقون في الطرقات ليس لـ◌هم من يقوم بأمرهم، ويحمل على الجنازة الواحدة الاثنان من الموتى، وربما يوضع بينهم صبي، وربما حفرت الحفرة الواحدة فتوسع حتى يوضع فيها جماعة، ومات من أصبهان نحو مائتي ألف إنسان.

ووقع فيها حريق بعمان احترق فيه من السودان ألف، ومن البيضان خلق كثير، وكان من جملة ما احترق فيه أربعمائة حمل كافور.

وعزل الخليفة أحمد بن كيغلغ عن نيابة الشام وأضاف ذلك إلى ابن طغج نائب الديار المصرية.

وفيها ولد عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة بن بويه بأصبهان.

[من توفي فيها من ال◌أعيان]

وممن توفي فيها من الأعيان:

ابن مجاهد المقرئ

أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد." (٢)

"الخليفة بذلك قهرا، ولم يتفق اجتماع الخليفة والبريدي ببغداد حتى خرج البريدي منها إلى واسط وذلك أنه ثارت عليه الديالمة، والتفوا على كبيرهم كورتكين، وراموا حريق دار البريدي حين قبض المال من الخليفة ولم يعطهم شيئا، وكانت البجكمية طائفة أخرى قد اختلفت معه أيضا، وهم والديالم قد صاروا حزبين، فانهزم البريدي من بغداد

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢١/١٥

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٩٦/١٥

يوم سلخ رمضان، فاستولى كورتكين على الأمور ببغداد، ودخل إلى المتقي، فقلده إمرة الأمراء، وخلع عليه، واستدعى المتقي لله علي بن عيسى وأخاه عبد الرحمن، ففو ض إلى عبد الرحمن تدبير الأمور من غير تسمية بوزارة، ثم قبض كورتكين على رئيس الأتراك تكينك غلام بجكم وغرقه. ثم تظلمت العامة من الديلم ؛ أنهم يأخذون منهم دورهم، فشكوا ذلك إلى كورتكين، فلم يشكهم، فمنعت العامة الخطباء أن يصلوا في الجوامع، واقتتل الديلم والعامة، فقتل من الفريقين خلق كثير وجم غفير.

وكان الخليفة قد كتب إلى أبي بكر محمد بن رائق صاحب الشام يستدعيه إليه ليخلصه من الديلم والبريدي، فركب إلى بغداد في العشرين من رمضان، ومعه جيش عظيم، وقد صار إليه من الأتراك البجكمية خلق كثير، وحين وصل إلى الموصل حاد عن طريقه ناصر الدولة بن حمدان، فتراسلا ثم اصطلحا، وحمل ابن حمدان إلى ابن رائق مائة ألف دينار، فلما اقترب ابن رائق من بغداد خرج كورتكين في جيشه ليقاتله، فدخل ابن رائق بغداد من غربيها، ورجع كورتكين بجيشه من شرقيها، ثم تصافوا ببغداد للقتال، فساعدت العامة ابن رائق على كورتكين، فانهزم الديلم، وقتل منهم خلق كثير، وهرب." (١)

"والعبادة، خرج من بغداد لما كثر بها السب للصحابة، وأودع كتبه ببغداد، فاحترقت الدار التي هي فيها، وعدمت مصنفاته، وقصد دمشق فأقام بها حتى مات في هذه السنة، وقبره بباب الصغير يزار قريبا من قبور الشهداء.

وفي مصنفه هذا " المختصر " في كتاب الحج: ويأتي الحجر الأسود ويقبله إن كان هناك. وإنما قال ذلك لأن تصنيفه لهذا الكتاب كان حال كون الحجر الأسود بأيدي القرامطة حين أخذوه من مكانه في سنة سبع عشرة وثلاثمائة كما ذكرنا، ولم يردوه إلا سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، كما سيأتي بيانه في موضعه.

قال الخطيب: قال لي القاضي أبو يعلى: كانت له مصنفات كثيرة وتخريجات على المذهب لم تظهر؛ لأنه خرج عن مدينة السلام لما ظهر سب الصحابة، وأودع كتبه، فاحترقت الدار التي هي فيها، واحترقت الكتب فيها ولم تكن قد انتشرت ؛ لبعده عن البلد.

ثم روى الخطيب من طريقه، عن أبي الفضل بن عبد السميع الهاشمي، عن الفتح بن شخرف، قال: رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب." (٢)

"[ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

فيها كانت فتنة بين الرافضة وأهل السنة، قتل فيها خلق كثير، ووقع حريق بباب الطاق، وغرق في دجلة خلق كثير من الحجاج من أهل الموصل نحو من ستمائة نفس، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها دخلت الروم طرسوس والرها فقتلوا وسبوا، وغنموا ورجعوا سالمين، لعنهم الله.

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٥/١٣٣

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٥/١٧٢

وفيها قلت الأمطار، وغلت الأسعار، واستسقى الناس فلم يسقوا، وظهر جراد عظيم في آذار، فأكل ما نبت من الخضراوات، فاشتد الأمر جدا، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

وفيها عاد معز الدولة إلى بغداد من الموصل وزوج ابنته من ابن أخيه مؤيد الدولة بن معز الدولة، وسيرها معه إلى الري.

[من توفي فيها من الأعيان]

وممن توفي فيها من الأعيان:

إبراهيم بن شيبان، أبو إسحاق القرميسيني

شيخ الصوفية بالجبل." (١)

"وفيها احترق الكرخ ببغداد، وكان سببه أن صاحب المعونة ضرب رجلا من العامة فمات، فثار به العامة وجماعة من الأتراك، فهرب منهم فدخل دارا، فأخرجوه مسحوبا، وقتلوه وحرقوه، فركب الوزير أبو الفضل الشيرازي - وكان شديد التعصب للسنة - وبعث حاجبه إلى أهل الكرخ، فألقى في دورهم النار، **فاحترقت** طائفة كثيرة من الدور والأموال من ذلك ثلاثمائة دكان وثلاثة وثلاثون مسجدا، وسبعة عشر ألف إنسان، فعند ذلك عزل عز الدولة بختيار بن معز الدولة وزيره هذا عن الوزارة، وولاها محمد بن بقية، فتعجب الناس من ذلك كثيرا، وذلك أن هذا الرجل كان وضيعا عند الناس لا حرمة له، كان أبوه فلاحا بقرية أوانا وكان هو ممن يخدم عز الدولة، يقدم له الطعام، ويحمل منديل الزفر على كتفه إلى أن ولي الوزارة، ومع هذا كان أشد ظلما للرعية من الذي قبله، وكثر في زمانه العيارون ببغداد، وفسدت الأمور ببغداد، ووقع الخلاف بين عز الدولة وبين حاجبه سبكتكين ثم اصطلحا على دخن.

وفيها كان دخول المعز الفاطمي إلى الديار المصرية، وصحبته توابيت آبائه فوصل إلى الإسكندرية في شعبان منها، وقد تلقاه أعيان مصر إليها، فخطب الناس هنالك خطبة بليغة ارتجالا، ذكر فيها فضلهم وشرفهم، وقد كذب فقال فيها: إن الله أغاث الرعايا بهم وبدولتهم، وحكى ذلك عنه قاضي." (٢)

"وتحقق العداوة بينه وبين عز الدولة، وركب من فوره في الأتراك، فحاصروا دار عز الدولة ببغداد يومين، ثم أنزل أهله منها، ونهب ما فيها وأحدرهم من دجلة إلى واسط منفيين، وكان قد عزم على بعث الخليفة إليه، فعفا عنه وأقره بداره وقويت شوكة سبكتكين والأتراك ببغداد، ونهبت الأتراك دور الديلم، وخلع سبكتكين على رؤساء العامة ؛ لأنهم كانوا معه على الديلم، وقويت السنة على الشيعة، وأحرقوا الكرخ **حريقا** ثانيا، وظهرت السنة على أيدي الأتراك، وخلع المطيع، وولي ولده الطائع لله على ما سنذكره، إن شاء الله تعالى.

خلافة الطائع وخلع أبيه المطيع لله

ذكر ابن الأثير أنه لما كان اليوم الثالث عشر من ذي القعدة - وقال ابن الجوزي في " منتظمه ": كان ذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة من هذه السنة - خلع المطيع لله وذلك لفالج أصابه، فثقل لسانه، فسأله سبكتكين أن

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٥/٢٣٧

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٥/٣٣٨

يخلع نفسه، ويولي من بعده ولده الطائع، فأجاب إلى ذلك فعقدت البيعة للطائع بدار الخلافة على يدي الحاجب سبكتكين، وخلع أبوه المطيع بعد تسع وعشرين سنة كانت له في الخلافة، ولكن تعوض بولاية ولده.

واسم الطائع أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله أبي القاسم الفضل بن المقتدر." (١)

"[ثم دخلت سنة سبع وستين وثلاثمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

في هذه السنة دخل عضد الدولة إلى بغداد وخرج منها عز الدولة بختيار بن معز الدولة، واتبعه عضد الدولة ليقاتله، وأخذ معه الخليفة الطائع لله فاستعفاه الخليفة من الخروج فأعفاه، وسار عضد الدولة وراءه، فأخذه أسيرا، ثم قتل سريعا، وتصرمت دولته، واستقر أمر عضد الدولة ببغداد، وخلع عليه الخليفة الخلع السنية والأسورة في يديه والطوق في عنقه، وأعطاه لواءين ؛ أحدهما فضة والآخر ذهب، ولم يكن هذا الثاني يصنعه إلا لأولياء العهد، وأرسل إليه الخليفة بتحف سنية، وبعث عضد الدولة إلى الخليفة أموالا جزيلة من الذهب والفضة، واستقرت يده على بغداد وما والاها من البلاد.

وزلزلت بغداد مرارا في هذه السنة.

وزادت دجلة زيادة كثيرة، وانبثقت بثوق كثيرة، غرق بسببها خلق كثير وجم غفير.

وقيل لعضد الدولة: إن أهل بغداد قد قلوا كثيرا بسبب الطاعون وما وقع بينهم من الفتن بسبب الرفض والسنة، وأصابهم حريق وغرق، فقال: إنما يهيج." (٢)

"[ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

في ربيع الأول منها وقع حريق عظيم بالكرخ من بغداد.

وفيها سرق شيء نفيس لعضد الدولة، فعجب الناس من ذلك ؛ لشدة هيبة عضد الدولة، ثم مع هذا اجتهدوا كل الاجتهاد، فلم يعرف من أخذه. ويقال: إن صاحب مصر بعث من فعل هذا، فالله أعلم.

[من توفي فيها من الأعيان]

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس، أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني

الحافظ الكبير الرحال الجوال سمع الكثير، وحدث وخرج وصنف، فأفاد وأجاد، وأحسن الانتقاد والاعتقاد، صنف كتابا على " صحيح البخاري " فيه فوائد كثيرة وعلوم غزيرة.

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٣٤٥/١٥

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٣٨٢/١٥

قال الدارقطني: كنت عزمت غير مرة على الرحلة إليه، فلم أرزق.

وكانت وفاته يوم السبت عاشر رجب سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، وهو." (١)

"[ثم استهلت سنة ثمانين وثلاثمائة من الهجرة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

فيها قلد الشريف أبو أحمد الحسن بن موسى الموسوي نقابة الأشراف الطالبيين، والنظر في المظالم، وإمرة الحاج، وكتب عهده بذلك، واستخلف ولداه المرتضى أبو القاسم، والرضي أبو الحسن على النقابة، وخلع عليهما من دار الخلافة.

وفيها تفاقم أمر العيارين ببغداد، وصار الناس أحزابا، في كل محلة أمير مقدم، واقتتل الناس، وأخذت الأموال، واتصلت الكبسات، وأحرقت الدور الكبار، ووقع **حريق** بالنهار في نهر الدجاج، فاحترق بسببه شيء كثير للناس.

[من توفي فيها من الأعيان]

وممن توفي فيها من الأعيان:

يعقوب بن يوسف، أبو الفرج بن كلس

وزير صاحب مصر العزيز بن المعز الفاطمي، وكان شهما فهما، ذا همة عالية، وتدبير جيد، وكلمة نافذة عند مخدومه، وقد فوض إليه أموره في سائر مملكته، ولما مرض عاده العزيز، ووصاه الوزير فيما يتعلق بمملكته، ولما مات دفنه في قصره، وتولى دفنه بيده، وحزن عليه كثيرا، وأغلق الديوان أياما من شدة حزنه عليه.." (٢)

[من توفي فيها من الأعيان]

وممن توفي فيها من الأعيان:

بكر بن شاذان بن بكر، أبو القاسم المقرئ الواعظ

"[ثم دخلت سنة سبع وأربعمائة

[ما وقع فيها من الأحداث]

في ربيع الأول منها، احترق مشهد الحسين بن علي بكربلاء وأروقته، وكان سببه أن القومة أشعلوا شمعتين كبيرتين، فمالتا في الليل على التأزير فاحترق، ونفذت النار منه إلى غيره حتى كان منه ما كان.

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٥/٤٠٥

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٥/٤٣٦

وفي هذا الشهر أيضا احترقت دار القطن ببغداد وأماكن كثيرة بباب البصرة واحترق جامع سامرا.

وفي هذا الشهر ورد الخبر بتشعيث الركن اليماني من المسجد الحرام، وسقوط جدار بين يدي قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه سقطت القبة الكبيرة على صخرة بيت المقدس وهذا من أغرب الاتفاقات وأعجبها.

وفي هذه السنة قتلت الشيعة الذين ببلاد إفريقية ونهبت أموالهم، ولم يترك منهم إلا من لا يعرف.

وفيها كان امتداد دولة العلويين بالأندلس، وليها علي بن حمود بن أبي العيش العلوي، فدخل قرطبة في المحرم من هذه السنة، وقتل سليمان بن الحكم الأموي، وقتل أباه أيضا، وكان شيخا صالحا، وبايعه الناس، وتلقب بالمتوكل على الله، ثم قتل في الحمام في ثامن عشر ذي القعدة من هذه." (١)

"[ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

في المحرم كثر تردد الأعراب في قطع الطريق إلى حواشي بغداد وما حولها، بحيث كانوا يستلبون ما على النساء، ومن أسروه أخذوا ما معه وطالبوه بفداء نفسه، واستفحل أمر العيارين ببغداد، وكثرت شرورهم وإفسادهم.

وفي مستهل صفر زادت دجلة بحيث ارتفع الماء على الضياع ذراعين، وسقط من البصرة في مدة ثلاثة أيام نحو من ألفي دار.

وفي شعبان منها ورد كتاب من مسعود بن محمود بن سبكتكين بأنه قد فتح فتحا عظيما في الهند، وقتل منهم خمسين ألفا، وأسر تسعين ألفا، وغنم شيئا كثيرا. ولله الحمد والمنة.

ووقعت فتنة بين أهل بغداد والعيارين، ووقع حريق كثير في أماكن متعددة منها، واتسع الخرق على الراقع. ولم يحج أحد من هؤلاء، ولا من أهل خراسان في هذا العام.

[من توفي فيها من الأعيان]

وممن توفي فيها من الأعيان:." (٢)

"[ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

فيها تجدد الشر والقتال والحريق بين الروافض والسنة، وقوي، وتفاقم الحال.

ووردت الأخبار بأن الغز على قصد العراق.

وفيها نقل إلى الملك طغرلبك أن الشيخ أبا الحسن الأشعري يقول بكذا وكذا، وذكر أشياء من الأمور التي أنكرها الملك، فأمر بلعنه، وصرح أهل نيسابور بتكفير من يقول ذلك، فضج أبو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوازن، وصنف رسالة سماها " شكاية أهل السنة لما نالهم من المحنة "، واستدعى السلطان جماعة من رءوس الأشاعرة، منهم القشيري،

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٥/٥٧٠

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٥/٦٥٣

فسألهم عما أنهي إليه من ذلك، فأنكروا أن يكون الأشعري قال ذلك، فقال: نحن إنما لعنا من يقول بذلك. وجرت فتن طويلة.

وفيها استولى فولاستون أبو منصور بن الملك أبي كاليجار على شيراز وخرج منها أخوه أبو سعد.." (١)

"قال ابن الجوزي: وفي يوم الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة احترقت قطيعة عيسى، وسوق الطعام، والكنيس، وأصحاب السقط، وباب الشعير، وسوق العطارين، وسوق العروس، والأنماط، والخشابين، والجزارين، والتمارين، والقطيعة، وسوق محول، ونهر الدجاج، وسويقة غالب والصفارين والصباغين، وغير ذلك من المواضع، وهذه مصيبة أخرى ما بالناس من الغلاء والفناء.

وفيها كثر العيارون ببغداد، وأخذوا الأموال جهارا، وكبسوا الدور ليلا ونهارا، وكبست دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة، وأحرقت كتبه ومنابره ودفاتره التي كان يستعملها في بدعته، ويدعو إليها أهل نحلته، ولله الحمد.

وفيها دخل الملك طغرلبك بغداد عائدا إليها من الموصل وقد تسلمها واستعادها من البساسيري وسلمها إلى أخيه إبراهيم ينال، فأحسن فيهم السيرة، وحسنت منه العلانية والسريرة، فلله الحمد، فتلقاه الأمراء والوزراء إلى أثناء الطريق، وأحضر له رئيس الرؤساء خلعة من الخليفة فرجية مجوهرة فلبسها،." (٢)

"[ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

في يوم عاشوراء أغلق أهل الكرخ دكاكينهم وأحضروا نساء فنحن على الحسين كما جرت به سالف عادات بدعهم المتقدمة، فحين وقع ذلك أنكرته العامة، وطلب الخليفة أبا الغنائم نقيب الطالبيين، وأنكر ذلك عليه، فاعتذر بأنه لم يعلم بذلك، وأنه حين علم به أزاله وتردد أهل الكرخ إلى الديوان يعتذرون من ذلك، ويتنصلون منه وخرج التوقيع بكفر من يسب الصحابة ويظهر البدع.

قال ابن الجوزي: في ربيع الأول ولد بباب الأزج صبية لها رأسان ووجهان ورقبتان وأربع أيدي على بدن كامل ثم ماتت. قال: وفي جمادى الآخرة كانت زلزلة بخراسان لبثت أياما تصدعت منها الجبال وأهلكت جماعة وخسفت بعدة قرى وخرج الناس إلى الصحراء وأقاموا هنالك، ووقع حريق بنهر معلى من بغداد فأحرق مائة دكان وثلاثة دور وذهب للناس شيء كثير ونهب الناس بعضهم بعضا.

قال ابن الجوزي: وفي شعبان وقع قتال بدمشق فضربوا دارا كانت مجاورة من الجامع بالنار فاحترق جامع دمشق كذا قال ابن الجوزي ؛ والمشهور أن حريق جامع دمشق إنما كان سنة إحدى وستين." (٣)

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٧٢٤/١٥

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٧٤٣/١٥

(٣) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٧/١٦

"وأربعمائة بعد ثلاث سنين. وأن غلمان الفاطميين اقتتلوا مع غلمان العباسيين فألقيت نار بدار الإمارة – وهي الخضراء – **فاحترقت** وتعدى **حريقها** إلى أن وصل إلى الجامع فسقطت سقوفه وزخرفته ورخامه وبقي كأنه خرابة وبادت الخضراء فصارت كوما من تراب، بعدما كانت في غاية الإحكام والإتقان وطيب الغناء وحسن البناء فهي إلى يومنا هذا لا يسكنها – لرداءة مكانها – إلا سفلة الناس وسقاطهم بعدما كانت دار الملك والإمارة منذ أسسها معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه. وأما الجامع فإنه لم يكن على وجه الأرض بناء أحسن منه، إلى أن احترق فبقي خرابا مدة طويلة ثم شرع الملوك في تجديده وترميمه حتى بلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب، ولم يزل في تحسين معالمه إلى زماننا هذا فتماثل حاله بعض التماثل، وهو بالنسبة إلى حاله الأول كلا شيء، ولا زال التحسين فيه إلى أيام الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله الناصري في حدود سنة ثلاثين وسبعمائة وما قبلها وما بعدها بيسير.

وفيها رخصت الأسعار ببغداد رخصا بينا. ونقصت دجلة نقصا ظاهرا. وفيها أخذ الملك ألب أرسلان العهد بالملك من بعده لولده ملكشاه ومشى بين يديه بالغاشية، والأمراء بين يديه يتماشون بالخلع، وكان يوما مشهودا.

وحج بالناس في هذه السنة نور الهدى أبو طالب الحسين بن نظام الحضرتين." (١)

"وافتقاد المستورين بالبر، والصدقة على المحاويج وإخفاء ذلك جهده وطاقته، ومن غريب ما وقع له: أنه كان يبر إنسانا في كل سنة بعشرة دنانير، يكتب له بها على رجل يقال له: ابن رضوان فلما توفي الشيخ جاء الرجل إلى ابن رضوان فقال ادفع إلي ما كان يصرف لي الشيخ فقال له ابن رضوان: إن الذي كان يكتب لك علي قد مات، ولا أقدر أن أصرف لك شيئا، فذهب الرجل إلى قبر الشيخ الأجل فقرأ شيئا من القرآن وترحم عليه، ثم التفت فإذا هو بكاغد فيه عشرة دنانير، فأخذها وجاء بها إلى ابن رضوان فذكر له ذلك، فقال له ابن رضوان: هذه يا أخي سقطت مني اليوم عند قبره فخذها ولك علي مثلها في كل عام.

كانت وفاته المنتصف من محرم من هذه السنة عن خمس وستين سنة، وكان يوم موته يوما مشهودا حضره خلق من الناس لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل فرحمه الله تعالى، وأكرم مثواه.

أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي

فقيه الشيعة ودفن في مشهد علي وكان مجاورا به حين **احترقت** داره – بالكرخ – وكتبه، سنة ثمان وأربعين إلى محرم هذه السنة فتوفي ودفن هناك.." (٢)

"[ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

في ليلة النصف من شعبان من هذه السنة كان **حريق** جامع دمشق وكان سببه أن غلمان الفاطميين والعباسيين اختصموا فيما بينهم فألقيت نار بدار الملك – وهي الخضراء المتاخمة للجامع من جهة القبلة – **فاحترقت**، وسرى **حريقها** إلى

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٨/١٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٦/١٦

الجامع فسقطت سقوفه وتناثرت فصوصه المذهبة التي على جدرانه، وتقلعت الفسيفساء التي كانت في أرضه وعلى جدرانه، وتغيرت معالمه ومحاسنة وتبدلت بهجته بضدها، وقد كانت سقوفه مذهبة مبطنة كلها والجملونات من فوقها، وجدرانه بالفصوص المذهبة الملونة، مصور فيها جميع بلاد الدنيا ؛ الكعبة ومكة في المحراب، والبلاد كلها شرقا وغربا، كل في مكانه اللائق به ومصور فيه كل شجرة مثمرة وغير مثمرة مشكل مصور في بلدانه وأوطانه، والستور مرخاة على أبوابه النافذة إلى الصحن وعلى أصول الحيطان إلى مقدار الثلث منها وباقي الجدران بالفصوص الملونة، وأرضه كلها بالفصوص ؛ الرخام والفسيفساء ولم يكن في الدنيا بناء أحسن منه، لا قصور الملوك ولا دور الخلافة فضلا عن غيرهم، ثم لما وقع هذا **الحريق** فيه تبدل الحال الكامل بضده، وصارت أرضه طينا في زمن الشتاء، وغبارا في زمن الصيف، محفورة." (١)

"مهجورة، ولم يزل كذلك حتى بلط أرضه في زمن العادل أبي بكر بن أيوب، بعد الستمائة سنة من الهجرة، وكان جميع ما سقط منه من الرخام وغيره من الأخشاب مودعا في المشاهد الأربعة، شرقية وغربية، حتى فرغها من ذلك القاضي كمال الدين الشهرزوري، في زمن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي حين ولاه نظره مع القضاء ونظر الأوقاف كلها، ونظر دار الضرب وغير ذلك، ولم تزل الملوك تجدد في محاسنه إلى زماننا هذا، فتقارب حاله في زمن الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله الناصري نائب الشام أثابه الله تعالى. وقد أرخ الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في المنتظم هذا **الحريق** في سنة ثمان وخمسين وتبعه ابن الساعي في تاريخه والصواب أنه في هذه السنة كما ذكره ابن الساعي أيضا في هذه السنة وشيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي مؤرخ الإسلام في تاريخه وغير واحد والله أعلم.

وفيها نقمت الحنابلة على الشيخ أبي الوفا بن عقيل وهو من كبرائهم بتردده إلى أبي علي بن الوليد المتكلم المعتزلي واتهموه بالاعتزال، ولا شك أنه لم يكن يتردد إليه إلا ليحيط علما بمذهبه، ولكن سرقه الهوى وصارت فيه نزعة منه، وجرت بينه وبينهم فتنة طويلة وتأذى بسببها جماعة منهم، وما سكنت الفتنة إلى سنة خمس وستين ثم اصطلحوا فيما بينهم بعد اختصام كثير.

وفيها زادت دجلة على إحدى وعشرين ذراعا حتى دخلت مشهد أبي حنيفة ومشهد النذور. وفيها ورد الخبر بأن الأفشين دخل بلاد الروم حتى." (٢)

"ومنع أصحاب الحمامات أن يصرفوا فضلاتها إلى دجلة، وألزمهم بحفر آبار لتلك المياه القذرة صيانة لماء الشرب.

وفي شوال وقعت نار في أماكن متعددة في بغداد، حتى في دار الخلافة فأحرقت شيئا كثيرا من الدور والدكاكين.

ووقع بواسط **حريق** في تسعة أماكن، واحترق فيها أربعة وثمانون دارا وستة خانات، وأشياء كثيرة غير ذلك فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨/١٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٩/١٦

وفيها عمل الرصد للسلطان ملكشاه اجتمع عليه جماعة من أعيان المنجمين وأنفق عليه أموالا كثيرة وبقي الرصد دائرا حتى مات السلطان فبطل.

وفي ذي الحجة أعيدت الخطبة بمكة للمصريين وقطعت خطبة العباسيين، وذلك لما قوي أمر صاحب مصر بعدما كان ضعيفا بسبب غلاء بلده، فلما أرخصت تراجع الناس إليها وطاب العيش بها، وقد كانت الخطبة العباسية بمكة أربع سنين وخمسة أشهر، وستعود كما كانت على ما سيأتي بيانه في موضعه

وفي هذا الشهر انجفل أهل السواد من شدة الوباء وقلة ماء دجلة ونقصها. وحج بالناس الشريف أبو طالب الحسيني بن محمد الزينبي وأخذ البيعة للخليفة المقتدي.

[من توفي فيها من الأعيان]

وممن توفي فيها من الأعيان:

الخليفة القائم بأمر الله عبد الله وقد ذكرنا شيئا من ترجمته عند ذكر." (١)

"[ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

فيها أمر السلطان ملكشاه ببناء سوق المدينة المعروفة بطغرلبك إلى جانب دار الملك وجدد خاناتها وأسواقها ودورها وأمر بتجديد الجامع الذي تم على يد هارون الخادم في سنة أربع وعشرين وخمسمائة. ووقف على نصب قبلته بنفسه، ومنجمه إبراهيم حاضر ونقلت إليه أخشاب جامع سامرا وشرع نظام الملك في بناء دار هائلة له، وكذلك تاج الملوك أبو الغنائم، شرع في بناء دار هائلة أيضا واستوطنوا البلد وطابت لهم بغداد.

وفي جمادى الأولى وقع حريق عظيم ببغداد في أماكن شتى، فما أطفئ حتى هلك للناس شيء كثير فما عمروا بقدر ما حرق وما غرموا.

وفي ربيع الأول خرج السلطان إلى أصبهان وفي صحبته ولد الخليفة أبو الفضل جعفر، ثم عاد إلى بغداد في رمضان، فبينما هو في الطريق يوم عاشره عدا صبي من الديلم على الوزير نظام الملك، بعد أن أفطر فضربه بسكين فقضى عليه، وأخذ الصبي الديلمي فقتل، وقد كان من كبار الوزراء وخيار الأمراء، وسنذكر شيئا من سيرته عند ذكر ترجمته.

وقدم السلطان بغداد في رمضان بنية غير صالحة فلقاه الله في نفسه." (٢)

"وحكي عن بعضهم أنه وجد في كفه مكتوبا حين مات هذين البيتين:

نزلت بجار لا يخيب ضيفه ... أرجي نجاتي من عذاب جهنم

وإني على خوفي من الله واثق ... بإنعامه والله أكرم منعم

مالك بن أحمد بن علي بن إبراهيم

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥١/١٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٢٢/١٦

أبو عبد الله البانياسي الشامي وقد كان له اسم آخر سمته به أمه: علي أبو الحسن فغلب عليه ما سماه به أبوه، وما كناه به سمع الحديث على مشايخ كثيرة وهو آخر من حدث عن أبي الحسن بن الصلت هلك في **حريق** سوق الريحانيين وله ثمان وثمانون سنة وكان ثقة عند المحدثين.

السلطان ملكشاه ِ

السلطان الكبير جلال الدولة، أبو الفتح ملكشاه بن أبي شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن تقاق التركي ملك بغداد كما ذكرنا، وامتدت مملكته من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد اليمن وراسله." (١)

"فوعظ الناس، وكان شافعيا أشعريا، فوقعت فتنة بين الحنابلة والأشعرية ببغداد.

وفيها وقع **حريق** عظيم ببغداد. وحج بالناس حميد العمري صاحب سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي، صاحب الحلة.

[من توفي فيها من الأعيان]

وممن توفي فيها من الأعيان:

أبو القاسم صاحب مصر، الملقب بالمستعلي في ذي الحجة من هذه السنة، وقام بالأمر من بعده ابنه علي وله تسع سنين، ولقب الآمر بأحكام الله.

محمد بن هبة الله

أبو نصر القاضي البندنيجي الضرير الشافعي، أخذ عن الشيخ أ ِبي إسحاق الشيرازي ثم جاور بمكة أربعين سنة، يفتي ويدرس، ويروي الحديث، وكان من نوادر الزمان، ومن شعره قوله:

عدمتك نفسي ما تملي بطالتي ... وقد مر إخواني وأهل مودتي

أعاهد ربي ثم أنقض عهده ... وأترك عزمي حين تعرض شهوتي

وزادي قليل ما أراه مبلغي ... أللزاد أبكي أم لطول مسافتي؟." (٢)

"ختمة، مات فجأة؛ رحمه الله تعالى.

عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد

أبو المحاسن الروياني، من أهل طبرستان، أحد أئمة الشافعية ولد سنة خمس عشرة وأربعمائة، ورحل إلى الآفاق حتى بلغ ما وراء النهر، وحصل علوما جمة، وسمع الحديث الكثير، وصنف كتبا في المذهب من ذلك " البحر " في الفروع، وهو حافل كامل شامل للغرائب وغيرها، وفي المثل: حدث عن البحر ولا حرج. وكان يقول: لو **احترقت** كتب الشافعي أمليتها من حفظي. قتل ظلما يوم الجمعة؛ وهو يوم عاشوراء في الجامع بطبرستان.

قال ابن خلك ِان: أخذ الفقه عن ناصر المروزي وعلق عنه، وكان للروياني الجاه العظيم والحرمة الوافرة في تلك الديار،

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٢٩/١٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨٢/١٦

وكان نظام الملك كثير التعظيم له، وقد صنف كتبا في الأصول والفروع منها: " بحر المذهب " وكتاب " مناصيص الإمام الشافعي " وكتاب " الكافي " و " حلية المؤمن " وله كتب في الخلاف أيضا؛ رحمه الله تعالى.

يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي أبو زكريا

أحد أئمة اللغة والنحو، قرأ على أبي العلاء وغيره. وتخرج به جماعة ؛." (١)

"[ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

فيها وقع حريق عظيم ببغداد، وفيها كانت زلزلة هائلة بأرض الجزيرة هدمت منها ثلاثة عشر برجا، ومن الرها بيوتا كثيرة وبعض سور حران ودورا كثيرة في بلاد شتى ؛ فهلك أكثرها، وفي بالس نحوا من مائة دار، وقلب بنصف قلعة حران وسلم نصفها، وخسف بمدينة سميساط، وهلك تحت الردم خلق كثير. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها قتل صاحب حلب تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان بن تتش، قتله غلمانه، وقام من بعده أخوه سلطانشاه بن رضوان.

وفيها ملك السلطان سنجر بن ملكشاه بلاد غزنة وخطب له بها بعد مقاتلة عظيمة، وأخذ منها أموالا كثيرة ؛ من ذلك خمسة تيجان ؛ قيمة كل تاج منها ألف ألف دينار، وسبعة عشر سريرا من ذهب وفضة، وألف وثلاثمائة قطعة مصاغ مرصعة، فأقام بها أربعين يوما، وقرر في ملكها بهرام شاه من بيت بني سبكتكين ولم يخطب بغزنة قبل السلطان سنجر من السلجوقية لأحد.." (٢)

"[ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

فيها وقع حريق ببغداد احترقت فيه دور كثيرة ؛ منها دار نور الهدى الزينبي، ورباط بهروز ودار كتب النظامية، وسلمت الكتب ؛ لأن الفقهاء نقلوها.

وفيها قتل صاحب مراغة في مجلس السلطان محمد قتله الباطنية، وفي يوم عاشوراء وقعت فتنة عظيمة بين الروافض والسنة بمشهد علي بن موسى الرضا بمدينة طوس ؛ فقتل فيها خلق كثير، وفيها سار السلطان إلى فارس بعد موت نائبها خوفا عليها من صاحب كرمان. وحج بالناس أمير الجيوش أبو الحسن نظر الخادم، وكانت سنة مخصبة آمنة، ولله الحمد.

[من توفي فيها من الأعيان]

وممن توفي فيها من الأعيان:

البغوي المفسر المحدث الفقيه، وقيل: في سنة ست عشرة، كما سيأتي، والله أعلم.

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢٠٥/١٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢٢٥/١٦

عقيل بن الإمام أبي الوفا علي بن عقيل الحنبلي، كان شابا قد برع وحفظ القرآن وكتب مليحا وفهم المعاني جيدا، ولما توفي تصبر أبوه وتشكر." (١)

"وفيها ظهر رجل علوي بمكة، كان قد اشتغل بالنظامية في الفقه وغيره، أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فاتبعه ناس كثير، فنفاه صاحبها ابن أبي هاشم إلى البحرين.

وفيها احترقت دار السلطان بأصبهان، فلم يبق فيها شيء من الأثاث والفراش والجواهر والذهب والفضة سوى الياقوت الأحمر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقبل ذلك بأسبوع احترق جامع أصبهان أيضا، وكان جامعا عظيما فيه أخشاب تساوي ألف ألف دينار، وفي جملة ما احترق فيه خمسمائة مصحف ؛ من جملتها مصحف بخط أبي بن كعب، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي شعبان منها جلس الخليفة المسترشد في دار الخلافة في أبهة الخلافة ؛ البردة على كتفيه والقضيب بين يديه وجاء الأخوان الملكان محمود ومسعود فوقفا بين يديه، وقبلا الأرض، فخلع على محمود سبع خلع وطوقا وسوارين وتاجا، وأجلس على كرسي، ووعظه الخليفة وتلا عليه قوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ [الزلزلة: ٧]

[الزلزلة: ٧، ٨] وأمره بالإحسان إلى الرعايا، وعقد له الخليفة لواءين بيده، وقلده الملك، وخرجا من بين يديه مطاعين معظمين، والجيش بين أيديهما إلى دارهما في أبهة عظيمة جدا.

وحج بالناس نظر الخادم.

وقد توفي فيها:

ابن القطاع اللغوي أبو القاسم علي بن جعفر بن علي بن عبد الله بن الحسين بن أحمد بن محمد بن زيادة الله بن محمد بن." (٢)

"[ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

فيها كانت زلزلة عظيمة بالعراق ؛ تهدمت بسببها دور كثيرة ببغداد، ووقع بأرض الموصل مطر عظيم فسقط بعضه نارا تأجج، فاحترقت دور كثيرة من ذلك، وتهارب الناس.

وفيها وجد ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان، فخاف الناس منها خوفا شديدا، وفيها ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند وكان بها محمد بن خان.

وفيها ملك عماد الدين زنكي بلادا كثيرة من الجزيرة، ومن بلاد الفرنج وجرت له معهم حروب طويلة وخطوب جليلة،

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢٢٩/١٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢٥١/١٦

ونصر عليهم في تلك المواقف كلها، ولله الحمد والمنة، وقتل خلقا من جيش الروم حين قدموا إلى الشام، ومدحه الشعراء على ذلك.

[قتل خليفة مصر الفاطمي]

وفي ثاني ذي القعدة قتل الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله ابن المستعلي صاحب مصر، قتلته الباطنية، وله من العمر أربع وثلاثون سنة، وكانت مدة خلافته تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفا، وكان هذا الرجل هو العاشر." (١)

"ذكر حصار بغداد

وسبب ذلك أن السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه أرسل إلى الخليفة المقتفي يطلب منه أن يخطب له ببغداد، فلم يجبه إلى ذلك، فسار من همذان إلى بغداد ليحاصرها، فانجفل الناس، وحصن الخليفة البلد، وجاء السلطان محمد فحصر بغداد ووقف تجاه التاج من دار الخلافة في جحفل عظيم، ورموا نحوه بالنشاب، وقاتلت العامة قتالا عظيما بالنفط وغيره، واستمر القتال إلى مدة، فبينما هم كذلك إذ بلغ السلطان أن أخاه قد خلفه في همذان فانشمر عن بغداد راحلا إلى همذان في ربيع الأول من سنة اثنتين وخمسين، وتفرقت العساكر الذين كانوا معه في البلاد، وأصاب الناس بعد هذا القتال مرض شديد، وموت ذريع، **واحترقت** محال كثيرة من بغداد واستمر ذلك فيها مدة شهرين.

وفيها أطلق أبو البدر بن الوزير بن هبيرة من قلعة تكريت وكان له فيها، معتقلا، ثلاث سنين، فتلقاه الناس إلى أثناء الطريق، وامتدحه الشعراء، فكان من جملتهم الأبله الشاعر، أنشد الوزير قصيدة يقول في أولها:

بأي لسان للوشاة ألام ... وقد علموا أني سهرت وناموا." (٢)

"[ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

فيها كثر فساد التركمان من أصحاب برجم الإيوائي، فجهز إليهم منكورس المسترشدي في جيش كثيف، فالتقوا معهم فهزمهم أقبح هزيمة، وجاءوا بالأسارى والرءوس إلى بغداد.

وفيها كانت وقعة عظيمة بين الغز وبين الملك محمود، فكسروه وقتلوا من أصحابه وغيرهم خلقا كثيرا ونهبوا البلاد، وأقاموا بمرو، ثم إنهم طلبوه إليهم فخاف على نفسه، فأرسل ولده بين يديه فأكرموه، ثم قدم عليهم فاجتمعوا عليه وعظموه.

وفيها وقعت فتنة كبيرة بمرو بين فقيه الشافعية المؤيد بن الحسين، وبين نقيب العلويين بها أبي القاسم زيد بن الحسن، فقتل بينهم خلق كثير، **واحترقت** المساجد والمدارس والأسواق، وانهزم المؤيد الشافعي إلى بعض القلاع.

وفيها ولد الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله، وفيها خرج المقتفي نحو الأنبار متصيدا وعبر

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٦/٢٨٤

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٦/٣٧٧

الفرات وزار الحسين، ومضى إلى واسط وعاد إلى بغداد ولم يكن معه الوزير.

وفيها كسر جيش مصر الفرنج بأرض عسقلان كسرة فظيعة صحبة الملك." (١)

"وفي ذي الحجة منها فتح نور الدين مدينة بانياس وقيل: إنما كان فتحه لها في سنة ستين. فالله أعلم. وكان معه أخوه نصر الدين أمير أميران، فأصابه سهم في إحدى عينيه فأذهبها، فقال له الملك نور الدين: لو نظرت إلى ما أعد الله لك من الأجر في الآخرة لأحببت أن تذهب الأخرى. وقال لابن معين الدين أنر: إنه اليوم قد بردت جلدة والدك من نار جهنم ؛ لأنه كان سلمها إلى الفرنج، صلحا عن دمشق.

وفي شهر ذي الحجة من هذه السنة احترق قصر جيرون حريقا عظيما، فحضر في تلك الليلة الأمراء ؛ منهم أسد الدين شيركوه بعد رجوعه من الديار المصرية، وسعى سعيا عظيما في إطفاء هذه النار وصون حوزة الجامع منها، جزاه الله خيرا، وأثابه دار القرار.

[من توفي فيها من الأعيان]

وممن توفي فيها من الأعيان:

جمال الدين

وزير صاحب الموصل محمد بن علي بن أبي منصور، أبو جعفر الأصبهاني الملقب بالجواد وزير قطب الدين مودود بن زنكي كان كثير المعروف والصدقات، وقد أثر آثارا حسنة بمكة والمدينة ؛ من ذلك أنه ساق عينا إلى عرفات، وعمل هناك مصانع، وبنى مسجد عرفات ودرجه وأكمل أبواب." (٢)

"[ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

في صفر منها وقعت بأصبهان فتنة عظيمة بين الفقهاء بسبب المذاهب، دامت أياما وقتل فيها خلق كثير. وفيها كان حريق عظيم ببغداد فاحترقت محال كثيرة جدا وذكر ابن الجوزي أن في هذه السنة ولدت امرأة ببغداد أربع بنات في بطن واحد وحج بالناس في هذه السنة الأمير أرغش الكبير، أثابه الله

[من توفي فيها من الأعيان]

ممن توفي فيها من الأعيان:

عمر بن بهليقا

الطحان الذي جدد جامع العقيبة ببغداد واستأذن الخليفة في إقامة الجمعة فيه فأذن له في ذلك، وكان قد اشترى ما حوله من القبور فأضاف ذلك إليه ونبش الموتى منها فقيض الله له من نبشه من قبره بعد دفنه جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد.

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٣٨٥/١٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٤١١/١٦

محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد

أبو عبد الله الحراني." (١)

"العاضد والمسلمين لا يوافقوني على تسليم البلد. وصالحهم ليرجعوا عن البلد بألف ألف دينار، وعجل لهم من ذلك بمائة ألف دينار، فأخذوها وانشمروا راجعين إلى بلادهم ؛ خوفا من وصول نور الدين وطمعا في العودة إليها مرة ثانية ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ [آل عمران: ٥٤] . ثم شرع الوزير شاور في مطالبة الناس بتحصيل الذهب الذي صالح الفرنج عليه، وضيق على الناس مع ما نالهم من **الحريق** والخوف، فجبر الله مصابهم وأحسن مآبهم، واستدعى الملك نور الدين الأمير أسد الدين شيركوه من حمص إلى حلب فساق في يوم واحد من حمص فدخل حلب في ذلك اليوم فسر بذلك نور الدين وتفاءل به فقدمه على العساكر التي قد جهزها للديار المصرية وأنعم عليه بمائتي ألف دينار، وأضاف إليه من الأمراء والأعيان جماعة، كل منهم يبتغي بمسيره ذلك رضا الرحمن وكان في جملتهم ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي ولم يكن منشرحا لخروجه هذا بل كان كارها له وقد قال الله تعالى ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [البقرة: ٢١٦] وأضاف إليه ستة آلاف من التركمان وسار هو وإياه من حلب إلى دمشق، ثم جهزه إلى الديار المصرية بمن معه، ولما وصلت الجيوش النورية إلى الديار المصرية، وجدوا الفرنج قد انشمروا عن القاهرة راجعين إلى بلادهم بالصفقة الخاسرة، وكان وصوله إليها في سابع ربيع الآخر، فدخل الأمير أسد الدين على العاضد في ذلك اليوم، فخلع عليه خلعة سنية فلبسها." (٢)

"من فيها من البحارة أن يتزيوا بزي الفرنج حتى إنهم حلقوا لحاهم وشدوا الزنانير واستصحبوا معهم في البطسة شيئا من الخنازير وقدموا بها على مراكب الفرنج فاعتقدوا أنهم منهم وهي سائرة كأنها السهم إذا خرج من الرمية فحذرهم الفرنج غائلة الميناء من ناحية المسلمين فاعتذروا بأنهم مغلوبون معها والريح قوية لا يمكنهم أن يقفوا ولا ينصرفوا وما زالوا كذلك حتى ولجوا الميناء وأفرغوا ما كان معهم من الميرة - والحرب خدعة - فعبرت الميناء وعين الكفر عبرى فامتلأ الثغر بها خيرا وسرورا وأثرى مؤنتهم إلى أن قدمت عليهم تلك البطس الثلاث المصرية وكان ميناء البلد يكتنفها برجان يقال لأحدهما: برج الذبان فاتخذت الفرنج بطسة عظيمة لها خرطوم وفيه حركات إذا أرادوا أن يضعوه على شيء من الأسوار والأبرجة قلبوه فوصل إلى ما أرادوا فعظم أمر هذه البطسة على المسلمين ولم يزالوا في أمرها محتالين حتى أرسل الله عليها شواظا من نار فأحرقها وأغرقها وذلك أن الفرنج أعدوا فيها نفطا كثيرا وحطبا جزلا وأخرى خلفها فيها حطب محض حتى إذا أراد المسلمون المحاجنة على الميناء بمراكبهم أرسلوا النفط على بطسة الحطب

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٤١٤/١٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٤٢٩/١٦

فاحترقت وهي سائرة بين بطس المسلمين فتحرقها وكان في بطسة أخرى لهم مقاتلة تحت قبو قد أحكموه فيها، فلما أرسلوا النفط على برج الذبان انعكس الأمر عليهم بقدرة الله تعالى، وذلك لشدة الهواء تلك الليلة فما تعدت النار بطستهم فاحترقت وتعدى الحريق إلى الأخرى فغرقت ووصل إلى بطسة المقاتلة." (١)

"فتلفت وهلكت بمن فيها فأشبهوا من سلف من الكافرين كما قال تعالى في كتابه المبين ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين﴾ [الحشر: ٢]

فصل

وفي ثالث رمضان اشتد حصار الفرنج للبلد حتى نزلوا إلى الخندق فبرز إليهم أهل البلد فقتلوا منهم خلقا كثيرا وتمكنوا من حريق الكبش الذي اتخذوه لحصار الأسوار وسرى حريقه إلى السفور، وارتفعت له لهبة عظيمة في عنان السماء ثم اجتذبه المسلمون إليهم بكلاليب من حديد في سلاسل فحصلوه عندهم وألقوا عليه الماء البارد فبرد بعد أيام فكان فيه من الحديد مائة قنطار بالدمشقي ولله الحمد والمنة.

وكان مع السلطان في الثامن والعشرين من رمضان الملك زين الدين صاحب إربل فتوفي في عكا فتأسف الناس عليه لشبابه وغربته وجودته وعزي أخوه مظفر الدين فيه وهو الذي قام بالملك من بعده وسأل من السلطان صلاح الدين أن يضيف إليه شهرزور ويترك حران والرها وسميساط وغيرها وتحمل مع ذلك خمسين ألف دينار نقدا فأجيب إلى ذلك وكتب له تقليدا وعقد له لواء وأضيف ما تركه إلى الملك المظفر تقي الدين ابن أخي السلطان صلاح الدين.." (٢)

"وجمع كثير في خمس وعشرين قطعة مشحونة بالمقاتلة وابتلي أهل الثغر منه ببلاء لا يشبه ما قبله فعند ذلك حركت الكوسات في البلد، وكانت علامة ما بينهم وبين السلطان فحرك السلطان كوساته واقترب من البلد وتحول إلى قريب منهم ليشغلهم عن البلد وقد أحاطوا به من كل مكان ونصبوا عليه سبعة مجانيق وهي تضرب في البلد ليلا ونهارا ولا سيما على برج عين البقر حتى أثرت به أثرا بينا، وشرعوا في ردم الخندق بما أمكنهم من دواب ميتة ومن قتل منهم ومن مات أيضا، وقابلهم أهل البلد ينقلون ما ألقوه فيه إلى البحر وظفر ملك الإنكلتير ببطسة عظيمة للمسلمين قد أقبلت من بيروت مشحونة بالأمتعة والأسلحة فأخذها وكان واقفا في البحر في أربعين مركبا لا يترك شيئا يصل إلى البلد بالكلية – لعنه الله – وكان فيها ستمائة من المقاتلة الصناديد الأبطال فهلكوا عن آخرهم رحمهم الله أجمعين، فإنه لما أحيط بهم من الجوانب كلها وتحققوا إما الغرق أو القتل خرقوا من جوانبها كلها فغرقت ولم يقدر الفرنج على أخذ شيء منها لا من الميرة ولا من الأسلحة وحزن المسلمون على هذا المصاب حزنا عظيما فإنا لله وإنا إليه راجعون ولكن جبر الله سبحانه هذا البلاء بأن أحرق المسلمون في هذا اليوم للفرنج دبابة كانت أربع طبقات ؛ الأولى من خشب والثانية من رصاص والثالثة من حديد والرابعة من نحاس وهي مشرفة على السور والمقاتلة فيها وقد قلق أهل البلد منها

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦١٨/١٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦١٩/١٦

بحيث حدثتهم أنفسهم من خوفهم من شرها بأن يطلبوا الأمان من الفرنج، ويسلموا البلد ففرج الله وأمكنهم من حريقها واتفق ذلك." (١)

"فشرع الناس في خرابه، وأهله ومن حضره يتباكون على حسنه وطيب مقيله وكثرة زروعه وثماره وغزارة أنهاره ونضارة أزهاره، وألقيت النيران في أرجائه وجوانبه وخربت قصوره ودوره وأسواقه ورحابه، وأتلف ما فيه من الغلات التي لا يمكن تحويلها ولا نقلها، ولم يزل الخراب والحريق فيه إلى سلخ شعبان من هذه السنة.

ثم رحل السلطان منها في ثاني رمضان وقد تركها قاعا صفصفا ليس فيها معلم لأحد، ثم اجتاز بالرملة فخرب حصنها وخرب كنيسة لد وزار بيت المقدس وعاد إلى المخيم سريعا - تقبل الله منه◦ - ثم بعث ملك الإنكلتير إلى السلطان يقول له: إن الأمر قد طال وهلك الفرنج والمسلمون، وإنما مقصودنا ثلاثة أشياء لا سواها: رد الصليب وبلاد الساحل وبيت المقدس لا نرجع عن هذه الثلاثة، ومنا عين تطرف فأرسل إليه السلطان جواب ذلك أشد جواب وأسوأ خطاب، ثم عزمت الفرنج على قصد بيت المقدس فتقدم السلطان بجيشه إلى بيت المقدس فتركه وسكن في دار القساقس قريبا من قمامة في ذي القعدة وشرع في تحصين البلد وتعميق خنادقه وعمل فيه بنفسه وأولاده وعمل فيه الأمراء والقضاة والعلماء والصوفية بأنفسهم، وكان وقتا مشهودا، واليزك حول البلد من ناحية الفرنج، وفي كل وقت يستظهرون على الفرنج فيقتلون ويأسرون ويغنمون منهم ولله الحمد والمنة وانقضت هذه السنة والأمر على ذلك.

وفي هذه السنة فيما ذكره العماد الكاتب تولى القاضي محيي الدين محمد بن الزكي قضاء دمشق.." (٢)

"[ثم دخلت سنة إحدى وستمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

فيها عزل الخليفة ولده محمدا الملقب بالظاهر عن ولاية العهد بعدما خطب له بذلك سبع عشرة سنة، وولى العهد ولده الآخر عليا، فمات علي عن قريب، فعاد الأمر إلى الظاهر، فبويع له بالخلافة بعد أبيه الناصر، كما سيأتي في سنة ثلاث وعشرين.

وفيها وقع حريق عظيم بدار الخلافة في خزائن السلاح، فاحترق شيء كثير من السلاح والمتعة والمساكن ما يقارب قيمته أربعة آلاف ألف دينار، وشاع خبر هذا الحريق في الناس، فأرسلت الملوك من سائر الأقطار هدايا ؛ أسلحة إلى الخليفة عوضا مما فات شيئا كثيرا؛ ولله الحمد.

وفيها عاثت الكرج ببلاد المسلمين فقتلوا خلقا، وأسروا أمما. وفيها وقعت الحرب بين أمير مكة قتادة الحسني، وبين أمير المدينة سالم بن قاسم الحسيني، وكان قتادة قد قصد المدينة فحصر سالما فيها، فركب إليه سالم بعدما صلى عند

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٦/٦٢٩

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٦/٦٣٥

الحجرة النبوية واستنصر الله عليه على قتادة، ثم برز إليه فكسره، وساق وراءه إلى مكة فحصره بها، ثم أرسل قتادة إلى أمراء سالم فأفسدهم عليه، وكر سالم راجعا إلى المدينة وهو سالم.." (١)

"الفريقين خلق كثير، حتى إن الخيول كانت تزلق في الدماء، وكان جملة من قتل من المسلمين نحوا من عشرين ألفا، ومن التتار أضعاف ذلك، ثم تحاجز الفريقان، وولى كل منهم إلى بلاده، ولجأ خوارزم شاه وأصحابه إلى بخارى وسمرقند، فحصنها وبالغ في كثرة من ترك فيها من المقاتلة، ورجع إلى بلاده ليجهز الجيوش الكثيرة، فقصدت التتار بخارى وبها عشرون ألف مقاتل، فحاصرها جنكزخان ثلاثة أيام، فطلب منه أهلها الأمان فأمنهم، ودخلها فأحسن السيرة فيهم مكرا وخديعة، وامتنعت عليه القلعة، فحاصرها واستعمل أهل البلد في طم خندقها، وكان التتار يأتون بالمنابر والربعات، فيطرحونها في الخندق يطمونه بها، ففتحها قسرا في عشرة أيام، فقتل من كان بها، ثم عاد إلى البلد فاصطفى أموال تجارها، وأباحها لجنده، فقتلوا من أهلها خلقا لا يعلمهم إلا الله عز وجل، وأسروا الذرية والنساء، وفعلوا معهن الفواحش بحضرة أهليهن، فمن الناس من قاتل دون حريمه حتى قتل، ومنهم من أسر فعذب بأنواع العذاب، وكثر البكاء والضجيج بالبلد، ثم ألقت التتار النار في دور بخارى ومدارسها ومساجدها، **فاحترقت** حتى صارت بلاقع خاوية على عروشها، ثم كروا راجعين عنها قاصدين سمرقند، فكان من أمرهم. فيها ما سيأتي ذكره في السنة الآتية.

وفي مستهل هذه السنة خرب سور بيت المقدس - عمره الله بذكره -." (٢)

"[ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة]

[الأحداث الواقعة فيها]

في هذه السنة عم البلاء، وعظم العزاء بجنكزخان المسمى بتموجين، لعنه الله تعالى، وبمن معه من التتار قبحهم الله أجمعين، واستفحل أمرهم، وامتد إفسادهم من أقصى بلاد الصين إلى أن وصلوا بلاد العراق وما حولها حتى انتهوا إلى إربل وأعمالها، فملكوا في سنة واحدة - وهي هذه السنة - سائر الممالك إلا العراق والجزيرة والشام ومصر، وقهروا جميع الطوائف التي بتلك النواحي؛ الخوارزمية والقفجاق والكرج واللان والخزر وغيرهم، وقتلوا في هذه السنة من المسلمين وغيرهم في بلدان متعددة كبار وصغار ما لا يحد ولا يوصف، وبالجملة فلم يدخلوا بلدا إلا قتلوا جميع من فيه من المقاتلة والرجال، وكثيرا من النساء والأطفال، وأتلفوا ما فيه بالنهب إن احتاجوا إليه، **وبالحريق** إن لم يحتاجوا إليه، حتى إنهم كانوا يجمعون الحرير الكثير الذي يعجزون عن حمله فيطلقون فيه النار وهم ينظرون إليه، ويخربون المنازل، وما عجزوا عن تخريبه أحرقوه، وأكثر ما يحرقون المساجد والجوامع، لعنهم الله تعالى، وكانوا يأخذون الأسارى من المسلمين، فيقاتلون بهم، ويحاصرون بهم، وإن لم ينصحوا في القتال قتلوهم.." (٣)

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٧٣٨/١٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٨٠/١٧

(٣) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٨٨/١٧

"باب الفرج، وهتكوا حرمتها ودخلوها وتسلموها، واعتقلوا المغيث في برج هنالك.

قال أبو شامة: واحترقت دار الحديث وما هنالك من الحوانيت والدور حول القلعة، ولما وصل الخبر بما وقع إلى الصالح أيوب تفرق عنه أصحابه والأمراء؛ خوفا على أهاليهم من الصالح إسماعيل، وبقي الصالح أيوب وحده في مماليكه وجاريته أم خليل، وطمع فيه الفلاحون والغوارنة، وأرسل الناصر داود صاحب الكرك إليه من أخذه من نابلس مهانا على بغلة، بلا مهماز ولا مقرعة، فاعتقله عنده سبعة أشهر، وأرسل العادل من مصر إلى الناصر يطلب منه أخاه الصالح أيوب، ويعطيه مائة ألف دينار، فما أجابه إلى ذلك، بل عكس ما طلب منه بإخراج الصالح من سجنه والإفراج عنه وإطلاقه مع الجيش يركب وينزل، فعند ذلك حاربت الملوك من دمشق ومصر وغيرهما الناصر داود، وبرز العادل من الديار المصرية إلى بلبيس قاصدا قتال الناصر داود، فاضطرب الجيش عليه واختلفت الأمراء، وقيدوا العادل، واعتقلوه في خركاه، وأرسلوا إلى الصالح أيوب يستدعونه إليهم، فامتنع الناصر داود من إرساله حتى اشترط عليه أنه يأخذ له دمشق وحمص وحلب وبلاد الجزيرة وديار بكر." (١)

"وغيرهم، تقبل الله تعالى منه وجزاه خيرا، وقد وضع ببغداد المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربعة، وجعل فيها دار حديث ومارستانا، وحماما ودار طب، وجعل لمستحقيها من الجوامك والأطعمة والحلاوات والفواكه ما يحتاجون إليه في أوقاته، ووقف عليها أوقافا عظيمة حتى قيل: إن ثمن التبن من غلات ريعها يكفي المدرسة وأهلها، ووقف فيها كتبا نفيسة ليس لها في الدنيا نظير، فكانت هذه المدرسة جمالا لبغداد، بل لسائر البلاد.

وقد احترق في هذه السنة المشهد الذي بسامرا المنسوب إلى علي الهادي والحسن العسكري، وقد كان بناه أرسلان البساسيري في أيام تغلبه على تلك النواحي، في حدود سنة خمسين وأربعمائة، فأمر الخليفة المستنصر بإعادته إلى ما كان عليه، وقد تكلمت الروافض في الاعتذار عن حريق هذا المشهد بكلام طويل بارد لا حاصل له، وصنفوا فيه أخبارا، وأنشدوا أشعارا كثيرة لا معنى لها، وهو المشهد الذي يزعمون أنه يخرج منه المنتظر الذي لا حقيقة له، لا عين ولا أثر، ولو لم يبن لكان أجود، وهو الحسن بن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد بن الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بكربلاء، ابن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين، وقبح من يغلو فيهم ويبغض بسببهم من هو أفضل منهم.." (٢)

"[ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائة]

[الأحداث الواقعة فيها]

وهي سنة الخوارزمية؛ وذلك أن الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر بعث الخوارزمية، ومعهم ملكهم بركات خان في صحبة معين الدين بن الشيخ، فأحاطوا بدمشق يحاصرون عمه الصالح أبا الخيش صاحب دمشق، وأحرق قصر حجاج، وحكر السماق، وجامع جراح خارج باب الصغير، ومساجد كثيرة، ونصبت المنجنيق عند باب الصغير وعند باب الجابية،

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢٤٧/١٧

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢٦١/١٧

ونصب من داخل البلد منجنيقات أيضا، وترامى الفريقان، وأرسل الصالح إسماعيل إلى الأمير معين الدين بن الشيخ بسجادة وعكاز وإبريق، وأرسل يقول: اشتغالك بهذا أولى من اشتغالك بمحاصرة الملوك، فأرسل إليه المعين بزمر وجنك وغلالة حرير أحمر وأصفر، وأرسل يقول: أما السجادة، فإنها تصلح لي، وأما أنت فهذا أولى بك. ثم أصبح ابن الشيخ، فاشتد الحصار بدمشق، وأرسل الصالح إسماعيل، فأحرق جوسق والده العادل، وامتد **الحريق** في زقاق الرمان إلى العقيبة، **فاحترقت** بأسرها وقطعت الأنهار، وغلت الأسعار، وأخيفت الطرق، وجرى بدمشق أمور بشعة جدا، لم تتم عليها." (١)

"[ثم دخلت سنة ست وأربعين وستمائة]

[الأحداث الواقعة فيها]

فيها قدم السلطان الصالح نجم الدين أيوب من الديار المصرية إلى دمشق، وجهز الجيوش والمجانيق إلى حمص ؛ لأنه كان صاحبها الملك الأشرف موسى بن المنصور بن أسد الدين شيركوه قد قايض بها تل باشر لصاحب حلب الناصر يوسف بن العزيز، ولما علمت الحلبيون بخروج الدماشقة برزوا أيضا في جحفل عظيم ليمنعوا حمص منهم، واتفق مجيء الشيخ نجم الدين البادرائي مدرس النظامية ببغداد في رسالة، فأصلح بين الفريقين، ورد كلا من الفئتين إلى مستقرها، ولله الحمد.

وفيها قتل مملوك تركي شاب صبي سيده على دفعه عنه لما أراد به من الفاحشة، فصلب الغلام مسمرا، وكان شابا حسنا جدا، فتأسف الناس له لكونه صغيرا ومظلوما وحسنا، ونظموا فيه قصائد؛ وممن نظم فيه الشيخ شهاب الدين أبو شامة في " الذيل "، وقد أطال قصته جدا.

وفيها سقطت قنطرة رومية قديمة البناء بسوق الدقيق من دمشق، عند قصر أم حكيم، فتهدم بسببها شيء كثير من الدور والدكاكين، وكان سقوطها نهارا.

وفي ليلة الأحد الخامس والعشرين من رجب وقع **حريق** بالمنارة الشرقية،." (٢)

"فأحرق جميع حشوها، وكانت سلالمها سقالات من خشب، وهلك للناس ودائع كثيرة كانت فيها، وسلم الله الجامع، ولله الحمد. وقدم السلطان بعد أيام إلى دمشق، فأمر بإعادتها كما كانت.

قلت: ثم **احترقت** وسقطت بالكلية بعد سنة أربعين وسبعمائة، وأعيدت عمارتها أحسن مما كانت، ولله الحمد، وبقيت حينئذ المنارة البيضاء الشرقية بدمشق كما نطق به الحديث في نزول عيسى عليه السلام، عليها، كما سيأتي بيانه وتقريره في موضعه إن شاء الله تعالى.

ثم عاد السلطان الصالح أيوب مريضا في محفة إلى الديار المصرية وهو ثقيل مدنف، وما شغله مرضه وما هو فيه عن أمره بقتل أخيه العادل أبي بكر بن الكامل الذي كان صاحب الديار المصرية بعد أبيه، وقد كان سجنه سنة استحوذ

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٧/٢٧٧

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٧/٢٩٧

على مصر، فلما كان في هذه السنة في شوالها أمر بخنقه، فخنق ودفن بتربة شمس الدولة، فما عمر بعده إلا إلى النصف من شعبان في العام القابل في أسوأ حال وأشد مرض، فسبحان من له الخلق والأمر.

وفيها كانت وفاة قاضي القضاة بالديار المصرية أفضل الدين الخونجي

الحكيم المنطقي البارع في ذلك، وكان مع ذلك جيد السيرة في أحكامه. قال أبو شامة: أثنى عليه غير واحد.." (١)

"[ثم دخلت سنة خمسين وست مائة]

[الأحداث الواقعة فيها]

سنة خمسين وست مائة

فيها وصلت التتار إلى الجزيرة وسروج ورأس العين وما والى هذه البلاد، فقتلوا وسبوا ونهبوا وخربوا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ووقعوا بتجار يسيرون بين حران ورأس العين، فأخذوا منهم ستمائة حمل سكر ومعمول من الديار المصرية، وستمائة ألف دينار، وكان عدة من قتلوا في هذه السنة من أهل الجزيرة نحوا من عشرة آلاف قتيل، وأسروا من الولدان والنساء ما يقارب ذلك، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال السبط: وفيها حج الناس من بغداد، وكان لهم عشر سنين لم يحجوا من زمن المستنصر.

وفيها وقع **حريق** بحلب، احترق بسببه ستمائة دار، يقال: إن الفرنج لعنهم الله تعالى، ألقوه فيها قصدا.

وفيها أعاد قاضي القضاة عمر بن علي النهرقلي أمر المدرسة التاجية التي كان قد استحوذ عليها طائفة من العوام، وجعلوها كالقيسارية يتبايعون فيها مدة طويلة، وهي مدرسة جيدة حسنة قريبة الشبه من النظامية، وقد كان بانيها يقال." (٢)

"مسجد المدينة على ساكنه أفضل الصلاة والسلام، ابتدأ **حريقه** من زاويته الغربية من الشمال، وكان دخل أحد القومة إلى خزانة ثم، ومعه نار فعلقت في الآلات ثم، واتصلت بالسقف بسرعة، ثم دبت في السقوف، وأخذت قبلة، فأعجلت الناس عن قطعها، فما كان إلا ساعة حتى **احترقت** سقوف المسجد أجمع، ووقعت بعض أساطينه، وذاب رصاصها، وكل ذلك قبل أن ينام الناس، واحترق سقف الحجرة النبوية، ووقع ما وقع منه في الحجرة، وبقي على حاله حتى شرع في عمارة سقفه وسقف المسجد النبوي، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، وأصبح الناس، فعزلوا موضعا للصلاة، وعد ما وقع من تلك النار الخارجة **وحريق** المسجد من جملة الآيات، وكأنها كانت منذرة بما يعقبها في السنة الآتية من الكائنات على ما سنذكره، إن شاء الله تعالى، هذا كلام الشيخ شهاب الدين أبي شامة.

وقد قال أبو شامة في الذي وقع في هذه السنة وما بعدها شعرا، وهو قوله:

بعد ست من المئين وخمسي ... ن لدى أربع جرى في العام

نار أرض الحجاز مع حرق المس ... جد معه تغريق دار السلام

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٧/٢٩٨

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٧/٣١٦

ثم أخذ التتار بغداد في أو ... ل عام من بعد ذاك وعام

لم يعن أهلها وللكفر أعوا ... ن عليهم يا ضيعة الإسلام

وانقضت دولة الخلافة منها ... صار مستعصم بغير اعتصام." (١)

"وغيرها، وأطلق سلمية للأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب، واتبع الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري وجماعة من الشجعان التتار يقتلونهم في كل مكان، إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب، وهرب من بدمشق منهم، وكان هربهم منها يوم الأحد السابع والعشرين من رمضان صبيحة النصر الذي جاءت فيه البشارة بالنصرة على عين جالوت، فتبعهم المسلمون من دمشق يقتلون ويأسرون وينهبون الأموال فيهم، ويستفكون الأسارى من أيديهم قهرا، ولله الحمد والمنن على جبره الإسلام، ومعاملته إياهم بلطفه الحسن.

وجاءت بذلك البشارة السارة، فجاوبتها البشائر من القلعة المنصورة وفرح المؤمنون يومئذ بنصر الله فرحا شديدا، وأيد الله الإسلام وأهله تأييدا، وكبت أعداء الله النصارى واليهود والمنافقون، وظهر دين الله وهم كارهون، ونصر الله دينه ونبيه ولو كره الكافرون.

فتبادر عند ذلك المسلمون إلى كنيسة النصارى التي خرج منها الصليب، فانتهبوا ما فيها وأحرقوها وألقوا النار فيما حولها، فاحترقت دور كثيرة للنصارى، وملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا، وأحرق بعض كنيسة اليعاقبة، وهمت طائفة بنهب اليهود، فقيل لهم: إنهم لم يكن منهم فيما ظهر من الطغيان كما كان على عبدة الصلبان. وقتلت العامة في وسط الجامع شيخا رافضيا كان مصانعا للتتار على أموال الناس يقال له: الفخر محمد بن يوسف الكنجي. كان خبيث الطوية مشرقيا ممالئا لهم على أموال المسلمين، قبحه الله تعالى، وقتلوا جماعة مثله من المنافقين الممالئين على المسلمين ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾ [الأنعام: ٤٥] .

وقد كان السلطان هولاكو أرسل تقليدا بولاية القضاء على جميع المدائن؛." (٢)

"وفي رمضان جهز الظاهر صناعا وأخشابا وآلات كثيرة لعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حريقه، فطيف بتلك الأخشاب والآلات بالديار المصرية فرحة بها وتعظيما لها، ثم ساروا بها إلى المدينة النبوية.

وفي شوال سار الظاهر إلى الإسكندرية، فنظر في أحوالها وأمورها، وعزل قاضيها وخطيبها ناصر الدين أحمد بن المنير، وولى غيره.

وفيها التقى بركة قان وهولاوو ومع كل واحد جيوش كثيرة، فاقتتلوا فهزم هولاكو هزيمة فظيعة، وقتل أكثر أصحابه، وغرق أكثر من بقي، وهرب هو في شرذمة قليلة من أصحابه، ولله الحمد.

ولما نظر بركة خان إلى كثرة القتلى قال: يعز علي أن يقتل المغول بعضهم بعضا، ولكن كيف الحيلة فيمن غير سنة

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٣٤١/١٧

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٤٠٢/١٧

جنكزخان؟ ! ثم أغار بركة خان على بلاد القسطنطينية، فصانعه صاحبها، وأرسل الظاهر هدايا عظيمة إلى بركة وتحفا كثيرة هائلة.

[من توفي فيها من الأعيان]

وممن توفي فيها من الأعيان:

محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس، أبو بكر اليعمري الأندلسي الحافظ

ولد سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وسمع الكثير، وحصل كتبا عظيمة، وصنف أشياء حسنة، وختم به الحفاظ في تلك البلاد، توفي بمدينة تونس في الرابع والعشرين من رجب من هذه السنة.." (١)

"وكان سبب ذلك كثرة توقف القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز في أمور تخالف مذهب الشافعي، وتوافق غيره من المذاهب، فأشار الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي على السلطان بأن يولي من كل مذهب قاضي قضاة، وكان يحب رأيه ومشورته، فأجابه إلى ذلك ففعل كما ذكرنا، وبعث بأخشاب ورصاص وآلات كثيرة لعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرسل منبرا فنصب هنالك.

وفيها وقع حريق عظيم ببلاد مصر، واتهم النصارى، فعاقبهم الملك الظاهر عقوبة عظيمة.

وفيها جاءت الأخبار بأن سلطان التتار هولاكو هلك إلى لعنة الله وغضبه في سابع ربيع الآخر بمرض الصرع بمدينة مراغة، ودفن بقلعة تلا، وبنيت عليه قبة واجتمعت التتار على ولده أبغا، فقصده الملك بركة خان، فكسره وفرق جموعه، ففرح الملك الظاهر بذلك فرحا شديدا، وعزم على جمع العساكر ليأخذ بلاد العراق، فلم يتمكن من ذلك لتفرق العساكر في الإقطاعات.

وفيها في ثاني عشر شوال سلطن الملك الظاهر ولده الملك السعيد محمد بركة قان، وأخذ له البيعة من الأمراء، وأركبه ومشى الأمراء بين يديه، وحمل والده الغاشية بنفسه، والأمير بدر الدين بيسري الشمسي حامل الجتر." (٢)

"[ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وستمائة]

[الأحداث الواقعة فيها]

استهلت والخليفة الحاكم بأمر الله، والسلطان الملك المنصور قلاوون.

وفيها أرسل ملك التتر أحمد إلى الملك المنصور يطلب منه المصالحة وحقن الدماء فيما بينهم، وجاء في الرسلية الشيخ قطب الدين الشيرازي أحد تلاميذ النصير الطوسي، فأجاب المنصور إلى ذلك، وكتبت المكاتبات إلى ملك التتر بذلك.

وفي مستهل صفر قبض السلطان على الأمير الكبير بدر الدين بيسري السعدي، وعلى الأمير علاء الدين السعدي الشمسي أيضا.

وفيها درس القاضي بدر الدين بن جماعة بالقيمرية، والشيخ شمس الدين بن الصفي الحريري بالفرخشاهية، وعلاء

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٧/٤٤٩

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٧/٤٦١

الدين بن الزملكاني بالأمينية.

وفي يوم الاثنين الحادي عشر من رمضان وقع **حريق** باللبادين عظيم، وحضر نائب السلطنة إذ ذاك الأمير حسام الدين لاجين السلحدار وجماعة كثيرة." (١)

[من توفي فيها من الأعيان]

وممن توفي فيها من الأعيان:

الخطيب الإمام قطب الدين أبو الزكاء عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر بن عبد الله بن محمد بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري

خطيب بيت المقدس أربعين سنة، وكان من الصلحاء الكبار، مجموعا عن الناس، حسن الهيئة مهيبا، عزيز النفس يفتي الناس، ويذكر التفسير من حفظه في المحراب بعد صلاة الصبح، وقد سمع الكثير وكان من الأخيار، ولد سنة ثلاث وستمائة، وتوفي ليلة الثلاثاء سابع رمضان عن أربع وثمانين سنة.

"له الأمراء بالشام، وقبض على حسام الدين طرنطاي نائب أبيه، وأخذ منه أموالا جزيلة جدا، فأنفق منها على العسكر.

وفيها ولي خطابة دمشق زين الدين عمر بن مكي بن المرحل عوضا عن جمال الدين بن عبد الكافي، وكان ذلك بمساعدة الأعسر، وتولى نظر الجامع الرئيس وجيه الدين بن المنجا الحنبلي، عوضا عن ناصر الدين بن المقدسي، وثمر وقفه وعمره، وزاد مائة وخمسين ألفا.

وفيها **احترقت** دار صاحب حماة، وذلك أنه وقع فيها نار في غيبته، فلم يتجاسر أحد يدخلها، فعملت النار فيها يومين، **فاحترقت** واحترق كل ما فيها.

وفي شوال درس بتربة أم الصالح بعد ابن المقدسي القاضي إمام الدين القونوي.

وفيها باشر الشرف حسن بن أحمد بن الشيخ أبي عمر قضاء الحنابلة عوضا عن ابن عمه نجم الدين بن شيخ الجبل، عن مرسوم الملك المنصور قبل وفاته.

وحج بالناس في هذه السنة من الشام الأمير بدر الدين بكتوت الزوباسي، وحج قاضي القضاة شهاب الدين بن الخويي، وشمس الدين بن السلعوس، ومقدم الركب الأمير عتبة، فتوهم منه أبو نمي، وكان بينهما عداوة، فأغلق أبواب مكة، ومنع الناس من دخولها، فأحرق الباب، وقتل جماعة، ونهبت بعض الأماكن، وجرت خطوب فظيعة، ثم أرسلوا القاضي ابن." (٢)

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٧/٥٨٥

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٧/٦٢٥

"[ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وستمائة]

[الأحداث الواقعة فيها]

فيها فتحت قلعة الروم، وسلطان البلاد من دنقلة إلى مصر إلى أقصى بلاد الشام بكماله وسواحله وبلاد حلب وغير ذلك الملك الأشرف خليل، ووزيره شمس الدين بن السلعوس، وقضاته بالشام ومصر هم المذكورون في التي قبلها، ونائب مصر بدر الدين بيدار، ونائب الشام علم الدين سنجر الشجاعي، وسلطان التتر بيدو بن أرغون بن أبغا، والعمارة في الطارمة وفي الدور السلطانية بالقلعة.

وفي رابع وعشرين المحرم وقع حريق عظيم بقلعة الجبل ببعض الخزائن، أتلف شيئا كثيرا من الذخائر والنفائس والكتب.

وفي التاسع والعشرين من ربيع الأول خطب الخليفة الحاكم، وحث في خطبته على الجهاد والنفير، وصلى بهم الجمعة، وجهر بالبسملة.

وفي ليلة السبت ثالث عشر صفر جيء بهذا الجرز الأحمر الذي بباب البرادة من عكا، فوضع في مكانه.." (١)

"الناس، فيكتب عليها بما يحير العقول من الكتاب والسنة. ثم عقد للشيخ مجلس بالصالحية بعد ذلك كله، ونزل الشيخ بالقاهرة بدار ابن شقير، وأكب الناس على الاجتماع به ليلا ونهارا.

وفي سادس رجب باشر الشيخ كمال الدين بن الزملكاني نظر ديوان المارستان عوضا عن جمال الدين يوسف العجمي، توفي، وكان محتسبا بدمشق مدة، فأخذها منه نجم الدين بن البصراوي قبل هذا بستة أشهر، وكان العجمي موصوفا بالأمانة والكفاءة.

وفي ليلة النصف من شعبان أبطلت صلاة ليلة النصف لكونها بدعة، وصين الجامع من الغوغاء والرعاع، وحصل بذلك خير كثير، ولله الحمد والمنة.

وفي رمضان قدم الصدر نجم الدين البصراوي، ومعه توقيع بنظر الخزانة عوضا عن شمس الدين الحظيري، مضافا إلى ما بيده من الحسبة. ووقع في أواخر رمضان مطر قوي شديد، وكان الناس لهم مدة لم يمطروا، فاستبشروا بذلك، ورخصت الأسعار، ولم يمكن الناس الخروج إلى المصلى من كثرة المطر، فصلوا في الجامع، وحضر نائب السلطنة فصلى بالمقصورة. وخرج المحمل وأمير الحج عامئذ سيف الدين بلبان البدري التتري. وفيها حج القاضي شرف الدين البارزي من حماة.

وفي ذي الحجة وقع حريق عظيم بالقرب من الظاهرية، مبدؤه من الفرن تجاهها الذي يقال له: فرن الصوفية. ثم لطف الله، وكف شرها وشررها.." (٢)

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦٤٦/١٧

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٧٦/١٨

"شيخ السلامية ناظر الجيش إلى مصر، فركب من آخر النهار وسار إليها، فتولى بها نظر الجيوش عوضا عن فخر الدين الكاتب كاتب المماليك، بحكم عزله، ومصادرته، وأخذ أمواله الكثيرة منه في عاشر ربيع الأول.

وفي الحادي عشر منه باشر الحكم للحنابلة بمصر القاضي تقي الدين أحمد بن المعز عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسي، وهو ابن بنت الشيخ شمس الدين بن العماد أول قضاة الحنابلة. وقدم الأمير سيف الدين تمر على نيابة طرابلس عوضا عن الأفرم، بحكم هربه إلى التتر.

وفي ربيع الآخر مسك بيبرس العلائي نائب حمص، وبيبرس المجنون، وطوغان، وجماعة آخرون من الأمراء، ستة في نهار واحد، وسيروا إلى الكرك معتقلين بها. وفيه مسك نائب مصر الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصوري، وولي بعده أرغون الدوادار، ومسك نائب الشام جمال الدين نائب الكرك، وشمس الدين سنقر الكمالي حاجب الحجاب بمصر، وخمسة أمراء آخرون، وحبسوا كلهم بقلعة الكرك في برج هناك. وفيه وقع **حريق** داخل باب السلامة، احترق فيه دور كثيرة، منها دار ابن أبي الفوارس، ودار الشريف القباني.." (١)

"كثيرة، وقدم قجليس من القاهرة، فاجتاز بدمشق إلى ناحية طرابلس، ثم قدم سريعا ومعه الأمير سيف الدين تمر نائب طرابلس تحت الحوطة، ومسك بدمشق الأمير سيف الدين بهادر آص المنصوري، فحمل الأول إلى القاهرة، وجعل مكانه في نيابة طرابلس كستاي، وحمل الثاني إلى الكرك، وحزن الناس عليه ودعوا له. وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من ربيع الآخر قدم عز الدين بن ميسر إلى دمشق متوليا حسبتها، ونظر الأوقاف، وانصرف ابن الحداد عن الحسبة، وبهاء الدين بن عليمة عن نظر الأوقاف.

وفي ليلة الاثنين ثالث عشر من جمادى الأولى وقع **حريق** قبالة مسجد الشنباشي داخل باب الصغير، احترق فيه دكاكين كثيرة، ودور، وأموال، وأمتعة.

وفي يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة درس قاضي ملطية الشريف شمس الدين بالمدرسة الخاتونية البرانية - عوضا عن قاضي القضاة الحنفي البصروي، وحضر عنده الأعيان، وهو رجل له فضيلة، وحسن خلق، كان قاضيا بملطية وخطيبا بها نحوا من عشرين سنة. وفي يوم الخميس رابع جمادى." (٢)

"وكان في جوارها كنيسة، فأمر الوالي بهدمها، فلما هدمت تسلط الحرافيش وغيرهم على الكنائس بمصر يهدمون ما قدروا، عليه فانزعج السلطان من ذلك، وسأل القضاة: ماذا يجب على من تعاطى ذلك منهم؟ فقالوا يعذر، فأخرج جماعة من السجون ممن وجب عليه قتل، فقطع وصلب وخزم وعاقب موهما أنه إنما عاقب من تعاطى تخريب الكنائس، فسكن الناس، وأمنت النصارى، وظهروا بعد ما كانوا قد اختفوا أياما.

وفيه ثارت الحرامية ببغداد، ونهبوا سوق الثلاثاء وقت الظهر، فثار الناس وراءهم، وقتلوا منهم قريبا من مائة، وأسروا آخرين.

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٢١/١٨

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٤٤/١٨

قال الشيخ علم الدين البرزالي – ومن خطه نقلت -: وفي يوم الأربعاء السادس من جمادى الأولى خرج القضاة، والأعيان، والمفتون إلى القابون، ووقفوا على قبلة الجامع الذي أمر ببنائه القاضي كريم الدين وكيل السلطان بالمكان المذكور، وحرروا قبلته، واتفقوا على أن تكون مثل قبلة جامع دمشق. وفيه وقعت مراجعة بين الأمير جوبان أحد المقدمين الكبار بدمشق وبين نائب السلطنة تنكز، فمسك جوبان، ورفع إلى القلعة ليلتين، ثم حول إلى القاهرة، فعوتب في ذلك، ثم أعطي خبزا يليق به.

وذكر الشيخ علم الدين أن في هذا الشهر وقع **حريق** عظيم في القاهرة في." (١)

"الدور الحسنة، والأماكن المليحة المرتفعة، وبعض المساجد، وحصل للناس مشقة عظيمة من ذلك، وقنتوا في الصلوات، ثم كشفوا عن القضية فإذا هو من فعل النصارى بسبب ما كان أحرق لهم من كنائسهم وهدم، فقتل السلطان بعضهم، وألزم النصارى أن يلبسوا الزرقة على رءوسهم وثيابهم كلها، وأن يحملوا الأجراس في الحمامات، وأن لا يستخدموا في شيء من الجهات، فسكن الأمر وبطل **الحريق.**

وفي جمادى الآخرة خرب ملك التتار بو سعيد البازار، وزوج الخواطئ، وأراق الخمور، وعاقب في ذلك أشد العقوبة، وفرح المسلمون بذلك، ودعوا له، رحمه الله وسامحه.

وفي الثالث عشر من جمادى الآخرة أقيمت الجمعة بجامع القصب، وخطب به الشيخ علي المناخلي. وفي يوم الخميس تاسع عشرين جمادى الآخرة فتح الحمام الذي أنشأه تنكز تجاه جامعه، وأكري في كل يوم بأربعين درهما لحسنه، وكثرة ضوئه، ورخامه.

وفي يوم السبت تاسع عشر رجب خربت كنيسة القرائين التي." (٢)

"جدوا ولازموا في عمارته، وتبرع كثير من الناس بالعمل فيه من سائر الناس، فكان يعمل فيه كل يوم أزيد من مائة رجل، حتى كملت عمارة الجدار، وأعيدت طاقاته وسقوفه في العشرين من رجب، وذلك بهمة تقي الدين بن مراجل، وهذا من العجب، فإنه نقض الجدار وما يسامته من السقف، وأعيد في مدة لا يتخيل إلى أحد أن عمله يفرغ فيما يقارب هذه المدة جزما، وساعدهم على سرعة الإعادة حجارة وجدوها في أساس الصومعة الغربية التي عند الغزالية، وقد كان في كل زاوية من هذا المعبد صومعة كما في الغربية والشرقية القبليتين منه، فأبيدت الشماليتان قديما، ولم يبق منهما من مدة ألوف من السنين سوى أس هذه المئذنة الغربية الشمالية، فكانت من أكبر العون على إعادة هذا الجدار سريعا، ومن العجب أن ناظر الجامع ابن مراجل لم ينقص أحدا من أرباب المرتبات على الجامع شيئا مع هذه العمارة.
وفي ليلة السبت خامس جمادى الأولى وقع **حريق** عظيم بالفرائين، واتصل بالرماحين، **واحترقت** القيسارية والمسجد الذي هناك، وهلك للناس شيء كثير من الفراء والجوخ والأقمشة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي يوم الجمعة عاشره بعد الصلاة صلي على القاضي شمس الدين بن الحريري قاضي قضاة الحنفية بمصر، وصلي

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨/٢٠٧

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨/٢٠٨

عليه صلاة الغائب بدمشق. وفي هذا اليوم قدم البريد بطلب برهان الدين بن عبد الحق الحنفي إلى مصر ليلي القضاء بها." (١)

"وفي يوم السبت تاسع جمادى الآخرة باشر حسام الدين أبو بكر ابن الأمير عز الدين أيبك النجيبي شد الأوقاف، عوضا عن ابن بكتاش، اعتقل، وخلع على المتولي، وهنأه الناس.

وفي منتصف هذا الشهر علق الستر الجديد على خزانة المصحف العثماني، وهو من خز، طوله ثمانية أذرع، وعرضه أربعة أذرع ونصف، غرم عليه أربعة آلاف وخمسمائة، وعمل في مدة سنة ونصف.

وخرج الركب الشامي يوم الخميس تاسع شوال، وأميره علاء الدين المرسي، وقاضيه شهاب الدين الظاهري.

وفي هذا الشهر رجع جيش حلب إليها، وكانوا عشرة آلاف سوى من تبعهم من التركمان، وكانوا في بلاد أذنة، وطرسوس، وآياس، وقد خربوا وقتلوا وسبوا وأسروا خلقا كثيرا، ولم يعدم منهم سوى رجل واحد غرق بنهر جاهان، ولكن قتل الكفار من كان عندهم من المسلمين نحوا من ألفي رجل يوم عيد الفطر - من التجار وغيرهم - فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيه وقع حريق عظيم بحماة، احترقت منه أسواق كثيرة وأملاك وأوقاف، وهلكت أموال لا تحصر، وكذلك احترق أكثر مدينة أنطاكية، فتألم المسلمون لذلك.." (٢)

"واستوزر الثاني، وأمر الثالث.

وفي يوم عاشوراء أحضر شمس الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن اللبان الفقيه الشافعي - إلى مجلس الحكم الجلالي، وحضر معه شهاب الدين بن فضل الله، ومجد الدين الأقصرائي شيخ الشيوخ، وشمس الدين الأصبهاني، فادعي عليه بأشياء منكرة من الحلول والاتحاد، والغلو في القرمطة، وغير ذلك، فأقر ببعضها، فحكم بحقن دمه، ثم توسط في أمره، وأبقيت عليه جهاته، ومنع من الكلام على الناس، وقام في صفه جماعة من الأمراء والأعيان.

وفي صفر احترق بقصر حجاج حريق عظيم، أتلف دورا ودكاكين عديدة.

وفي ربيع الأول ولد للسلطان ولد، فدقت البشائر، وزينت البلد أياما. وفي منتصف ربيع الآخر أمر الأمير صارم الدين إبراهيم الحاجب الساكن تجاه جامع كريم الدين طبلخاناه، وهو من كبار أصحاب الشيخ تقي الدين ابن تيمية، رحمه الله، وله مقاصد حسنة صالحة، وهو في نفسه رجل جيد. وأفرج عن الخليفة المستكفي بالله، وأطلق من البرج في حادي عشرين ربيع الأول، ولزم بيته.

وفي يوم الجمعة عشرين جمادى الآخرة أقيمت الجمعة في جامعين بمصر، أحدهما أنشأه الأمير عز الدين أيدمر بن عبد الله الخطيري، مات بعد ذلك." (٣)

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢٩٢/١٨

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٣٧٦/١٨

(٣) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٣٩٢/١٨

"[ثم دخلت سنة أربعين وسبعمائة]

[الأحداث التي وقعت فيها]

استهلت هذه السنة وسلطان المسلمين الملك الناصر، وولاته وقضاته المذكورون في التي قبلها، إلا الشافعي بالشام فتوفي القزويني، وتولى العلامة السبكي.

ومما وقع من الحوادث العظيمة الهائلة أن جماعة من رءوس النصارى اجتمعوا في كنيستهم، وجمعوا من بينهم مالا جزيلا، فدفعوه إلى راهبين قدما عليها من بلاد الروم، يحسنان صنعة النفط، اسم أحدهما ميلاني، والآخر عازر، فعملا كعكا من نفط، وتلطفا حتى عملاه لا يظهر تأثيره إلا بعد أربع ساعات وأكثر من ذلك، فوضعا في شقوق دكاكين التجار في سوق الرجال عند الدهشة في عدة دكاكين من آخر النهار، بحيث لا يشعر أحد بهما، وهما في زي المسلمين، فلما كان في أثناء الليل لم يشعر الناس إلا والنار قد عملت في تلك الدكاكين حتى تعلقت في درابزينات المئذنة الشرقية المتجهة للسوق المذكور، **واحترقت** الدرابزينات، وجاء نائب السلطنة تنكز والأمراء أمراء الألوف،." (١)

"وصعدوا المنارة وهي تشتعل نارا، واحترسوا عن الجامع فلم ينله شيء من **الحريق**، ولله الحمد والمنة، وأما المئذنة فإنها تفجرت أحجارها، **واحترقت** السقالات التي بدل السلالم، فهدمت وأعيد بناؤها بحجارة جدد، وهي المنارة الشرقية التي جاء في الحديث أنه ينزل عليها عيسى بن مريم كما سيأتي الكلام عليه في نزول عيسى - عليه السلام - والبلد محاصر بالدجال.

والمقصود أن النصارى بعد ليال عمدوا إلى ناحية الجامع من الغرب إلى القيسارية التي يعمل فيها سلاح المسلمين من الأقواس، فألقوا فيها النفط، **فاحترقت** القيسارية بكمالها وبما فيها من الأقواس والعدد، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وتطاير شرر النار إلى ما حول القيسارية من الدور والمساكن والمدارس، واحترق جانب من المدرسة الأمينية إلى جانب المدرسة المذكورة، وما كان مقصودهم إلا وصول النار إلى معبد المسلمين، فحال الله بينهم وبين ما يرومون، وجاء نائب السلطنة والأمراء وحالوا بين **الحريق** والمسجد، جزاهم الله خيرا.

ولما تحقق نائب السلطنة أن هذا من فعلهم، أمر بمسك رءوس النصارى، فأمسك منهم نحوا من ستين رجلا، فأخذوا بالمصادرات، والضرب، والعقوبات، وأنواع المثلات، ثم بعد ذلك صلب منهم أزيد من عشرة على الجمال، وطاف بهم في أرجاء البلاد، وجعلوا يتماوتون واحدا بعد واحد، ثم أحرقوا بالنار حتى صاروا رمادا، لعنهم الله.." (٢)

"على المحدث البارع الفاضل الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أيبك السروجي المصري يوم الجمعة ثامن هذا الشهر بحلب، رحمه الله، ومولده سنة خمس عشرة وسبعمائة، وكان قد أتقن طرفا جيدا في علم الحديث، وحفظ أسماء الرجال، وجمع وخرج.

وفي مستهل ربيع الآخر وقع **حريق** عظيم بسفح قاسيون، احترق به سوق الصالحية الذي بالقرب من جامع المظفري،

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٤١٤/١٨

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٤١٥/١٨

وكانت جملة الدكاكين التي **احترقت** قريبا من مائة وعشرين دكانا، ولم ير **حريق** من زمان أكبر منه ولا أعظم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي يوم الجمعة سادسه رسم بأن يذكر بالصلاة يوم الجمعة في سائر مآذن البلد، كما يذكر في مآذن الجامع، ففعل ذلك.

وفي يوم الثلاثاء عاشره طلب من القاضي تقي الدين السبكي قاضي قضاة الشافعية أن يقرض ديوان السلطان شيئا من أموال الغياب التي تحت يده، فامتنع من ذلك امتناعا كثيرا، فجاء شاد الدواوين وبعض حاشية نائب السلطنة، ففتحوا مخزن الأيتام، وأخذوا منه خمسين ألف درهم قهرا، ودفعوها إلى بعض العرب عما كان تأخر له في الديوان السلطاني، ووقع أمر كبير لم يعهد مثله.

وفي يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى توفي صاحبنا الشيخ الإمام العالم العلامة الناقد البارع في فنون العلوم شمس الدين محمد ابن الشيخ عماد." (١)

"الأمراء، ونزل طشبغا الدوادار عند زوجته بدار منجا في محلة مسجد القصب التي كانت تعرف بدار حنين بن حيدر، وقد جددت في السنة الماضية، وتوجها في الليلة الثانية من قدومهما إلى حلب.

وفي يوم الأربعاء رابع عشر ربيع الأول اجتمع القضاة الثلاثة، وطلبوا الحنبلي ليتكلموا معه فيما يتعلق بدار المعتمد التي بجوار مدرسة الشيخ أبي عمر التي حكم بنقض وقفها، وهدم بابها، وإضافتها إلى دار القرآن المذكورة، وجاء مرسوم السلطان بوقف ذلك، وكان القاضي الشافعي قد أراد منعه من ذلك، فلما جاء مرسوم السلطان اجتمعوا لذلك، فلم يحضر القاضي الحنبلي، وقال: حتى يجيء نائب السلطنة.

ولما كان يوم الخميس خامس عشر ربيع الأول حضر القاضي حسين ولد قاضي القضاة تقي الدين السبكي عن أبيه مشيخة دار الحديث الأشرفية، وقرئ عليه شيء كان قد خرجه له بعض المحدثين، وشاع في البلد أنه نزل له عنها، وتكلموا في ذلك كلاما كثيرا، وانتشر القول في ذلك، وذكر بعضهم أنه نزل له عن الغزالية، والعادلية، واستخلفه في ذلك، فالله أعلم.

وفي سحر ليلة الخميس خامس شهر جمادى الأولى، وقع **حريق** عظيم في الحرانيين في السوق الكبير، **واحترقت** دكاكين الفواخرة والمناخليين، وفرجة الغرابيل، وإلى درب القلي، ثم إلى قريب درب العميد، وصارت تلك." (٢)

"الناحية دكا بلقعا، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وجاء نائب السلطنة بعد الأذان إلى هناك، ورسم بطفي النار، وجاء المتولي، والقاضي الشافعي، والحجاب، وشرع الناس في طفي النار، ولو تركوها لأحرقت شيئا كثيرا، ولم يفقد – فيما بلغنا – أحد من الناس، ولكن هلك للناس شيء كثير من المتاع، والأثاث، والأملاك، وغير ذلك، واحترق للجامع من الرباع في هذا **الحريق** ما يساوي مائة ألف درهم.

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨/٤٦٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨/٥٣٣

[كائنة غريبة جدا]

وفي يوم الأحد خامس عشر جمادى الأولى استسلم القاضي الحنبلي جماعة من اليهود كان قد صدر منهم نوع استهزاء بالإسلام وأهله، فإنهم حملوا رجلا منهم - صفة أنه ميت على نعش - ويهللون كتهليل المسلمين أمام الميت، ويقرءون: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾ [الإخلاص: ١]

[الإخلاص: ١ - ٤] فسمع بهم من بحارتهم من المسلمين، فأخذوهم إلى ولي الأمر نائب السلطنة، فدفعهم إلى الحنبلي، فاقتضى الحال استسلامهم، فأسلم يومئذ منهم ثلاثة، وتبع أحدهم ثلاثة أطفال، وأسلم في اليوم الثاني ثمانية آخرون، فأخذهم المسلمون، وطافوا بهم في الأسواق يهللون ويكبرون، وأعطاهم أهل الأسواق شيئا كثيرا، وراحوا بهم إلى الجامع فصلوا، ثم أخذوهم إلى دار السعادة، فاستطلقوا لهم شيئا، ورجعوا وهم في ضجيج وتهليل وتقديس، وكان يوما مشهودا. ولله الحمد.." (١)

"وفي ليلة الاثنين سادس عشر صفر في هذه السنة وقع **حريق** عظيم عند باب جيرون شرقيه، فأحرق دكان الفقاعي الكبيرة المزخرفة وما حولها، واتسع اتساعا فظيعا، واتصل **الحريق** بالباب الأصفر من النحاس، فبادر ديوان الجامع إليه، فكشطوا ما عليه من النحاس، ونقلوه من يومه إلى خزانة الحاصل بمقصورته الحلبية بجوار مشهد علي، ثم غدوا عليه يكسرون خشبه بالفئوس الحداد، والسواعد الشداد، وإذا هو من خشب الصنوبر الذي في غاية ما يكون من القوة والثبات، وتأسف الناس عليه؛ لكونه كان من محاسن البلد ومعالمه، وله في الوجود ما ينيف عن أربعة آلاف سنة.

[ترجمة باب جيرون المشهور بدمشق]

[هلاك باب شرقي جامع دمشق]

ترجمة باب جيرون المشهور بدمشق

الذي كان هلاكه وذهابه وكسره في هذه السنة، وهو باب شرقي جامع دمشق، لم ير باب أوسع ولا أعلى منه فيما يعرف من الأبنية في الدنيا، وله غلقان من نحاس أصفر بمسامير من نحاس أصفر أيضا بارزة، من عجائب الدنيا ومحاسن دمشق ومعالمها، وقد تم بناؤها، وقد ذكرته العرب في أشعارها والناس، وهو منسوب إلى ملك يقال له: جيرون بن سعد بن عاد بن عوص." (٢)

"بن إرم بن سام بن نوح، وهو الذي بناه، وكان بناؤه له قبل الخليل عليه السلام، بل قبل ثمود وهود أيضا، على ما ذكره الحافظ ابن عساكر في " تاريخه " وغيره، وكان فوقه حصن عظيم، وقصر منيف، ويقال: بل هو منسوب إلى اسم المارد الذي بناه لسليمان عليه السلام، وكان اسم ذلك المارد جيرون. والأول أظهر وأشهر، فعلى الأول يكون لهذا الباب من المدد المتطاولة ما يقارب خمسة آلاف سنة، ثم كان انجعاف هذا الباب لا من تلقاء نفسه، بل بالأيدي العادية عليه؛ بسبب ما ناله من شوظ **حريق** اتصل إليه من **حريق** وقع إلى جانبه في صبيحة ليلة الاثنين السادس عشر

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨/٥٣٤

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨/٥٣٩

من صفر، سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة، فتبادر ديوان الجامع ففرقوا شمله، وقضموا ثمله، وعروا جلده النحاس عن بدنه الذي هو من خشب الصنوبر الذي كأن الصانع قد فرغ منه يومئذ، وقد شاهدت الفئوس تعمل فيه ولا تكاد تحيل فيه إلا بمشقة، فسبحان الذي خلق الذين بنوه أولا، ثم قدر أهل هذا الزمان على أن هدموه آخرا بعد هذه المدد المتطاولة، والأمم المتداولة، ولكن: ﴿لكل أجل كتاب﴾ [الرعد: ٣٨]." (١)

"الذمة بالشروط العمرية وزيادات أخر؛ منها أن لا يستخدموا في شيء من الدواوين السلطانية والأمراء ولا في شيء من الأشياء، وأن لا تزيد عمامة أحدهم على عشرة أذرع، ولا يركبوا الخيل ولا البغال، ولكن الحمير بالأكف عرضا، وأن لا يدخلوا إلا بالعلامات من جرس، أو بخاتم نحاس أصفر أو رصاص، ولا تدخل نساؤهم مع المسلمات الحمامات، وليكن لهن حمامات تختص بهن، وأن يكون إزار النصرانية من كتان أزرق، واليهودية من كتان أصفر، وأن يكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض، وأن يحمل حكم مواريثهم على الأحكام الشرعية.

واحترقت باشورة بباب الجابية في ليلة الأحد العشرين من جمادى الآخرة، وعدم المسلمون تلك الأطعمات والحواصل النافعة من الباب الجواني إلى الباب البراني.

وفي مستهل شهر رمضان عمل الشيخ الإمام العالم البارع شمس الدين بن النقاش المصري الشافعي - ورد دمشق - بالجامع الأموي تجاه محراب الصحابة - ميعادا للوعظ، واجتمع عنده خلق من الأعيان والفضلاء والعامة، وشكروا كلامه وطلاقه عبارته، من غير تلعثم ولا تخليط ولا توقف، وطال ذلك إلى قريب العصر.

وفي صبيحة يوم الأحد ثالثه صلي بجامع دمشق بالصحن تحت النسر على." (٢)

"ودفن عند أبيه بمقابر باب الصغير، وكانت جنازته حافلة، وكانت لديه علوم جيدة، وذهنه حاضر خارق، أفتى، ودرس، وأعاد، وناظر، وحج مرات عديدة، رحمه الله، وبل بالرحمة ثراه.

وفي يوم الاثنين تاسع عشر شوال وقع **حريق** هائل في سوق القطانين بالنهار، وذهب إليه نائب السلطنة، والحجبة، والقضاة، حتى اجتهد الفعول والمتبرعون في إخماده وطفيه، حتى سكن شره. وقد ذهب بسببه دكاكين ودور كثيرة جدا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وقد رأيته من الغد والنار كما هي عمالة، والدخان صاعد، وقد ذهب الناس يطفونه بالماء الكثير الغمر، والنار لا تخمد، لكن هدمت الجدران، وخربت المساكن، وانتقل السكان.." (٣)

"كثير منهم أن مذهب الإمام أحمد في المناقلة إنما هو في حال الضرورة، وحيث لا يمكن الانتفاع بالموقوف، فأما المناقلة لمجرد المصلحة والمنفعة الراجحة فلا، وامتنعوا من قبول ما قرره الشيخ تقي الدين ابن تيمية في ذلك ونقله عن الإمام أحمد من وجوه كثيرة من طريق ابنه صالح، وحرب، وأبي داود، وغيرهم أنها تجوز للمصلحة الراجحة، وصنف في ذلك مسألة مفردة، وقفت عليها فرأيتها في غاية الحسن والإفادة، بحيث لا يتخالج من اطلع عليها ممن يذوق

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨/٥٤٠

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨/٥٦٢

(٣) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨/٥٦٨

طعم الفقه أنها مذهب الإمام أحمد رحمه الله، فقد احتج أحمد في ذلك في رواية ابنه صالح بما رواه عن يزيد بن هارون، عن المسعودي، عن القاسم بن محمد، أن عمر كتب إلى ابن مسعود أن يحول المسجد الجامع بالكوفة إلى موضع سوق التمارين، ويجعل السوق في مكان المسجد الجامع العتيق، ففعل ذلك، فهذا فيه أوضح دلالة على ما استدل به فيها من النقل بمجرد المصلحة، فإنه لا ضرورة إلى جعل المسجد العتيق سوقا، على أن الإسناد فيه انقطاع بين القاسم وبين عمر، وبين القاسم وابن مسعود، ولكن قد جزم به صاحب " المذهب "، واحتج به، وهو ظاهر واضح في ذلك، فعقد المجلس في يوم الاثنين الثامن والعشرين من الشهر.

وفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى، وقع **حريق** عظيم ظاهر باب الفرج، احترق بسببه قياسير كثيرة لطاز ويلبغا، وقيسرية الطواشي لبنت." (١)

"فمنعوهم أن ينالوا منه قطرة واحدة، فرحلوا ليلة الثلاثاء منشمرين بما معهم من الغنائم، وبعثت رءوس جماعة من الفرنج ممن قتل في المعركة فنصبت على القلعة بدمشق، وجاء الخبر في هذا الوقت بأن إياس قد أحاط بها الفرنج، وقد أخذوا الربض، وهم محاصرون القلعة، وفيها نائب البلد، وذكروا أنهم قتلوا خلقا كثيرا من أهلها، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وذهب صاحب حلب في جيش كثيف نحوهم، والله المسئول أن يظفرهم بهم بحوله وقوته، وشاع بين العامة أيضا أن الإسكندرية محاصرة، ولم يتحقق ذلك إلى الآن، وبالله المستعان.

وفي يوم السبت رابع جمادى الآخرة قدم رءوس من قتلى الفرنج على صيدا، وهي بضع وثلاثون رأسا، فنصبت على شرفات القلعة، ففرح المسلمون بذلك، ولله الحمد.

وفي ليلة الأربعاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة وقع **حريق** عظيم داخل باب الصغير من مطبخ السكر الذي عند السويقة الملاصقة لمسجد الشنباشي، فاحترق المطبخ وما حوله إلى حمام أبي نصر، واتصل بالسويقة المذكورة وما هنالك من الأماكن، فكان قريبا أو أكثر من **الحريق** ظاهر باب الفرج، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وحضر نائب السلطنة، وذلك أنه كان وقت صلاة العشاء، ولكن كان الريح قويا، وذلك بتقدير العزيز العليم.." (٢)

"وتوفي الشيخ عز الدين محمد بن إسماعيل بن عمر الحموي، أحد مشايخ الرواة، في ليلة الثلاثاء الثامن والعشرين من جمادى الآخرة، وصلي عليه من الغد بالجامع الأموي بعد الظهر، ودفن بمقابر باب الصغير. وكان مولده في ثاني عشر ربيع الأول سنة ثمانين وستمائة، فجمع الكثير، وتفرد بالرواية عن جماعة في آخر عمره، وانقطع بموته سماع " السنن الكبير " للبيهقي. رحمه الله.

ووقع **حريق** عظيم ليلة الجمعة خامس عشر رجب بمحلة الصالحية من سفح قاسيون، فاحترق السوق القبلي من جامع الحنابلة بكماله شرقا وغربا، وجنوبا وشمالا، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي يوم الجمعة خامس شهر رمضان خطب بالجامع الذي أنشاه سيف الدين يلبغا الناصري غربي سوق الخيل، وفتح

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨/٥٧١

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨/٥٧٣

في هذا اليوم، وجاء في غاية الحسن والبهاء، وخطب الشيخ ناصر الدين بن الربوة الحنفي، وكان قد نازعه فيه الشيخ شمس الدين الشافعي الموصلي، وأظهر ولاية من واقفه يلبغا المذكور، ومراسيم شريفة سلطانية، ولكن قد قوي عليه ابن الربوة ؛ بسبب أنه نائب عن الشيخ قوام الدين الإتقاني الحنفي، وهو مقيم بمصر، ومعه ولاية من السل◌طان متأخرة عن ولاية الموصلي، فرسم لابن الربوة، فلبس يومئذ الخلعة السوداء من دار السعادة، وجاءوا بين يديه بالسناجق السود الخليفتية، والمؤذنون يكبرون على العادة، وخطب يومئذ خطبة حسنة، أكثرها في فضائل القرآن، وقرأ في." (١)

"المحراب بأول سورة " طه "، وحضر كثير من الأمراء، والعامة، والخاصة، وبعض القضاة، وكان يوما مشهودا، وكنت ممن حضر قريبا منه. والعجب أني وقفت في شهر ذي القعدة على كتاب أرسله بعض الناس إلى صاحب له من بلاد طرابلس، وفيه: والمخدوم يعرف الشيخ عماد الدين بما جرى في بلاد السواحل من **الحريق**، من بلاد طرابلس إلى آخر معاملة بيروت إلى جميع كسروان، أحرق الجبال كلها، ومات الوحوش كلها مثل النمور، والدب، والثعلب، والخنزير؛ من **الحريق**، ما بقي للوحوش موضع يهربون فيه، وبقي **الحريق** ثلاثة أيام، و◌هرب الناس إلى جانب البحر من خوف النار، واحترق زيتون كثير، فلما نزل المطر أطفأه بإذن الله تعالى، قال: ومن العجب أن ورقة من شجرة سقطت في بيت من مدخنته فأحرقت جميع ما فيه من الأثاث، والثياب، وغير ذلك، ومن حليه حريرا كثيرا، وغالب هذه البلاد للدرزية والرافضة. نقلته من خط كاتبه محمد بن بلبان إلى صاحبه، وهما عندي ثقتان، فيالله للعجب.

وفي هذا الشهر - يعني: ذي القعدة - وقع بين الشيخ عماد الدين إسماعيل بن العز الحنفي وبين أصحابه من الحنفية مناقشة؛ بسبب اعتدائه على بعض◌ الناس في محاكمة، فاقتضى ذلك إحضاره إلى مجلس الحكم ثلاثة أيام كمثل المتمرد عندهم، فلما لم يحضر فيها حكم عليه القاضي شهاب الدين الكفري - نائب الحنفي - بإسقاط عدالته، ثم ظهر خبره بأنه قصد بلاد مصر، فأرسل النائب في أثره من يرده، فعنفه، ثم أطلقه إلى منزله، وشفع فيه قاضي القضاة الحنفي." (٢)

"يركبوا الخيل، ولا البغال، ويركبون الحمير بالأكف بالعرض، وأن يكون في رقابهم ورقاب نسائهم في الحمامات الأجراس، وأن يكون أحد النعلين أسود مخالفا للون الأخرى، ففرح بذلك المسلمون، ودعوا للآمر بذلك.

وفي يوم الأحد ثالث ربيع الأول قدم قاضي القضاة تاج الدين من الديار المصرية مستمرا على القضاء، والخطابة، فتلقاه الناس، وهنئوه بالعود والسلامة.

وفي يوم الخميس سابعه لبس القاضي الصاحب البهنسي الخلعة لنظر الدواوين بدمشق، وهنأه الناس، وباشر بصرامة، واستعمل في غالب الجهات من أبن◌اء المسلمين. وفي يوم الاثنين حادي عشره ركب قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح على خيل البريد متوجها إلى الديار المصرية؛ لتوليه قضاء قضاة الشافعية بدمشق عن رضى من خالة قاضي القضاة تاج الدين، ونزوله عن ذلك.

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥٧٤/١٨

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥٧٥/١٨

وفي ليلة الخميس خامس ربيع الآخر **احترقت** الباشورة التي ظاهر باب الفرج على الجسر، ونال حجارة الباب شيء من **حريقها** فاتسعت، وقد حضر طفأها نائب السلطنة، والحاجب الكبير، ونائب القلعة، والولاة، وغيرهم. وفي صبيحة هذا اليوم زاد النهر زيادة عظيمة بسبب كثرة الأمطار، وذلك في أوائل كانون الثاني، وركب الماء سوق الخيل بكماله، ووصل إلى ظاهر باب الفراديس،." (١)

"وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن إدريس، حدثنا الحسن بن واقع، حدثنا ضمرة، عن ابن شوذب، عن يزيد الرشك، قال: يقوم الناس يوم القيامة أربعين ألف سنة، ويقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة. وقال الكلبي في " تفسيره "، وهو يرويه عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: لو ولي محاسبة العباد غير الله تعالى لم يفرغ في خمسين ألف سنة.

وقال البيهقي: وفيما ذكر حماد بن زيد، عن أيوب، قال: قال الحسن: ما ظنك بيوم قام العباد فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة، لم يأكلوا فيها أكلة، ولم يشربوا فيها شربة، حتى تقطعت أعناقهم عطشا، **واحترقت** أجوافهم جوعا، ثم انصرف بهم إلى النار، فسقوا من عين آنية، قد أنى حرها، واشتد نضجها. وقد ورد هذا في أحاديث متعددة، فالله أعلم.

قال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ ما أطول هذا اليوم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " والذي نفسي بيده، إنه ليخفف على المؤمن، حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة." (٢)

"على شرط الصحيح.

وروى الترمذي وابن ماجه، كلاهما عن عباس الدوري، عن يحيى بن أبي بكير، عن شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة» ". قال الترمذي: ولا أعلم أحدا رفعه غير يحيى بن أبي بكير، عن شريك. كذا قال الترمذي، وقد رواه أبو بكر بن مردويه الحافظ، عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن الحسين بن مكرم، عن عبيد الله بن سعد، عن عمه، عن شريك، به، مثله ".

وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو سعيد بن أبي عمرو، قالا: حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن سلمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «النار لا يطفأ جمرها، ولا يضيء لهبها ". قال: ثم قرأ: ﴿وذوقوا عذاب **الحريق**﴾ [الأنفال: ٥٠] » [الأنفال:

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨/٦٨٥

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٩/٤٠٤

٥٠] . قال البيهقي: ورفعه ضعيف. ثم رواه من وجه آخر موقوفا. وقال ابن مردويه: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدثنا." (١)

"تعالى: ﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب - قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ [غافر: ٤٩ - ٥٠]

[غافر: ٤٩، ٥٠] . وقال تعالى: ﴿ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيا﴾ [الأعلى: ١١] . [الأعلى: ١١ - ١٣] وتقدم في الصحيح: " «أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون» ". وفي الحديث المتقدم في ذبح الموت بين الجنة والنار: " «ثم يقال: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت» ". وكيف ينام من هو في عذاب متواصل، لا يغير عنه ساعة واحدة ولا لحظة، بل كلما خبت نارهم، زادهم الله سعيرا، قال الله تعالى: ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب **الحريق**﴾ [الحج: ٢٢] الحج: [٢٢] .

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن المبارك، عن سعيد بن يزيد، عن أبي السمح، عن ابن حجيرة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " «إن الحميم ليصب على رءوسهم، فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه» ".

وروى الترمذي، والطبراني، واللفظ له، من حديث قطبة بن." (٢)

"الفصل الثامن في أن المباني والمصانع في الملة الإسلامية قليلة بالنسبة إلى قدرتها وإلى من كان قبلها من الدول والسبب في ذلك ما ذكرنا مثله في البربر بعينه إذ العرب أيضا أعرق في البدو وأبعد عن الصنائع وأيضا فكانوا أجانب من الممالك التي استولوا عليها قبل الإسلام ولما تملكوها لم ينفسح الأمد حتى تستوفي رسوم الحضارة مع أنهم استغنوا بما وجدوا من مباني غيرهم وأيضا فكان الدين أول الأمر مانعا من المغالاة أو البنيان والإسراف فيه في غير القصد كما عهد لهم عمر حين استأذنوه في بناء الكوفة بالحجارة وقد وقع **الحريق** في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل فقال افعلوا ولا يزيدن أحد على ثلاثة أبيات ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة وعهد إلى الوفد وتقدم إلى الناس أن لا يرفعوا بنيانا فوق القدر قالوا: وما القدر؟ قال: «لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم عن القصد» .

فلما بعد العهد بالدين والتحرج في أمثال هذه المقاصد وغلبت طبيعة الملك والترف واستخدم العرب أمة الفرس وأخذوا عنهم الصنائع والمباني ودعتهم إليها أحوال الدعة والترف فحينئذ شيدوا المباني والمصانع وكان عهد ذلك قريبا بانقراض الدولة ولم ينفسح الأمد لكثرة البناء واختطاط المدن والأمصار إلا قليلا وليس كذلك غيرهم من الأمم فالفرس طالت مدتهم آلافا من السنين وكذلك القبط والنبط والروم وكذلك العرب الأولى من عاد وثمود والعمالقة والتبابعة طالت آمادهم ورسخت الصنائع فيهم فكانت مبانيهم وهياكلهم أكثر عددا وأبقى على الأيام أثرا واستبصر في هذا تجده كما قلت والله

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٢٣/٢٠

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٥٥/٢٠

وارث الأرض ومن عليها

.." (١)

"بن أبي أمية واشتكى المهاجر فلم يذهب فكان زياد بن لبيد يقوم على عمله، وبعث معاذ بن جبل معلما لأهل اليمن وحضرموت، وكان قبل ذلك قد بعث على الصدقات عدي بن حاتم على صدقة طيئ وأسد، ومالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة، وقسم صدقة بني سعد بين رجلين منهم، وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين وبعث علي بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ويقدم عليه بها فوافاه من حجة الوداع كما مر.

خبر العنسي

كان الأسود العنسي واسمه عبهلة بن كعب ولقبه ذو الخمار، وكان كاهنا مشعوذا يفعل الأعاجيب ويخلب بحلاوة منطقه، وكانت داره كهف حنار [١] بها ولد، ونشأ وادعى النبوة وكاتب مذحجا عامة فأجابوه ووعدوه [٢] ، نجران فوثبوا بها وأخرجوا عمرو بن حزم [٣] وخالد بن سعيد بن العاص وأقاموه في عملها، ووثب قيس بن عبد يغوث على فروة بن مسيك وهو على مراد فأجلوه، وسار الأسود في سبعمائة فارس إلى شهر بن باذان بصنعاء فلقيه شهر بن باذان فهزمه الأسود فقتله، وغلب على ما بين صنعاء وحضرموت إلى أعمال الطائف إلى البحرين من قبل عدن، وجعل يطير استطارة **الحريق** وعامله المسلمون بالتقية، وارتد كثير من أهل اليمن. وكان عمرو بن معديكرب مع خالد بن سعيد بن العاص، فخالفه واستجاب للأسود، فسار إليه خالد ولقيه فاختلفا ضربتين فقطع خالد سيفه الصمصامة وأخذها، ونزل عمرو عن فرسه وفتك في الخيل ولحق عمرو بن الأسود فولاه على مذحج وكان أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث المرادي، وأمر الأبناء إلى فيروز ودادويه وتزوج امرأة شهر بن باذان واستفحل أمره.

وخرج معاذ بن جبل هاربا ومر بأبي موسى في مأرب فخرج معه ولحقا بحضرموت، ونزل معاذ في السكون وأبو موسى في السكاسك، ولحق عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بالمدينة. وأقام الطاهر بن أبي هالة ببلاد عك حيال [٤] صنعاء، فلما ملك

---

[١] وفي نسخة أخرى: خيار وفي النسخة الباريسية: جناز

[٢] وفي نسخة أخرى: وأوعدوا

[٣] وفي نسخة أخرى: بن حزام.

[٤] وفي نسخة أخرى: جبال صنعاء.." (٢)

"بقعة الكوفة فصليا فيها ودعيا أن تكون منزل ثبات. ورجع إلى سعد فكتب إلى القعقاع وعبد الله بن المعتمر أن يستخلفا على جند هما ويحضرا، وارتحل من المدائن فنزل الكوفة في المحرم سنة سبع عشرة لسنتين وشهرين من وقعة

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٤٤٧/١

(٢) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٤٨٢/٢

القاسية ولثلاث سنين وثمانية أشهر من ولاية عمر، وكتب إلى عمر إني قد نزلت الكوفة بين الحيرة والفرات بريا بحريا بين الجلاء والنصر وخيرت الناس بينهما وبين المدائن ومن أعجبته تلك جعلته فيها مسلحة، فلما استقروا بالكوفة ثاب إليهم ما فقدوه من حالهم. ونزل أهل البصرة أيضا منازلهم في وقت واحد مع أهل الكوفة بعد ثلاث مرات نزلوها من قبل واستأذنوا جميعا في بنيان القصب، فكتب عمر: إن العسكرة أشد لحربكم وأذكر لكم وما أحب أن أخالفكم فابتنوا بالقصب. ثم وقع **الحريق** في القصرين فاستأذنوا في البناء باللبن فقال: افعلوا ولا يزيد أحد على ثلاثة بيوت ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة. وكان على تنزيل الكوفة أبو هياج بن مالك، وعلى تنزيل البصرة أبو المحرب عاصم بن الدلف. وكانت ثغور الكوفة أربعة: حلوان وعليها القعقاع، وماسبدان وعليها ضرار بن الخطاب، وقرقيسيا وعليها عمر بن مالك، والموصل وعليها عبد الله بن المعتمر. ويكون بها خلفاؤهم إذا غابوا.

فتح الأهواز والسوس بعدهما

لما انهزم الهرمزان يوم القادسية قصد خوزستان وهي قاعدة الأهواز فملكها وملك سائر الأهواز، وكان أصله منهم من البيوتات السبعة في فارس، وأقام يغير على أهل ميسان ودست ميسان من ثغور البصرة يأتي إليها من منادر ونهير تيري من ثغور الأهواز.

واستمد عتبة بن غزوان سعدا فأمده بنعيم بن مقرن، ونعيم بن مسعود، فنزلا بين ثغور البصرة وثغور الأهواز. وبعث عتبة بن غزوان سلمي بن القين وحرملة بن مريطة [١] من بني العدوية بن حنظلة فنزلا على ثغور البصرة بميسان، ودعوا بني العم بن مالك وكانوا ا ينزلون خراسان، فأهل البلاد يأمنونهم، فاستجابوا وجاء منهم غالب الوائلي وكليب بن وائل الكلبي فلقيا سلمي وحرملة وواعداهما الثورة بمنادر ونهر تيري. ونهض سلمي وحرملة يوم الموعد في التعبية وأنهضا نعيما والتقوا هم

---

[١] وفي نسخة ثانية: بن قريضة.." (١)

"وخراسان قبله [١] فأقام بحبسه في الحيرة ثمانية عشر شهرا مع أخيه إسماعيل وابنه يزيد ابن خالد والمنذر ابن أخيه أسد واستأذن هشاما في عذابه فأذن له على أنه إن هلك قتل يوسف به فعذبه. ثم أمر هشام بإطلاقه سنة إحدى وعشرين، فأتى إلى قرية بإزاء الرصافة فأقام بها، حتى خرج زيد وقتل وانقضى أمره، فسعى يوسف بخالد عند هشام بأنه الذي داخل زيدا في الخروج، فرد هشام سعايته ووبخ رسوله وقال:

لسنا نتهم خالدا في طاعة. وسار خالد إلى الصائفة وأنزل أهله دمشق وعليها كلثوم بن عياض القشيري، وكان يبغض خالدا. فظهر في دمشق **حريق** في ليال، فكتب كلثوم إلى هشام بأن موالي خالد يريدون الوثوب إلى بيت المال ويتطرقون إلى ذلك **بالحريق** كل ليلة في البلد. فكتب إليه هشام بحبس الكبير منهم والصغير والموالي فحبسهم. ثم ظهر على صاحب **الحريق** وأصحابه. وكتب بهم الوليد بن عبد الرحمن عامل الخراج ولم يذكر فيهم أحدا من آل خالد ومواليه

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٢/٥٥٠

فكتب هشام إلى كلثوم يوبخه ويأمره بإطلاق آل خالد وترك الموالي فشفع فيهم خالد عند مقدمه من الصائفة، فلما قدم دخل منزله وأذن للناس فاجتمعوا ببابه فوبخهم وقال: إن هشاما يسوقهن إلى الحبس كل يوم. ثم قال خرجت غازيا سامعا مطيعا فحبس أهلي مع أهل الجرائم كما يفعل بالمشركين. ولم يغير ذلك أحد منكم، أخفتم القتل؟ أخافكم الله. والله ليكفن عني هشام أو لأعودن إلى عراقي الهوى شامي الدار حجازي الأصل يعني محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. وبلغ ذلك هشاما فقال: خرف أبو الهيثم. ثم تتابعت كتب يوسف بن عمر إلى هشام بطلب يزيد بن خالد فأرسل إلى كلثوم بإنفاذه إليه فهرب يزيد فطلبه كلثوم من خالد وحبسه فيه فكتب إليه هشام بتخليته ووبخه انتهى.

ولما ولي الوليد بن يزيد استقدم خالدا وقال أين ابنك؟ قال: هرب من هشام وكنا نراه عندك حتى استخلفك الله فلم نره وطلبناه ببلاد قومه من الشراة فقال: ولكن خلفته طلبا للفتنة فقال: إنا أهل بيت طاعة. فقال: لتأتيني به أو لازهقن، نفسك فقال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه فأمر الوليد بضربه. ولما قدم يوسف بن عمر من العراق بالأموال اشتراه من الوليد بخمسين ألف ألف فقال له الوليد: إن

---

[١] العبارة هنا مبهمة وغير واضحة وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٥ ص ٢٧٦ «ثم سار يوسف إلى الحيرة وأخذ خالدا فحبسه بها تمام ثمانية عشر شهرا مع أخيه إسماعيل وابنه يزيد ... »." (١)

"إسحاق بن إسماعيل بن إسحاق مولى بني أمية فخرج وقاتلهم، وكانت المدينة كلها مشيدة من خشب الصنوبر، فأمر بغا أن يرمى عليها بالنفط فاضطرمت النار في الخشب، واحترقت قصور إسحاق وجواريه وخمسون ألف إنسان وأسر الباقون، وأحاطت الأتراك والمغاربة بإسحاق فأسروه وقتله بغا لوقته، ونجا أهل إسحاق بأمواله إلى صعدنيل [١] مدينة حذاء تفليس على نهر الكرمن [٢] من شرقيه بناها أنوشروان وحصنها إسحاق وجعل أمواله فيها فاستباحها بغا، ثم بعث الجند إلى قلعة أخرى بين بردعة وتفليس ففتحوها وأسروا بطريقها. ثم سار إلى عيسى بن يوسف في قلعة كيس [٣] من كور البيلقان ففتحها وأسره وحمل معه جماعة من البطارقة، وذلك سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

عزل ابن أبي دؤاد وولاية ابن أكثم

وفي سنة سبع وثلاثين غضب المتوكل على أحمد بن أبي دؤاد وقبض ضياعه وحبس أولاده، فحمل أبو الوليد منهم مائة وعشرين ألف دينار وجواهر تساوي عشرين ألفا، ثم صولح عن ستة عشر ألف ألف درهم وأشهد عليهم ببيع أملاكهم وفلح أحمد، فأحضر المتوكل يحيى بن أكثم وولاه قضاء القضاء، وولى أبا الوليد بن أبي دؤاد المظالم ثم عزله. وولى أبا الربيع محمد بن يعقوب ثم عزله، وولى يحيى بن أكثم على المظالم ثم عزله سنة أربعين، وصادره على خمسة وسبعين ألف دينار وأربعة آلاف حربو [٤] ، وولى مكانه جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي. وتوفي في هذه السنة أحمد بن أبي دؤاد بعد ابنه أبي الوليد بعشرين يوما وكان معتزليا أخذ مذهبهم عن بشر المريسي وأخذه بشر عن جهم بن صفوان وأخذه جهم عن الجعد بن دهم معلم مروان.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٣/١٣١

[١] صغدبيل: ابن الأثير ج ٧ ص ٦٨.

[٢] نهر الكر: المرجع السابق.

[٣] قلعة كبيش: المرجع السابق.

[٤] وفي الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٧٤: «وفي هذه السنة (٢٤٠) عزل يحيى بن أكثم عن القضاء، وقبض منه ما مبلغه خمسة وسبعون ألف دينار، وأربعة آلاف جريب بالبصرة.» وفي الطبري ج ١١ ص ٥٠: «وفيها عزل يحيى بن أكثم عن القضاء في صفر وقبض منه ما كان له ببغداد ومبلغه خمسة وسبعون ألف دينار وفي أسطوانة في داره ألف دينار واربعة آلاف جريب بالبصرة.» والجريب من الأرض مقدار معلوم الذراع والمساحة (لسان العرب) .." (١)

"عسكرا فقتلوه بعكبر وانقطع أمره وقيل سار إلى صاحب الزنج فقتله سنه ستين وفي هذه السنة غلب الحسين بن زيد الطالبي على الري وسار موسى بن بغا إليه.

بقية أخبار الزنج

قد تقدم لنا أن المعتمد بعث سعيد بن صالح الحاجب لحربهم فأوقع بهم، ثم عاودوه فأوقعوا به وقتلوا من أصحابه وأحرقوا عسكره، ورجع إلى سامرا فعقد المعتمد على حربهم لجعفر بن منصور الخياط فقطع عنهم ميرة السفن. ثم سار إليهم في البحر فهزموه إلى البحرين، ثم بعث الخبيث علي بن أبان من قواده إلى اربل [١] لقطع قنطرتها، فلقي إبراهيم بن سيما منصرفا من فارس، فأوقع بهم إبراهيم وخرج علي بن أبان وسار إبراهيم إلى نهر جي وأمر كاتبه شاهين بن بسطام باتباعه وجاء الخبر إلى علي ابن أبان بإقبال شاهين فسار ولقيه وهزمه أشد من الأول، وانصرف إلى جي. وكان منصور بن جعفر الخياط منذ انهزم في البحر، لم يعد لقتال الزنج واقتصر على حفر الخنادق وإصلاح السفن، فزحف علي بن أبان لحصاره بالبصرة، وضيق على أهل البلد وأشرف على دخولها، وبعث لاحتشاد العرب، فوافاه منهم خلق فدفعهم لقتال أهل البصرة وفرقهم على نواحيها فقاتلهم كذلك يومين، ثم افتتحها علي بن أبان منتصف شوال وأفحش في القتل والتخريب، ورجع ثم عاودهم ثانية وثالثة حتى طلبوا الأمان فأمنهم وأحضرهم في بعض دور الامارة فقتلهم أجمعين، وحرق علي ابن أبان الجامع ومواضع من البصرة واتسع الحريق من الجبل إلى الجبل وعم النهب وأقام كذلك أياما، ثم نادى بالأمان فلم يظهر أحد وانتهى الخبر إلى الخبيث فصرف علي بن أبان وولى عليها يحيى بن محمد البحراني.

مسير المولد لحربهم

لما دخل الزنج البصرة وخربوها، أمر المعتمد محمدا المعروف بالمولد بالمسير إلى البصرة، وسار إلى الأبلة، ثم نزل البصرة واجتمع إليه أهلها، وأخرج الزنج عنها إلى نهر معقل، ثم بعث الخبيث قائده يحيى بن محمد لحرب المولد فقاتله عشرة أيام

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٣/٣٤٥

[١] قنطرة أربك: ابن الأثير ج ٧ ص ٢٤٣.." (١)

"سهم غرب فقتل، وانهزم أصحابه وأسر الكثير منهم. ثم رحل الموفق نحو الأبلة ليجمع العساكر ونزل نهر أبي الأسد ووقع الموتان في عسكره، فرجع إلى بادرود، وأقام لتجهيز الآلة وإزاحة العلل وإصلاح السفن، ثم عاد إلى عسكر الخبيث فالتقوا واشتد الحرب بينهم على نهر أبي الخصيب وقتل جماعة من الزنج، واستنقذ كثير من النساء المسبيات ورجع إلى عسكره ببادرود فوقع **الحريق** في عسكره، ورحل إلى واسط وافترق أصحابه فرجع إلى سامرا واستخلف على واسط.

مقتل البحراني قائد الزنج

كان اصطيخور لما ولي الأهواز بعد منصور الخياط بلغه مسير يحيى بن محمد قائد الزنج إلى نهر العباس عند مسير الموفق إليهم، فخرج إليه اصطيخور فقاتله وعبر يحيى النهر وغنم سفن الميرة التي كانت عند اصطيخور، وبعث طلائعه إلى دجلة فلقوا جيش الموفق فرجعوا هاربين، وطلائع الموفق في اتباعهم وعبروا النهر منهزمين. وبقي يحيى فقاتل وانهزم ودخل في بعض السفن جريحا وغنم [١] طلائع الموفق غنائمهم والسفن وأحرقوا بعضها وعبروا الماخورة على يحيى فأنزلوه من سفنهم خشية على أنفسهم، فسعى به طبيب كان يداوي جراحة وقبض عليه وحمل إلى سامرا وقطع ثم قتل. ثم أنفذ الخبيث علي بن أبان وسليمان بن موسى الشعراني من قواده إلى الأهواز، وضم إليهما الجيش الذي كان مع يحيى ومحمد البحراني وذلك سنة تسع وخمسين فلقيهما اصطيخور بدستميسان [٢] وانهزم أمامهما وغرق، وهلك من أصحابه خلق وأسر الحسن بن هزيمة والحسن بن جعفر وغيرهما وحبسوا ودخل الزنج الأهواز فأقاموا يفسدون في نواحيها ويغنمون إلى أن قدم موسى بن بغا.

مسير ابن بغا لحرب الزنج

ولما ملك الزنج الأهواز سنة تسع وخمسين سرح المعتمد لحربهم موسى بن بغا وعقد له على الأعمال، فبعث إلى الأهواز عبد الرحمن بن مفلح وإلى البصرة إسحاق بن كنداجق وإلى بادرود [٣] إبراهيم بن سيما وأمرهم بمحاربة الزنج. فسار عبد الرحمن إلى

---

[١] الصحيح وغنمت طلائع الموفق.

[٢] دشت ميسان: ابن الأثير ج ٧ ص ٢٥٩.

[٣] باذاورد: ابن الأثير ج ٧ ص ٢٦٠.." (٢)

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٣/٣٨٢

(٢) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٣/٣٨٤

"أن يكون تورون أميرا وجحجح صاحب الجيش. ثم طمع ابن البريدي في واسط وأصعد إليها وطلب من تورون أن يضمنه إياها، فرده ردا جميلا. وكان قد سار جحجح لمدافعته فمر به الرسول في طريقه وحادثة طويلا، وسعى إلى تورون بأنه لحق بابن البريدي فأسرى إليه وكبسه منتصف رمضان، فقبض عليه وجاء به إلى واسط فسمله، وبلغ الخبر إلى سيف الدولة وكان لحق بأخيه، فعاد إلى بغداد منتصف رمضان، وطلب المال من المتقي لمدافعة تورون، فبعث أربعمائة ألف درهم وفرقها في أصحابه وظهر له من كان مستخفيا ببغداد وجاء تورون من واسط بعد أن خلف بها كيغلغ. فلما أحس به سيف الدولة رحل فيمن انضم إليه من أجناد واسط وفيهم الحسن بن هارون، وسار إلى الموصل ولم يعاود بنو حمدان بعدها بغداد.

امارة تورون ثم وحشته مع المتقي

لما سار سيف الدولة عن بغداد دخلها تورون آخر رمضان سنة إحدى وثلاثين، فولاه المتقي أمير الأمراء، وجعل النظر في الوزارة لأبي جعفر الكرخي كما كان الكوفي.

ولما سار تورون عن واسط خالفه إليها البريدي فملكها. ثم انحدر تورون أول ذي القعدة لقتل البريدي، وقد كان يوسف بن وجيه صاحب عمان سار في المراكب إلى البصرة، وحارب ابن البريدي حتى أشرفوا على الهلاك. ثم احترقت مراكب عمان بحيلة دبرها بعض الملاحين ونهب منها مال عظيم. ورجع يوسف بن وجيه مهزوما في المحرم سنة اثنتين وثلاثين، وهرب في هذه الفتنة أبو جعفر بن شيرزاد من تورون فاشتمل عليه، وكان تورون عند إصعاده من بغداد استخلف مكانه محمد بن ينال الترجمان. ثم تنكر فارتاب محمد، وارتاب الوزير أبو الحسن بن مقلة بمكان ابن شيرزاد من تورون وخافا غائلته وخوفا المتقي كذلك، وأوهماه أن البريدي ضمنه من تورون بخمسمائة ألف دينار التي أخذها من تركة يحكم، وأن ابن شيرزاد جاء عن البريدي ليخلفه ويسلمه، فانزعج لذلك وعزم على المسير إلى ابن حمدان، وكتبوا إليه أن ينفذ عسكرا يسير صحبته.

مسير المتقي إلى الموصل

ولما تمت سعاية ابن مقلة وابن ينال بتورون مع المتقي اتفق وصول ابن شيرزاد إلى بغداد أول اثنتين وثلاثين في ثلاثمائة فارس، وأقام بدست الأمر والنهي لا يعرج على." (١)

"بما وقع اتفاقهم معه عليه وحدث نفسه بالقبض عليه واستخدام جنده لمدافعة الإفرنج ولم يتم له ذلك وشعر به أسد الدين فاعترضه صلاح الدين ابن أخيه وعز الدين خرديك مولاه عند قبر الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وقتلاه وفوض العاضد أمور دولته إلى أسد الدين وتقاصر الإفرنج عنها ومات أسد الدين واستولى صلاح الدين بعد ذلك على البلاد وارتجع البلاد الإسلامية من يد الإفرنج كما نذكر في أخبار دولته والله أعلم [١] .

---

[١] ذكرت هذه الحادثة في الكامل ج ١١ ص ٣٣٥ بعنوان.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٣/٥١٥

(ذكر ملك أسد الدين مصر ومقتل شاور) في هذه السنة في ربيع الأول سار أسد الدين شيركوه بن شاذي إلى مصر فملكها ومعه العساكر النورية وسبب ذلك ما ذكرناه من تمكن الفرنج من البلاد المصرية وأنهم جعلوا لهم في القاهرة شحنة وتسلموا أبوابها وجعلوا لهم فيها جماعة من شجعانهم وأعيان فرسانهم، وحكموا المسلمين حكما جائرا وركبوهم بالأذى العظيم. فلما رأوا ذلك وأن البلاد ليس فيها من يردهم أرسلوا إلى ملك الفرنج بالشام وهو (مري) ولم يكن للفرنج من ظهر بالشام مثله شجاعة ومكر أو دهاء يستدعونه ليملكها وأعلموه خلوها من موانع وهونوا أمرها عليه فلم يجبهم فاجتمع إليه فرسان الفرنج وذو الرأي منهم فأشاروا عليه بقصدها وتملكها فقال لهم:

الرأي عندي أننا لا نقصدها ولا طمعة لنا فيها وأموالها تساق إلينا نتقوى بها على نور الدين، وان نحن قصدناها لنملكها فإن صاحبها وعساكره وعامه بلاده وفلاحيها لا يسلمونها إلينا ويقاتلوننا دونها ويحملهم الخوف منا على تسليمها إلى نور الدين، ولئن صار له فيها مثل أسد الدين فهو هلاك الفرنج وإجلاؤهم من ارض الشام فلم يقبلوا قوله، وقالوا له: إنها لا مانع فيها ولا حامي وإلى أن يتجهز عسكر نور الدين ويسير إليها نكون نحن قد ملكناها وفرغنا من أمرها، وحينئذ يتمنى نور الدين منا السلامة فسار معهم على كره وشرعوا يتجهزون ويظهرون أنهم يريدون قصد مدينة حمص. فلما سمع نور الدين شرع أيضا بجمع عساكره وأمرهم بالقدوم عليه، وجد الفرنج في السير إلى مصر فقدموها ونازلوا مدينة بلبيس وملكوها قهرا مستهل صفر ونهبوها وقتلوا فيها وأسروا وكان جماعة من أعيان المصريين قد كاتبوا الفرنج ووعدوهم النصرة عداوة منهم لشاور بن الخياط وابن فرجلة، فقوي جنان الفرنج وساروا من بلبيس إلى مصر فنزلوا على القاهرة عاشر صفر وحصروها فخاف الناس منهم أن يفعلوا بهم كما فعلوا بأهل بلبيس، فحملهم الخوف منهم على الامتناع فحفظوا البلد وقاتلوا دونه وبذلوا جهدهم في حفظه. فلو أن الفرنج أحسنوا السيرة في بلبيس ملكوا مصر والقاهرة، ولكن الله تعالى حسن لهم ذلك أي ما فعلوا (ليقضي الله أمرا كان مفعولا) وأمر شاور بإحراق مدينة مصر تاسع صفر وأمر أهلها بالانتقال منها إلى القاهرة، وأن ينهب البلد فانتقلوا وبقوا على الطرق ونهبت المدينة وافتقر أهلها وذهبت أموالهم ونعمتهم قبل نزول الفرنج عليهم بيوم خوفا أن يملكها الفرنج فبقيت النار تحرقها أربعة وخمسين يوما وأرسل الخليفة العاضد إلى نور الدين يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن دفع الفرنج وأرسل في الكتب شعور النساء وقال: هذه شعور نسائي من قصري يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج فشرع في تسيير الجيوش. وأما الفرنج فإنهم اشتدوا في حصار القاهرة وضيقوا على أهلها وشاور هو المتولي للأمر والعساكر والقتال فضاق به الأمر وضعف عن ردهم فأخلد إلى أعمال الحليلة فأرسل إلى ملك الفرنج يذكر له مودة ومحبة له قديما، وإن هواه معه لخوفه من نور الدين والعاضد، وإنما المسلمون لا يوافقونه على التسليم إليه ويشير بالصلح وأخذ مالا لئلا يتسلم البلاد نور الدين فأجابه الى ذلك على ان يعطوه ألف ألف دينار مصرية يعمل البعض ويمهل بالبعض فاستقرت القاعدة على ذلك، ورأى الفرنج أن البلاد قد امتنعت عليه وربما سلمت إلى نور الدين فأجابوا كارهين وقالوا نأخذ المال فنتقوى به وتعاود البلاد بقوة لا نبالي معها بنور الدين (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) فعجل لهم شاور مائة ألف دينار وسألهم الرحيل عنه ليجمع لهم المال فرحلوا قريبا، وجعل شاور

يجمع المال من أهل القاهرة ومصر فلم يتحصل له إلا قدر لا يبلغ خمسة آلاف دينار، وسببه أن أهل مصر كانوا قد احترقت دورهم وما فيها وما سلم نهب وهم لا." (١)

"بها صلاح الدين وجهده الحصار وسار أسد الدين من الصعيد لإمداده وقد انتقض عليه طائفة من التركمان من عسكره وبينما هو في ذلك جاءته رسل القوم في الصلح على أن يرد عليهم الاسكندرية ويعطوه خمسين ألف دينار سوى ما جباه من أموال الصعيد فأجابهم إلى ذلك على أن يرجع الإفرنج إلى بلادهم ولا يملكوا من البلاد قرية فانعقد ذلك بينهم منتصف شوال وعاد أسد الدين وأصحابه إلى الشام منتصف ذي القعدة ثم شرط الإفرنج على شاور أن ينزلوا بالقاهرة شحنة وتكون أبوابها بأيديهم ليتمكنوا من مدافعة نور الدين فضربوا عليه مائة ألف دينار في كل سنة جزية فقبل ذلك وعاد الإفرنج إلى بلادهم بسواحل الشام وتركوا بمصر جماعة من زعمائهم وبعث الكامل أبا شجاع شاور إلى نور الدين بطاعته وان يبث بمصر دعوته وقرر على نفسه ما لا يحمل كل سنة إلى نور الدين فأجابه إلى ذلك وبقي شيعة له بمصر والله تعالى أعلم.

استيلاء أسد الدين على مصر ومقتل شاور

ولما ضرب الإفرنج الجزية على القاهرة ومصر وأنزلوا بها الشحنة وملكوا أبوابها تمكنوا من البلاد وأقاموا فيها جماعة من زعمائهم فتحكموا وأطلعوا على عورات الدولة فطمعوا فيما وراء ذلك من الاستيلاء وراسلوا بذلك ملكهم بالشام واسمه مري ولم يكن ظهر بالشام من الإفرنج مثله فاستدعوه لذلك وأغروه فلم يجبهم واستحثه أصحابه لملكها وما زالوا يفتلون له في الذروة والغارب ويوهمونه القوة بتملكها على نور الدين ويريهم هو أن ذلك يؤل إلى خروج أصحابها عنها النور الدين فبقي بها إلى أن غلبوا عليه فرجع إلى رأيهم وتجهز وبلغ الخبر نور الدين فجمع عساكره واستنفر من في ثغوره وسار الإفرنج إلى مصر مفتتح أربع وستين فملكوا بلبيس عنوة في صفر واستباحوها وكاتبهم جماعة من أعداء شاور فأنسوا مكاتبتهم وساروا إلى مصر ونازلوا القاهرة وأمر شاور بإحراق مدينة مصر لينتقل أهلها إلى القاهرة فيضبط الحصار فانتقلوا وأخذهم الحريق وامتدت الأيدي وانتهبت أموالهم واتصل الحريق فيها شهرين وبعث العاضد إلى نور الدين يستغيث به فأجاب وأخذ في تجهيز العساكر فاشتد الحصار على القاهرة وضاق الأمر بشاور فبعث إلى ملك الإفرنج يذكره بقديمه وأن هواه معه دون العاضد ونور الدين ويسأل في الصلح على المال لنفور المسلمين مما سوى ذلك فأجابه ملك الإفرنج على ألف ألف دينار لما رأى من امتناع القاهرة وبعث إليهم شاور بمائة ألف منها وسألهم في الإفراج فارتحلوا وشرع في جمع المال فعجز الناس عنه ورسل." (٢)

"ثورة كمشيقا بحلب وقيامه بدعوة السلطان

قد كنا قدمنا أن الناصري ولى كمشيقا رأس نوبة نيابة حلب ولما استقل منطاش بالدولة ارتاب ودعاه بذلار لما ثار بدمشق الى الوفاق فامتنع ثم بلغه الخبر بخلاص السلطان من الاعتقال بالكرك فأظهر الانتقاض وقام بدعوة السلطان

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٢٤٣/٥

(٢) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٣٢٩/٥

وخالفه إبراهيم بن أمير جندار واعصوصب عليه أهل باقوسا من أرباض حلب فقاتلهم كمشيقا جميعا وهزمهم وقتل القاضي ابن أبي الرضا وكان معه في ذلك الخلاف واستقل بأمر حلب وذلك في شوال من السنة ثم بلغه أن السلطان هزم عساكر دمشق وابن باكيش وانه مقيم بقبة بلبغا محاصرا لدمشق بعد ان نهبوا أثقاله وأخرجوه من الميدان فتجهز من حلب اليه في العساكر والحشود وجهز له جميع ما يحتاج اليه من المال والأقمشة والسلاح والخيل والإبل وخيام الملك بفرشها وما عونها وآلات الحصار وتلقاه السلطان وبالغ في تكرمته وفوض اليه في الاتابكية والمشورة وقام معه محاصرا لدمشق واشتد الحصار على أهل دمشق بعد وصوله واستكثار السلطان من المقاتلة وآلات الحصار وخرب كثيرا من جوانبها بحجارة المجانيق وتصدعت حيطانها وأضرم كثيرا من البيوت على أربابها **فاحترقت** واستولى الخراب **والحريق** على القبيبات أجمع وتفاحش فيها واشتد أهل القتال والدفاع من فوق الأسوار وتولى كبر ذلك منهم قاضي الشافعية أحمد بن القرشي بما أشار عليهم وفاه أهل العلم والدين بالنكير فيه وكان منطاش لما بلغه حصار دمشق بعث طنبقا الحلي دوادار الأشرف بمدد من المال يمد به العساكر هنالك وأقام معهم ثم بعث جنتمر الى أمير آل فضل يعبر بن جبار يستنجد به فجاء لقتالهم وسار كمشيقا نائب حلب فلقيه وفض جموعه وأسر خادمه وجاء به أسيرا فمن عليه السلطان وأطلقه وكساه وحمله ورده الى صاحبه واستمر حصار دمشق الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى.

ثورة انيال بصفد بدعوة السلطان

كان انيال لما انهزم يوم واقعة دمشق فر الى مصر ومر بغزة فاعتقله ابن باكيش وحبس بالكرك فلما استولى الناصري أشخصه الى صفد فحبس بها مع جماعة من الأمراء وولى على صفد قلطبك النظامي فاستخدم جماعة من مماليك برقوق واتخذ منهم بلبغا السالمي دوادار فلما بلغه خلاص السلطان من الاعتقال ومسيره الى الشام داخل بلبغا مماليك استاذه قطلوبقا في." (١)

"أهل طرابلس على ابن غانية وأخرجوا عاملهم تاشفين بن الغازي بن محمد بن علي ابن غانية، وقصدهم ابن غانية فافتتحها وخربها.

ووصل أسطول الناصر إلى تونس فدخلوها وقتلوا من كان بها من أتباع ابن غانية، ونهض الناصر في أتباع ابن غانية فأعجزه ونازل المهدية، وبعث أبا محمد بن الشيخ أبي حفص للقاء ابن غانية فلقيه بتاجرا فأوقع به وقتل أخاه جبارة. وكاتبه ابن اللمطي وعامله الفتح بن محمد. قال ابن نخيل: وكانت الغنائم من عسكره يومئذ ثمانية عشر ألفا من أحمال المال والمتاع والخرثي والآلة. ونجا بأهله وولده فأطلق السيد أبا زيد من الاعتقال بعد أن هم حرسه بقتله عند الهزيمة. ثم تسلم الناصر المهدية من يد علي بن الغازي المعروف بالحاج الكافي على أن يلحق بابن عمه فقبل شرطه ومضى لوجهه. ثم رجع من طريقه واختار التوحيد فناله من الكرامة والتقريب ما لا فوقه.

وهلك في يوم العقاب الآتي ذكره. ثم فرض الناصر على المهدية، واستعمل عليها محمد بن يغمور الهرغي، وعلى طرابلس عبد الله بن إبراهيم بن جامع، ورجع إلى تونس فأقام إلى سنة ثلاث وستمائة. وسرح أخاه السيد أبا إسحاق في

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٥٥٦/٥

عسكر من الموحدين لاتباع العدو فدوخوا ما وراء طرابلس. واستأصلوا بني دمر ومطماطة وجبال نفوسة وتجاوزوها إلى سويقة بني مذكور. وقفل السيد أبو إسحاق بهم إلى أخيه الناصر بتونس وقد كمل الفتح. ثم اعتزم على الرحيل إلى المغرب وأجمع رأيه على تولية أبي محمد ابن الشيخ أبي حفص، وكان شيخ دولته وصاحب رأيه فامتنع إلى أن بعث إليه الناصر في ذلك بابنه يوسف، فأكبر مجيئه وأناب لذلك على أن يقيم بإفريقية ثلاث سنين خاصة خلاف ما يستحكم صلاحها، وأن يحكم فيمن يقيم معه من العسكر فتقبل شرطه.

ورجع الناصر إلى مراكش فدخلها في ربيع سنة أربع وستمائة، وقدم عبد العزيز بن أبي زيد الهنتاتي على الأشغال بالعدوتين وكان على الوزارة أبو سعيد بن جامع، وكان صديقا لابن عبد العزيز. وعند مرجعه من إفريقية توفي السيد أبو الربيع بن عبد الله ابن عبد المؤمن صاحب بجاية، وقد كان أبو الربيع هذا ولي بجاية من قبل، وهو الذي جدد للربيع [١] . وكان بنو حماد شيدوها من قبل، فأصابها **الحريق** وجددها

---

[١] وفي نسخة أخرى: جدد الرفيع والبديع من رياضها.." (١)

"ويجاورهم من أمم النصرانية، وأقلعوا من جنوة فحطوا بمرسى المهدية منتصف اثنتين وتسعين وسبعمائة وطرقوها على حين غفلة وهو على طرف البر داخل في البحر كأنه لسان دالع فأرسوا عندها، وضربوا عند أول الطرق سورا من الخشب بينه وبين البر حتى صار المعقل في حكمهم، وعالوا عليه بالأبراج وشحنوها بالمقاتلة ليتمكنوا من قتال البلد ومن يأتيهم من مدد المسلمين، وصنعوا برجا من الخشب من جهة البحر يشرف على أسوار المعقل لتعظم نكايتهم، وتحصن أهل البلد وقاتلوهم صابرين محتسبين.

وتوافت إليهم الأمداد من نواحي البلد فحال دونهم الفرنجة.

وبلغ الخبر إلى السلطان فأهمه أمرها وسرح العساكر تترى إلى مظاهرتهم. ثم خرج أخوه الأمير أبو يحيى زكريا وسائر بنيه فيمن حضره من العساكر فانطلقوا لجهاد هذا العدو، واستنفر المقاتلة من الأعراب وغيرهم فاجتمعت بساحتها أمم، وألحوا على الفرنجة بالقتال ونضح السهام حتى أحجروهم في سورهم. وبرز الفرنجة للقتال فكان بينهم وبين المسلمين جولة جلى فيها أبناء السلطان، وكاد الأمير أبو فارس منهم أن يتورط لولا حماية الله التي وقته. ثم تداركت عليهم الحجارة والسهام والنفط من أسوار البلد فاحترق البرج المطل عليها من جهة البحر فوجموا **لحريقه**. ثم ركبوا من الغد أسطولهم وأقلعوا إلى بلادهم، وخرج أهل المهدية يتباشرون بالنجاة ويتنادون بشكر الأمراء على ما اعتمدوه في نصرهم، «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا، وكفى الله المؤمنين القتال» ٣٣: ٢٥. وأمر الأمير أبو يحيى برم ما تثلم من أسوارها، ولم ما تشعث منها، وقفل إلى تونس وقد أنجح الله قصدهم وأظهرهم على عدوه وعدوهم، والله تعالى ينصر من يشاء وهو القوي العزيز.

(انتقاض قفصة وحصارها)

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٦/٣٣٤

كان السلطان أبو العباس قد ولى على قفصة عند ما ملكها ابنه الأمير أبا بكر وأقام في خدمته من رجال دولتهم عبد الله التريكي من موالي جدهم السلطان أبي يحيى فانتظم به أمره وأقام بها حولا. ثم تجافى عن إمارتها ولحق بأبيه بتونس سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة فجعل السلطان أمر قفصة لعبد الله التريكي وولاه عليها ثقة بغنائه واضطلاعه. ولم يزل بها واليا إلى أن هلك سنة أربع وتسعين وسبعمائة وولى السلطان." (١)

"الشريف فتلقاهم الشيخ محمد بن عبد الله بن عمر بن الجند وكان الصاحب موفق الدين يومئذ مريضا. فاستقر الأمر على صلح عشر سنين أولها جمادى الآخرة من السنة المذكورة. على أن الشرف الأعلى وحصونه والحبر بحجة وصاحب بيت ردم وشركاءه وأموال آل الوشاح حيث كانت وظفر به وهاس وسائر ما هو معروف للإمام بحجة وظليمة وغيرهما إليه وثلاثة آلاف دينار في كل سنة. وصاح الصائح في تعز بالصلح عشر سنين فلما تم صلح الإمام وانفصل عنه الأكراد جرد السلطان من عسكر الباب مائتي فارس ورجل مدجج للحظة على هزان. وأمر الأمير أسد الدين محمد بن نوران يسير بعسكره من صنعاء فتوجه الشيخ إلى الجند حينئذ وعقد صلحا للأكراد على ترك دخول ذمار ورداع وترك الإقطاع وإن تستمر رهائنهم بالعروس. وأمر السلطان الأمير أسد الدين بسكنى ذمار واستيطانها فامتثل الأمر.

وفي الثالث من جمادى الآخرة سار السلطان إلى الجند بسبب الصيد فأقام هنالك إلى الحادي عشر منه وعاد إلى تعز ثم سار إلى زبيد يوم الرابع والعشرين منه فدخل زبيد يوم الرابع من رجب. وفي ليلة الجمعة السابع عشر من شهر رجب احترقت دار المرتبة بتعز لأسباب اختلف الناس فيها فتلف فيها شيء كثير من الأثاث والفروش والكتب النفيسة وغير ذلك مما لا ينحصر. وكان في حملة ما احترق بشخانتان كبيرتان كاملتان من الزركش إحداهما صفراء والأخرى حمراء وكان السلطان يومئذ في زبيد وفي يوم السبت الثامن والعشرين من رجب خرج السلطان إلى فشال بسبب الصيد فأقام هنالك إلى آخر الشهر المذكور ورجع إلى زبيد.

وفي هذه السنة أمر السلطان بإنشاء قصر بزبيد على ظاهر باب الشبارق في البستان الذي أمر بإنشائه المعروف بحائط لبيق. وكان صورة بناء القصر يومئذ إيوان طوله خمسة وأربعون ذراعا وفي صدره مقعدة ستة اذرع وله دهليز متسع وفوق الدهليز قصر بأربعة أواوين يشرف على البستان المذكور من جميع نواحيه.

وفي هذه السنة حج الملك الناصر صاحب مصر في مائة فارس من مماليكه وستة آلاف مملوك على الهجن وسلاحهم القسي فوصل مكة المشرفة في اثنين وعشرين يوما." (٢)

"الملك الناصر محمد بن الملك الأشراف وكان يومئذ في قرية السلامة فلما اجتمعوا به لازموه على القيام بالملك. ووعدهم من أنفسهم بالطاعة على ما يجب فسار معهم إلى زبيد يوم الأحد السابع عشر من شهر ربيع الأول فحطوا في

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٥٧٩/٦

(٢) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية علي بن الحسن الخزرجي ٣٢٩/١

البستان الشرقي على باب الشبارق ومعهم نحو من سبعين فارسا فجرى بينه وبين أهل زبيد قتال شديد ساعة من نهار ثم انتقل الناصر إلى قرية التربية فأقام فيها نحوا من شهر يجبي أموالها ووصل إليه ابن علاء الدين وابن الأسد وغيرهما من الأمراء فحلفوا له على الطاعة فجمع عسكر وقصده زبيد فخرج إليه شمس الدين المفضل وجماعة من العسكر إلى فشال فاقتتلوا هنالك فانهزم شمس الدين المفضل وقتل جماعة من أصحابه ثم سار الناصر إلى زبيد فحط في قرية التربية ثم زحف إلى زبيد فخرج إليه العوار ين فقاتلوه قتالا شديدا فاستأجرهم العسكر ساعة ثم عطفوا عليهم فقتلوا منهم نحوا من عشرين رجلا ورجع الناصر ومن معه إلى فشال فكتب آهل زبيد إلى السلطان الملك المجاهد وسألوه أن يرسل إليهم وليا يحفظ المدينة وعسكرا فأرسل حسين بن علي بن حسين واليا وأرسل من العسكر ناسا بعد ناس فيهم الغياث بن نوز وعبد النبي بن السودي وبيدرة. وطعشر وإبراهيم بن فيروز. فاجتمع في زبيد نحو من مائتي فارس.

وفي هذا التاريخ كتب الصقري إلى مولانا السلطان الملك المجاهد رحمه الله يطلب منه ذمة شاملة فأجيب إلى ما طلب فقدم على مولانا السلطان في آخر شهر ربيع الآخر فانزل في بيت نوز وحمل له السلطان خمسة أحمال طبلخانه وخمسة أعلام وأقطعه مدينة حيس.

وفي سلخ شهر ربيع الآخر أحرقت قرابة السلامة إحراقا عظيما وهلك في **الحريق** نحو من خمسين نفسا من الآدميين خارجا عن أصناف الدواب وذهب فيه من الأموال ملا ينحصر وكان معظم أموال الناس فيها. وفي يوم العشرين من جمادى الأول قدم ابن السوع من بلاده ذمار إلى مدينة الجند فأقام فيها يومين أو ثلاثة ثم جاءه من السلطان طلب حثيث وأرسل له بكسوة إلى الجند. وأمر أعيان العسكر بلقائه ودخل على السلطان فكساه كسوة ثانية. وحمل له يوم الجمعة الخامس من." (١)

"فقتل الشيخ أحمد بن عمر بن عبد الله الأشعري وقتل معه جماعة من أهل القرية وكانت الوقعة في آخر النهار فلما أصبحوا انتقلوا عن القرية وخرب بخرابها طائفة من قرى رمع وهي الرقبة والمكابرة والحلة والمقترعة والمضرب والبطة والكحلاني ومحل كهلان. وخرب أيضا بعض قرى الوادي زبيد ولكن تراجعوا بعد أيام. وأما هذه القرى المذكورة من رمع فما رجع منعا إلا الرقبة فان أهلها رجعوا وأقاموا فيها مدة ثم خرجت أيضا ثم رجعوا وأما القرى المذكورة فلم يرجع منها شيء إلى وقتنا هذا.

ثم استمر القائشي فضمن وادي زبيد ورمع والقحمة فاختبطت عليه البلاد وما عرف ما يفعل فحمل من وادي رمع خمسة عشر ألفا فلما تحقق السلطان عجزه فصله وأمر القاضي جمال الدين محمد بن حسان الوزير وكان استمراره في آخر السنة المذكورة.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح أبو يعقوب إسحاق بن الفقيه أحمد بن يحيى بن زكريا وكان ميلاده لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من سنة اثنتين وثمانين وستمائة. وكان تفقه بأخويه محمد وداود وغيرهما ودرس في الأتابكة بذي هزيم ناحية من نواحي تعز ثم درس بالمؤيدية وتفقه به جماعة من أهل العصر. وكان ممن يعد محققا وكان عارفا

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية علي بن الحسن الخزرجي ٣٤/٢

بالفقه نقالا للمذهب لا تدور الفتوى في تعز إلا عليه. ثم على الفقيه أبي بكر بن جبريل. وكان عالي الهمة شريف النفس توفي في أثناء السنة المذكورة بزبيد وقبر في مقبرة باب سهام شرقيها وقيل كانت وفاته في سنة ستين وسبعمائة والله أعلم رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الأمير الكبير أقباي بن عبد الله الحاجب التركي وكان ذا ديانة ونسك وله مقامات مشكورة قل أن يوجد نظيره في أبناء جنسه وكانت وفاته يوم الأحد السابع عشر من شهر صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي سنة سبع وخمسين وسبعمائة اشتد فساد العرب في التهائم وكثرت خيول العرب المفسدين وأخرجوا عدة من القرى وانقطعت الطرق وانضم القرشيون إلى المعازبة فكانوا يغيرون على أطراف البلاد للقتل والنهب **والحريق**." (١)

"وفي هذه السنة توفي الشيخ الصالح تقي الدين طلحة بن عيسى بن إبراهيم ابن أبي بكر بن عيسى الهيار. وكان أحد رجال الطريقة وأصحاب الحقيقة صواما قواما عابدا زاهدا ورعا مشهورا له كرامات ظاهرة. وكانت وفاته يوم السادس عشر من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة. توفي في مدينة زبيد وقبر في مقبرتها الشرقية من ناحية باب سهام وعلى قبره قبة عالية وقبره مشهور يزار ويتبرك به نفع الله به في الدنيا والآخرة.

وفي سنة إحدى وثمانين وسبعمائة اجتمع المماليك الغرباء واختلفوا على أمر لم تظهر لأحد حقيقته فنظرهم السلطان وهم يلبسون خيلهم ويأخذون سلاحهم فاستغرب أمرهم فأرسل عيونا له يأتونه بأخبارهم فرفع إليه عيونه وأخبروه انهم على أهبة قتال وجمع سلاح ولكنهم مفترقون في أماكنهم في القرية فأجابهم لعبيد السلاح وغلمان البغلة فقصدوهم إلى أماكنهم قبل أن يجتمعوا فخرجوا على وجوههم هاربين ولزم بعضهم فاتلف وفي ذلك اليوم أمر السلطان بلزم عمه الملك الظافر هاشم بن علي بن داود فاعتقله أياما ثم أطلقه وأحسن إليه.

وما العصب الطريف وإن تقوى ... بمنتصف من الكرم التلاد

وكان ذلك من فعلهم يوم عاشوراء وفي هذه السنة وقع **الحريق** في مدينة زبيد فحرق السوق كله ومما وازاه شرقا وشمالا. وحرق في تلك المدة عدة أماكن من زبيد وغيرها وكان **الحريق** المذكور في شهر المحرم من السنة المذكورة.

وفي هذه السنة أفسدت المعازبة فسادا شديدا وقصدوا طريق البحر مرة بعد أخرى فجرد لهم السلطان عسكرا من الباب وأمر على صاحب القحمة وصاحب فشال بمواجهة العسكر في يوم معلوم فاتاهم العسكر من كل ناحية ومكان. ولم يكن لهم مهرب إلا البحر فدخلوه فغرق منهم طائفة وسلم الباقون. واستذم أناس منهم وأسر آخرون. وكان مقدم العسكر الأمير سيف الدين بشتك الحاجب فأقام عليهم.." (٢)

"ولا أرانا فيه مكروها ولا ... سوءا من الأسواء ما طير شدا

وتقدم السلطان إلى زبيد يوم الثالث من شوال فدخلها يوم الخامس من الشهر فأقام أياما ثم تقدم إلى بلد المعازبة وكانوا على حذر منه. فلما علموا بمسيره إليهم زهدوا في الأموال وتعلقوا برؤوس الجبال فنهب العسكر بلادهم نهبا شديدا

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية علي بن الحسن الخزرجي ٨٩/٢

(٢) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الر سولية علي بن الحسن الخزرجي ١٤٤/٢

وحرقت قراهم وكان الوقت غير مساعد فرجع السلطان إلى زبيد ثم طلع إلى تعز في عشر ذي القعدة فأقام بها إلى آخر السنة.

وفي سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة وقع **الحريق** في زبيد أيضا في ناحية السوق وكان نحوا من **الحريق** الأول فقل من حرق في المرة الأولى وسلم في الثانية وقل من سلم في المرة الأولى وسلم في الثانية فانضر به أناس كثيرون.

وفي هذه السنة استمر القاضي موفق الدين علي بن محمد بن سالم بالأعمال السهامية فأقام فيها بضعة وعشرين يوما شملهم فيها بالآداب وعذبهم بأنواع العذاب فبلغ عمله إلى السلطان ففصله وأضافه إلى الطواشي أمين الدين أهيف فصادره مصادرة شديدة هلك فيها. وكان وفاته ليلة الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي هذه السنة ابطل السلطان في أيم الملك عن الرعية مصالحة العطب وكانت بدعة منكرة أبدعها بعض النواب في أيام الملك الأفضل فأبطلها السلطان وهي من مستحسنات فعله وأعفى أهل القرى من أهل وادي زبيد عن قبال نخل الأملاك السلطانية وكانت بدعة أحدثها بعض النواب أيضا.

وفي شهر جمادى تقدم السلطان إلى تعز فأقام بها إلى آخر شهر شعبان ثم توجه إلى زبيد فدخلها في آخر شهر شعبان وصام شهر رمضان فيها. فلما انقضى شهر الصيام سار إلى بلاد بني ثابت فاستولى عليها ثم قصد بلاد الركب فتسلمها ثم سار إلى حصن بني علي وهو الذي يسمى حصن رأس وهو في جبل عسر عال مشمخر. وكان قد كثر من أهله الفساد والعصيان والبغي والعدوان فلما قصدهم السلطان في التاريخ المذكور هربوا من الحصن وتركوه خاليا. فقبضه السلطان ورتب فيه رتبة." (١)

"زبيد ثم إلى تعز ودفن في تربة والده وكان دفنه يوم الخامس عشر من الشهر المذكور. وكان دخول السلطان زبيد يوم الأربعاء من الشهر المذكور. فأمر بالقراءة عليه في زيد سبعة أيام في الجامع.

وفي يوم السابع عشر من الشهر المذكور جرد السلطان العساكر إلى بلاد المعازبة فلم يجدوا فيها أحدا فنهبوا وحرقوا القرى ولم يظفروا بأحد ولا وجدوا أحدا.

وفي غرة شهر صفر أمر السلطان بكتب منشور لأهل وادي سهام يتضمن الصدقة عليهم بزيادة معاد في القطيعة. فكانت هذه من فعلاته الحسان.

وفي هذا التاريخ أستمر الأمير عز الدين بقية بن محمد بن الفخر واليا بزبيد فسار بالناس جميعا سيرة حسنة وارتفق بولايته كل أحد من الناس على اختلاف طبقاتهم. وفي النصف من صفر المذكور أوقع الأمير بهاء الدين بهادر الشمسي بالمقاصرة فقتل منهم طائفة وحمل من رؤوسهم إلى باب السلطان نحوا من خمسين رأسا. وفي الثامن عشر من الشهر المذكور وصل القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد العلوي مطلوبا إلى باب السلطان وكان في سجن عدن كما ذكرنا أولا. فأذم عليه السلطان وآنسه بنفسه وتحقق السلطان براءته مما قيل عنه. وكان أحد الرجال الكملة رأيا وعقلا

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية علي بن الحسن الخزرجي ١٤٧/٢

ورياسة ونبلا وأفضالا وفضلا.

وفي سلخ صفر نزلت العرب عن الخيل وسلموها إلى الأمير بهاء الدين بهادر الشمسي بعد أن أجلاهم عن أوطانهم وقتل طائفة من فرسانهم.

وفي التاسع عشر من شهر ربيع الأول وصلت هدية من الديار المصرية إلى السلطان ووصل صحبة الهدية جماعة من عمال الحرير بالإسكندرية.

وفي اليوم الثالث عشر من شهر ربيع الآخر وصل من خيول العرب أربعة وثلاثون رأسا أرسل بها الشمسي ووصل هو بالباقي يوم السادس عشر ووصل بأموال الجهة الشامية. وفي اليوم التاسع عشر من الشهر المذكور وقع **حريق** في الثغر المحروس بعدن وكان **حريقا** شديدا فاتلف من المدينة شيئا كثيرا من البيوت والأموال." (١)

"بحبسه معهم. فأقاموا في الحبس سنتين أو ثلاث سنين في حياة الشريف أحمد. فلما توفي في التاريخ المذكور وتولي بعده ولده محمد كما ذكرنا أشار على الولد من أشار بكحلهم. وكان قد هرب من الحبس عنان بن مغامس فأمر الشريف محمد بن أحمد بكحل الباقين فكحلوا في محبسهم في يوم واحد من غير جرم يوجب ذلك.

وفي هذه السنة صام السلطان في مدينة تعز. وفي غرة شهر رمضان المذكور أمر السلطان القاضي موفق الدين علي بن أحمد الضرغاني ناظرا في الثغر المحروس والأمير بدر الدين محمد بن علي الشمسي أميرا فيها.

وفي أثناء شوال تقدم السلطان إلى زبيد فدخلها يوم الرابع عشر من شوال. فلما كان يوم الثامن من القعدة حرقت قرية المملاح الأسفل بزبيد **حريقا** شديدا أهلك فيه جماعة من الآدميين وتلف مال كثير من الصامت والناطق. واتفق أن وقع والناس غائبون عن منازلهم في صلاة الجمعة فلم يدركوا منها شيئا.

وفي غرة ذي الحجة حمل كتاب التفقيه في شرح التنبيه تصنيف القاضي الأجل جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي على رؤوس المتفقهة من بيت المصنف إلى مقام السلطان مرفوعا بالطبلخانة. وكان أربعة وعشرين جزءا فحباه السلطان بثمانية ألف درهم إعظاما للعلم ورفعا لدرجته إذ هو بركة الدنيا والآخرة.

وفي هذا التاريخ قتل الشريف جمال الدين محمد بن أحمد بن عجلان صاحب مكة المشرفة. وذلك أن الشريف عنان بن مغامس لما هرب من حبس مكة بعد وفاة ابن عمه أحمد بن عجلان كما ذكرنا آنفا تقدم إلى مصر وحضر في مقام السلطان وحقق له ما كان من فعل الشريف محمد بن أحمد لما توفي والده الشريف أحمد بن عجلان وكونه كحل الجماعة المذكورين وهم رحمه وذرية رسول اله صلى الله عليه وسلم وفي بلد الله الحرام ولم يكن لهم سابقة توجب ذلك. فلما سمع السلطان مقالته ولاه أمر مكة فرجع عنان إلى مكة صحبة أمير الحج. فلما صاروا قريبا من مكة خرج الشريف محمد بن أحمد بن عجلان ليلتقي المحمل السلطاني جريا على العادة. فلما ترجل للسلام كما جرت العادة قتل وهرب غلمانه وخدمه وعبيده ومن." (٢)

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية علي بن الحسن الخزرجي ١٥٨/٢

(٢) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية علي بن الحسن الخزرجي ١٦٠/٢

"المدعي في الجزيرة اليمنية عبد الله بن علي بن محمد الأنف. وفي السابع والعشرين تقدم السلطان إلى تهامة. وكان دخوله زبيد يوم الثالث من شهر ربيع الآخر فأقام بها إلى يوم السادس عشر من الشهر المذكور وتقدم إلى الدار المسمى سرياقوس في رأس الوادي زبيد فأقام هنالك آثام ثم رجع إلى قصره في دار النصر يوم التاسع عشر. وكان ابتداء السبوت يوم الثاني والعشرين منه. ونزل السلطان النخل يوم السبت الثامن من شهر جمادى الأولى. ثم سار إلى البحر يوم الأحد التاسع فأقام به إلى يوم الجمعة الثالث عشر ثم رجع إلى النخل.

وفي شهر جمادى الأخرى وقع **حريق** في زبيد في ناحية متاجر حسان يوم التاسع منه.

وفي هذا التاريخ تقدم الأمير بهاء الدين الشمسي إلى بلاده. وتقدم الأمير فخر الدين السنبلي إلى الجثة مقطعا بها. وتقدم السلطان من النخل إلى زبيد يوم الخامس عشر. وفي اليوم الثالث عشر وصلت خزانة جيدة من الأمير البهاء الشمسي ووصل معها من رؤوس المفسدين نحو من خمسين رأسا. وفي اليوم الثاني والعشرين تقدم السلطان من زبيد إلى محروسة تعز فكان دخوله تعز أول يوم من رجب.

وفي يوم الجمعة من شعبان وقع في نواحي زبيد مطر شديد واظلم الجو نصف النهار قبل صلاة الجمعة وحصل برق يومئذ في ناحية صمع من وادي رمع فأصاب ثلاثة تفر كانوا تحت شجرة هنالك فهلكوا لفورهم.

وفي النصف من شهر شعبان حصل في نواحي عدن زلازل شديدة وأقامت أياما وسقط بعض دور عدن وفزعوا عند ذلك إلى تلاوة القرآن وقراءة البخاري من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي الخامس من شهر رمضان وصل القاضي نور الدين علي بن عمر المحلي التاجر الكارمي بهدية جليلة من الديار المصرية إلى السلطان فأكرمه السلطان غاية الإكرام.." (١)

"سلخ الشهر المذكور رجع السلطان إلى دار النصر.

ووصل العلم في التاريخ المذكور بوصول الأشراف إلى حرض فجرد لهم السلطان الأمير بدر الدين محمد بن علي بن الشمسي والأمير بهاء الدين بهادر الشمسي. وفي النصف من شهر صفر وصل الأمير فخر الدين أبو بكر بن بهادر السنبلي من الجثة برؤوس جماعة من المفسدين وبجماعة من الأسارى فأمر بهم السلطان إلى السجن.

وفي يوم الرابع والعشرين من شهر صفر فصل القاضي شهاب الدين أحمد ابن أبي بكر الناشري عن القضاء بزبيد. واستمر عوضه بن عمه القاضي جمال الدين محمد بن عبد الله الناشري.

ووصل الأمير بدر الدين محمد بن علي بن إياس إلى باب السلطان من تعز فلما كان غرة شهر ربيع الآخرة أمره السلطان مقطعا في وادي رمع.

وفي اليوم الرابع عشر من الشهر المذكور وصل العلم بدخول العسكر المنصور حرض وخرج المفسدين منها.

وفي ليلة الخامس عشر من الشهر المذكور حرق طائفة من قرية المملاح بزبيد **حريقا** شديدا وحرق في هذه السنة عدة من الأماكن.

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية علي بن الحسن الخزرجي ١٦٣/٢

وفي يوم السابع عشر من الشهر المذكور أمر السلطان بإعادة القاضي شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الناشري على القضاء بزبيد وأعاد ابن عمه القاضي جمال الدين إلى مكانه بالأعمال التهامية. وكان كل واحد منهما محبوبا عند أهل بلده.

وفي الحادي والعشرين من الشهر جاء وادي زبيد بسيل عظيم حتى قيل انه كان نحوا من أربعة أنواع وجاء نحو النخل فاتلف كثيرا منه بعد أن أتلف جانبا من محل ماتع ومحل حرين وشرذمة من الحجوف استولى على بيوتهم ودوابهم وبعض أهل يهم ولم يترك من نخل المغرس إلا قليلا. وكان سيلا عظيما لا يعهد مثله.

ووصل صاحب مشار إلى باب السلطان في عدد كثير من أصحابه فقابلهم السلطان بالإنعام العام والتفضل والإكرام. وكان وصوله في اليوم الثاني والعشرين." (١)

"الموزعية فتقدما يوم الثلاثاء الرابع من شهر جمادى الآخرة.

وفي يوم الخامس من الشهر المذكور وقع حريق في دار السلطنة فتشعث منه مواضع كثيرة.

وفي يوم التاسع من الشهر المذكور تقدم السلطان إلى البحر وحضر مشايخ الصوفية بأسرهم إلى هنالك لإقامة سماع المحيا على ساحل البحر في الليلة العاشرة من الشهر المذكور. وأقام السلطان على البحر إلى يوم الأحد السادس عشر وتقدم إلى زبيد.

ووصل الأمير غياث الدين عيسى بن محمد بن حسان بأموال الجهات الشامية ووصل بثلاثين رأسا من جياد الخيل.

ووصل القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر بن معيبد بأموال الجهات الموزعية. وتقدم السلطان إلى تعز يوم الاثنين الخامس عشر من رجب.

وفي غرة شعبان أغار عسكر من الأشراف على بعض جهات المحالب فاستاقوا أموالها فأغار عليهم الأمير بهاء الدين اللطيفي. وكان يومئذ أميرا بالمحاب فاستنقذ المال ولزم منهم نفرين أحدهما ولد محمد بن سليمان بن مدرك والآخر ولد يوسف بن حسن وأرسل بهما تحت الحفظ إلى باب السلطان فأودعهما السلطان دار الأدب.

وفي هذا التاريخ أغار الأمير بدر الدين حسن بن الخراساني على أهل الحنكة وقد بلغه الخبر أن بعض أشراف المشرق وصل إليهم بخيل اشتروها فهجم عليهم الأمير ولزم الشريف المذكور وأرسل به إلى الباب الشريف وقتل منهم جماعة.

وفي النصف من شهر شعبان وصلت هدية الأمراء أصحاب حلي بن يعقوب على يد القاضي حسام الدين عيسى بن عبد الله بن الهليس.

وفي اليوم الرابع من رمضان استمر القاضي عفيف الدين عبد الله بن محمد الجلاد ناظرا في الثغر المحروس عوضا عن القاضي شرف الدين حسين ابن علي الفارقي.

وفي اليوم السادس عشر من الشهر المذكور وصل القاضي برهان الدين." (٢)

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية علي بن الحسن الخزرجي ١٦٥/٢

(٢) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية علي بن الحسن الخزرجي ١٦٧/٢

"فماتا في تاريخهما.

وفي اليوم الثاني عشر من الشهر المذكور وصل الشيخ شمس الدين علي بن الرياحي السرحي شيخ مشايخ العرب طائعا مختارا. ووصل معه أهله وقرابته فقابلهم السلطان بالقبول فاصرف له وللواصلين معه ثلاثمائة وخمسين قطعة من الملابس الفاخرة واركبه بغلة بزيارة وحمل له خمسة آلاف دينار.

وفي هذا التاريخ حصل **حريق** في زبيد وكان ابتداؤه من ناحية المجزرة فأخذ شرقا وشمالا فحرقت فيه بيوت كثيرة وتلفت فيه أموال جمة.

وفي هذا التاريخ حصل في مدينة تعز ونواحيها منه شيء يسير وتوفي في تلك الليلة الأيام الطواشي معتب الأشرفي زمام الجهة الكريمة والدة مولانا الملك الناصر واخوته أولاد مولانا السلطان الملك الأشرف تولاه الله بحسن ولايته.

وتوفي الأمير شمس الدين علي بن أحمد الواشي وكان فارسا شجاعا مقداما في الحرب حسن الشمائل لطيف الخلق والخلق.

وتوفي الفقيه الفاضل شهاب الدين أحمد بن بدير النساخ الأشرفي. وكان حسن الحظ تقيا توفي شابا رحمه الله تعالى.

وفي الخامس والعشرين من الشهر المذكور وصل علم الحج المنصور من مكة المشرفة ووصل عدة من الحجاج واخبروا انه وصلت كتب إلى مكة المشرفة وألقيت في المقامات الأربعة نسخها متقنة في المعنى مختلفة في بعض الألفاظ وقعت لي نسخة منها فأثبتها وهي: بسم الله الرحمن الرحيم. ومن عبد الله المهدي المنتظر خليفة سيد البشر أمير المؤمنين محمد بن عبد الله بن بنت رسول الله. هذه بشارة وبشرى. وتذكرة إلى أم القرى. يدعو إلى رب العالمين بما ورد في الكتاب المستبلين. وأسند إلى الصحيح من سيد المرسلين. وأصحابه المطهرين. صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين. أجيبوا إمامكم. تجدوا الحق أمامكم. بدواع سليمة. لموارد سليمة. فما دعوت لهذا الشأن. حتى دعاني الملك الديان. فأجبته داعيا فائتمروا بما أمرت. والتزموا بما التزمت وكونوا كالبنان. أو كالبنيان. كالعترة الواحدة في." (١)

"السلطان الملك الأفضل إلى أن توفي في التاريخ المذكور. ثم استمر على الوظيفة مع السلطان الملك الأشرف إلى هذا التاريخ المذكور. وكان للسلطان عليه شفقة تامة فاستمر ولده من بعده على وظيفته إلى أن توفي رحمه الله تعالى.

وفي يوم التاسع من جمادى الآخرة تقدم السلطان من محروسة تعز إلى زبيد فدخلها يوم الخميس الثاني عشر من الشهر المذكور. ووصل إلى باب السلطان خزانة جيدة من المحالب صحبة الأمر سيف الدين فطلبه ووصل بعدة رؤوس من الخيل. وحصل في عشاء يوم الجمعة العشرين من الشهر المذكور مطر عظيم جدا وهو الثاني من أيار. وكانت الأمطار قبله متوالية من أول نيسان.

وفي يوم الثامن والعشرين من الشهر المذكور قتل الشيخ محمد بن عبد الله ابن فخر النخلي. وكان الذي قتله رجل يقال له مكمين أحد بني الرجوي المناسكة ضربه بمهرية في رأسه ضربتين أو ثلاثا ثم هرب إلى بلدة المعازبة.

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية علي بن الحسن الخزرجي ١٩١/٢

وفي سلخ الشهر المذكور أمر السلطان بعديد المساجد والمدارس التي في زبيد فكان عددها مائتين وبعضا وثلاثين موضعا وعدت المعاصر في زبيد فكانت نحوا من سبعة أو ستة وعشرين عودا.

وفي اليوم الثاني والعشرين من رجب تقدم السلطان من زبيد إلى النخل فأقام فيه إلى الثامن عشر من شعبان ثم أقام في البحر فأقام فيه أربعة أيام ثم رجع إلى النخل يوم الخميس الثاني والعشرين فأقام إلى يوم الأحد الخامس والعشرين من الشهر المذكور. ثم انتقل إلى زبيد فأقام في بستان الراحة وفي هذه السنة صام السلطان شهر رمضان في بستان الراحة.

وفي شهر شعبان الكريم أرسل الأمير بهاء الدين بهادر الشمسي بالشريف الذي يقال له أبو هدبا تحت الاعتقال.

وفي يوم الأربعاء السادس من رمضان وقع في زبيد حريق عظيم. وكان ابتداؤه من قبلي الجامع فبلغ إلى الخان ثم إلى سوق المعاصر. وفي هذا الحريق المذكور حرقت اللجنة التي تعرف بلنجة الرهائن وكان يوم ا◌ عظيما.

وفي شهر رمضان المذكور وصل كتاب من كالقوط إلى السلطان مترجما عن." (١)

"وفي يوم العاشر من الشهر المذكور وصلت هدية من ولد الإمام صلاح ابن علي صاحب صنعاء. وهي خمسة أحمال مما يستطرف وخمس رؤوس من جياد الخيل. وتقدمت الهدية من زبيد إلى السلطان يوم الثاني عشر من الشهر المذكور.

وفي هذا التاريخ أمر السلطان بقبض العمادين فقبض من موزع ووصل به إلى زبيد جماعة من الخيل والرجل فأقام معتقلا عند القاضي سراج الدين إلى أن وصل السلطان من الجهات الشامية.

وكان رجوع السلطان من المحالب إلى المهجم يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة. فأقام في المهجم يوم الأربعاء والخميس والجمعة ثم سار إلى زبيد فدخلها يوم التاسع والعشرين منه فأقام فيها إلى يوم الرابع من رجب ثم تقدم إلى النخيل ورجع آخر يومه ذلك. ووصل خزانة من عدن فيها أموال ووحوش وتحف.

وفي يوم الثاني عشر من الشهر المذكور وقع حريق في ناحية المرباع من زبيد أخذ من سوق المرباع إلى مسجد نوفلة وانضر أهل تلك الناحية ضررا شديدا. وفي يوم الجمعة الخامس عشر ركب السلطان إلى الجامع بزبيد وصلى الجمعة وكان أول السبوت يوم الثاني والعشرين من الشهر المذكور.

وفي اليوم الثالث والعشرين من شهر رجب المذكور برز مرسوم السلطان إلى القاضي مجد الدين قاضي الأقضية يومئذ بأن يندب لمسجد الأشاعر بزبيد إماما شافعيا. وكان المسجد المذكور لأصحاب الإمام أبي حنيفة رحمه الله من قديم زمانه فيما رأيناه وسمعنا به. فعين القاضي مجد الدين جماعة اختار منهم السلطان الفقيه موفق الدين علي بن محمد بن فخر فاستمر في إمامة المسجد المذكور من التاريخ المذكور.

وفي ليلة الأربعاء السابع والعشرين من الشهر المذكور. وضع السلطان ولد وهو يومئذ في مدينة زبيد وكان ميلاده عند

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية علي بن الحسن الخزرجي ٢٠٣/٢

طلوع الفجر من الليلة المذكورة وهو المسمى حسين.

وكان نزول الصندوق لاستخراج مال النخل يوم الثالث والعشرين من." (١)

"شعبان. ونزل الس لطان النخل يوم الرابع والعشرين. وصام في النخيل وكان صياما حسنا. وكانت التخمة ليلة الثالث والعشرين من الشهر كجاري عادته. وأثاب الحاضرين بسبب التشفيع من الفقهاء والأمراء وغيرهم.

وفي أول يوم من شوال حرقت مدينة فشال **حريقا** شديدا. وحرق في ذلك اليوم أولاد القاضي عفيف الدين عبد الله بن محمد بن موسى الدوالي وجاريته وكان يومئذ حاكم الشرع في مدينة فشال.

وفي يوم الخامس أو السادس من شوال لزم خمسة من مقاصرة الشام فأمر السلطان بشنقهم فشنقوا.

وفي يوم الأربعاء السادس عشر من شوال تقدم السلطان إلى البحر فأقام هنالك خمسة أيام ثم رجع إلى النخل فأقام فيه إلى آخر الشهر.

وفي أول يوم من القعدة تقدم السلطان إلى البحر.

وفي هذا التاريخ قتلت امرأة في قرية النويدرة التي علي باب سهام بزبيد قتلها رجلان من أهل المملاح ورمياها في بئر بين القبور. فظهر ريحها بعد ثل ا ثة أيام. فأخرجت من البئر وغسلت وكفنت ودفنت. وبحث الأمير نجم الدين محمد ابن إبراهيم الشرف عن الخصوم. ورسم على أهل المملاح وضيق عليهم في إحضار الخصوم فبحثوا عنها اشد البحث. فلقة أحدهما في النخل فأخذ وأرسل به إلى زبيد. ثم لقي الآخر في قرية القرشية. فأخذ وأرسل به إلى زبيد أيضا. فكتب الأمير إلى السلطان وهو على البحر يخبره بحديث المرأة التي قتلت وخصومها فأمره السلطان بتلفهما فأخرجهما الأمير من السجن وسمرهما وأركبهما جملين ودار بهما فشوارع زبيد. ثم أخرجهما إلى قبر المرأة التي قتلت وأمر بتوسيطهما هنالك وعلقهما على أربع خشبات حول القبر وأقاما معقلين هنالك إلى آخر يومهما.

وفي يوم الرابع من العقدة وقع مطر عظيم في الجبال وقد صارت جمال القافلة تحت عقبة نخل فنزل سل عظيم زائدا على ما يعتاده الناس فسحب السيل الجمال." (٢)

"الشهر المذكور وكان أكمل الموجودين بعد المتوفى إلى رحمة الله تعالى. وفي هلال ذي الحجة وقع على حجاج اليمن سموم عظيم في ناحية يلملم فهلك منهم طائفة عظيمة في يوم واحد يقال إن الذين هلكوا في ذلك اليوم أكثر من ألف وخمسمائة إنسان والله أعلم. وفي هذا الشهر المذكور أمر السلطان بعمارة الزيادة في الدار السلطاني بزبيد وهو القصر اليماني الذي هو قبالة مدرسة الميلين إلى ما يوازيها من الغرب. وفي يوم الثامن والعشرين من ذي الحجة حرقت قرية القرشية **حريقا** عظيما ولم يسلم منها إلا القليل من القرية السفلى. وفي سلخ الشهر المذكور وصلت هدية من الديار المصرية صحبة الحاج أحمد الخفاني.

وفي أول سنة إحدى وثمانمائة أغار المعازبة على قرية فشال فقتل منهم حشيبر بن علي بن حشيبر وأخذ فرسه وكان

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدو لة الرسولية علي بن الحسن الخزرجي ٢٣٨/٢

(٢) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية علي بـن الحسن الخزرجي ٢٣٩/٢

الذي قتله ولد الشريف داود بن مطهر. وفي يوم الخامس من الشهر المذكور أغار الشريف والقرشيون على بلد المعازبة فقتلوا منهم ثلاثة أنفار وأخذت رؤوسهم وحملت إلى زبيد ثم أغار المعازبة على أهل المخيريف بعد ذلك فقتل منهم جماعة اجتز منهم ثمانية نفر ودخلوا برؤوسهم إلى زبيد ثم جمعوا جمعا آخر وأغاروا على المخيريف أيضا يوم العاشر من صفر فقتل من المعازبة نحو من ثلاثين رجلا. وفي يوم الثالث عشر من شهر صفر خرج السلطان من تعز إلى زبيد وكان خروجه يوم الخميس عند طلوع الشمس فدخل المدينة حيس بين المغرب والعشاء من ليلة الجمعة ثم سرى فدخل زبيد عند طلوع الفجر من يوم الجمعة الرابع عشر من صفر المذكور. وفي يوم الاثنين السابع عشر من صفر المذكور وصل نحمل الحج وقافلة الحجاج وهدية من الديار المصرية. وركب السلطان في طلب الصيد نحو النخل يوم الرابع والعشرين من الشهر المذكور ورجع آخر يومه ثم تقدم إلى سرياقوس يوم الخميس السابع والعشرين من الشهر المذكور. فأقام هنالك يوم الخميس ويوم الجمعة ورجع إلى زبيد يوم السبت التاسع والعشرين. وفي ذلك النهار كسفت الشمس واتصل العلم إن صاحب أبين قتل جماعة من بني إبراهيم نحوا من عشرين شيخا وقبض بيوتهم وخيولهم ولذلك ثارت فتنة شديدة بسبب قتلهم وكان الساعي في قتلهم الأمير شجاع الدين عمر بن قراجا.." (١)

"وفي يوم الحادي والعشرين توفي الفقيه أحمد بن القاضي علي بن سالم عن سن عالية وكان من الأخيار رحمه الله تعالى.

وفي يوم الثالث والعشرين من شوال احترق الحرم بمكة شرفها الله تعالى وكان سببه إن رجلا من المجاورين يسكن في رباط العجم عند باب عزورة أطفأ مصباحه عندما أراد أن ينام ففلت من الذبالة شيء من النار ووقع على شيء فاحترق ذلك الشيء فاحترق الموضع فلحقت النار سقف الرباط فاحترق ثم لحقت النار سقف الحرم فاحترق السقف والأساطين وكان حريقا عظيما لم يعهد مثله وأقامت النار في الحرم نحو من عشرين يوما والناس في كل يوم يطفونها ولا تكاد تنطفي.

وفي أول ذي القعدة استمر الأمير بدر الدين محمد بن بهادر السنبلي في القحمة ومقدما في فشال وانفصل ابن اللطيفي عن القحمة.

وفي يوم السادس من ذي القعدة خرج رجل من باب النخل في محارة وكان محيرا بأمر الأمير فلما صار في الباب أراد البوابون أن يختبروا ما في المحارة فضربوا عليها بالحديد فتوجع الرجل وأن فلزموا الجمل وأبركوه واخرجوا الرجل من المحارة وتقدموا به إلى الأمير فحبسه وحبس الجمال الذي ساق به الجمل ولما أصبح في اليوم الثاني كحلهما معا.

وفي السابع من الشهر المذكور توفي الفقيه برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن أبي الخير وهو آخر من كان في بني أبي الخير من الفقهاء في ذلك العصر.

وفي الخامس عشر من الشهر المذكور تقدم الأمير بدر الدين محمد بن بهادر السنبلي إلى قرية فشال وأصلحت المعازية على يده والتزموا بأداء الخيل وأمنت الطرق وسار الناس فيها آمنين.

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية علي بن الحسن الخزرجي ٢٤٦/٢

وأمر السلطان بطلوع ابن زياد إلى حصن تعز فسجن فيه هو وأصحابه. وفي ليلة الجمعة الرابع والعشرين من الشهر المذكور وقع مطر في مدينة زبيد ونواحيها من بعد طلوع الشمس إلى أذان العصر وتشعثت في المدينة بيوت كثيرة من." (١)

"وقيل: إنه صلى الله عليه وسلم كان حين بناء قريش للكعبة غلاما، ذكر هذا القول الأزرقي، لأنه قال في ترجمة ترجم عليها بقول: "ذكر ما كان عليه ذرع الكعبة حين صار إلى ما هو عليه إلى اليوم من خارج وداخل": ثم بنتها قريش في الجاهلية، والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ غلام١ ... انتهى.

وذكر الفاكهي ما يوافق ذلك، وفيما ذكره بيان لسن النبي صلى الله عليه وسلم حين كان غلاما، لأن الغلام يقع على الصبي من حين يولد إلى حين يبلغ، وما ذكره الفاكهي في ذلك مذكور في الترجمة التي ترجم عليها بقوله: "ذكر ما كانت عليه الكعبة في عهد إبراهيم عليه السلام من الطوال والعرض إلى يومنا هذا" لأنه قال: ثم بنتها قريش في الجاهلية، وقد كتبنا بناءها في موضع بناء قريش الكعبة، والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ قد ناهز الحلم٢...... انتهى.

وهذا القول، والقول الذي ذكره ابن خليل غريبان، لمخالفتهما المشهور في سنه صلى الله عليه وسلم حين بنت قريش الكعبة، وهو ما ذكره ابن إسحاق أو ما ذكره ابن عقبة، ولم أر من ذكر ذلك القول الذي ذكره ابن خليل، والله أعلم.

وهو صلى الله عليه وسلم الذي وضع الحجر الأسود موضعه من الكعبة حين اختلفت قريش في ذلك، وكان سبب بنائهم لها توهنها من **الحريق** الذي أصابها حين جمرت، والسيل العظيم الذي دخلها وصدع جدرانها بعد توهنها **بالحريق**، وجعلوا ارتفاعها من خارجها من أعلاها إلى الأرض ثمانية عشر ذراعا، منها: تسعة أذرع زائدة على طولها حين عمرها الخليل عليه السلام واقتصروا من عرضها أذرعا جعلوها في الحجر، لقصر النفقة الحلال التي أعدوها لعمارة الكعبة عن إدخال ذلك فيها، ورفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، وكبسوها بالحجارة، وجعلوا في داخلها ست دعائم في صفين، ثلاث في كل صف من الشق الذي يلي الحجر إلى الشق اليماني، وجعلوا في ركنها الشامي من داخلها درجة يصعد منها إلى سطحها، وجعلوها سطحا، وجعلوا فيها ميزابا يصب في الحجر، هذا ملخص بالمعنى مختصر مما ذكره الأزرقي في خبر بناء قريش، وقد ذكرناه بكماله في أصل هذا الكتاب، مع ما ذكره الأزرقي في خبر بناء قريش، وقد ذكرناه بكماله في أصل هذا الكتاب، مع ما ذكره ابن إسحق في ذلك بفوائد٣ أخر تتعلق بذلك.

وذكر الأزرقي والفاكهي في القدر الذي زادته قريش في طول الكعبة على بناء الخليل عليه السلام أمرا يستغرب أما الأزرقي فإنه قال في الترجمة التي ترجم عليها بقوله: "ما جاء في ذكر بناء قريش الكعبة في الجاهلية": حدثني جدي عن داود بن

---

١ أخبار مكة للأزرقي ١/ ٧٨- ٨٠، والسير والمغازي لابن إسحاق ٢/ ١٠٨.

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية علي بن الحسن الخزرجي ٢/٢٥٦

٢ أخبار مكة للفاكهي ٥/ ٢٢٦.

٣ أخبار مكة للأزرقي ١/ ١٥٧ وما بعدها.." (١)

"وقيل: عشر سنين، وقيل: ست سنين، وقيل: ثلاث سنين، والكعبة بنيت وللنبي صلى الله عليه وسلم خمس وثلاثون سنة وقيل: خمس وعشرون سنة على ما هو المشهور في سنه حين بنتها قريش١ وإذا كان كذلك فلا يكون عبد المطلب وضع الحجر الأسود بيده حين بنتها قريش، ولا حضر بناءهم لها، على أن الفاكهي ذكر في موضع آخر ما يقتضي أن عبد المطلب حضر بناء قريش، ذكر ذلك في خبر تبع.

وأما بناء ابن الزبير رضي لله عنهما للكعبة فإنه ثابت مشهور، وسبب ذلك توهن الكعبة من حجارة المنجنيق التي أصابتها حين حوصر ابن الزبير رضي الله عنهما بمكة في أوائل سنة أربع وستين من الهجرة، لمعاندته يزيد بن معاوية، وما أصابها مع ذلك من **الحريق**، بسبب النار التي أوقدها بعض أصحاب ابن الزبير رضي الله عنهما في خيمة له، فطارت الرياح بلهب تلك النار، فأحرقت كسوة الكعبة والساج الذي بني في الكعبة حين عمرتها قريش، فضعفت جدران الكعبة، حتى أنها لتنقض من أعلاها إلى أسفلها، ويقع الحمام عليها فتتناثر حجارتها.

ولما زال الحصار عن ابن الزبير رضي الله عنهما لإدبار الحصين بن نمير من مكة بعد أن بلغه موت يزيد بن معاوية، رأي ابن الزبير رضي الله عنهما أن يهدم الكعبة ويبنيها، فوافقه على ذلك نفر قليل، وكره ذلك نفر كثير، منهم ابن عباس رضي الله عنهما.

ولما أجمع على هدمها خرج كثير من أهل مكة إلى منى مخافة أن يصيبهم عذاب وأمر ابن الزبير رضي الله عنهما لها يوم السبت في النصف من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وبناها على قواعد إبراهيم عليه السلام وأدخل فيها ما أخرجته منها قريش في الحجر، وزاد في طولها على بناء قريش نظير ما زادته قريش في طول على بناء الخليل عليه السلام وذلك تسعة أذرع، فصار طولها سبعة وعشرين ذراعا بتقديم السين وهي سبعة وعشرون مدماكا٢، وجعل لها بابين لاصقين بالأرض، أحدهما بابها الموجود اليوم، والآخر المقابل له المسدود، واعتمد في ذلك وفي إدخاله في الكعبة ما أخرجته قريش منها في الحجر حين أخبرته به خالته عائشة رضي الله عنها يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

---

١ الروض الأنف ١/ ٢٢١، والمشهور أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت سنه عندئذ خمسا وثلاثين سنة، كما روى ابن إسحاق وغيره.

٢ المدماك: مقياس قديم لأهل مكة.." (٢)

"ذكر ما أصاب الحجر الأسود في زمن ابن الزبير، وما صنع فيه من الفضة في زمنه وزمن هارون الرشيد:

روينا في تاريخ الأزرقي خبر بناء ابن الزبير الكعبة، رواه الأزرقي عن جده، عن سليم بن سالم، عن ابن جريج، عن غير

---

(١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام التقي الفاسي ١/١٣٠

(٢) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام التقي الفاسي ١/١٣٢

واحد من أهل العلم ممن حضر بناء ابن الزبير للكعبة، قال فيه: وكان الركن قد تصدع من **الحريق** بثلاث فرق، فانشظت منه شظية كانت عند بعض آل بني شيبة بعد ذلك بدهر طويل، فشده ابن الزبير بالفضة إلى تلك الشظية من أعلاه بين موضعها في أعلا الركن١.. انتهى.

وروينا في تاريخ الأزرقي عن جده قال: كان ابن الزبير ربط الركن الأسود بالفضة لما أصابه من **الحريق**، وكانت الفضة قد تزلزلت ونزعت وتعلقت حول الحجر حتى خافوا عليه أن ينقض، فلما اعتمر هارون الرشيد وجاور في سنة تسع وثمانين ومائة أمر بالحجارة التي بينها الحجر الأسود، فنقبت بالماس من فوقها ومن تحتها، ثم أفرغ فيها الفضة٢

---

١ الخبر في أخبار مكة للأزرقي ١/ ٢٠٨، ٢٠٩.

٢أخبار مكة للأزرقي ١/ ٢١٠.." (١)

"الباب السابع عشر:

ذكر شيء من أخبار الحجر المكرم حجر إسماعيل عليه السلام:

روينا بالسند المتقدم إلى الأزرقي قال: حدثني جدي، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن ابن إسحاق قال: في أثناء خبر بناء الخليل عليه السلام للكعبة: وجعل إبراهيم عليه السلام الحجر إلى جنب البيت عريشا من أراك تقتحمه العنز، وكان زربا لغنم إسماعيل عليه السلام١ ... انتهى.

وقد تقدم في خبر عمارة الكعبة أن قريشا أدخلت في الحجر أذرعا من الكعبة حين بنتها لما قصرت عليهم النفقة الحلال التي أعدوها لعمارة الكعبة عن إدخال ذلك فيها، وأن عبد الله بن الزبير أدخل ذلك في الكعبة حين عمرها، وأن الحجاج أخرج ذلك منها، ورده كما كان عليه في عهد قريش والنبي صلى الله عليه وسلم واستمر الحال على ذلك إلى الآن، وصار بعض الحجر من الكعبة وبعضه ليس منها.

ويدل لذلك ما رويناه في الصحيحين، وغيرها من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة، فألزقتها بالأرض، ولجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر، فإن قريشا استقصرتها حين بنت الكعبة".

وفي رواية: "فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه، فهلمي لأريك ما تركوا منه" فأراها قريبا من سبعة أذرع". أخرجاه٢.

وفي مسلم عن الوليد بن عطاء، فذكر شيئا من **حريق** الكعبة، وعمارة بن الزبير لها، ثم قال: قال ابن الزبير: إني سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: إن رسول

---

(١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام التقي الفاسي ١/٢٥٧

١ أخبار مكة للأزرقي ١/ ٦٤، ٦٥.

٢ أخرجه البخاري: "١٥٨٣- ١٥٦٨"، ومسلم "٣/ ٣٧١- ٣٧٢".." (١)

"ليلة السبت الثامن والعشرين١ من شوال سنة اثنين وثمانمائة، ظهرت نار من رباط رامشت بالجانب الغربي من المسجد الحرام، ولم يكن غير لحظة حتى تعلقت بسقف المسجد وعمت **بالحريق** الجانب الغربي منه، وبعض الرواقين المقدمين من الجانب الشامي بما في ذلك من السقوف والأساطين الرخام وصارت قطعا، وانتهى **الحريق** إلى محاذاة باب دار الصحابة، وسبب ذلك أن النار لم تجد شيئا تتعلق به لخلو باب دار الصحابة، وسبب ذلك: أن النار لم تجد شيئا تتعلق به لخلو ذلك الموضع، وهو عمودان عليهما عقود وسقف بعد سقوطه لتخربه في السيل المهول الذي كان بمكة في هذه السنة أيضا، فصار ما احترق من المسجد الحرام أكواما عظاما تمنع من الصلاة في موضعها ومن رؤية الكعبة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قدر الله تعالى عمارة ذلك في مدة لطيفة على يد الأمير بيسق الظاهري٢ أعزه الله تعالى، وكان قدومه لذلك في موسم سنة ثلاث وثمانمائة، فلما رحل الحاج من مكة في هذه السنة شرع في شيل تلك الأكوام العظيمة، حتى فرغت، ثم أخذ في العمارة حتى عاد ذلك كما كان. إلا أن الأساطين التي بالجانب الغربي حجارة منحوتة، وكذلك الأساطين التي في الجانب الشامي خلا أساطين يسيرة في مقدمة الجانب المذكور، فإنها رخام مكسر ملصق بالحديد، وكان الفراغ من عمارة ذلك في العشر الأخير من شعبان سنة أربع وثمانمائة٣.

وعجب الناس كثيرا من سرعة عمارة ذلك في هذه المدة، لأن من رأى ذلك قبل عمارته كان يقطع بأن هذه العمارة إنما تنهض في مدة سنين، باعتبار العادة في العمارات، فلله الحمد على نعمه التي لا تحصى ولم يبق من ذلك محتاجا إلى العمارة إلا سقف الجانب الغربي، والذي أوجب تركه أنه لم يوجد بمكة خشب ساج يسقف به، ولو وجد بمكة لما جاء الموسم من سنة أربع وثمانمائة إلا وجميع ذلك فارغ بقدرة الله تعالى.

ولما كان المحرم مفتتح شهور سنة سبع وثمانمائة، قدم إلى مكة الأمير بيسق المذكور أحسن الله إليه، لعمارة هذا السقف وغيره مما تشقق من المسجد الحرام، ونهض أيضا في مدة لطيفة بقدرة الله لأن الأمير بيسق المشار إليه جرى على عادته في علو الهمة وعني من حين وصوله بتحصيل الأخشاب، ثم بتهيئتها لعمل السقف، ثم بتركيبها في محلها، والخشب الذي سقف به ذلك يقال له خشب العرعر٤، جيء به إلى

---

١ في إتحاف الورى ٣/ ٤٢٠: "ثامن عشر"، وانظر أيضا: السلوك للمقريزي ٣/ ٣: ١٠١٩، ونزهة النفوس ٢/ ٦١، ودرر الفرائد "ص: ٣١٦، ٣١٧".

٢ هو "بيسق الشيخي" مات سنة ٨٢١هـ، انظر ترجمته في "الضوء اللامع ٣/ ٢٢، ٢٣".

---

(١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام التقي الفاسي ١/٢٨٠

٣ إتحاف الورى ٣/ ٤٢٣، والسلوك ٣/ ٣: ١٠٦٤.

٤ "العرعر": شجر من أشجار الصنوبريات، وأنواعه كثيرة.." (١)

"الجانب رخام، خلا أربعة عشرة أسطوانة من آخر الصف الأوسط مما يلي دار العجلة وباب السدرة فإنها حجارة منحوتة.

وجملة الأساطين التي في الجانب الغربي: سبعة وثمانون أسطوانة، كلها حجارة منحوتة، وهي مما عمل بعد **الحريق** للمسجد الحرام لتكسر أساطينه الرخام التي كانت فيه قبل **الحريق**.

وجملة الأساطين التي في الجانب الجنوبي وهو اليماني مائة وأربعون أسطوانة، وجميعها رخام خلا خمسة وعشرين أسطوانة فإنها غير رخام، وهي حجارة منحوتة، خلا اثنين فآجر مجصص وجميع ما في جوانب المسجد الحرام وأبوابه الآن من الأساطين الرخام: ثلاثمائة أسطوانة وأربعون أسطوانة، وجميع ما فيه من الأساطين غير الرخام: مائة أسطوانة وسبعة وعشرون أسطوانة كلها حجارة منحوتة، خلا ثلاثة أساطين فإنها أجر مجصص، وقد تقدم بيان موضع هذه الأساطين، والأساطين الحجارة المنحوتة وكذا الأساطين الرخام في جوانب المسجد الحرام وأبوابه.." (٢)

"ومنها: رباط الزنجيلي قبالة مدرسته عند باب العمرة من خارج المسجد، بينه وبين المسجد دار، وتاريخهما واحد.

ومنها: الرباط المعروف برباط الخوزي بخاء وزاي معجمتين بزيادة باب إبراهيم، وقفه الأمير قرامر بن محمد بن قرامر الأقدري١ الفارسي على الصوفية الغرباء والمتجردين، كذا في الحجر الذي على بابه، وتاريخه فيما أظن سنة سبع عشرة وستمائة.

ومنها: رباط رامشت عند باب الحزورة ورامشت هو الشيخ أبو القاسم، واسمه إبراهم بن الحسين الفارسي، وقفه على جميع الصوفية الرجال دون النساء أصحاب المرقعة، من سائر العراق، وتاريخه سنة تسع وعشرين وخمسمائة٢. وظفرت بنسخة كتاب وقفه، وكان قد احترق جانب كبير من هذا الرباط في الليلة التي احترق فيها المسجد الحرام وهي ليلة الثامن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة، وأول ما كان **الحريق** في البيت الذي على بابه الذي بالمسجد، ثم خرجت النار من شباكه حتى تعلقت بسطح المسجد٣، ثم وفق الله غير واحد للتقرب بعمارته، فعمر منه جانب كبير من سفله الذي يلي المسجد وبعض المجمع الذي فوقه، ثم صرف الشريف حسن بن عجلان أمير مكة مائتي مثقال ذهبا لعمارته أوائل سنة ثمان عشرة وثمانمائة، فعمر بها جميع ما كانت محترفا من الرباط المذكور من البيوت العلوية وغير ذلك مما يحتاج إلى العمارة علوا وسفلا، وصرف من ذلك جانبا فيما يحتاج إليه من أبواب بيوت الرباط وغير ذلك من مصالحه، وجاءت عمارته حسنة.

ومنها: رباط السيد الشريف بدر الدين حسن بن عجلان الحسني نائب السلطنة بمكة وجميع الأقطار الحجازية، زاده

---

(١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام التقي الفاسي ٣٠١/١

(٢) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام التقي الفاسي ٣٠٩/١

الله رفعة، وهو الذي أنشأه، وهذه منقبة ما عرفت مثلها لأحد ممن تقدم من أمراء مكة، وتاريخه سنة ثلاث وثمانمائة، وهو مقابل المدرسة المقابلة للمدرسة المجاهدية، وله عليه أوقاف بمكة ومنى ووادي مر٤.

ومنها: رباط الجمال محمد بن فرج المعروف بابن بعلجده قريبا من ٥ذ الرباط وباب الحزورة، وتاريخه سنة سبع وثمانين وسبعمائة، وهو وقف على الفقراء المنقطعين بمكة٦.

---

١ في "منتخب شفاء الغرام": "الأقزري".

٢ إتحاف الورى ٢/ ٥٠٤.

٣ إتحاف الورى ٣/ ٤٢٠.

٤ إتحاف الورى ٣/ ٤٢٣، العقد الثمين ٤/ ٩٦.

٥ هذه الكلمة من زيادة كتاب منتخب شفاء الغرام "ص: ١١٠.

٦ إتحاف الورى ٣/ ٣٤٩، والعقد الثمين ٢/ ٢٥٤.." (١)

"وبمكة أوقاف كثيرة على جهات من القربات، غالبها الآن غير معروف لتوالي الأيدي عليها، ومن المعروف منها: البيمارستان المستنصري العباسي بالجانب الشمالي من المسجد الحرام، وتاريخ وقفه سنة ثمان وعشرين وستمائة١، وعمره في عصرنا هذا الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة عمارته التي هو عليها الآن، وزاد فيه على ما كان عليه أولا إيوانين: أحدهما: في جهته الشامية، والآخر: في جهته الغربية، وأحدث فيه صهريجا ورواقا فوق الإيوانين اللذين أحدثهما، وفوق الإيوان الشرقي الذي كان فيه من قبل، وجدد هو عمارته، وفوق الموضع الذي فيه الشباكان المشرفان على المسجد الحرام، وأدخل فيه البئر التي كان يستقي منه للميضأة الصرغتمشية، ووقف جميع ما بناه وما يستحق منافعه في الموضع المذكور للمدة التي يستحقها على الضعفاء والمجانين، ووقف عليه منافع الدار المعروفة بدار الإمارة عند باب بني شيبة بعد عمارته لها حين تخربت **بالحريق** الذي وقع في آخر ذي القعدة من سنة أربع عشرة وثمانمائة٢، وذلك بعد استئجاره لها واستئجاره للبيمارستان المذكور لتخربهما، من القاضي الشافعي بمكة لمدة مائة سنة، وأذن له في صرف أجرة الموضعين في عمارتها، وكان استئجاره لذلك في شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وثمانمائةن وفيها شرع في عمارتها وكان وقفه لذلك في صفر سنة ست عشرة وثمانمائة٣.

ووقف المنافع يتمشى على رأي البعض من متأخري المالكية، وحكم به بعض طلبة المالكية ليثبت أمره، وإن كان بعض المعتبرين من المالكية لا يرى جوازه، كما هو مقتضى مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل رحمة الله عليهم والله يوفقنا أجمعين للخير آمين.

ذكر السقايات والبرك بمكة المشرفة وحرمها وعرفة:

بمكة وحرمها عدة سقايات، تسمى أيضا السبل بسين مهملة وباء موحدة مضمومتين جمع سبيل، وشهرتها عند الناس

---

(١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام التقي الفاسي ٤٣٢/١

بالسبل أكثر، وهي كثيرة إلا أن بعضها صار لا يعرف لخرابه وبعضها معروف مع الخراب.
فمن ذلك: سبيل عطية بن ظهيرة بأعلى مكة٤، وسبيل قاسم الزنكي عند مسجد الراية، وسبيل السيدة أم الحسين بنت القاضي شهاب الدن الطبري بالمسعى عند موضع الجزارين والخرازين، وسبيل لابن بلعجد عند عين بازان التي بالمسعى قرب الميل

---

١ إتحاف الورى ٣/ ٤٩، العقد الثمين ١/ ١٢٣،غاية المرام ٢/ ٢٩٣.

٢ إتحاف الورى ٣/ ٤٨٧، ٤٨٨، والعقد الثمين ١/ ٥٠.

٣ إتحاف الورى ٣/ ٥٠٧.

٤ جردة القاضي أبو السعادات بن ظهيرة في أوائل سنة ست وخمسن وثمانمائة.." (١)

"ولولديه في الخطبة بمكة، وعلى قبة زمزم، ويدعى للسيد حسن بمفرده في الخطبة بالمدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. وسبب ذلك: أنه كان ولي المدينة عجلان بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة الحسني١، عوض أخيه ثابت بن نعير٢؛ فإنه كان ولي إمرتها في هذه السنة، ومات ثابت في صفر من هذه السنة قبل وصوله توقيعه، واسشتمرت الخطبة باسم الشريفة حسن بالمدينة النبوية إلى أن عزل عنها "عجلان" بابن عمهم سليمان بن هبة الله بن جماز بن منصور٣، في موسم سنة اثني عشرة وثمانمائة، وكان يقدم في الخطبة على عجلان.
وفي هذه السنة أيضا عزل الشريف حسن وابناه عن ولايتهم، ولم يظهر لذلك أثر بمكة؛ لأن السلطان الملك الناصر٤ فرج ابن الملك الظاهر برقوق أسر أمر عزلهم، ثم رضي عليهم بعد توجه الحجاج من القاهرة في هذه السنة؛ فأعادهم إلى ولايتهم، وبعث إليهم بتقليد وخلع بصحبة خادمه الحاج فيروز الشاقي5، وكتب إلى أمير الحج المصري يأمره بالكف عن محاربتهم؛ فأحمد الله -تعالى- الفتنة بذلك، وبدا من الشريف حسن بعد دخول الحجاج إلى مكة أمور محمودة، من حرصه على الكف عن إذاية الحجيج، ولولا ذلك لعظم عليهم البكاء والضجيج، والله يزيده توفيقا ويسهل له إلى كل خير طريقا. وتاريخ ولايتهم في هذه السنة: الثاني عشر من ذي القعدة الحرام، ووصل الخبر بها في آخر يوم من ذي القعدة، وولي السيد حسن المذكور تدبير الأمور والقيام بمصالح العسكر والبلاد، ودامت ولايته على ذلك إلى أثناء صفر سنة ثمان عشرة وثمانمائة.
ثم ولي مكة بعد ذلك: السيد رميثة بن محمد بن عجلان بن رميثة٦، وما دخل مكة ولا دعي له في الخطبة ولا على زمزم إلا في العشر الأول من ذي الحجة من السنة المذكورة، وكانت قراءة توقيعه في يوم دخوله إلى مكة، وهو مستهل ذي الحجة من السنة المذكورة، وتاريخه رابعه عشر من صفر؛ وصرح فيه بأنه ولي ني ا بة السلطنة بالحجاز

---

١ الضوء اللامع ٥/ ١٤٥ رقم ٤٩٧.

---

(١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام التقي الفاسي ٤٣٨/١

٢ الضوء اللامع ٣/ ٥٠، رقم ١٩٤.

٣ الضوء اللامع ٣/ ٢٧٠ رقم ١٠٢٢.

٤ وفي عهد فرج وقع **الحريق** في المسجد الحرام في ليلة السبت لليلتين بقيتا من شوال عام ٨٠٢هـ، وسببه ظهور نار من رباط رامشت الملاصق لباب الحزورة من أبواب المسجد من الجانب الغربي، ورامشت: هو الشيخ الصوفي الفارسي ابو القاسم إبراهيم بن الحسين، وقفه على الصوفية عام ٥٢٩هـ، ولما احترق رباط رامشت عام ٨٠٢هـ أعيد بناؤه وسمي رباط الخاص، وصار ما اختنق من المسجد، وقد أتى هذا **الحريق** على ثلث المسجد الحرام. ثم قدر الله تعالى عمارته.

٥ الضوء اللامع ٦/ ١٧٥ رقم ٥٩٥.

٦ الضوء اللامع ٣/ ٢٣٠ رقم ٨٦٨، غاية المرام ٢/ ٣٧٤.." (١)

"ومنها: أن السلطان نور الدين محمود بن زنكي المعروف بالشهيد صاحب دمشق، خطب له بالحرمين واليمن، لما كان ملكها الملك المعظم توران شاه، أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، ذكر هذه الحادثة الملك المؤيد صاحب حماة، وكان ملك توران شاه لليمن في سنة ثمان وستين وخمسمائة، فتكون الخطبة وللسلطان نور الدين بالحرمين في هذه السنة١.

ومنها: أنه في سنة سبعين وخمسمائة بات الحاج العراقي بعرفة، ولم يبت بمزدلفة: ولم يصل إليها إلا في يوم عرفة، ولما دخل أمير الحاج العراقي طاشتكين للوداع، هم أهل مكة بكبسه؛ لمنازعة جرت بين بعض جماعة أمير الحاج وبعض أهل مكة. وسالمهم أمير الحاج إلى أن خرج إلى الزاهر، ثم حصل بين الفريقين قتال يسير بالزاهر بعد ذلك، قتل فيه من أصحاب أمير الحاج: رجلان: وجرح أناس من أهل الحجاز٢.

ومنها: أنه في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة لم يتمكن الحجاج العراقيون من إقامة غالب مناسك الحج؛ لفتنة كان بين أميرهم طاشتكين، وبين صاحب مكة مكثر بن عيسى، وكانت فتنة عظيمة اتفقت فيها أمور عجيبة، على ما ذكر غير واحد من أهل الأخبار، منهم ابن الأثير؛ لأنه قال في أخبار هذه السنة: في ذي الحجة كان بمكة حرب شديد بين أمير الحاج طاشتكين، وبين الأمير مكثر بن عيسى أمير مكة، وكان قد بنى قعلة على جبل أبي قبيس فلما سار الحاج من عرفات لم يبيتوا بالمزدلفة؛ وإنما اجتازوا بها، ولم يرموا الجمال إنما رمى بعضهم وهو سائر، ونزلوا الأبطح، فخرج إليهم ناس من أهل مكة فحاربهم، وقتل من الفريقين. جماعة، وصاح الناس الغزاة إلى مكة، فهجموا عليها، فهرب أمير مكة مكثر، فصعد إلى القلعة التي بناها على جبل أبي قبيس، فحصروه بها، ففارقها وسار عن عكرمة، وولي أخوه داود الإمارة بها، ونهب كثير من الحاج بمكة، وأخذوا من أموال التجار المقيمين بها شيئا كثيرا، وأحرقوا دورا كثيرة.

من أعجب ما جرى أن إنسانا زراقا ضرب دارتا فيها بقارورة نفط فأحرقها، وكانت لأيتام فأحرق ما فيها، ثم أخذ قارورة أخرى ليضرب مبها مكانا آخر، فأتاه حجر فأصاب القارورة فكسرها، واحترق هو فيها، فبقي ثلاثة أيام يتعذب **بالحريق**، ثم مات ... انتهى.

---

(١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام التقي الفاسي ٢/٢٤٩

١ إتحاف الورى ٢/ ٥٣٤، العقد الثمين ١/ ١٨٨.

٢ إتحاف الورى ٢/ ٥٣٥، ٥٣٦، حسن الصفا "ص: ١١٧".." (١)

"ذلك في قيل وقال إلى اليوم الثالث عشر من توليته فوقع الاتفاق بينهم وزينوا لذلك مكة حسب عادتهم ثلاث ليالي واطمأنت القلوب وراقت الأفكار ودام السرور وزالت الأحزان، والناس مستبشرون بتوليته؛ غير أنه لم تأته الخلعة السلطانية إلا بعد مضي ستة أشهر وهذه هي الولاية الأولى له؛ فلما أهل شهر رجب وقع في رابعه بين جماعة الشريف سعد وجماعة الشريف حمواد النزاع مرة أخرى واشتد الأمر وتجمعت القبائل والعساكر وتراموا بالبندق، ومات نحو أربعة رجال اثنان منهم خطأ، ودام ذلك بينهم ليلتين ويوما وبعض يوم، ثم وقع الصلح ونودي بالأمن والحمد لله إلى صبيحة اليوم السادس والعشرين من رجب؛ فجاء التأييد والخلع السلطانية بإمارة مكة للشريف سعد المذكور فحصل بها غاية السرور ونودي بالزينة سبع ليال وأعطى عسكره في ذلك اليوم ألفي دينار وخلع على كثير من خدامه، واستمر الأم إلى شهر ذي القعدة فحصل أيضا بين ال شريف سعد والشريف حمود تنافر وكلام من جهة المعلوم وخرج لذلك من مكة؛ فلما كان الثالث والعشرون من الشهر المذكور أرسل خدامه إلى الطرقات ينتهبون ما يجدون فبالغوا في ذلك وجمعوا أموالا كثيرة من القوافل وغيرهم؛ حتى إنهم أخذوا فرسا لبعض خدام الشريف وأرسل لهم عند ذلك عسكرا فلم يجدوهم، واستمر أمرهم كذلك إلى زمن الحج فلم يقع منهم أذية للحجاج؛ غير أن أهل مكة وقراها والعرب لم يحج منهم إلا القليل، وبعد انقضاء الحج طلبوه للصلح وحضر القاضي فلم يقع الصلح وذكر أنه متوجه إلى مصر وخرج مع الأمير المصري إلى بدر فتخلف فيها، ثم انتقل إلى ينبع، ووقع لبعض أولاد الشريف زيد تنافر مع أخيرهم الشريف سعد والتحقوا بالسيد حمود وفعلوا مثل فعله من النهب وغيره، وجهز الشريف إليهم فلم يظفر بهم بل ببعض أموالهم ووقع من الشريف حمود أمور مشتهرة قيدها غير واحد من المؤرخين.

وفي هذه المدة تكاثرت الفتن والغلاء والسرقة **والحرائق** وسقوط النجوم وظهر عمود في السماء لم يظهر مثله وكثر الفناء والمرض وكسفت الشمس، وقد كان توجه الشريف سعد إلى ينبع مع الحج المصري وخلف أخاه الشريف أحمد بن زيد على مكة؛ فأقامه الله سبحانه وتعالى أحسن قيام ووجد الطعام ثم توجه هو إلى نواحي المبعوث وأقام مقامه الشريف بشير بن سليمان في صفر من سنة ألف وتسع وسبعين، انتهى ما وجدته مذيلا على نسخة المؤرخ العلامة ابن ظهيرة الموجودة بمصر بالأزهر الأنور برواق الأروام بخط كاتب ذلك التاريخ، وتم نسخ النسخة المذكورة في يوم الأحد الحاديث عشر من ذي القعدة الحرام من سنة ألف ومائة وتسع وثلاثين من هجرته -صلى الله عليه وسلم.

ثم رجع الشريف سعد إلى مكة في يوم الثلاثاء ثاني عشر ذي القعدة من ينبع واستمر إلى سنة ثلاث وثمانين وألف وكان

(١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام التقي الفاسي ٢/٢٧٧

في هذه السنة أمير الحج حسين باشا فحصل التنافر في يوم الحادي عشر من ذي الحجة بمنى بين الشريف سعد وبين الباشا، وكان في." (١)

"الباب السادس عشر: في ذكر فضل زيارة النبي –صلى الله عليه وسلم

أخبرنا يحيى بن أبي الفضل الصوفي، أخبرنا أبو محمد الفقيه، أخبرنا أبو الحسن المصري، أنبأنا أبو النعمان العسقلاني، حدثنا أبو الحسن الدارقطني، حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا محمد العبادي، حدثنا مسلمة بن سالم عن أبيه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "من جاءني زائرا لم يرم حاجة إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون شفيعا له يوم القيامة".

وبالإسناد حدثنا الدارقطني، حدثنا الحسين بن إسماعيل، حدثنا عبيد بن محمد الوراق، حدثنا موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمرو عن نافع عن ابن عمر، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "من زار قبري وجبت له شفاعتي" .١

أنبأنا سعيد بن أبي سعيد النيسابوري، أنبأنا إبراهيم بن محمد المؤدب، أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثنا محمد بن محمد بن مقاتل، حدثنا جعفر بن هارون، حدثنا إسماعيل بن المهدي عن أنس قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "من زارني ميتا فكأنما زارني حيا، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة، وما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر".

وروي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "من لم يزر قبري فقد جفاني".

أنبأنا عبد الرحمن بن علي، أنبأنا أبو الفضل الحافظ عن أبي علي الفقيه، أنبأنا أبو القاسم الأزهري، أنبأنا القاسم بن الحسن، حدثنا الحسن بن الطيب، حدثنا علي بن

=٨٣١هـ، على يد مقبل القديدي. وجدد الشرف أيضا شيئا من السقف الشامي مما يلي المنارة السنجارية، ثم جدد الظاهر جقمق كثيرا من سقف مقدم المسجد من الروضة وغيرها وذلك عام ٨٥٣هـ، ثم جدد الأشرف قايتباي جانبا من السقف الشرقي بعد هدم عقوده التي تلي صحن المسجد، ثم أعيد ذلك عام ٨٧٩هـ و ٨٨١هـ. ثم احترق المسجد النبوي ثانيا في ليلة ١٣ رمضان ٦٨٨هـ بسبب صاعقة، ولم يصل إلى جوف الحجرة الشريفة شيء من هدم هذا **الحريق** وسلمت الأساطين الملاصقة للحجرة الشريفة واحترق المنبر والمقصورة التي كانت حول الحجرة الشريفة وسقطت أكثر عقود المسجد وأساطينه؛ فأخذ قايتباي في عمارة المسجد النبوي وجدد تجديدا كاملا وهدمت المنارة وأحكم بناؤها وهدمت أعالي القبة وأعيدت على ما كانت عليه وتم ذلك كله عام ٨٩١هـ. وفي صفر عام ٨٩٨هـ سقطت صاعقة ثانية

(١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام التقي الفاسي ٣٦٦/٢

على المنارة الرئيسية فأسقطت قبتها وجانبا كبير من دورها الأول الذي يقوم عليه المؤذن؛ فأعيد ذلك كله بأمر الأشرف قايتباي.

١ هو لابن عدي في الكامل، وللبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر.." (١)

"كما أفسح في كل جهة من جهاته الثلاث: الجنوبية والغربية والشمالية عشرة أذرع؛ فيكون ما أضافه إلى المسجد ٤٩٦ مترا مربعا، وقبل بدء العمل استشار أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في التوسعة.

فحسن الناس له ذلك ودعوا له. وفي صباح اليوم التالي دعا العمال وقد باشر ذلك بنفسه. وكان ابتداء العمل في ربيع الأول عام ٢٩هـ ونهايته في أول محرم عام ٣٠ هجرية، وقد استغرق العمل عشرة أشهر.

توسعة الوليد بن عبد الملك الأموي:

في عام ٨٨ هجرية وسعه الوليد بن عبد الملك الأموي وأضاف إليه حجرات أمهات المؤمنين، وقد بلغت توسعته من الجهة الغربية عشرين ذراعا، ومن الجهة الشرقية ثلاثين ذراعا؛ فتكون زيادة ٢٣٦٩ مترا مربعا.

وهو أول من وشى جدرانه بالمرمر، وزخارف الفسيفساء. وجلل سقفه بماء الذهب، وقد جعله من خالص خشب الساج.

واستمر العمل في تجديده أربع سنوات؛ لأنه ابتدأه في سنة ثمان وثمانين وانتهى في سنة إحدى وتسعين للهجرة.

وقد أنفق في عمارته خمسة وأربعين ألف دينار.

وكان ذلك في ولاية عمر بن عبد العزيز، على المدينة المنورة، وقد أشرف على العمارة بنفسه.

توسعة المهدي بن المنصور العباسي:

في عام ١٦١ هجرية. جدد عمارة المسجد المهدي العباسي.

وزاد مائة ذراع في الجهة الشمالية فتكون توسعته ٢٤٥٠ مترا مربعا.

وقد استمر العمل أربع سنوات. ابتدأ في عام ١٦١هـ، وانتهى سنة ١٦٥هـ.

تجديد المستعصم بالله العباسي:

في عام ٦٥٥هـ. وقع احتراق في المسجد النبوي الشريف بسبب إهمال موقد المصابيح. وقد خرب **الحريق** المسجد، ولم يفلت منه إلا قبة الناصر لدين الله التي كانت في رحبته، وحين بلغ المستعصم العباسي الخبر، أرسل الصناع والآلات في موسم الحج، وبدأ العمل عام ٦٥٥هـ. وقد حدثت في هذا العام أحداث التتار وحروبهم؛ ولكن عمل البناء لم يتوقف؛ إذ اشترك فيه الملك المظفر ملك اليمن، وملك مصر نور الدين علي بن المعز الصالحي، وإن كانت العمارة لم تنته إلا في عهد الملك الظاهر بيبرس.." (٢)

"ومن أشهر الملوك والسلاطين الذين قاموا بالتجديد، أو التوسعة أو الإصلاح أو الترميم:

١– الملك الناصر محمد بن قلاوون في الأعوام ٧٠٥ و٧٠٦ و٧٢٩ هجرية.

---

(١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام التقي الفاسي ٤٦٠/٢

(٢) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام التقي الفاسي ٤٧٦/٢

٢- الملك الأشرف برسباي عام ٨٣١هـ.

٣- الملك الظاهر شمقمق عام ٨٥٣هـ.

٤- الملك الأشرف قايتباي عام ٨٧٩هـ[١] وقد زاد فيه ١٢٠ مترا مربعا.

٥- السلطان سليمان العثماني عام ٩٧٤هـ[٢].

٦- السلطان سليم الثاني عام ٩٨٠هـ.

٧- السلطان محمود الأول وهو أول من سيد القبة الخضراء عام ١٢٣٣هـ.

٨- السلطان عبد المجيد، وقد بدأت عمارته عام ١٢٦٥هـ وانتهى منها عام ١٢٧٧هـ.

ففي هذا العام كان تجديد البناء الضخم الذي قام به السلطان عبد المجيد العثماني، وقد استمر العمل فيه ثلاثة عشر عاما: من عام ١٢٦٥هـ إلى عام ١٢٧٧هـ.

وقد زاد فيه الكتاتيب، لاستظهار القرآن المجيد وتعليم القراءة والكتابة. والمستودعات زادها في الجهة الشمالية.

كما زاد من المشرق خمسة أذرع؛ فـتكون توسعة السلطان عبد المجيد ١٢٩٣ مترا مربعا. وتصبح مساحة المسجد بعد إضافة هذه التوسعة إليه ١٠٣٠٢ متر مربع.

فيكون القسم الداخلي الجنوبي الذي لم يمس ٤٠٥٦، والقسم الخارجي الشمالي الذي هدم وألحق بالتوسعة السعودية ٦٢٤٦.

ولم يكن بعد عمارة السلطان عبد المجيد من عمل تاريخي كبير في مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى زمن الملك عبد العزيز آل سعود فأمر بإجراء توسعة كبرى هي أفسح التوسعات التاريخية على الإطلاق، إذا بلغت مساحتها ٦٠٢٤ مترا مربعا. وهذه التوسعة غير العمارة؛ فالعمارة أفسح من التوسعة لأن مساحة التوسعة وحدها قد بلغت ٦٠٢٤ مترا مربعا، ومساحة العمارة المشتملة على التوسعة المضافة إلى القسم الشمالي الذي هدم من المسجد هي ٦٢٤٦ مترا مربعا.

---

١ الصحيح أن ذلك عام ٨٨١هـ كما سبق.

٢ وقد وجدت لدى عملية الهدم الحالية حجر تشتمل على تاريخ العمل كما ذكره المؤرخون، وهو محفوظ لدى المكتب في المدينة المنورة. وفي عام ٨٨٦هـ وقع حريق في المسجد النبوي فقام قايتباي ببناء المئذنة الكبيرة وجدار القبلة والجدار الشرقي إلى باب جبريل والجدار الغربي إلى باب الرحمة وسوى ذلك.." (١)

"وكان معهم بضع وعشرون رجلا من القرامطة على الإبل، فلما فرغوا من التطواف، ردوا إلى القصر، فعدل بأبي الهيجا وابنه وبقية القرامطة إلى الاعتقال، وسيق ابن النابلسي إلى المنظر ليسلخ، فلما علم بذلك رمى بنفسه على حجارة ليموت، فرد على الجمل، فعاد ورمى نفسه ثانيا، فرد وشد وأسرع به إلى المنظر، فسلخ وحشي جلده تبنا، ونصبت جثته

---

(١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام التقي الفاسي ٤٧٧/٢

وجلده على الخشب عند المنظر.
وأقام أبو محمود بدمشق وهي مضطربة قد كثر فيها الغوغاء وحمال السلاح، وعظم النهب في القرى، وأخذت القوافل، فلم يقدر أبو محمود على ضبط أصحابه لقلة ماله، فلم يكونوا يفكرون فيه ولا يرجعون عن شيء ينهاهم عنه، وأخذوا في النهب، وظالم بن موهوب يأخذ أموال السلطان من البلد ولا يدفع إلى أبي محمود شيئا منها، ويحتج أنه أخذ البلد من أبي الهيجاء وسار إليه بمكاتبة المعز له.
هذا وكل من الفريقين يخاف الآخر، وقد علم ظالم أن أهل دمشق تكره المغاربة، فكان يدارى الأمر، وكثر قطع المغاربة للطريق، فامتنع الناس من الذهاب والمجيء، وهرب أهل القرى إلى المدينة، وأوحش ظاهر البلد، فوقع بين المغاربة وبين أهل البلد الحرب أياما كثيرة، قام فيها ظالم مع أهل البلد وقاتل المغاربة، فانهزم وسار إلى بعلبك، ووقع **الحريق** في البلد، واشتد القتال، فخرج وجوه أهل البلد إلى أبي محمود ولطفوا به، فقال لهم: ما نزلت لقتالكم، وإنما نزلت لأرد هؤلاء الكلاب عنكم يعني أصحابه.
ففرح الناس واستبشروا وجاءوا إلى خيمته، واختلطت الرعية بأصحابه، وزال عنهم الخوف، ودخل المغاربة فيما يحتاجون إليه، فولى أبو محمود الشرطة لرجلين: أحدهما مغربي، والآخر من الإخشيدية، فدخلا في جمع عظيم إلى المدينة بالزمر، فجلسوا في الشرطة، وكان يطوف لهم طوف في الليل، ومع ذلك فلم ينكسر حمال السلاح ممن يطلب الفتنة، فرهب أبو محمود على مشايخ البلد وتهددهم، فثار أهل الشر من الدماشقة، ورأس الشطار فيهم ابن الماورد بسبب منازعة أهل البلد مع مغربي بسبب صبي، فأراد المغربي أخذه، فرفع البلدي السيف وقتل المغربي في السوق، فعادت الفتنة، وشهروا السلاح، فاضطرب البلد، وغلقت." (١)
"الأسواق، وثار العسكر من جهة المقتول، وصاح الناس في البلد بالنفير، وكبروا على الأسطحة، وخرج ابن الماورد في جماعة، فاشتد القتال بين الفريقين، وألقى المغاربة النار في الدور، فخرج وجوه البلد ومشايخهم إلى أبي محمود، وما زالوا به حتى بعث إلى العسكر وقد كادوا يغلبون أهل البلد فكفهم عن القتال؛ وكان ذلك في آخر ذي الحج، فسكن الأمر، وخرج الناس إلى أبي محمود، ودخل صاحب الشرطة المغربي، إلا أن أهل الغوطة كانوا قد أووا إلى البلد خوفا من النهب، وكان فيهم ذعار، وفي المدينة قوم من أهل الشر، فاجتمعوا يأخذون المستضعفين، ويجبون مستغلات الأسواق، ويكبسون المواضع وينتهبونها، فحسنت أحوالهم، وكانوا يكرهون تمكن السلطان، فهلك لذلك كثير من الناس.
ومر صاحب الشرطة في الليل وهو يطوف البلد برجل معه سيف، فأخذه وقتله، فأصبح أهل الشر وقد خشوا من تنديد؟ السلطان لهم، فثاروا بالسلاح إلى صاحب الشرطة، ففر منهم هو وأصحابه إلى معسكرهم، وصعد العامة إلى المآذن، فصيحوا: النفير إلى الجامع.
فثار الناس بالسلاح، وركب عسكر أبي محمود وطرحوا النار فيما بقى، واشتد القتال، وكثر القتل **والحريق**، وعظم الخوف على البلد، وعلا الضجيج، وذلك لثلاث خلون من المحرم سنة أربع وستين.

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢١١/١

فبات الناس على ذلك، وأصبحوا وقد اشتدت الحرب وقويت الدماشقة ونشأ فيهم من أهل الشر غلام يقال له ابن شرارة وقد ترأس، وآخر يقال له ابن بوشرات وابن المغنية، وقسم لكل واحد منهم حزب بأعلام وأبواق، فأظهرت المغاربة قوتها وبذلوا سيوفهم في كل من قدروا عليه من الرعية ممن وجدوه بظاهر البلد.

واستمر القتال أكثر من المحرم، فخرج قوم المستورين إلى أبي محمود وما زالوا به حتى أجابهم إلى الصلح، وصرف صاحبي شرطته، وولى أبا الثريا من بانياس أميرا كان على الأكراد، فعبر البلد أول صفر وقد أكمن له عدة من أهل الشر، فثاروا به، ووضعوا السلاح في أصحابه، فقتل من أصحابه، وانهزم إلى أبي محمود، فركب العسكر وأخذوا كثيرا من." (١)

"سنة ثلاث وسبعين.

فلما كان التاسع عشر من المحرم ابتدأ القتال مع قسام، ووقع النفير في البلد، فلم يخرج مع قسام إلا حزبه من العيارين، وقوم من أهل القرى كانوا يأخذون الخفارة، ويطلبون الباطل، وقد كره جمهور الناس قساما وأصحابه، فلما تقاصر عنه أهل البلد انكسر قلبه، وأصحابه ثابتون على القتال، وقتلوا جماعة من الجند، وكثر فيهم الجراح من نشاب أصحاب بلتكين، وتبين الانكسار على قسام لتقصير الرعية عن معاونته ومقتهم إياه، وقوة أمر السلطان، وكان قد كثر عليه الصلب من أصحابه للمال وقت الحرب، فأمسك عنهم، وشح بماله، فقالوا: على أي شيء نقتل أنفسنا؟ فتفرقوا عنه إلا وجوه أصحابه وخاصته.

واستمر القتال أياما، فاجتمع الخلق إلى قسام في أن يخرج إلى بلتكين ويصلحوا الأمر معه، فلان وذل بعد تجبره، وقال: افعلوا ما شئتم.

وكان العسكر قد قارب أن يأخذ البلد فخرجوا إلى بلتكين وكلموه في ذلك، فأمر بكف العسكر عن القتال، وأمر قساما وأصحابه فعاد القوم إليه وأخبروه وهو ساكت حائر قد تبين الذل في وجهه، واجتمع أكثر الناس، فصاح من كان قد احترقت داره وهم كثير بقسام: انتقم الله ممن أذلنا وأحرق دورنا، وشتتنا، وتركنا مطرحين على الطرق.

فعجب قلبه من سماع صياحهم، وقال: أسلم البلد.

فولى بلتكين حاجبا يقال له خطلخ، فدخل المدينة في خيل ورجل، فلم يعرض لقسام ولا لمن معه، فتفرق عن قسام أصحابه، فمنهم من استأمن، ومنهم من هرب، ومنهم من أخذ، واختفى قسام بعد يومين، فأصبح القوم أول صفر وقد علموا باختفائه، فأحاطوا." (٢)

"أصحابه حتى بقي في سبعة عشر ألفا، فأنفذ إلى ابن حمدان يعلمه بنزوله أعزاز، وكان قد وكل بالدروب والمضائق، ومنع أن يخرج أحد من بلاده حتى يخفى خبر مسيره على منجوتكين، فيأخذه على غفلة، فلما بعث إلى ابن حمدان يعلمه بأنه قد نزل بنفسه أعزاز فأقيموا الحروب مع منجوتكين من الغد حتى.... وهو في الحروب.

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢١٢/١

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٥٧/١

وكانت هذه الرسالة مع رجلين من قبله، فلقيهما رجل من أصحاب منجوتكين في الليل فسألهما: من أين جئتما؟. فظناه من الحمدانية، فأخبراه، فقبض عليهما، وأتى بهما إلى منجوتكين، فأخبراه أن بسيل ملك الروم على أعزاز، فلما أصبح طرح النار في خزائن السلاح، وفي بيوت وحوانيت كان قد بناها عسكره، **فاحترقت**؛ ورحل في آخر ربيع الأول إلى دمشق، ووقع الصارخ في الناس بأن منجوتكين قد انهزم عن حلب، وأن عسكر الروم يطلبه، فهرب الناس من المدن والقرى، من دمشق إلى حلب، وغلت الأسعار، وكانت أيام الحصاد، فترك الناس غلالهم ودورهم.

وسار ملك الروم، فنزل إلى حلب، واجتمع بابن حمدان، ثم سار عنها إلى فامية، وبها طائفة من عسكر منجوتكين، فقاتلهم يوما واحدا، ثم سار فنزل على طرابلس، وراسل أهلها، ووعدهم بالإحسان إن يثبتوا على ما يكون بينهم وبينه من العهد، فخرج إليه ابن نزال والي البلد ليوافقه على أمر، فاجتمع أهل البلد على أن ينصبوا أخاه مكانه، ويمنعونه من الدخول، ولا يسلموا البلد إلى الروم، فلما رجع منعوه من الدخول، فصار إلى ملك الروم.

وصار ملك الروم عن طرابلس، فنزل على انطرسوس وهي خراب، فعمر حصنها، وجعل فيه أربعة آلاف، وسار إلى انطاكية، فكثرت فيه الاعلال، فسار بمن معه إلى القسطنطينية.." (١)

"سنة ثمان وثمانين وثلثمائة في حادي عشر المحرم ورد سابق الحاج فأخبر أن عدن **احترقت** كلها وتلف فيها من المال ما لا يعرف له قيمة لكثرته.

وفي ليلة الرابع من صفر مات قاضي القضاة محمد بن النعمان فركب الحاكم وصلى عليه. وله من العمر تسع وأربعون سنة إلا يوما؛ ومولده لثلاث خلون من صفر سنة أربعين وثلثمائة؛ وكانت مدة ولايته القضاء بمصر وأعمالها أربع عشرة سنة وستة أشهر وعشرة أيام. ودفن بداره ثم نقل إلى القرافة؛ وقيدت دوابه إلى الاصطبل. وترك عليه دينا للأيتام وغيرهم عشرين ألف دينار، وقيل ستة وثلاثين ألف دينار؛ فبعث برجوان كاتبه أبا العلاء فهد بن ابراهيم فختم على جميع ما ترك القاضي، ولم يمكن ورثته من شيء، وباع ذلك كله. وطالب الأمناء والعدول بأموال اليتامى المتبقية عليهم في ديوان القضاء، فزعموا أن القاضي قبضها، وأقام بعضهم بينة على ذلك وعجز بعضهم، فأغرم من لم يقم بينة ما ثبت عليه. فاجتمع من البيع والأمناء ثمانية عشر ألف دينار، أخذها الغرماء بحق النصف مما لهم. وأمر الحاكم ألا يودع عند عدل ولا أمين شيء من أموال اليتامى، وأن يكتروا مخزنا في زقاق القناديل وتودع فيه أموال اليتامى، فإذا أرادوا دفع أموال اليتامى حضر أربعة من ثقات القاضي، وجاء كل أمين فأطلق لمن يلي عليه رزقه بعد مشورة القاضي في ذلك، فكتب على الأمين وثيقة بما بقبضه من المال لمن يلي عليه.

ورجم في ولايته رجلا زنى في ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة. وكان أكثر أيامه." (٢)

"جميع أموالهم، وتتبع من استتر منهم فضرب أعناقهم وصلبهم على أبواب البلد فلم يبق منهم أحد.

فلما خلا له البلد من حمال السلاح طمع في أهل القرى، فعم كثيرا من الناس البلاء منه، وشمل أهل المدينة والقرى

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١/٢٨٦

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢/٢١

ضرره، حتى غلق أكثر الأسواق، وضج الناس إلى الله بالدعاء وهو يعدهم **بحريق** البلد وبذل السيف فيهم، فهرب كثير من الناس عن البلد.

ووصل الخبر بقدوم عسكر الروم، فأخذ جيش في جمع العرب؛ ونزل ملك الروم على شيزر وفيها عسكر من قبل الحاكم، فقاتلهم حتى ملكهم بأمان. ونزلت العرب الذين جمعهم جيش فيما بين حرستا والقابول؛ وانتقل الروم من شيزر إلى حمص فأخذوها وسبوا أهلها وأحرقوا؛ وذلك في ذي الحجة سنة تسع وثمانين، وهي دخلة الروم الثالثة إلى حمص، فأقاموا بها وقد اشتد البرد وغلت عليهم الأسعار حتى بيعت العليقة عندهم بدينار فرحلوا، وقد مات أكثر دوابهم، إلى طرابلس، فنزلوا عليها وهم في ضيق؛ ثم رحلوا عنها إلى ميافارقين وآمد، وهادنوهم. ثم ساروا إلى أرمينية.

وزاد جور جيش وأسرف في الظلم، وكان به طرف جذام فاشتد به، وسقط شعر بدنه، ورشح جسمه واسود حتى انمحت سحنة وجهه وزاد وأروح سائر بدنه؛ فكان يصيح:." (١)

"إلا خالقهم. وخاف الناس من النهب، فعاد التجار إلى ما ابتاعوه من المخرج من القصر يحرقونه بالنار ليخلص لهم ما فيه من الذهب والفضة. فحرقوا من الثياب المنسوجة بالذهب والأمتعة من الستور والكلل والفرش، والمظال والبنود والعماريات، والمنجوقات والأجلة ومن السروج الذهب والفضة والآلات المجراة بالميناء والمرصعة بالجوهر، شيء لا يمكن وصفه، مما عمل في دول الإسلام وغيرها.

وفي سادس صفر وهب لسعد الدولة، المعروف بسلام عليك، ما في خزانة البنود من الآلات والأمتعة وغيرها، فوجد فيها ألفا وتسعمائة درقة لمطية، سوى ما كان فيها من آلات الحرب والقضب الفضة والذهب والبنود، فسقطت شرارة فيما هنالك فاحترق جميعه؛ وكانت لذلك غلبة وخوف شدائد. فمما احترق فيها عشرات ألوف من السيوف إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة، بحيث إن السلطان بعد ذلك بمدة احتاج إلى سلاح، فأخرج من خزانة واحدة مما بقى وسلم من **الحريق** خمسة عشر ألف سيف مجوهرة سوى غيرها. وأخرج من القصر صندوق كيل منه سبعة أمداد زمرد، ذكر الجوهري أن قيمتها على الأقل ثلثمائة ألف دينار. وكان في المجلس فخر العرب ابن حمدان وابن سنان وأبو محمد الحسن بن علي بن أسد بن أبي كدينة، وغيرهم من المخالفين؛ فقال بعضهم لمن أحضر من الجوهريين: كم قيمة هذا؟ فقالوا إنما تعرف قيمة الشيء إذا كان مثله موجودا، ومثل هذا لا قيمة له. فاغتاظ؛ وقال ابن أبي كدينة: فخر العرب كثير المؤونة وعليه خرج؛ والتفت إلى كتاب الجيش، فقالوا: يحسب عليه بخمسمائة دينار؛ فكتب بذلك وقبضه.." (٢)

"ووصل الأفضل إلى عسقلان في الرابع عشر من شهر رمضان، فبعث إلى الفرنج فوبخهم على ما كان منهم؛ فردوا إليه الجواب، وركبوا في إثر الرسل فصدفوه على غرة وأوقعوا بعساكره وقتلوا منهم كثيرا. وانهزم منهم بمن خف معه فتحصن

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣٢/٢

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٨٠/٢

بعسقلان وتعلق أكثر أصحابه هنالك في شجر الجميز، فأضرموا النار حتى **احترقت** بمن تعلق فيها، فهلك خلق كثير وحاز الفرنج من أموال المسلمين ما جل قدره، ولا يمكن لكثرته حصره.

ونازلوا عسقلان، وحصروا الأفضل فيها حتى كادوا يأخذونه، إلا أن الله سبحانه أوقع فيهم الخلف فاضطروا إلى الرحيل عن عسقلان؛ فاغتنم الأفضل رحيلهم عنه فركب البحر وقد ساءت حاله، وذهبت أمواله، وقتلت رجاله، وسار إلى القاهرة. ولم يعد بعد هذه الحركة إلى الخروج بنفسه في حرب ألبتة.

وكان ملك الفرنج بالقدس كند فرى.

وفيها توفى أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين بن محمد الموصلي الحنفي المحدث، في ثامن عشر ذي الحجة.." (١)

"سنة ثمان عشرة وخمسمائة

فيها ملك الفرنج مدينة صور، واستمرت بأيديهم حتى زالت الدولة الفاطمية. وكان أخذهم إياها بعد محاصرتها مدة، وتقاصر المأمون عن نجدتهم، وأعانهم طغتكين صاحب دمشق، ووصل إلى بانياس وراسل الفرنج؛ فاستقر الأمر على أن الفرنج تستولي عليها بالأمان، فخرج أهلها بما خف حمله، وتفرقوا في البلاد. وكان تملكهم لها في يوم الاثنين ثالث عشري جمادى الآخرة.

وفيها أمر ببناء دار واسعة ليتفرج الناس فيها عند كسر خليج القاهرة بالكراء. وذلك أن الناس عند كسر الخليج كانوا يصنعون أخشابا متراكبة بعضها على بعض، يجلسون فوقها للتفرج يوم كسر الخليج، ولم يكن هناك غير دار الأمير أبي عبد الله محمد بن المستنصر ودار ابن معشر. ولم تزل هذه الأدر الثلاثة إلى أن **احترقت** في نوبة شاور.." (٢)

"وأنه باق على ما تقرر معه بقاء شمس الخلافة وأشار على شاور بالاحتراز وقال إن الرجل مخاتل. وأنفذت الكتب إلى نور الدين.

وكان شاور قد شرع في بناء سور على مدينة مصر واستعمل فيه الناس فلم يبق أحد من المصريين إلا وعمل فيه؛ وحفر من ورائه خندقا، فلم يكمل من ناحية النيل. وعمل في السور ثمانية أبواب أحدها بدار النحاس على ساحل البحر، هدم في سنة وخمسين وستمائة وآخر بجانب كوم البواصين، وثالث على سكة سوق وردان سقط سنة إحدى وستين وستمائة، وباب في طريق زين العابدين، وباب عرف بباب الصفاء، وباب بحري مصلي الأموات سقط قبيل سنة خمسين وستمائة، وباب عند أقمنة الجير مما يلي درب السرية، وباب لقنطرة بني وائل وتحته قنطرة بني وائل التي تصب في بركة الشعيبية، التي كانت قديما بستان الأمير تميم بن المعز، وكان الماء يدخل إليها من خليج مصر.

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٤/٣

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١٠٧/٣

وسار مري بعقيب مسير شمس الخلافة عنه يريد منازلة القاهرة بعد ما أقام ببلبيس خمسة أيام، فداخل الناس منه رعب شديد وخوف عظيم، فاجتمعوا بالقاهرة ووطنوا أنفسهم على الموت. وكان هذا من لطف الله فإنه لو قدر أن الفرنج أحسنوا السيرة في أهل بلبيس لكان الناس لا يدافعونهم عن القاهرة ألبتة لما في قلوبهم من كراهة شاور. فما هو إلا أن قصد مري القاهرة وإذا بشاور قد قام في حريق مصر، وأمر شاور الناس بالانتقال منها إلى القاهرة، وحثهم على الخروج منها. فتركوا أموالهم وأثقالهم ونجوا بأنفسهم وأولادهم وحرمهم؛ وقد ماج الناس واضطربوا اضطرابا عظيما.." (١)

"ووقعت النار في الأسطول فخرج العبيد إلى مصر وقد انطلقت النار في مساكنها فانتهبوا سائر ما كان بمصر. وبلغ بالناس الحال أن كانت الدابة تكري من مصر إلى القاهرة ببضعة عشر دينارا والجمل بثلاثين دينارا. ونزلوا بمساجد القاهرة وحماماتها، وملأوا جميع الشوارع والأزقة، وصاروا مطروحين بعيالهم وأولادهم على الطرق وقد ذهبت أموالهم وسلبت عامة أحوالهم؛ وهم مع ذلك ينتظرون هجوم الفرنج على القاهرة وقتل رجالها وسبي من بها من الحريم والصبيان. وكان ابتداء الحريق بمصر في يوم الثلاثاء التاسع من صفر الموافق له ثامن عشر هاتور؛ واستمرت النار في المساكن أربعة وخمسين يوما، والنهابة تهد ما هنالك وتحفر لطلب الخبايا.

ونزل مري بعساكره على بركة الحبش في يوم الأربعاء العاشر من صفر، فخرج إليه شمس الخلافة. فلما دخل إليه سأله أن يخرج معه إلى باب الخيمة، فخرج؛ فأراه شمس الخلافة جهة مصر وقال له أترى دخانا في السماء؟ قال: نعم. قال: هذا دخان مصر ما أتيتك إلا وقد احترقت بعشرين ألف قارورة نفط وفرق فيها عشرة آلاف مشعل، وما بقي فيها ما يؤمل بقاؤه ونفعه؛ فخل الآن عنك. فقال مري: لا بد من النزول على القاهرة ومعي فرنج من هذا البحر قد طمعوا في أخذها.

ثم رحل فنزل على القاهرة في عاشر صفر مما يلي باب البرقية نزولا قارب به البلد حتى صارت سهام الجرخ تقع في خيمه. وقاتل أهل القاهرة قتالا شديدا وحفظوها." (٢)

"وكتب القاضي الفاضل إلى نور الدين محمود بن زنكي كتابا بأن يقر شيركوه عنده بمصر وأنه فوض إليه الوزارة وأمر الجيوش، تاريخه سابع عشري ربيع الآخر، وكتب العاضد علامته بين سطريه الأولين بخطه الله ربي؛ فعاد الجواب بالامتثال.

وسلك أسد الدين مع العاضد مسالك الأدب حتى أعجب به، ومال إليه. وركب إلى مصر فرآها مشوهة بالحريق وقد تلفت فيها أماكن وسلمت أماكن، وتشعث الجامع؛ فشق عليه، وعاد. وقد حضر إليه الأمير ابن مماتي والقاضي الفاضل، فأمر بإحضار أعيان المصريين الذين جلوا عن مصر في الفتنة وصاروا بالقاهرة، فتغمم لما نزل بهم وسفه رأي شاور فيما فعله، وأمرهم بالعود إلى مصر. فشكوا ما حل بهم من الفقر وذهاب الأحوال وخراب المنازل، وقالوا: إلى أي موضع نرجع وفي أي مكان نأوى. فقال: لا تقولوا هذا، وعلي بإذن الله حراستكم وإعادتها إليكم بما كانت عليه وأحسن؛ فاستدعوا

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٩٦/٣

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٩٧/٣

مني كل مالكم فيه راحة، فهي بلدي وربما أسكن فيها بينكم. فشكروا له ودعوا.

وأمر فنودي على الناس بالرجوع إلى مصر، فتراجعوا إليها شيئا بعد شيء.

وجعل أسد الدين اجتماعه بالخليفة العاضد في الشباك على العادة. فأول ما اجتمع به قال له الأستاذ صنيعة الملك جوهر، وكان أكبر الأستاذين وأفصحهم لسانا، وهو قائم على رأس العاضد: يقول لك مولانا لقد كنا نؤثر مقامك عندنا أول طروقك بلادنا، ولكن أنت تعلم الموانع عنه؛ ولقد تيقنا أن الله عز وجل ادخرك لنا نصرة على أعدائنا. فقال أسد الدين شيركوه: يا مولانا بإمالة اللام والله لأنصحنك في الخدمة ولأجعلن." (١)

"في المنظرة يشرف على الوقعة. فلما تبين الغلب للعبيد وكادوا أن يهزموا الغز رمى أهل القصر بالنشاب والحجارة حتى امتنعوا عن مقاتلة العبيد، فنادى شمس الدولة النفاطين وأمرهم بإحراق المنظرة التي فيها العاضد فطيب قارورة وصوب على المنظرة بها، فإذا بباب الطاق قد فتح وخرج منه زعيم الخلافة، أحد الأستاذين الخواص، وقال: أمير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول دونكم والعبيد الكلاب أخرجوهم من بلادكم. فلما سمع العبيد ذلك، وكان قد قتل أحد مقدميهم، وبعث صلاح الدين في أثناء محاربته لهم إلى حارة السودان خارج باب زويلة، المعروفة بالمنصورة، فأحرقها وتلفت أموالهم وهلكت أولادهم وحرمهم؛ ضعفت لهذه الأمور أنفس العبيد، وانهزموا بعد ما ثبتوا يومين، وتعين لهم الفل. فركب الغز أقفيتهم يقتلون ويأسرون، إلى أن وصوا إلى السيوفية وثبتوا هنالك، فألقى شمس الدولة النيران في المواضع التي امتنعوا به ا.

وأحرق أيضا دار الأرمن التي كانت بين القصرين، وكان بها خلق كثير من الأرمن كلهم رماة لهم جار، وكانوا في هذه الحروب قد أنكوا الغز بشدة رميهم ومنعوهم أن يتجاوزوا من موضعهم إلى محاربة العبيد، فلما **احترقت** عليهم الدار لم يكد يفلت منهم أحد. فالتجأ العبيد إلى عدة أماكن، وكلما امتنعوا بموضع ألقى فيه الغز النار وقاتلوهم، حتى صاروا إلى باب زويلة وأخذت عليهم أفواه السكك وقد وهنوا ولم يجدوا لهم ملجأ. فصاحوا وطلبوا الأمان، فأمنوا على ألا يبقى منهم أحد بالقاهرة؛ فخرجوا بأجمعهم إلى الجيزة. ومال الغز على أموالهم وديارهم واستباحوا جميع ما فيها؛ وذلك يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة. فما هو إلا أن صاروا بالجيزة حتى عدى إليهم شمس الدولة بالعسكر فأبادهم حصدا بالسيف، ولم ينج منهم إلا الشريد. وأمر صلاح الدين بتخريب المنصورة وصيرها بستانا؛ فمضى العبيد وذهبت آثارهم من مصر.." (٢)

"وترك العاضد من الولد الأمير داود، والأمير عليا ويقال أبو علي، والأمير عبد الكريم، وتميما، وموسى، وعبد القوي، وجعفر، وعبد اصمد، وأبا الفتوح، وحيدرة، وإبراهيم، ويحيى، وجبريل، وعيسى، وسليمان، ويوسف غير أن أيامه كانت ذات مخاوف وتهديدات، وقاسى شاورا وتلوناته ومخايلاته، ثم محاصرة الفرنج ومضايقته. وفي أيامه **احترقت** مصر وذهبت أموال أهلها وزالت نعمتهم **بالحريق** والنهب. وكان متغاليا في مذهبه شديدا على من خالفه. ولم يكن فيمن

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣/٣٠٣

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣/٣١٣

ولي من أبائه من أبوه غير خليفة سواه ومن قبله الحافظ، وما عداهما فلم يل منهم أحد الخلافة إلا من كان أبوه خليفة.
وقال ابن خلكان: سمعت جماعة من المصريين يقولون إن هؤلاء القوم في أوائل دولتهم قالوا لبعض العلماء اكتب لنا ورقة تذكر فيها ألقابا تصلح للخلفاء حتى إذا تولى واحد لقبوه ببعض تلك الألقاب، فكتب لهم ألقابا كثيرة، وآخر ما كتب في الورقة العاضد، فاتفق أن آخر من ولي منهم تلقب بالعاضد؛ وهذا من عجيب الاتفاق.
قال: وأخبرني أحد علماء المصريين أيضا أن العاضد رأى في آخر دولته في منامه كأنه بمدينة مصر وقد خرجت إليه عقرب من مسجد معروف بها فلدغته، فلما استيقظ ارتاع لذلك وطلب بعض معبري الرؤيا وقص عليه المنام، فقال ينالك مكروه من شخص هو مقيم في هذا المسجد، فطلب والي مصر وأمره يكشف عمن هو مقيم في المسجد المذكور، وكان العاضد يعرفه. فمضى الوالي إلى المسجد فرأى فيه رجلا صوفيا، فأخذه ودخل به على العاضد، فلما رآه سأله من أين هو، ومتى قدم البلاد، وفي أي شيء قدم، وهو يجاوبه عن كل سؤال. فلما ظهر له منه ضعف الحال والصدق والعجز عن إيصال المكروه إليه أعطاه شيئا وقال له: يا شيخ ادع لنا، وأطلق سبيله؛ فنهض من عنده وعاد إلى المسجد. فلما استولى صلاح الدين وعزم على القبض على العاضد واستفتى الفقهاء أفتوه بجواز ذلك." (١)

"لهلكوا معه واستناب الجاي في نظر الأوقاف الشريف بكتمر الذي كان والي القاهرة وصار يحمل إليه المعلوم.
وفيها عزل الشريف فخر الدين من نقابة الأشراف بسبب ما أنهاه الشريف بدر الدين حسن النسابة أنه يرتشي ممن ليس بشريف، فيلبسه العلامة الخضراء فعقد له مجلس وعرض الجماعة وحصل للجماعة التعصب، وعزل الشريف وقرر الشريف عاصم نقيبا في تاسع شوال، فباشرها إلى العشرين من ذي الحجة، ثم أعيد فخر الدين.
وفيها ولي شهاب الدين احمد بن شرف الدين موسى بن فياض المقدسي الحنبلي الحكم بحلب عوضا عن أبيه بسؤاله في ذلك.
وفيها استقر شمس الدين محمد بن أحمد بن مهاجر كاتب السر بحلب عوضا عن ابن علان لما مات.
وفيها كان الحريق بقلعة الجبل داخل الدور السلطانية، واستمر أياما ففسد شيء كثير، ويقال إن أصله من صاعقة وقعت.
وفيها مات منكلي بغا الشمسي، فرسم السلطان لأجناده أن يمشوا في خدمة ولي العهد أمير علي، هو الذي تولى السلطنة بعده، وفي جمادى الأولى ولي بيدمر نيابة طرابلس.
وفيها عقد الجاي مجلسا بالعلماء في إقامة خطبة بالمنصورية، فأفتاه البلقيني وابن الصائغ وآخر بالجواز، وخالفهم الباقون، فانفصل المجلس على ما قاله الجمهور، وصنف البلقيني كتابا في الجواز، وصنف شيخنا الحافظ العراقي كتابا في المنع، وقد سبق بالتصنيف." (٢)

"ووقع الغلاء بالقاهرة في اللحم خاصة حتى بيع كل رطل بدرهم ونصف.
وكان الغلاء أيضا في حلب حتى بيع المكوك بثلاثمائة، ثم زاد إلى أن بلغ الألف حتى أكلوا الميتة والقطاط والكلاب،

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣/٣٢٩

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ١/٣٥

وباع كثير من المقلين أولادهم، وافتقر خلق كثير، ويقال: إن بعضهم أكل بعضا حتى أكل بعضهم ولده، ثم عقب بعد ذلك الوباء ففني خلق كثير حتى كان يدفن العشرة والعشرون في قبر بغير غسل ولا صلاة، ويقال: إنه دام بتلك البلاد الشامية ثلاث سنين، لكن أشده كان في الأولى.

وفيها استقر ولي الدين بن أبي البقاء في قضاء الشام والخطابة عوض أبيه، وكان أبو ه قد سعى أن يكون مستقلا بذلك في مرض موته فأجيب. ووافاه التوقيع بعد موت أبيه، فولي شمس الدين بن مزهر وكالة بيت المال عوضا عنه، وذلك في جمادى الأولى.

وفيها وقع **حريق** كثير بدمشق.

وفيها استقر بدر الدين الأخنائي في قضاء المالكية في رجب.

وفيها وقع الضعف الشديد بالقاهرة بالباردة والنافض.

وفيها توجه إلى الحجاز في رجب جمع كثير، فمات منهم الكثير بالضعف.

وفيها تسلم السلطان سنجار وأحضر صاحبها إلى القاهرة، واستناب السلطان بها حيدر بن يونس المعروف بابن العسكري.." (١)

"سنة ثمانين وسبعمائة

في أولها مات أينبك في السجن بالإسكندرية، ووهم من أرخه في الماضية، وكان الوصول بخبر موته في يوم عاشوراء وصودرت زوجته على مال عظيم جدا وأهينت إلى الغاية.

وفيها في المحرم استقر كريم الدين بن مكانس في نظر الدولة عوضا عن التاج الملكي، ثم استقر في سادس صفر عوضا عن ابن عرام في الوزارة نقلا من نظر الدولة، واستقر أخوه فخر الدين في نظر الدولة.

وفيها أعيد تقي الدين بن محب الدين إلى نظر الجيش في تاسع عشر صفر وعزل التاج الملكي وصودر. وفي ثامن المحرم قبض على ابن آقبغا آص وصودر على مائة ألف ثم اعتقل بالكرك.

وفيها كان **الحريق** العظيم بدار التفاح ظاهر باب زويلة فعمل في الفاكهيين والنقليين والبراذعيين ولولا أن السور منع النار النفوذ لاحترق أكثر المدينة فاهتم بأمره بركة وركب بنفسه وركب معه دمرداش الأحمدي وأيتمش وغيرهما إلى أن خمد بعد ثلاثة أيام وأقام الناس في شيل التراب ثلاثة أشهر، وعمل فيه زين الدين طاهر بن حبيب الموقع قطعة منها:

بباب زويلة وافي **حريق** ... أزال معاني الحسن المصون.

وما برح الخلائق في ابتهال ... لمحى الأرض من بعد المنون.." (٢)

"وفي ذي القعدة قبض جماعة من المماليك بسرياقوس على شاب من العامة قهرا فارتكبوا فيه الفاحشة فأمعنوا في ذلك إلى أن مات فرفع الأمر إلى السلطان فأمر بالقبض عليهم وسلمهم لوالي القاهرة.

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ١/١٠٥

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ١/١٧٠

وفي هذه السنة عصى طغيتمر نائب سيس فبلغ ذلك الظاهر فتحيل عليه فدس لأهل الكرك أن يقفوا له يوم المحاكمة ويشكوا من نائبهم ويسألوه أن يولي عليهم طغيتمر ففعلوا ذلك، وخفيت هذه المكيدة على بكلمش، وكان طغيتمر من جهته فكاتبه بما جرى فاطمأن وحضر إلى القاهرة فقبض عليه السلطان.

وفي شعبان مات سودون الطرنطاي نائب دمشق وقرر بعده كمشبغا الخاصكي الأشرفي وكان سودون محبا في الخير، عديم الهزل، كارها في الخمر جدا والمظالم، ولكنه كان متعاظما جدا، ولم يبلغ ثلاثين سنة، وكان مهابا، ويقال إنه قال لما ولي النيابة: كيف أعمل في الأحكام بين الناس وأنا لا أدري شيئا من الأمور الشرعية وكان يتنزه عن الرشوة، وحصل له قبل موته برسام فكانت تصدر منه أفعال لا تشبه أفعال العقلاء، وعزله الملك الظاهر قبل موته بعشرة أيام.

وفي نصف رمضان أمر تغرى بردى تقدمة ألف.

وفيه قرر بدر الدين الطوخي في وزارة دمشق عوضا عن ابن مكانس بحكم انفصاله ورجوعه إلى القاهرة.

وفي شعبان كان **الحريق** العظيم بدمشق. **فاحترقت** المأذنة الشرقية وسقطت **واحترقت**." (١)

"وفي خامس عشر شوال طهر السلطان أولاده وهو فرج وعبد العزيز وجماعة من أولاد الأمراء وعمل لهم وليمة عظيمة، وفي ثامن عشرة نقل ابن الطبلاوي إلى خزانة شمائل بعد المعاقبة الشديدة.

وفيها استقر محي الدين بن نجم الدين بن الكشك في قضاء الحنفية عوضا عن تقي الدين ابن الكفري.

وفي شوال كان **الحريق** بدمشق بالحريريين والقواسيين والسيوفيين والصراف وبعض النحاسين، ووصلت النار إلى حائط الجامع وإلى قرب النورية، **واحترقت** الجوزية وحمام نور الدين وزقاق العميان، واحترق بيت القاضي شمس الدين الأخناي، ووصل **الحريق** إلى نصف الخضراء، وأقام من يوم السبت العشرين من شوال إلى يوم الثلاثاء ثالث عشريه ولكن يعدم للناس إلا القليل.." (٢)

"وفي أوائل ذي القعدة استقر ابن غراب في نظر الجيش مضافا لنظر الخاص انتزعها من القاضي شرف الدين محمد بن محمد بن عبد الله ابن أبي بكر ابن الدماميني وكان باشرها بعد جمال الدين العجمي، ولما أخذت دواته والمزبر بلغ ذلك شعبان محتسب مصر فأظهر الشماتة ونادى في مصر بولاية ابن غراب وعزل ابن الدماميني وعمل في ذلك شعرا مدح به ابن غراب وهجا ابن الماميني وضج به ابن غراب، فاتفق أنه في ذلك اليوم استقر الشاذلي في الحسبة وصرف شعبان، وفي وسط هذا الشهر وقع **الحريق** بدار التفاح بالقاهرة فبادروا لإطفائه فلم يحصل منه من المفسدة ما حصل في المرة الأولى قديما.

وفي ثاني عشر ذي القعدة كان المهم المشهور في اصطبل السلطان لأنه كان لعب بالأكرة مع الأمير الأتابك أيتمش فغلب أيتمش فأخرج مائتي ألف درهم ليعمل بها السماط وأنعم بها السلطان عليه وأمر الوزير ابن الطوخي والأستادار يلبغا بعمل المهم، فضربوا الخيم في الميدان وعملوا عشرين ألف رطل لحم ومائتي زوج إوز وألف طير دجاج وعشرين

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٤٣٦/١

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ١٤/٢

فرسا، وقيل بل كانت خمسين فرسا وثلاثين قنطارا من السكر وستين إردبا من الدقيق عمل بها بوزة وعملت في الدنان، وقيل كان فيها مائة إردب وأضيف إليها عشرة قناطير حشيش فطحنت وخلطت بها وعمل من الزبيب ستون قنطارا نبيذا، ونزل السلطان فمد السماط، ونهب العوام ما عمل، وصاح فقير تحت القلعة بإنكار هذه الوليمة، فقبض عليه وضرب وجرس.

وفيها استقر الشريف شرف الدين علي بن قاضي العسكر في نقابة الأشراف عوضا عن الشريف جمال الدين الطباطبي.." (١)

"وفي أوائل صفر وعك السلطان الملك الظاهر فأفرط عليه الإسهال والقيء من ليلة الثالث من صفر إلى العاشر منه فقوي الإرجاف بموته فتجلد ولازم القصر إلى أن توجه للعافية بعد أن كان غضب على جمال الدين بن صغير وأمر بحبسه فأمر أن يتصدق بمال، فجمع الفقراء بالاصطبل فمات منهم في الزحمة نحو الخمسين نفسا وقيل أكثر من ذلك من الرجال والنساء، وفيه: وقيل في الثامن عشر من صفر مات بكلمش بالقدس بطالا.

وفيها أعيد شمس الدين البجاسي إلى الحسبة بالقاهرة وصرف بهاء الدين ابن البرجي في التاسع من المحرم.

وفي التاسع من المحرم استقر ناصر الدين بن أبي الطيب في كتابة السر بدمشق وباشرها قبل وصول التوقيع له وذلك بعد موت أمين الدين الحمصي وكان بيد أمين الدين نظر النورية ببعلبك فأخذها بدر الدين الكلستاني كاتب السر لنفسه.

وفي صفر وقع بظاهر المدرسة الصلاحية حريق عظيم، فبادر الأمراء إلى طفيه بعد أن احترق أماكن كثيرة. وفيه كائنة نوروز الحافظي وكان السلطان أمره وكبره وجعله أمير آخور فأراد الوثوب على السلطان فاتفق مع جماعة فنم عليهم قانباي الجمدار لأنه كان مؤاخيا للجمدار الذي كان من مماليك تاني بك أمير آخور وكان السلطان قد اتخذه جمدارا بعد القبض على تاني بك فكانت له نوبة يبيت فيها عند السلطان فوافقه نوروز على أنه يفتك بالسلطان وأنه إذا تمكن من ذلك أطفأ الثريا التي بالمقعد وتلك علامة بينهما لركوب نوروز ومن وافقه،." (٢)

"وفي هذا الشهر دبت العداوة بين يشبك الدويدار وبين سودون طاز أمير آخور.

وفي شوال استقر ناصر الدين بن السفاح في نظر الأحباس ونظر الجوالي وتوقيع الدست بعناية الدويدار وكان قد صودر بالشام، وفي آخره وقع بالحرف الشريف المكي حريق عظيم أتى على نحو ثلث الحرم ولولا العمود الذي سقط من السيل الآتي في أول السنة لاحترق جميعه واحترق من العد مائة وثلاثون عمودا صارت كلسا.

وفي شوال بلغ أهل بغداد عزم تمرلنك إلى التوجه إليهم ففر أحمد سلطانها واستنجد بقرا يوسف وأخذه ورجع إلى بغداد وتحالفاعلى القتال وأعطاه مالا كثيرا وأقام عنده إلى آخر السنة، ثم توجه هو وقرا يوسف إلى بلاد الروم قاصدين لأبي يزيد بن عثمان وكان أبو يزيد المذكور قد حاصر في هذه السنة ملطية بعد أن ملك سيواس وولى بها ولده محمدا جالبي ورتب في خدمته الطواشي ياقوت ثم غلب على ملطية ثم رجع إلى برصا، فوصل اللنك إلى قراب ا غ في شهر ربيع الأول

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٢/١٥

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٢/٣٨

وقصد بلاد الكرج فغلب على تفليس ثم قصد بغداد، فبلغه توجه أحمد ابن أويس إلى جهة الشام فقصد بلاد قرا يوسف فعاث فيها." (١)

"واشتهر بكثرة التصانيف حتى كان يقول إنها بلغت ثلاثمائة تصنيفا واشتهر اسمه وطار صيته، وكانت كتابته أكثر من استحضاره فلهذا كثر القول فيه من علماء الشام ومصر حتى قرأت بخط ابن حجي كان ينسب إلى سرقة التصانيف فإنه ما كان يستحضر شيئا ولا يحقق علما ويؤلف المؤلفات الكثيرة على معنى النسخ من كتب الناس، ولما قدم دمشق نوه بقدرة تاج الدين السبكي سنة سبعين وكتب له تقريظا على كتابه تخريج أحاديث الرافعي وألزم عماد الدين ابن كثير فكتب له أيضا، وقد كان المتقدمون يعظمونه كالعلائي وأبي البقاء ونحوهما فلعله كان في أول أمره حاذقا، وأما الذين قرؤا عليه ورأوه من سنة سبعين فما بعدها فقالوا: لم يكن بالماهر في الفتوى ولا التدريس وإنما كان يقرأ عليه مصنفاته غالبا فيقرر على ما فيها، وجرت له محنة بسبب القضاء تقدمت في الحوادث وكان ينوب في الحكم فترك، وكان موسعا عليه في الدنيا وكان مديد القامة، حسن الصورة، يحب المزاح والمداعبة مع ملازمة الاشتغال والكتابة، وكان حسن المحاضرة جميل الأخلاق كثير الإنصاف شديد القيام مع أصحابه، واشتهر بكثرة التصانيف حتى كان يقال إنها بلغت ثلاثمائة مجلدة ما بين كبير وصغير. وعنده من الكتب ما لا يدخل تحت الحصر منها ما هو ملكه ومنها ما هو من أوقاف المدارس لا سيما الفاضلية، ثم إنها احترقت مع أكثر مسوداته في أواخر عمره ففقد أكثرها." (٢)

"سعد بن يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن يعقوب بن سرور بن نصر بن محمد سعد الدين بن صدر الدين النووي ثم الخليلي، ولد سنة تسع وعشرين وقدم دمشق بعد الأربعين فاشتغل بها ثم مهر ودرس واشتغل على ابن قاضي شهبة، وناب في الحكم بها وحمل عن التاج المراكشي وابن كثير، وقرأ عليه مختصره في علم الحديث وأذن له، وسمع الحديث من الذهبي وعبد الرحيم بن أبي اليسر وشمس الدين ابن نباتة وغيرهم، وحدث وأفتى ودرس بأم الصالح وأعاد بالناصرية، ثم ولي قضاء بلد الخليل بعد كائنة تمرلنك فمات هناك في جمادى الأولى عن ست وسبعين سنة وكان أسن من بقي من الشافعية، قال ابن حجي: كان ذا ثروة جيدة فاحترقت داره في الفتنة وأخذ ماله، فافتقر فاحتاج أن يجلس مع الشهود، ثم ولي قضاء بعض القرى وقضاء بلده الخليل.

سلمان بن عبد الحميد بن محمد بن مبارك البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، سمع من ابن الحموي وغيره، وكان بصيرا ببعض المسائل، متعبدا خيرا.

سودون طاز، تقدم ذكره في الحوادث وكان مسجونا بقلعة المرقب، مات في هذه السنة.." (٣)

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ١٠٧/٢

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٢١٨/٢

(٣) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٢٤٣/٢

"المحب، ومات في نصف رجب وله بضع وثمانون سنة لأنه ذكر أن مولده سنة ٧٢٢.

إسماعيل بن علي بن محمد البقاعي ثم الدمشقي الناسخ، كان يشتغل بالعلم ويصحب الحنابلة ويميل إلى معتقدهم مع كونه شافعيا، وكان يقرأ الحديث للعامة وينصحهم ويعظهم ويكتب للناس مع الدين والخير، وله نظم حسن أنشدني منه بدمشق، وقد كتب بخطه صحيح البخاري في مجلدة واحدة معدومة النظير سلمت من **الحريق** إلا اليسير من حواشيها فبيعت بأزيد من عشرين مثقالا، وفر في الكائنة إلى طرابلس فأقام بها إلى آخر سنة خمس، ورجع فمات بدمشق في المحرم.

أقبغا الهدباني الظاهري، كان من عتقاء الظاهر برقوق، وتنقل في الخدمة إلى أن ولي الحجوبية بحلب بعد رجوع الظاهر إلى السلطنة من الكرك ثم نيابة صفد ثم نيابة طرابلس ثم نيابة حلب في سنة إحدى وثمانمائة سنة وفاة الظاهر، ثم كان ممن أعان تنم نائب دمشق، فلما انكسر تنم أسر أقبغا فيمن أسر ثم أطلق وولي نيابة طرابلس سنة أربع، ثم ولي نيابة حلب بعد دقماق فدخلها في جمادى الأولى سنة ست وثمانمائة فأقام بها أربعين يوما، ومات ليلة الجمعة سابع عشري جمادى الآخرة، وكان عاقلا كثير السكون، وأنشأ بحلب جامعا وداخله تربة له دفن فيها.." (١)

"ذكر الحوادث الخارجة عن حروب المتغلبين

في المحرم استقر قراجا شاد الشربخاناة دويدارا كبيرا عوضا عن قجاجق بحكم موته فلم ينشب أن مات وهو متوجه صحبة العسكر بالصالحية في ثالث صفر، ودفن في جامعها ثم نقل بعد ذلك إلى القاهرة. قال العينتابي: كان فاسقا قليل الخير وخلف موجودا كثيرا احتاط عليه السلطان، وفيه أولم بكتمر جلق على عرس بنت الناصر وبنى بها ليلة الجمعة حادي عشره.

وفي ليلة الحادي والعشرين منه اجتمع رجلان من العوام بدمشق فشربا الخمر فاصبحا محروقين ولم يوجد بينهما نار ولا اثر **حريق** في غير بدنهما وبعض ثيابهما، وقد مات أحدهما وفي الآخر رمق، فأقبل الناس أفواجا لرؤيتهما والاعتبار بحالهما، وفيه فشا الطاعون بطرابلس وحوران وبالس ودمشق، ووقع جراد بالرملة والساحل، وفيه توجه أحمد ابن أويس في عسكر بغداد إلى تبريز ليستولي عليها وقد سار صاحبها قرا يوسف إلى أرزنكان لقتال قرا يلك التركماني وكان بينهما عداوة، فبلغ ذلك قرا يوسف وأن أحمد ابن أويس اتفق مع شاه رخ بن تمرلنك وغيره على قرا يوسف، فرجع قرا يوسف عن محاربة قرا يلك، وتوجه إلى تبريز فجمع أحمد بن أويس عسكرا كثيرا فيهم ابن الشيخ إبراهيم الدربندي وأمراء البلاد، فاقتتلوا في يوم." (٢)

"وتوجه نوروز إلى الرملة ففر قرقماش بمن معه إلى أن وصل الصالحية بطرف الرمل، فرجع نوروز إلى دمشق.

وفيه شدد على صدر الدين بن العجمي في بقية المال الذي تأخر عليه، فباع موجوده وأورد نحو ثلاثمائة دينار وعجز عن الباقي، ثم قرر في نظر المواريث على أن يحمل ما يتحصل منه إلى الخزانة، ثم صرف في شعبان وأضيف ذلك إلى

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٢/٢٧٣

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٢/٤٥٩

مرجان، ثم قرر في مشيخة التربة الظاهرية، وصرف عنها زين الدين حاجي فقيه في سادس رجب ثم صرف مرجان وأعيد النظر لصدر الدين في أواخر شوال.

وفيه فشا الطاعون بمصر وكان أكثره في الأطفال، وكان الحر أزيد من العادة فبلغ من يموت كل يوم مائة نفس.

وفيه ثار بالمؤيد وجع المفاصل في رجليه، فلم يزل بتعاهده إلى آخر عمره.

وفي صفر تزايد الطاعون فبلغ الموتى في كل يوم مائة وعشرين وعز البطيخ الصيفي حتى بيعت الواحدة بخمسمائة درهم.

وفي رابع عشر المحرم نقل فتح الله من بيت ناظر الخاص لي وت ا ج الوالي فأنزله بدار، فأقام بها وحيدا فريدا يقاسي ألم العقوبة ويترقب الموت، فلما كان في ثاني شهر ربيع الأول منع خدمه من الدخول، ثم خنق في ليلة السادس منه، وأخرج من الغد فدفن بتربته، ولم يجسر أحد على تشييع جنازته، وكان في يوم الجمعة قد توجه قاضي الحنفية صدر الدين ابن الأدمي وهو من أعظم المولبين عليه فأشهد عليه أنه رجع عن وقفه وصيره موقوفا على أولاد المؤيد وذريته وأثبت ذلك وحكم به، فقدر الله تعالى أنه أعيد إلى شرطه الأول بعد تسعة عوام سواء في ربيع الأول سنة خمس وعشرين وحكم بإبطال ما حكم به صدر الدين المذكور، ولم يمهل صدر الدين هذا حتى أخذه الله قريبا.

وفي سادس ربيع الأول وقع **الحريق** بالقلعة فعظم أمره واستمر إلى تاسعه.." (١)

"ثم رجع إلى القاهرة فدخلها في ثاني عشري ذي القعدة.

وفي رمضان في ليلة الجمعة ثالثه أخذ رجل سكرانا وهو يشرب الخمر بالنهار، فضرب الحد وطيف به، فثار به عامة الصليبية فقتلوه ثم أججوا نارا فألقوه فيها حتى مات **حريقا**.

وفي شوال ليالي توجه الحاج ابتدأ الغلاء العظيم بالقاهرة مع وجود الغلال وزيادة الماء وكثرة الزرع وكان أول السنة في الغلال من الرخص شيء عجيب بحيث أن القمح الذي هو في غاية الجودة لا يتجاوز نصف دينار كل إردب ودونه قد يبتاع بالدينار ثلاثة أرادب وذلك في كثير من الأوقات، وأعظم الأسباب في هذا الغلاء كثرة الفتن بنواحي مصر من العرب وخروج العساكر م مرة بعد مرة ففي كل مرة يحصل الفساد في الزروع ويقل الأمن في الطرقات فلا يقع الجلب كما كان.

وفي أواخر ذلك توجه الأستادار لدفع العرب المفسدين في وقت قبض المغل فعاث من معه في الغلال وأفسدوا وعادوا واتفق وقوع القحط بالحجاز والشام فكثر التحويل في الغلال إلى النواحي من أراضي مصر وصعيدها، واتفق أن بعض الناس ممن له أمر مطاع في غيبة السلطان أراد التجارة في القمح فصار يحجر على من يصل لشيء منه أن يبيعه لغيره فعز الجالب فرارا منه فوقع في البلد تعطيل في حوانيت الخبازين، ووقع الفساد من ذلك قليلا قليلا بحيث لا ينتبه له إلى أن استحكم فبلغ الإردب من القمح إلى ثلاثمائة وكذلك الحمل من التبن، وتزاحم الناس على الخبز في الأسواق إلى أن فقد من الحوانيت وصار الذي من شأنه أن يكتفي بعشرة أرغفة لو وجد مائة لاشتراها لما قذف في قلوبهم من خشية فقده وصار من عنده شيء من القمح يحرص على أن لا يخرج منه شيئا خشية أن لا يجد بدله فتزاحم الناس على الأفران

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٨/٣

إلى أن قفلت صاروا يبيعوه من الأسطحة وآل الأمر إلى أن فقد القمح وبلغ الناس الجهد وانتشر الغلاء في قبلي مصر وبحريها." (١)

"محمد بن أحمد أبو المعالي الجبتي الحنبلي شمس الدين، ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة، وسمع من عمر بن حسن ابن أميلة والعماد بن كثير وغيرها، وتفقه بابن قاضي الجبل وابن رجب وغيرهما، وتعانى الآداب فمهر، وكان فاضلا مستحضرا مشاركا في الفنون، وقدم إلى القاهرة في رمضان سنة أربع وثمانمائة وقد حدث ببعض مسموعاته وقص على الناس في عدة أماكن وناب في الحكم، وكان يحب جمع المال مع مكارم الأخلاق وحسن الخلق وطلاقة الوجه والخشوع التام ولا سيما عند قراءة الحديث. سمعنا بقراءته صحيح البخاري في عدة سنين بالقلعة وسمعنا من مباحثة وفوائده ونوادره وما جريانه، وكان حسن القراءة يطرب إذا قرأ ويحسن عمل المواعيد، وكان قد صحب العماد بن كثير فكان ينقل عنه الفوائد الجليلة، وناب في الحكم في بعض المجالس وكان لا يتصون. وولي بالقاهرة مشيخة الغرابية بجوار جامع يشبك ثم مشيخة الخروبية بالجيزة وبها مات فجأة فإنه اجتمع في يوم الثلثاء سادس عشري المحرم فهنأني بالقدوم من الحج ورجع إلى الجيزة في آخر نهار الأربعاء فمات ليلة الخميس وقت العشاء ثامن عشري المحرم وقد أكمل السبعين فرأيت في تاريخ ابن حجي في حوادث سنة اثنتين وثمانمائة في ذي القعدة وقع حريق بدمشق فانتهى إلى طبقة بالبراقية وهي بيد الشيخ شمس الدين الحبتي ولم يكن يسكنها، فوجدوا بها جرارا ملأى خمرا فكثرت الشناعة عليه عند تنم النائب، قلت: وكنت في تلك الأيام بدمشق وبلغني أنهم شنعوا عليه وأنه بريء من ذلك، وبعضهم." (٢)

"وابتدأ بكاتب السر وجعه، فيقال إنه دس عليه السم فوعك أياما ثم ابل من مرضه وركب ثم انتكس واحتجب عن العواد ولازمه الأطباء، فيقال إن نصرانيا أراد أن يدفع عنه وهم كونه مسموما فشرب بوله، ففرح بذلك وأعطاه خمسين دينارا، ثم صار يحصل له شبيه السبات، ويقال إن النصراني وعك بعد ذلك، وفي غضون هذه الأيام أمر السلطان بإعادة الشيخ محمد بن بدر من قوص، فأعيد في أواخر شهر ربيع الآخر وتوجه لحال سبيله.

وفي العشرين من ربيع الأول انقضت أيام الحسوم وكانت شديدة البرد إلى الغاية، ولقد تذكرت لما مرت بنا في سنة ست وثلاثين وثمانمائة بعد ذلك بعشر سنين وهي في غاية الحر - فسبحان الحكيم! واستمر كاتب السر منقطعا في بيته موعوكا إلى العشر الثاني من رجب فعوفي ودخل الحمام وركب إلى القلعة ثم اجتمع بالسلطان، فأذن له أن يتأخر في منزله أياما لتكمل عافيته، فأرسل إليه عقب ذلك تقدمة تشتمل على ثياب حرير وصوف وذهب، فخلع على محضرها أخيه سليمان بن الكويز، وفي العشرين من ربيع الآخر رخص القمح جدا حتى انحط إلى ستين درهما الإردب بحيث يحصل بالدينار المختوم أربعة أرادب، وهذا غاية الرخص فإن عبرة الديار المصرية أن يكون الإردب بدينار، فما زاد فهو غلاء بحسبه وما نقص عن ذلك فهو رخص بحسبه.

وفي رابع عشري شهر ربيع الآخر هبت ريح برقة تحمل ترابا أصفر إلى الحمرة، وذلك قبل غروب الشمس، فاحمر الأفق

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٦٩/٣

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٢٩١/٣

جدا بحيث صار من لا يدري السبب يظن أن بجواره حريقا، وصارت البيوت كلها ملأى ترابا ناعما جدا يدخل في الأنوف وفي جميع الأمتعة، ثم لما تكاملت غيبوبة الشفق أسود الأفق وعصفت الريح وكانت مقلقة، فلو قدر أنها كانت تصل إلى الأرض لكان أمرا مهولا، وكثر ضجيج الناس في الأسواق والبيوت بالذكر والدعاء والاستغفار إلى أن لطف الله تعالى بادرار المطر، فتحولت الريح جنوبية باردة، ولم تهب هذه الريح منذ." (١)

"وكان قوي النفس كثير الحشمة والكرم، وكان أعيان الفقهاء يترددون إليه، وهو الذي عمر الشاميتين بعد حريقهما في فتنة اللنك، ثم ضعف جانبه وقوي عليه الحكام، وصارت إقامته بالمجدل وقف الشامية، وآل أمره إلى فقر شديد؛ ومات في شهر رمضان، وهذا آخر من بقي من آل بيتهم.

داود بن عبد الرحمن بن داود، الشوبكي الأصل المعروف بابن الكويز علم الدين أبو عبد الرحمن. مات في صبيحة يوم الاثنين سلخ رمضان بمنزله ببركة الرطلي بعد أن طال مرضه كما تقدم سببه في الحوادث. وكنت عدته في نصف رمضان فوجدته صحيح العقل والبدن لا يشكو ألما ولكنه غلب عليه الوهم بحيث أنه في أثناء كلامه كان يجزم بأنه ميت من تلك الضعفة، وكانت أمور المملكة في طول مدة مرضه لا تصدر إلا عن رأيه وتدبيره، وكان يجتمع بالسلطان خلوة ويذكر أنه إذا ركب يتأذى بالركوب كذلك إن دخل الحمام أو الجامع كان أبوه من أهل الشوبك ثم سكن الكرك وهو نصراني يتعانى الديونة واسمه جرجس، فلما كان سنة سبع وستين ضيق يلبغا على جميع النصارى الملكية خصوصا الشوابكة واتهموا بأنهم مالؤا الإفرنج على الإسكندرية، فأسلم هو وكثير منهم وتسمى عبد الرحمن، وخدم نائب الكرك وتقرب منه حتى قرره في كتابه السر، ثم تحول إلى حلب فخدم كمشبغا الكبير وقدم معه القاهرة صاحب ديوانه، ورأيته شيخا طوالا كبير اللحية،." (٢)

"وفي سابع عشر ربيع الآخر شكا نائب الشام إلى السلطان من حسين كاتب السر، ففوض أمر ولايته وعزله له.

وفي جمادى الأولى وقع بدمياط حريق عظيم حتى يقال احترق قدر ثلثها، وهلك من الدواب والناس والأطفال شئ كثير.

وفي جمادى الأولى كملت مدرسة السلطان التي أنشأها بجوار الخانقاه السرياقوسية الناصرية، وقرر فيها شيخا وصوفية، وفي العاشر منه استقر بدر الدين بن نصر الله في الأستادارية عوضا عن ولده صلاح الدين بحكم استعفائه، وبعد يومين استقر كريم الدين عبد الكريم ابن سعد الدين المعروف بابن كاتب جكم في وظيفة نظر الخاص عوضا عن ابن نصر الله المذكور، فحصل لإبن نصر الله بذلك مشقة عظيمة، فباشر الأستادارية بمفردها إلى ثامن شعبان فأمسك هو وولده، واستقر في الأستادارية زين الدين عبد القادر بن أبي الفرج، وهو شاب أمرد.

وفي جمادى الآخرة والشمس في برج الثور في خامس بشنس من الأشهر القبطية أمطرت السماء مطرا غزيرا جدا، ثم في الثامن عشر منه قرب نقل الشمس إلى الجوزاء، أمطرت أيضا مطرا غزيرا عقب ريح شديدة هبت ليلا، وكان الورد في هذه السنة قليلا جدا، وفي عاشره قبض على نجم الدين ابن حجى كاتب السر وعوق في البرج بالقلعة، ثم نفي إلى

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٣/٣٠١

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٣/٣١٣

الشام، ووكل به شرطي معه في سلسلة من حديد وأهين جدا، وألزم الموكل به أن ينادي عليه في كل بلد دخله، فإذا وصل إلى دمشق نودي عليه: من كانت له عليه ظلامة فليطلبها! وأحيط بداره وحمل جميع ما فيها، فلما وصل غزة وافاه كتاب السلطان بإطلاقه وإكرامه وإيصاله إلى دمشق وإقامته بها بطالا، وكان السبب في ذلك أنه باشر كتابة." (١)

"وفي يوم الأربعاء توجه القاضي المستقر إلى مصر على العادة، وكان استقر في نقابة الحكم بشخص يقال له حسن الأميوطي وكان رسولا في الحكم، فنقم عليه شيء فصار يتوكل في المحاكمات، ثم اتصل بالقاضي المستقر، فلما كان هذا اليوم طلع إلى القلعة ومعه شيء من الذهب الموعود به فخلع عليه قباء بطراز، فاستمر لابسه وهو راكب قدام القاضي من مصر إلى القاهرة في الشارع، وتعجب الناس من ذلك. وفيه نزلت صاعقة بحدة فأتلفت شيئا كثيرا، ووقع **حريق** وهلك نحو المائة نفس، وتلف لبعض التجار مال كثير، ومن العجائب أن البضاعة المتعلقة بالسلطان سالمة، ويقال إن غالب الأبنية المتجددة في جدة **احترقت** واحترق أيضا مركبان بما فيهما من البضاعة، ووقعت وقعة بين القواد وجانبك شاد جدة فجرح عدة، ثم أصلح بينهم من كان أمير مكة، وفي العشر الأخير منه موافقا لأوائل بشنس من اشهر القبط زاد النيل زيادة كثيرة وشاهدت المقيا س واعتبرته فوجدت الماء في نصف الذراع الثامن هذا وقد بقي للأمد المعتاد أكثر من أربعين يوما.

وفي السابع عشر منه طيف بالمحمل وخرج الحاج وفي الظن أنهم قليل، فاجتمع في بركة الجب خلائق بحيث أنهم صاروا ثلاثة ركوب. الأول ولد الدويدار الكبير وأمير المحمل غرس الدين خليل الذي كان أمير الإسكندرية، وتوجه جمع كثير من الركبين صحبة جماعة من الخاصكية، وسافر الأول يوم الأحد.." (٢)

"السبعين وكان سناطا.

نعمة الله بن الشيخ شرف الدين محمد بن عبد الرحيم، الجرهي – بفتح الجيم والراء الخفيفة، مات وله دون الثلاثين سنة، ولد بشيراز وسمع الكثير وحبب إليه الطلب وسمع من أبيه وجماعة بمكة، ثم قدم القاهرة فأكثر عني وعن الشيوخ وفهم وحصل كثيرا من تصانيفي ومهر فيها، وكتب الخط الحسن وعرف العربية، ثم بلغه أن أباه مات في العام الماضي فتوجه في البحر فوصل إلى البلاد ورجع هو وأخوه قاصدين إلى مكة فغرق نعمة الله في نهر الحسا ونجا أخوه، فلما وصل إلى اليمن ركب البحر إلى جدة، فاتفق وقوع **الحريق** بها فاحترق مع من احترق لكنه عاش وفقد رجليه معا فإنهما احترقا، وعاش هو لعمره وذلك في شوال منها، وكانت وفاة نعمة الله في رجب أو شعبان ظنا.." (٣)

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٣٤٣/٣

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٥١/٤

(٣) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٦٦/٤

"ثم تتبعوا سائر الكنائس وحكم بأنها من الحجارة الجديدة لكونها محدثة وليس لهم الإعادة إلا بالمثل أو دونه، وفعل ذلك بجميع ما بالبلدين – وحصل على جميع الطوائف من أهل الذمة من الإهانة والتعزير ما لا يزيد عليه، وأظهر الملكية محضرا يتضمن الإذن لهم عمارتها بعد **الحريق** الكائن في سنة ثلاثين وسبعمائة من القاضي جلال الدين القزويني قاضي الديار المصرية في الدولة الناصرية، وتاريخ المحضر سنة ٣٤، فوقع في ذلك نزاع كثير، وانفصل الحال على أن كل ما حكم فيه نائب الشافعي يكمله على مقتضى مذهبه، وما عدا ذلك يتولى الحكم فيه القاضي المالكي بنفسه.

وفي الخامس من المحرم ادعى عند القاضي صدر الدين ابن روق على طائفة من اليهود القرائن بأن بحارة زويلة دارا تعرف بدار ابن شمخ كانت مرصدة لتعليم أطفال اليهود وسكنى لهم فأحدثوها كنيسة، لها حدود أربعة: القبلي إلى خربة فاصلة بينها وبين دار تعرف بأول اد الجالي، والبحري إلى دار بحري في ملك بو سعيد النصراني، والشرقي إلى سكن إبراهيم العلاف، والغربي بعضه إلى دار شموال النافذ وفيه الباب؛ فأشهد عليه انه ثبت عنده بشهادة من أعلم له مضمون المحضر المذكور، وحكم بموجب ما قامت به البينة في تاريخه وكان نص شهادة من أعلم له، شهد بمضمونه عبد الرزاق بن محمد بن شعيب الشهير بالجنيدي، كتب بخطه وأعلم له: شهد عندي بذلك، ومثله عبد الله بن يوسف بن ناصر الشريف النقلي وكتب عنه وأعلم له: شهد بذلك، ومثله جلال الدين محمد بن علي بن عبد الوهاب ابن القماط، ومثله داود بن عبد الكريم وزادوا أن الدار المذكورة تسمى دار ابن شمخ وليست بكنيسة قديما، وشهد علي بن محمد التوصوفي أن الدار المذكورة – تعرف بدار ابن شمخ وانها كانت معدة لتعليم الأطفال وأعلم له: شهد بذلك ومحمد بن أبي بكر بن محمد – بن قضاة وأنها ليست بكنيسة قديما وإنها كانت معدة لتعليم أطفال اليهود وكتب عنه وأعلم له: شهد عندي بذلك، وشهد بمثل ذلك نحو عدد المذكورين، ثم اتصل ذلك بأفضل الدين محمود بن سراج الدين القرمي ونفذ حكم صدر الدين في السادس من المحرم، ثم ادعى عند نور الدين ابن البرقي على جماعة من اليهود أن الدار المذكورة أعلاه كانت مرصدة لتعليم أطفال اليهود القرايين ومسكنا لهم ثم اتخذوها كنيسة عن قريب وأنها." (١)

"وترميه، ما يستميل خاطره، ويطفئ من لهيب غضبه النائرة، مع شيء من الهدايا والتقادم، وإبراز قضاياهم في صورة المعتذر النادم، ربما كان كسر من غيظه، أو همد من حنقه وبرد من قيظه، وإنما فعلوا تلك المعذرة، بعد **حريق** دمشق وخراب البصرة، وأرسلوا الخدم والهدايا صحبة النعام والزرافات، وقد أعجز التدارك وفات وصاروا كما قيل

ذو الجهل يفعل ما ذو العقل يفعله ... في النائبات ولكن بعدما افتضحا

وكما قيل وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل " فصل " ذكر بيسق هذا قال لما مثلت بين يديه، وأديت الرسالة، وقرئ الكتاب عليه، قال لي قل الحق، ما اسمك؟ قلت بيسق، قال ما مدلول هذا اللفظ المزري؟ قلت له يا مولانا لا أدري، فقال أنت لا تعرف مدلول اسمك يا ثعالة، فكيف تصلح لتحمل الرسالة، ولولا أن عادة الملوك أن لا يهيجوا الرسل، وقد مهدوا على ذلك القواعد وسلكوا." (٢)

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٤/١٩٧

(٢) عجائب المقدور في أخبار تيمور ابن عربشاه ص/٢٣٠

"الحضر
وكان في عسكره ناس صلحاء عباد، ورعون زهاد، أجواد أمجاد، لهم في الخيرات أوراد، وفي وردها إصدار وإيراد، دأبهم خلاص مأسور، أو جبر مكسور، أو إطفاء **حريق**، أو إنقاذ غريق، أو اصطناع معروف، أو إغاثة ملهوف مهما أمكنهم، ووصلت إليه يدهم، إما بقوة وأيد، وإما بنوع خديعة وكيد، وإما باستيهاب واستشفاع أو تعويض وابتداع، وكانوا سائرين معه بالاضطرار، أو دائرين معه لهذه المعاني بالاختيار حكى لي مولانا جمال الدين أحمد الخوارزمي أحد القراء المشهورين المجودين، وكان إمام محمد سلطان في حياته، وإمام مدرسته بعد وفاته، ثم خطيب بروسا وبها أدركته المنية، سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، رحمه الله تعالى قال كنت في سمرقند في مدرسة محمد سلطان، أعلم مماليكه وأولاد الأمراء القرآن، فأرسل إليه جده الظلوم، وهو متوجه إلى بلاد الروم، أن يتوجه إليه، ويفد هو والأمير سيف الدين عليه، فامتثل ما به أمر ، وأخذ في إعداد أهبة السفر، وقال لي هيئ مرافقك، واقطع علائقك، وخذ أهبة سفرك، واعمل." (١)

"فوضع بالموضع الذي هو فيه اليوم وفي رواية: صاح أبو قبيس يا إبراهيم يا خليل الرحمن إن لك عندي وديعة فخذها، فإذا هو بحجر أبيض من ياقوت الجنة، فجاء إسماعيل فوجد إبراهيم قد وضع الحجر في مكانه، فقال: يا أبت من أين لك هذا الحجر؟ قال: جائني به من لم يكلني إليك ولا إلى حجرك وفي رواية: من عند من لم يتكل على بنائي وبنائك وفي رواية: وضع جبريل الحجر في مكانه وبنى عليه وهو حينئذ يتلألأ تلألؤا من شدة بياضه، فأضاء نوره شرقا وغربا ويمنا وشاما، فكان نوره يضيء إلى منتهى أنصاب الحرم من كل ناحية من نواحي الحرم، وقيل: إنما شدة سواده؛ لأنه أصابه **الحريق** مرة بعد مرة في الجاهلية والإسلام؛ فأما **حريقه** في الجاهلية فإنه ذهبت امرأة في زمن قريش تجمر الكعبة، فطارت شرارة من أستاء الكعبة، فأحرقت الكعبة فاحترق الركن الأسود واسود وتوهنت الكعبة، وكان هو الذي هاج قريشا على هدمها وبنائها. وأما **حريقه** في الإسلام ففي عصر ابن الزبير أيام حاصره الحصين بن نمير الكندي، **احترقت** الكعبة واحترق الركن فتفلق ثلاث فلق حتى شعبه ابن الزبير بالفضة، وقيل: سواده لمعنى آخر وتقدم في باب الفضائل. وجعل إبراهيم طول البيت في السماء تسعة أذرع، وعرضه في الأرض اثنين وثلاثين ذراعا من الركن الأسود إلى الركن الشامي الذي هو عند الحجر من وجهه، وجعل عرض ما بين الركن الشامي إلى الركن الغربي الذي فيه الحجر اثنين وعشرين ذراعا، وجعل عرض ظهرها من الركن الغربي إلى الركن اليماني أحدا وثلاثين ذراعا، وجعل عرض شقها اليماني من الركن الأسود إلى الركن اليماني عشرين ذراعا، فلذلك سميت الكعبة؛ لأنها على خلقة الكعب، وكذلك بنيان أساس آدم عليه السلام وجعل بابها بالأرض غير مبوب، حتى كان تبع أسود الحميري هو الذي جعل لها بابا وغلقا فارسيا وكساها كسوة تامة ونحر عندها. وجعل إبراهيم الحجر إلى جنب البيت عريا من أراك يقتحمه الغير فكان زربا لغنم إسماعيل عليه السلام وحفر إبراهيم عليه السلام جبا في بطن الكعبة على يمين." (٢)

---

(١) عجائب المقدور في أخبار تيمور ابن عربشاه ص/٤٨٧

(٢) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ابن الضياء ص/٣٩

"معلقين في بطنها بالجدر تلقاء من دخلها ويطيبان إذا طيب البيت، وكان فيها معاليق من حلية كانت تهدى للكعبة، وسبب بناء قريش الكعبة أن امرأة ذهبت تجمر الكعبة فطارت من مجمرتها شرارة **فاحترقت** كسوتها، وكانت الكسوة عليها ركاما بعضها فوق بعض فلما **احترقت** الكعبة توهنت جدرانها من كل جانب وتصدعت، وكانت السيول متواترة فجاء سيل عظيم وهي على تلك الحال فدخل الكعبة وصدع جدرانها وأحافها، ففزعت من ذلك قريش فزعا شديدا وهابوا هدمها وخشوا إن ينسوها أن ينزل عليهم العذاب، فبينما هم على ذلك ينتظرون ويتشاورون إذ أقبلت سفينة للروم حتى إذا كانت بالشعيبة بضم الشين المعجمة وهي يومئذ ساحل مكة قبل جدة فانكسرت فسمعت بها قريش، فركبوا إليها فاشتروا خشبها، وأذنوا لأهلها أن يدخلوا مكة فيبيعوا ما معهم من متاعهم على أن لا يعشروهم، وكانوا يعشرون من دخلها من تجار الروم، كما كانت الروم تعشر من دخل منهم بلادها، وكان في السفينة رومي نجار بناء يسمى باقوم. قال السهيلي: وقال ابن إسحاق: وكان بمكة نجار قبطي، وذكر غيره أنه كان علجا في السفينة وأن اسم ذلك النجار باقوم وكذلك أيضا في اسم النجار الذي عمل منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرفاء الغابة ولعله أن يكون هذا. انتهى كلامه. فلما قدموا بالخشب مكة قالوا: لو بنينا بيت ربنا فاجتمعوا لذلك وتعاونوا وترافدوا في النفقة، وربعوا قبائل قريش أرباعا، ثم اقترعوا عند هبل في جوف الكعبة على جوانبها، فطار قدح بني عبد مناف وبني زهرة على الوجه الذي فيه الباب وهو الشرقي، وطار قدح بني عبد الدار وبني أسد بن عبد العزى وبني عدي بن كعب على الشق الذي يلي الحجر وهو الشق الشامي، وطار قدح بني سهم وبني جمح وبني عامر بن لؤي على ظهر الكعبة وهو الشق الغربي، وطار قدح بني تميم وبني مخزوم وقبائل من قريش ضموا معهم على الشق اليماني الذي يلي الصفا فنقلوا الحجارة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ غلام لم ينزل عليه الوحي ينقل معهم الحجارة على رقبته، فبينما هو ينقلها إذا انكشفت." (١)

"وجمع ابن الزبير أصحابه فتحصن بهم في المسجد الحرام وحول الكعبة، فضرب أصحاب ابن الزبير خياما يكتنون بها من حجارة المنجنيق ويستظلون فيها من الشمس، وكان الحصين بن نمير قد نصب المنجنيق على أخشبي مكة وهما أبو قبيس والأحمر فكان يرميهم بها فتصيب الحجارة الكعبة حتى تخرق كسوتها عليها، فصارت كأنها جيوب النساء فوهن الرمي بالمنجنيق الكعبة، فذهب رجل من أصحاب ابن الزبير يوقد نارا في بعض تلك الخيام مما يلي الصفا بين الركن الأسود والركن اليماني، والمسجد يومئذ ضيق صغير، فطارت شرارة في الخيمة **فاحترقت** وكان في ذلك اليوم رياح شديدة، والكعبة يومئذ مبنية بناء قريش مدماك من ساج ومدماك من حجارة من أسفلها إلى أعلاها وعليها الكسوة، فطارت الرياح بلهب تلك النار **فاحترقت** كسوة الكعبة، واحترق الساج الذي بين البناء، وكان احتراقها يوم السبت لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الأول قبل أن يأتي نعي يزيد بن معاوية بتسعة وعشرين يوما، وجاء نعيه في هلال شهر ربيع الآخر ليلة الثلاثاء سنة أربع وستين، وكان توفي لأربع عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، وكانت خلافته ثلاثة سنين وسبعة أشهر، فلما **احترقت** الكعبة واحترق الركن الأسود وتصدع، كان ابن الزبير بعد ذلك ربطه

---

(١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ابن الضياء ص/٩٦

بالفضة وضعفت جدران الكعبة حتى أنها لتنقض من أعلاها إلى أسفلها ويقع الحمام عليها فيستأثر حجارتها وهي مجردة موهنة من كل جانب، ففزع لذلك أهل مكة وأهل الشام جميعا والحصين بن نمير محاصر ابن الزبير، فأرسل ابن الزبير رجالا من أهل مكة من قريش وغيرهم منهم عبد الله بن خالد بن أسيد ورجال من بني أمية إلى الحصين فكلموه وعظموا عليه ما أصاب الكعبة وقالوا: إن ذلك منكم رميتموها بالنفط. فأنكروا ذلك وقالوا: قد توفي أمير المؤمنين فعلى ماذا تقاتل؟ ارجع إلى الشام حتى تنظر ماذا يجمع عليه رأى صاحبك يعنون معاوية بن يزيد وهل يجمع الناس عليه؟ فلم يزالوا به حتى لان لهم ورجع إلى الشام، فلما أدبر جيش الحصين بن نمير وكان خروجه من مكة لخمس ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين، دعا ابن الزبير وجوه الناس وأشرافهم فشاوروهم في هدم الكعبة، فأشار عليهم ناس قليلون بهدمها وأبى كثير من الناس هدمها، وكان أشدهم إباء عبد الله بن عباس قال له: دعها على ما أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها، فلا تزال." (١)

"وكان الركن قد تصدع من **الحريق** ثلاث فرق فانشظت منه شظية كانت عند بعض آل شيبة بعد ذلك بدهر طويل، فشده ابن الزبير بالفضة إلا تلك الشظية من أعلاه، موضعها بين في أعلى الركن، طول الركن ذراعان قد أخذ عرض جدار الكعبة ومؤخر الركن داخله في الجدر مضرس على ثلاثة رؤوس. قال ابن جريج: فسمعت من يصف لون مؤخره الذي في الجدر قال بعضهم: هو مورد. وقال بعضهم: هو أبيض كالفضة. وكانت الكعبة يوم هدمها ابن الزبير ثمانية عشر ذراعا في السماء، فلما أن بلغ ابن الزبير بالبناء ثمانية عشر ذراعا وجبرت بحال الزيادة التي زاد من الحجر فيها، واستسمج ذلك إذا صارت عريضة لا طول لها فقال: قد كانت قبل قريش تسعة أذرع حتى زادت قريش فيها تسعة أذرع طولا في السماء، فأنا أزيد فيها تسعة أذرع أخرى، فبناها سبعة وعشرين ذراعا في أسماء، وهي سبعة وعشرون مدماكا وعرض جدارها ذراعان، وجعل فيها ثلاث دعائم، وكانت قريش في الجاهلية جعلت فيها ست دعائم، وأرسل ابن الزبير إلى صنعاء فأتى من رخام بها يقال له: البلق فجعله في الروازن التي في سقفها للضوء، وكان باب الكعبة قبل بناء ابن الزبير مصراعا واحدا، فجعل لها ابن الزبير مصراعين، طولهما أحد عشر ذراعا من الأرض إلى منتهى أعلاه اليوم، وجعل الباب الآخر الذي في ظهرها بإزائه على الشاذروان الذي على الأساس مثله، وجعل ميزابها يسكب في الحجر، وجعل لها درجة في بطنها في الركن الشامي من خشب منفرجة يصعد فيها إلى ظهرها. فلما فرغ ابن الزبير من بناء الكعبة جعلها من داخلها وخارجها من أعلاها إلى أسفلها وكساها القباطي، وقال: من كانت لي عليه طاعة فليخرج فليعتمر من التنعيم، فمن قدر وأن ينحر بدنه فليفعل، ومن لم يقدر فليذبح شاة، ومن لم يقدر فليتصدق بقدر طوله، وخرج ماشيا وخرج الناس معه مشاة حتى اعتمروا من التنعيم شكرا لله سبحانه، ولم ير يوم كان أكثر عتيقا ولا أكثر بدنة منحورة ولا شاة مذبوحة ولا صدقة من ذلك اليوم، ونحر ابن الزبير مائة بدنة، فلما طاف بالكعبة استلم الأركان الأربعة

---

(١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ابن الضياء ص/١٠٥

جميعا وقال: إنما كان ترك استلام هذين الركنين الشامي والركن الغربي؛ لأن البيت لم يكن تاما. فلم يزل البيت على بناء ابن الزبير إذا كاف الطائف اسِتلم الأركان جميعها،." (١)

"ابن الزبير حين احترقت في عهده بشررة طارت من أبي قبيس فوقعت في أستارها فاحترقت. وقيل: إن امرأة أرادت أن تجمرها فطارت شررة من المجمرة في أستارها فاحترقت، السابعة: بناء الحجاج بن يوسف الثقفي وهو الشيء الذي من ناحية حجر إسماعيل الذي هو موجود اليوم. وذكر السهيلي: أن بناءها كان خمس مرات وعد أولاهن: بناء شيث بن آدم عليهما السلام، قال: وكانت قبل أن يبنيها شيث خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم، قال: وقد قيل: إنه بنى في أيام جرهم مرة أو مرتين؛ لأن السيل كان صدع حائطه ولم يكن بنيانا إنما كان إصلاحا لما وهي منه، وجدارا بنى بينه وبين السيل بناه عامر الحاذر، وقد تقدم هذا الخبر. انتهى. ويقال: إن قصي بن كلاب جدد بناءها بعد إبراهيم عليه السلام وسقفها بخشب الروم وجريد النخل ثم بنتها قريش.

فصل: ذكر الجب الذي كان في الكعبة ومالها الذي كان فيه

عن مجاهد قال: كان في الكعبة على يمين من دخلها جب عميق حفره إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حين رفعا القواعد، وكان فيه ما يهدى للكعبة ليس لها سقف، فسرق منها مال على عهد جرهم مرة بعد مرة، وكان جرهم ترتضي لذلك رجلا يكون عليه يحرسه، فبينا رجل ممن ارتضوه عندها إذ سولت له نفسه فنظر حتى إذا انتصف النهار وقامت المجالس وتقلصت الظلال وانقطعت الطرق ومكة إذ ذاك شديدة الحر بسط رداءه ثم نزل في البئر فأخرج ما فيها فجعله في ثوبه، فأرسل الله عز وجل عليه حجرا من البئر فأخرج مِا فيها فجعله في ثوبه، فأرسل الله عز وجل عليه حجرا من البئر فحبسه، حتى راح الناس فوجدوه فأخرجوه وأعادوا ما وجدوا في ثوبه من البئر فسميت بذلك البئر الأخسف، فلما أن خسف بالجرهمي وحبسه الله، بعث الله عند ذلك ثعبانا فأسكنه في ذلك الجب في بطن الكعبة أكثر من خمسمائة سنة، يحرس ما فيه فلا يدخله أحد إلا رفع رأسه وفتح فاه، فلا يراه أحد إلا ذعر منه، وكان ربما يشرف على جدار الكعبة فأقام كذلك في زمن جرهم وزمن خزاعة وصدرا من عصر قريش حتى اجتمعت قريش في الجاهلية على هدم البيت وعمارته فجاء عقاب فاختطفه ثم طار به نحو أجياد الصغير.." (٢)

"وثلث ذراع، وسعة ما بين جدار الحجر والشاذروان عند الفتحة التي من جهة المقام أربعة أذرع وثلث، وعرض الشاذروان في هذه الجهة نصف ذراع، والخارج من جدار الحجر في هذه الجهة عن مسامتة الشاذروان نصف ذراع وربع ذراع وثمن، وسعة الفتحة الأخرى أربعة أذرع ونصف، وعرض الشاذروان في هذه الجهة ثلثا ذراع، والخارج من جدار الحجر في هذه الجهة عن مسامتة الشاذروان نصف ذراع وثلث ذراع. قال عز الدين: كل ذلك حررته بذراع القماشي المستعمل في زماننا بمصر. انتهى كلامه. قال الأزرقي وذرع عرض بعد جدار الكعبة ذراعان، والكعبة لها سقفان أحدهما فوق الآخر، وكانت غير مسقفة في عهد إبراهيم عليه السلام وفي سقف الكعبة أربع روازن نافذة من السقف ال أ ِعلى

---

(١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ابن الضياء ص/١٠٩

(٢) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ابن الضياء ص/١١٥

إلى السقف الأسفل للضوء، وعلى الروازن رخام، وكان ابن الزبير أتى به من صنعاء يقال له: البلق وبين السقفين فرجة، وذرع التحجير الذي فوق ظهر سطح الكعبة ذراعان ونصف، وذرع عرض جدار التحجير كما يدور ذراع، وفي التحجير ملبن مربع من ساج في جدران سطح الكعبة، كما يدور فيه حلق حديد تشد فيها ثياب الكعبة، وكان أرض سطح الكعبة بالفسيفساء، ثم كانت تتلف عليهم إذا جاء المطر فقلعته الحجبة بعد سنة المائتين وشيدوه بالمرمر المطبوخ والجص، وميزاب الكعبة في وسط الجدر الذي يلي الحجر يسكب في بطن الحجر، وذرع طول الميزاب أربع أذرع، وسعته ثماني أصابع في ارتفاع مثلها، والميزاب ملبس صفائح ذهب داخله وخارجه، وكان الذي جعل عليه الذهب الوليد بن عبد الملك، وذرع مسيل الماء في الجدر ذراع وسبعة عشر إصبعا.

فصل: ذكر ما يدور بالحجر الأسود من الفضة

وكان ابن الزبير أول من ربط الركن الأسود بالفضة لما أصابه **الحريق**، ثم كانت الفضة قد رقت ونزعت حول الحجر الأسود حتى خافوا على الركن أن ينقض، فلما اعتمر." (١)

"ينقد من الركن الأسود حين أصابه **الحريق** فجعلتها لها في حق ثم قال لها: انظري هذه الحصاة فإنها حصاة من الركن الأسود فاغليها للمرضى، فإني أرجو أن يجعل الله سبحانه لهم فيها الشفاء فخرجت في أصحابها، فلما خرجت من الحرم ونزلت في بعض المنازل صرع أصحابها فلم يبق منهم أحد إلا أخذته الحمى، فقامت وصلت ودعت ربها عز وجل ثم التفتت إليهم، وقالت: ويحكم انظروا ماذا خرجتم به من الحرم؟ فماذا الذي أصابكم إلا بذنب؟ قالوا: ما نعلم خرجنا من الحرم بشيء. قال: قالت لهم: أنا صاحبة الذنب انظروا أمثلكم حياة وحركة. قال: فقالوا: لا نعلم أحدا منا أمثل من عبد الأعلى. قالت: فشدوا له رحله. ففعلوا ثم دعته فقالت: خذ هذه الحصاة التي في هذا الحق، فاذهب بها إلى أختي صفية بنت شيبة فقل لها: إن الله تبارك وتعالى وضع في حرمه وأمنه أمرا لم يكن لأحد أن يخرجه من حيث وضعه، فخرجنا بهذه الحصاة فأصابتنا فيها بلية عظيمة فصرع أصحابنا كلهم، فإياك أن تخرجيها من حرم الله عز وجل. قال عبد الأعلى: فما هو إلا أن دخلت الحرم فجعلنا نبعث رجلا رجلا. ومنها: أن الكعبة منذ خلقها الله تعالى ما خلت من الطائف يطوف بها من جن أو إنس أو ملك أو طائر كما تقدم في الفضائل، وتقدم فيه قضية الحية التي رئيت طائفة بالبيت، وكذلك الجمل طاف به يوم قتل ابن الزبير. وعن أبي الطفيل قال: كانت امرأة من الجن في الجاهلية تسكن ذا طوى، وكان لها ابن ولم يكن لها ولد غيره وكانت تحبه حبا شديدا، وكان شريفا في قومه، فتزوج وأتى زوجته فلما كان يوم سابعه قال لأمه: إني أحب أن أطوف بالكعبة سبعا نهارا. قالت له: أي بني إني أخاف عليك سفهاء قريش. فقال: أرجو السلامة. فأذنت له فولى في صورة جان، فلما أدبر جعلت تعوذه وتقول: أعيذه بالكعبة المستورة، ودعوات ابن أبي محذورة، وما تلا محمد من سورة، إني إلى حياته فقيرة، وإنني بعيشه مسرورة. فمضى الجان نحو الطواف فطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين ثم أقبل منقلبا حتى إذا كان ببعض دور بني سهم، عرض له شاب من بني سهم أحمر أزرق أحول أعسر فقتله، فثارت بمكة غبرة حتى لم تر الجبال، قال أبو الطفيل: وبلغنا أنه إنما تثور تلك الغبرة عند

---

(١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ابن الضياء ص/١٢٦

موت عظيم من الجان قال: فأصبح من بني سهم موتى كثيرة من قتلى الجن فكان فيهم سبعون شيخا أصلع سوى " الشاب ". قال: فنهضت بنو سهم وحلفاؤها ومواليها وعبيدهم فركبوا الجبال والشعاب بالثنية، فما تركوا حية ولا عقربا ولا شيئا." (١)

"قال علماء التاريخ: جميع ما عرف في الأرض من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا، من أعجبها سرنديب، وهو أقرب ذرا الأرض إلى السماء. وقيل: صخرة بيت المقدس أقرب ذرا الأرض من السماء بثمانية عشر ميلا حكاه القرطبي. وطول جبل سرنديب مائتان ونيف وستون ميلا، فيه أثر قدم آدم وعليه شبه البرق، لا يذهب شتاء ولا صيفا، وحوله الياقوت وفي واديه الماس، وفيه العود والفلفل ودابة المسك وهر الزباد، ووادي سرنديب متصل إلى قرب سيلان. وجبل الردم الذي فيه السد طوله سبعمائة فرسخ، وينتهي إلى البحر المظلم. وجبل قاف من زمردة خضراء محيط بالسموات والأرض، ومنه اخضرت السماء، دائر بالأرض من وراء البحر المحيط والسماء عليه مقببة، وما أصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل. وقال وهب: أشرف ذو القرنين على جبل فرأى تحته جبالا صغارا فقال له: ما أنت؟ قال: أنا قاف. قال: فما هذه الجبال حولك؟ قال: هي عروقي وما من مدينة إلا وفيها عرق من عروقي، فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرني فحركت عرقي ذلك فتزلزل تلك الأرض. فقال: يا قاف أخبرني بشيء من عظمة الله تعالى. قال: إن شأن ربنا لعظيم، وإن ورائي أيضا مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من جبال ثلج، يحطم بعضها بعضا لولا هي **لاحترقت** من حر جهنم. قال المرجاني: واسم جبل قاف عيلهون قال: ولأجل هذا الاسم منع استعمال تلك الحفيظة حكاه المازري، قال: ووراء قاف أرض بيضاء كافورية مثل الدنيا سبع مرات، ومن خلفها السبعة الأبحر: أولها: يبطس، الثاني: قيس، الثالث: الأصم، الرابع: المظلم، الخامس: مايس، السادس: الساكن، السابع: الباكي وهي محيطة بعضها ببعض حكاه الكسائي. قال وهب: خلقها الله في اليوم الثالث. وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لما تجلى الله لجبل طور سيناء تشظى منه شظايا، فنزلت بمكة ثلاثة؛ حراء وقديد وثور، وبالمدينة أحد وعير وورقان ". وعنه أيضا قال: " صار لعظمة الله ستة أجبل، فوقعت ثلاثة بالمدينة: أحد وورقان ورضوى، ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء ". وقيل: نزلت بمكة أربعة حراء وثبير وثور وقديد. انتهى.." (٢)

"زعمهم فأمر بقلع ذلك المثال أيضا، والحمد لله، وأما العود الذي في الاسطوانة التي عن يمين مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الجذع المتقدم ذكره. فقال الحافظ محب الدين: روى عن مصعب بن ثابت قال: طلبنا علم العود الذي في مقام النبي صلى الله عليه وسلم فلم نقدر على أحد يذكر لنا فيه شيئا حتى أخبرني محمد بن مسلم بن السائب صاحب المقصورة أنه جلس إلى جنبه أنس بن مالك فقال: تدري لم صنع هذا العود؟ ولم اسأله فقلت: ما

(١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ابن الضياء ص/١٧٤

(٢) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ابن الضياء ص/١٩٢

أدري. قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع عليه يمينه ثم يلتفت إلينا، فيقول: " استووا وعدلوا صفوفكم ". فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سرق العود فطلبه أبو بكر فلم يجده، ثم وجده عمر عند رجل من الأنصار بقباء قد دفنه في الأرض فأكلته الأرض، فأخذ له عودا فشقه وأدخله فيه ثم شعبه ورده إلى الجدار، وهو العود الذي وضعه عمر بن عبد العزيز في القبلة، وهو الذي في المحراب اليوم باق. قال مسلم بن حيان: كان ذلك العود من طرفاء الغابة. وقيل: بل كان من الجذع المذكور. قال المرجاني: قلت والله أعلم: إن هذا الجذع الذي ذكره ابن النجار إنه في القبلة باق إلى اليوم، لعله الذي قاس به الشيخ أبو حامد وقلعه ابن حنا. قال الشيخ جمال الدين: وكان ذلك قبل حريق المسجد الشريف.

ذكر منبر النبي صلى الله عليه وسلم وروضته الشريفة

عن أبي حازم أن نفرا جاءوا إلى سهل بن سعد وقد تماروا في المنبر من أي عود هو؟ فقال: أما والله إني لأعرف من أي عود هو، ومن عمله، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول يوم جلس عليه. فقلت له: فحدثنا فقال: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى امرأة " انظري غلامك النجار يعمل لي أعوادا أحكم للناس عليها " فعمل هذه الثلاث درجات، ثم أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت هذا الموضع، وهي من طرفاء الغابة والطرفاء شجر يشبه الأثل إلا أن الأثل أعظم منه. وعن جابر بن عبد الله أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه فإن لي غلاما نجارا. فقال: إن شئت. فعمل له المنبر.." (١)

"معاوية رضي الله عنه في خلافته كساه قبطية ثم كتب إلى مروان بن عبد الحكم وهو عامله على المدينة أن ارفع المنبر عن الأرض، فدعا له النجارين ورفعوه عن الأرض وزادوا من أسفله ست درجات، وصار المنبر بسبع درجات بالمجلس. قال ابن زبالة: لم يزد فيه أحد قبله ولا بعده. وقال الشيخ جمال الدين: هذا في زمان محمد بن زبالة، وروى أيضا عن ابن زبالة أن طول منبر النبي صلى الله عليه وسلم بما زيد فيه أربعة أذرع ومن أسفله عتبة، وذكر ابن زبالة أيضا أن المهدي بن المنصور لما حج سنة إحدى وستين ومائة قال للإمام مالك بن أنس رحمه الله: أريد أن أعيد منبر النبي صلى الله عليه وسلم على حاله الأول، فقال له مالك: إنما هو من طرفاء وقد شد إلى هذه العيدان وسمر فهي ببركته حفت أن تتهافت فلا أرى تغييره، فتركه المهدي على حاله، قيل: إن المهدي فرق في هذه الحجة ثلاثين ألف درهم ومائة ألف وخمسين ألف ثوب، وحمل إليه الثلج من بغداد إلى مكة وكسا البيت ثلاث كساوي بيضاء وحمراء وسوداء توفي بماء سندان بموضع يقال له الرد، في المحرم سنة تسع وستين ومائة. قال الشيخ جمال الدين: وذكر لي يعقوب بن أبي بكر بن أوحد من أولاد المجاورين بالمدينة الشريفة وكان أبوه أبو بكر فراشا من قوام المسجد الشريف، وهو الذي كان حريق المسجد على يديه واحترق هو أيضا في حاصل الحرم، إن هذا المنبر الذي زاده معاوية ورفع منبر النبي صلى الله عليه وسلم وجد قد تهافت على طول الزمان وإن بعض خلفاء بني العباس جدده واتخذوا من بقايا أعواد منبر النبي صلى الله عليه وسلم أمشاطا للتبرك بها، والمنبر الذي ذكره ابن النجار هو المذكور أولا فإنه قال في تاريخه: وطول

---

(١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ابن الضياء ص/٢٧٣

المنبر اليوم ثلاثة أذرع وشبر وثلاثة أصابع، والدكة التي هو عليها من رخام طولها شبر وعقد، ومن رأسه إلى عتبته خمسة أذرع وشبر وأربع أصابع، وقد زيد فيه اليوم عتبتان وجعل عليه باب يفتح يوم الجمعة. قال الشيخ جمال الدين: فدل ذلك على أن المنبر الذي احترق غير المنبر الأول الذي عمله معاوية ورفع منبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقه. قال الفقيه يعقوب بن أبي بكر: سمعت ذلك ممن أدركت بأن بعض الخلفاء جدد المنبر واتخذ من بقايا أعواده أمشاطا، وإن المنبر المحترق هو الذي جدده الخليفة المذكور، وهو الذي أدركه الشيخ محب الدين قبل احتراق المسجد الشريف، فإن الحافظ محب الدين كتب التاريخ في سنة ثلاث." (١)

"أحدثتها خالصة وهي أول من أحدث ذلك، وثلاث لزيد البربري مولى أمير المؤمنين، وسقاية لأبي البحتري وهب بن وهب، وسقاية لسحر أم ولد هارون الرشيد، وسقاية لسلسبيل أم ولد جعفر بن أبي جعفر. قال الحافظ محب الدين: وأما الآن فليس به سقاية إلا أن في وسطه بركة كبيرة مبنية بالآجر والجص والخشب، بها درج أربع في جوانبها، والماء ينبع من فوارة في وسطها تأتي من العين الزرقاء، ولا يكون فيها الماء إلا في المواسم، بناها بعض أمراء الشام تسمى شامة. قال الشيخ جمال الدين: وكان يحصل بهذه البركة انتهاك لحرمة المسجد فسدت لذلك. قال الحافظ محب الدين: وعملت الجهة أم الخليفة الناصر لدين الله في مؤخر المسجد سنة تسعين وخمسمائة سقاية فيها عدة من البيوت، وحفرت لها بئرا، وفتحت لها بابا إلى المسجد في الحائط الذي يلي الشام وهي تفتح في الموسم.

ذكر احتراق المسجد الشريف

واحترق مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة أول شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وستمائة، بعد خروج نار الحرة الآتي ذكرها في السنة نفسها، فكتب بذلك إلى الخليفة المستعصم بالله أبي أحمد عبد الله بن المستنصر في الشهر المذكور، فواصل الصاع والآله في صحبة حجاج العراق وابتدئ فيه بالعمارة من أول سنة خمس وخمسين وستمائة، واستولى الحريق على جميع سقوفه حتى لم يبق فيه خشبة واحدة، وبقيت السواري قائمة وذاب رصاص بعضها فسقطت، واحترق سقف الحجرة المقدسة، وأنشد بعضهم في ذلك: لم يحترق حرم النبي لحادث ... يخشى عليه ولا دهاه العار لكنها أيدي الروافض لامست ... ذاك الجناب فطهرته النار وقصة هذه النازلة على ما نقله ابن أبي شامة والمطري وغيرهما: وذلك أنه لما كانت الليلة ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ظهر بالمدينة دوي عظيم، ثم زلازل رجفت منها المدينة والحيطان ساعة بعد ساعة، وكان بين اليوم والليلة أربعة عشر زلزلة، واضطرب المنبر إلى أن سمع منه صوت الحديد، واضطربت." (٢)

"المذكورة كانت وقعة عين جالوت على يده، ثم قتل بعد الوقعة بشهر وهو داخل إلى مصر، وكان العمل في المسجد الشريف تلك السنة من باب السلام إلى باب الرحمة المعروف قديما بباب عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية، كانت لها دار تقابل الباب فنسب لها كما نسب باب عثمان وباب مروان، ومن باب جبريل إلى باب النساء

---

(١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ابن الضياء ص/٢٧٥

(٢) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ابن الضياء ص/٢٨٦

المعروف قديما بباب ريطة بنت أبي العباس السفاح، وتولى مصر آخر تلك السنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي المعروف بالبندقداري، فعمل في أيامه باقي المسجد الشريف من باب الرحمة إلى شمالي المسجد ثم إلى باب النساء، وكمل سقف المسجد كما كان قبل **الحريق** سقفا فوق سقف، ولم يزل على ذلك حتى جددوا السقف الشرقي والسقف الغربي في سنتي خمس وست وسبعمائة في أول دولة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، فجعلا سقفا واحدا يشبه السقف الشمالي فإنه جعل في عمارة الملك الظاهر كذلك. في أيامه باقي المسجد الشريف من باب الرحمة إلى شمالي المسجد ثم إلى باب النساء، وكمل سقف المسجد كما كان قبل **الحريق** سقفا فوق سقف، ولم يزل على ذلك حتى جددوا السقف الشرقي والسقف الغربي في سنتي خمس وست وسبعمائة في أول دولة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، فجعلا سقفا واحدا يشبه السقف الشمالي فإنه جعل في عمارة الملك الظاهر كذلك.

ذكر الخوخ والأبواب التي كانت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الشيخ جمال الدين: اعلم أن الخوخة التي تحت الأرض ولها شباك في القبلة وطابق مقفل يفتح أيام الحاج، وهي طريق آل عبد الله بن عمر رضي الله عنهم إلى دارهم التي تسمى اليوم دار العشرة، وإنما هي دار آل عبد الله بن عمر، وكان بيت حفصة رضي الله عنها قد صار إلى آل عبد الله بن عمر رضي الله عنهم أجمعين، فلما أدخل عمر بن عبد العزيز بيت حفصة في المسجد جعل لهم طريقا في المسجد وفتح لهم حائطا في الحائط القبلي، يدخلون منه إلى المسجد ولم يزل كذلك حتى عمل المهدي بن المنصور المقصورة على الرواقين، فسد الباب وجعل لهم شباكا حديدا، وحفر لهم من تحت الأرض طريقا يخرج إلى خارج المقصورة، فهي هذه الموجودة اليوم وهي إلى الآن بيد آل عبد الله بن عمر رضي الله عنهم وأما خوخة أبي بكر رضي الله عنه فإن باب أبي بكر كان في غربي المسجد، ونقل أيضا أنه كان قريبا من المنبر، ولما زاد في المسجد إلى عمده من المغرب نقلوا الخوخة، وجعلوها في مثل مكانها الأول، كما نقل باب عثمان رضي الله عنه إلى موضعه اليوم. قال الشيخ جمال الدين: وباب خوخة أبي بكر رضي الله عنه اليوم هو باب خزانة لبعض حواصل المسجد، إذا دخلت من باب السلام كانت على يسارك قريبا من الباب.." (١)

"قلت: التوفيق في هذا الكلام أنه تسلطن في سنة ثمانية وأربعين وستمائة، ولكنه ما أقام إلا شيئا يسيرا جدا، كما ذكرناه هناك، ولم يعتبروا هذه السلطنة حيث لم تمتد أيامها ولا ظهرت أحكامها، فكانت كسلطنة الأمير بيدرا عند قتله الملك الشرف خليل بن الملك المنصور قلاون عند الطرانة، فإنه تسلطن وتلقب بالملك الأشرف خليل بن الملك المنصور قلاون عند الطرانة، فإنه تسلطن ولقب بالملك القاهر وأقام نصف نهار، ثم ضربت رقبته كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى، ثم كان عزمه للسلطنة واستقلاله بها في أواخر سنة تسعة وأربعين وستمائة، فلذلك ذكروا أن سلطنته كانت في هذه السنة، أعنى سنة تسعة وأربعين وستمائة، ولكن لما وقع استقلاله التام بها، وظهوره بها، ونفاذ كلمته، وانتشار مراسيمه في هذه السنة، أعنى سنة خمسين وستمائة، أسندت سلطنته وظهورها التام إلى هذه السنة، أعنى سنة خمسين.

---

(١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ابن الضياء ص/٢٩٠

ثم لما استقل بذلك في هذه السنة شرع في تحصيل الأموال، واستخدام الرجال، واستوزر شخصا من نظار الدواوين يسمى شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى، كان من القبط الكتاب، ثم عدل عن أهل الكتاب، وأسلم في الدولة الكاملية، وتقدم في المنساب الديوانية، فقرر اموالا على التجار وذوى اليسار وأرباب العقار، ورتب مكوسا وضمانات وسماها حقوقا ومعاملا واستقرت وتزيدت إلى يومنا هذا.

ثم في هذه السنة أمر الملك المعز كبار مماليكه، ورتب سيف الدين قطز نائب السلطنة، وكان أكبرهم وأقدمهم هجرة، وأعظمهم لديه اثرة، وقطع خبز حسام الدين بن على الهذبانى الذي كان نائبا بالديار المصرية، ثم لما قطع الملك المعز خبزه طلب دستورا ان يروح إلى الشام، فأعطاه دستورا، فسافر إلى الملك الناصر يوسف وأعطاه امرة خمسمائة فارس.

وفي هذه السنة تسلم المصريون الشوبك من نائب الملك المغيث فتح الدين عمر، ولم يبق بيده غير الكرك والبلقاء وبعض الغور.

ذكر بقية الحوادث في هذه السنة

منها: أن التتار وصلت إلى الجيزرة وسروج ورأس العين وما والى هذه البلاد، فقتلوا وسبوا، ونهبوا وخربوا، ووقعوا بتجار يسيرون بين حران وراس العين، فأخذوا منهم ستمائة حمل سكر ومعمول مصر، وستمائة الف دينار، وقتلوا في هذه البلاد زيادة على عشة آلاف نفس، وقتلوا الشيوخ والعجائز، وساقوا من النسوان والصبيان ما أرادوا، وردعوا إلى خلاط، وقطع أهل الشرق الفرات، وخاض الناس في القتلى من دنيسر إلى الفرات.

قال السبط: وحكى لى شخص من التجار قال: عددت على جسر بين حران وراس العين في مكان واحد ثلاثمائة وثمانين قتيلا.

ومنها: أنه وقع حريق بحلب، احترق بسببه ستمائة دار، يقال: إن الفرنج لعنهم الله ألقوه فيها قصدا.

ومنها: أنه استقر الصلح بين الملك الناصر يوسف صاحب الشام وبين البحرية بمصر، على أن يكون للمصريين إلى نهر الاردن وللملك الناصر ما وراء ذلك، وذلك بواسطة نجم الدين البادرائى رسول الخليفة بسبب ذلك.

قال بيبرس: وفي هذه السنة وصل من بغداد إلى القاهرة لاشيخ نجم الدين ابن البدرائى رسولا من عند الخليفة المستعصم ليصلح ما بين الملك الناصر صاحب الشام وبين الملك المعز صاحب مصر، فتقرر الصلح وترتب، ورجع الناصر وعسكره إلى دمشق، وعاد المعز من الباردة إلى قلعة الجبل.

ومنها: أن الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب أفرج عن الناصر داود بن المعظم، صاحب الكرك كان، وكان قد اعتقله بقلعة حمص على ما ذكرناه، وذلك بشفاعة الخليفة المستعصم فيه، فأفرج عنه وأمره أن لا يسكن في بلاده، فرحل الناصر داود المذكور إلى جهة بغداغد، فلم يمكنوه من الوصول إليها وطلب وديعته الجوهر، فمنعوه غياها، وكبت الناصر يوسف إلى ملوك الأطراف: ولا يأووه ولا يميروه، فبقى الناصر داود في دهات عانة والحدث، وضاق به الحال وبمن معه، وانضمت إليه جماعة من غزية، فبقوا يرحلون وينزلون جميعا، ثم لما قوى عليهم الحر ولم يبق بالبرية عشب

ولا كلأ، قصدوا أزوار الفرات يقاسون بق الليل وهواجر النهار، وكان معه أولاده، وكان لولده الظاهر شادى فهد، فكان يصيد في النهار ما يزيد على عشرة غزلان، وكان يمضى للناصر ولأصحابه أيام لا يطعمون غير لحوم الغزلان.." (١)

"قال: وجاء كتاب من بعض بنى القاشانى بالمدينة يقول فيه: وصل إلينا في جمادى الآخرى نجابة من العراق وأخبروا عن بغداد أنه أصابها غرق عظيم حتى دخل الماء من أسوار بغداد إلى البلد، وغرق كثير من البلد، ودخل الماء دار الخليفة وسط البلد، وانهدمت دار الوزير وثلاثمائة وثمانون دارا، وانهدم مخزن الخليفة)، وهلك من خزانة السلاح شيء كثير، بل تلف كله، وأشرف الناس على الهلاك، وعادت السفن تدخل إلى أوسط البلد وتخترق أزقة بغداد، ثم ذكر فيه حكاية النار.

وقال ابن كثير رحمه الله: الحديث الوارد في هذه النار مخرج في الصحيحين من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:) لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى (. وهذا لفظ البخارى، وقد وقع هذا في هذه السنة، أعنى سنة أربع وخمسين وستمائة كما ذكرنا.

وقد أخبرنى قاضى القضاة صدر الدين على بن أبي القاسم التميمى الحنفى الحاكم بدمشق في بعض الأيام في المذاكرة وجرى ذكر هذا الحديث وما كان من أمر هذه النار في هذه السنة: فقال: سمعت رجلا من الأعراب يخبر والدى ببصرى في تلك الليالى أنهم رأوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز.

وقال ابن كثير: وكان مولده في سنة ثنتين وأربعين وستمائة، وكان والده مدرسا للحنفية ببصرى، وكذلك كان جده، وهو أيضا قد درس بها، ثم انتقل إلى دمشق فدرس بالصادرية وبالمقدمية، ثم ولى قضاء القضاة الحنفية، وكان مشكور السيرة في الأحكام، وقد كان عمره حين وقع هذه النار بالحجاز ثنتى عشرة سنة، ومثله ممن يضبط ما سمع من الخبر أن الأعرابى أخبر والده في تلك الليالي.

وقال أبو شامة: وفي ليلة الجمعة مستهل شهر رمضان من هذه السنة احترق مسجد النبى عليه الصلاة والسلام، وابتداء حريقه من زاويته الغربية من الشمال، وكان دخل أحد القومة إلى خزانة ثم، ومعه نار فعلقت في آلات ثم، واتصلت بالسقف سرعة، ثم دبت في السقوف آخذة قبلة، فاعجزت الناس عن قطعها، فما كان إلا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد أجمع، ووقعت بعض أساطينه وذات رصاصها، وكل ذلك قبل أن ينام الناس، واحترق سقف الحجرة النبوية على ساكنها السلام، ووقع ماوقع منه في الحجرة وبقى على حاله لما شرع في عمارة سقفه وسقف المسجد، وكان ذاك ليلة الجمعة وأصبح الناس فعزلوا موضعا للصلاة.

وعد ماوقع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من جملة الآيات، وكأنها كانت منذرة عما يعقبها في السنة الآتية من الكائنات على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

ونظم بعضهم في هذه النار وغرق بغداد بيتين، قال:

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/١٤

سبحان من أصبحت مشيئته ... جارية في الورى بمقدار

أغرق بغداد بالمياه كما ... أحرق أرض الحجاز بالنار

قال أبو شامة: كان ينبغي أن ينبه على أن الأمرين في سنة واحدة، وإلا فالإغراق والإحراق يقعان كثيرا، فالصواب أن يقال:

في سنة أغرق العراق وقد ... أحرق أرض الحجاز بالنار

وقال:

بعد ست من المئين وخمسين ... لدى أربع جرى في العام

نار أرض الحجاز مع حرق ... المسجد مع غريق دار السلام

ثم أخذ التتار بغداد في ... أول عام من بعد ذاك بعام

لم يفن أهلها وللكفر أعوانعليهم يا ضيعة الإسلام

وانقضت دولة الخلافة منها ... صار مستعصم بغير اعتصام

وفيها:) (.

وفيها: حج بالناس) . (.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الوهاب بن على بن عبد الوهاب بن مناس الطرابلسى المالكى.

وكان قد ولى القضاء بطرابلس المغرب والمهدية، ثم استوطن الإسكندرية. وكان شيخا صالحا. توفى في هذه السنة.

الشيخ عماد الدين عبد الله بن النحاس الزاهد الورع.

خدم الملوك ووزر بالعجم، وانقطع في آخر عمره بجبل قاسيون، وأقام ثلاثين سنة مشغولا بالله، ويقضى حوائج الناس بنفسه وماله. توفى في هذه السنة، ودفن بقاسيون بدمشق.

وهو الذى قال له ابن شيخ الشيوخ فخر الدين: والله لأسبقنك إلى الجنة بمدة، فسبقه فخر الدين.." (١)

"أقول: أما إسلام بركة خان، فقد ذكرنا أنه كان في سنة اثنتين وخمسين وستمائة، على يد خادم الشيخ الباخرزى الذي كان من جملة مريدي الشيخ نجم الدين كبرا، رحمه الله، من ذرية عمار بن ياسر الصحابى رضي الله عنه، وكان نجم الدين كبرا من كبار الصالحين، وأعيان المحققين بخوارزم، وقد ذكرناه، وأما الحرب الذي وقع بين بركة خان وهلاون، فكان حربا عظيما، انكسر فيها هلاون كسرا شنيعا، وقتل أكثر أصحابه، وغرق أكثر من بقي، وهرب هو في شرذمة قليلة من أصحابه، وبعد فراغ بركة خان من الحرب عاد على بلاد القسطنطينية وصانعه صاحبها، وأرسل إلى السلطان الملك الظاهر الرسل المذكوري، وأرسل السلطان إليه الهدايا المذكورة.

ذكر توجه السلطان الظاهر إلى الإسكندرية

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٢٩

وفي شوال منها: سافر السلطان الظاهر، رحمه الله، إلى إسكندرية، ونظر في أحوالها وأمورها، وعزل قاضيها وخطيبها ناصر الدين أحمد بن المنير.

وفي تاريخ بيبرس: وفي سادس شوال توجه السلطان إلى ثغر الإسكندرية، ولما وصلها نزل خارج المدينة، ونادى أن لا ينزل بالثغر جندي ولا يقيم به، ودخلها يوم الأربعا مستهل ذي القعدة، ورسم برد مال السهمين، وحط عن أهل الثغر ما كان مقررا من الفائدة، وهو ربع دينار القنطار عن كل ما يباع ويبتاع، وحضر إليه شخصان من أهل الثغر أحدهما زين الدين بن البوري، والآخر المركم بن الزيات وادعيا أن بالثغر أموالا ضائعة، وكتبابها أوراقا، فسد ما أراد فتحه من أبواب المظالم، وأمر بإشهار ابن البوري، فأشهر بين العالم، وأنعم على الأمراء الذين معه بالقماش والخلع، وعاد إلى قلعة الجبل المحروسة في الحادي عشر من ذي القعدة الحرام.

ذكر بقية الحوادث

منها: وفود التتار المستأمنين من عسكر هلاون: وفيها: في سادس ذي الحجة وصلت جماعة كبيرة من التتار مستأمنين وفي الإسلام راغبين، فكانوا زهاء ألف نفس، وفيهم من أعيانهم كرمون، وامطغيه، ونوكيه، وجبرك وقيان، وناصغيه، وطبشور، وتبتو، وصبخى، وجوجلان، واجقرقا، وأرقرق، وكراي، وصلاغية، ومنقدم، وصراغان، وهؤلاء كانوا من أصحاب بركة، وكان قد أرسلهم إلى هلاون نجدة، فأقاموا عنده مدة، فلما وقع بينه وبين بركة، وتمكنت العداوة، كتب بركة إليهم بأن يفارقوا هلاون ويحضروا إليه، وإن لم يتمكنوا من التوجه إليه، فينحازوا إلى عساكر الديار المصرية، ولما وصلوا أسلموا، وطهروا، وقدم كبراؤهم المذكورون، وأمروا، وعينت لهم الإقطاعات. والطبلخانات، وأفيضت عليهم الصلاة والخلع والهبات، وأنزلهم باللوق.

فقال في ذلك القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر:

يا مالك الدنيا الذي ... أضحى صلاحا للأمم

يامن محا بالعدل ما ... للظلم فينا من ظلم

يامن تساق له التتا ... ر غنيمة مثل الغنم

خافوا سيوفك أنها ... ستسوقهم نحو النقم

فاتوا لبابك كلهم ... يأوون منه إلى حرم

أمنوا مما يخا ... ف من البلايا والسقم

جعلوا جنابك جنة ... وثرى خيولك مستلم

بسطوا يمنيا للهدا ... ية طالما خضبت بدم

أعطيتهم ما للمؤ ... لفة القلوب من القسم

لا زلت يا ملك الزما ... ن لك الملوك من الخدم

ومنها: أنه زلزلت الموصل زلزلة عظيمة تهدمت أكثر دورها.

ومنها: أن الملك الظاهر جهز صناعا وأخشابا وآلات كثيرة لعمارة المسجد النبوي بعد **حريقه**، فطيف بتلك الأخشاب والآلات فرحة بها، وتعظيما لشأنها، ثم ساروا بها إلى المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلوات.." (١)

"ومنها: أن نور الدين زامل بن علي هرب بسبب فتنة كانت بينه وبين عيسى ابن مهنى، فلما جرى ذلك بينهما مسك السلطان زاملا واعتقله تأديبا له، ثم أطلقه وأصلح بينه وبين عيسى بن مهنى، وأحمد بن حجى، وتوجهوا إلى بلادهم، فلم يلبث زامل أن توجه إلى هلاون، فأعطاه إقطاعا بالعراق، وعاد إلى مشتاه بالحجاز فنهب من وجد، وحضر إلى اوائل الشام، وراسل السلطان في طلب العفو، فلم يجبه، وأرسل إليه من أمسكه وأحضره واعتقله.

ومنها: أنه ورد خبر من بلاد المغرب بأنهم انتصرواعلى الفرنج، وقتلوا منهم خمسة وأربعين ألف مقاتل، وأسروا عشرة آلاف، واسترجعوا ثنتين وثلاثين بلدة منها سرين وأشبيلية وقرطبة ومرسية، وكانت النصرة يوم الجمعة الرابع عشر من رمضان سنة ثنتين وستين وستمائة.

وقال أبو شامة: ورد إلى دمشق كتاب يتضمن أنه ورد إلى القاهرة في جمادي الآخرة من هذه السنة كتاب من المغرب يتضمن نصر المسلمين على النصارى في بر الأندلس، ومقدم المسلمين سلطانهم أبو عبد الله بن أحمر رحمه الله، وكان الفنس ملك النصارى قد طلب منه الساحل من طريف إلى الجزيرة ومالقه إلى المرية، فاجتمع المسلمون ولقوهم فكسروهم مرارا، وأخذ أخو الفنس أسيرا، ثم اجتمع العدو في جمع كثير ونزل على غرناطة فقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة، فجمع من رؤوسهم نحو خمسة وأربعين ألف رأس، فعملوها كوما، وطلع المسلمون عليها وأذنوا، وراح الفنس إلى أشبيلية منهزما، وكان قد دفن أباه بجامع أشبيلية فأخرجه من قبره خوفا من استيلاء المسلمين عليها، وحمله إلى طليطلة.

ومنها: أنه وقع **حريق** عظيم بمصر أتهم به النصارى، فعاقبهم الملك الظاهر عقوبة عظيمة.

وفيها: وفيها: حج بالناس.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

الشيخ زين الدين خالد بن يوسف بن سعد الحافظ النابلسي شيخ دار الحديث النورية بدمشق.

كان عالما بصناعةالحديث، حافظا لأسماء الرجال، اشتغل عليه في ذلك الشيخ محيي الدين النووى وغيره، وكان فيه خير وصلاح، توفي في هذه السنة، ودفن بمقابر الباب الصغير، وتولى بعده مشيخة النورية الشيخ تاج الدين الفزاري.

قاضي القضاة بدر الدين يوسف بن حسن بن علي الكردي السنجاري، باشر قضاء القضاة بالديار المصرية مرارا.

قال أبو شامة: كانت له سيرة معرفة من أخذ الرشا من قضاة الأطراف والشهود والمتحاكمين، إلا أنه كان كريما جوادا، وحصل له ولأتباعه بآخره تشتت ومصادرات.

مات في الرابع عشر من رجب من هذه السنة، ودفن بترتبه بالقرافة، وكان تقدم عند الملوك، وتولى الوزارة أياما قلائل، ودرس بالمدرسة الصالحية بالقاهرة بالطائفة الشافعية، وسمع وحدث.

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٩٤

الشيخ أبو القاسم الحواري يوسف بن أبي القاسم بن عبد السلام الأموي، الشيخ المشهور صاحب الزاوية بحواري، توفي ببلده.

وكان خيرا صالحا، له أتباع وأصحاب يحبونه، وله مريدون في كثير من قرى حوران، وهم حنابلة لا يرون الضرب بالدف؛ بل بالكف، وهم أمثل من غيرهم.

الحافظ أبو بكر محمد بن أبي أحمد يوسف بن موسى المهلبى الأندلسى.

وكان فاضلا حسن المعروفة برواية الحديث، توفي في هذه السنة بمكة.

القاضي أبو يعلى حمزة البهرانى الشافعي الحموي.

كان قاضيا بحماة توفي بها فيها.

الأمير جمال الدين أبو الفتح موسى بن يغمر بن جلدك بن بلهان بن عبد الله.

مات في مستهل شعبان بالقصير من أعمال الفاقوسية بين الغرابى والصالحية، وحمل إلى تربة والده بسفح المقطم، فدفن بها في رابع الشهر المذكور.

ومولده في جمادي الآخرة سنة تسع وستعين وخمسمائة بالغزية، قرية بالقرب من سمهود من أعمال قوص.

وكان أحد الأمراء المشهورين والرؤساء المذكورين، موصوفا بالكرم والمعرفة، معروفا بالرأي والتقدمة.

هلاون: الكلام فيه على أنواع: الأول في نسبه ومبدأ امره: هو هلاون قان بن طلوخان بن جنكزخان ملك التتار، وهو بفتح الهاء واللام وضم الواو وفي آخره نون مثل قلاون، وقد يقال بضم الهاء، ويقال له أيضا: هلاكو بالكاف بعد اللام بغير نون في آخره، ويقال له ايضا: هلالو باللام موضع الكاف.." (١)

"فاجتمع تلابغا ونوغيه، وأخذا في الحديث والاستشارة، فلم يشعر تلابغا إلا والخيول قد أقبلت إليه، فتحير في أمره، وحاق به ما أبرمه نوغيه من مكيدته ومكره، ووقف العسكر ينتظرون ما يأمرهم نوغيه بفعله ليفعلوه، فتقدم إليهم بإنزال تلابغا وأولاد منكوتمر الذين معه عن خيولهم، فأنزلوهم، وأشار بربطهم فربطوهم.

وقال لطقطا: إن هذا تغلب على ملك أبيك وملكك، وهؤلاء بنو أبيك وافقوه على أخذك وقتلك، وقد سلمتهم إليك فاقتلهم أنت كما تشاء، فكمرت رؤوسهم وكسرت، وهم: تلابغا، وألغى، وطغر لجا، وملغان، وقدان، وقتغان أولاد منكوتمر.

وتسلطن طقطا بن منكوتمر بعد تلابغا ببلاد الشمال في سنة تسعين وستمائة، ولما سلم له نوغيه الملك ورتبه فيه رتب عنده إخوته المنتفعين معه وهم: برلك، وصراى بغا، وتدان، وقال: هؤلاء إخوتك يكونون في خدمتك، فاستوص بهم خيرا.

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/١٠٦

وعاد نوغيه إلى مقامه، وبقي في نفسه من الأمراء الذين كانوا اجتمعوا مع تلابغا عليه عندما أرسل يستدعيه إليه، فدبر عليهم، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

؟ فصل فيما وقع من الحوادث في

السنة الحادية والتسعين بعد الستمائة

في الرابع والعشرين من محرم من هذه السنة وقع حريق عظيم بقلعة الجبل، ببعض الخزائن، وقد أتلف شيئا كثيرا من الذخائر والنفائس والكتب، ومن بينها كتب عظيمة من ذخائر الملوك التي تحتوي على العلوم الشريفة.

ذكر فتح قلعة الروم

والسبب في ذلك أن.... صاحب هذه القلعة.... السلطان الملك المنصور صالح.... وأكثروا الفساد، وأن التتار لما حصل بينهم حرب عند وفاة ملكهم جاء الكثير منهم إلى قلعة الروم، فاتفقوا مع أهلها على قطع الطريق إلى المسلمين، وأخذوا منهم أسرى كثيرة، وقطعوا الطرقات، فأرسل نائب حلب بذلك إلى السلطان، وأنه لم يبق في دار الإسلام من قلاع الكفر غير هذه القلعة يفتحها.... .

ولما وقف السلطان الأشرف على كتابه طلب ال أمراء، واستشار بعضهم في ذلك، فأشاروا كلهم بالعزم إليها وفتحها، فكتب إلى نائب حلب ونائب دمشق بتجهيز سائر الآلات للحصار، وأقام أياما يجهز العساكر، ولما كمل ربيع الخيل في مصر، خرج السلطان ثامن ربيع الآخر، وصحبته العساكر المصرية، ووزيره ابن سلعوس، ووصل إلى دمشق سادس جمادى الأولى، وكان يوما مشهودا.

وحضر إليه في دمشق صاحب حماة الملك المظفر، ثم استعرض الجيوش وأنفق فيهم أموالا عظيمة، وجمع عساكر مصر والشام، ثم خرج من دمشق يوم الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى.

وسأل صاحب حماة بيدرا والشجاعي وأكابر الأمراء أن يضيف السلطان إذا نزل بجهة حماة، فتحدثوا مع السلطان فأجاب إليهم، فلما نزل حماة، وكان صاحب حماة قد سبقه، هيأ له ما يحتاج إليه، ومد له سماطا بالميدان، فدخل السلطان والأمراء والجند وغيرهم، وجلس السلطان على رأس السماط، وخدم الملك المظفر، وأراد أن يأخذ شيشنى فمنعه السلطان من ذلك، وبقي واقفا على رأس السماط، وحلف أنه لا يجلس حتى يفرغ السلطان، وصنع أحواض سكر وليمون، وأحواض سكر وسويق، وأحواض أقسما، وأحواض قمز، واحتفل احتفالا عظيما.

وقال صاحب نزهة الناظر: أخبرني علم الدين الطيبرسي أنه سأل مباشري صاحب حماة عن أمر هذا المهم، فأخبره صارم الدين أستاذ داره أنه ذبح في ذلك اليوم ألف رأس ومائتي رأس من الغنم، ومائة فرس، وثمانين بقرة، وعمل ألف صحن من الحلواء.

وقال ابن كثير: وصل السلطان إلى حماة وضرب دهليزه عند ساقية سلمية، ومد له الملك المظفر سماطا عظيما بالميدان، ونصب خيما يليق بنزول السلطان، فنزل السلطان بالميدان، وبسط بين يدي فرسه عدة كبيرة من الشقق الفاخرة، ثم دخل الأشرف دار الملك المظفر بمدينة حماة، فبسط له الملك بين يدي فرسه بسطا ثانيا، وقعد السلطان بالدار، ثم دخل

الحمام وخرج، وجلس على جانب العاصي، ثم راح إلى الطيارة التي على سور باب الثقفي المعروفة بالطيارة الحمراء، فقعد فيها، ثم توجه من حماة وصاحب حماة وعمه في خدمته إلى المشهد، ثم إلى الحمام والزرقاء بالبرية، فصاد شيئا كثيرا من الغزلان وحمر الوحش.." (١)

"والأمير شمس الدين سنقر الكمالي الحاجب.

والأمير علم الدين سنجر الجاولي الأستادار.

والأمير سنقر الأعسر.

والأمير سيف الدين كوري الصالحي السلحدار.

والأمير سيف الدين سودي.

والأمير سيف الدين الملك الجوكندار.

والأمير بدر الدين بكتوت الشجاعي.

والأمير بدر الدين بكتوت القرماني.

والأمير نظام الدين آدم.

والأمير علاء الدين علي.

والأمير سيف الدين سموك.

والأمير سيف الدين أدكاون الحسامي.

والطواشي شهاب الدين بن مرشد الخزندار.

وآخرون من الأمراء جملتهم خمسة وعشرون أميرا، وحجوا وتوجهوا من المدينة النبوية إلى القدس الشريف، فقدسوا حجهم، والتحقوا بالركب، ودخلوا المدينة صحبة سلار.

وكان الذي حج بالركب المصري فيها سيف الدين الناق الحسامي، وجهز سلار في البحر عشرة آلاف أردب قمح برسم الصدقة، وجهز سنقر الأعسر ألف أردب، وكل أمير منهم سير على قدره لأجل الصدقة، وتصدقوا، وانتفع أهل الحرمين والمجاورين بها نفعا كثيرا.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

الشيخ القدوة الورع أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن معالي بن محمد ابن عبد الكريم الرقي الحنبلي.

ومولده بالرقة في سنة سبع وأربعين وستمائة، اشتغل وحصل وسمع شيئا من الحديث، وقدم دمشق فسكن بالمأذنة الشرقية في أسفلها، بأهله، إلى جانب الطهارة بالجامع وكان معظما عند الخاص والعام، فصيح العبارة، كثير العبادة، خشن العيش، حسن المجالسة، لطيف المفاكهة، كثير التلاوة، عارفا بالتفسير والحديث والفقه والأصلين، وله مصنفات وخطب وشعر حسن، وفي عمره ما أكل شيئا من الوقف، وكان يعرض عليه المناصب فلا يتولى شيئا، وكانت له رياضات

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٢٣٤

ومجاهدات، وكانت وفاته بمنزله ليلة الجمعة الخامس عشر من المحرم، وصلى عليه نائب السلطان وأكثر أهل البلد، ودفن بسفح قاسيون بتربة الشيخ أبي عمر، رحمهما الله.

الخطيب ضياء الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الخطيب جمال الدين أبي الفرج عبد الوهاب بن علي بن أحمد بن عقيل العقيلي السلمي.

خطيب بعلبك نحوا من ستين سنة، بعد والده، وكان مولده في سنة أربع عشرة وستمائة، سمع الكثير، وتفرد عن القزويني، وكان رجلا جيدا حسن القراءة، من كبار العدول، توفي ليلة الإثنين ثالث صفر، ودفن بباب سطحا.

الشيخ زين الدين أبو محمد عبد الله بن مروان بن عبد الله بن الحسن الفارقي، شيخ الشافعية.

ولد سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وسمع الحديث الكثير، واشتغل، ودرس في عدة مدارس، وأفتى مدة طويلة، وهو الذي عمر دار الحديث بعد خرابها من زمن قازان حين احترقت، وقد باشرها سبعا وعشرين سنة، من بعد النووي إلى حين وفاته، وكانت معه الشامية البرانية، والخطابة، وإنما باشر الخطابة تسعة أشهر قبل وفاته، وقد انتقل إلى دار الخطابة، وكانت وفاته بها يوم الجمعة بعد العصر، وصلى عليه ضحى يوم السبت القاضي ابن صصرى عند باب الخطابة، وبسوق الخيل قاضي الحنفية ابن الحريري، وعند الجامع بالصالحية قاضي الحنابلة تقي الدين سليمان، ودفن بتربة أهله شمالي تربة الشيخ أبي عمر، رحمه الله.

الشيخ حسن بن السراج الحلبي – من قرية باب الله – المقرىء، وكان هو الملقن بالكلاسة، وكان مجتهدا على التلاوة، وعمر حتى انحنى كثيرا زائدا عن حد الركوع، مات في هذه السنة ودفن بمقبرة باب الصغير.

الصدر كمال الدين موسى بن قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان.

مات فيها بقاسيون، ودفن عند والده، ومولده سنة خمسين وستمائة، وكان عاقلا ذكيا ذا مروءة.

الشيخ الصالح الزاهد بدر الدين علي بن محمد السمرقندي الحنفي.

شيخ خانقاة خاتون، وشيخ الخانقاة الشبلية، مات في هذه السنة ودفن بقاسيون، وكان دينا، متنعما، يلبس الرفيع من الثياب الحسان، وعنده تجمل ومكارم أخلاق.

الصاحب الوزير الصدر الكبير فتح الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد ابن خالد بن محمد بن نصر القرشي المخزومي، المعروف بابن القيسراني الحلبي.." (١)

"قال ابن الأثير: لما احترقت الكعبة حين غزا أهل الشأم عبد الله بن الزبير أيام يزيد بن معاوية تركها ابن الزبير يشنع بذلك على أهل الشأم، فلما مات يزيد واستقر الأمر لابن الزبير شرع في بنائها، فأمر بهدمها حتى التحقت بالأرض وكانت قد مالت حيطانها من حجارة المنجنيق، وجعل «الحجر الأسود» عنده، وكان الناس يطوفون من وراء الأساس وضرب عليها السور «١» وأدخل فيها الحجر، واحتج بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها: «لولا حدثان عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس إبراهيم- عليه السلام- وأزيد فيها من الحجر» . فحفر ابن

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٤٤٩

الزبير فوجد أساسا أمثال الجبال فحركوا منها صخرة فبرقت بارقة؛ فقال: أقروها على أساسها وبنائها، وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر، وقيل كانت عمارتها سنة أربع وستين.

*** السنة التي حكم فيها عبد الرحمن بن جحدم على مصر من قبل عبد الله بن الزبير وهي سنة خمس وستين- فيها وقع الطاعون الجارف بالبصرة في قول ابن الأثير وعليها عبد الله بن عبيد الله بن معمر، فهلك خلق كثير وماتت أم عبيد الله فلم يجدوا لها من يحملها. وفيها حج بالناس عبد الله بن الزبير وكان على المدينة أخوه مصعب بن الزبير وعلى الكوفة ابن مطيع وعلى البصرة الحارث بن أبي ربيعة المخزومي وعلى خراسان عبد الله بن خازم. وفيها وجه مروان بن الحكم الخليفة حبيش ابن دلجة في أربعة آلاف إلى المدينة وقال له: أنت على ما كان عليه مسلم بن عقبة، فسار حبيش ومعه عبيد الله بن الحكم أخو مروان وأبو الحجاج يوسف الثقفي وابنه الحجاج وهو شاب، فجهز متولي البصرة من جهة ابن الزبير، وهو عبيد الله التيمي، جيشا." (١)

"ابن سراق بن صبح الأزدي العتكي «١» البصري، وفي اسم المهلب أقوال كثيرة، قيل:

اسمه سارق بن ظالم، وقيل بالعكس، وقيل طارق بن سارق، وقيل قاطع بن سارق وقيل الذي ذكرناه أولا؛ الأمير أبو سعيد أحد أشراف أهل البصرة ووجوههم وفرسانهم، ولد عام الفتح في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وولي الأعمال الجليلة، وله مواقف مع الروم وغيرها إلى أن توفي.

أمر النيل في هذه السنة- الماء القديم سبعة أذرع وثمانية أصابع، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وواحد وعشرون إصبعا.

*** السنة التاسعة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهي سنة أربع وثمانين- فيها فتحت المصيصة على يد عبد الله بن عبد الملك بن مروان.

وفيها افتتح موسى بن نصير ملك درنة من بلاد المغرب، فقتل وسبى حتى قيل:

إن السبي بلغ خمسين ألفا. وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية فهزمهم وحرق كنائسهم، وتسمى سنة **الحريق**. وفيها قتل الحجاج أيوب بن القرية وكان من فصحاء العرب وبلغائهم وأجوادهم، كان خرج أيضا مع محمد بن الأشعث، واسمه أيوب ابن زيد بن قيس أبو سليمان الهلالي، ثم ندم الحجاج على قتله. وابن القرية هذا له حكايات كثيرة في الجود والكرم والفصاحة، منها: أنه لما أحضره الحجاج ليقتله، فقال له ابن القرية: أقلني عثرتي، واسقني ريقي فإنه «ليس «٢» جواد إلا له كبوة، ولا شجاع إلا له هبوة، ولا صارم إلا له نبوة» ؛ فقال الحجاج: كلا! والله لأزيرنك «٣»." (٢)

"ابن علي بن عبد الله بن عباس ببلاد الروم غازيا، وكان عمره سبعا وعشرين سنة، قاله ابن الأثير؛ والأصح أنه مات في القابلة.

أمر النيل في هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع سواء، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وإصبعان.

*** السنة الثالثة من ولاية الحر بن يوسف على مصر وهي سنة ثمان ومائة- في ذي الحجة منها حكم بمصر حفص

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٦٨/١

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٠٧/١

بن الوليد. وفيها غزا ولد الحليفة معاوية بن هشام أرض الروم وجهز بين يديه الأبطال «١» الى حنجر «٢» فافتتحها. وفيها غزا أخو الخليفة مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فافتتح قيسارية «٣» . وفيها وقع **حريق** عظيم بدابق، **احترقت** المواشي والدواب والرجال. وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام المخزومي.

وفيها توفي موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو عيسى الهاشمي وهو أخو السفاح والمنصور لأبيهما وأخو إبراهيم لأمه وأبيه، مات في حياة أبيه محمد غازيا في بلاد الروم وله ثمان عشرة سنة. وفيها توفي نصيب بن رباح أبو محجن الشاعر المشهور مولى عبد العزيز بن مروان، وأمه نوبية فجاءت به أسود فباعه عمه وكان من العرب من بنى الحاف بن قضاعة، وقيل: إنه هرب فدخل على عبد العزيز ومدحه، فقال: ما حاجتك؟ فقال: أنا عبد «٤» ، فقال عبد العزيز للمقومين: قوموه، فقالوا: عبد أسود ليس له قيمة، قيمته مائة دينار، قال أبو محجن عن نفسه:

إنه راعي إبل يحسن القيام عليها، قالوا: مائتا دينار، قال: إنه يبري النبل ويريشها، قالوا: ثلثمائة دينار، قال: إنه يرمي ويصيب، قالوا: أربعمائة دينار،." (١)

"فكانت مدة سلطنته هذه الأولى ثلاث سنين وتسعة أشهر وأربعة عشر يوما، منها مدة الحجر عليه ثلاث سنين، ومدة استبداده بالأمر نحو تسعة أشهر وأربعة عشر يوما، وكان القائم بدولته فى أيام الحجر عليه الأمير شيخون العمرى رأس نوبة النوب، وإليه كان أمر خزانة الخاص، ومرجعه لعلم الدين ابن زنبور ناظر الخاص. وكان الأمير منجك اليوسفى الوزير والأستادار ومقدم المماليك، إليه التصرف فى [أموال «١»] الدولة. والأمير بيبغا أرس نائب السلطنة وإليه حكم العسكر وتدبيره، والحكم بين الناس. وكان المتولى لتربية السلطان حسن خوند طغاى زوجة أبيه، ربته وتبنت به. وكانت الست حدق الناصرية دادته.

وكان الأمراء المذكورون رتبوا له فى أيام سلطنته، فى كل يوم مائة درهم، يأخذها خادمه من خزانة الخاص، وليس ينوبه سواها، وذلك خارج عن سماطه وكلفة حريمه، فكان ما ينعم به السلطان حسن فى أيام سلطنته ويتصدق به من هذه المائة درهما لا غير، إلى أن ضجر من الحجر، وسافر النائب بيبغا أرس والأمير طاز إلى الحجاز، وخرج شيخون، إلى العباسة «٢» للصيد، واتفق السلطان حسن مع مغلطاى الأمير آخور وغيره على ترشيده، فترشد حسب ما ذكرناه. واستبد بالدار المصرية. ثم قبض على منجك وشيخون وبيبغا أرس، إلى أن كان من أمره ما كان، على أنه سار فى سلطنته بعد استبداده بالأمور مع الأمراء أحسن سيرة، فإنه اختص بالأمير طاز بعد حضوره من الحجاز، وبالغ فى الإنعام عليه.

وكانت أيامه شديدة، كثرت فيها المغارم، بما أحدثه الوزير «٣» منجك بالنواحى، وخربت عدة أملاك على النيل، **واحترقت** مواضع كثيرة بالقاهرة ومصر، وخرجت." (٢)

"الأمير إياجى نائب قلعتها يأمره بالإفراج عن قردم وأن بفتح أبواب المدينة، ففتح أبواب المدينة ولم يفرج عن قردم فركب الأمير أحمد الساقى نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس من الغد ليغيرا على الضياع فوافى بعض عسكر بيبغا أرس

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٦٢/١

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٣٢/١٠

نجابا يخبر بمسك منجك ومسير السلطان من خارج القاهرة، وعاد أحمد وبكلمش فى يوم الاثنين رابع عشر شعبان وقد نزل طاز بمن معه المزيرب فارتج عسكر بيبغا أرس وتواعد قراجا بن دلغادر وحيار بن مهنا على الرحيل، فما غربت الشمس إلا وقد خرجا بأثقالهما وأصحابهما وسارا، فخرج بيبغا أرس فى أثرهما فلم يدركهما، وعاد بكرة يوم الثلاثاء فلم يستقر قراره، حتى دقت البشائر بقلعة دمشق، بأن الأمير طاز والأمير أرغون الكاملى نائب الشام وافيا دمشق وأن الأمير شيخون والسلطان ساقة؛ فبهت بيبغا أرس وتفرق عنه من كان معه، فركب عائدا إلى حلب فى تاسع عشر شعبان، فكانت إقامته بدمشق أربعة وعشرين يوما، أفسد أصحابه بدمشق فيها مفاسد وقبائح من النهب والسبى والحريق والغارات على الضياع من حلب إلى دمشق وفعلوا كما فعل التتار أصحاب قازان وغيره، فبعث السلطان الأمير أسندمر العلائى إلى القاهرة بالبشارة فقدمها يوم الجمعة خامس عشرين شعبان، ودقت البشائر لذلك وزينت القاهرة

وأما السلطان الملك الصالح فإنه التقى مع الأمير أرغون شاه الكاملى نائب الشام على بدعرش من عمل غزة، وقد تأخر معه الأمير طاز بمن معه فدخلوا غزة، وخلع السلطان على أرغون المذكور باستمراره فى نيابة دمشق، وأنعم عليه بأربعمائة ألف درهم وأنعم على أمير مسعود بن خطير بألف دينار، وعلى كل أمراء دمشق كل واحد قدر رتبته، فكان جملة ما أنفق السلطان فيهم ستمائة ألف درهم، وتقدم الأمير شيخون والأمير طاز والأمير أرغون نائب الشام إلى دمشق وتأخر الأمير صرغتمش." (١)

"برقوق ألطنبغا شادى وجماعة من مماليك ألجاى اليوسفى ثم أمسك بعد ذلك بمدة سبعة عشر أميرا وقيدهم وأرسلهم إلى الإسكندرية.

ثم في حادى عشرين شهر ربيع الأول سمر برقوق آقبغا البشمقدار ومعه أحد عشر مملوكا من المماليك السلطانية، وعشرين من مماليك طشتمر الدوادار لكلام صدر منهم في حق برقوق.

وفي أول هذه السنة (أعنى سنة ثمانين) كان الحريق العظيم بديار مصر بظاهر باب زويلة «١» ، احترق فيه الفاكهيون «٢» والنقليون والبراذعيون وعمل الحريق إلى سور القاهرة، فركب الأمير بركة والأمير أيتمش والأمير قرادمرداش الأحمدى وجماعة كبيرة من الأمراء والحكام، حتى قدروا على طفيه بعد أيام واستمر مواضع الحريق خرابا من أول هذه السنة إلى آخرها.

ثم في سادس عشرين ذى القعدة اجتمع الأمراء والقضاة عند الأتابك برقوق وقالوا: إن العساكر قلت في الإسلام ونريد أن نحل الأوقاف المحدثة، بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون، فمنعهم الشيخ سراج الدين البلقينى من ذلك، فلم يسمعوا له وحلوا أوقاف الناس وجعلوها إقطاعات وفرقوها.." (٢)

"فيهم خمسة عشر أميرا، وقتل من أصحاب الملك الظاهر ستون نفسا، ومن أمرائه سبعة نفر، فهى أعظم وقعة كانت للملك الظاهر برقوق في عمره.

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٧٤/١٠

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٦٦/١١

وركب الملك الظاهر أقفية الشاميين إلى دمشق، فامتنع جنتمر بقلعة دمشق، وتوجه من أمراء دمشق ستة وثلاثون أميرا، ونحو ثلاثمائة وخمسين فارسا وقد أثخنوا بالجراحات ومعهم نائب صفد وقصدوا الديار المصرية.

فلم يمص غير يوم واحد حتى عاد ابن باكيش نائب غزة بجماعة كبيرة من العربان والعشير لقتال الملك الظاهر، وبلغ الملك الظاهر ذلك فأرسل الوالد وقلمطاى لكشف الخبر، فعادا إليه بسرعة بحضور ابن باكيش، فركب الملك الظاهر في الحال وخرج إليه والتقى معه وقاتله حتى كسره، وأخذ جميع ما كان معه من الأثقال والخيول والسلاح، تقوى الملك الظاهر بذلك، وأتاه عدة كبيرة من مماليكه الذين كانوا بالبلاد الشامية في خدمة أمراء الشام، ثم دخل في طاعته الأمير جبريل حاجب حجاب دمشق، وأمير على بن أسندمر الزينى، وجقمق الصفوى، ومقبل الرومى، وصاروا من جملة عسكره، فعند ذلك ركب الملك الظاهر إلى دمشق، وحصرها وأحرق القبيبات وأخربها، فهلك في **الحريق** خلق كبير وأخذ أهل دمشق في قتال الملك الظاهر برقوق، وأفحشوا في أمره بالسب والتوبيخ، وهو لا يفتر عن قتالهم؛ وبينما هو في ذلك أتاه المدد من الأمير كمشبغا الحموى نائب حلب ومن جملة المدد ثمانون مملوكا من المماليك الظاهرية البرقوقية، فلما بلغ جنتمر مجينهم أخرج إليهم من دمشق خمسمائة فارس ليحيلوا بينهم وبين الملك الظاهر، فقاتلتهم المماليك الظاهرية وكسرتهم، وأخذوا جميع ما كان معهم، وأتوا بهم إلى أستاذهم الملك الظاهر، ففرح بهم غاية الفرح.." (١)

"مع قطع الأشجار وهدم البيوت وإحراق المساجد، وجافت حلب وظواهرها من القتلى، بحيث صارت الأرض منهم فراشا، لا يجد الشخص مكانا يمشى عليه إلا وتحت رجليه رمة قتيل. وعمل تيمور من رءوس المسلمين منائر «١» عدة مرتفعة من الأرض نحو عشرة أذرع فى دور عشرين ذراعا، حسب ما فيها من رءوس بنى آدم فكان زيادة على عشرين ألف رأس، ولما بنيت جعلت الوجوه بارزة يراها من يمر بها.

ثم رحل تيمور «٢» من حلب «٣» بعد أن أقام بها شهرا، وتركها خاوية على عروشها، خالية من سكانها وأنيسها، قد خربت وتعطلت من الأذان والصلوات، وأصبحت خرابا يبابا مظلمة **بالحريق** موحشة قفرا، لا يأويها إلا البوم والرخم.

وسار تيمور قاصدا جهة دمشق، فمر بمدينة حماة، وكان أخذها ابنه ميران «٤» شاه.

وكان من خبرها أن ميران شاه بن تيمور نزل عليها بكرة يوم الثلاثاء رابع عشر شهر ربيع الأول المذكور، وأحاط بها بعساكره، بعد أن نهب خارج مدينة حماة، وسبى النساء والأطفال، وأسر الرجال، واستمرت أيدى أصحابه يفعلون فى النساء." (٢)

"فلما صار ابن مفلح بدمشق شرع يخذل الناس عن القتال ويثنى على تيمور ودينه وحسن اعتقاده ثناء عظيما، ويكف أهل دمشق عن قتاله، فمال معه طائفة من الناس، وخالفه طائفة أخرى وأبوا إلا قتاله، وباتوا ليلة السبت على ذلك، وأصبحوا نهار السبت وقد غلب رأى ابن مفلح على من خالفه، وعزم على إتمام الصلح، ونادى فى الناس: إنه من خالف ذلك قتل وهدر دمه؛ فكف الناس عن القتال.

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣٥٦/١١

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٢٥/١٢

وفى الحال قدم رسول تيمور إلى مدينة دمشق فى طلب الطقزات المذكورة، فبادر ابن مفلح، واستدعى من القضاة والفقهاء والأعيان والتجار، حمل ذلك كل أحد بحسب حاله، فشرعوا فى ذلك حتى كمل، وساروا به إلى باب النصر «١» ليخرجوا به إلى تيمور، فمنعهم نائب قلعة دمشق من ذلك، وهددهم **بحريق** المدينة عليهم إن فعلوا ذلك، فلم يلتفتوا إلى قوله، وقالوا له: [أنت «٢»] احكم على قلعتك، ونحن نحكم على بلدنا، وتركوا باب النصر وتوجهوا، وأخرجوا الطقزات المذكورة من السور، وتدلى ابن مفلح من السور أيضا ومعه كثير من أعيان دمشق وغيرهم وساروا إلى مخيم تيمور، وباتوا به ليلة الأحد، وعادوا بكرة الأحد، وقد استقر تيمور بجماعة منهم فى عدة وظائف: ما بين قضاة القضاة، والوزير، ومستخرج الأموال، ونحو ذلك، معهم فرمان من تيمور لهم، وهو ورقة فيها تسعة أسطر يتضمن أمان أهل دمشق على أنفسهم." (١)

"الرماد مسحوقا، فيقر على «١» ما عنده شيئا بعد شيء، حتى إذا فرغ ما عنده لا يصدقه صاحبه على ذلك، فلا يزال يكرر عليه العذاب حتى يموت، ويعاقب ميتا مخافة أن يتماوت. ومنهم من كان يعلق المعذب بإبهام يديه فى سقف الدار ويشعل النار تحته، ويطول تعليقه، فربما يسقط فيها، فيسحب من النار ويلقوه على الأرض حتى يفيق، ثم يعلقه ثانيا.

واستمر هذا البلاء والعذاب بأهل دمشق تسعة عشر يوما، آخرها يوم الثلاثاء ثامن عشرين شهر رجب من سنة ثلاث وثمانمائة، فهلك فى هذه المدة بدمشق بالعقوبة والجوع خلق لا يعلم عددهم إلا الله تعالى.

فلما علمت أمراء تيمور أنه لم يبق بالمدينة شيء خرجوا إلى تيمور، فسألهم: هل بقى لكم تعلق فى دمشق؟ فقالوا: لا؛ فأنعم عند ذلك بمدينة دمشق على أتباع الأمراء فدخلوها يوم الأربعاء آخر رجب، ومعهم سيوف مسلولة مشهورة وهم مشاة، فنهبوا ما قدروا عليه من آلات الدور وغيرها، وسبوا نساء دمشق بأجمعهن، وساقوا الأولاد والرجال، وتركوا من الصغار من عمره خمس سنين فما دونها، وساقوا الجميع مربوطين فى الحبال.

ثم طرحوا النار فى المنازل والدور والمساجد، وكان يوم عاصف الريح، فعم **الحريق** جميع البلد حتى صار لهيب النار يكاد أن يرتفع إلى السحاب، وعملت النار فى البلد ثلاثة أيام بلياليها آخرها يوم الجمعة.

وكان تيمور– لعنه الله– سار من دمشق فى يوم السبت ثالث شهر شعبان «٢» بعد ما أقام على دمشق ثمانين يوما، وقد **احترقت** كلها وسقطت سقوف جامع بنى أمية." (٢)

"من **الحريق**، وزالت أبوابه وتفطر رخامه، ولم يبق غير جدره قائمة. وذهبت مساجد دمشق ودورها وقياسرها «١» وحماماتها وصارت أطلالا بالية ورسوما خالية، ولم يبق بها [دابة تدب «٢»] إلا أطفال يتجاوز عددهم [آلاف «٣»] فيهم من مات، وفيهم من سيموت من الجوع.

وأما السلطان [الملك الناصر «٤» فرج] فإنه أقام بغزة ثلاثة أيام، وتوجه إلى الديار المصرية بعد ما قدم بين يديه آقبغا

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٤٠/١٢

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٤٥/١٢

الفقيه أحد الدوادارية، فقدم إلى القاهرة فى يوم الاثنين ثانى جمادى الآخرة، وأعلم الأمير تمراز نائب الغيبة بوصول السلطان إلى غزة، فارتجت القاهرة، وكادت عقول الناس تزهق، وظن كل أحد أن السلطان قد انكسر من تيمور، وأن تيمور فى أثره، وأخذ كل أحد يبيع ما عنده ويستعد للهروب من مصر، وغلا أثمان ذوات الأربع حتى جاوز المثل أمثالا.
فلما كان يوم الخميس خامس جمادى الآخرة المذكور قدم السلطان إلى قلعة الجبل ومعه الخليفة وأمراء الدولة ونواب البلاد الشامية، ونحو ألف مملوك من المماليك السلطانية، وقيل نحو الخمسمائة.
ثم فى يوم السبت سابع جمادى الآخرة المذكور أنعم السلطان على الوالد بإمرة مائة، وتقدمة «٥» ألف بالديار المصرية كانت موفرة فى الديوان السلطانى، بعد استعفائه." (١)

"طرسوس لا غير، ثم فرق الدراهم على الحاضرين، وصرف الرسول إلى جهة نزل فيها.
وعمل السلطان الخدمة فى يوم السبت سابع شهر ربيع الآخر بالعمق، وحلف التركمان على طاعته، وأنفق فيهم الأموال، وخلع عليهم نحو مائتى خلعة، وألبس إبراهيم بن رمضان الكلفتة «١» ، وخلع عليه.
ثم تقرر الحال على أن قجقار القردمى نائب حلب يتوجه بمن معه إلى مدينة طرسوس، ويسير السلطان على مدينة مرعش إلى أبلستين ويتوجه رسول ابن قرمان بجوابه ويعود إلى السلطان فى مستهل جمادى الأولى بتسليم طرسوس، فإن لم يحضر مشى السلطان على بلاده، فسار الرسول صحبة نائب حلب إلى طرسوس، وسار السلطان إلى أبلستين فنزل بالنهر الأبيض فى حادى عشره، فقدم عليه كتاب قجقار القردمى نائب حلب بأنه لما نزل بغراس قدم عليه خليفة الأرمن وأكابر الأرمن وعلى يدهم مفاتيح قلعة سيس «٢» ، وأنه جهزهم إلى السلطان، فلما مثلوا بين يدى السلطان خلع عليهم وأعادهم إلى القلعة بعد أن ولى نيابة سيس للشيخ أحمد أحد أمراء العشرات بحلب، ثم رحل السلطان حتى نزل بمنزلة كوخيك «٣» ، فقدم عليه بها كتاب آقباى نائب الشام بأن حسين بن كبك أحرق ملطية، وأخذ أهلها وفر منها فى سابع عشر شهر ربيع الأول، وأنه نزل بملطية وشاهد ما بها من الحريق، وأنه لم يتأخر بها إلا الضعيف العاجز، وأن فلاحى بلادها نزحوا بأجمعهم عنها، وأن ابن كبك نزل عند مدينة دوركى «٤» ، فندبه السلطان أن يسير خلفه حيث سار، ثم أمر السلطان ولده المقام." (٢)

"ثم ألقوا النار فيها فأحرقوها بعد ما أخلوها من جميع ما كان فيها، وقتلوا من كان بها وبالمدينة من الرجال والمقاتلة، حتى جاوز فعلهم الحد.
ثم أخربوا المدينة وألقوا النار فيها فاحترقت واحترق فى الحريق جماعة من النسوة فإنهن اختفين فى الأماكن من البلد خوفا من العسكر، فلما احترقت المدينة احترقن الجميع فى النار التى أضرمت بسكك المدينة وخباياها، واحترق أيضا معهن عدة كبيرة من أولادهن.
هذا بعد أن أسرفوا فى القتل بحيث إنه كان الطريق قد ضاق من كثرة القتلى، وفى الجملة فقد فعلوا بمدينة الرها فعل

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٤٦/١٢

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٤٩/١٤

التمرلنكيين وزيادة من القتل والأسر والإحراق والفجور بالنساء- فما شاء الله كان.
ثم رحلوا من الغد فى يوم الاثنين ثالث عشرينه وأيديهم قد امتلأت من النهب والسبى، فقطعت منهم عدة نساء من التعب فمتن عطشا، وبيعت منهن بحلب وغيرها عدة كبيرة.
قال المقريزى: وكانت هذه الكائنة من مصيبات الدهر.
[الوافر]
وكنا نستطب إذا مرضنا ... فجاء الداء من قبل الطبيب
لقد عهدنا ملك مصر إذا بلغه عن أحد من ملوك الأقطار قد فعل مالا يجوز أو فعل ذلك رعيته بعث ينكر عليه ويهدده، فصرنا نحن نأتى من الحرام بأشنعه ومن القبيح بأفظعه- وإلى الله المشتكى- انتهى كلام المقريزى.
قلت: لم يكن ما وقع من هؤلاء الغوغاء بإرادة الملك الأشرف، ولا عن أمره ولا فى حضوره، وقد تقدم أن نواب البلاد الشامية وأكابر الأمراء." (١)

"بركوت المكينى عن حسبة القاهرة، واستقر عوضه بالحاج خليل المدعو قانى باى اليوسفى المهمندار، مضافا إلى المهمندارية «١» .
ثم في يوم الخميس ثامن عشرينه وصل إلى القاهرة قصاد الصارمى إبراهيم بن قرمان، صاحب قونية وغيرها، وعلى يدهم كتب ابن قرمان المذكور تتضمن الترقق والاستعطاف، وأنه داخل تحت طاعة السلطان، وأنه إن كان وقع منه ما أوغر خواطر السلطنة، فقد جرى عليه وعلى بلاده من العساكر السلطانية ما فيه كفاية من النهب والسبى والإحراق وغير ذلك، وأنه يسأل الرضى عنه، وأشياء غير ذلك مما ذكرناه بالمعنى، فعفا السلطان عنه بعد توقف كبير.
وفي يوم الجمعة تاسع عشرين جمادى الأولى المذكور سافر الأمير بردبك الدوادار الثانى صهر السلطان زوج ابنته إلى دمشق، لينظر جامعه الذي أنشأه بها.
ثم في يوم الاثنين عاشر جمادى الآخرة خلع السلطان على «٢» أيدكى الأشرفى الخاصكى ليسافر إلى ابن قرمان صحبة قصاده، لتقرير الصلح بين السلطان وبينه.
وفي يوم الجمعة رابع عشره- الموافق لثالث بشنس أحد شهور القبطلبس السلطان القماش الأبيض البعلبكى، المعد لأيام الصيف على العادة في كل سنة.
ثم في يوم الخميس خامس شهر رجب من سنة اثنتين وستين المذكورة شفع الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص عند السلطان في الأمير تمربغا أن يفرج عنه من حبس الصبيبة، فسمح السلطان له بذلك، ورسم له أن يتوجه من الصبيبة

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣٣٣/١٤

إلى دمشق، ويقيم بها لعمل مصالحه لأيام الحج، ويسافر إلى مكة ويقيم بها بطالا، فوقع ذلك.

ثم في يوم الجمعة سادس شهر رجب المذكور كان **الحريق** العظيم بساحل بولاق." (١)

"الذي لم نسمع بمثله في سالف الأعصار إلا قليلا، بحيث إنه أتى على غالب أملاك بولاق من ساحل النيل إلى خط البوصة التي هى محل دفن أموات أهل بولاق، وعجزت الأمراء والحكام عن إخماده.

وكان أمر هذا **الحريق** أنه لما كان صبيحة يوم الجمعة سادس رجب من سنة اثنتين وستين المذكورة هبت ريح عظيمة مريسى «١» ، وعظمت حتى اقتلعت الأشجار وألقت بعض مبان، واستمرت في زيادة ونمو إلى وقت صلاة الجمعة، فلما كان وقت الزوال أو بعده بقليل احترق ربع الحاج عبيد البرددار بساحل البحر «٢» ، وذهب الربع في **الحريق** عن آخره ومات فيه جماعة من الناس، كل ذلك في أقل من ساعة رمل، ثم انتقلت النار إلى ربع القاضى زين الدين أبى بكر بن مزهر وغيره، وهبت الرياح وانتشرت النيران على الأماكن يمينا وشمالا «٣» ، هذا وحاجب الحجاب «٤» وغيره من الأمراء والأعيان وكل أحد من الناس في غاية الاجتهاد في تخميد النار بالطفى والهدم، وهى لا تزداد إلا قوة وانتشارا على الأماكن، إلى أن وصلت النار إلى ربع الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص، وإلى الحواصل التي تحته، وأحرقت أعلاه وأسفله، وذهب فيه من بضائع الناس المخزونة فيه ما لا ينحصر كثرة «٥» ، وسارت النار إلى الدور والأماكن من كل جهة.

هذا وقد حضر **الحريق** جميع أمراء الدولة بمماليكهم وحواشيهم، شيئا بعد شىء،." (٢)

"والأمر لا يزداد إلا شدة، إلى أن صار الذي حضر من الناس لأجل طفى النار كالمتفرج من عظم النار والعجز عن إخمادها، وصارت النار إذا وقعت بمكان لا تزال به حتى يذهب جميعه، ويضمحل عن آخره، فعند ذلك فطن كل أحد أن النار تسير من دار إلى دار إلى أن تصل إلى القاهرة؛ لعظم ما شاهدوا من هولها، والريح المريسى يتداول هبوبها من أول النهار إلى نصف الليل، ولشدة هبوب الريح صارت رياحا لأنها بقت تارة تهب مريسيا، وهو الأكثر، وتارة شمالا، وتارة غير ذلك من سائر الجهات، فيئس كل من كان له دار تحت الريح، وتحقق زوالها، وشرع في نقل متاعه وأثاثه، وهو معذور في ذلك، لأننا لم نشاهد في عمرنا مثل هذا **الحريق**؛ لما اشتمل عليه من الأمور الغريبة، منها سرعة الإحراق، حتى إن الموضع العظيم من الأماكن الهائلة يذهب **بالحريق** في أسرع وقت، ومنها أن المكان العظيم كان يحترق وبجانبه مكان آخر لم تلحقه شرارة و ا حدة، وربما احترق الذي كان بالبعد عن تلك الدار المحروقة من شرارها، والتي بالقرب سالمة، ووقع ذلك بعدة أماكن، أعجبها وأغربها مسجد كان بالقرب من ساحل البحر وبه منارة من غرد «١» قصيرة، وكان هذا المسجد في وسط **الحريق** والشرار يتطاير من أعلاه من الجهات الأربع من أول **الحريق** إلى آخره، لم تتعلق به شرارة واحدة، وفي المسجد المذكور قبر رجل صالح مدفون فيه قديما يعرف بالشيخ محمد المغربى.

واستمر الأمراء والأعيان يشاهدون **الحريق**، ويطفئون ما قدروا عليه من أطراف المواضع المنفردة، وأما **الحريق** العظيم فلا

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١١٩/١٦

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٢٠/١٦

يستجرئ أحد أن يقربه لعظمه بل يشاهدونه من بعد، واستمروا على ذلك إلى بعد أذان عشاء الآخرة، ثم ذهب كل واحد إلى داره والنار عمالة إلى نصف الليل، فأخذ أمر الريح في انحطاط.

فلما كان باكر نهار السبت سابع شهر رجب المذكور نزل المقام الشهابى أحمد بن." (١)

"السلطان من قلعة الجبل، وتوجه إلى بولاق لأجل الحريق، فوجد جميع أمراء الدولة هناك كما كانوا في أمسه، فلم يؤثر حضور الجميع في النار شيئا، غير أن الريح كان سكن وأخذت النار حدها في الإحراق من كل مكان كانت به، فعند ذلك اجتهد كل أحد في إخمادها، وهدم ما تعلق به النار من الأماكن، وأقاموا على ذلك أياما كثيرة، والنار موجودة في الأماكن والجدر والحيطان، والناس تأتي لبولاق أفواجا أفواجا للفرجة على هذا الحريق العظيم، حتى صارت تلك الأماكن كبعض المفترجات، وعملت الشعراء والأدباء في هذا الحريق عدة قصائد وقطع، وقد أنشدنى الشيخ علم الدين الإسعردى الحصنى «١» قصيدة من لفظه لنفسه في هذا المعنى أولها: [البسيط]

أتتهم الذاريات ذروا ... وتلوها العاصفات عصفا

أثبت هذه القصيدة في تاريخنا «الحوادث» كونه محل ذكر هذه الأشياء، والقصيدة المذكورة نظم عالم لا شاعر، وقد حررنا أيضا في تاريخنا «الحوادث» ما ذهب في هذا الحريق من الأماكن تخمينا، فكان عدة ما احترق فيه من الأرباع زيادة على ثلاثين ربعا، كل ربع يشتمل على مائة سكن وأكثر، أعنى أعاليه وأسفله، وما به من الحوانيت والمخازن ذكرناها في «الحوادث» بأسمائها، ماخلا الدور والأماكن والأفران والحوانيت وغير ذلك.

وقد اختلف في سبب هذا الحريق على أقوال كثيرة.

منهم من قال: إنها صاعقة نزلت من السماء والخطيب على المنبر.

ومنهم من قال: إنه نزلت من جهة السماء نوع شرارة فاحترق المكان الأول منها.

ومنهم من قال: إن الأرض كأن النار تنبع منها.." (٢)

"والأقوال كلها على أن سبب هذه النار آفة سماوية.

ثم بعد ذلك بأيام أشيع أن الذي كان يفعل ذلك- أعنى يلقى النار في الأماكن- هم جماعة من القرمانية ممن أحرق العسكر المصرى أمكنهم لما توجهوا إلى تجريدة ابن قرمان، وشاع القول في أفواه الناس.

ثم ظهر للناس بعد ذلك أن الذي صار يحرق من الأمكنة بالقاهرة وغيرها بعد حريق بولاق إنما هو من فعل المماليك الجلبان؛ لينهبوا ما في بيوت الناس عندما تحرق، فإنه تداول إحراق البيوت أشهرا- والله أعلم «١» .

وقد افتقر من هذا الحريق خلائق كثيرة، وعلى الله العوض.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر رجب المذكور وصل الأمير بردبك الدوادار الثانى من الشام.

وفيه أيضا نودى بزينة القاهرة لدوران المحمل، ونهى السلطان المماليك الأجلاب عن أن «٢» يعمل أحد منهم عفاريت

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٢١/١٦

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٢٢/١٦

المحمل.

وسببه أنهم فعلوا ذلك في السنة الخالية وأفحشوا في الطلب من الناس، وصاروا يدخلون إلى دور الأمراء والأعيان، ويكلفونهم الكلفة الزائدة، وما كفاهم ذلك حتى صار العفريت منهم إذا مر بالشارع على فرسه بتلك الهيئة المزعجة يجبى الدكاكين، وإذا صدف رئيسا من بياض الناس أمسكه وأخذ منه ما شاء غصبا، وإن لم يعطه أخرق به ورماه عن فرسه، حتى صار الرجل إذا رأى واحدا من هؤلاء أسرع في مشيه بالدخول في زقاق من الأزقة، أو بيت من البيوت، فضر ذلك بحال الناس كثيرا، وتركوا فرجة المحمل.." (١)

"بل صاروا يترقبون فراغ المحمل، ليستريحوا من هذه الأنواع القبيحة.

فلما جاء أوان المحمل في هذه السنة دخل على قلوب الناس الرجيف بسبب ما وقع من المماليك في العام الماضى، فكلم أعيان الدولة السلطان في إبطال المحمل، أو نهى الجلبان عن تلك الفعلة القبيحة، فلهذا رسم السلطان في هذه السنة بإبطال عفاريت المحمل بالكلية.

ثم في يوم الاثنين سادس عشر شهر رجب هذا أدير المحمل على العادة في كل سنة، ولم يقع من الأجلاب شيء مما وقع منهم في السنة الماضية.

ثم تداول **الحريق** بعد ذلك بخط بولاق والقاهرة، وقوى عند الناس أن الذي يفعل ذلك إنما هو من تركمان ابن قرمان.

ثم وقع **الحريق** أيضا في شعبان بأماكن كثيرة، وداخل الناس جميعا الرعب من هذا الأمر.

فلما كان يوم السبت ثاني عشر شعبان نودى بشوارع القاهرة ومصر بتوجه كل غريب إلى أهله، وكذلك في يوم الأحد، فلم يخرج أحد لعدم التفات السلطان لإخراجهم.

ثم وقع **حريق** آخر وآخر، فنودى في آخر شعبان بخروج الغرباء بسبب **الحريق** من الديار المصرية، فلم يخرج أحد.

وتداول وقوع **الحريق** بالقاهرة في غير موضع.

ثم في أول شهر رمضان مرض السلطان مرضا لزم منه الفراش، وأرجف بموته، وطلع إليه أكابر الأمراء، فتكلم معهم في العهد لولده أحمد بالسلطنة من غير تصريح، بل في نوع النكر «١» من ولده، ويقول ما معناه: إن ولده ليس كمن مضى من أولاد الملوك الصغار، وإن هذا رجل كامل يعرف ما يراد منه، وما أشبه هذا المعنى، فصار هو." (٢)

"يتكلم وجميع الأمراء سكوت، لم يشاركه أحد فيما هو فيه إلى أن سكت، وانفض المجلس، ثم عوفى بعد ذلك، ودقت البشائر بقلعة الجبل وغيرها أياما.

ثم في يوم الاثنين سادس شهر رمضان أخرقت المماليك الأجلاب بالأمير قانم التاجر المؤيدى «١» أحد مقدمى الألوف، وهو نازل من الخدمة بعير قماش الموكب، وضربه بعضهم على رأسه وظهره، جاءوا بجموعهم إلى داره من الغد ليهجموا عليه، فمنعهم مماليكه من الدخول عليه، فوقع القتال بينهم، وجرح من الفريقين جماعة، فأخذ قانم المذكور

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٢٣/١٦

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٢٤/١٦

يتلافى أمرهم بكل ما تصل القدرة إليه، فلم يفد ذلك إلا أنه صار يركب وحده من غير مماليك، ويطلع الخدمة وينزل على تلك الهيئة، واستمر على ذلك نحو السنتين «٢» .

ثم في هذه الأيام أيضا تداول **الحريق** بالقاهرة وظواهرها، وضر ذلك كثيرا بحال الناس، وقد قوى عندهم أن ذلك من فعل القرمانية والمماليك الأجلاب، يعنون بالقرمانية والأجلاب أن القرمانية إذا فعلوا ذلك مرة ويقع **الحريق**، فتنهب المماليك الأقمشة وغيرها لما يطلعون الدور المحروقة للطفى، فلما حسن ببال المماليك ذلك صاروا يفعلون ذلك.

قلت: ولا أستبعد أنا ذلك لقلة دينهم وعظم جبروتهم، عليهم من الله ما يستحقونه من العذاب والنكال- انتهى.

ثم استهل شوال، أوله الجمعة، فوقع فيه خطبتان، وتشاءم الناس بذلك على الملك، فلم يقع إلا الخير والسلامة، وكذبت العادة.

ثم في يوم الجمعة خامس عشره ورد الخبر على السلطان بموت چاك الفرنجى صاحب قبرس، وأنهم ملكوا عليهم ابنته مع وجود ولد ذكر، لأمر أجاز تقديم البنت." (١)

"وفيه رسم السلطان بطلب أبى الخير النحاس من البلاد الشامية على يد ساع.

وفي يوم السبت أول شعبان وقع **حريق** عظيم ببندر جدة بالحجاز.

وف يه توفى خيربك المؤيدى الأشقر الأمير آخور الثاني، وأنعم السلطان بإقطاعه على الأمير بردبك المحمدى الظاهرى المعروف بالهجين الأمير آخور الثالث، وأنعم باقطاع بردبك المذكور على تغرى بردى الأشرفى، وأنعم باقطاع تغرى بردى على قراجا الأشرفى [الطويل «١»] الأعرج، وتغرى بردى وقراجا كلاهما من مماليك السلطان القديمة أيام إمرته.

ثم في يوم الاثنين ثالث شعبان المذكور استقر الأمير يلباى الإينالى المؤيدى أحد أمراء الطبلخانات أمير آخور ثانيا عوضا عن خيربك الأشقر المقدم ذكره.

وفيه استقر دولات باى الظاهرى نائب رأس نوبة الجمدارية رأس نوبة الجمدارية عوضا عن قراجا الطويل الأعرج الذي تأمر.

واستقر في نيابة رأس نوبة الجمدارية شخص يسمى قايتباى الأشرفى، فوثب شخص من الخاصكية الأجلاب يسمى برسباى، وجذب سيفه بالقصر السلطانى، بسبب ولاية هذين لهاتين الوظيفتين، ولكونه لم لا ولى هو «٢» إحداهما، ثم وقع منه أمور أضربنا «٣» عن ذكرها، خوفا على ناموس ملك مصر.

ثم في يوم السبت ثامن شعبان رسم بإطلاق القاضى شرف الدين الأنصارى من مكانه بقلعة الجبل بعد أن أخذ منه جملة مستكثرة من الذهب العين وغيره.

ثم في يوم الأحد تاسعة ضرب السلطان مملوكين من مماليكه الأجلاب وحبسهما، لأجل قتلهما نانق الظاهرى، ولم يقتلهما به كما أمر الله تعالى.." (٢)

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٢٥/١٦

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٣١/١٦

"أنه جمع من هذا المال الخبيث جملة كبيرة خرجت منه بالمصادرة والنهب **والحريق**، وما ربك بظلام للعبيد.
ثم في يوم الاثنين خامس ذى القعدة سافر تغرى بردى الطيارى الخاصكى قاصدا قبرس، ليخبر أهلها أن السلطان يريد ولاية جاكم هذا على قبرس مكان والده، وعزل أخته، ويلومهم على عدم ولاية جاكم هذا وتقديم أخته عليه.
وفي يوم الثلاثاء ثامن ذى الحجة مات الأمير بايزيد التمربغاوى أحد أمراء الألوف بالديار المصرية، وأنعم السلطان بتقدمته وإقطاعه على الأمير سودون الإينالى المؤيدى [قراقاش] «١» رأس نوبة ثان، بمال بذله سودون في ذلك «٢» ، وأنعم بإقطاع سودون المذكور وهو إمرة طبلخاناه على الأمير خشكلدى القوامى الناصرى.
[ما وقع من الحوادث سنة ٨٦٤]
واستهلت سنة أربع وستين وثمانمائة بيوم الأحد.
وفي يوم الثلاثاء سابع عشر المحرم من السنة المذكورة وصلت الغزاة المتوجهة قبل تاريخه إلى بلاد الجون ببر التركية لإحضار الأخشاب «٣» ، وكان مقدم هذا العسكر أربعة من الأمراء العشرات، وهم:
قانى باى قراسقل المؤيدى.
والأمير جانبك الإسماعيلى المؤيدى المعروف بكوهية.
والأمير معلباى طاز المؤيدى.
والأمير بردبك اليشبكى المشطوب «٤» .." (١)
"وفيه ورد الخبر من مكة المشرفة بموت الأمير برشباى الإينالى المؤيدى رأس المماليك المجاورين بها، فأنعم السلطان بإقطاعه في يوم الثلاثاء على دولات باى «١» الأشرفى الساقى، وعلى خيربك من حديد الأشرفى الدوادار، نصفين بالسوية، لكل منهما إمرة عشرة.
واستهل شهر رمضان- أوله الجمعة- فى يوم السبت ثانيه خلع السلطان على الأمير جانبك الظاهرى أحد أمراء مقدمى الألوف بسفره إلى بندر جدة على عادته في كل سنة، وخرج من الغد متوجها إلى جدة في غاية التجمل والحرمة.
وفي يوم الثلاثاء خامس شهر رمضان المذكور عين السلطان الأمير خشقدم الناصرى المؤيدى أمير سلاح إلى سفر الوجه القبلى؛ لقتال العرب الخارجة عن الطاعة، وعين معه مائتى مملوك، وسافروا يوم الثلاثاء ثانى عشره.
وفي هذا الشهر قوى الاهتمام بسفر المجاهدين، وقاست الناس من أعوان سنقر الزردكاش شدائد يطول الشرح في ذكرها، حتى قال بعض الشعراء الموالة بليقا، تعرض فيه لظلم سنقر الزردكاش وحواشيه، بقوله:
قبل الغزا جاهد في الناس ... فصار الظلم أنواع وأجناس
من طلب هذا الغزا واحتاج لواس
ووقع بسبب عمارة هذه المراكب مظالم لا تحصى، من قطع أشجار الناس عسفا، وأخذهم ما يحتاجون إليه ظلما، وزاد ظلم سنقر هذا على الناس حتى جاوز الحد، فلا جرم أن الله تعالى عامله بعد ذلك من جنس فعله في الدنيا، بما قاساه

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٣٤/١٦

من النفي والحبس وأخذ المال، مع الذل والهوان والصغار، وحل به كل مصيبة، حتى أحرقت داره بجميع ما فيها، ثم نهب ما فضل من **الحريق**، وتشتت في البلاد على أقبح وجه، هذا في الدنيا وأما الأخرى فأمره إلى الله تعالى.." (١)

"وقوع الحرب بين حسن الطويل بن على بك بن قرايلك المنتمى لسلطان مصر وبين جهان شاه بن قرايوسف صاحب العراق وانكسار عسكر جهان شاه ١٠٨

الحملة المصرية الشامية تصل إلى بلاد ابن قرمان وتستولى على قلعة الرها وأربع قلاع أخرى وتخرب القرى، وتطلب الإذن بالعودة إلى البلاد ١٠٨

سفر جماعة من الأمراء للبلاد التركية لجلب الأخشاب بقصد صناعة مراكب الغزو ١٠٩

عودة الحملة التي توجهت إلى بلاد ابن قرمان ١١١

خروج محمل الحاج من القاهرة ١١١

المماليك الأجلاب يثورون بالأطباق بالقلعة ويمنعون الأمراء والمباشرين من مغادرتها والنزول إلى دورهم ١١٢

عودة الأمراء الذين توجهوا لجلب الخشب من تركيا ١١٣

انحلال أمر حكام الديار المصرية أرباب الشرع الشريف والسياسة بسبب تعاظم شوكة المماليك الأجلاب وتدخلهم في كل الشئون ١١٤

حوادث سنة اثنتين وستين وثمانمائة ١١٤

المناداة بتحديد سعر الذهب والفضة المضروبين وتخفيض قيمتهما- تخفيض سعر الأشياء بقيمة تخفيض قيمة الدنانير والدراهم ١١٥

أخبار موكب الحاج في هذه السنة ١١٧

المناداة بعدم البناء في جزيرة أروى وساحل النيل بسبب ضيق الطرقات ١١٨

رسل إبراهيم بن قرمان تصل القاهرة برسالة منه يعلن فيها طاعته للسلطان ويطلب الرضى عنه- السلطان يجيبه بإيفاد رسل يقررون الصلح معه ١١٩

أخبار **الحريق** الكبير الذي شب بساحل بولاق والاختلاف حول سببه- المناداة بخروج الأغراب من الديار المصرية ١١٩." (٢)

"ثم أنشد القاضي أيضا ينعت الحمام بقوله:

إن عيش الحمام أطيب عيش ... غير أن المقام فيه قليل

جنة تكره الإقامة فيها ... وحجيم يطيب فيه الدخول

فكأن الغريق فيها كليم ... وكأن **الحريق** فيه خليل

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٤٩/١٦

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٥٤٢/١٦

وفيها توفي وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي، أبو سفيان الرؤاسي الكوفي الأعور، كان إماما محدثا ثقة حافظا كثيرا الحديث؛ ومولده سنة تسع وعشرين ومائة وقيل سنة ثمان وعشرين ومائة. (ورؤاس بطن من قيس عيلان) وأصله من خراسان، وسمع من الأعمش وهشام بن عروة وغيرهما.

قال يحيى بن معين: ما رأيت أفضل من وكيع! كان حافظا يحفظ حديثه ويقوم الليل ويسرد الصوم ويفتي بقول أبي حنيفة؛ ويحيى [بن سعيد «١»] القطان كان يفتي بقول أبي حنيفة أيضا.

أمر النيل في هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع سواء، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وستة أصابع.

ذكر ولاية عباد بن محمد على مصر

هو عباد بن محمد بن حيان البلخي، مولى كندة الأمير أبو نصر. ولاه المأمون على إمرة مصر بعد عزل جابر بن الأشعث عنها في شهر رجب سنة ست وتسعين ومائة.

بكتاب هرثمة بن أعين، وكان عباد هذا وكيلا على ضياع هرثمة بمصر. فسكن عباد." (١)

"وكان جميع خصال ابن طولون محمودة، إلا أنه كان حاد الخلق والمزاج؛ فإنه لما ولى مصر والشام ظلم كثيرا وعسف وسفك كثيرا من الدماء. يقال: إنه مات فى حبسه «١» ثمانية عشر ألفا، فرأى فى منامه كأن الحق سبحانه قد مات فى داره فاستعظم ذلك وانتبه فزعا، وجمع المعبرين فلم يدروا؛ فقال له بعضهم: أقول ولى الأمان؟

قال نعم؛ قال: أنت رجل ظالم، قد أمت الحق فى دارك! فبكى.

وكان فيه ذكاء وفطنة وحدس ثاقب. قال محمد بن عبد الملك الهمذانى:

إن ابن طولون جلس يأكل، فرأى سائلا فأمر له بدجاجة ورغيف وحلواء، فجاءه الغلام فقال: ناولته فما هش له؛ فقال ابن طولون: على به، فلما مثل بين يديه لم يضطرب من الهيبة؛ فقال له ابن طولون: أحضر لى الكتب التى معك واصدقنى، فقد صح عندى أنك صاحب خبر، وأحضر السياط فاعترف؛ فقال له بعض من حضر: هذا والله السحر الحلال! قال ابن طولون: ما هو سحر ولكنه قياس صحيح، رأيت سوء حاله فسيرت له طعاما يشره له الشبعان فما هش له، فأحضرته فتلقانى بقوة جأش، فعلمت أنه صاحب خبر لا فقير، فكان كذلك.

وقال أبو الحسين الرازى: سمعت أحمد [بن أحمد «٢»] بن حميد بن أبي العجائز وغيره من شيوخ دمشق قالوا: لما دخل أحمد بن طولون دمشق وقع بها حريق عند كنيسة مريم، فركب ابن طولون إليه ومعه أبو زرعة البصرى «٣» وأبو عبد الله أحمد ابن محمد الواسطى كاتبه؛ فقال ابن طولون لأبى زرعة: ما يسمى هذا الموضع؟

قال: كنيسة مريم؛ فقال أبو عبد الله: أكان لمريم كنيسة؟ قال: ماهى من بناء." (٢)

"فى وجوه البر ستمائة وثمانين ألف دينار. وقال الصولى: لا أعلم أنه وزر لبنى العباس وزير يشبهه في عفته وزهده وحفظه للقرآن وعلمه بمعانيه، وكان يصوم نهاره ويقوم ليله؛ ولا أعلم أننى خاطبت أحدا أعرف [منه «١»] بالشعر.

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٥٣/٢

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٣/٣

ولما نكب وعزل عن الوزارة قال أبياتا منها:

ومن يك عنى سائلا لشماتة ... لما نابنى أو شامتا غير سائل

فقد أبرزت منى الخطوب ابن حرة «٢» ... صبورا على أهوال «٣» تلك الزلازل

وفيها توفى عمر بن الحسين بن عبد الله أبو القاسم الخرقى البغدادى الحنبلى صاحب «المختصر» فى الفقه. وقد مر ذكر أبيه في محله. قال أبو يعلى بن الفراء:

كانت لأبى القاسم مصنفات كثيرة لم تظهر، لأنه خرج من بغداد لما ظهر بها سب أصحابه، وأودع كتبه في دار **فاحترقت** تلك الدار. وكانت وفاته بدمشق ودفن بباب الصغير «٤» . وفيها توفى أبو بكر الشبلى الصوفى المشهور صاحب الأحوال، واسمه دلف بن جحدر، وقيل: جعفر بن يونس، وقيل: جعفر بن دلف، وقيل غير ذلك؛ أصله من الشبلية، وهى قرية بالعراق، ومولده بسرمن رأى. ولى خاله إمرة الإسكندرية، وولى أبوه حجابة الحجاب، وولى هو حجابة الموفق ولى العهد.

وسبب توبته أنه حضر مجلس خير النساج وتاب فيه، وصحب الجنيد ومن في عصره، وصار أحد مشايخ الوقت حالا وقالا في حال صحوه لا في حال غيبته؛ وكان فقيها مالكى المذهب، وسمع الحديث، وكان له كلام وعبارات، ومات في آخر هذه السنة." (١)

"من قرى المهدية بإفريقية. وكان شاعرا أديبا، كان ماهرا في الأدب، حافظا لأشعار العرب وأخبارهم، واتصل بصاحب إشبيلية وحظى عنده؛ وكان كثير الانهماك في اللذات متهما بمذهب الفلاسفة؛ ولما اشتهر عنه ذلك نقم عليه أهل إشبيلية، واتهم الملك بمذهبه، فأشار عليه الملك بالغيبة عن البلد مدة [ينسى «١» فيها خبره] ؛ فانفصل وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة. وقصته طويلة إلى أن قتل ببرقة في عوده إلى المغرب من مصر بعد أن مدح المعز العبيدى بغرر المدائح «٢» . وكان عوده إلى المغرب لأخذ عياله وعوده بهم إلى مصر. وتأسف المعز عليه كثيرا. ومن شعره قصيدته النونية في مدح المعز لدين الله المذكور، منها:

بيض وما ضحك الصباح وإنها ... بالمسك من طرر الحسان لجون

أدمى لها المرجان صفحة خده ... وبكى عليها اللؤلؤ المكنون

وكان ابن هانئ هذا في المغرب مثل المتنبى في المشرق، وكان موته في شهر رجب. وهو صاحب القصيدة المشهورة التى أولها:

فتقت لكم ريح الشمال عبيرا وفيها توفى الوزير عباس بن الحسين أبو الفضل الشيرازى، كان جبارا ظالما، قتل بالكوفة بسقى الذراريح «٣» ، ودفن بمشهد على عليه السلام. ومما يحكى عن ظلمه أنه قتل ببغداد رجل من أعوان الوالى،

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٨٩/٣

فبعث أبو الفضل الشيرازى هذا من طرح النار من النحاسين الى السماكين، فاحترق ببغداد حريق عظيم لم يعهد مثله، وأحرقت أموال عظيمة وجماعة كثيرة من النساء والرجال والصبيان والأطفال، فأحصى." (١)

"قاضي مملكة المعز، وكان حنفى المذهب لأن الغرب كان يوم ذاك غالبه حنفية، إلى أن حمل الناس على مذهب مالك فقط المعز بن باديس الآتى ذكره.

أمر النيل في هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا.

*** [ما وقع من الحوادث سنة ٣٦٤]

السنة الثانية من ولاية المعز معد على مصر، وهى سنة أربع وستين وثلثمائة.

فيها في المحرم أوقع العيارون «١» ببغداد «٢» حريقا من الخشابين إلى باب «٣» الصغير، فاحترق أكثر هذا السوق، وهلك شيء كثير. واستفحل أمر العيارين ببغداد حتى ركبوا الجند وتلقبوا بالقواد وغلبوا على الأمور، وأخذوا الحفارة عن الأسواق والدروب. وكان فيهم أسود يقال له الزبد، كان يأوى" قنطرة الزبد «٤» " يشحذ وهو عريان. فلما كثر." (٢)

"وفيها في شعبان ولد لشرف الدولة بن عضد الدولة ولدان توءمان؛ فكنى أحدهما أبا حرب وسماه سلار، والثانى أبا منصور وسماه فناخسرو.

وفيها ولى العزيز صاحب الترجمة بكتكين التركى إمرة دمشق، وندبه لقتال قسام، حسب ما تقدم ذكره.

وفيها توفى الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو على الفارسى النحوى الإمام المشهور، ولد ببلدة فسا «١» ، وقدم بغداد، وسمع الحديث وبرع في علم النحو وانفرد به، وقصده الناس من الأقطار، وعلت منزلته في العربية، وصنف فيها كتبا كثيرة لم يسبق إلى مثلها حتى اشتهر ذكره في الآفاق؛ وتقدم عند عضد الدولة حتى قال عضد الدولة: أنا غلام أبى على في النحو. ومن تصانيف أبى على:" الإيضاح" و" التكملة" وكتاب" الحجة في القراءات"؛ ومات ببغداد في شهر ربيع الأول عن نيف وتسعين سنة.

وفيها كان قد هيأ «٢» العزيز صاحب مصر عدة شوانى «٣» لغزو الروم، فاحترقت مراكبه فاتهم بها أناسا. ثم بعد ذلك وصلت رسل الروم في البحر إلى ساحل القدس بتقادم «٤» للعزيز، ودخلوا مصر يطلبون الصلح؛ فأجابهم العزيز واشترط شروطا شديدة التزموا بها كلها؛ منها: أنهم يحلفون أنه لا يبقى في مملكتهم أسير." (٣)

"وفيها توفى على بن أحمد بن على أبو الحسن المؤدب. أصله من قرية ببلاد خوزستان يقال لها «فالة» (بفاء) ثم قدم البصرة وسمع الحديث، ثم قدم بغداد ومات بها، وكان محدثا شاعرا أديبا فصيحا ثقة.

وفيها توفى هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال أبو الحسين الكاتب الصابئ صاحب التاريخ- قلت: نقلنا عنه كثيرا فى هذا التاريخ- وكان مولده فى سنة تسع وخمسين وثلثمائة، وجده إبراهيم هو صاحب الرسائل المقدم ذكر وفاته، وأن

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٦٨/٤

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٠٧/٤

(٣) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٥١/٤

الشريف الرضى رثاه، وعيب عليه من كونه من الأشراف ورثى صابئا. وكان أبو هلال هذا المحسن صابئا، وأسلم هو متأخرا؛ وكان قبل أن يسلم سمع جماعة من النحاة، منهم أبو على الفارسى وعلى بن عيسى الرمانى وغيرهما.

أمر النيل فى هذه السنة– الماء القديم أربع أذرع وخمس عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا.

*** [ما وقع من الحوادث سنة ٤٤٩]

السنة الثانية والعشرون من ولاية المستنصر معد على مصر وهى سنة تسع وأربعين وأربعمائة.

فيها استعفى ابن النسوى من ولاية الشرطة ببغداد لأستيلاء الحرامية واللصوص عليها بحيث إنه أقيم جماعة لحفظ قصر الخليفة والطيار الذي للخليفة من **الحريق**، لأن «١» اللصوص كانوا إذا امتنع عليهم موضع حرقوه.

وفيها كان الطاعون العظيم ببخارى، حتى إنه خرج منها فى يوم واحد ثمانية عشر ألف إنسان. وحصر من مات فيه فكان ألف ألف وستمائة ألف وخمسين ألف." (١)

"بعد موت أبيه بوصية منه إليه فى سنة خمس وستين وأربعمائة، وجعل وزيره نظام الملك وزيرا له ومتكلما فى الدولة، وفرق البلاد على أولاده وجعل مرجعهم إلى ملكشاه هذا. فلما تسلطن ملكشاه خرج عليه عمه قاورد بك صاحب كرمان؛ فواقعه فأخذه ملكشاه أسيرا. فلما مثل بين يدى ملكشاه قال: أمراؤك كاتبونى، وأظهر مكاتبات. فأخذها ملكشاه وأعطاها للوزير نظام الملك، فأخذها نظام الملك وألقاها فى موقد «١» نار كان بين يدى ملكشاه **فاحترقت**. فسكنت قلوب الأمراء، وبذلوا الطاعة؛ وثبت ملكه بهذه الفعلة. ثم خنق عمه قاورد بك المذكور بوتر، وتم له الأمر. وملك من الأقاليم ما لم يملكه أحد من السلاطين؛ فكان فى مملكته جميع بلاد ما وراء النهر، وبلاد الهياطلة «٢» ، وباب الأبواب، وبلاد الروم والجزيرة والشام؛ حتى إنه ملك من مدينة كاشغر، وهى أقصى مدينة للترك، إلى بيت المقدس طولا، ومن القسطنطينية إلى بلاد الخزر وبحر الهند عرضا. وكان من أحسن الملوك سيرة، ولذلك كان يلقب بالسلطان العادل. وكان منصورا فى حروبه، مغرى بالعمائر، حفر الأنهار وعمر الأسوار والقناطر وعمر جامع السلطان ببغداد ولم يتمه، وأبطل المكوس فى جميع بلاده، وصنع بطريق مكة مصانع الماء، غرم عليها أموالا كثيرة. وكان مغرى بالصيد، حتى إنه صاد مرة فى حلقة واحدة عشرة آلاف صيد؛ وقد تقدم ذكر ذلك. وكانت وفاته فى شوال. قيل: إنه سم فى خلال تخلل به. ولم يشهده «٣» الدولة ولا عمل له عزاء. وحمل فى تابوت إلى أصبهان فدفن بها. وقام فى السلطنة بعده أكبر أولاده بركياروق «٤» ، ولقب بركن الدولة. وخالفه عمه، ووقع له معه وقائع.." (٢)

"أربعا وثلاثين سنة– وقيل أربعين سنة– وكان عمره ستا وسبعين سنة. ومن شعره:

[البسيط]

بعد الثمانين ليس قوه ... لهفى «١» على قوة الصبوه

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٦٠/٥

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٣٥/٥

كأننى والعصا بكفى ... موسى ولكن بلا نبوه

وفيها توفى مالك بن أحمد الإمام أبو عبد الله البانياسى «٢» ثم البغدادى المعروف بالفراء فى جمادى الآخرة شهيدا فى **الحريق**. وكان معدودا من العلماء الفضلاء.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ست أذرع وست أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعا. وأوفى فى سابع توت، ونقص فيه أيضا.

*** [ما وقع من الحوادث سنة ٤٨٦]

السنة التاسعة والخمسون من ولاية المستنصر معد على مصر وهى سنة ست وثمانين وأربعمائة.

فيها خطب تاج الدولة تتش السلجوقى لنفسه بعد موت أخيه ملكشاه، وأرسل إلى الخليفة بأن يخطب له ويوعده؛ فما التفت إليه فى الجواب، غير أنه أرسل يقول له: إنما تصلح للخطبة إذا حصلت «٣» الدنيا بحكمك، والخزائن التى بأصبهان معك، وتكون صاحب الشرق وخراسان، ولم يبق من أولاد أخيك ملكشاه من يخالفك؛ وأما فى هذا الحال فلا سبيل إلى ما التمسته. فلما وقف تتش على ذلك سار إلى الموصل وبها إبراهيم بن قريش؛ فخرج إليه فى بنى عقيل والتقوا معه فقتل." (١)

"*** [ما وقع من الحوادث سنة ٥٦٢]

السنة السابعة من ولاية العاضد على مصر وهى سنة اثنتين وستين وخمسمائة.

فيها تزوج الخليفة المستنجد بالله بابنة عمه أبى نصر بن المستظهر، ودخل بها فى شهر رجب ليلة الدعوة التى كان يعملها فى كل سنة للصوفية وغيرهم؛ وغنى المغنى:

[الطويل]

يقول رجال الحى تطمع أن ترى ... محاسن ليلى مت بداء المطامع

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها ... سواها وما طهرتها بالمدامع

وتلتذ منها بالحديث وقد جرى ... حديث سواها فى خروق المسامع

وكان مع الصوفية رجل من أهل أصبهان، فقام قائما وجعل يقول للمغنى:

«أى خواجا كفت «١» » وهو يكرر ذلك، والمغنى يعيد الأبيات حتى وقع الرجل ميتا؛ فصار ذلك الفرح مأتما؛ وبكى الخليفة والصوفية ولا زالوا يتراقصون حوله إلى الصباح، فحملوه إلى الشونيزية فدفنوه بها، وكان له مشهد عظيم.

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٣٧/٥

وفيها عاد الأمير أسد الدين شيركوه بعساكر دمشق إلى مصر، وهى المرة الثانية. وقد تقدم ذلك كله فى ترجمة العاضد.

وفيها احترقت اللبادون «٢» وباب الساعات بدمشق حريقا عظيما صار تاريخا.

وسببه أن بعض الطباخين أو قد نارا عظيمة تحت قدر هريسة ونام، فاحترقت دكانه ولعبت النار فى اللبادين وغيرها إلى أن عظم الأمر.

وفيها توفى أحمد بن على بن الزبير القاضى الرشيد. كان أصله من أسوان وسكن مصر، وكان من شعراء شاور بن مجير السعدى، وله فيه مدائح، إلا أنه لم ينج من شر." (١)

"وحماة بيد ابن أخيك «١» ، وحمص بيد ابن عمك أسد الدين؛ وابنك الأفضل مع تقى الدين بمصر يخرجه متى شاء، وابنك الآخر مع أخيك فى خيمة يفعل به ما أراد؛ فقال له صلاح الدين: صدقت، فاكتم هذا الأمر؛ ثم أخذ حلب من أخيه العادل وأعادها إلى ابنه الملك الظاهر، وأعطى العادل بعد ذلك حران والرها وميافارقين ليخرجه من الشام. وفرق الشام على أولاده، فكان ما كان. وزوج السلطان صلاح الدين ولده الملك الظاهر بغازية خاتون ابنة أخيه الملك العادل المذكور.

ثم كانت وقعة حطين المباركة على المسلمين، وكانت فى يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فى وسط نهار الجمعة. وكان صلاح الدين كثيرا ما يقصد لقاء العدو فى يوم الجمعة عند الصلاة تبركا بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر، فسار فى ذلك الوقت واجتمع له من العساكر الإسلامية عدد يفوت الحصر، وكان قد بلغه أن العدو اجتمع فى عدة كثيرة بمرج «٢» صفورية بأرض عكا عند ما بلغهم اجتماع العساكر الإسلامية، فسار صلاح الدين ونزل على طبرية «٣» على سطح الجبل ينظر قصد الفرنج، فلما بلغهم نزوله فى الموضع المذكور لم يتحركوا ولا خرجوا من منزلتهم، وكان نزولهم فى الموضع المذكور يوم الأربعاء الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر؛ فلما رآهم لا يتحركون ترك جريدة على طبرية، وترك الأطلاب على حالها قبالة العدو، ونزل طبرية وهجمها وأخذها فى ساعة واحدة، وانتهب الناس ما فيها، وأخذوا فى القتل والسبى والحريق؛ وبقيت القلعة ممتنعة." (٢)

"وفيها كان ظهور النار العظيمة بالمدينة الشريفة وهى غير التى ذكرناها فى السنة الماضية «١» ، وهذه النار التى تقدم ذكرها فى ترجمة الملك المعز هذا.

وفيها احترق مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان، وهذا غير النار التى ظهرت بنواحى المدينة، فإن هذا الحريق له سبب «٢» ، ابتدأ من زاوية الحرم النبوى [الغربية «٣» من الشمال] ، فعلقت فى آلات الحرم ثم دبت فى السقوف، فما كان إلا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد أجمع، ووقع بعض أساطينه، وكان ذلك قبل أن ينام الناس، واحترق أيضا سقف الحجرة، وأصبح الناس فى يوم الجمعة فعزلوا موضعا للصلاة. ونظم فى حريق المسجد غير واحد من الشعراء، فقال معين الدين بن تولو المغربى:

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣٧٣/٥

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣١/٦

قل للروافض بالمدينة مالكم ... يقتادكم للذم كل سفيه

ما أصبح الحرم الشريف محرقا ... إلا لسبكم الصحابة فيه

وقال غيره:

لم يحترق حرم النبي لحادث ... يخشى عليه ولا دهاه العار

لكنها أيدى الروافض لامست ... ذاك الجناب فطهرته النار

قال: وعد ما وقع من تلك النار الخارجة **وحريق** المسجد من جملة الآيات.

وقال أبو شامة: فى ليلة السادس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر أول الليل، وكان شديد الحمرة ثم انجلى، وكسفت الشمس فى غده، احمرت وقت طلوعها." (١)

"فيها استولى الطاغية هولاكو على بغداد، وقتل الخليفة المستعصم بالله ومعظم أهل بغداد؛ وقد تقدم ذلك.

وفيها كان الوباء العظيم بدمشق وغيرها.

وفيها توفى الأديب البارع شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن أبى الوفا الربعى الموصلى المعروف بابن الحلاوى الشاعر المشهور، كان من أحسن الناس صورة وألطفهم أخلاقا مع الفضيلة التامة، ورحل البلاد ومدح الخلفاء والملوك وخدم الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤا صاحب الموصل ولبس زى الجند. وشعره فى نهاية الرقة والجزالة «١» ، وهو صاحب القصيدة التى أولها:

حكاه من الغصن الرطيب وريقه ... وما الخمر إلا وجنتاه وريقه

هلال ولكن أفق قلبى محله ... غزال ولكن سفح عينى عقيقه

وأسمر يحكى الأسمر اللدن قده ... غدا راشقا قلب المحب رشيقه

على خده جمر من الحسن مضرم ... يشب ولكن فى فؤادى **حريقه**

أقر له من كل حسن جليله ... ووافقه من كل معنى دقيقه

بديع التثنى راح قلبى أسيره ... على أن دمعى فى الغرام طليقه

على سالفيه للعذار جريرة ... وفى شفتيه للسلاف عتيقه

يهدد منه الطرف من ليس خصمه ... ويسكر منه الريق من لا يذوقه

على مثله يستحسن الصب هتكه ... وفى حبه يجفو الصديق صديقه

من الترك لا يصبيه وجد إلى الحمى ... ولا ذكر بانات الغوير تشوقه

ولا حل فى حى تلوح قبابه ... ولا سار فى ركب يساق وسوقه." (٢)

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣٦/٧

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٦٠/٧

"ولا بات صبا بالفريق «١» وأهله ... ولكن إلى خاقان يعزى فريقه

له مبسم ينسى المدام بريقه ... ويخجل نوار الأقاحى بريقه

تداويت من حر الغرام ببرده ... فأضرم من ذاك الحريق رحيقه

إذا خفق البرق اليمانى موهنا ... تذكرته فاعتاد قلبى خفوقه

حكى وجهه بدر السماء فلو بدا ... مع البدر قال الناس هذا شقيقه

رآنى خيالا حين وافى خياله ... فأطرق من فرط الحياء طروقه

فأشبهت منه الخصر سقما فقد غدا ... يحملنى كالخصر ما لا أطيقه

فما بال قلبى كل حب يهيجه ... وحتام طرفى كل حسن يروقه

فهذا ليوم البين لم تطف ناره ... وهذا لبعد الدار ما جف موقد

ولله قلبى ما أشد عفافه ... وإن كان طرفى مستمرا فسوقه

فما فاز إلا من يبيت صبوحه ... شراب ثناياه ومنها غبوقه

وفيها توفى الأمير بكتوت بن عبد الله سيف الدين العزيزى أستادار الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام، كان من أكابر الأمراء فى الدولة الناصرية، وكان حسن السيرة مليح الشكل متجملا، كان موكبه يضاهى مواكب الملوك. وفيها توفى الملك الناصر أبو المظفر وقيل أبو المفاخر داود صاحب الكرك ابن الملك المعظم عيسى صاحب الشام ابن الملك العادل أبى بكر صاحب مصر ابن الأمير نجم الدين أيوب. مولده فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وستمائة؛ ووقع له أمور وحوادث ومحن تكرر ذكرها فى عدة تراجم من هذا الكتاب. وكان تغلب على الشام بعد موت عمه الملك الكامل محمد، وقدم مصر بعد ذلك غير مرة وتوجه إلى الشرق، ووقع له أمور يطول شرحها إلى أن مات فى جمادى الأولى. وكان ملكا شجاعا." (١)

"وفخر الدين عمر بن يحيى الكرخى فى شهر ربيع الآخر، وله إحدى وتسعون سنة. والعلامة تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزارى الشافعى فى جمادى الآخرة، وله ست وستون سنة «١» . والشيخ العفيف التلمسانى الشاعر سليمان بن على فى رجب، وله ثمانون سنة. والمقرئ شهاب الدين محمد بن عبد الخالق بن مزهر فى رجب. والقاضى شمس الدين عبد الواسع بن عبد الكافى الأبهرى «٢» فى شوال.

والمسند نجم الدين يوسف بن يعقوب بن محمد [بن على «٣»] بن المجاور فى ذى القعدة والمسند شمس الدين محمد بن [عبد «٤»] المؤمن بن أبى الفتح الصالحى فى ذى الحجة، وهو آخر من سمع من الكندى «٥» . والإمام شمس الدين أحمد بن عبد الله بن الزبير الخابورى خطيب حلب فى المحرم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع وثلاث أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ٦٩١]

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٦١/٧

السنة الثانية من ولاية الملك الأشرف خليل على مصر، وهى سنة إحدى وتسعين وستمائة.
فيها فى يوم الجمعة رابع عشرين صفر ظهر بقلعة الجبل **حريق** عظيم فى بعض خزائن الخاص، وأتلف شيئا عظيما من الذخائر والنفائس والكتب وغيرها.." (١)

"فتكلم كتبغا فى أمره مع الأمراء، فاتفقوا على إظهار أمره لما رأوا فى ذلك من إصلاح الحال، فطيب كتبغا خاطر الأمير حسام الدين لاچين ووعده أن يتكلم فى أمره مع السلطان والمماليك الأشرفية. ولا زال كتبغا بالسلطان والحاشية حتى رضاهم عليه وطيب قلوبهم إلى أن كان يوم عيد الفطر، ظهر حسام الدين لاچين من دار كتبغا، وحضر السماط وقبل الأرض بين يدى السلطان الملك الناصر محمد، فخلع عليه السلطان وطيب قلبه، ولم يعاتبه بما فعل مع أخيه الملك الأشرف خليل مراعاة لخاطر كتبغا. ثم خلع عليه الأمير كتبغا أيضا، وحملت إليه الهدايا والتحف من الأمراء وغيرهم؛ كل ذلك لأجل خاطر كتبغا. واصطلحت أيضا معه المماليك الأشرفية على ما فى نفوسهم منه من قتل أستاذهم بأمر كتبغا لهم وإلحاحه عليهم فى ذلك حتى قبلوا كلامه. وكانت مكافأة لاچين لكتبغا بعد هذا الإحسان كله بأن دبر عليه حتى أخذ الملك منه وتسلطن عوضه على ما يأتى ذكره وبيانه إن شاء الله تعالى.
ثم خلع السلطان على الصاحب تاج «١» الدين محمد ابن الصاحب فخر «٢» الدين محمد ابن الصاحب بهاء «٣» الدين على بن حنا باستقراره فى الوزارة بالديار المصرية.
ثم استهلت سنة أربع وتسعين وستمائة والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد. وسلطان مصر والشام الملك الناصر محمد بن قلاوون، ومدبر مملكته الأمير كتبغا المنصورى. ولما كان عاشر المحرم ثار جماعة من المماليك الأشرفية خليل فى الليل بمصر والقاهرة وعملوا عملا قبيحا وفتحوا أسواق السلاح بالقاهرة بعد **حريق** باب «٤» السعادة، وأخذوا خيل السلطان وخرقوا ناموس الملك، وذلك كله بسبب." (٢)

"فى البر الغربى بحكر جوهر النوبى. ثم عمر القنطرة «١» وأراد أن يفتح فى سور القاهرة خوخة «٢» تنتهى إلى حارة الوزيرية، فأذن له السلطان فى فتحها، فخرق بابا كبيرا وعمل عليه رنكه، فسعى به علم الدين سنجر الخياط متولى القاهرة، وعظم الأمر على السلطان فى فتح هذا الباب المذكور، فرسم بنفيه فى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة المذكورة.
وفيها وقع **الحريق** بالقاهرة [ومصر «٣»] فابتدأ من يوم السبت خامس عشر جمادى الأولى وتواتر إلى سلخه، وكان مما احترق فيه الربع الذي «٤» بالشوايين من أوقاف." (٣)

"البيمارستان المنصورى واجتهد الأمراء فى طفيه، فوقع **الحريق** فى حارة الديلم «١» قريبا من دار كريم الدين الكبير، ودخل الليل واشتد هبوب الرياح فسرت النار فى عدة أماكن، وبعث كريم الدين ابنه عبد الله للسلطان فعرفه، فبعث السلطان لإطفائه عدة كثيرة من الأمراء والمماليك خوفا على الحواصل السلطانية، فتعاظم الأمر وعجز آق سنقر

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣٣/٨
(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٤٨/٨
(٣) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٦٣/٩

شاد العمائر، والنار تعمل طول نهار الأحد، وخرج النساء مسبيات وبات الناس على ذلك، وأصبحوا يوم الاثنين والنار تلف ما تمر به، والهدم واقع فى الدور المجاورة للحريق. وخرج أمر الحريق عن القدرة البشرية، وخرجت ريح عاصفة." (١)

"ألقت النخيل وغرقت المراكب ونشرت النار، فما شك الناس [فى] أن القيامة قد قامت، وعظم شرر النيران وصارت تسقط الأماكن البعيدة، فخرج الناس وتعلقوا بالموادن «١» واجتمعوا فى الجوامع والزوايا وضجوا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى، وصعد السلطان إلى أعلى القصر فهاله ما شاهده، وأصبح الناس فى يوم الثلاثاء، فى أسوإ حال، فنزل أرغون النائب بسائر الأمراء وجميع من فى القلعة، وجمع أهل القاهرة ونقل الماء على جمال الأمراء، ثم لحقه الأمير بكتمر الساقى بالجمال السلطانية، ومنعت أبواب القاهرة ألا يخرج منها سقاء، ونقلت المياه من المدارس والحمامات والآبار، وجمعت سائر البنائين والنجارين فهدمت الدور من أسفلها، والنار تحرق فى سقوفها وعمل الأمراء الألوف، وعدتهم أربعة وعشرون أميرا بأنفسهم فى طفى الحريق ومعهم مضافوهم من أمراء الطبلخاناه والعشرات، وتناولوا الماء بالقرب من السقائين بحيث صار من باب زويلة «٢» إلى حارة الروم «٣» بحرا، فكان يوما لم ير أشنع منه، بحيث إنه لم يبق أحد إلا وهو فى شغل، ووقف الأمير أرغون النائب وبكتمر الساقى حتى نقلت الحواصل «٤» السلطانية من بيت كريم الدين ناظر الخاص إلى بيت." (٢)

"ولده علم الدين عبد الله بدرب الرصاصى «١» ، وهدم لأجل نقل الحواصل سبع «٢» عشرة دارا، وخمدت النار وعاد الأمراء؛ فوقع الصياح فى ليلة الأربعاء بحريق آخر وقع بربع الملك «٣» الظاهر بيبرس خارج باب زويلة وبقيسارية «٤» الفقراء، وهبت الرياح مع ذلك فركبت الحجاب والوالى فعملوا فى طفيها عملا إلى بعد ظهر يوم الأربعاء، وهدموا دورا كثيرة، فما كاد أن تفزغ الأمراء من إطفاء ربع الملك الظاهر، حتى وقعت النار فى بيت «٥» الأمير سلار بخط بين القصرين «٦» ، وإذا بالنار ابتدأت من." (٣)

"أصل «١» البادهنج «٢» وكان ارتفاعه من الأرض زيادة على مائة ذراع بذراع العمل، ورأوا فيه نفطا قد عمل فيه فتيلة كبيرة، فما زالوا بالنار حتى أطفئت من غير أن يكون لها أثر كبير. فنودى أن يعمل بجانب كل حانوت بالقاهرة ومصر زير أودن كبير ملأن ماء.

ثم فى ليلة الخميس وقع الحريق بحارة الروم وبموضع آخر خارج القاهرة، وتمادى الحال على ذلك لا يخلو وقوع الحريق بالقاهرة ومصر، فشاع بين الناس أن الحريق من جهة النصارى لما أبكاهم هدم الكنائس. ثم وقع الحريق فى عدة مساجد

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٦٤/٩

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٦٥/٩

(٣) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٦٦/٩

وجوامع ودور، إلى أن كان ليلة الجمعة حادى عشرينه قبض على راهبين خرجا من المدرسة الكهارية «٣» بالقاهرة وقد أرميا النار بها، فأحضرا إلى الأمير علم الدين سنجر." (١)

"زريلة إلى تحت القلعة، فتوجع لهم الناس وكان منهم كثير من بياض الناس ولم تفتح القاهرة، وخاف كريم الدين على نفسه ولم يسلك من باب زويلة وطلع القلعة من خارج السور، وإذا بالسلطان قد قدم الكلابزية وأخذ فى قطع أيديهم، فكشف كريم الدين رأسه وقبل الأرض وباس رجل السلطان وسأل السلطان العفو عن هؤلاء، فأجابه بمساعدة الأمير بكتمر، وأمر بهم فقيدوا وأخرجوا للعمل فى الحفر بالجيزة، ومات ممن قطع [يده «١»] رجلان وأمر بحفظ من علق على الخشب.

وفى الحال وقع الصوت **بحريق** أماكن بجوار جامع أحد ابن طولون وبوقوع **الحريق** فى القلعة وفى بيت بيبرس الأحمدى بحارة «٢» بهاء الدين قراقوش وبفندق «٣» طرنطاى خارج باب البحر فدهش السلطان، وكان هذا الفندق برسم تجار الزيت فعمت النار كل ما فيه، حتى العمد الرخام وكانت ستة عشر عمودا، طول كل عمود ست أذرع بالعمل، ودوره نحو ذراعين فصارت كلها جيرا، وتلف فيه لتاجر واحد ما قيمته تسعون ألف درهم، وقبض فيه على ثلاثة نصارى ومعهم فتائل النفط اعترفوا أنهم فعلوا ذلك. فلما كان يوم السبت تاسع عشرين جمادى الأولى المذكور ركب السلطان إلى الميدان فوجد نحو العشرين ألفا من العامة فى طريقه قد صبغوا خروقا بالأزرق والأصفر «٤» وعملوا فى الأزرق صلبانا بيضاء ورفعوها." (٢)

"الخندق أنه كان ينفق المال فى عمل النفط **للحريق** ومعه أربعة، فأخذوا وسمروا وانبسطت عند ذلك ألسنة الأمراء فى كريم الدين أكرم الصغير، وحصلت مفاوضة بين الأمير قطلوبغا «١» الفخرى وبين بكتمر الساقى بسبب كريم الدين [الكبير «٢»] ، لأن بكتمر كان يعتنى به وبالدواوين، وكان الفخرى يضع منه «٣» .

قلت: ولأجل هذا راح كريم «٤» الدين من الدنيا على أقبح وجه! وأخرب الله دياره بعد ذلك بقليل.

واستمر الفخرى على رتبته بعد سنين عديدة. قال: وصار مع كل من الأميرين جماعة وبلغ السلطان ذلك، وأن الأمراء تترقب وقوع فتنة، وصار السلطان إذا ركب إلى الميدان لا يرى فى طريقه أحدا من العامة لكثرة خوفهم أن يبطش السلطان بهم فلم يعجبه ذلك، ونادى بخروج الناس للفرجة على الميدان ولهم الأمان والاطمئنان فخرجوا على عادتهم. ثم وقع **الحريق** بالقاهرة «٥» واشتد أمره إلى أن طفئ، وسافر كريم الدين الكبير إلى الإسكندرية وشدد على النصارى فى لبسهم." (٣)

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٩/٦٧

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٩/٧٠

(٣) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٩/٧٢

"والقاعات «١» السبع التى تشرف على الميدان لأجل سراريه. وعمر باب «٢» القرافة. وكان غالب عمائره بالحجارة خوفا من **الحريق**. وعزم على أن يغير باب المدرج «٣» ويعمل له." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

وفيه لبس السيد برهان الدين إبراهيم بن السيد محمد خلعة بكتابة السر بدمشق ونظر وقف الأشراف ونظر القلعة وكانت السر كتابة بيد القاضي قطب الدين الخيضري الشافعي

ذو الحجة فيه توفي شمس الدين الحمزاوي أحد الموقعين بباب القاضي الشافعي وتردد إلى قاضي القضاة وله اليد الطولى في الصناعة وفيه طلب القاضي قطب الدين إلى مصر فتوجه خامس عشره وقع **حريق** في دار النيابة مقابل للمدرسة العذراوية وحصل منه ضرر كبير خامس عشريه حصل بين كاتب السر وبين نائب القلعة مقاولة في بعض الطرقات ووصل كل إلى الآخر بالضرب وحصل في ذلك قلقلة كثيرة ثم حصل بينهما الصلح بعد أيام يسيرة

مسألة جامع الطواشي خارج باب النصر بدمشق عليه أوقاف." (٢)

"رجب مستهله أطلق ابن بيغوت مستمرا على الحجوبية وفيه مسك تمربغا السلطان وتولى خير بك الدوادار الكبير بالليل ثم ثاني يوم اجتمع الأمراء والقضاة والأعيان وبايعوا قايتباي الظاهري ورفع تمربغا وخير بك إلى الإسكندرية بعد أن أخذ متعلقهم جميعه سابع عشره وقع **حريق** بمسجد القصب في السوق واتسع

شعبان رابع عشره توجه قاضي القضاة عبد القادر بن عبد الوارث المالكي إلى القاهرة لأنه جاء عزله بالقاضي شهاب الدين التلمساني ولبس الخلعة هذا سلخ هذا الشهر

وفيه سافر القاضي شمس الدين العدوي إلى مصر فإن هذا السلطان صاحبه

رمضان ثانيه سافر القاضي بدر الدين حسن مزلق ناظر الجيش بدمشق إلى مصر خامسه توجه نائب الشام أزبك الظاهري إلى البلاد الشمالية بسبب شاه سوار الغادري سابعه دخل عسكر مصر بسبب ذلك." (٣)

"سنة ثمانين وثمانمائة

استهلت والخليفة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف العباسي والسلطان الأشرف قايتباي الظاهري والأتابكي أزبك الظاهري ونائب الشام والقضاة كما تقدم

المحرم أوله السبت رابعه سافر الشيخ أبو الفضل الصفدي ابن الإمام إلى مصر سابعه وصل القاضي صلاح الدين العدوي من مصر

ثامنه سافر القاضي كمال الدين الفاكهي المالكي إلى مصر بسبب تربة شيخ المغاربة ليلة خامس عشره وقع **حريق** بالصالحية في السوق الأعظم قبلي الجامع المظفري عشريه إحترق سوق العمارة خارج باب الفراديس

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٨١/٩

(٢) تاريخ البصروي البصروي ص/٢٥

(٣) تاريخ البصروي البصروي ص/٣٠

رابع عشريه توفي تقي الدين أبو بكر الجهيني الشافعي أحد فضلاء الشافعية كان حافظا للقرآن كثير التلاوة حسن السيرة سليم الفطرة لازم." (١)

"سنة ثلاث وثمانين وثمان مائة

إستهلت والخليفة المستجد بالله يوسف العباسي والسلطان الملك الأشرف قايتباي الظاهري والأتابكي أزبك الظاهري

المحرم سابع عشره لبس القاضي نور الدين بن الصابوني خلعة بوكالة السلطان والقاضي قطب الدين الخيضري خلعة بإستمراره في قضاء دمشق وكتابة السر

صفر

ربيع الأول

ربيع الآخر في أوله وقع حريق بمحلة مسجد القصب من جامع منجك إلى قرب قناة العوني في الطول وفي العرض قريبا من ذلك فلا قوة إلا بالله تعالى

جمادى الأولى

جمادى الأخرى

رجب مستهله السبت في أوله توفي القاضي تقي الدين أبو بكر." (٢)

"الإحياء ولنذكر أصل الكلام وما إعترض به والجواب فنقول

فيه وصل نور الدين محمود بن قاضي القضاة جمال الدين الباعوني من مصر نائبا في كتابة السر ولبس خلعة

ليلة الأربعاء سابع عشريه إحترق الجامع الأموي خرجت النار أولا من سوق الأمتعة غربي الجامع وإحترق سوق أمتعة النساء وما يليه من المرستان وغيره وسوق العنبراتيين ثم سوق الذراع ثم دخلت النار للجامع بحضور النائب والحاجب والأتابكي وسائر أركان الدولة والمعمارية أجمع ولم يقدروا على القطع عن الجامع فعم الحريق الناحية القبلية حتى سقف المقصورة ثم باقي داخل الجامع أجمع ثم خرجت إلى الإيوان الغربي من خارج ولفت إلى باب الكلاسة فقطعت هناك وإحترق جميع ما حول الجامع من الأسواق خ١رجا عن مشهد الحسين المعروف الآن بالبلاطنسي وناحية الكاملية والحلبية وما بينهما

ليلة تاسع عشريه تخلخلت القبة العظمى في وسط الجامع وسقط منها جانب عظيم وسقط نصف المأذنة الغربية

تاسع عشريه الجمعة خطب الخطيب بصدر صحن الجامع على كرسي وصلى الناس بالصحن والكلاسة والكاملية والمشهد الشرقي

وقد إحترق هذا الجامع في الإسلام مرات أولها وبها ذهبت." (٣)

---

(١) تاريخ البصروي البصروي ص/٧٠

(٢) تاريخ البصروي البصروي ص/٨٥

(٣) تاريخ البصروي البصروي ص/٨٨

"محاسنه فإنه لم يكن على وجه الأرض أحسن منه ولا أبهى ولا أجل وكان فيه طلسمات من أيام اليونان فلا يدخله شيء من الحشرات ولا الحيات ولا العقارب ولا الخنافس ولا العناكب ولا العصافير تعشش فيه ولا الحمام وقناديله لا ينزل فيها الذباب ولا يرى فيه شيء يؤذي وقد **إحترقت** هذه الطلسمات لما وقع فيه من **الحريق** ليلة النصف من شعبان سنة إحدى وستين وأربعمائة قال الذهبي في = كتابه العبر في خبر من غبر ليلة النصف من شعبان من هذه السنة إحترق جامع دمشق كله من حرب وقع بين الدولة فضربوا بالنار دارا مجاورة للجامع فقضي الأمر وإشتد الخطب وأتى **الحريق** على سائره ودثرت محاسنه وإنقضت مدة ملاحته

ثانيها في سنة أربعين وسبع مائة كان الأصل فيه النصارى بدمشق وإشتهر ذلك عنهم وكتب عليهم محضر به صفته حضر إلى شهوده يوم تاريخه الرشيد سلامة النصراني كاتب سنجر وأشهد عليه أنه في شهر شوال سنة تاريخه حضر في بستانه المكين يوسف النصراني بن يحيى عامل الجيش والمكين جرجس بن أبي الكرم النصراني كاتب الحوطات والمكين يوسف النصراني كاتب بهادر آص كان وأنه حضر عندهم راهبان من بلاد القسطنطينية وتحدثوا مع بعضهم بعض أن الراهبين يعرفان صنعة النفط والنار وإتفقوا على **حريق** ما يقدرون عليه من أماكن المسلمين بدمشق ثم توجهوا إلى بستان يوسف." (١)

"البراكيلي بقرية جوبر وأنزلهم بطبقته على باب بستانه وأحضر لهم عامل الجيش ما يحتاجون إليه فعملوا سبع كعكات محشوات بارود ونفط ودق وفحم وغير ذلك وألبسوا الراهبين قباءين وتخفيفتين بيض ونزلا من البستان على أن يحرقا ما قدرا عليه ثم رجعا وأخبرا أنهما دخلا إلى الدهشة فقعد أحدهما على دكان شرقي القيسارية يعد دراهم ويتحيل حتى أدخل كعكة إلى داخل الدكان ثم خرج إلى مصبغة السوق البراني وإشترى بردا ثم أخذ في طيه فتقدم رفيقه إلى الدكان ألقى ثانية داخل الدكان وطلعا إلى باب الفراديس ركبا دابتين وطلعا إلى البستان بعد أن أعطى الذخيرة والنار وفي تلك الليلة إحترق **الحريق** الأول وجهزا إلى بيروت ليركبوهما إلى قبرص سريعا للبشارة ثم أحضروا عيسى النصراني الجرائحي وواقعوه على أن يقبل بإدخال النار إلى دكان اللحام المستجدة على باب قيسارية القواسين ووعدوه بخمسمائة درهم ووضعت الكعكة في سقف الدكان فإحترق في تلك الليلة **الحريق** الثاني ثم دفعوا خمسمائة لمخلوف النصراني الطواف على أن يدبر **حرائق** في أقطار البلد حتى ينفوا عنهم الظن ثم بعد ذلك جاءهم كتاب صاحب سيس يشكرهم على ما بلغه من إحراق ما حول الكنيسة وإجتمع القضاة ونائب الشام وحكموا بقتل النصارى الذين فعلوا هذا وإتفقوا عليه وأن يؤخذ من أموال النصارى ما يعمر به فسمر النصارى وضربت أعناقهم ثم حرقوا بالنار وهذا **الحريق** عم جميع الجامع." (٢)

"وما حوله من الدهشات والرواقات الشرقية والمنارة الشرقية وذهبت أموال للناس

ثالثها **الحريق** الذي **إحترقت** فيه الدهشتان وسوق الوراقين والساعات ونصف المنطقة من شرقي الجامع إلى قريب

---

(١) تاريخ البصروي البصروي ص/٨٩

(٢) تاريخ البصروي البصروي ص/٩٠

المقصورة في شهور سنة خمس وتسعين وسبع مائة في أيام الظاهر برقوق ثم أعيد إلى ما كان عليه

رابعها إحترق جميعه في ربيع الأول سنة ثلاث وثمان مائة عند حضور الشهير بتمر لنك لما طرق هذه البلاد بعساكر كالجراد من فرس وهنود ومغل وغيرهم

ذو القعدة سنة ٨٨٨ مستهله الإثنين رأى الهلال الشيخ أبو." (١)

"الشافعي ورأى الشيخ تقي الدين بغزة

جمادى الأخرى مستهله السبت خامس عشره وصل الحاجب يونس وداوادار السلطان بدمشق

خامس عشريه وصل القاضي الشافعي من سفرته ثامن عشريه وصل مرسوم بتجهيز مباشري المرستان القاضي محب الدين الأنصاري نائب الناظر وشهاب الدين الصاحب وكان قد توجه قبل ورود المرسوم مع مباشري القاضي قطب الدين وفي المرسوم عبد القادر العدوي العامل ومحمد بن شعبان وقد وصل المرسوم على يد عبد القاضي كاتب السر الشريف المقر البدري وفي المرسوم أن أحمد الحموي شيخ سوق المرستان هو الشاكي عليهم وأن فائض الوقف في سبع سنين عشرون ألف دينار أكلها المذكورون والمرسوم إلى الكافل وإلى القاضي الشافعي

سادس عشريه وصل النائب من حوران ثالث عشريه عرض السيد نجم الدين بن برهان الدين بن السيد محمد الحسني كتاب الحاوي في الفقه وكتاب الكافية في النحو

رجب مستهله الإثنين ليلة رابعه حصل حريق في عمارة السلطان." (٢)

"بمسجد القصب وإستوعب الحريق الذي قبل هذا مع هذا من قناة العوني إلى قريب حمام برهان الدين وأخذ في العرض جانبا كبيرا وإحترق شمالي جامع منجك ونحو عشرين مسجدا بتلك النواحي وذهب للناس أموال كثيرة سابع عشره وصل مرسوم بطلب القاضي الحنبلي ابن مفلح ورفع أيضا مباشرو عمارة السلطان بمسجد القصب إلى الترسيم بشكوى محمد بن شكر نقيب القلعة كان عشريه سافر محمد بن شعبان من جهة المرستان وسافر ديوان القلعة زين الدين عبد القادر وجماعة من القلعة بسبب مهمات القلعة وحسابها

رمضان مستهله الخميس

شوال مستهله الجمعة شهدوا برؤيته بعد الزوال وصلوا بين الظهر والعصر وخطب القاضي الشافعي

رابعه إجتمع جماعة من الحنفية منهم برهان الدين بن القطب وقرئ مرسوم بعزل زين الدين الحسباني الحنفي وأن يختار الحنفية قاضيا غيره على أن يلتزم بدين قانصوه خمسمائة أمير آخور كبير وبدين غيره فالتزم إسماعيل الناصري بذلك ورضي به الحنفية فولاه النائب وشرط عليه أن لا يحكم إلا بالقول الراجح في مذهبه وأن لا يولي نائبا جاهلا ومن فعل خلاف هذا يكون معزولا وكان الحسباني جالسا في مجلس المتولي فأمر النائب بأن يقوم الحسباني ويجلس عماد الدين إسماعيل الناصري مكانه فنهض الحسباني وتوجه من المجلس بالكلية وجلس إسماعيل مكانه وولاه النائب حسب ما

---

(١) تاريخ البصروي البصروي ص/٩١

(٢) تاريخ البصروي البصروي ص/١٣٥

أذن له في المرسوم وأما الحسباني فتوجه من المجلس إلى مصر ثامن عشره سافر الحاج الشامي وأميرهم يزبك الظاهري أحد المقدمين بدمشق وقاضيهم أمين الدين الأيدوني رابع." (١)

"عشريه وصل الشيخ تقي الدين بن قاضي عجلون من القاهرة فالحمد لله

ذو القعدة مستهله الأحد ثالث عشريه وصل القاضي الحنبلي ابن مفلح من مصر ومعه ابن عبادة إلى تربة تنم ثم دخل دمشق رابع عشريه ولبس خلعته وتوجه بها إلى الصالحية وسافر القاضي الشافعي في ليلة هذا اليوم إلى بلاده في بيروت وصيدا وما يليهما

في آخره نزل الشيخ تقي الدين للقاضي سراج الدين عن تدريس الشامية البرانية بستمائة أشرفي وقبضها

ذو الحجة مستهله الإثنين سابعه ورد مرسوم أنهي فيه أن القاضي محب الدين رحمه الله إستولى على تركة حمزة داود الطيبي وأن السيد كمال الدين إستولى على تركة القاضي محب الدين رحمه الله وأنه يخرج ويبيعها وأن القاضي سراج الدين الصيرفي إستولى على تركة مسند أخي المرحوم القاضي قطب الدين وأنها نحو العشرين ألف دينار وقد ورد هذا على يد خاصكي يسمى تنم محلته بجامع القلعة يوم النحر خطب بالجامع الأموي الشيخ الحافظ برهان الدين إبراهيم التاجر لكون سراج الدين في الترسيم ثم أطلق وخطب في الخطبة التي بعدها

حادي عشريه وقع **حريق** غربي سوق البزوريين بمساكن الإفرنج وذهبت فيه للفرنج أموال كثيرة." (٢)

"يخلف مثله في جمعه للعلوم ونهضته في العبادة وصبره على التقلل من الدنيا رحمه الله تعالى وظهر وقف كتبه من سنة سبع وتسعين وثمانماية على طلبة العلم وان النظر فيها لشمس الدين بن البزة واضاف اليه قبل موته جماعة منهم شيخنا القدوة شهاب الدين المحوجب والله يلطف ويدبر ويختم لنا بخير آمين

يوم الجمعة عاشره اغلق نائب قلعة دمشق ابواب القلعة ونصبوا على نواحي القلعة المجانيق واستدعوا القلعية للرمي على الكافل والكافل جالس في الاسطبل لا يتحرك من بكرة إلى وقت الصلاة وخرج إلى الصلاة ماشيا ومعه رجلان فصلى بمسجد برأس جسر الزلابية ثم رجع واغلقت الاسواق واضطربت البلد وحط الحال على ان سبب ذلك نزاع حصل بين قطج دوادار الكافل وبين خازندار نائب القلعة فاجتمع الامراء بعد الصلاة واخذوا نائب القلعة إلى الكافل فألبسه خلعة ولنقيب القلعة خلعة وسكن الحال ثاني عشريه دقت البشائر لوصول الخبر بأن السلطان كان قد مرض ثم تعافى ونودي بالزينة فزينوا الاسواق واستمر ذلك إلى تاسع عشريه ورفعوا الزينة فعشيته جاء المرسوم بالزينة فجددوا ايضا نسأل الله حسن العافية

تاسع عشريه كان ختم مسند الشافعي بجامع نخلة بكرة النهار بالايوان الشمالي بقراءة الشيخ عيسى الغرابي وحضر الفضلاء ووقع الكلام في امر الانصار ومآثرهم وذريتهم الموجودين الآن بالقاهرة وكان مجلسا حافلا نسأل الله تعالى

---

(١) تاريخ البصروي البصروي ص/١٣٦

(٢) تاريخ البصروي البصروي ص/١٣٧

الاخلاص والقبول بحق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ليلة الثلاثين حصل قبل العشاء حريق تحت القلعة استوعب جسر الزلابية وسوق النحاسين غربيه إلى تربة." (١)

"متعلق بالامير قانصوه خمسماية على بركة الفيل

فيه فوض القاضي الحنفي نيابة الحكم للقاضي بهاء الدين الحجيني والقاضي علاء الدين بن الحموي الذي كان قاضي طرابلس ثم بعد ايام فوض للقاضي نور الدين معه سابع عشره لبس القصروي نظر الجيش بمصر وسيرته مشكورة

رابع عشريه لبس استادار السلطان على الاغوار خلعة جاءته من مصر الثلثاء خامس عشريه مستهل تشرين الثاني

ربيع الاول مستهله الاثنين سابع تشرين الثاني فيه اشيع ان الامير ازبك الظاهري الذي كان اتابك العساكر وصل إلى مصر من مكة وانه ذهب اليها كما علمت مما تقدم في اواخر سنة تسع ماية بعثه السلطان الاشرف قايتباي لما وقعت تلك الفتنة وحدث بسبب اشاعة وصوله الآن اضطراب بين العسكر واتهم بعض الامراء بعلمه بذلك وكانت الاشاعة بمصر في رابع عشر صفر

الجمعة خامسه عقب الفجر وقع حريق بالاخصاصيين فاحترقت الحوانيت والربوعة التي فوقها جميعها من الزقاق القبلي إلى الزقاق الشمالي." (٢)

"واخذ في العرض جانب كبير ايضا وحضر النائب بنفسه ونهض حتى قطع الحريق

سادسه وقع حريق ايضا ضحوة النهار بحارة الحكر غربي هذا الحريق خرجت النار من موضع هناك لا من آثار الحريق الاول واحترق في هذا بيوت وطباق وعجلوا قطعه

ثامنه وصل زين الدين عمر بن النيربي التاجر متوليا نظر الجيش والترجمة والوكالة ونظر القلعة ولبس خلعة وطرحة على العادة ووصل ايضا من مصر شمس الدين محمد الطولقي المالكي متوليا قضاء المالكية بدمشق عوضا عن القاضي شمس الدين بن يوسف المالكي وباشر الطولقي تلك المرة مباشرة قبيحة واما في هذه المرة فلا ادري ما يكون الحال ولعل الله يدفع ولبس خلعة وقرئ توقيعه بالجامع الأموي وحضر القضاة عل العادة ولبس الاثنان من دار النيابة وخرج معهما اركان الدولة ومروا على الجامع الأموي واستمر الجماعة مع ناظر الجيش إلى ان اوصلوه إلى منزله قريب القيمرية ثم رجع القضاة وحدهم إلى الجامع وهذا لم يتقدم نظيره فلا قوة الا بالله وفوض للقاضي شهاب الدين الطرابلسي ولبدر الدين ابن مشعل المصري وفيه وصل مرسوم بانه اضيف إلى النائب الرملة ونابلس وعجلون والصلت وحمص ليلة ثالث عشره وقع حريق عند مدرسة الحنابلة." (٣)

"الجوزية فاحترقت الطبقتان فوق القيسارية التي هي وقف الجامع فقطع الحريق ونهب الناس سوق السلاح وغيره خامس عشره وصل من حلب جان بلاط الاشرفي الذي كان نائب القدس متوليا نيابة كرك الشوبك ونزل بحارة بير

---

(١) تاريخ البصروي البصروي ص/١٦١

(٢) تاريخ البصروي البصروي ص/١٩٥

(٣) تاريخ البصروي البصروي ص/١٩٦

الاكراد واشاع الناس انه يكون دوادار السلطان بدمشق
ثاني عشريه وصل برسباي المحيوي يعرف بذلك الاشرفي متوليا نظر الجوالي ولبس خلعة من دار النيابة ووصل معه ازدمر قاصد النائب بخلعة ومعه خلعة ايضا للنائب فلبسوا في هذا اليوم وورد المرسوم وفيه جواب القلعية والامر بتسليمها لمن تولاها من قبل السلطان والاعتذار بان الزمن الماضي لم يعهد فيه قط ان نيابة القلعة تكون بيد نائب الشام والتأكيد في التسليم ليلة ثالث عشريه وقع مطر طول الليل واصبح متصلا طول النهار وهذا اول مطر وقع في هذه السنة وكان الناس محتاجين اليه ووصل السعر إلى ثلثماية الغرارة القمح وماية وخمسين الغرارة الشعير فحصل خير بهذه المطرة في ثامن عشري تشرين الثاني فالحمد لله
خامس عشريه وقع مطر شديد وجرت الميازيب وجاءت في الانهر زيادة وتغير الماء وفيه سافر الامير قرقماس المنفصل من الحجوبية إلى مصر وجهه الله للخير اين ما توجه ونعم الرجل هو نادرة بين الاتراك
سادس عشريه اجتمع اهل القرى من ناحية الغوطة بالجامع الاموي واستغاثوا عقب صلاة الجمعة بسبب انه رئي قتيل في بعض الطرق بين." (١)

"عجيب في كثرته فالحمد لله وانخفض السعر في كل شيء
وفيه وصل نائب قلعة دمشق يسمى قايتباي المبشر من مماليك السلطان قايتباي رحمه الله ونزل بالقبة
خامسه سافر إلى مصر السيد كريم الدين بن عجلان والقاضي محمود بن قاضي اذرعات وفيه اخرج القاضي شهاب الدين الرملي وجماعة الجامع محضرا على ابن اخي شعيب بفعل الفواحش وعليه خط نفسه ثم اخرج محضر فيه عدالته وديانته فيه خط الرملي لما قصد ان يتقرر في رياسة الجامع الأموي
ليلة سابعه وقع حريق داخل باب الجابية فاحترق سوق القضمانيين الصغار والناحية الاخرى القطانين فلا قوة الا بالله تعالى
سادسه وصل من بيت المقدس الشيخ جلال الدين محمد بن ابي شريف اخو شيخ الاسلام كمال الدين قاصدا حلب المحروسة وذكر ان اخاه طيب البدن جعل الله في حياته البركة ونزل بالسميساطية بالخلوة التي بالايوان القبلي وهو شاب لم يبلغ الاربعين واما اخوه المذكور فمولده سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ولهما اخ ثالث هو الشيخ برهان الدين نزيل القاهرة من اهل العلم الكبار عمدة في الفقه الشافعي وفي علوم كثيرة وهو اصغر من الشيخ كمال الدين مولده كما اخبرني سنة ست وثلاثين وثمانمائة." (٢)

"حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء إنه رجل ينكح أمهات الأولاد، والبنات، والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة.
قال الذهبي: ولما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل، مع شربه الخمر وإتيانه المنكرات، اشتد عليه الناس، وخرج عليه غير

---

(١) تاريخ البصروي البصروي ص/١٩٧

(٢) تاريخ البصروي البصروي ص/١٩٩

واحد، ولم يبارك الله في عمره، وسار جيش الحرة إلى مكة لقتال ابن الزبير، فمات أمير الجيش بالطريق، فاستخلف عليه أميرا، وأتوا مكة، فحاصروا ابن الزبير وقاتلوه ورموه بالمنجنيق، وذلك في صفر سنة أربع وستين، **واحترقت** من شرارة نيرانهم أستار الكعبة وسقفها وقرنا الكبش الذي فدى الله به إسماعيل وكانا في السقف، وأهلك الله يزيد في نصف شهر ربيع الأول من هذا العام، فجاء الخبر بوفاته والقتال مستمر، فنادى ابن الزبير: يا أهل الشام إن طاغيتكم قد أهلك، فانقلبوا وذلوا وتخطفهم الناس، ودعا ابن الزبير إلى بيعة نفسه، وتسمى بالخلافة، وأما أهل الشام فبايعوا معاوية بن يزيد، ولم تطل مدته كما سيأتي.

ومن شعر يزيد:

آب هذا الهم فاكتنعا١ ... وأمر النوم فامتنعا

راعيا للنجم أرقبه ... فإذا ما كوكب طلعا

حام حتى إنني لأرى ... أنه بالغور قد وقعا

ولها بالماطرون إذا ... أكل النمل الذي جمعا

نزهة حتى إذا بلغت ... نزلت من جلق بيعا

في قباب وسط دسكرة ... حولها الزيتون قد ينعا

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن عمر قال: أبو بكر الصديق أصبتم اسمه، عمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه، ابن عفان ذو النورين قتل مظلوما يؤتى كفلين من الرحمة، معاوية وابنه ملكا الأرض المقدسة، والسفاح، وسلام، والمنصور، وجابر، والمهدي، والأمين، وأمير الغضب، كلهم من بني كعب بن لؤي، كلهم صالح لا يوجد مثله.

قال الذهبي: له طرق عن ابن عمر، ولم يرفعه أحد.

وأخرجه الواقدي عن أبي جعفر الباقر قال: أول من كسا الكعبة الديباج يزيد بن معاوية.

مات في أيام يزيد من الأعلام سوى الذين قتلوا مع الحسين، وفي وقعة الحرة: أم سلمة أم المؤمنين وخالد بن عرفطة، وجرهد الأسلمي، وجابر بن عتيك، وبريدة بن الحصيب، ومسلمة بن مخلد، وعلقمة بن قيس النخعي الفقيه، ومسروق، والمسور بن مخرمة، وغيرهم رضي الله عنهم، وعدة المقتولين بالحرة من قريش والأنصار ثلاثمائة وستة رجال.

---

١ اكتنع في الأمر: طمع فيه، واكتنع الأمر: قرب، القاموس المحيط "٣/٨٢".." (١)

"العباس، وألبس الخطباء البياض، وأمر أن يقال في الخطبة: اللهم صل على محمد المصطفى، وعلى علي المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، وصل على الأئمة آباء أمير المؤمنين المعزل بالله، وذلك كله في شهر شعبان سنة ثمان وخمسين. في ثم ربيع الآخر سنة تسع وخمسين أذنوا في مصر ب: حي على خير العمل، وشرعوا في بناء الجامع الأزهر، ففرغ في رمضان سنة إحدى وستين.

---

(١) تاريخ الخلفاء السيوطي ص/١٥٩

وفي سنة تسع وخمسين انقض بالعراق كوكب عظيم أضاءت منه الدنيا حتى صار كأنه شعاع الشمس، وسمع بعد انقضاضه صوت كالرعد الشديد.

وفي سنة ستين أعلن المؤذنون بدمشق في الأذان بـ: حي على خير العمل، بأمر من جعفر بن فلاح نائب دمشق للمعز بالله، ولم يجسر أحد على مخالفته.

وفي سنة اثنتين وستين صادر السلطان بختيار المطيع، فقال المطيع: أنا ليس لي غير الخطبة فإن أحببتم اعتزلت، فشدد عليه حتى باع قماشه، وحمل أربعمائة ألف درهم وشاع في الألسنة أن الخليفة صودر، وفيها قتل رجل من أعوان الموالي ببغداد، فبعث الوزير أبو الفضل الشيرازي من طرح النار من النحاسين إلى السماكين، فاحترق **حريق** عظيم لم ير مثله، **واحترقت** الأموال وأناس كثيرون في الدور والحمامات، وهلك الوزير من عامه، ولا رحمه الله!. وفي رمضان من هذه السنة دخل المعز إلى مصر ومعه توابيت آبائه.

وفي سنة ثلاث وستين قلد المطيع القضاء أبا الحسن محمد ابن أم شيبان الهاشمي بعد تمنع، وشرط لنفسه شروطا، منها: أن لا يرتزق على القضاء، ولا يخلع عليه، ولا يشفع إليه فيما يخالف الشرع، وقرر لكاتبه في كل شهر ثلاثمائة درهم، ولحاجبه مائة وخمسين، للفارض على بابه مائة، ولخازن ديوان الحكم والأعوان ستمائة، وكتب له عهد صورته: هذا ما عهد به عبد الله الفضل المطيع لله أمير المؤمنين إلى محمد بن صالح الهاشمي، حين دعاه إلى ما يتولاه من القضاء بين أهل مدينة السلام مدينة المنصور، والمدينة الشرقية من الجانب الشرقي، والجانب الغربي، والكوفة، وسقى الفرات وواسط، وكرخي، وطريق الفرات، ودجلة، وطريق خراسان، وحلوان، وقرميسين، وديار ربيعة، وديار بكر، والموصل، والحرمين، واليمين، ودمشق، وحمص، وجند قنسرين، والعواصم، ومصر، والإسكندرية، وجند فلسطين، والأردن، وأعمال ذلك كلها، ومن يجري من ذلك من الأشراف على من يختاره من العباسيين بالكوفة، وسقى الفرات وأعمال ذلك وما قلده إياه من قضاء القضاة، وتصفح أحوال الحكام، والاستشراف على ما يجري عليه أمر الأحكام من سائر النواحي، والأمصار التي تشتمل عليها المملكة، وتنتهي إليها الدعوة وإقرار من يحمد هديه وطريقه، والاستبدال بمن يذم شيمته وسجيته، احتياطا للخاصة والعامة، وحنوا على الملة والذمة، عن علم بأنه المقدم في بيته وشرفه، المبرز في عفافته، الزكي في دينه وأمانته، الموصوف في ورعه ونزاهته، المشار إليه بالعلم والحجى، المجمع عليه في الحلم والنهى البعيد من الأدناس، اللابس من التقى أجمل اللباس، النقي الحبيب المحبو بصفاء الغيب، العالم بمصالح الدنيا، العارف بما يفسد سلامة العقبى، أمره بتقوى الله فإنها الجنة الواقية، وليجعل كتب الله في كل ما يعمل فيه رويته، ويرتب عليه حكمه وقضيه، إمامه." (١)

"وفي سنة اثنتين وستين فرغت المدرسة الظاهرية بين القصرين وولي بها تدريس الشافعية التقي ابن رزين، وتدريس الحديث الشريف الدمياطي، وفيها زلزلت مصر زلزلة عظيمة.

وفي سنة ثلاث وستين انتصر سلطان المسلمين بالأندلس أبو عبد الله بن الأحمر على الفرنج، واسترجع من أيديهم

---

(١) تاريخ الخلفاء السيوطي ص/٢٨٩

اثنتين: من جملتها إشبيلية ومرسية.

وفيها كثر **الحريق** بالقاهرة في عدة مواضع، ووجدت لفائف فيها النار والكبريت على الأسطحة، وفيها حضر السلطان بحر أشمون، وعمل فيه بنفسه والأمراء، وفيها مات طاغية التتار هولاكو، وملك بعده ابنه أبغا.

وفيها سلطن السلطان ولده الملك السعيد وعمره أربع سنين، وركبه بأبهة الملك في قلعة الجبل، وحمل الغاشية بنفسه بين يدي ولده من باب السر إلى باب السلسلة، ثم عاد وركب إلى القاهرة والأمراء مشاة بين يديه.

وفيها جدد بالديار المصرية القضاة الأربعة، من كل مذهب قاض، وسبب ذلك توقف القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز عن تنفيذ كثير من الأحكام، وتعطلت الأمور، وأبقى للشافعي النظر في أموال الأيتام، وأمور بيت المال، ثم فعل ذلك بدمشق.

وفي رمضان منها حجب السلطان الخليفة، ومنعه الناس لكون أصحابه كانوا يخرجون إلى البلد ويتكلمون في أمر الدولة.

وفي سنة خمس وستين وستمائة أمر السلطان بعمل الجامع بالحسنية، وتم في سنة سبع وستين، وقرر له خطيب حنفي.

وفي سنةأربع وسبعين وجه السلطان جيشا إلى النوبة ودنقلة، فانتصروا وأسر ملك النوبة، وأرسل به إلى الملك الظاهر، ووضعت الجزية على أهل دنقلة، ولله الحمد.

قال الذهبي: وأول ما غزيت النوبة في سنة إحدى وثلاثين من الهجرة، غزاها عبد الله بن أبي سرح في خمسة آلاف فارس ولم يفتحها، فهادنهم ورجع، ثم غزيت في زمن هشام، ولم تفتح، ثم في زمن المنصور، ثم غزاها تكن الزنكي، ثم كافور الإخشيدي، ثم ناصر الدولة ابن حمدان، ثم توران شاه أخو السلطان صلاح الدين في سنة ثمان وستين وخمسمائة، ولم تفتح إلا هذا العام، وقال في ذلك ابن عبد الظاهر:

هذا هو الفتح لا شيء سمعت به ... في شاهد العين لا ما في الأسانيد

وفي سنة ست وسبعين مات الملك الظاهر بدمشق في المحرم، واستقل ابنه الملك السعيد محمد بالسلطنة وله ثماني عشرة سنة.

وفيها جمع التقي ابن رزين بين قضاة مصر والقاهرة، وكان قضاء مصر قبل ذلك مفردا عن قضاء القاهرة، ثم لم يفرد بعد ذلك قضاء مصر عن قضاة القاهرة.

وفي سنة ثمان وسبعين خلع الملك السعيد من السلطنة، وسير إلى الكرك سلطانا بها، فمات من عامه، وولوا مكانه بمصر أخاه بدر الدين سلامش –وله سبع سنين– ولقبوه بالملك." (١)

"وذكر المطري قبل ذلك إنها كانت تأكل كل ما مرت عليه من جبل وحجر ولا تأكل الشجر قال وظهر لي إنه لتحريم النبي صلى الله عليه وسلم شجر المدينة فمنعت من أكل شجرها لوجوب طاعته على كل مخلوق " قلت " صرح القسطلاني بما يرده حيث قال إنها لم تزل مارة على سبيلها وهي تسحق ما والاها وتذيب ما لاقاها من الشجر الأخضر والحصبي وإن طرفها الشرقي آخذ بين الجبال فحالت دونه ثم وقفت وإن طرفها الشامي وهو الذي يلي الحرم اتصل

---

(١) تاريخ الخلفاء السيوطي ص/٣٣٨

بجبل يقال له وعيرة على قرب من شرقي جبل أحد ومضت في الشظاة التي في طرفها وادي حمزة رضي الله عنه حتى استقرت تجاه حرم النبي صلى الله عليه وسلم فطفئت قال وأخبرني شخص اعتمد عليه إنه عاين حجرا ضخما من حجارة الحرة كان بعضه خارجا عن حد

الحرم فعلقت بما خرج منه فلما وصلت إلى ما دخل منه في الحرم طفئت وخمدت وقال في موضع آخر إنها لما استقبلت الشام سالت إلى أن وصلت إلى موضع يقا ل له قرين الأرنب بقرب أحد فوقفت وانطفأت قلت وهذا أولى بالاعتماد وأبلغ في الأعجاز ونقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب القاضي سنان ما يؤيده فإنه قال فيه إن سيل هذه النار انحدر مع وادي الشظاة حتى حاذى جبل أحد وكادت النار تقارب حرة العريض ثم سكن قتبرها الذي يلي المدينة وطفئت مما يلي العريض ورجعت تسير في المشرق وكذا قول المؤرخين إنها سالت سيلا ذريعا في واد يكون طوله مقدار أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال وعمقه قامة ونصف وهي تجري على وجه الأرض والصخر يذوب كالآنك ولم يزل يجتمع منه في آخر الوادي عند منتهى الحرة أي في المشرق حتى قطعت في وسط وادي الشظاة إلى جهة جبل وعيرة فسدت الوادي المذكور بسد عظيم من الحجر المسبوك بالنار قلت وآثار السد موجودة اليوم هناك ويسمى الحبس وقال القسطلاني أخبرني جمع أركن إلى قولهم إنها تركت على الأرض من الحجر ارتفاع رمح طويل على الأرض الأصلية انتهى وأنقطع وادي الشظاة بسبب ذلك وصار السيل يتحبس خلف السد المذكور حتى يصير بحرا مد البصر عرضا وطولا وسيأتي خبر انخراقه في الفصل الثاني من الباب الثامن ومن العجائب إن في تلك السنة احترق المسجد النبوي **حريقه** الأول عقب انطفاء هذه النار وزادت دجلة زيادة عظيمة فغرق أكثر بغداد وتهدمت دار الوزير ثم في السنة التي بعدها وقعت الطامة الكبرى بأخذ التتار لبغداد وقتل الخليفة وأهلها بذل السيف فيهم نيفا وثلاثين يوما وألقيت الكتب تحت أرجل الدواب وبنى منها معالفهم بالمدرسة المستنصرية وخلت بغداد ثم استولى عليها **الحريق** حتى عم ترب الرصافة مدفن ولاة الخلافة وشوهد على بعض حيطانهافعلقت بما خرج منه فلما وصلت إلى ما دخل منه في الحرم طفئت وخمدت وقال في موضع آخر إنها لما استقبلت الشام سالت إلى أن وصلت إلى موضع يقال له قرين الأرنب بقرب أحد فوقفت وانطفأت قلت وهذا أولى بالاعتماد وأبلغ في الأعجاز." (١)

"وقال القسطلاني أخبرني جمع أركن إلى قولهم إنها تركت على الأرض من الحجر ارتفاع رمح طويل على الأرض الأصلية انتهى وأنقطع وادي الشظاة بسبب ذلك وصار السيل يتحبس خلف السد المذكور حتى يصير بحرا مد البصر عرضا وطولا وسيأتي خبر انخراقه في الفصل الثاني من الباب الثامن ومن العجائب إن في تلك السنة احترق المسجد النبوي **حريقه** الأول عقب انطفاء هذه النار وزادت دجلة زيادة عظيمة فغرق أكثر بغداد وتهدمت دار." (٢)

"الوزير ثم في السنة التي بعدها وقعت الطامة الكبرى بأخذ التتار لبغداد وقتل الخليفة وأهلها بذل السيف فيهم نيفا وثلاثين يوما وألقيت الكتب تحت أرجل الدواب وبنى منها معالفهم بالمدرسة المستنصرية وخلت بغداد ثم استولى

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٣١٣/١

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٣١٥/١

عليها الحريق حتى عم ترب الرصافة مدفن ولاة الخلافة وشوهد على بعض حيطانها

أن ترد عبرة فهذي بنو العباس دارت عليهم الدائرات

استبيح الحريم إذ قتل الأحسبا منهم وأحرق الأموات

وكثر الموت والفناء بتلك الناحية وطوى بساط الخلافة منها وذكر بعضهم هذه النار وغرق بغداد وأصلحه أبو شامة منبها على إنهما في سنة بقوله

سبحان من أصبحت مشيئته ... جارية في الورى بمقدار

في سنة أغرق العراق وقد ... أحرق أرض الحجاز بالنار

وقريب من هذه النار ما ذكره أبن شبة في أخبار خالد بن سنان العبسي وهو كما في الخبر نبي ضيعه قومه وكانت سالت عليهم نار من حرة النار في ناحية خيبر وكانت الإبل تعشى بضوئها من مسيرة ثماني ليال وإن خالد أطفأها عنهم وقد بسطنا خبرها في الأصل." (١)

"ولم أفهم معنى قوله أزقة وقد صرح في موضع آخر ببنيان ما استقر عليه الأمر في المسجد النبوي فقال إنه عن شرقي المنبر أربع أساطين وعن غربيه أربع أساطين اه فتلخص إن جداره كان في موضع الأسطوانة الخامسة من الجهتين كما قدمناه إلا أنه يزيد على الأسطوانة الخامسة في المشرق شيئا مما بينها وبين الأساطين اللاصقة بجدار القبر على ما سبق عن مالك وغيره في كونه كان في موازاة القناديل هناك قلت ويؤيد ذلك إنه قد ظهر عند تأسيس دعائم القبة الآتي ذكرها درج عند باب مقصورة الحجرة الشامي في موازاة الحد المذكور يقابل الباب المعروف اليوم بباب جبريل عليه السلام فالظاهر أنه كان هناك قبل نقله إلى محله اليوم وبهذا كله يظهر

رد ما عليه المتأخرون في حدود المسجد النبوي وغلط من توهم منهم أن عمر بن عبد العزيز بنى حائزة على الحجرة من جهة المغرب في طرف الروضة الشريفة من المسجد وأنقصها به لأجل المصلحة فلم يبنه إلا في أرض الحجرة والظاهر أن الجدار الداخل الذي عليه الحائز هو جدار الصفة وقد ذرعت من جدار الحائز المذكور إلى الأسطوانة الخامسة من المنبر في المغرب فكان نحو مائة ذراع إنما ينقص عنها نحو أربع أذرع أو خمس وقد كان في جدار القبلة تجاه الأسطوانة الخامسة من غربي المنبر التي كان أسفلها مربعا طراز آخذ من سقف المسجد إلى العصابة السفلى الظاهرية ذهب في حريق زماننا وبقي موضعه أصباغ ملونة في الجدار من صناعة الأقدمين لم تذهب إلا عند هدم الجدار فقد كان علامة لما يحاذي نهاية المسجد النبوي من هذه الجهة خلاف ما زعمه المطري من إنه علامة لنهاية زيادة عثمان رضي الله عنه وهو مردود بلا شك لما سيأتي من أن عمر رضي الله عنه زاد من جهة المغرب دون المشرق وأنه جعل عرض المسجد مائة وعشرين ذراعا فيكون زاد على المسجد الأصلي عشرين ذراعا في هذه الجهة وهي أسطوانتان كما يعلم مما ذكر في ذرع ما بين كل أسطوانتين ولما سيأتي من أن عثمان رضي الله عنه زاد بعده في المغرب أسطوانة فقط وأن الوليد زاد بعده أسطوانتين وعليه استقر أمر الزيادة في المغرب ولا شك إن من الأسطوانة الخامسة المحاذية للطراز

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٣١٦/١

المذكور إلى جدار المسجد الغربي اليوم خمس أساطين فقط فثلاث منها لعمر وعثمان رضي الله عنه وثنتان للوليد فلو كان الطراز لمذكور نهاية زيادة عثمان رضي الله عنه لكان بعده أسطوانتان للوليد فتبقى ثلاث أساطين زيدت بعد الوليد ولا قائل به إنما أوقع المطري في ذلك اعتماده لأن نهاية المسجد النبوي في المغرب الأسطوانة التي بعد المنبر وهو عجيب لأنه جازم بأن موضع المنبر لم يغير باتفاق فكيف يجعل النبي صلى الله عليه وسلم منبره الذي يقف عليه لمخاطبة أصحابه في طرف مسجده ر يتوسطهم وإنما الصواب ما قدمناه وإنما أطلنا في ذلك لدفع ما تقدم من التوهم ولما تصح ما أسلفناه للمقر ال شجاعي شاهين الجمالي ناظر الحرم النبوي اتخذ لأعالي الأسطوانة الخامسة من المنبر من صف الأساطين التي في قبلة المنبر طرازا متصلا بالسقف بدلا عن الطراز الذي كان تجاهها في جدار القبلة ونقش فيه ما حاصله إن ذلك هو الذي استقر عليه الأمر في نهاية المسجد النبوي وحده وفقنا الله وإياه لحفظ الحدود وألحقنا بالمقربين الشهود ويتفرع على ذلك ما قيل في اختصاص المضاعفة بالمسجد النبوي دون ما زيد فيه وقد حققنا المسألة في الأصل فراجعهليه المتأخرون في حدود المسجد النبوي وغلط من توهم منهم أن عمر بن عبد العزيز بنى حائزة على الحجرة من جهة المغرب في طرف الروضة الشريفة من المسجد وأنقصها به لأجل المصلحة فلم يبنه إلا في أرض الحجرة والظاهر أن الجدار الداخل الذي عليه الحائز هو جدار الصفة وقد ذرعت من جدار الحائز المذكور إلى الأسطوانة الخامسة من المنبر في المغرب فكان نحو مائة ذراع إنما ينقص عنها نحو أربع أذرع أو خمس وقد كان في جدار القبلة تجاه الأسطوانة الخامسة من غربي المنبر التي كان أسفلها مربعا طراز آخذ من سقف المسجد إلى العصابة السفلى الظاهرية ذهب في حريق زماننا وبقى موضعه أصباغ ملونة في الجدار من صناعة الأقدمين لم تذهب إلا عند هدم الجدار فقد كان علامة لما يحاذي نهاية المسجد النبوي من هذه الجهة خلاف ما زعمه المطري من إنه علامة لنهاية زيادة عثمان رضي الله عنه وهو مردود بلا شك لما سيأتي." (١)

"ولذا قال النووي في مناسكه وفي الأحياء أنه يعني المصلى يجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم اه واستقبال السارية بأن يجعلها تلقاء جهة يمينه فيقف في طرف حوض المصلى مما يلي الأسطوانة المذكورة لما سبق من قول أبن زبالة عن غير واحد وإذا عدلت عنها قليلا ودعلت الجزعة بين عينيك الخ وقد أتضح لنا محل المنبر الأصلي شبه حوض من حجر كما سيأتي في جانبيه من المشرق والمغرب فرضتان منقورتان في الحجر بهما آثار الرصاص بحيث لا يخفي على من أحاط علما بأوصاف المنبر القديم إنهما محل عمودية الذين كان بأعلاهما رمانتا كانا محكمين بالرصاص في تلك الفرضتين فقمت في طرف المصلى الشريف الذي يلي المنبر وأقمت في الفرضة التي تلي الروضة عمودا فكان ذلك في محاذاة يميني وأما التعريف بالجزعة والدائرة فإنما كان ذلك قبل الحريق الأول كما قال المطري لأن اللوح الخشب الذي جعل في قبلة الصندوق بعد الحريق المذكور يحجب عن مشاهدة ما في المحراب القبلي قال

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/٢٢

وكان يحصل بتلك الجزعة فتنة كبيرة يجتمع إليها النساء والرجال ويقال هذه خرزة فاطمة الزهراء فتقف المرأة لصاحبتها حتى ترقى على ظهرها وكتفيها حتى تصل إليها فربما وقعتا وانكشفت العورة فأمر بقلعها." (١)

"الصاحب زين الدين أحمد بن محمد المصري المعروف بأبن حناء في مجاورته سنة إحدى وسبعمائة وفيها أزال أيضا بدعة العروة الوثقى من الكعبة قلت ولعل هذه الجزعة المشار إليها بقول أبن عبد ربه على ترس المحراب يعني بجدار القبلة فضة ثابتة غليظة في وسطها مرآة مربعة ذكر أنها كانت لعائشة رضي الله عنه ثم فوقه أزرار رخام فيه نقوش تحتها صفائح ذهب مثمنة فيها جزعة مثل جمجمة الصبي الصغير مسمرة ثم تحتها إلى الأرض أزار رخام مخلق بخلوق فيه الوتد الذي كان صلى الله عليه وسلم يتوكأ عليه في المحراب الأول اه وقد وسع المحراب القبلي عما كان عليه وزيد في طوله وتغير عن محله بعد الحريق الثاني وأبدل الصندوق الذي كان أمام المصلى النبوي واللوح الذي كان في قبلته بدعامة فيها محراب مرخم مرتفع يسيرا عن أرض حوض المصلى الشريف ووسع الحوض المذكور يسيرا على يد متولي العمارة الشمس بن الزمن فمن تحرى في القيام محاذاة هذا المحراب كان المصلى الشريف عن يمينه لما سبق عن الأحياء وغيره فينبغي تحري طرف الحوض المذكور الذي يلي المنبر فقد ذرعت ما بين محل المنبر الأصلي وبين الطرف المذكور فكان أربعة عشر ذراعا وشبرا كما حرره أبن زبالة." (٢)

"صاحب مالك وغيره في ذرع ما بين المنبر والمصلى الشريف وكذا اختبرت ما بين هذا الطرف وبين أسطوانة التوبة في المشرق فوافق ما ذكره أبن زبالة أيضا وذكر أبو غسان صاحب مالك وغيره ذي ذرع ما بين المنبر والمصلى الشريف وكذا اختبرت ما بين هذا الطرف وبين أسطوانة التوبة في المشرق فوافق ما ذكره أبن زبالة أيضا وذكر أبو غسان صاحب مالك أن ما بين الحجرة الشريفة في المشرق وبين مقام النبي صلى الله عليه وسلم ثمان وثلاثون ذراعا وإن ما بينه وبين المنبر الشريف أربع عشرة ذراعا وشبرا وقد اختبرته من الجهتين فلم يصح إلا إلى طرف الحوض الغربي فعلم إن الزيادة وقعت فيه شرقيا وإن المحافظ عليه طرفه الغربي ولذا قال أبو غسان كما سبق قبيل الباب الثالث إن ذرع ما بين المنبر والقبر يعني جداره ثلاث وخمسون ذراعا وجملة ما ذكره من الذرع هنا اثنان وخمسون ذراعا وشبرا فبقية الذراع الثالث والخمسين هو عرض الموقف وعرض هذا الحوض ذراعان ونصف وثمن وكان ينزل إليه بدرجة لارتفاع أرض مقدم المسجد عن أرضه نحو الذراع لتكاثف ما يفترش به المسجد من الحصباء على طول السنين فوطأ مقدم المسجد وخفض حتى ساوى أرض الحوض المذكور ولله الحمد وسماه أبن جبير في رحلته بالروضة الصغيرة وقال إن الإمام يصلي بالروضة الصغيرة التي إلى جانبها الصندوق قال وبإزائها الجهة القبلة عمود مطبق يقال أنه على بقية الجذع الذي حن للنبي صلى الله عليه وسلم وقطعة منه وسط العمود ظاهرة يقبلها الناس وعلى حافتها في القبلة منها الصندوق انتهى ولما سقطت أساطين الروضة في حريق زماننا ظهر في بعضها قطع من جذوع النخل مثبتة بالرصاص المجعول في جوف خرز الأساطين

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٣٨/٢

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٣٩/٢

وهذا لا يصنع إلا للتبرك وأظنه من الجذوع التي كانت في زمنه صلى الله عليه وسلم وكذا ما وجد من اللبن القديم بين الحجارة الموجودة في جدار الحجرة عند عمارتها فهو شاهد لما ذكر." (١)

"امتداده في الأرض سبع أذرع بتقديم السين بإضافة عتبة الدكة الرخام التي المنبر فوقها وتلك العتبة ذراع فامتداد المنبر بدونها ست أذرع وبينا وهم من نقل خلاف هذا وقد سمى أبن النجار الرخام الذي كان المنبر عليه دكة لارتفاعه كما قال شبرا وعقد أو سماه أبن خبير في رحلته حوضا قال وارتفاعه شبر ونصف وقد ظهرت لنا كذلك عند خفض أرض مقدم المسجد ولما حفرت من أجل تأسيس المنبر الرخام أتضح إنها مجوفة كالحوض وما بين فرضتي عمودي المنبر فيها خمسة أشبار وقد ذكر أبن خبير أن ذلك سعة المنبر قال وهو مغشي بعود الأبنوس ومقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر من أعلاه وقد طبق عليه لوح من الأبنوس غير متصل به يصونه من القعود عليه فيدخل الناس أيديهم إليه للتبرك به وهو شاهد لقول سند في الطراز أنه جعل على المنبر النبوي منبرا كالغلاف وجعل في المنبر الأعلى طاق مما يلي الروضة يدخل الناس منها أيديهم يمسحون المنبر النبوي ويتبركون به انتهى وكان هذا مما تجدد بعد أبن زبالة لكن أبن النجار أدرك هذا المنبر وهو المراد من وصفه كما أوضحناه في الأصل. وقال المطري حدثني يعقوب بن أبي بكر من أولاد المجاورين وكان أبوه أبو بكر فراشا بالمسجد كان حريقه يعني الأول على يده إن المنبر الذي." (٢)

"زاده معاوية ورفع المنبر النبوي عليه تهافت على طول الزمان وإن بعض خلفاء بني العباس جدده وأتخذ من بقايا أعواد منبر النبي صلى الله عليه وسلم أمشاطا للتبرك وعمل المنبر الذي ذكره أبن النجار قال يعقوب سمعت ذلك من جماعة بالمدينة يوثق بهم وإن المنبر المحترق هو الذي جدده الخليفة المذكور وهو الذي أدركه أبن النجار لأن وفاته قبل الحريق المذكور قلت أبن عساكر تلميذ أبن النجار وقد أدرك الحريق المذكور وذلك المنبر ومع ذلك قال في تحفته قد احترقت بقايا منبر النبي صلى الله عليه وسلم القديمة وفات الزائرين لمس رمانة المنبر التي كان يضع صلى الله عليه وسلم يده الكريمة عليها ولمس موضع جلوسه ولمس موضع قدميه الشريفين بركة عامة وفيه صلى الله عليه وسلم عوض من كل ذاهب قلت ولما حفروا جوف الدكة المتقدمة لتأسيس هذا المنبر شاهدت فيما يلي القبلة منها قطعا كثيرة من أخشاب المنبر المحترق أعني الذي كان فيه بقايا المنبر النبوي وضعت حرصا على إبقاء البركة بذلك المحل وقد أعيد ما بقى من تلك الأخشاب لذلك المحل عند تأسيس هذا المنبر الرخام ولما احترق المنبر المذكور في حريق المسجد سنة أربع وخمسين وستمائة كما سيأتي أرسل المظفر صاحب اليمن سنة ست وخمسين وستمائة منبرا له رمانتان من الصندل فنصب في موضع المنبر النبوي فخطب عليه عشر سنين ثم أرسل الظاهر ركن." (٣)

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/٤٠

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/٥٤

(٣) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/٥٥

"أي قبل زيادة الرواقين في مؤخر سقف مقدم المسجد قال ابن زبالة بينها وبين القبر الشريف عشرون ذراعا قلت فهي الرابعة من المنبر والثانية من القبر والثالثة من القبلة والخامسة في زماننا من رحبة المسجد وهي بين أسطوانة عائشة رضي الله عنه وبين الأسطوانة اللاصقة بشباك الحجرة وكان فيها محراب من الجص يميزها عن غيرها زال بعد **الحريق** الثاني وتوهم البد بن فرحون أنها اللاصقة بالشباك المذكور وقد أوضحنا رده في الأصل. ومنها أسطوانة السرير أسند ابن زبالة ويحيي في بيان معتكف النبي صلى الله عليه وسلم مع ما سبق أسطوانة النوبة عن ابن عمران محمد بن أيوب قال أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم سرير من جريد فيه سعفة يوضع بين الأسطوانة التي وجاه القبر وبين القناديل كان يضطجع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت هذه الأسطوانة هي اللاصقة بالشباك اليوم شرقي أسطوانة التوبة وكان السرير كان يوضع مرة عند أسطوانة التوبة." (١)

"القلادة صفة لأسطوانة علي فوصفها به. ومنها أسطوانة مربعة القبر ويقال لها مقام جبريل وهي في حائز الحجرة عند منحرف صفحته الغربية إلى الشمال بينها وبين أسطوانة الوفود الأسطوانة اللاصقة بشباك الحجرة ولذا روى ابن عساكر في أسطوانة الوفود انك إذا عددت الأسطوانة التي فيها مقام جبريل عليه السلام كانت هي الثالثة وليحيي وابن زبالة عن مسلم بن أبي مريم وغيره كان باب بيت فاطمة رضي الله عنها في المربعة التي في القبر قال سليمان قال لي مسلم لا تنسى حظك من الصلاة إليها فإنها باب فاطمة أي وقد كان صلى الله عليه وسلم يأتيه حتى يأخذ بعضادتيه ويقول السلام عليكم أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا رواه يحيي عن أبي الحمراء وفي رواية له كل يوم فيقول الصلاة الصلاة الحديث وقد حرم الناس التبرك بها وبأسطوانة السرير لغلق أبواب الشباك الدائر على الحجرة الشريفة. ومنها أسطوانة التهجد أسند يحيي عن عيسى بن عبد الله عن أبيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج حصيرا كل ليلة إذا انكفت الناس فيطرح وراء بيت علي رض الله عنه ثم يصلي صلاة الليل فرآه رجل فصلى بصلاته ثم آخر فصلى بصلاته حتى كثروا وألتفت فإذا بهم فأمر بالحصير فطوى ثم دخل لما أصبح جاءوه فقالوا يا رسول الله كنت تصلي بصلاتك فقال إني خشيت أن تنزل عليكم صلاة الليل ثم لا تقوون عليها قال عيسى وذلك موضع الأسطوانة التي على طريق باب النبي صلى الله عليه وسلم مما يلي الزور بالزاي أي الموضع المزور خلف الحجرة من حائزها وصحفه بعضهم فقال الدورة وفي خط الأقشهري دورة قال عيسى وحدثني سعيد بن عبد الله بن فضيل قال مر بي محمد بن الحنفية وأنا أصلي إليها فقال أراك تزم هذه الأسطوانة هل جاءك فيها أثر قلت لا قال فألزمها فإنها كانت مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قال ابن النجار هذه الأسطوانة وراء بيت فاطمة رضي الله عنها من جهة الشمال وفيها محراب إذا توجه المصلى إليه كانت يساره إلى باب عثمان المعروف اليوم باب جبريل قال المطري وحولها الدرابزين أي المقصورة الدائرة على الحجرة الشريفة وقد كتبت فيها بالرخام هذا متهجد النبي صلى الله عليه وسلم قلت وقد أتخذ في موضعها بعد **الحريق** الثاني دعامة عند بناء القبة واتخذوا فيها محرابا مرخما ومقتضى ما سبق في حدود المسجد خروج الموضع المذكور عنه وأنه كان يواجه الخارج من باب عثمان وقد أتضح أن

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/٦٤

درجة التي ظهرت عند باب الحجرة الشامي كانت مستقبلة الشام فلم يكن الموضع المذكور في طريق المارة وهذه الأسطوانة هي آخر الأساطين التي ذكر لها أهل التأريخ فضلا خاصا وإلا فجميع سواري المسجد لها فضل ففي لبخاري عن أنس لقد أدركت كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتدرون السواري عند المغرب فجميع سواريه تستحب الصلاة عندها إذ لا تخلوا من صلاة كبار الصحابة إليها قال ابن النجار وله عن أهل السير أن محمد بن مسلمة لما جد ماله جاء بقنو فجعله في المسجد بين ساريتين فجعل الناس يفعلون ذلك وكان معاذ بن جبل يقوم عليه وكان يجعل حبلا بين الساريتين ثم يعلق على الحبل ويجمع العشرين أو أكثر فيهمش عليهم بعصا من الأقناء فيأكلون أي أهل الصفة وهم أضياف الإسلام كما في الصحيح وهي ظلة كانت مؤخر المسجد يأوي إليها المساكين على أشهر الأقوال قاله عياض وقال الحافظ الذهبي أن القبلة كانت في شمالي المسجد فلما حولت بقى حائط القبلة الأولى مكان أهل الصفة. ليوم ولابن زبالة عن غير واحد منهم عبد العزيز بن محمد أن الأسطوانة التي إلى الرحبة التي في صف أسطوانة التوبة بينها وبين أسطوانة التوبة مصلى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وأنه المجلس الذي يقال له القلادة وكان يجلس فيه سراة الناس قديما وفهم الأقشهري من هذا أن مجلس القلادة صفة لأسطوانة علي فوصفها به. ومنها أسطوانة مربعة القبر ويقال لها مقام جبريل وهي في حائز الحجرة عند منحرف صفحته الغريبة إلى الشمال بينها وبين أسطوانة الوفود الأسطوانة اللاصقة بشباك الحجرة ولذا روى ابن عساكر في أسطوانة الوفود انك إذا عددت الأسطوانة التي فيها مقام جبريل عليه السلام كانت هي الثالثة وليحيي وابن زبالة عن مسلم بن أبي مريم وغيره كان باب بيت فاطمة رضي الله عنها في المربعة التي في القبر قال سليمان قال لي مسلم لا تنسى حظك من الصلاة إليها فإنها باب فاطمة أي وقد كان صلى الله عليه وسلم يأتيه حتى يأخذ بعضادتيه ويقول السلام عليكم أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا رواه يحيي عن أبي الحمراء." (١)

"لا قال فألزمها فإنها كانت مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قال ابن النجار هذه الأسطوانة وراء بيت فاطمة رضي الله عنها من جهة الشمال وفيها محراب إذا توجه المصلى إليه كانت يساره إلى باب عثمان المعروف اليوم باب جبريل قال المطري وحولها الدرابزين أي المقصورة الدائرة على الحجرة الشريفة وقد كتبت فيها بالرخام هذا متهجد النبي صلى الله عليه وسلم قلت وقد أتخذ في موضعها بعد **الحريق** الثاني دعامة عند بناء القبة واتخذوا فيها محرابا مرخما ومقتضى ما سبق في حدود المسجد خروج الموضع المذكور عنه وأنه كان يواجه الخارج من باب عثمان وقد أتضح أن درجة التي ظهرت عند باب الحجرة الشامي كانت مستقبلة الشام فلم يكن الموضع المذكور في طريق المارة وهذه الأسطوانة هي آخر الأساطين التي ذكر لها أهل التأريخ فضلا خاصا وإلا فجميع سواري المسجد لها فضل." (٢)

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٦٧/٢

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمه ودي ٦٩/٢

"عليه السلام أن أبن لي بيتا أذكر فيه فخط له خطة بيت المقدس فإذا تربيعها بزاوية بيت لبعض بني إسرائيل فسأله داود عليه السلام أن يبيعه فأبى بعد أن ضاعف له الثمن فحدث داود نفسه أن يأخذه منه فأوحى الله تعالى إليه أمرتك أن تبني لي بيتا فأردت أن تدخل فيه الغضب وليس من شأني الغضب وأن عقوبتك أن لا تبنيه قال يا رب فمن ولدي قال فمن ولدك فأعطاه سليمان فلما قضى أبي للعباس رضي الله عنه قال قد تصدقت بها على المسلمين فأما وأنت تخاصمني فلا وللبيهقي كتاب الرجعة من سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قريب من ذلك وقد أتفق للعباس مع عمر رضي الله عنه قصة في ميزاب بهذه الدار لأنه كان يصب في المسجد وفي رواية على بابه فنزعه عمر فقال العباس رضي الله عنه والله ما شده إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه والله ما تشده إلا ورجلاك على عاتقي فرده مكانه وليحيي عن ابن عمر أن هذه الدار كانت فيما بين موضع الأسطوانة المربعة التي تلي دار مروان وأن أي وهي الخامسة من المنبر التي كان يقابلها الطراز في جدار المسجد على ما سبق في حدوده وإنما ذهب تربيعها عقب حريق زماننا أي بينها وبين باب السلام وفي كلام يحيي في موضع آخر ما بين أنه بقى من هذه الدار بقية دخلت في دار مروان التي في محلها اليوم ميضأة باب السلام وأن عثمان أدخل منها سيأتي في زيادته." (١)

"قلت وفي صف الأسطوانة السابعة من المنبر أسطوانة مربع أسفلها فهي المرادة لقدمناه في زيادة عمر وأن لم يكن في صف الأساطين التي تلي القبلة بل في الصف الذي خلف محراب الحنفية وليس المراد بالمربعة هنا الأسطوانة الرابعة من المنبر وإن زعمه المطري لما أوضحناه في الأصل فنهاية المسجد في زمنه من المغرب الثامنة من المنبر وهناك أسطوانة مربع أسفلها تواجه الداخل من باب السلام الظاهر أنها علامة لنهاية زيادته وابتداء زيادة الوليد إذ منها للجدار الغربي أسطوانتان وهما للوليد كما سيأتي والمراد المربعة الغربية التي سبق في حدود المسجد أنها كانت ركن صحنه قبل زيادة الرواقين هناك وهي السادسة من المنبر فتكون نهاية زيادة عمر ونهاية زيادة عثمان التي تليها وهي السابعة فيبقى للوليد ثلاثة أساطين في المغرب وسيأتي في زيادته ما يفهم منه ذلك أيضا وإن كان مردودا فيتحر من ذلك قولان في نهاية زي ا دة عمر وعثمان رضي الله عنه وأرجحهما الأول ولأبن شبة نقلا عن أبن أبي يحيى إنه كانت لأبي سبرة بن أبي رهم دار موضعها عند الأسطوانة المربعة التي في المسجد اليمانية

الغربية وكانت جديدة ودار كانت هناك لعمار أبن ياسر فأدخلنا في المسجد انتهى وعبر أبن زبالة في إدخالهما أيضا بالصيغة المبينة لما لم يسم فاعله فقال وأدخل فيه من المغرب دار كانت لطلحة بن عبيد الله ودار كانت لأبي سبرة إلى أخره والظاهر إن ذلك أدخل مفرقا في الزيادات الثلاث وليحيى عن عبد الله بن عطية بن عبد الله أبن أنبيس بنى عثمان المسجد بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده حجارة منقوشة وبها عمد الحديد فيها الرصاص وسقفه ساجا وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع وجعل أبوابه ستة على ما كان على عهد عمر باب عاتكة أي المعروف بباب الرحمة والباب الذي يليه أي في جهة محاذاته من المشرق وهو باب النساء وباب م روان أي المعروف بباب السلام والباب الذي يقال له باب النبي صلى الله عليه وسلم أي لكونه كان يدخل منه وهو باب جبريل عليه السلام وبابين مؤخر

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٩١/٢

المسجد وما ذكره في الطول يقتضي أنه لم يزده على ما سبق من الذرع زمن عمر سوى عشرين ذراعا فعشر منها في القبلة لأنه زاد فيها الرواق الذي يليها وعشرة في الشام خلاف ما سبق أنه زاد فيه إلى الشام خمسين ذراعا وينبغي تأويله على إن الزيادة بلغت ذلك خمسين بضم ما زاده عمر ليجامع ما سيأتي في زيادة الوليد وإلا فالأرجح رواية المائة والستين للطول وما ذكره في العرض مردود لما سبق من كونه لم يزد في المغرب سوى أسطوانة واحدة وللاتفاق على انه لم يزد في المشرق شيئا ولم يدخل الحجرة الشريفة ومعلوم أن وجد جدار المسجد الغربي إلى جدار الحجرة الشريفة لم يبلغ خمسين ومائة ذراع ولو بلغه فأين زيادة الوليد المتفق عليها في المغرب ولعله توهم إدخال الحجرة الشريفة في الذرع ولأبن زبالة عن عبد الله بن عمر بن حفص مد عمر بن الخطاب جدار القبلة إلى الأساطين التي إليها المقصورة اليوم ثم زاد في القبلة حتى بلغ جداره اليوم قال فسمعت أبي يقول لما احتيج إلى بيت حفصة قالت فكيف بطريقي إلى المسجد فقال لها نعطيك أوسع من بيتك ونجعل لك طريقا مثل طريقك فأعطاها دار عبيد الله بن عمر وكانت مربدا فالقائل أعطيك عثمان لأنه أورده في زيادته ثم روى عقبة أن عثمان قدم جدار الموضعة اليوم وأدخل بقيعة دار العباس مما يلي القبلة والشام والمغرب وأدخل بعض بيوت حفصة بنت عمر رضي الله عنه مما يلي القبلة فأقام المسجد على تلك الحال حتى زاد فيه الوليد ولأبن زبالة وابن شبة ويحيي عن عبد الرحمن بن سعد عن أشياخه أن أول من عمل المقصورة بلبن عثمان بن عفان رضي الله عنه وكانت فيه كوى ينظر الناس منها إلى الأمام وأن عمر ابن عبد العزيز هو الذي جعلها من ساج حين بنى المسجد زاد الأول والأخير عن عيسى ابن محمد بن السائب وغيره وأستعمل عليها عثمان بن السائب بن خباب وكان رزقه دينارين في كل شهر فتوفى عن ثلاثة رجال فتواسوا في الدينارين فجريا في الديوان على ثلاثة منهم إلى اليوم وقال ابن زبالة قال مالك بن أنس لما أستخلف عثمان عمل مقصورة من لبن يصلي فيها الناس خوفا من الذي أصاب عمرو وكانت صغيرة قلت لكن في العتبية قال مالك أول من جعل المقصورة مروان بن الحكم حين طعنه اليماني وجعل فيها تشبيكا انتهى وليحيي عن عبد الحكم بن عبد الله بن حنطب أول من أحدث المقصورة مروان بناها بالحجارة المنقوشة وجعل لها كوى وكان بعث ساعيا إلى تهامة فظلم رجلا يقال له دب فجاء فقام حيث يريد أن يقوم مروان حتى أراد أن يكبر ضربه بسكين فلم تصنع شيئا فقال مروان ما حملك على هذا قال بعثت عاملك فأخذ ذودي وتركني وعيالي لا نجد شيئا فقلت أذهب إلى الذي بعثك فاقتله فحبسه مروان ثم أمر فاغتيل سرا فكانت المقصورة ولأبن شبة أيضا نحوه وقال النووي أول من أتخذ المقصورة في المسجد معاوية رضي الله عنه حين ضربه الخارجي انتهى وجعلها المهدي من ساج أيضا وخفضها وكانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد فأوطأها مع المسجد وجعلها على الرواق الذي يلي القبلة كله وسماه بن جبير بلاطا فقال والبلاط المتصل بالقبلة تحويه مقصورة تكتنفه طولا من غرب إلى شرق والمحراب فيها انتهى وقد احترقت في الحريق الأول. غريبة وكانت جديدة ودار كانت هناك لعمار أبن ياسر فأدخلنا في المسجد انتهى." (١)

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٠٠

"أذهب إلى الذي بعثك فاقتله فحبسه مروان ثم أمر فاغتيل سرا فكانت المقصورة ولأبن شبة أيضا نحوه وقال النووي أول من أتخذ المقصورة في المسجد معاوية رضي الله عنه حين ضربه الخارجي انتهى وجعلها المهدي من ساج أيضا وخفضها وكانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد فأوطأها مع المسجد وجعلها على الرواق الذي يلي القبلة كله وسماه بن جبير بلاطا فقال والبلاط المتصل بالقبلة تحويه مقصورة تكتنفه طولا من غرب إلى شرق والمحراب فيها انتهى وقد احترقت في الحريق الأول.." (١)

"وهو الذي عمل الرصاص على طنف المسجد والميازيب التي من الرصاص وقيل إنما عمل الشرفات عبد الواحد بن عبد الله النصري في ولايته سنة أربع ومائة ولم تعد الشرفات بعد الحريق الأول حتى حددت سنة سبع وستين وسبعمائة في أيام الأشرف شعبان بن حسين ولأبن زبالة ويحيى عن محمد بن عمار عن جده إن عمر بن عبد العزيز جعل للمسجد أربع منارات في زواياه الأربع قال كثير بن جعفر وكانت المنارة الرابعة مطلة على دار مروان فلما حج سليمان بن عبد الملك أذن المؤذن فأطل عليه فأمر بها فهدمت إلى ظهر المسجد وبابها على المسجد مما يلي دار مروان من قبل المسجد أي فصار للمسجد ثلاث منارات فقط قال أبن زبالة وطول كل واحدة ستون ذراعا وذكر في موضع آخر." (٢)

"بضعا وخمسين وأن أقصرهن الغربية الشامية قال وعرض كل واحدة ثماني أذرع في ثمان وذكر أبن جبير أن المنارتين الشاميتين صغيرتان على هيئة برجين بخلاف اليمانية الشرقية فإنها على هيئة المنارات اه ولم يزل المسجد على ثلاث منارات إلى أن جددت المنارة الرابعة الغربية اليمانية سنة ست وسبعمائة في دولة الناصر محمد بن قلاوون على يد شيخ الخدام كافور المظفري المعروف بالحريري وظهر عند الحفر لأساسها خوخة مروان الآتي ذكرها في ركن المسجد الغربي وبابها عليها من ساج لم يبل قال البدر بن فرحون أسفل من أرض المسجد يقامه ثم وجدوا تحصيب المسجد برمل أسود يشبه أن يكون من سلع ثم بلغوا الماء ولم يوجد أثر ولا صحة لما ذكر بعضهم من أن مئذنة كانت هناك تشرف على دار مروان انتهى قلت وهذا لا يمنع صحة ما سبق لاحتمال أنها كانت على باب المسجد وسطحه من غير أساس في الأرض لقصر المنارات حينئذ مع أن دار مرو ا ن متقدمة على زيادة أبن أبنه الوليد قطعا وصنيع يحيى يقتضي أن بناءها زمن عثمان وإن شيئا مما دخل فيها من دار العباس أدخل في زيادة الوليد فالباب الذي ظهر إنما هو فيما أتخذه الوليد هناك بدلا عن باب مروان وصارت هذه المنارة أطول المنارات حتى عرفت بالطويلة وطولها خمسة وتسعون ذراعا بتقديم

التاء الفوقية من أعلى هلالها لكن لما هدمت المنارة المقابلة لها في المشرق المعروفة بالرسيسة بسبب الحريق الحادث في زماننا أعيدت أعني الرسيسة أطول من هذه إذ طولها يزيد على المائة بعد أن كان ينقص عن الثمانين ثم ظهر في المنارة الرسيسة ميل للتساهل في المبالغة لتأسيسها ومؤنها فأعيدت بعد أن بلغ بأساسها الماء وزيد في طولها ثانيا مع الأحكام التام حتى صار طولها أزيد من مائة وعشرين ذراعا على يد الشجاعي شاهين الجمالي شيخ الخدام بالحرم

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٠٤/٢

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ١١٥/٢

الشريف وشاد عمائره بأمر الإشراف قايتباي وذلك في عام أثنين وتسعين وثمانمائة وطول الشرقية الشامية المعروفة بالسنجارية ثمانون إلا ذراعا وطول الغربية المعروفة بالخشبية اثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين كل ذلك من الهلال إلى الأرض خارج المسجد وهذا السياق ظاهر في أن الوليد أول من أتخذ المنارات ولأبي داود والبيهقي إن امرأة من بني النجار قالت كان بيتي من أطول بيت حول المسجد وكان بلال يؤذن عليه الفجر الحديث ولأبن زبالة حدثني محمد بن إسماعيل وغيره قال كان في دار عبد الله بن عمر أسطوانة في قبلة المسجد يؤذن عليها بلال يرقى إليها بأقتاب والأسطوانة مربعة قائمة إلى اليوم يقال لها المطمار وهي في منزل عبيد الله بن عبد الله بن عمر وله عن موسى بن عبيدة أن عمر بن عبد العزيز استأجر حرسا للمسجد لا تحترق فيه وعن كثير بن زيد قال نظرت إلى حرس عمر بن عبد العزيز يطردون الناس من المسجد أن يصلي على الجنائز فيه وعن عثمان بن أبي الوليد إن عروة قال له تضربون الناس في الصلاة في المسجد على الجنائز قال قلت قال نعم قال إما إن أبا بكر قد صلى عليه في المسجد وليحيى ما يقتضي أن ذلك كان قبل زمن الوليد فإنه روى عن المقيري إنه رأى حرس مروان أبن الحكم يخرجون الناس من المسجد يمنعونهم أن يصلوا على الجنائز وقد تلخص مما رواه أبن شبة أن الذي استقر عليه الأمر أنهم كانوا يحملون موتاهم حتى يصلي عليها النبي صلى الله عليه وسلم عند بيته في موضع الجنائز وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنه أنها أمرت أن يمر بجنازة أبن أبي وقاص في المسجد فيصلي عليه فأنكر الناس ذلك عليها فقالت ما أسرع ما نسى الناس ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سهل بن بيضاء إلا في المسجد وفي رواية والله لقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبني بيضاء في المسجد سهل وأخيه ويفهم منه أنه كان نادرا وليحيى بسند جيد عن أبن عمر رضي الله عنه إنه صلى على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد وفي رواية له إن عمر بن الخطاب صلى على أبي بكر في المسجد وأن صهيبا صلى على عمر بن الخطاب في المسجد عند المنبر ولأبن شبة إن الجنازة وضعت تجاه المنبر وذكر أبن النجار ما سبق عن حرس عمر بن عبد العزيز ثم قال إن هذه السنة في الجنائز باقية إلى يومنا إلا في حق العلو بين ومن أراد الأمراء من الأعيان وغيرهم والباقون يصلي عليهم خلف الحائط الشرقي أي من المسجد أي موضع الجنائز وفي زماننا يصلي على الجنائز بالمسجد ويخص الأعيان بالروضة إلا ما كان من جنائز الشيعة غير الأشراف فأنهم منعوا من إدخال جنائزهم إلى المسجد في دولة جقمق وذكرنا في الأصل كلاما حسنا في كيفية وضع الجنازة بين القبر والمنبر فراجعه. وقية من أعلى هلالها لكن لما هدمت المنارة المقابلة لها في المشرق المعروفة بالرسيسة بسبب **الحريق** الحادث في زماننا أعيدت أعني." (١)

"لعبد الرحمن بن عوف أدخل بعضها في المسجد وبعضها في رحبة المشارب وبعضها في الطريق وأدخل دار شرحبيل بن حسنة وبقيت منها بقية فابتاعها يحيى بن برمك فأدخلت في الحش حش طلحة وأدخل بقية دار عبد الله بن مسعود التي يقال لها دار القرى ودار المسور بن مخرمة وفرغ من بنيان المسجد سنة خمس وستين ومائة وفي خبر ليحيى إن المهدي زاد في المسجد من جهة الشام إلى منتهاه اليوم ثم خفض المقصورة وكانت مرتفعة ذراعين من الأرض

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار د ا ر المصطفى السمهودي ١١٦/٢

فوضعها في الأرض على حالها اليوم فسد على آل عمر بن الخطاب خوختهم التي في دار حفصة وأمر بسدها فتكلموا فيها حتى كثر الكلام ثم ذكر مصالحتهم على ما سيأتي فيها من جعلها شبه السرب في الأرض خارج المقصورة ويؤخذ من كلام أبن زبالة ويحيى في ذكر ما كان مكتوبا بأعلى أبواب المسجد زمن المهدي أنه زخرف المسجد بالفسيفساء كما فعل الوليد ويشهد لذلك بقية أدركناها في مؤخر المسجد مما يلي المنارة الغربية الشامية زالت في **حريق** زماننا وليس في كلام متقدمي المؤرخين أن المسجد الشريف زيد فيه بعد المهدي." (١)

"وسيأتي في الرابع عشر ما أحدثه متولي العمارة الشمس بن الزمن من التغيير في ذلك وتصوير ما استقر عليه الأمر وذكر أبن النجار أن على الحجرة أي سقفها ثوبا مشمعا مقل الخيمة وفوقه سقف المسجد وفيه أي فيما تحت المشمع المذكور خوخة عليها ممرق أي طابق مقفول وفوق الخوخة في سقف السطح أي سقف المسجد خوخة أخرى فوق تلك الخوخة وعليها ممرق مقفول أيضا وبين سقف المسجد وبين سقف السطح فراغ نحو الذراعين أي بين السقف الثاني لسطح المسجد والأول فإنه سقفان كما سيأتي بينهما فراغ نحو الذراعين وهذا الذي ذكره كان قبل **الحريق** الأول وأما بعده فقد أدركت بين سقفي المسجد في سقفه الذي يلي الحجرة ألواحا مسمرة سمر عليها ثوب مشمع وفيها طابق مقفل في محاذاة وسط بناء الحجرة الداخل لا كما قال المطري إنه إذا فتح يكون النزول منه إلى ما بين حائط بيت النبي صلى الله عليه وسلم وبين الحائز الذي بناه عمر بن عبد العزيز قال وسقف الحجرة بعد **الحريق** إنما هو سقف المسجد وهو خطأ أيضا بل شاهدت عليها سقفا متقنا عمل بعد **الحريق** الأول لأن آثار خشب السقف المحترق ظهرت لنا تحت هذا السقف المجدد عليها سترة من لبن ولم ير من جدد هذا السقف وضعه في محل تلك الأخشاب لما يترتب عليه من إخراج رؤوس تلك الأخشاب المحترقة من الجدار فجعله فوق تلك السترة وجدد له سترة نحو نصف ذراع وجعله من ألواح ساج على حزم من الساج." (٢)

"وجعله قطعا مكلبة بقضبان من الحديد بعضها في بعض ولم يجعل فيه طابقا وجعل عليه ستارة من المحابس اليمنية مبطنة وقال أبن رشد في بيانه ولقد أخبرني من أثق به أنه لا سقف للقبر الشريف اليوم تحت سقف المسجد اه ووفاة أبن رشد سنة عشرين وخمسمائة فهو قبل **الحريق** الأول بمدة مديدة فهو مخالف لقضية كلام المؤرخين ولما سيأتي عن مالك رحمه الله في الكسوة ولا شك في كونه كان مسقوفا قبل **الحريق** لما سبق وقد وجدنا بقية ميزابه في العمارة التي أدركناها من عرعر ولا شك أيضا في كونه كان مسقوفا في الصدر الأول ولذا روى الدارمي في صحيحه عن أبي الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة رضي الله عنه فقالت

فانظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق." (٣)

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٢٣

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٤٠

(٣) خل ا صة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٤١

"" الفصل الحادي عشر " فيما جعل علامة لتمييز جهتي الرأس والوجه الشريفين ومقام جبريل عليه السلام من الحجرة الشريفة وتأزيرها بالرخام وكسوتها وتخليقها والمقصورة التي أديرت عليها والقبة المحاذية لها بأعلى سطح المسجد الشريف النبوي

وأما علامة جهة الرأس الشريف فصندوق مصفح بالفضة بأصل الأسطوانة اللاصقة بحائز القبر الشريف عند نهاية الصفحة الغربية منه مما يلي القبلة في صف أسطوانة السرير وأسطوانة التوبة ولو أعلم ابتداء حدوثه واقدم من ذكره ابن جبير في رحلته وكانت قبل **الحريق** الأول عام ثمانين وخمسمائة وقال أنه قبالة رأس النبي صلى الله عليه وسلم قلت وفيه تجوز فقد ظهر لنا أنه في محاذاة الجدار والداخل القبلي واللحد الشريف إلى الجدار المذكور كما سيأتي والأصل في ذلك ما روى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده رضي الله عنه أنه كان إذا جاء يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وقف عند الأسطوانة التي تلي الروضة أي وهي المتقدمة ثم يقول ههنا رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم." (١)

"والمراد منه ما قدمناه وكان فوق هذا الصندوق قائم من خشب يحيط بما ظهر من الأسطوانة إلى رأس أعلى رخام الحجرة مختم مصفح بصفائح الفضة المموهة فلما أحترق مع الصندوق في **الحريق** الثاني أعيد الصندوق وجعل موضع القائم رخام كتب فيه البسملة والصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك وأما علامة الوجه الشريف فمسمار فضة بينه وبين ابتداء الصفحة الغربية نحو خمسة أذرع والمذكور في كلام الأقدمين التعليم يجعل القنديل على الرأس قال ابن أبي مليكة إذا جعلت القنديل على رأسك والمرمرة المدخولة في جدار القبر قبالة وجهك استقبلت وجه النبي صلى الله عليه وسلم قال المطري هذا كان قبل احترق المسجد فإنه يقابل الوجه الشريف غير قنديل واحد ولما جدد جعل هناك عدة قناديل وإنما العلامة اليوم مسمار فضة في رخامة حمراء اه وهو يوهم حدوث التعليم بذلك بعد **الحريق** وليس كذلك فقد ذكر العليم به ابن النجار فقال عقب نقل كلام ابن أبي مليكة وهناك اليوم علامة." (٢)

"واضحة وهي مسمار فضة في حائط الحجرة إذا قابله الإنسان كان القنديل على رأسه فيقابل وجه النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن الجوزي في مثير العزم الساكن وثم ما هو أوضح علما من القنديل وهو مسمار صفر في حائط الحجرة إذا حاذاه القائم كان القنديل فوق رأسه وكذا قال ابن جبير في رحلته وكل هؤلاء كانوا قبل **الحريق** واقتضى كلام الغزالي إلى أن الواقف تحت القنديل يكون بينه وبين السارية التي عند رأس القبر عند زاويته الغربية وهي أسطوان الصندوق نحو أربعة أذرع فهو قريب مما سبق في محل المسمار المذكور وقال الأقشهري أنه سقط سنة عشرين وسبعمائة ولم يرد إلى موضعه إلا في رجب عام أربع وعشرين وسبعمائة " قلت " وقد أخرج في زماننا عند ترخيم الحجرة الأولى وأعيد إلى محله مع مسمار في أول الصفحة القبلية ومسمارين آخرين في طرف الصفحة الغربية أحدثها متولي العمارة ابتدعا منه ثم أزال **الحريق** الحادث في زماننا ذلك ثم أعيد المسمار والنذور فقط إلى محله في الترخيم المتجدد بعد **حريق** زماننا

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٤٩

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٥٠

وفي كلام يحيي ما يوهم أن محل الوجه الشريف بقرب الأسطوانة جدار الحائز وبينها وبين المسمار المذكور نحو ثلاثة أذرع ومشاهدة الحجرة من داخلها قاضية برد ذلك وتشبيك باب المقصورة القبلي الذي أحدثه متولي العمارة ضيق قد يمنع مشاهدة المسمار إلا بتأمل يشغل القلب فإنه في." (١)

"الحسن والحسين رضي

الله عنه على ذلك الحجر قال يحيي ورأيت الحسين بن عبد الله إذا أشتكى شيئا من جسده كشف الحصى عنه فمسح به ذلك الموضع ولم يزل ذلك الحجر نراه حتى عمر الصانع المسجد ففقدناه عند ما أزرا اقبر الرخام قال راوي كتاب يحيي الصانع هذا هو إسحاق بن سلمة كان المتوكل وجه به على عمارة المدينة ومكة " قلت " خلافة المتوكل هذا سنة أثنين وثلاثين ومائتين وتوفى سنة سبع وأربعين فتأزير الحجرة إنما كان في زمنه والظاهر أنه فرش أيضا الرخام الذي حول الحجرة بالأرض لما ذكر من كشف الحصى عن الحجر المذكور وللتبرك به قال ابن النجار ثم في خلافة المقتفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة جدده جمال الدين الأصفهاني وزير بني زنكة وجعل الرخام حولها قامة وبسطة " قلت " يذكر أحد من المؤرخين من جدده بعد ذلك والظاهر أنه جدد بعد الحريق الأول وقد جدد في زماننا في دولة الأشرف قايتباي مرتين الأولى سنة إحدى وثمانين وثمانمائة قبل حريق زماننا بعده سنة سبع وثمانين وثمانمائة وكل ما يوجد اليوم من الرخام بالحجرة وغيرها قد جدد في العمارة الثانية ولم يكن بعد الحريق الأول بجدار المسجد القبلي رخام سوى المحراب." (٢)

"منها الأمير عزيز بن هيازع بن هبة الجمازي سنة أربع وعشرين وثمانمائة جانبا من ذلك زاعما على سبيل القرض فأمتحن بعض قضاة المدينة بسببه ثم حمل عزيز للقاهرة محتفظا به ومات بها مسجونا ثم لم تزل هذه القناديل في زيادة حتى عدا برغوث بن بتسيرين حريس الحسيني ودبوس بن سعد الحسيني الطفيلي على طائفة من المعلق منها حول الحجرة الشريفة في الجمعة سنة ستين وثمانمائة صارا يدخلان من دار الشباك التي موضعها اليوم سبيل المدرسة الأشرفية بباب الرحمة وكانت خالية فيتسور جدار المسجد ثم يدخلان من بين سقفي المسجد إلى هناك فأخذ أشياء كثيرة ولم يطلع إلا بعد مدة ثم أمسكا وقتلا بعد استرجاع طائفة من ذلك ثم بلغنا أن متولي العمارة الشمس بن الزمن حسن للسلطان الأشرف حمل ما أجتمع من ذلك بالقبة إلى مصر وصرفه في مصالح المسجد فحمل جانب منه قبل الحريق الثاني وقد ألف السبكي تأليفا سماه تنزل السكينة على قناديل المدينة وذهب فيه إلى جوازها وقفها وعدم جواز صرف شئ منها لعمارة المسجد وقد لخصناه في الأصل مع مباحث حسنة فراجعه ومن أحسن ما رأيت من معاليق الحجرة قنديلا من فولاذ كبيرا حسن." (٣)

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٥١

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٥٣

(٣) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٥٨

"الظاهر جقمق ثم أحترق ذلك كله في **الحريق** الثاني عام ست وثمانين وثمانمائة فجعلوا بدل الناحية القبلية منها شبابيك نحاس وعلى أعلاها شبكة من شريط النحاس كالزردبين أخشاب متصلة بالعقود المحدثة هناك محيطة بالحجرة الشريفة وعلى كل شباك شبكة من الشريط أيضا لمنع الحمام وجعلوا لبقيتها من جهة الشام وما أتصل بها من المشرق والمغرب مشبكا من الحديد

المشاجر وبأعلاه شريط النحاس أيضا وجعلوا أبوابها من الحديد المشاجر أيضا إلا القبلي فمن سياج مشبك ثم أبدل بشباك نحاس كما سبق وأحدثوا مشبكا من الحديد المشاجر أيضا لم يكن قبل ذلك متوسطا بين مشبك الحجرة الشامي وما يقابله فاصلا بين الرحبة التي خلف مثلث الحجرة الشريفة وبينها وبها بعض المثلث المذكور وبه بابان أحدهما عن يمين المثلث والآخر عن يساره فصار ما خلف الحجرة من بيت فاطمة رضي الله عنه كأنه مقصورة مستقلة يدخل منه إلى مقصورة الحجرة وال ظاهر أن هذا الموضع من بيت فاطمة رضي الله عنه كان به مقصورة قبل **الحريق** الأول لأن ابن النجار قال كما سبق في بيت فاطمة رضي الله عنه أن حوله اليوم مقصورة وفيه محراب وهو خلف حجرة النبي صلى الله عليه وسلم انتهى فهذا مستند الظاهر ركن الدين فيما أحدثه وإن كان وسع الدائرة فقال المطري وظن الملك الظاهر أن ما فعله تعظيما للحجرة الشريفة فحجر طائفة من الروضة مما يلي بيت النبي صلى الله عليه وسلم ومنع الصلاة فيها مع ما ثبت من." (١)

"ذلك غير جائز فزعموا أنهم يجعلونها على رؤوس السواري كالأولى من غير انتقاص للأرض ثم لم يفوا بذلك لما جبل عليه متولي العمارة سامحه الله تعالى وأما قبة الحجرة الشريفة المحاذية لها بأعلى سطح المسجد تكييزا لها فلم تكن قبل **حريق** المسجد الأول ولا بعده إلى دولة المنصور قلاوون الصالحي بل كان قديما حول ما يوازي الحجرة في سطح المسج حظير من آجر مقدار نصف قامة تمييزا لها عن بقية سطح المسجد حتى كانت سنة ثمان وسبعين وستمائة فعمل هناك قبة مربعة من أفلها مثمنة من أعلاها أخشاب أقيمت على رؤس السواري المحيطة بالحجرة الشريفة في صف أسطوان الصندوق وسمر عليها ألواح من خشب ومن فوقها ألواح الرصاص وفي أسفلها طاقة يبصر الناظر منها سقف المسجد الأسفل الذي كان به الطابق وعليه المشمع وكان حول

هذه القبة بالسطح الأعلى ألواح رصاص مفروشة فيما قرب منها ويحيط بها وبالقبة درازبين من الخشب جعل مكان حظير الآجر وتحته أيضا السقفين شباك خشب يحكيه وكان المتولي لعملها الكمال أحمد بن البرهان الربعي ناظرقوص ذكره في الطالع السعيد قال وقصد خيرا وتحصيل ثواب وقال بعضهم أساء الأدب بعلوا النجارين ودق الحطب قال وفي تلك السنة حصل بينه وبين بعض الولاة كلام كثير فوصل مرسوم بضرب الكمال فضرب فكان من يقول أنه أساء الأدب يقول أن هذا مجازاة له وأدره الأمير علم الدين الشجاعي وخرب داره وأخذ رخامها وخزائنها ويقال أنها بالمدرسة المنصورية انتهى وجددت القبة الشريفة المذكورة أيام الناصر حسن محمد بن قلاوون فاختلت الألواح الرصاص من موضعها فخشوا من الأمطار فجددت أيضا وأحكمت أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد سنة خمس وستين وسبعمائة وأصلح

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٦٠

فيها متولي العمارة شيئا في عمارته الآتية في الفصل بعده ثم احترقت في حريق المسجد الثاني فاقتضى رأي متولي العمارة سنة سبع وثمانين وثمانمائة اتخاذها في العلو وأن تكون من آجر وأن يؤسس لها دعائم عظام بأرض المسجد وعقود حولها فأتخذ هذه الدعائم التي في موازاة الأساطين التي إليها المقصورة السابقة وأبدل بعض الأساطين بدعائم وأضاف إلى بعضها أسطوانة أخرى وقرن بينهما وحصل فيما بين جدار المسجد الشرقي وبين العائم المحدثة هناك ضيق فهدم الجدار الشرقي هنالك إلى باب جبريل وخرج بالجدار في البلاط ناحية موضع الجنائز نحو ذراع ونصف وأحدث دعامتين عن يمين مثلث الحجرة ويساره الأولى منهما في المحل الذي سبق في الرابع إن الناس يحترمونه ويقال أن قبر فاطمة الزهراء به فبدا لحد القبر وبعض عظامه أخبرني بذلك جمع شاهدوه ثم لما تمت هذه القبة تشققت أعاليها فرمت فلم ينفع الترميم فيها لخسة مؤنتها فقوض الأشرف قايتباي أعز الله أنصاره وأعلى في سلوك العدل منارة للشجاعي شاهين الجمالي النظر في ذلك وفي المنارة الرئيسية السابق ذكرها في الثامن وولاه شيخ الخدام وناظر الحرم فاقتضى الرأي بعد مراجعة أهل الخبرة هدم المنارة كلها وهدم أعالي هذه القبة واختصار يسير منها فأتخذ أخشابا في طاقاتها وأتخذ سقفا هناك يمنع ما يسقط عند الهدم بالحجرة الشريفة ثم هدم أعاليها وأعاد بناءه مع الأحكام بحيث أتخذ في بنائها الجبس الأبيض حمله معه من مصر فجاءت متقنة وأتخذ أساقيل شرقي المسجد لصعود العمال في عمارتها وعمارة تلك المنارة ولم تنتهك حرمة المسجد في دعة وسكون وكان العمارة ليست به وكان في زمن غيره كالسوق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وكان ذلك في عام اثنتين وتسعين وثمانمائة. لسطح الأعلى ألواح رصاص مفروشة فيما قرب منها ويحيط بها وبالقبة درازبين من الخشب جعل مكان حظير الآجر وتحته أيضا السقفين شباك خشب يحكيه وكان المتولي لعملها الكمال أحمد بن البرهان الربعي ناظرقوص ذكره في الطالع السعيد قال وقصد خيرا وتحصيل ثواب وقال بعضهم أساء الأدب بء لوا النجارين ودق الحطب قال وفي تلك السنة حصل بينه وبين بعض الولاة كلام كثير فوصل مرسوم بضرب الكمال." (١)

"فضرب فكان من يقول أنه أساء الأدب يقول أن هذا مجازاة له وأدره الأمير علم الدين الشجاعي وخرب داره وأخذ رخامها وخزائنها ويقال أنها بالمدرسة المنصورية انتهى وجددت القبة الشريفة المذكورة أيام الناصر حسن محمد بن قلاوون فاختلت الألواح الرصاص من موضعها فخشوا من الأمطار فجددت أيضا وأحكمت أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد سنة خمس وستين وسبعمائة وأصلح فيها متولي العمارة شيئا في عمارته الآتية في الفصل بعده ثم احترقت في حريق المسجد الثاني فاقتضى رأي متولي العمارة سنة سبع وثمانين وثمانمائة اتخاذها في العلو وأن تكون من آجر وأن يؤسس لها دعائم عظام بأرض المسجد وعقود حولها فأتخذ هذه الدعائم التي في موازاة الأساطين التي إليها المقصورة السابقة وأبدل بعض الأساطين بدعائم وأضاف إلى بعضها أسطوانة أخرى وقرن بينهما وحصل فيما بين جدار المسجد الشرقي وبين العائم المحدثة هناك ضيق فهدم الجدار الشرقي هنالك إلى باب جبريل وخرج بالجدار في البلاط ناحية موضع الجنائز نحو ذراع ونصف وأحدث دعامتين عن يمين مثلث الحجرة ويساره الأولى منهما في المحل

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٦٣/٢

الذي سبق في الرابع إن الناس يحترمونه ويقال أن قبر فاطمة الزهراء به فبدا لحد القبر وبعض عظامه أخبرني بذلك جمع شاهدوه ثم لما تمت هذه القبة تشققت أعاليها فرمت فلم ينفع الترميم فيها لخسة مؤنتها فقوض الأشرف قايتباي أعز الله أنصاره وأعلى في سلوك العدل منارة للشجاعي شاهين الجمالي." (١)

"" الفصل الثاني عشر " في العمارة المتجددة بالحجرة الشريفة وإبدال سقفها بقبة لطيفة تحت سقف المسجد ومشاهدة وضعها وتصوير ما أستقر عليه أمرها

لما أنهى لسلطان زماننا الأشرف قايتباي احتياج المسجد النبوي إلى العمارة وفوض للشمس بن الزمن النظر في ذلك عام أحد وثمانين وثمانمائة قبل **الحريق** الثاني اقتضى رأيه تجديد رخام الحجرة الشريفة وقد ذكرناه فيما سبق فأصلح أصل أسطوان الصندوق بعد نزع ست حرزات منه كانت متشققة وأبدلها بست خرزات نقضوها من أسطوان بمسجد قباء ثم لما قلعوا رخام الصفحة الآخذة من زاوية حائز عمر بن عبد العزيز الشمالية إلى الصفحة الشرقية مع ما يليها من صفحة المشرق وكان هناك انشقاق قديم كان يظهر في الحائز المذكور عند رفع الكسوة وقد سد الأقدمون خلله بالآجر وأفرغوا فيه الجص وبيضوه بالقصة ثم أنشق البياض من رأس الوزرة الرخام إلى رأس الجدار فقشروا عنه البياض وأخرجو ا ما في خلله من الجص والآجر فظهر من خلله بناء الحجرة المربع جوف الحائز المذكور من عند ملتقى حائطه الشامي مع المشرقي وظهر فيه شق أيضا عند ملتقى الجدارين المذكورين تدخل اليد فيه قديم أيضا سده الأقدمون ثم أتسع فعقد متولي العمارة مجلسا جوف المقصورة عند الجدار المذكور في ثالث عشر شعبان ونصب أساقيل هناك واستحضرني فحضرت بعد الاستخارة فوجدت الأمر قد أتفق عليه وتحرر أن." (٢)

"سبب انشقاق الجدار الظاهر انشقاق الجدار الداخل وميله نحوه واد عام الأقدمين الداخل بأخشاب بين الداخل والخارج عند رأسهما من المشرق فمال الجدار الظاهر لذلك فرجح عندي رأي أبن عباس في الكعبة حيث أشار بترميمها ورأيت أن ما يطلب هنا من الأدب أوجب فحاولت إدعام البناء المذكور وقلت إنه لا يفعل هنا إلا ما دعته الضرورة إليه في الحال فلم أوافق عليه وقال الزكوي قاضي الشافعية سامحه الله تعالى لمتولي العمارة سرح العمال من الغد للهدم ثم بلغني إنهم ألقوا في ذهن متولي العمارة أني حريص على تفويته كون المنقبة في هذه العمارة تكون له فشرعوا في صبيحة رابع عشر شعبان في هدم الموضع السابق من الحائز الظاهر فهدموا من ملتقى الصفحتين الشرقية والشمالية التي تليها خمسة أذرع على نحو أربعة أذرع من الأرض إلى أعلى الحائز فظهر هدم **الحريق** الكائن بين الجدارين وظهر فيه أطراف خشب كثيرة سلمت من **الحريق** ثم نظف ذلك وكان أمرا مهولا نحو القامة لم يتأت إزالته إلا بالعتل والمساحي فبلغوا في تنظيفه الأرض الأصلية وبها حصباء حمراء ثم ظهر إنها مبنية بحجارة مجدولة بها والبيت الداخل مربع بأحجار سود على ما سبق في وصفه ولا باب فيه وخلف جداره الشامي أسطوان في صف مربعة القبر بعضها داخل فيه ثم عزم متولي

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٦٤

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٦٧

العمارة على هدم هذا الجدار الشامي من البناء الداخل فبدأ برفع سقف الحجرة ثم أفاض في عقد قبة بدل سقف الحجرة على جدرانها فكرهت ذلك لعلمي بأنه يجر إلى هدم." (١)

"غالب جدران الحجرة وفيه الاتساع فيما ينبغي الاقتصار فيه على قدر الضرورة فأجمع أمره على عمل القبة فهدم الجدار الشامي والشرقي إلى الأرض وكذا نحو أربعة أذرع من القبلي مما يلي المشرق وكذا من الغربي مما يلي الشام وهدموا من علو ما بقى منهما نحو خمسة أذرع ووجدوا في الغربي وما يليه من القبلي والشامي دون الشرقي وما يليه منهما بعد هدم السترة المبنية على سقف الحجرة المجدد بعد **الحريق** وسترة السقف المحترق بين فصوص الأحجار وأعلاها مع رأس الجدر المذكورة لبنا غير مشوي طول اللبنة منه أرجح من ذراع وعرضها نصف ذراع وسمكها ربع ذراع وطول بعضه وعرضه وسمكه واحد وهو نصف ذراع والظاهر إنه لما بنيت الحجرة بالأحجار المنقوشة لقصد الأحكام وأرادوا أن لا يخلو بناؤهم من بركة اللبن الذي كان في بنائها الأول فوضعوه بين الأحجار المبنية بالقصة ولم يحصل الخلل إلا في الناحية الخالية منه وهي الشرقي وما يليه من القبلي والشامي وشاهد الحال في هذه الناحية يقتضي تجددها على ما قدمناه في العاشر ولما بلغوا بهدم الجدار الشامي نحو الأرض شرعوا في تنظيم الردم السائر للقبور الشريفة فمكثوا فيه يوما كاملا مع كثرتهم حتى ملؤا الحجرة فيما بلغني وتجنبت حضور ذلك خوفا من الوقوع في سوء الأدب ووضعوا هذا الردم بزاوية المسقف الغربي مما يلي طرف المسقف الشامي المسمى بالدكاك وبنى عليه متولي العمارة دكة بارزة هناك وفي صبيحة اليوم الثاني بعث إلي متولي العمارة ألا تشرف بمشاهدة وضع الحجرة." (٢)

"وحصل رجيف عظيم فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة فلما ظهر حالهما بكى السلطان بكاء شديدا وأمر بضرب رقابهما فقتلا تحت الشباك الذي يلي الحجرة الشريفة ثم أمر بإحضار رصاص عظيم وحفر خندقا عظيما إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها وأذيب ذلك الرصاص ومليء به الخندق فصار حول الحجرة الشريفة كلها سورا رصاصا إلى الماء انتهى وأشار المطري لذلك مع مخالفة في بعضه ولم يذكر أمر الرصاص فقال ووصل السلطان نور الدين محمود زنكي بن آقسنقر في سنة سبع وخمسين وخمسمائة إلى المدينة بسبب رؤيا رآها ذكرها بعض الناس وسمعتها من الفقيه علم الدين يعقوب بن أبي بكر المحترق أبوه ليلة **حريق** المسجد عمن حدثه من أكابر من أدرك إن السلطان المذكور رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في ليلة وهو يقول في كل مرة يا محمود أنقذني من هذين لشخصين أشقرين تجاهه فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر ذلك له فقال هذا أمر حدث بـالمدينة النبوية ليس له غيرك فتجهز على عجل بمقدار ألف راحلة وما يتبعها حتى دخل المدينة على حين غفلة من أهلها ثم ذكر قصة الصدقة وإنه لم يبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس نازلان في الناحية التي قبلة حجرة النبي صلى الله عليه وسلم عند دار آل عمر المعروفة بدار

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٦٨

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٦٩

العشرة فجد في طلبهما فلما رآهما قال للوزير هما هذان فسألهما عن حالهما فقالا جئنا للمجاورة فقال أصدقاني وعاقبهما فأقرا إنهما من النصارى وإنهما وصلا لكي ينقلا من." (١)

"" الفصل الثالث عشر ". في **الحريق** الأول المستولي على ما سبق وعلى سقف المسجد وما أعيد من ذلك ثم **الحريق** الثاني وما ترتب عليه

أحترق المسجد النبوي أولا ليلة الجمعة أول شهر رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة أول الليل لدخول أبي بكر بن أوحد الفراش الحاصل الذي في الزاوية الغربية الشمالية لاستخراج قناديل لمناير المسجد وترك الضوء الذي كان في يده على قفص من أقفاص القناديل فيه مشاق فاشتعلت النار فيه وأعجزه طفؤها وعلقت ببسط وغيرها مما في الحاصل وعلا الالتهاب حتى علقت بالسقف مسرعة آخذة قبله وأعجلت الناس عن إطفائها بعد أن نزل أمير المدينة وأجتمع معه غالب أهلها فلم يقدروا على طفئها وما كان إلا أقل من القليل حتى استولى **الحريق** على جميع سقف المسجد وما أحتوى عليه من المنبر النبوي والأبواب والخزائن والمقاصير والصناديق ولم يبق خشبة واحدة أي كاملة وكذا الكتب والمصاحف وكسوة الحجرة الشريفة." (٢)

"قال القسطلاني وكان عليها حينئذ إحدى عشرة ستارة وأزالت النار تلك الزخارف التي لا ترضى وشوهد من هذه النار إن صفة القهر والعظمة الإلهية مستولية على الشريف والمشروف وكان هذا **الحريق** عقب ظهور نار الحجاز المنذر بها من أهل أرض المدينة وحماية أهلها منها لما التجئوا إلى مسجدها كما سبق فطفئت عند وصولها لحرمها وربما خطر ببال العوام إن حبسها عنهم ببركة الجوار موجب لحبسها عنهم في الآخرة مع اقتراف الأوزار فاقتضى الحال البيان بلسان الحال الذي هو أفصح من لسان المقال والنار مطهرة لأدناس الذنوب وقد كان الاستيلاء على المسجد حينئذ للروافض والقاضي والخطيب منهم وأساءوا الأدب لما ذكرناه في الأصل عن رحلة بن جبير ولذا وجد عقب **الحريق** على بعض جدران المسجد

لم يحترق حرم النبي لحادث ... يخشى عليه وما به من عار

لكنما أيدي الروافض لامست ... تلك الرسوم فطهرت بالنار

ووجد أيضا

قل للروافض بالمدينة ما بكم ... لقيادكم للذم كل سفيه

ما أصبح الحرم الشريف محرقا ... إلا لبسكم الصحابة فيه." (٣)

"ولم يسلم من **الحريق** سوى القبة التي أحدثها الناصر لدين الله لحفظ ذخائر الحرم قال المطري مثل المصحف الشريف العثماني وعدة صناديق كبار متقدمة التاريخ صنعت أي الصناديق بعد الثلاثمائة وهي باقية إلى اليوم وذلك لكون

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٧٦/٢

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٨١/٢

(٣) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٨٢/٢

القبة المذكورة بوسط صحن المسجد وببركة المصحف الشريف العثماني انتهى وقضيته نسبة المصحف المذكور إلى عثمان رضي الله عنه وقد ذكرنا في الأصل ما فيه وعمرت القبة المذكورة سنة ست وسبعين وخمسمائة قال المؤرخون وبقيت سواري المسجد قائمة كأنها جذوع النخل إذا هبت الرياح تتمايل وذاب الرصاص من بعض الأساطين فسقطت ووقع السقف الذي كان على أعلى الحجرة على سقف بيت النبي صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا في الحجرة الشريفة وعلى القبور المقدسة وفي صبيحة الجمعة عزلوا موضعا للصلاة وكتبوا بذلك للخليفة المستعصم بالله بن المنتصر بالله فوصلت الآلات صحبة الصناع مع ركب العراق في الموسم وابتدئ بالعمارة أول سنة خمس وخمسين وستمائة وقصدوا إزالة ما وقع من السقوف على القبور الشريفة فلم يجسروا على ذلك واتفق رأي الأمير منيف بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا الحسيني مع رأى أكابر الحرم أن يطالع الإمام المستعصم بذلك فيفعل ما يصل به أمره فأرسلوا بذلك فلم يصل جوابه لاشتغاله وأهل دولته بإزعاج." (١)

"المغرب الروضة جميعها إلى المنبر ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة فكان في الحرم منها وقعة بغداد واستيلاء التتار عليها مع ما أسلفناه في العاشر من الباب الأول فوصلت الآلات من صاحب مصر المنصور نور الدين علي بن المعوايبك الصالحي ووصل أيضا آلات من صاحب اليمن المظفر شمس الدين يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول فعمدوا إلى باب السلام ثم عزل صاحب مصر في ذي القعدة سنة سبع وخمسين وتولى مكانه مملوك أبيه المظفر سيف الدين قطز المعزي واسمه الأول محمود بن ممدود أمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه وأبوه أبن عمه أسر عند غلبة التتار فبيع بدمشق ثم بمصر وتملك في ثامن عشر القعدة من سنة سبع وفي شهر رمضان من سنة ثمان أعز الله الإسلام على يده بوقعة عين جالوت ثم قتل بعد الوقعة بشهر وهو داخل إلى مصر وكان العمل في المسجد تلك السنة من باب السلام إلى باب الرحمة ومن باب جبريل إلى باب ال نساء وتولى مصر آخر تلك السنة الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي البندقداري فحصل منه اهتمام بأمر المسجد فجهز الآلات وثلاثة وخمسين صانعا وما يمونهم وأنفق عليهم قبل سفرهم وأرسل معهم الأمير جمال الدين محسن الصالحي وغيره ثم صار يمدهم بالآلات والنفقات فعمل في أيامه باقي سقف المسجد من باب الرحمة إلى شمالي المسجد ثم إلى باب النساء وكمل سقف المسجد كما كان قبل الحريق سقفا فوق سقف إلا السقف الشمالي فإنه جعل." (٢)

"ونودي بأن الحريق في المسجد فأجتمع أمير المدينة قسيطل بن زهير الجمازي وأهل المدينة بالمسجد كلهم وصعد أهل النجدة بالمياه لطفئ النار وقد التهبت آخذة في الشمال والمغرب فعجزوا عن طفئها وكادت تدركهم فهربوا ونزلوا بما كان معهم من الحبال لاستقاء الماء إلى شمالي المسجد وسقط بعضهم فهلك ولجأ بعضهم مع من حالت النار بينه وبين الأبواب إلى صحن المسجد ومات في هذا الحريق المذكور زيادة على عشرة أنفس وعظمت النار جدا واستولت على سائر سقف المسجد وما فيه من خزائن الكتب والربعات والمصاحف غير ما بادروا بإخراجه وغير القبة

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٨٣/٢

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٨٥/٢

التي بالصحن وذلك كله في نحو عشر درج وصار المسجد كبحر لجي من نار ترمي بشرر كالقصر ويسقط شررها على بيوت الجيران فلا يؤذيها وأخبرني أمير المدينة الزيني قسيطل إن شخصا من العرب الصادقين رأى قبل ذلك بليلة إن السماء فيها جراد منتشر ثم عقبته نار عظيمة فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم النار وقال أمسكها عن أمتي وأخبرني جماعة إنهم شاهدوا أشكال طيور بيض يحومون حول النار كالذي يكفها عن بيوت الجيران مع هرب كثير منهم لما رأوا تساقط الشرر وخرج بعضهم من باب المدينة لعظم ما شاهدوه من الهول وظنوا إنهم أحيط بهم ولم أشهد ذلك لأني سافرت إلى مكة للاعتمار مستهل رمضان المذكور وتركت كتبي بخلوة كنت أقيم بها بمؤخر المسجد **فاحترقت**." (١)

"وقد عوضها الله عز وجل مع ما من به من السلامة وبرد الرضا ثم لما أصبحوا ابدءوا بطفيء ما سقط على القبة اللطيفة التي جعلت بدلا عن سقف الحجرة الشريفة وكان الذي سقط عليها **حريق** القبة الزرقاء الظاهرة بالسقف الأعلى ورصاصها وسقف المسجد الأسفل الذي كان بين القبتين والشباك الذي بأعلى الحائز المتقدم ذكره ولم يصل إلى جوف الحجرة الشريفة شيء من هدم هذا **الحريق** نحمد الله تعالى لسلامة القبة
السفلى المذكورة وعدم تأثير النار فيها مع ما سقط عليها مما هو كأمثال الجبال مع إن بعضها من الحجر الأبيض الذي يسرع تأثره بالنار وقد أثرت هذه النار في أحجار الأساطين وهي من الأسود حتى تهشم بعضها وتفتت وعدة ما سقط منها مائة وبضع وعشرون أسطوانة ومن الله تعالى أيضا بسلامة الأساطين الملاصقة للحجرة الشريفة وأحترق المنبر وصندوق المصلى الشريف وما يعلوه من الأخشاب والمقصورة التي كانت حول الحجرة الشريفة وسقطت أكثر عقود المسجد التي تلي صحنه وعلو المنارة الرئيسية ثم كتبوا لسلطان زماننا الأشرف قايتباي بذلك ونظفوا مقدم المسجد ونقلوا هدمه إلى مؤخره وعمل في ذلك أمير المدينة وقضاتها وعامة أهلها حتى النساء والصبيان تقربا إلى الله تعالى وفي ذلك كله عبرة تامة وموعظة عامة أبرزها الله تعالى للإنذار فخص بها حضرة النذير صلى الله عليه وسلم وقد ثبت إن أعمال أمته تعرض عليه فلما ساءت منا." (٢)

"الأعمال المعروضة ناسب ذلك الإنذار بإظهار عنوان النار المجاري بها في موضع عرضها وأنا في وجل مما يعقب ذلك حيث لم يحصل الاتعاظ والانزجار قال تعالى (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) وقال تعالى (ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون) ومن العجيب إنه لم يتأت إخراج ردم هذا **الحريق** من مؤخر المسجد حتى حضر الحجاج من سائر الآفاق فشاهدوا هذه العبرة العظيمة ورأوا ما أجتمع من آثارها كالآرام والتلول الجسيمة ثم بالقعدة الحرام قبيل دخول الحجاج مكة من العام الثاني أرسل الله سيلا عظيما بمكة ملأ ما بين الجبلين وعلا جدار أبواب المعلاة وأرتفع في جوف الكعبة أزيد من قامة وهدم دورا كثيرة وذهب فيه من الأموال والأنفس ما لا يحصيه إلا الله تعالى ووجد تحت الردم المسجد الحرام فقط عند تنظيفه نحو ثمانين نفسا وقيل مائة ولم أقف في سيول الجاهلية والإسلام على مثله ولم يتأت إخراج ذلك الردم بعد جمعة بالمسجد كالأردام حتى قدم الحجاج وشاهدوا هذه الآية أيضا ولما وصل القاصد إلى مصر

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٨٨

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٨٩

المحروسة وأتصل علم حريق المسجد بسلطانها الأشرف عظم عليه ذلك ورأى إن في تأهيل الله له لعمارة وذلك مزيد التشريف وكمال التعريف فاستقبل أمر العمارة بهمة تعلوا لهم العلية ورسم بأبطال عمائره المكية وبتوجيه شاهدها الماليفي سنقر الجمالي." (١)

"صحبة الحاج الأول بزيادة على مائة من أرباب الصنائع وكثير من الحمير والجمال ومبلغ عشرين ألف دينار وشرع السلطان في تجهيز الآلات والمؤن حتى كثرت في الطور والينبع والمدينة الشريفة ثم جهز متولي العمارة السابقة الشمس بن الزمن أثناء ربيع الأول في ركب صحبته أكثر من مائتي جمل ومائة حمار وأزيد من ثلاثمائة صانع وصارت أحمال المؤن متواصلة قل أن تنقطع برا وبحرا وقطعوا من أخشاب الدوم والشجر من جهات المدينة شيئا كثيرا واستقبلوا أمر العمارة بجد واجتهاد وهدموا المنارة الرئيسية إلى أساسها وهدموا من سور المسجد أولا من ركن المنارة التي بباب السلام في المغرب إلى آخر جدار القبلة ثم ما يليه من المشرق إلى باب جبريل وخرجوا بالجدار هناك في المشرق كما سبق في الحادي عشر وأعادوا ذلك ووسعوا المحراب العثماني وسقفوا مقدم المسجد سقفا واحدا بعد أن قصروا أساطينه وجعلوا عليها عقودا من الآجر فوقها أخشاب السقف وكانت الأساطين قبل واصلة إلى السقف كهيئة أساطينه اليوم في المسقف الغربي والشرقي والشامي لأن تلك العقود التي سبق إن متولي العمارة جعلها بمقدم المسجد بين السقفين تساقطت عند الحريق على الأساطين فهشمتها وأفسدت الكثير منها وجعلوا على المحراب العثماني قبة على عقود الأساطين بعد أن قرنوا إلى كل أسطوانة ثانية وجمعوا في بعضها بين خمس أساطين وأزالوا أسطوانة كانت بين الأسطوانة التي إليها المصلى النبوي وبين المحراب العثماني وجعلوا على ما يحاذي الحجرة الشريفة وما حوله قبة عظيمة على دعائم بأرض المسجد بدلا عن القبة التي كانت بسطح المسجد كما." (٢)

"ترخيم الحجرة وغيرها واتخذوا المقصورة على ما سبق في الحادي عشر واتخذوا المنبر ودكة المؤذنين من رخام كما سبق وجعلوا فيما يلي باب الرحمة وباب النساء إلى مؤخر المسجد دكتين إحداهما بالمسقف الشرقي والأخرى بالمسقف الغربي وجعلوهما أخفض من الدكاك الشامية يسيرا ولا ذكر لهذه الدكاك الشامية في كلام الأقدمين والظاهر إنها حدثت في عمارة الحريق الأول كما حدث هاتان في عمارة الثاني وكنت قد توجهت لزيارة والدتي وأهلي فرجعت آخر عام سبع وثمانين وثلاثمائة فوجدتهم فرغوا من مقدم المسجد وجانب من غيره ثم هدموا من جدار المسجد من المغرب ما بين منارة باب السلام إلى باب الرحمة وأستبدل متولي العمارة ما يحاذي ذلك من الرباط المعروف بالحصن العتيق بباب السلام وما في شاميه من المدرسة الجوبانية والدار التي كانت تعرف بدار الشباك بباب الرحمة لاتخاذ مدرسة ورباط السلطان الأشرف أعز الله أنصاره وأءلى في سلوك العدل منارة وأتخذ في هذا الجانب فتحات كثيرة في ثلاث طبقات عدتها ثلاثون فتحة إلا أن الفتحات الثلاث التي تلي باب السلام جعلوها في الحاصل الذي كان هناك وبه باب خوخة الصديق وأبوابها الثلاثة نافذة في المسجد وجعلوا الفتحة الخامسة من باب السلام باب ينفذ إلى المسجد

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٩٠/٢

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٩١/٢

يتوصل منه إلى المدرسة المذكورة وجعلوا على الفتحات التي على الطبقة الثالثة العليا شبكة من شريط النحاس لأنها جعلت لمجرد الضوء وكان متولي العمارة قد أتخذ مثل." (١)

"العمارة بسبب ذلك وغيره ثم جهز المقر الأشرف البدري أبا البقاء بن الجيعان أسبغ الله عليه النعم وحفظه من النقم في ركب مع جماعة من خواصه فقدم سابع القعدة الحرام من العام المذكور معه كتب كثيرة في العلوم جعلت وقفا بالمدرسة الأشرفية وآلات السماط من القدور وأحمال كثيرة من الدقيق والحب وبنيتا آلات العمارة صحبها من الينبيع مما جهز في المراكب الشريفة فقرر أمر السماط لكل نفر في الشهر سبع أردب مصري وذلك خمسة أمداد

بمد المدينة اليوم وسوى في ذلك بين الصغير والكبير والحر والرقيق فيعطي كل شخص على عدد عياله ما ذكر وجعل للآفاقيين لكل نفر رغيفين وما يكفيه من طعام الجشبشة وأحسن النظر في أمر المعامير وأزاح ما كانوا يتشكون منه وأخبرني بعض المباشرين لهذه العمارة قبل تمامها أن المصروف فيها حينئذ بثمن الآلات والبهائم يزيد على مائة وعشرين ألف دينار ثم بعد تمامها بلغ السلطان ما سبق من أمر النية وميل المنارة الرئيسية فأنتخب المقر الشجاعي شاهين الجملي وفوض إليه شيخة الخدام وينظر المسجد والسماط فقدم المدينة الشريفة موسم عام واحد وتسعين وثمانمائة وأحسن النظر في ذلك كله ولما هدم المنارة ظهر أن الخلل كان لعدم المبالغة في حفر أساسها فحفره إلى الماء وأتخذ لها أحجارا سودا متقنة وأحكم بناءها مع السحن الفائق ومزيد الارتفاع كما سبق وهدم أعالي القبة وأعاده على ما سبق في الحادي عشر مع إحكامه لتربيعه سقف مقدم المسجد والزيادة الآتية في مشهد سيدنا حمزة رضي الله عنه وغير ذلك ثم في أوائل الثامن والعشرين من صفر سنة ثمان وتسعين وثمانمائة سقطت صاعقة ثانية على المنارة الرئيسية المتقدم ذكرها فأسقطت قبتها وجانبا كبيرا من دورها الأول الذي يقوم عليه المؤذن مع اتخاذ من الأحجار المنحوتة الضخمة وسقط جانب من ذلك على ما يليه من سترة المسجد ونفذ بعضها من أحد المحاريب الذي عن يمين موقف الزائر تجاه الوجه الشريف وشوهد ضوء نارها بذلك المحل المنيف مع الأحجار الساقطة وقد ذكرت طرفا من سر تكرر سقوطها بهذه المنارة في المجموع الحاوي لما وقع لنا من الفتاوى ثم أعاد المقر الشجاعي ما انثلم من المنارة والسترة في عامه بأمر السلطان الأشرف جزاه الله خير الجزاء وجعل ثوابه على ذلك من أوفر الأجزاء ومن تأمل ما سبق من العمل عقب **الحريق** الأول وطول مدته وأحاط علما بما أسلفناه عن سلطان زماننا الأشرف في عمارته حكم بقينا بعلو همته وفخار منقبته ومرتبته وقد ذكرنا ماله بالحجاز الشريف من الآثار الجميلة وبعض مناقبه الجليلة في الأصل فراجعه ومن أعظمها أجراء عين عرفة وعمل السماط المتقدم شكر الله صنيعه وحصنه من أعدائه بحصونه المنبعةمدينة اليوم وسوى في ذلك بين الصغير والكبير والحر والرقيق فيعطي كل شخص على عدد عياله ما ذكر وجعل للآفاقيين لكل نفر رغيفين وما يكفيه من طعام الجشبشة وأحسن النظر في أمر المعامير وأزاح ما كانوا يتشكون منه وأخبرني بعض المباشرين لهذه العمارة قبل تمامها أن المصروف فيها حينئذ بثمن الآلات والبهائم يزيد على مائة وعشرين ألف دينار ثم بعد تمامها بلغ السلطان ما سبق من أمر النية وميل المنارة الرئيسية فأنتخب المقر الشجاعي شاهين الجملي وفوض إليه شيخة الخدام

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٩٣/٢

وينظر المسجد والسماط فقدم المدينة الشريفة موسم عام واحد وتسعين وثمانمائة وأحسن النظر في ذلك كله ولما هدم المنارة ظهر أن الخلل كان لعدم المبالغة في حفر أساسها فحفره إلى الماء وأتخذ لها أحجارا سودا متقنة وأحكم بناءها مع السحن الفائق ومزيد الارتفاع كما سبق وهدم أعالي القبة وأعاده على ما سبق في الحادي عشر مع إحكامه لتربيعه سقف مقدم المسجد والزيادة الآتية في مشهد سيدنا." (١)

"حمزة رضي الله عنه وغير ذلك ثم في أوائل الثامن والعشرين من صفر سنة ثمان وتسعين وثمانمائة سقطت صاعقة ثانية على المنارة الرئيسية المتقدم ذكرها فأسقطت قبتها وجانبا كبيرا من دورها الأول الذي يقوم عليه المؤذن مع اتخاذ من الأحجار المنحوتة الضخمة وسقط جانب من ذلك على ما يليه من سترة المسجد ونفذ بعضها من أحد المحاريب الذي عن يمين موقف الزائر تجاه الوجه الشريف وشوهد ضوء نارها بذلك المحل المنيف مع الأحجار الساقطة وقد ذكرت طرفا من سر تكرر سقوطها بهذه المنارة في المجموع الحاوي لما وقع لنا من الفتاوى ثم أعاد المقر الشجاعي ما انثلم من المنارة والسترة في عامه بأمر السلطان الأشرف جزاه الله خير الجزاء وجعل ثوابه على ذلك من أوفر الأجزاء ومن تأمل ما سبق من العمل عقب **الحريق** الأول وطول مدته وأحاط علما بما أسلفناه عن سلطان زماننا الأشرف في عمارته حكم بقينا بعلو همته وفخار منقبته ومرتبته وقد ذكرنا ماله بالحجاز الشريف من الآثار الجميلة وبعض مناقبه الجليلة في الأصل فراجعه ومن أعظمها أجراء عين عرفة وعمل السماط المتقدم شكر الله صنيعه وحصنه من أعدائه بحصونه المنبعة." (٢)

"ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان رحمهما الله تعالى على حافة الطريق على يمين المتوجه إلى الباب الشرقي إلى جانب الشيخ زين الدين الكردي١ ورؤيت له منامات حسنة منها ما حكاه لي الشيخ أحمد الخجندي قال: رأيته في النوم فقلت له: ما فعل الله بك فتغير حاله فأكدت عليه في السؤال فقال الحق تكرم علي انتهى وولي النائب تصديره لشخص يقال له ناصر الدين بن الكبودي وبقية الجهات جعلت باسم ابن قاضي القضاة ثم قال ابن قاضي شهبة: وفي ذي القعدة سنة أربع وعشرين وثمانمائة وفي يوم الأربعاء ثامنه درس الشيخ علاء الدين بن سلام في المدرسة الركنية ودرس في قوله تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ الآية هـ. والشيخ علاء الدين بن سلام هذا هو الامام العالم المتقن المجمل علاء الدين أبو الحسن علي بن جمال الدين عبد الله بن كمال الدين محمد ابن الشيخ العالم شرف الدين الحسين ابن الشيخ كمال الدين المعروف بابن سلام بتشديد اللام كما تقدم في نسب جديه في الدولعية والجاروخية ولد سنة خمس أو ست وخمسين وسبعمائة وحفظ التنبيه والألفية ومختصر ابن الحاجب واشتغل في الفقه على الشيخ شمس الدين ابن قاضي شهبة وعلى الشيخ علاء الدين بن حجي وتلك الطبقة وفي النحو والأصول

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٩٥/٢

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٩٦/٢

على المشايخ من أهل عصره ورحل إلى القاهرة لاكمال قراءة المختصر على الركراكي٢ المالكي. قال الشيخ تقي الدين الأسدي: وكان الركراكي يعرف المختصر أحسن من الذي صنفه ولازم الاشتغال حتى مهر وفضل واشتهر بالفضل وهو صغير قال لي: كنت أبحث في الشامية البرانية في حلقة ابن خطيب يبرود وكان يحضر الدروس فلا يترك شيئا يمر به حتى يعترضه وينشر البحث بين الفقهاء بسبب ذلك وفي الفتنة التيمورية حصل له نصيب وافر من العذاب **والحريق** وأصيب بماله كما جرى لغيره وأخذوه معهم إلى ماردين ثم رجع من هناك وبعده وفاة الحافظ شهاب الدين بن حجي نزل له القاضي نجم الدين ابن حجي عن

١ شذرات الذهب ٧: ١٣٧.

٢ شذرات الذهب ٦: ٣٣٣٣١.." (١)

"ابن الشيرجي أبو بكر محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله الأنصاري فخر الدين الشيرجي الدمشقي أحد المعدلين بها ولد سنة تسع وأربعين وخمسمائة وسمع الكثير وكان يلي ديوان الخاتون ست الشام بنت أيوب وفوضت إليه أمر أوقافها وقال السبط وكان ثقة أمينا كيسا متواضعا قال وقد وزر ولده شرف الدين للناصر داود مدة يسيرة وكان وفاة فخر الدين في يوم عيد الأضحى ودفن بمقابر باب الصغير انتهى

وقال الشيخ تقي الدين في الذيل في شهر رمضان سنة ست وعشرين وممن توفي فيه الصدر الأصيل صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن نجم الدين أبي محمد عبد الوهاب ابن القاضي فخر الدين سليمان الأنصاري المعروف بابن الشيرجي مولده على ما نقلته من خط شيخنا سنة سبع وأربعين وسبعمائة وباشر نظر الشاميتين قديما وغيرهما من اوقاف ست الشام شريكا لأقاربه وكان هو المتكلم ولما مات القاضي ولي الدين سنة خمس وثمانين ولي القاضي سري الدين تدريس الشامية البرانية والجوانية واستمرتا بيده مع أن الشيخ فتح الدين بن الشهيد وليهما بمرسوم السلطان فلم تحصل له وباشر الأوقاف بهمة وقوة نفس وحشمة وكرم والقضاة وأعيان الفقهاء وغيرهم كانوا يترددون إليه وبعد الفتنة افتقر وساءت حاله ثم أنه نزل عن حصته في نظر الشامية البرانية وصار مشارفا بها وقوي القضاة وبعض الفقهاء واستولوا على غالب الأوقاف وكان غالب إقامته بقرية المجيدل وقف الشامية الجوانية ولم يمت حتى رأى في نفسه العبر من الفقر وشماتة الاعداء وقد عمر الشاميتين بعد الفتنة وعمر البرانية مرة اخرى لما **احترقت** في فتنة الناصر توفي يوم الاثنين سادس عشر الشهر ودفن بتربتهم بباب الصغير وكان هو آخر من بقي من اعيان هذا البيت انتهى بعد أن قال في شهر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وثمانمائة وفي هذه الأيام قبض على تاج الدين عبد الوهاب ابن الأنصاري ناظر الشامية البرانيه واستادار بن لاقي كان يطلب منه مال قيل." (٢)

(١) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ١/١٩٦

(٢) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ١/٢٢٦

"٥١ – المدرسة الشاهينية

هي وظيفة تصدير بجامع التوبة بالعقيبة جددها الأمير شاهين الشجاعي داودار شيخ قال الشيخ شهاب الدين بن حجي كان من أعظم أعوان استاذه في الفتن وعمر بجامع التوبة بعد **حريقة** بالفتنة من ماله توفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة ست عشرة وثمانمائة بطريق مصر وأسف عليه كثير من الناس وقالوا هو كان سعد أستاذه انتهى. درس بها الشيخ العالم شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى العجلوني الكفيري الأصل الدمشقي." (١)

"للأيتام فلم يتم أمرها حتى قتل في جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة وقد درس بها الشيخ عز الدين ابن شيخ السلامية الحنبلي في المحرم سنة تسع وستين وسبعمائة ثم إنها صارت خانقاه بعد ذلك ولها وقف يسي جدا إلى ان **احترقت** في الفتنة انتهى قال الأسدي أيضا في تاريخه وتولى سيف الدين جقمق المذكور نيابة دمشق في شوال سنة اثنتين وعشرين وثمنمائة ودخلها في ذي القعدة منهما وكان له همة في عمارة دمشق بنفسه وبالزام الناس بذلك وبالنقلة إلى داخلها وشرع في عمارة الطيوريين والفسقار وعمارة التربة بباب الناطفيين وفرغها وجاءت في غاية الحسن والزخرفة وقيل انه ليس بدمشق ولامصر نظيرها ووسعها من جهة القبلة وجعل لها شبابيك إلى الكسة ومن جهة الشمال نو بني مقابلة خانقاه للصوفية ورتب بها شيخا وصوفيه ورتب بالتربة المذكورة ميعادا بعد صلاة الجمعة وجعل في قبلة التربة مكتبا للأيتام وقد كان في هذ ا المكان مكتب للأيتام قبل الفتنة ووقف السوق الذي عمره داخل باب الجابية وطاحون الأعجام التي أنشأها بالوادي والخان شمالي المصلي والبعض على التربة والبعض على نفسه وأولاده والبعض على غير ذلك وهذه التربة كان قد اسسها المعلم سنجر وعصى جقمق في أول سنة أربع وعشرين وأخذ قلعة دمشق ثم قام عليه القوشي وأخره في جمادى الأولى منها ثامن شهر ربيع ثم أعيد ثانية إلى دمش مكانه تنبك ميق في سادس جماي الأولى المذكورة وقال الأسدي أيضا فيه وفي يوم الجمعة ثامن شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وثمانمائة وفي هذا اليوم حضر الشيخ شرف الدين ابن مفلح بترية النائب وقد رتب له ميعاد في كل جمعة وحضر معه قاضي القضاة يعني نجم الدين بن حجي وجماعة من الفقهاء وهذا وقد كملت التربة المذكورة وجاءت في غاية الحسن ولكن ظلمة الظالم لائحة عليها انتهى وكان ذكر فيما تقدم انه دفن أمه بها في آخر السنة قبلها وورث منها مالا كثيرا وقال الأسدي في." (٢)

"وسعيا في أن يرتب لهما شيئا على مدارس الحنفية ثم إن المذكور دخل إلى دار القاضي الحنفي وصار شاهدا ومحلفا وصار في وقت شاهدا على عمارة بسعيه في ذلك ثم اتصل بنائب القلعة الأمير كمشبغا فنسب إلى أنه اتفق هو وجماعة كمشتغا على أخذ مال وظهرت قرائن تدل على ذلك ثم توجه إلى القاهرة ولما جاء العسكر المصري جاء معهم وباشر كتابة السر عن بهاء الدين بن حجي مدة ثم ولي الحسبة في شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين جاءته الولاية من مصر وكانت الحسبة قد أعيدت بعد ناصر الدين بن شبلي إلى النائب وولي فيها شخصا وضيعا وجاءت الولاية لهذا وشرط عليه أن لا يأخذ لأحد شيئا ولا معلوم له فشكا ذلك إلى النائب فقال له أنت سعيت فيها فاعمل مصلحتك ثم

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ٢٣٦/١

(٢) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ٣٧٥/١

أنه شرع في البلص وأخذ الأموال بحيث أنه زاد على من تقدمه في ذلك وجعل المدرسة المعينية وكانت بيده نظرها وتدريسها وكان عمرها بعد **حريقها** مجلس حكمه وأدخل نفسه في كل شيء ثم ولي وكالة بيت المال بعد وفاة أبي شامة ثم ولي القضاء عوضا عن القاضي شمس الدين الصفدي في صفر سنة ست وأربعين وكان قد توجه إلى مصر فعاد قاضيا إلى أن عزل بعد سنة وثلاثة أشهر ولم تكن سيرته محمودة وكان عنده جرأة وإقدام يزدحمون عليه لأغراضهم ولما عزل استمر بيده الحسبة وكان يجلس بالمدرسة المعينية وعلى بابه أعوان كثيرة ويدخل نفسه في كل شيء في الأحكام الشرعية ولا يهاب ثم توجه إلى مصر في أول السنة وأخذ معه هدايا كثيرة فلما وصل حصل له قبول زائد وأعيد إلى القضاء وعين له وظائف أخرى على ما بلغني وكانت المنية أعجل من ذلك فمرض وتوفي في رابع صفر ونزل السلطان فصلة عليه وشهد جنازته بعد الصلاة جمع قليل ودفن بمقابر الغرباء بسقح المقطم وكان عمره نحو ستين سنة وسر كثير من الناس بموته وعدوا موته نعمة من الله تعالى انتهى.." (١)

"وعظمه وولاه نظر الجامع وغيره ولم تكن سيرته إذ ذاك بمحمودة ثم إنه في سنة ثلاث عشرة جيء به من مدينة حلب المحروسة في الترسيم إلى الملك الناصر إلى دمشق فأهانهما وحبسهما في القلعة بسبب صحبتهما للملك المؤيد شيخ وصودر شمس الدين وباع ثيابه وسأل الناس بالأطراق وعاد هو وأخوه إلى مصر فلما تسلطن الملك المؤيد شيخ قربهما على العادة فلما خرج السلطان من مصر أول سنة سبع عشرة إلى دمشق إلى قتال نوروز وخرج معه فولاه قضاء الحنفية بدمشق فجاء وباشر مباشرة لا باس بها بالنسبة إلى العفة عن أموال الناس وكان قد فوض الحكم إلى نوابه وهو قليل جدا لا يدخل إلى مدرسة الحكم أبدا وإنما نوابه يسدون مسده وله وجاهي وجربه وولي بعض التداريس في القصاعين وغيرها وجلس مدة يسيرة في الجامع يشتغل ولما دخل فتنة قاتباي دخل إلى القلعة ودبر أمرها وكانت غالب الأمور إليه فلما وقع **الحريق** من القلعة انكر الناس ذلك منه وقيل إن ذلك برأيه وإن لم يكن برأيه فلو شاء لأنكره ولكن بلغني أنه حلف أن ذلك لم يكن برأيه ولا بعلمه وكان في ظنه وظن الناس أنه قد نال بما فعل عند السلطان مرتبة لا يصل إليها فلم يظهر من السلطان احتفال بما فعلوه بل ربما ذم على ما وقع من **الحريق** ولما توجه السلطان إلى حلب المحروسة في أول شهر رمضان توجه إليه السلطان فأراد السلطان أن يرسله إلى ابن قرمان في رسالته فساله الإقالة من ذلك فغضب السلطان عليه وأمره بالرجوع إلى دمشق فرجع ومرض في الطريق قيل إنه أطعم في حماة لوزينجا مسموما ووصل إلى دمشق مريضا يوم السبت عشرينه وتوفي عند الصبح يوم الإثنين تاسع عشريه جوار مدرسة بلبان وحضر جنازته خلق من الفقهاء والترك وغيرهم وصلي عليه بمسجد القصب وأم الناس الشيخ محمد بن قديدار ثم صلي عليه ثانيا بجامع يلبغا وحضر الصلاة هناك ملك الأمراء ثم صلي عليه ثالثا بباب الجبابية ودفن بمقبرة باب الصغير على يسار الذاهب إلى مسجد الذبان مقابل تربة الجيبغاي على حافة الطريق وتوفي رحمه الله تعالى في العشر الأخير ظنا وترك عليه ديونا كثيرة وتركة يسيرة لا." (٢)

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ١/٤٥٤

(٢) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ١/٤٨١

"مرض الموت ومات يوم تاسعه ثم شاع عزل نجم الدين المذكور في آخر السنة المذكورة وفي أول محرم سنة خمس وتسعمائة وصلت خلعة نجم الدين المذكور وابن قدامة المذكور أعيد إلى قضاء الحنابلة بمصر أيضا فجعل كالمستجد المستعار وفي يوم الخميس رابع عشر صفر لبس نجم الدين المذكور خلعة القضاء التي اتت له من مصر وفي شهر رجب سنة تسع وتسعمائة شاع بدمشق عزل نجم الدين المذكور ثم تبين أنه عزل في مستهل شهر رجب بابن قدامة بهاء الدين الذي هو بمصر ثم وصل بهاء الدين المذكور إلى دمشق أول سنة عشر إلى تربة تنم بعد توعك حصل له وفي بكرة يوم الاثنين ركب النائب وتلقاه ودخل معه الاصطبل وقرأت مطالعاته ثم لبس خلعته وركب إلى الجامع وقرئ توقيعه وتاريخه مستهل جمادى الأولى من الماضيه وفيه غالب وظائف الحنابلة وعزل من فيها وقد حصل له وهن وخور من حين دخل الاصطبل فلم يستطع الخروج من الجامع فدخل بيت الخطابة وهو ضعيف.

وفي سادس شهر ربيع الأول من سنة عشر سافر النجمي المذكور إلى مصر وفي يوم الجمعة عاشر شهر ربيع الأول توفي بهاء الدين ابن قدامه وفي يوم السبت ثالث عشر شهر رجب منها وصل النجمي من مصر ودخل وفوض لولده شرف الدين يوم عاشوراء سنة إحدى عشرة.

فوائد: الأولى: رأيت بخط تقي الدين ابن قاضي شهبة في تاريخه في سنة عشرين وثمانمائة في جمادى الأولى منها وفيه انتهت عمارة المدرسة الجوزيه وكانت قد **احترقت** قبل ذلك بمدة يسيرة في أيام نيابة تنبك وعمرت في أيام القاضي شمس الدين النابلسي١ . انتهى. الثانية: بها إعادة وقرأ ءة حديث وإمام ة أم بها أبو القاسم محمد بن خالد بن إبراهيم الحراني الفقيه بدر الدين أخو الشيخ تقي الدين بن تيميه لأمه سمع بدمشق من ابن عبد الدائم وابن الصيرفي وابن أبي عمر وتفقه ولازم شيوخ

---

١ شذرات الذهب ٧: ٥٢.." (١)

"١٨٤- الخانقاه اليونسيه

بأول شرف العالي الشمالي غربي الخانقاه الطواويسه أنشأها الأمير الكبير الشرفي يونس داودار الظاهر برقوق في سنة أربع وثمانين وسبعمائة كما هو مكتوب على بابها وفي شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين المذكورة كما هو مكتوب في الداير داخلها ولعل الأول كان ابتداء الشروع في عمارتها والثاني انتهاؤها وذلك بنظر الكافلي بيدمر الظاهري وشرط في كتاب وقفها الأصلي أن يكون الشيخ بها والصوفية حنيفة إفاقية ولم يشرط في المختصر بكونهم إفاقية وشرط فيهما أن يكون الإمام بها حنيفا وعشره من القراء ووقف عليها الدكاكين خارج باب الفرج ثم **احترقت** في أيام الملك المؤيد شيخ فعمرها وأدخلها في وقفه وعوض الخانقاه بحمام العلاني خارج باب الفرج والفراديس والحمام بكفر عامر والآن ال إليها من وقف ذريته قطعة الأرض بسكة الحمام والقاعة لصيق الخانقاه وولي مشيختها الشيخ شمس الدين بن عزيز ال حنفي وقد مرت ترجمته في المدرسة العزيزية ثم ولي مشيخة اليونسية الشيخ شمس الدين بن عوض الحنفي إمام جامع

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ٢/٤٨

يلبغا قال تقي الدين ابن قاضي: شهبة في شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وثمانمائة اشتغل في الفقه على الشيخ شرف الدين بن منصور وغيره واشتغل في غير الفقه على جماعات وكان يستحضر من الحاوي الصغير ولم يكن مبرزا في شيء وأم بجامع يلبغا مدة وولي مشيخة الخانقاه اليونسية وكان له تصدير بالجامع الأموي وربما جلس للاشتغال في بعض الأحيان وحصل له في آخر عمره غفلة شديدة توفي في ليلة الاثنين رابع عشره عن نحو سبعين سنة وترك ابنين لأي صلحان لصالحه وقررا في غالب جهاته فلا حول ولا قوة إلا بالله انتهى.." (١)

"أبا الجيش صاحب دمشق وأحرق قصر الحجاج وحكر السماق وجامع جراح وباب الصغير ومساجد كثيرة ونصب المنجنيق عند باب الصغير وعند باب الجابية ونصب داخل البلد أيضا منجنيقات: وترامى الفريقان وأرسل الصاحب الصالح إسماعيل إلى الأمير معين الدين ابن الشيخ بسجادة وعكازة وابريق وأرسل يقول له اشتغالك بهذا أولى من اشتغالك بمحاصرة الملوك فأرسل إليه المعين بزمر وجنك وغلالة حرير أحمر وأصفر وأرسل يقول له: أما السجادة فإنها تصلح لي وأما أنت فهذا الأولى بك ثم أصبح ابن الشيخ واشتد الحصار بدمشق وأرسل الصالح إسماعيل فأحرق جوسق والده العادل وامتد **الحريق** في زقاق الرمان إلى العقيبة **فاحترقت** بأسرها وقطعت الأنهار وغلت الأسعار وأخيفت الطرك وجرى بدمشق أمور شنيعة بشعة جدا لم يتم عليها قط وامتد الحصار شهورا من أول هذه السنة إلى جمادى الأولى فأرسل أمين الدولة يطلب من الأمير معين الدين ابن الشيخ شيئا من ملابسه فأرسل إليه بفرجية وعمامة وقميص ومنديل فلبس ذلك الأمين وخرج إلى معين الدين فاجتمع به بعد العشاء طويلا ثم عاد ثم خرج مرة أخرى فاتفق الحال على أن يخرج الصالح إسماعيل إلى بعلبك ويسلم دمشق إلى الصالح أيوب ودخل معين الدين ابن الشيخ إلى دمشق ونزل دار أسامة فولي وعزل وقطع ووصل وفوض قضاء القضاة إلى صدر الدين بن سني الدولة وعزل القاضي محيي الدين بن الزكي واستناب ابن سني الدولة التفليسي١ الذي ناب لابن الزكي والفوز السنجاري وأرسل معين الدين ابن الشيخ أمين الدوله غزال المسلماني وزير الصالح إسماعيل تحت الحوطة إلى الديار المصرية وأما الخوارزمية فإنهم لم يكونوا حاضرين وقت الصلح فلما علموا بالصلح غضبوا وساروا نحو داريا فنهبوها وساروا نحو بلاد الشرق فكاتبوا الصالح إسماعيل فحالفوه على الصالح أيوب ففرح بذلك ونقض الصلح الذي كان وقع منه وعادت الخوارزمية فحاصروا دمشق وجاء إليهم الصالح إسماعيل من بعلبك فضاق الحال على الدماشقة فعدمت الأقوات وغلت الاسعار

---

١ شذرات الذهب ٥: ٣٣٧.." (٢)

"مسجد واثلة

٣٤- مسجد واثله رضي الله تعالى عنه على رأس درب الزلاقة يجلس عنده الجنائزين كبير له إمام ومؤذن ووقف وهو سفل وعلى بابه قناة.

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ١٤٨/٢

(٢) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ٢١٨/٢

مسجد ابن أبي العود

٣٥- مسجد في سويقة باب الصغير سفل لطيف يعرف بابن أبي العود له إمام ومؤذن ووقف ومنارة محدثة.

٣٦- مسجد في درب العبسي عن يسار الخارج إلى باب الصغير سفل لطيف.

مسجد القطانين

٣٧- مسجد القطانين في طرف المقلاص خلف سوق الصوف سفل كبير له إمام ومؤذن ووقف.

٣٨- مسجد بقرب حمام أبي نصر في الحريق سفل.

مسجد المزين

٣٩- مسجد بناه معالي المزين له وقف وإمام.

٤٠- مسجد في درب الحبالين عند رأس درب الريحان من السوق الكبير سفل يعرف بسمجد الريحان وهو مسجد فضاله بن عبيد الأنصاري١ الصحابي قاضي دمشق رضي الله تعالى عنه عند بابه قناة.

مسجد الجلادين

٤١- مسجد معلق يعرف بمسجد الجلادين له منارة وإمام ومؤذن ووقف.

٤٢- مسجد لطيف سفل براس درب البزورين وسوق الاكافين له

---

١ شذرات الذهب ١: ٥٩.." (١)

"شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة لرؤية الاسطرلاب الذي أبدع وضعه فوجدته قد وضعه في قائم حائط في منزله داخل باب الفراديس في درب الطيار ورأيت هذا الاسطرلاب فأنشأ لي طربا ووجد لي في المعارف أربا وقلت: إن من تقدمه من الأفاضل عند جبل علمه الراسخ هباء ولو رآه إقليدس لما كان عنده إلا نقطة من خطه أو ارشميدس لرأى شكله قطاعا في تحرير وضبطه فسبحان من يفيض على بعض النفوس ما يشاء من المواهب ويجدد في كل عصر من يحيي رسوم الفضل الذي عدم في الليالي الذواهب وصورة الاسطرلاب المذكور قنطرة مقدار نصف أو ثلث ذراع تقريبا يدور أبدا على الدوام في اليوم والليلة من غير رحى ولا ماء على حركات الفلك لكنه قد رتبها على أوضاع مخصوصة تعلم منه الساعات المستوية والساعات الزمانية انتهى. وإليه ينسب عمل المنحرفتين في قبلة مأذنة العروس بالجامع الأموي المذكور انتهى. وحدث أبو الفضل يحيى بن علي١ القاضي أن أدرك في الجامع الأموي قبل حريقه طلسمات لسائر الحشرات معلقة في السقف فوق البطائن مما يلي السبع وأنه لم يوجد في الجامع الأموي شيء من الحشرات قبل الحريق فلما احترقت الطلسمات وجدت انتهى.

وكان حريق الجامع الأموي ليلة النصف من شعبان بعد العصر سنة إحدى وستين وأربع مائة قال الذهبي في كتاب العبر: في سنة إحدى وستين هذه في نصف شعبان احترق جامع دمشق الأموي كله من حرب وقع في الدولة فضربوا بالنار دارا

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ٢/٢٣٧

مجاورة لللجامع الأموي فقضي الأمر واشتد الخطب وأتى الحريق على سائره ودثرت محاسنه وانقضت ملاحته انتهى. ووجد في كتاب لبعض أهل دمشق اقيمت فية بيت الرخام التي فيها فوارة الماء في سنة ست وتسعين وثلاثمائة وقال جعفر بن دواس الكناني المعروف بقمر الدولة يصف هذه الفوارة شعر:

---

١ شذرات الذهب ٤: ١٠٥.." (١)

"رأيت بالجامع المعمور معجزة ... في جلق إحدى "كذا" من بها سمعا

فوارة كلما فارت فرت كبدي ... وماؤها فاض بالأنفاس فاندفعا

كانها الكعبة العظمى فكل فتى ... من حيث قابل أنبوبا لها ركعا

وقرأت بخط إبراهيم بن محمد الحناء قال: أنشئت الفوارة المنحدرة وسط جيرون سنة ست عشرة وأربعمائة وجرت ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة وأربعمائة وأمر بجر القصعة من ظاهر قصر حجاج إلى جيرون وأجرى ماءها الشريف القاضي فخر الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسين بن العباس الحسيني جزاه الله خيرا ونحته بخطه محمد بن أبي نصير الحميدي١ انتهى. وسقطت هذه الفوارة في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة من جمال تحاكت فيها فأنشئت كرة أخرى ثم سقطت وعمرت وما عليها في حريق اللبادين ورواق دار الحجارة ودار خديجة في سنة اثنتين وستين وخمسمائة وقال الذهبي في مختصر تاريخ الإسلام: في سنة اثنتين هذه وفيه١ احترقت اللبادين وباب الساعات بدمشق حريقا عظيما وأذهب أموال الناس طلعت النارمن دكان هراس انتهى. وقال الأسدي في تاريخه في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة: وفيها جدد قاضي القضاة جمال الدين بن حجي الشافعي بالمقصورة من الجامع الأموي ربعة قرآن تفرق على الناس وقت صلاة الجمعة وجعل عليها قبة صغيرة غربي المنبر نظير القبة التي شرقية انتهى. وقال الذهبي في المختصر من تاريخ الإسلام: في سنة إحدى وثمانين وستمائة وفي شهر رمضان احترقت اللبادين والكتبيين والزجاجين المرجانيين والخواتميين وجميع ما فوق ذلك وما تحته وكان منظرا مهولا ذهب فيه من الأموال ما لا يحصى وسلم الله تعالى الجامع الأموي ثم عمر ذلك كله مع الملازمة في سنين انتهى. وقال الأسدي رحمه الله تعالى في ذيله في سنة سبع وعشرين وثمانمائة في شهر: ربيع الآخر منها وفي يوم الأربعاء سادسه جاءالنائب هو الجديد سودون بن عبد الحمن إلى الجامع الأموي وجلس بحراب الحنفية ومعه الشيخ المالكي والشيخ الحنبلي

---

١ شذرات الذهب ٣: ٢٩٣.." (٢)

"بمشهد أبي بكر من جامع دمشق كان من الصالحين الكبار مباركا توفي في صفر منها ودفن بباب الصغير انتهى. ملخصا وقال الذهبي في العبر في سنة ست وتسعين وخمسمائة: وفيها توفي الشيخ شرف الدين عبد الله بن محمد

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ٢/٢٩٩

(٢) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ٢/٣٠٠

الدمشقي وكان رجلا فاضلا عين لإمامه مشهد عروة يعني مشهد شيخ الإسلام بالجامع الأموي ولم يباشره لأنه كان إلى الآن لم يكمل فتحه انتهى. وقال ابن كثير في سنة تسع وتسعين وستمائة: ومما كان من الحوادث في هذه السنة أنه جدد إمام راتب عند قبر رأس يحيى بن زكريا وهو الفقيه شرف الدين أبو بكر الحموي وحضر عنده ظهر يوم عشوراء القاضي إمام الدين الشافعي١ وحسام الدين٢ الحنفي وجماعة ولم تطل مدته إلا شهورا ثم عاد الحموي إلى بلده وبطلب هذه الوظيفة إلى الآن انتهى.

ورأيت في مختصر تاريخ الإسلام للذهبي في سنة سبع وخمسمائة: وكان بطبرية مصحف عثمان فنقله طغتكن إلى جامع دمشق فهو الذي بمقصورة الخطابة انتهى. وقال الذهبي في مختصر تاريخ الإسلام في سنة أربعين وسبعمائة: وفيها كان **الحريق** الكبير في دمشق بالدهشة ثم بقاسارية القيسي وذهب لأهلها أموال **واحترقت** المأذنة الشرقية وذلك من فعل النصارى وأقرت به طائفة فصلت بسبب ذلك أحد عشر نفرا بعد أن أخذ منهم ما يقرب من ألف ألف درهم وأسلم ناس كثير انتهى. وقال في ذيل العبر في السنة المذكورة: وفي ليلة السادس والعشرين من شوال وقع بدمشق **حريق** كبير شمل اللبادين والقبلية وما تحتها وما فوقها إلى حد سوق الوراقين وسوق الدهشة وحاصل الجامع وما حوله والمأذنة الشرقية وعدم للناس فيه من الأموال والمتاع ما لا يحصى كثرة ونسب فعل ذلك إلى النصارى فأمسك كبارهم وسمروا حتى ماتوا انتهى.

وقال ابن قاضي شهبة في تاريخه وفي شهر ربيع الأول سنة أربع عشرة وثمانمائة: وفي هذا الشهر سكن سوق الذهبيين شمالي الجامع الأموي وكان قد بنى أيام الأمير نوروز وانتقل إليه تجار دهشة النساء ثم رجعوا بعد ذلك الى

١ شذرات الذهب ٥: ٤٥١.

٢ شذرات الذهب ٥: ٤٤٦.." (١)

"سوق الحجاج من باب البريد ونقله إلى عمارته واستطوى على أوقاف الجامع انتهى. وقال في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة: وفي يوم الجمعة رابع عشرة صلى الإمام الأول بمشهد السجن داخل مشهده والثاني بمشهد علي وكان الإمام الأول يصلي بمحراب الحنفية من سنين وحصل ذلك رفق واتسع الموضع بالمصلين وكان الثاني يصلي عند قبر رأس يحيى بن زكريا فلما كان في هذه الأيام رسم السلطان للجامع الأموي بألف دينار من مال السكر فأخذت وصرفت في ترميم الجامع الأموي بحيث لم يظهر لما صرف المال في كبير أمر وكان في المشهدين الشرقين بعض عمارة فلما فرغ من عمارتها أمر بالصلاة فيها ليظهر للناس أن ذلك عمر من مال السلطان وكان المشهدان المذكوران معطلين من الفتنه إلى الآن انتهى. وقال في الأعلاق الخطيرة: ولما ملك دمشق الملك الصالح إسماعيل ابن الملك العادل عمل وزيره أمين الدوله عبد السلام١ السامري بالجامع الأموي طلسما للحمام فلا تدخله وصح في الأيام الصالحية النجمية **احترقت** المأذنه الشرقية بجامع دمشق عند أول قدومه إليها في سنة خمس وأربعين وستمائة وأقامت

(١) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ٢/٣٠٧

خرابا ثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما فأمر السلطان في أوائل سنة سبع وأربعين وستمائة وقيل في سنة ثلاثة وأربعين وستمائة بعمارتها وتولى عمارتها الشهاب الرشيد الصالحي نائب المملكه وكان بباب البريد في وسطه بين الأساطين حوانيت يباع فيها أنواع الفواكه وغيرها من الأطعمة وكان ازجه لاطيا فأخر بها وعلى أزجه وكلسه ومنع من كان يجلس فيه للمعاش. وفي الأيام الناصرية الصالحية ابن الملك العزيز فرض من ماء القنوات زيادة على ماء باناس للجامع الأموي المعمور عند انقطاع ماء باناس مقدار سبع عشرة اصبعا من أصابع الماء للكلاسة وللبركة المجدده بباب البريد القسطل المساق للبيمارستان الدقاقي ولمشهد عروة بتولي عز الدين بن عبد العزيز بن محمد بن وداعة الجيلي.

وفي الأيام الركنية الظاهرية أخرجت بأمره الصناديق والخزائن وفكت

---

١ ابن كثير ١٣: ١٩٢.." (١)

"الدهر ووحيد العصر ونادرة الاوان واعجوبة الزمان وغريبة الأوقاف وعجيبة الساعات ولقد أبقت أمية ذكرا ما يدرس وخلفت أثرا لا يخفى ولا يدرس انتهى.

وما قيل في وصفه نظما فمن أبيات لبعضهم:

دمشق قد شاع حسن جامعها ... وما حوته ربى مرابعها

بديعة المدن في الكمال لما ... يدركه الطرف من بدائعها

طيبة أرضها مباركة ... باليمن والسعد أخذ طالعها

جامعها جامع المحاسن قد ... فاقت به المدن في جوامعها

بنية بالاتقان قد وضعت ... لا ضيع الله سعي واضعها

تذكر في فضلة ورفعته ... أخبار صدق راقت لسامعها

قد كان قبل **الحريق** مدهشة ... فغيرته نار في بلاقعها

فاذهبت **بالحريق** بهجته ... فليس يرجى إياب راجعها

إذا تفكرت بالفصوص وما ... فيها تيقنت حدق صانعها

أشجارها ما تزال مثمرة ... في أرض تبر يغشى بقائعها

فيها ثمار تخالها ينعت ... وليس يخشى فساد يانعها

تقطف باللحاظ لا بجارحه ... الأيدي ولا تجتنى لبائعها

وتحتها من زخامة قطع ... لا قطع الله كف قاطعها

أحكم ترخيمها المرخم قد ... بان عليها أحكام صانعها

وان تفكرت في قناطره ... وسقفه بأن حذق رافعها

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ٢/٣١٣

وإن تبينت حسن قبته ... تحير اللب في أضالعها

تخترق الريح في مخارمها ... عصفا فتقوى على زعازعها

وأرضه بالرخام قد فرشت

... بنفسج الطرق في مواضعها

مجالس العلم فيه مونقة ... ينشرح الصدر في مجامعها

وكل باب عليه مطهرة ... قد أمن الناس دفع مانعها

يرتفق الخلق في مرافقها ... ولا يصدرون عن منافعها." (١)

"وله ثلاثة أولاد ذكور: أحدهم هذا الأمير فرج وقد مر أنه دفن بتربته بظاهر باب الجابية قبلي تربة افريدون العجمي وغربي تربة الأمير بها درآص والثالث الأمير ركن الدين عمر ودفن بالمكان الذي كان معصره وقفها الحاج عثمان بن البص التاجر بمحلة مسجد الذبان فأخذها بعده أيضا الحاجب فأسسها ليدفن بها فلم يقدر له ذلك فأخذها ركن الدين هذا ودفن بها قبل فتنة تيمور بسنتين ثم **احترقت** في الفتنة ثم جددها الناصر محمد ابن ابن أخيه إبراهيم وجعل بها خمسة مجاورين وشيخا لهم يقرئهم القرآن الكريم. انتهى ملخصا والله سبحانه وتعالى أعلم انتهى الكتاب.

انتهى الكتاب." (٢)

"والعجب أن الأبراج كانت متباعدة وقد أبعدها الإفرنج بمسافات وكل واحد منها عل جانب من البلد **فاحترقت** في واحد وكان سبب حرقها إن رجلا يعرف بعلي بن عريف الحسين بدمشق كان استأذن السلطان في دخول عكا للجهاد وأقام بها وشرع يعمل النفط ويركب عقاقيره والناس يسخرون منه فلما قدمت الأبراج إلى البلد رمي عليها بالنفوط وغيرها فلم يفد فحضر ابن العريف إلى بهاء الدين قراقوش واستأذنه في الرمي فأذن له على كره فإن الصناع قد أيسوا فلما إذن له بهاء الدين قراقوش رمى أحد الأبراج فأحرقه وانتقل إلى الثالث فأحرقه ولم يكن ذلك بصنعه بل وفقه اله تعالى له وخرج المسلمون من البلد فحفروا الخندق وجاؤا إلى موضع **الحريق** واستخرجوا الحديد من موضع **الحريق** وما وجدوا من الزرديات وغيرها ولله الحمد والمنة (وصول الأسطول من مصر) كان السلطان أمر بتعمير أسطول آخر من مصر فلما كان يوم الخميس ثامن جمادي الأولى ظهر الأسطول فركب السلطان ليشغل الإفرنج عن قتال الأسطول فعمر الإفرنج أسطولا وتلاقى هو وأسطول المسلمين فجاءت مراكب المسلمين ونطحت مراكبهم وأخذ المسلمون مركبا للإفرنج واخذ الإفرنج مركبا للمسلمين وأتصل الحرب في البحر إلى غروب الشمس فقتل من الإفرنج عدة كثيرة وسلم المسلمون (قصة ملك الألمان) صح الخبر أن ملك الألمان عبر من قسطنطينية بجنوده فقيل إنهم أقاموا." (٣)

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ٣١٩/٢

(٢) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ٣٤٣/٢

(٣) الأنس الجليل أبو اليمن العليمي ٣٦٤/١

"كان الإفرنج لما صح عندهم وصول ملك الألمان إلى البلاد في جميع كبير قالوا إذا جاء صار الأمر له ولا يبقى لنا كلام معه فنحن نهجم على المسلمين ونظفر بهم قبل قدومه فخرجوا ظهر يوم الأربعاء لعشرين من جمادى الآخرة في جمع كبير وقصدوا مخيم الملك العادل فوقف الملك العادل ومن معه من الأمراء وحمل معه العسكر الحاضر قبل أن تتصل به بقية العساكر فكسر الإفرنج كسرة فاحشة وركبت العادلية أكتافهم وحكموا فيهم السيوف وكان السلطان قد ركب مع جماعة من المماليك فوصل وشاهد ما سره وقتل من الإفرنج زهاء عشرة لاف ولم يبلغ من استشهد من المسلمين عشرة أنفس وكتب السلطان إلى بغداد ودمشق وغيرهما يبشر بذلك (ذكر ما تجدد للإفرنج بوصول الكندهرى) وما زال الإفرنج في وهن وضعف حتى وصل من البحر رجل يقال له كندهرى وهو عندهم عظيم القدر أفاض عليهم الأموال فوق أهل الكفر وشاع هذا الخبر فتشاور السلطان وأكابره ورحل يوم الأربعاء السابع والعشرين من جمادي الآخرة إلى منزله الأول بالخروبة واشتغل بتدبير أمره والأخبار متواردة من عكا مع السباحين وبطاقات الحمام وأخبار ملك الألمان متواصلة بضعف حاله وتلاشي أحواله (حريق المنجنيقات) وفي رجب من السنة المذكورة انفق الكندهري على الرجال فأعط عشرة آلاف رجل في يوم واحد ليجدوا معه في القتال وضايق عكا ونصب عليها المناجيق." (١)

"(ذكر الكبش وحريقه) واستأنف الإفرنج عمل ذبابة في رأسها شكل عظيم يقال له الكبش وقد سقفوها مع كبشها بأعمدة الحديد وألبسوا رأس الكبش بعد الحديد بالنحاس خشية عليها من النار وسحبوها فأنزعج المسلمون لذلك وقالوا ليس في هذه حيلة ثم نصب المسلمون مناجيق ورموا بالحجارة فنفر من حولها من الرجال ثم قذفوها بالنار فدخلت من باب الذبابة فاشتعلت النار فيها وخرج منها الإفرنج واحترقت تلك الذبابة ورموها بالمناجيق حتى انهدمت وخرج المسلمون من الثغر وقطعوا رأس الكبش واستخرجوا ما تحت الرماد من الحديد وحملوا منه ما استطاعوا وحصل بذلك النصرة للمسلمين والخذلان للمشركين وكان ذلك يوم الاثنين ثالث عشر رمضان واحترقت البطة يوم الأربعاء خامس عشر واتفق في يوم الاثنين هذا من العدو وعل البلد الزحف الشديد ورموا بالمناجيق وخرج المسلمون فطردوهم إلى خيامهم (ذكر غير ذلك من الحوادث) وصل الخبر أن صاحب إنطاكية تحرك عل المسلمين فسربت له الكمائن فخرجوا عليه وقتلوا أكبر رجاله وفي هذا التاريخ ألقت الريح بساحل الذيب بطتين خرجتا من عكا بجماعة من الرجال والصبيان والنساء وحصل بين المسلمين والكفار وقائع وغنم المسلمون من الكفار وفي عشية الاثنين تاسع رمضان رحل السلطان إلى منزل يعرف بشعزعم لما بلغه من تحرك الإفرنج فخيم هناك وشرع يتواقع هو والإفرنج في كل وقت وغلت الأسعار عند الإفرنج واشتد بهم البلاء وخرج منهم جماعة ولجؤا إلى السلطان مما أصابهم من الجوع فقبلهم وأحسن إليهم فمنهم من اعتذر ومنهم من أسلم وصار في خدم السلطان." (٢)

"(وصول ملك الانكثير) وفي يوم السبت ثالث عشر الشهر أشاع الكفار وصول ملك الانكثير في عدد كثير ووقع الارجاف في الناس والسلطان قوي الجنان لا يرهبه ذلك وهو معتمد عل الله في أموره وأعلم ملك الانكثير أن أهل

---

(١) الأنس الجليل أبو اليمن العليمي ٣٦٦/١

(٢) الأنس الجليل أبو اليمن العليمي ٣٦٨/١

التوحيد لهم قوة وإنهم لا يبالون به (غرق البطة) كان السلطان قد عمر في بيروت بطة وشحنها بالعدد والآلات وفيها نحو سبعمائة رجل مقاتل توسطت في البحر صادفها ملك الانكثير وأحاطت بها مراكبه وحصل القتال بين الفريقين وقتل من الإفرنج خلق كثير وعجزوا عن أخذها فلما رأى مقدمها اشتد الأمر نزل فخرقها حتى غرقت في البحر ووصل خبرها للسلطان في السادس عشر من جماد ى الأولى وكانت هذه الوقع أول حادثة حصل بها الوهن للمسلمين (حريق الذبابة) وكان الإفـرنج قد اتخذوا ذبابة عظيمة ولها أربع طبقات وهي خشب ورصاص وحديد ونحاس وقربها إلى أن بقي بينها وبين البلد خمسة أذرع وكانت هذه الذبابة على العجل وانزعج المسلمون بذلك ورموا عليها النفط وهو لا يفيد فيها حتى قدر الله تعالى وجاءها سهم صائب فأحرقها الله تعالى وحصل للمسلمين السرور وزال عنهم ما كان من الغم بسبب غرق البطة فإن حريق الذبابة كان يوم وصول خبر غرق البطة ثم وقع وقعات في هذا الشهر وكانت العلامة بين عسكر السلطان وبين المقيمين بعكا عند زحف العدو دق الكؤس فإذا سمعت أدركهم العسكر فوقع." (١)

"٣٥٩ – الوقعة الكبرى مع الإفرنج ٣٦٠ وصول الملك الألمان إلى قسطنطينية ٣٦١ ذكر نساء الافرنج ووصول المراكب " وقعة الرملة وكان السلطان في الصيد ٣٦٢ فتح شقيف وأرنون بالأمان " مقاتلة الإفرنج عكا وحمل الطيور البطاقات ٣٦٣ وصول الأسطول من مصر " قصة ملك الألمان وعبوره بجنوده ٣٦٦ الوقعة العادلية ووصول ملك الألمان " ذكر ما تجدد للإفرنج بوصول الكندهري " حريق المنجنيقات ومضايقة عكا ٣٦٧ وصول ابن ملك الألمان الذي قام مقام أبيه إلى الإفرنج بعكا " ذكر برج الذبان قرب ميناء عكا ٣٦٨ ذكر الكبش وحريقه " ذكر غير ذلك من الحوادث ٣٦٩ نوبة رأس الماء ومضايقة الإفرنج " وقعة الكمين للعدو ٣٧٠ ذكر غير ذلك من الحوادث " قصة الرضيع واللصوص في الليل ٣٧٢ انتقال السلطان إلى تل الصياصة ٣٧٣ وصول ملك الانكثير " غرق البطة في وسط البحر." (٢)

"٣٧٣ – حريق الذبابة وهي من خشب ورصاص ٣٧٤ ذكر المركيس ومفارقته " فصل في وصول العساكر من سنجار ومن مصر ٣٧٦ استيلاء الإفرنج عل عكا ٣٧٧ غدر ملك الانكثير وقتل المسلمين المأخوذين بعكا ٣٧٨ رحيل الإفرنج صوب عسقلان " وقعة قيسارية ووصول الخبر برحيل الإفرنج ٣٧٩ اجتماع الملك العادل وملك الانكثير " وقعة أرسوف وما جرى بين العسكرين ٣٨٠ خراب عسقلان ونزول السلطان بالرملة " فصل في هروب ملك الانكثير متنكرا ٣٨١ ذكر ما تجدد لملك الانكثير إلى العادل بالمصالحة ٣٨٢ وقعة الكمين وأمر السلطان لرجال الحلقة بأن يكمنوا " اجتماع الملك العادل بملك الانكثير " رحيل السلطان إلى القدس الشريف ٣٨٣ ذكر ما اعتمده السلطان في عمارة القدس ٣٨٤ ذكر الحوادث مع الإفرنج ورحيلهم من الرملة ٣٨٥ هلاك المركيس بصور وقتله بالسكاكين ٣٨٦ استيلاء الإفرنج على عسكر مصر الواصل ٣٨٧ كبسة الإفرنج على عسكر مصر الواصل ٣٨٨ نزول السلطان على مدينة يافا وفتحها ٣٨٩ الهدنة العامة بين السلطان وبين الإفرنج." (٣)

---

(١) الأنس الجليل أبو اليمن العليمي ٣٧٣/١

(٢) الأنس الجليل أبو اليمن العليمي ٤٢٢/١

(٣) الأنس الجليل أبو اليمن العليمي ٤٢٣/١

"الناظر بمبلغ الفي دينار وخمسمائة دينار ذهبا ومائة وعشرين قنطارا من الرصاص برسم العمارة ثم في أيام القاضي أمين الدين عبد الرحمن الديري أنعم بمائة وعشرين غراره من القمح القيمة عنها ثلاثة آلاف دينار وستمائة دينار ولما توفي ابن الديري تحمل على الوقف ثمن أغلال فأنعم بتوفية الثمن وهو أربعة آلاف وسبعمائة دينار وكان في أيامه ناظر الحرمين الشريفين بالقدس الشريف والخليل عليه الصلاة والسلام القاضي عز الدين خليل السخاوي وهو الذي أقام نظام الحرمين الشريفين ورتب فيهما الوظائف وكان المؤذنون قبل ذلك نوبتين فزادهما نوبة ثالثة وعمر الاوقاف ونماها وكان سماط سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام يعمل فيه ليلة الجمعة الأرز المفلفل والحب رمان والعدس في كل يوم وفي الأعياد تعمل الأطعمة المفتخرة وفي أيامه – أعني الملك الظاهر – في شهر رجب سنة احدى وخمسين وثمانمائة حرق جانب من سقف الصخرة الشريفة بصاعقة نزلت من السماء ودخلت من باب الصخرة القبلي فاحرقت بعض السقف من جهة الغرب من جانب القبة واجتمع الناس لاطفاء **الحريق** فحصل بذلك ضجة عظيمة ويقال ان **الحريق** لم يكن بصاعقة وإنما بعض اولاد الاكابر دخل بين السقف ليتصيد طيورا من الحمام ومعه شمعة موقودة فتعلقت النار من ضوء الشمعة في الخشب فكان سببا **للحريق** والله أعلم بحقيقة الحال ثم عمر السقف بأحسن مما كان ومن حسنات الملك الظاهر المصحف الشريف الذي وضعه بالصخرة الشريفة تجاه المحراب ورتب له قارئا وهو موجود الى عصرنا ورسم بابطال المظالم من القدس الشريف ونقش بذك بلاطة والصقت بحائط المسجد الغربي عند باب السلسلة وفي أيامه جهز خاص كيا اسمه اينال باي وكان الساعي في أمره الشيخ محمد المشمر أحد جماعة الشيخ شهاب الدين ابن ارسلان فحضر الى القدس الشريف بمرسوم الملك الظاهر بالكشف على الديورة وبهدم ما استجد بدير صهيون وغيره وانتزاع." (١)

"وفي يوم الخميس مستهل رمضان منها، تعدى دوادار السلطان أركماس بدمشق، وهو أستاذ المزة غريبها، على جماعة، منهم شريف من أقارب الحصني، وضربه بالمقارع. وفي عشيته رجع من مصر إلى دمشق السيد محمد بن المحب الحصني. وفي بكرتها يوم الجمعة اجتمع الناس وكبروا على الدوادار المذكور بمنارة الجامع الأموي إلى بعد الصلاة.

وفي يوم السبت ثالثه وصل من مصر إلى دمشق خاصكي اسمه يلباي، وتلقاه أرباب الدولة، ثم أخرج على يديه مرسوما شريفا بأن يصادر ورثة ابن علوان المتوفى، فرسم على زوجته وابنه منها الطفل، وعلى أبي بكر الطواقي، وآخر ما صادرهم به نحو ثلاثة آلاف دينار، ثم صادر أيضا دوادار القاضي الشافعي وجماعته.

وفي يوم الاثنين رابع شوال منها، ورد مرسوم شريف، بعزل قاضي الحنفية بدمشق زين الدين الحسباني، وأن يختار الحنفية قاضيا غيره، فيوليه نائب السلطنة على مبلغ، وأن يلتزم للحنفية بأداء معاليمهم، فاختاروا العمادي إسماعيل الناصري، فولاه النائب، ثم سافر الحسباني المذكور إلى مصر للسعي عليه في الحال، فيما بلغني، ولا قوة إلا بالله، على أن بعض الحنفية ندم عليه، وأنه كان أولى من العمادي. وفي هذه الأيام احترق حاصل الخواجا عيسى القاري بحارة الحاجب، وذهب له مغل كثيرة وحب وغير ذلك.

---

(١) الأنس الجليل أبو اليمن العليمي ٢/٩٧

وفي يوم الأحد رابع عشريه رجع الشيخ تقي الدين ابن قاضي عجلون من مصر إلى دمشق، وقد تكلف مشاق كثيرة، ولا قوة إلا بالله.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره أقرت امرأة بحضرة النائب، أن نائب بعلبك فعل بها الفاحشة، بعد أن كان ادعى أنها أخته، وبعد أن أخذها من دمشق إلى بيته ببعلبك لما طلقها زوجها، وترك أولادها عند أبيهم المطلق، فطلبه نائب دمشق من بعلبك ماشيا، فقابله وواجهه بما فعل بحضرة النائب بدار العدل، فأمر بإخصائه، فأخصي.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشر ذي القعدة منها، حمل رجل أعجمي في ظهره، كما تحمل عصي القبان، جملا معقلا على باب، وعلى جنبي الباب رجلان، ولم يزل ينقلهم من سلسلة إلى سلسلة وهو على علو، إلى أن صار الجميع عنده حاملهم على وسط ظهره، ثم ردهم إلى الأرض، وذلك تحت قلعة دمشق، وحمل قبل ذلك بأيام حجرا كبيرا، وضرب على صدره النحاس بمرازب كبار بحضرة النائب، وله عجائب أخر.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره حضر العالم مفتي حلب ابن السيوفي بالمدرسة الشامية البرانية، متبركا بالحضور عن يسار المدرس تقي الدين ابن قاضي عجلون، وكان مطلوبا إلى مصر. وفي يوم الأحد سادس عشره ركب محمد بن عياش، الركاب، فرسا يغلها بأجرة، وكان قد شرب الخمر، فسقط على الأرض، فداس الفرس في رأسه فقتله في طريق المزة، تجاه بستان النوروزي، فوق حمام الفلك. وفي الليلة المذكورة قتل سكرانا علي بن خريش المعمار، بالقرب من الباب الحجر، في طريق كفر سوسيا، وكلا الرجلين المذكورين مجرمان مؤذيان، فانتقم الله منهما.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشره حضر في نصف تدريس الظاهرية الجوانية القاضي عفيف الدين شعيب، بالإيوان القبلي، ودرس في قوله تعالى: " ومن يتق الله يجعل له مخرجا ". وفي هذه الأيام خرج من دمشق قفل إلى مصر، فخرج عليهم الأمير المعزول عن بلاده قراجا، وأعطيت البلاد لابن عمه، وأراد نهبهم فبرز إليه من القفل أربعة أنفس من تجار القفل بالقسي والنشاب، فرماه أحدهم بسهم فأصاب مذبحه فمات، فهاش جماعته عليهم، فقتلوا الأربعة التجار، وأرادوا نهب القفل فاستغاثوا فأغاثهم الأمير، فلما رأى ابن عمه قتل لم يسهل به ذلك فنهبهم، ولا قوة إلا بالله.

وفي ليلة الثلاثاء خامس من عشريه سافر القاضي الشافعي إلى بلاده وإقطاعه ليدور عليها. وفي صبيحته رجع إلى دمشق، ودخلها، القاضي نجم الدين الحنبلي، وتلقاه النائب على العادة بتلق حسن، بعد أن طلب إلى مصر، وحصل له من السلطان بعض ضيق، ولا قوة إلا بالله. وفي يوم الأربعاء سادس عشرينه ختم حضور الدرس بالشامية البرانية. وفي يوم الخميس سابع عشرينه سقط رجل طيان من السطح العالي ببيت الأمير فارس، الذي كان ساكنه الحاجب الثاني أحمد بن شاهين بالسويقة المحروقة، فوصل إلى الأرض وقد تحطم جسده، فلم يلبث أن مات، وتعلق على جماعته دوادار السلطان بدمشق، فسعى فيه الحاجب المذكور.

وفي يوم الأحد سلخه أمر النائب بضرب عنق رجل أزعر، يعرف بابن سويدان، ضبطت عليه أمور منكرة من القتل وغيره. وفيه ولي النائب مقلد بن عز الدين بن العزقي، مقدمة وادي بردى وما والاها، مكان أبيه المقتول لعصيانه المتقدم ذكره، وهذا الابن طفل، وقد حضر ضرب رقبة ابن سويدان المتقدم بالاصطبل السلطاني.

وفي يوم الثلاثاء ثاني ذي الحجة منها، دخل دمشق من مصر ناصر الدين محمد بن شكم، بعد أن طلب إلى مصر

وضيق عليه، بسبب تفريطه في وظيفة نقابة القلعة الدمشقية، حتى تسرب منها الأمير بداغ أخو سوار؛ وأراد أن يمثل به فتحيل في الخلاص من ذلك بالسعاية في جماعة بدمشق، فورد على يديه مراسيم في مصادرتهم، وأن خاصكي السلطان، وهو خازنداره، واصل عقبه. وفي هذه الأيام شاع بدمشق وفاة السلطان محمد بن بركات سلطان مكة، وأن قايتباي أرسل إلى مكة سرية يحفظونها.

وفي يوم الأحد سابعه دخل من مصر إلى دمشق خاصكي لمصادرة الناس، قيل إنه خازندار السلطان، وتلقاه النائب على العادة، ثم أخرج على يديه مرسوما شريفا بإعتقال نائب القاضي الشافعي في الحكم والخطابة والعرض، إذا غاب سراج الدين بن الصيرفي، بسعاية نجم الدين بن الخيضري فيه، في مصر، بسبب دخوله في وصية عمه مسند، وأنه وضع يده على نحو عشرين ألف دينار، ثم ضمنه جماعة وأخرج بعد أيام، ثم أخرج الخاصكي مرسوما أيضا باعتقال مفتي دار العدل السيد كمال الدين بن حمزة، بسبب تركة حمية القاضي محب الدين ابن قاضي علجون، فوضع في قلعة دمشق مع سراج الدين في اليوم المذكور.

وفي ليلة الاثنين ثامنه ركب النائب بعكسره، ولم يركب معه بقية أرباب الدولة، وسافر على قرية نجها، وسبقه النذير إلى عامر بن مقلد المراوي، فركب عامر وحده وفرق للنائب بوش الجمال ليأخذه بها، فأخلى النائب للبوش حتى جاوزه، ثم زحف بعسكره بعد العصر يوم العيد شرقي صرخد على عامر فكسره بعد جهد عظيم، ونجا عامر بنفسه وأهله وباقي بوشه، ودخل إلى دمشق من أثاثهم وأمتعتهم شيء كثير، كسبا مع المماليك، ثم دخل النائب إلى دمشق وقت العصر يوم الخميس أول أيام التشريق، وتلقاه أرباب الدولة، ودخل قدامه رؤوس كثيرة على رووس الرماح ينادي عليها، ومن الجمال نحو ألفين، ومن الغنم مثلها، ولا قوة إلا بالله.

وفي صبيحة يوم الأحد حادي عشريه **احترقت** قيسارية الفرنج، المعرفة بابن دلامة، التي هي شرقي قيسارية ابن المزلق، التي علي بابها الساعات، قبلي العشر، وخرب ما حولها من النار. وفي يوم الجمعة سادس عشرينه أرسل دوادار السلطان بدمشق، وهو أستاذ المزة، إليها جماعة نهبتها، وقبضت جماعة منها، بسبب عدم مصالحة أستاداره بها عبد القادر بن الشيراجي، الساكن يومئذ غربي سوق صاروجا.

وقال الشيخ علاء الدين البصروي في ذيله:

وفي يوم الأحد مستهل صفر منها، وصل الحاج الشامي؛ ووصل من الحجاز الشيخ أبو الفضل محب الدين بن الإمام الصفدي، من قدماء الشافعية؛ وجاء أيضا السيد علاء الدين بن نقيب الأشراف، وتوجه من ناحية الكرك إلى القدس الشريف.

وفي ثامن عشره وصل تمراز، ونزل بالصالحية عند القاضي كمال الدين بن حمام الورد، ووضع القاضي عبد الرحيم بن موفق الدين العباسي بالقلعة، على سبعة آلاف دينار على أبيه، ثم لما سافر سلمة للأمير الكبير بدمشق جانم فأطلقه.

وفي ربيع الآخر منها، وقع بحوش دار النيابة حجر ملفوف بخرقة، في طرفها قصة ذكر فيها شعيب نائب القاضي الشافعي وما يفعله في الأحكام وغيرها من الظلم والبلص، وحكى فيها ما وقع له في سنة ثمان وسبعين وثمانمائة، فدفعها

النائب للقاضي الشافعي، فعزله؛ وفي خامس عشره أعيد بشفاعة لمحب ناظر الجيش.

وفي سابع جمادى الأولى منها، سافر السيد كمال الدين بن حمزة إلى الحمة، ثم وصل إلى هنا في سادس عشره.

وفي خامس عشره اجتمع الشيخ علي الدقاق والشيخ أبو الفضل المقدسي بالنائب في معارضة الشيخ تقي الدين من جهة باب جيرون، فأجابهما بما خاب سعيهما عمد سماعه.

وفي ثالث عشريه وصل من مصر الشيخ شهاب الدين بن المحوجب الشافعي، ورأى الشيخ تقي الدين بن قاضي عجلون بغزة.

وفي ثامن عشري جمادى الآخرة ورد مرسوم بتجهيز مباشري المارستان النوري: القاضي محي الدين الإخنائي نائب الناظر، وعبد القادر العدوي العامل، ومحمد بن شعبان المشارف، بسبب أن أحمد شيخ سوق المارستان شكا عليهم بأن فائض وقفه في سبع سنين عشرون ألف دينار، أكلها المذكورون؛ والمرسوم إلى النائب والقاضي الشافعي على يد عبد كاتب السر ابن مزهر.

وفي ثالث عشريه عرض السيد نجم الدين بن السيد برهان الدين بن السيد محمد الحسني كتاب الحاوي في الفقه وكتاب الكافية في النحو.

وفي ليلة رابع رجب منها، حصل حريق عند مسجد القصب، عظيم، واحترق فيه نحو عشرين مسجدا.

وفي مستهل شوال منها، يوم الجمعة، شهدوا برؤية الهلال بعد الزوال، وصلوا صلاة العيد بين الظهر والعصر، وخطب القاضي الشافعي.

وفي ثامن عشره سافر الحاج الشامي، وأميرهم، برد بك الظاهري أحد المقدمين بدمشق، وقاضيه ...

سنة خمس وتسعين وثمانمائة

استهلت والخليفة أمير المؤمنين المتوكل على الله عبد العزيز بن يعقوب؛ وسلطان مصر والشام وما مع ذلك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي؛ ونائبه بدمشق قانصوه اليحياوي؛ والقضاة؛ الحنفي عماد الدين اسماعيل الناصري، والشافعي شهاب الدين بن الفرفور، والمالكي شهاب الدين المريني، والحنبلي نجم الدين بن مفلح؛ والأمير الكبير جانم مملوك السلطان؛ والحاجب الكبير الشرفي يونس الملكي؛ والحاجب الثاني مملوك السلطان تاني بك الأشرفي؛ ودوادار السلطان أركماس الملكي؛ ونائب القلعة مملوك السلطان الأيدكي؛ ونقيبها الأمير تمراز القجماسي؛ ودوادار النائب الخازندار؛ وكاتب السر الزيني العباسي؛ وناظر الجيش المتشرف بالإسلام محب الدين؛ ومع القاضي الخطابة بالجامع الأموي، ومشيخة شيخ الشيوخ، ونظر المارستان، ونظر الحرمين.

وفي يوم الثلاثاء ثامن المحرم منها، رجع القاضي الشافعي من سفره المتقدم، إلى دمشق.

وفي بكرة يوم الخميس، يوم عاشوراء، دخل من البلاد الشمالية قاصد ابن حسن باك بالأمير بداغ بن ذي الغادر، الذي هرب من سنين من قلعة دمشق، شفع فيه يعقوب باك بن حسن باك المذكور، فخلع عليه النائب وأكرمه وأنزله بحارة القصر.

وفيه اعتقل على الزيني السيد عبد الرحيم العباسي، كاتب السر بدمشق يومئذ، ووضع بمسجد القلعة عند السيد كمال الدين، من جهة مال السلطنة على ما قيل: ثم بعد أيام أفرج عنه.

وفي يوم الاثنين سابعه اعتقل على ناصر الدين بن سكر في قلعة دمشق، على مال كثير للسلطة وغيرها.

وفي بكرة يوم الأربعاء سادس عشره دخل من مصر إلى دمشق ابن شعبان سلطان الحرافيش، وهم والأوباش حوله، والصفاقات والطبول تضرب بين يديه، والأعلام الصفر عليه، ثم أوصلوه إلى بيته، ثم رجعوا إلى تلقي زوجته، أيضا بالصفاقات والطبول، وخرج إليها نحو مائتي امرأة بخرق صفر ملفوفة على عصائبهن وهن ركوب حولها، إلى أن وصلت إلى بيتها، ولا قوة إلا بالله؛ قيل إن السلطان ألقى الشر بينهما حتى أخذ منه مالا بعد أن عرض عليه الإهانة، ثم أصلح بينه وبين زوجته.

وفي يوم السبت بعد الظهر تاسع عشره، دخلت كتب وفد الله من الحجاز إلى دمشق.

وفي وقت العشاء ليلة الاثنين الحادي والعشرين منه، هجم الحرامية بغتة على بيت ديوان نائب السلطنة صدقة السامري، فحاربهم، وأخذوا مالا كثيرا على ما قيل.

وفي يوم الجمعة بعد العصر خامس عشرينه هجم مماليك دوادار السلطان بدمشق، على باب قاضي المالكية شهاب الدين المريني، وأخذوا خصما كان محبوسا من عند المالكي، هو من فلاحي سودون الطويل أحد الألوف، فاختبطت دمشق لذلك.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشريه دخل الوفد الشريف إلى دمشق، في أطيب عيش وأوفر بضاعة، وأكثرها ولله الحمد؛ وأخبروا أن الوقفة كانت يوم الثلاثاء؛ وتبين أن الذي شاع بدمشق من موت السلطان بركات، كذب ليس له أصل.

وفي يوم الخميس ثاني صفر لبس النائب خلعة حمراء بفرو على العادة، واحتفل الناس لذلك.

وفي يوم الأحد خامسه حضر الشامية البرانية، مدرسا في ثلث تدريسها، السراج الصيرفي، نزل له عنه تقي الدين ابن قاضي عجلون في ذي الحجة من السنة قبلها، ودرس في قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم " وأطعم الناس بعد الدرس معمولا.

وفي يوم الجمعة بعد الصلاة عاشره، وعظ تجاه محراب الحنفية شمس الدين بن عبية القدسي ثم الدمشقي، ثم ذكر الله مع جماعة الجالسين حول كرسي وعظه، فأطال، فرمى رجل نفسه وسط الحلقة، ثم قام واقفا يرقص مكشوف الرأس، وينط ويقعد معهم، وهو في حال ذكره ينظر لكل من يقربه في الجامع، فوقع نظره على رجل من طلبة العلم الفقراء وهو شيخ كبير، فخرج من الحلقة إليه وقبض بخناقه وهو جالس، وضربه بيده ثم قام عنه، وأخذ عصا بقربه وضربه، فصاح الناس عليه، فرجع عنه وهو يقول: يضحك علي وأنا أذكر الله متوحدا؛ فلما رأى الناس قد أنكروا عليه لبس عمامته وجلس، فدخل إليه رجل يقال له زين الدين عمر بن العلاف، وهو من طلبة العلم وأخرجه بيده وذهب به مع جماعة إلى بعض نواب القاضي الشافعي، فاستعجل المضروب وضرب الضارب بالعصا مثل ضربته، فقال القاضي لهم: قد اقتص منه، ثم خلعه منهم، ولم يعذره على ما صدر منه، وأطال الواعظ المذكور في هذا اليوم مجلسه مراءاة للناس.

وفي يوم السبت حادي عشره لبس النائب خلعة آقبغاوي، وفوقه كاملية خضراء بفرو، من قبة يلبغا، ودخل دمشق وقدامه

مملوكه جندر مخلوعا عليه، وعلى اثنين آخرين، بطراز، واحتفل الناس لهم، وكان يوما مشهودا؛ وسبب هذا الخلعة الجمال التي نهبها من العرب، وأرسل منها إلى السلطان مع جندر المذكور.

وفي يوم الأحد ثاني عشره درس السراج الصيرفي بالشامية البرانية الدرس الثاني، وابتدأ من كتاب البيع، ولم يحضر معه أحد من الأكابر غير الطلبة.

وفي يوم الأحد سادس عشرينه، بعد حضور الشامية البرانية، حضر شمس الدين الكفرسوسي مدرسا في نصف تدريس ونظر المدرسة المجاهدية بها، تجاه القواسين، وحضر معه السراج الصيرفي، ودرس في قوله تعالى: " لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم " ثم حضر أيضا بالكلاسة نيابة عن مدرسها وابن مدرسها رضي الدين الغزي، وكان تدريسها كاد يبطل، فإنه من لدن الشيخ خطاب نائبهم لم يقم بها درس؛ وكان السبب في إقامته يومئذ الامير سودون الطويل، ودرس فيها من قواعد العلاي لما علم من أن الشيخ خطاب كان يدرس فيها هنا.

وفي يوم الاثنين رابع ربيع الأول منها، قرئ بدار العدل مرسوم على النائب، مضمونه أن القاضي شهاب الدين بن الفرفور طلب الحضور إلى المقام الشريف فأذن له، وأن يكون نظره على جهاته، ثم قيل أن السبب أنه كان في حياة صهره قطب الدين الخيضري طلب أن يوليه المقام الشريف نظر ديوان الإنشاء بمصر، بعشرين ألف دينار، فأطلع السلطان على ذلك لبدر الدين بن مزهر المتولي جديدا، فأخرج بدر الدين على القاضي قوائم بنحو العشرين ألف لوالده المتوفى عليه، ووجهها للسلطان، فأرسل السلطان أخبره، فاستأذن في الحضور، فأذن له.

وفي هذه الأيام ورد مرسوم شريف بعزل قضاة بعلبك، إلى النائب والقاضي الشافعي، ثم قيل إن السبب في ذلك أن بعض قصاد القاضي المذكور مر ببعلبك، فلم يضيفوه ضيافة تليق به في دعة، وهو شهاب الدين الكوكاجي نائب الحنبلي.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشره حضر عفيف الدين شعيب العابري، عقيب الحضور في الظاهرية في تدريس المدرسة الإقبالية الشافعية، ودرس في قوله تعالى: " ومن يتوكل على الله فهو حسبه "، نحو عشر كلمات، ثم ختم وقدم للحاضرين معمولا، وأقراصا، ولم يحضر معه إلا أناس قلائل، ولا قوة إلا بالله.

وفي يوم الأحد سابع عشره حضر القاضي رضي الدين الغزي في تدريس الكلاسة، وترك استنابة شمس الدين الكفرسوسي، وحضر معه قاضي القضاة الشافعي، والشيخ شمس الدين ابن خطيب السقيفة، والجماعة على العادة، ودرس في قوله تعالى: " ولله على الناس حج البيت " الآية، وأطعم معمولا كثيرا على ما قيل.

وفي آخر هذا الشهر كملت الزوائد التي جددت بجامع الجوزة، خارج باب الفراديس، بعد احتراق شيء منه، والزوائد هي بالجانب القبلي من العمودين إلى الطريق السلطاني اثنا عشر ذراعا بالبخاري، ومن شرقي هذه خمسة أذرع ونصف بالبخاري أيضا، ومن شمالي هذه الخمسة ثلاثة أذرع بالبخاري أيضا، اشترى ذلك وعمره الحاجب الكبير الشرفي يونس، وساعده الشيخ تقي الدين ابن قاضي عجلون، ومن شرقي البركة تجاه الباب القديم قطعة أرض اثنا عشر ذراعا بالبخاري أيضا شرقا بغرب، اشتراها من ماله الحاج شرف الدين موسى بن محمد التاجر المكفناتي، وعمر على يديه أيضا إيوان، وفتح له باب إلى الطريق السلطاني من مال أهل الخير، طوله قبلة بشام ثلاثة عشر ذراعا بالبخاري أيضا.

وفي هذا الشهر شرع القاضي الشافعي يتملك ويستحكر حوانيت سوق البزورية، ثم شرع في هدمه ليعمره أحسن ما كان.

وفي يوم الأحد خامس عشريه قبض على جارية سوداء، فخرج من عندها حوائج للناس، سرقتهم خفية، نحو مائة قطعة نحاس وغير ذلك، فقطعت يدها وصبرت على الألم.

وفي بكرة هذا اليوم، باصطبل دار السعادة، بحضرة النائب، اجتمع على قاضي الحنفية العمادي جماعة بحضور القضاة، ونقضوا حكمه في حمام سقبا، قيل إنه ارتشى عليه.

وفيه أخبر شهاب الدين بن حجي الأطروش أن قرين العمادي هذا، وهو الحسباني، في أسوأ حال بمصر، بسبب دين لبعض حاشية السلطان، ولا قوة إلا بالله.

وفي ليلة الأحد مستهل ربيع الثاني منها، احترقت سويقة تاني بك ميق بحكر السماقي.

وفي يوم الجمعة خامسه لبس القاضي الحنفية العمادي خلعة من السلطان، كما ولاه النائب، وقرئ تقليده بالجامع وفيه المراء كثير.

وفي يوم الاثنين تاسعه نودي بدمشق من جهة النائب بالتجريدة، فاغتم الناس لذلك لشدة وقوف الحال لقلة المطر، فإنه لم يقع مطر من أواخر الأصم إلى الآن، والقمح قد تحرك سعره.

وفي عشية يوم السبت رابع عشره، وهو سادس آذار، غيمت السماء، واستبشر الناس بالمطر، ثم وقع بعد المغرب مطر جيد، وشرعوا منه في جبي دراهم المشاة من الحارات.

وفيه دخل إلى دمشق أوائل الترك من العسكر المصري، وتسلطوا على أذى الناس من أخذ دوابهم وغيره؛ ومشى المدرس إلى الشامية البرانية، وغالب الأكابر، خوفا على دوابهم منهم.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشره أفرج عن السيد كمال الدين من اعتقاله بجامع القلعة، وهرع الناس إليه يهنئونه.

وفي هذه الأيام قد دخل إلى دمشق خلق كثير من أهل حماة، هربوا من نائبهم أينال الخسيف؛ وأما أهل حلب فتفرقوا في البلدان من قبل هذه السنة وإلى الآن، خوفا على حريمهم من العساكر الواردة إليهم، وفسد نساء كثير منهم.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشريه أصبح رجل كان يبيع الصابون، وقد شنق نفسه في بيته في حبل وهو ميت، لكون بعض الظلمة طرح صابونا؛ فذهبت زوجته إلى أبيه وأخبرته بذلك، فأتى إليه وأنزله وغطاه، وذهب إلى المغسل ليغسله، فلما رأى عليه آثار الخنق امتنع، وقال: لا أغسله حتى تنظر فيه الحكام، فذهب أبوه، وهو ممن يقال عنه إنه ذو مال، إلى ملك الأمراء خوفا من دوادار السلطان لشهرته بالظلم، فأخبره بذلك، فقال له: أنت كنت السبب في قتله لكونه طلب منك مالا ليستعين به في وفاء ثمن الصابون المطرح فأبيت؛ ثم أمر بشنقه فروجع فيه إلى أن أخذ منه مائة دينار، ثم أذن له في دفنه، فلما كان في صبحة المقابر أتى جماعة من جهة دوادار السلطان إليه وحملوه إلى بيت أستاذهم، فمددوه إلى أن أخذوا منه خمسة وعشرين دينارا.

وكان النائب قبل ذلك بنحو خمسة أيام قد طلب القاضي شمس الدين بن القاضي بدر الدين بن المزلق، وطلب منه عدة أربعين ماشيا، فقال له: ما جرى بهذا عادة، فإن أوقافنا غالبها على فقراء وقرب؛ فغضب عليه النائب وهم أن يوقع فيه بنفسه بعد أن قام نصف قيام لذلك، ثم قال له: قم من وجهي؛ ثم أمر به إلى القلعة، ثم ندم وأمر بإخراجه، فلم

يخرج إلا أن يجيء مرسوم السلطان، فلم تزل الأكابر به إلى أن خرج، على أن يعمل النائب مصلحة، ولا قوة إلا بالله.

وفي يوم الأربعاء خامس عشريه ضرب دوادار السلطان رجلا جمالا حتى مات؛ وسببه أن جماعة من تجار الأرمن قدموا دمشق، وأرادوا السفر إلى مصر بحرير معهم، فاكتروا مع هذا الجمال، فلما خرج بهم إلى قرب سعسع قطعت لهم راحلة وذهب بهم منها شيء، فرجعوا وشكوا عليه وأدركوه ليقر، فلم يقر ومات، فذهبت دنياهم وبقت عليهم التبعات، فلا قوة إلا بالله؛ ووقف أهل الميت به في نعش للنائب، فلم يأخذ بأيديهم لكون الدوادار من مماليك السلطان، وهو رجل جبار فاجر. وفي هذا اليوم دعي في الشامية لبطالة الدروس.

وفي يوم الثلاثاء مستهل جمادى الأولى منها، عزر قاضي الحنفية العمادي لمحمد الكازروني، وأهانه وسجنه بسجن باب البريد، وهو لعمري أقل جزائه، فإنه أعرج نحس مختصر فاض، يتوكل ويأخذ من الجانبين، تارك للصلاة.

واستهل هذا الشهر وقد امتلأت دمشق من العسكر المصري، والمماليك الجلبان، حتى غلقت حوانيت كثيرة، ولم يجسر أحد أن يركب حمارا، فضلا عن غيره، حتى القضاة ترى أبوابهم مغلقة إلا الخوخة، خوفا على دوابهم ومنازلهم، حتى إن قاضي الشافعية دخل حمام منصور، وترك ثيابه على عادة الناس، واستعمل صانعا، فدخل مملوك، فأمر الصانع أن يحلق رأسه ويدلكه ويغسله وأطال المكث، ثم خرج فادعى أنه بجيبه مائة دينار سرقت، فلم يزل بالحاضرين حتى أخذ منهم ثلثمائة درهم، هذا بعد كلفة في الحمام، ولا قوة إلا بالله.

وفي يوم الأربعاء ثانيه عرض أهل باب المصلى مشاة، نحو خمسين رجلا.

وفي يوم السبت خامسه نودي بدمشق بأن من كان له على الأجناد وأهل الحلقة والمستخبرين دين فلا يطالب به، وذهب للناس في ذلك مال كثير، ووقف حال الناس زيادة على ما هم فيه.

وفي يوم السبت خامسه جاء مرسوم شريف في شمس الدين بن الشيخ عيسى البغدادي، وعمي القاضي جمال الدين بن طولون مفتي دار العدل، فرفعا إلى القلعة، ثم بعد يومين أو ثلاثة أفرج عن ابن طولون، ثم عن الآخر.

وفي يوم الخميس ثامنه وصل الخبر إلى دمشق بأن السلطان ولي تمربغا الترجمان، المتشرف بالإسلام، نظر جيش دمشق، عوضا عن محب الدين سلامة بن يوسف الأسلمي، وكلاهما بمصر، وسبب ذلك أن محب الدين المذكور كان قد صال وطال، وهان الفرنج، بسبب بهار السلطان، وضرب شخصا منهم بالقلعة، فاشتكوا عليه للسلطان بأن أخذ منهم عشرة آلاف دينار، وأباحوا أخذها منه للسلطان، وأنهم يزيدون السلطان عليها مثلها ويولي عليهم الشخص المذكور تمربغا، فإنه كان فرنجيا منهم، ثم أسلم، ودخل عند النائب المتوفى قجماس؛ فأجابهم السلطان إلى توليه بعد أن أدركهم أمر البحر من جهة ابن عثمان.

وفي يوم الأربعاء عاشره ولي النائب الحسبة لنائب بعلبك، الذي كان خصاه على فاحشة وقعت منه كما مر، واسمه يونس. وفي يوم الخميس حادي عشره عرض المشاة القيسية من جميع الحارات، وخرجوا ملبسين من حارة الشاغور، وهم نحو ثلاثة آلاف، وكان يوما مشهودا.

وفي يوم السبت ثالث عشره سافر تقي الدين بن قاضي عجلون إلى الحجة، وقيل إن عزمه السفر إلى القدس، ثم إلى الطور ثم إلى الحجاز، بعد بيع كتب كثيرة كانت عنده.

وفي هذه الأيام جلس بعض شهود العمائر: إبراهيم العجلوني، على باب العادلية الصغرى، فمر عليه بغل عليه شيء من المال وليس خلفه أحد، فأدخله إلى اصطبل العادلية، فرآه شخص، فقال له: اطعمنا مما أطعمك الله، فأنكر، فرفع إلى دوادار النائب فضربه، فأقر بذهب فأخذ منه.

وفي يوم الاثنين خامس عشره دخل من مصر إلى دمشق أولى المقدمين زردكاش السلطان، واسمه يشبك الجمالي، ولاقاه النائب وأرباب الدولة، وورد على يده مرسوم بأن يقبض من القلعة مائة ألف دينار، فلم يوجد في الصندوق غير ثلاثة وثمانين ألفا.

وفي يوم الأربعاء سابع عشره دخل من مصر إلى دمشق أحد الألوف قانصوه الألفي، وأمير آخور كبير قانصوه خمسمائة، طلب الأول أولا، وطلب الثاني ثانيا دخولا حافلا.

وفي يوم الجمعة تاسع عشره دخل المذكوران إلى الجامع الأموي قبل الصلاة، وتركعا في المكان الذي يجلس فيه القاضي الشافعي، خارج باب بيت الخطابة، ومعهما أمير، ثم بعد ساعة فرش للنائب في محراب الحنابلة، ثم جاء وجماعته فصلوا تحية المسجد؛ فلما سلم من صلاته استدعى مملوكه جندر وحدثه، فجاء إلى قانصوه خمسمائة فحدثه، ثم عاد إلى أستاذه، فقام بمفرده ومشى خلف جندر إلى أن جاء وجلس عن يساره قانصوه خمسمائة، ثم صعد الشافعي وخطب خطبة في المعني، ثم اجتمعوا بعد الصلاة واجتمع الترك حولهم، ثم مشى المذكوران وخلفهما النائب ومعه الأمير الثالث، واسمه قانصوه أيضا، وخرجوا من باب البريد.

وفي هذا اليوم خرج من دمشق يشبك الجمالي متوجها إلى البلاد الشمالية.

وفيه شاع أن ابن عثمان أرسل بالصلح، وأن مفاتيح القلاع واصلة.

وفي يوم السبت عشريه دخل من مصر أمير مجلس تاني بك الجمالي، وأحد الألوف تاني بك الوالي، وتلاقاهما النائب على." (١)

"والبداة بمشهد الزيلع.

وفي يوم السبت ثاني عشريه كان أول فصل الربيع، ونقلت الشمس للحمل، وكان يوما مطيرا كثير الهواء.

سنة خمس وثمانين وثمانمائة

استهلت والخليفة أمير المؤمنين ابن أخ المستنجد بالله وسلطان مصر والشام وما معهما الملك الأشراف أبو النصر قايتباي الجركسي، ونائبه بدمشق قانصوة اليحياوي، وقاضيها وكاتب سرها قطب الدين الخيضري الشافعي، وهو مقيم بالقاهرة له مدة، والحنفي تاج الدين بن عربشاه، والمالكي شهاب الدين المريني المغربي، والحنبلي نجم الدين بن مفلح، وناظر الجيش موفق الدين العباسي الحموي، ونائب القلعة علاء الدين بن شاهين، والحاجب الكبير يشبك العلاي، ودوادار السلطان يلباي الأينالي.

استهلت بيوم الاثنين المبارك، وهو رابع عشر آذار من أشهر الروم.

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/

وحصل فيه ريح شديدة، وزاد النهر زيادة قوية، والثمار غالبها أزهرت، وخرج بعض الورق. – وفي يوم الأربعاء ثالثه توفي القاضي زين عبد الرحمن الزرعي الحنفي فجأة، وكان رجلا دينا خيرا، عين نواب القاضي الحنفي، عفيفا في مباشرته، متوفقا في الأمور؛ وولي قاضي القضاة الحنفي بطرابلس، وإقامته بها مع أولاده كثيرة، وهو يدعى أنه ابن عم بني قاضي عجلون، وكان كثير التراداد إلى دمشق، ويحب الإقامة بها أكثر من طرابلس، حصل له جدور من رأسه إلى حلقه، وصلي عليه بالجامع الأموي، ودفن بمقبرة الفراديس بالقرب من تربة الناصر بن برقوق.

وفيه أطلق مقدم الزبداني ابن العزقي من السجن بسفارة شخص يدعى سيدي عمر بن النيربي التاجر الحلبي، المقيم الآن بدمشق، وكان في السجن من حريق الجامع قد أشرف على القتل، فخلصه الله تعالى على يد هذا الرجل، لأن له دخلا في الدولة. والعمل كثير في الجامع الأموي، والمعلمون من المسلمين: عبد الوهاب الحلبي وابن العجلونية ومحمد بن المؤذن والأعسر والدفيه ابن التازي وأخيه عبد الوهاب.

وفي يوم الخميس رابعه ذكر أنه حصل لبعض التفاح الفاطمي والسكري بعض شوطة من." (١)

"أهل القرآن، في حق الله تعالى، طولب بشيء، فقال: ما يخرج من هذا المكان ولو حارب العزة؛ فرفع أمره للقاضي المالكي نائب الحكم شمس الدين المطماطي، فأمر بحبسه والتضييق عليه في سجن الدير، فبلغ القاضي برهان الدين بن المعتمد نائب الحكم الشافعي فحكم بإسلامه، فاستشاط قاضي القضاة المالكي شهاب الدين المريني وأمر بالتضييق عليه في السجن أكثر ما كان، إلى أن أطلق في يوم الثلاثاء ثامن عشريه بواسطة مولانا الشيخ، وكان الرسول لقاضي القضاة المالكي شهاب الدين الحمراوي، وكان في السجن في قيد وغل تلك الليلة.

وفي آخر هذه السنة بلغني أن المدرستين اللتين ببنائهما أمر السلطان لما حج، انتهتا، وهما مدرسة بمكة المشرفة لصق الحرم الشريف بين بابي الرحمة والسلام، بمنارة، وأخرى بالمدينة الشريفة لصق الحرم النبوي بين بابي الرحمة والسلام أيضا، ورتب فيهما تعاليم للطلبة؛ ولما كان حج، كان معه أخو المحدث شمس الدين السخاوي، فكتب جميع ما يقع للسلطان في سفره، ليدون ذلك أخوه.

سنة ست وثمانين وثمانمائة

... خرجت زوجة القاضي شرف الدين بن عيد للقاهرة، ولم يأت إلى الآن خبر زوجها، وودعها القاضي محب الدين بن القصيف راكبا أمام جمل المحارة إلى خارج البلد! وفي يوم الجمعة بعد صلاتها ثاني عشريه صلى بالجامع الأموي غائبة على الشمس القدسي المتقدم ذكره، بعد أن خطب شيخنا سراج الدين بن الصيرفي أعلى منبر المقصورة الجديد، بعد فراغ الجامع المذكور من عمارته، بعد حريقة النار.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشريه دخل المحمل الشريف من القبة، وأميرهم يلباي دوادار السلطان بدمشق كما قدمنا، وهو من الشجعان لكنه في غاية من الظلم؛ وجاور شمس الدين محمد الكفرسوسي الشافعي.

وفيه عزل القاضي قطب الدين الخيضري، وهو يومئذ بمصر، عن وظيفة قضاء الشافعية، وتولاها مكانه صلاح الدين

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٩

محمد بن عبد القادر العدوي البقاعي؛ وعزل موفق الدين العباسي عن نظر جيش دمشق، وتولاها عنه شهاب الدين أحمد بن الخيضري في كتابة." (١)

"أيضا للشيخ بهاء الدين بن العيني بسبب ذلك أيضا وغيره، وأن ابن الفرفور أضيف إليه الوكالة، ونظر القلعة، ووكالة بيت المال، بثلاثين ألف دينار، كل ذلك أخبره شهاب الدين بن حجي عن كاتب السر.

وورد خبر من القدس الشريف أن جماعة من نصارى الحبش، نحو ثلاثة آلاف نفس، دخلوا القدس لزيارة القيامة، وأن كبيرهم بشاش أبيض كبير، وأنه جلس على كرسي من ذهب نصب له بها، ولما دخل رفعت أذياله جواكين من ذهب، وأنه أمر بضرب الناقوس، فوافق ضربه وقت الآذان؛ فلم يسمع الآذان؛ وملخص القضية أن كل ذلك فيه إظهار دين النصرانية، في تلك الأماكن الشريفة، والأوطان المعظمة، فسمع شخص من المسلمين ثابت الإيمان، فاستغاث: يا للإسلام؛ وأنكر ذلك، فضربه النصارى بالأسلحة، وقيل إنه مات رحمه الله، وأراح البلاد والعباد من حكام السوء مما حل بالإسلام والمسلمين، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي هذه الأيام أشيع بدمشق عن قاضيين من الأربعة إشاعة فاحشة، ولعلها تكون كذبا، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ولا جزى الله خيرا من ابتكرها، وعمل قماش، سمي القاضي فوق.

وفي يوم الخميس حادي عشره حصل للسيد كمال الدين، الذي كان يفتي بدار العدل، أن القاضي محيي الدين، وحضر معه القاضي برهان الدين بن المعتمد في الإفتاء المشار إليه، النزول له عنه من مولانا الشيخ تقي الدين، وجلس تحته.

ووضع في محراب الجامع الأموي عامودين رخام أبيض منهرين، أخذا من مدرسة البهائية بطرف الصالحية من جهة الغرب، وهي تحت نظر ابن عربشاه، بواسطة أيدكي نقيب القلعة، فأنكر الشيخ عز الدين بن الحمراء الحنفي عليهم، ولم يسمع له، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي يوم الأحد حادي عشريه حصل **حريق** وقت الغداء الكبير، طلعت النار من الطبقة الكبيرة الراكبة على الفرن حول حمام سامة، وتداركوها وطفئت. وولي يونس الرددار الحسبة.

وفي يوم الخميس خامس عشريه ولي عبد القادر، أخو أبي بكر الدوادار، الحسبة من جهة نائب الشام، كان في أيام أخيه متوليها. وعمل النائب المولد الشريف.

وفي يوم الاثنين تاسع عشريه لبس إبراهيم بن شاد بك الجلباني خلعة أستادار السلطان بالإقرار، ونيابة." (٢)

"المحابيس، فمات بعضهم وسلم بعضهم، وذلك بسبب هدم سوق باب البريد، وهدم الناحية الشمالية بسوق باب البريد.

وفي ليلة ثالث عشر رمضان منها، نزلت صاعقة على هلال المئذنة تجاه الحجرة النبوية، ثم على سطح المسجد، فاحترق غالب الحرم، وصعدت الرأس إلى الريس، وكان من أهل العلم، بالمئذنة فاحترق، واحترق في الحرم عالم آخر خرج من

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٣١

(٢) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٣٦

بيته لطلب ولده.

وفي يوم الاثنين ثالث ذي القعدة منها، لبس نائب الشام تشريفا آخر بالاستمرار، أحمر، على يد دواداره، لأجل ما قيل من إعادة قانصوه اليحياوي إلى نيابة الشام؛ وورد على يده مرسوم بالقبض على الأمير الكبير شاد بك الجلباني والحوطة على ماله، لما بلغه عنه أنه لما أتى راجعا من كسرة بياندر، وقتل الدوادار يشبك، دخل دمشق بطبل وزمر على عادة المنصورين، فقرئ المرسوم وقبض عليه بدار السعادة واحتيط على ماله، وحبس بقاعة الخرندار بدار السعادة، ثم استمر نحو شهرين.

وفي رابع عشري ذي القعدة منها، فوض قاضي القضاة لشهاب الدين الرملي نيابة قضاء الشافعية عنه.

قلت، قال الشهاب الحمصي: وفي يوم الاثنين رابع شوال منها، أذن العصر بالجامع الأموي مرتين، وصليت العصر مرتين، وكان يوم غيم – وفي يوم السبت سادس عشره ورد مرسوم السلطان بالإفراج عن الأمير خير بك حديد من قلعة دمشق، وأن يعطى من القلعة المذكورة ألف دينار، ويجهز إلى الحجاز الشريف، ويرجع إلى القاهرة معزوزا مكرما. وفيه ورد الخبر بأن السلطان رسم بنفي قانصوه اليحياوي إلى القدس الشريف، فقرئ عليه المرسوم في الطريق، وهو في خدمة الأمير أزبك، ثم رفع إلى القدس الشريف.

وفي يوم الأحد ثالث ذي القعدة منها، توفي برهان الدين إبراهيم المؤذن بالجامع الأموي، الشهير بالجرن الأسود، وكان كثير الخطب في أعراض الخلق – وفي ورد الخبر **بحريق** الحرم الشريف، على ساكنه أفضل الصلاة والسلام، وذكر أنهم رأوا الطيور تطفئ في النار، ولا قوة إلا بالله؛ وأرسل السلطان أخذ جماعة من الصناع الذين عمروا الجامع الأموي، منهم محمد الكفتي، الذي شال أوتار الجامع الأموي في عمارته، وسبب **حريقه** صاعقة نزلت من السماء، وسيأتي ذلك.." (١)

"سنة سبع وثمانين وثمانمائة

استهلت والخليفة أمير المؤمنين ابن أخ المستنجد بالله، وسلطان مصر والشام وما مع ذلك الملك أبو النصر قايتباي؛ ونائبه بدمشق قجماس الإسحاقي الظاهري.

وفي يوم الجمعة رابع المحرم منها، توفي فجأة القاضي محيى الدين الزرعي الطرابلسي الحنفي، ودفن بمقبرة باب الفراديس، وكان من الأخيار – وفي يوم الثلاثاء خامس عشره توفي فجأة، فيما قيل الشيخ الفاضل شمس الدين محمد بن أحمد الحمصي الشافعي الشاهد، وكان من الأجواد وأعيان الموقعين بدمشق، ودفن بمقبرة باب الصغير.

وفي يوم الخميس سابع عشره سافر من دمشق إلى حماة يشبك حاجب الحجاب، وكان على نيابة حماة.

وفي يوم الاثنين حادي عشريه دخل إلى دمشق سيباي حاجب الحجاب الجديد، عوضا عن يشبك المتقدم ذكره، الذي راح إلى حماة نائبا لها؛ وكان سيباي المذكور نائب غزة، وراح عوضه إلى غزة نائب الكرك، وأعطيت الكرك لجاني بك الذي كان نائبا بصفد.

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٤٥

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشريه أطلق الأمير الكبير كان شادبك، وجعل عليه مال وغيره، وخرج إلى بيته بطالا بشفاعة النائب، فإن كلمته لا ترد عند السلطان.

وفي يوم الخميس رابع عشريه دخل إلى دمشق الأمير الكبير الجديد جاتم، الذي كان نائب حماة، وهو مملوك نائب جدة، عوضا عن شاد بك الجلباني المتقدم، وكان له يوم مشهود.

وفي يوم السبت سادس عشريه دخل الحاج الشامي إلى دمشق، وأخبر الثقات منهم أن سبب **الحريق** الذي وقع بالحرم الشريف، أن شخصا من الأخيار يدعى شمس الدين؛ رئيس الؤذنين، قد رأى قبل وقوع **الحريق** بليلتين ما يدل عليه، وأخبر به القاضي، فلما كان الليلة التي أراد الله سبحانه فيها ذلك، كان هذا الرجل المتقدم ذكره يسبح في المئذنة ليلا في رمضان، وإذا بصاعقة وقعت، فاحترق الرجل المذكور الذي رأى المنام، واحترق الحرم النبوي بأجمعه، ولم يسلم منه شيء إلا قبة الزيت والضريح الشريف، وما لاصقه لا غير.." (١)

"الحديد هو وابن عمه إلى ملك الأمراء قجماس نائب دمشق، فلما قدم صادف أن هذا النائب في حوران، فذهب إليه، فرق عليه وأمر بشيل الحديد من رقبته، ووجهه إلى بيته، وأمره أن يعطي الأشراف حقوقهم، والله غالب على أمره.

وفي يوم الجمعة ثامن عشره توفي، قيل فجأة، الشيخ الفاضل المفنن، عين الموقعين بدمشق، زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأسدي الشهير بابن الجاموس الشافعي، وكان ينظم الشعر الحسن، وله فضيلة تامة، وجمع تذكرة تعرض في أولها لمسموعاته، وصلي عليه بالجامع الأموي، ودفن بمقبرة باب الصغيرة. - وفي يوم الثلاثاء ثاني عشريه توفي الخواجا برهان الدين الوراق؛ وسليمان دلالة الأملاك.

وفي يوم الاثنين خامس جمادى الآخرة منها، توفي فجأة فيما قيل، الشيخ الفاضل تقي الدين ابن الخياطة، نقيب قاضي القضاة الحنفي، وصلى عليه بجامع منجك، ودفن بمقبرة باب الفراديس - وفي يوم الاثنين سادس عشريه وصل إلى دمشق مغلباي الصغير الخاصكي من قبل السلطان، وعلى يده مراسيم وخلعة لأمير العرب ابن عم سيف، لأنه قتل ابن عمه سيفا، وكان سيف هذا قتل نائب حماة، وحصل منه أمور.

وفي يوم الجمعة مستهل رجب منها، فرغت عمارة الصاغة الجديدة وقف الجامع الأموي، التي كانت حرقت قبل تاريخه مع **حريق** الجامع، وعمرت من مال الجامع. - وفي يوم الثلاثاء خامسه توفي، قيل فجأة، الشيخ العالم الفاضل تقي الدين البقاعي الحنبلي، قاضي الفسوخ. - وفي يوم الجمعة تاسع عشريه توفي كذلك الشيخ الصالح المعمر محمد الأقباعي، المؤذن بالجامع الأموي، وكان من الصالحين، ودفن بمقبرة باب الفراديس.

وفي يوم الجمعة سادس شعبان منها، وصل إلى دمشق من القاهرة قاضي القضاة محب الدين بن القصيف الحنفي المعزول، وشيخنا العلامة أقضى القضاة سراج الدين بن الصيرفي، وأقضى القضاة فخر الدين الحموي الشافعيان، وكانوا سافروا من دمشق إلى القاهرة بسبب ما وقع لهم من قاضي القضاة عماد الدين إسماعيل الحنفي، المتولي أمر نظر جامع

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٤٦

تنكز، وما اختلق عليهم الأعادي؛ فعند ذلك لما وصلوا إلى القاهرة حصل لهم الإكرام من السلطان، وأنعم على قاضي القضاة محب الدين بن القصيف بوظيفة نظر مدرسة القصاعين وتدريسها، عوضا عن العلامة قاسم الحنفي.." (١)

"وفي يوم الخميس ثالث عشره توفي الأمير صارم الدين إبراهيم ابن الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن منجك، ودفن بتربته في جامع منجك بالقبيبات، وحج بالركب الثاني ثلاث مرات.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشريه توفي الشيخ أحمد بن شاه شيخ الصوابية العجمي، وخرج في جنازته القضاة ونائب الشام وغيرهم، وكان من مبتدأ أمره أنه جاء من بلاد العجم، وانقطع في هذا المكان الذي يدعى اليوم بالصوابية، وهي تربة بسفح جبل قاسيون تحت قبة سيار، فزوجه قاضي القضاة عماد الدين الباعوني جاريته، ثم أقبل عليه الناس وعمر له الأتراك في المكان المذكور، وكان يقيم الوقت في كل أربعاء بليلتها، ويهرع الناس إليه، ودفن فوق الصوابية.

وفي يوم الاثنين تاسع عشريه قدم الحجاج، وأخبروا بعمارة الحرم النبوي، على ساكنه أفضل الصلاة والسلام، الذي تقدم الكلام على حريقه، وأنه عمر الآن عمارة عظيمة، عمره السلطان قايتباي من ماله، وكان مشد العمارة الخواجا شمس الدين بن الزمن، لكنه لم يكمل، وأخبروا أيضا أن سبب تأخيرهم إلى اليوم الذي قدموا فيه أنه حصل عليهم في الحسا مشقة عظيمة، لم يعهد مثلها، بسبب الثلج الذي نزل عليهم، وأنه قتل به خلق كثير وجمال، وذهب للناس أموال لا تعد ولا تحصى، فنسأل الله اللطف بنا وبهم وبالمسلمين.

وفي يوم الخميس رابع عشرين صفر ورد مرسوم السلطان بطلب قاضي القضاة نجم الدين بن مفلح، وشيخنا أقضى القضاة ناصر الدين بن زريق الحنبليين، وإحضارهما إلى الديار المصرية، بسبب شكوى أهل مدرسة أبي عمر الذين ضربوا بالمقارع، وتقدمت الإشارة إليهم.

وورد فيه أيضا مرسوم السلطان بطلب أقضى القضاة برهان الدين بن القطب الحنفي. وطلب الخواجا بدر الدين حسن بن الجارة، بسبب شكوى سيدي أبي بكر من الديوان عليهما؛ والطلب لهذه الجماعة في غيبة نائب الشام، فإنه مسافر في عمارة قناة الرحبة، والله يحسن العافية.

وفيه توفي سيدي محمد دوادار ملك الأمراء قانصوه اليحاوي، وهو الذين عمر الخزائن للمؤذنين بالجوامع، وخصوصا الجامع الأموي، وكانت وفاته بمصر.

وفي يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول منها، دخل نائب الشام إلى دمشق من عمارة قناة الرحبة وغيرها. - وفي يوم السبت ثامن عشره سافر إلى القاهرة قاضي القضاة نجم الدين مفلح بالطلب المتقدم، وصحبته أقضى القضاة برهان الدين بن القطب. - وفيه، والصحيح في رابع عشره، توفي العلامة نجم الدين سيدي يحيى ابن قاضي القضاة بهاء الدين بن قاضي القضاة نجم الدين عمر بن حجي الشافعي، وصلي عليه صلاة الغيبة بالجامع الأموي بدمشق.

وفيه توفي بدمشق أتابك العساكر بها، الأمير جانم، وكان من مماليك الأمير جاني بك الظاهري خشقدم، ولي نيابة عين تاب، ثم نيابة البيرة، ثم نيابة حماة، ثم الأمرة الكبرى بدمشق، وقدمها في رابع عشر المحرم سنة سبع وثمانين، واستمر

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٤٩

إلى أن مات، ودفن بمقبرة الأمير خشكلدي البيهقي بمقبرة الصوفية.

وفي يوم الخميس سابع ربيع الآخر منها، قدم إلى دمشق سلطان خراسان، وهو من أولاد تمرلنك، ومعه جمع كثير، ونزل في القصر، وكان قبل ذلك قد حج وزار بيت المقدس، وحضر على السلطان الملك الأشرف قايتباي، وحصل له منه الإكرام الزائد، وأوصى به في سائر البلاد – وفي يوم الاثنين ثامن عشره توفي الأمير جانم بدمشق، وكان له فضيلة، وكان يكتب كتابة عظيمة – وفيه جاء إلى دمشق جراد عظيم.

وفي مستهل جمادى الأولى منها، خرج من مصر تمراز الظاهري أمير سلاح، وهو ابن أخت السلطان قايتباي، وصحبته أزبك الصغير خازندار الظاهري أحد مقدمي الألوف، للذهاب إلى دولات أخي سوار الغادري.

وفي يوم الخميس ثالث عشره توفي سيدي الأمير أبو بكر بن الأمير صارم الدين بن منجك، وكان بين وفاته ووالده أربعة أشهر، وكان سافر من القاهرة، وألبسه السلطان عوض والده، فدخل إلى دمشق بخلعة، وقعد أياما ومرض – وفي يوم الأربعاء سادس عشريه توفي الخواجا شمس الدين أحمد بن حسن، ودفن بمقبرة باب الصغير بدمشق، وكان كثير الصدقات والمعروف، خصوصا في السر، ويعطي لمن يعمر الرصفات والقناطر والسبل وغيرها، ويقول له....

سنة تسع وثمانين وثمانمائة

استهلت والخليفة أمير المؤمنين المتوكل على الله عبد العزيز بن يعقوب؛ وسلطان مصر والشام وما معهما الملك قايتباي، ونائبه بدمشق قجماس الإسحاقي الظاهري.

وفي المحرم منها، وصل الحاج وأخبروا بأن الحرم النبوي كملت عمارته على أحسن حالة، وعمر على الضريح الشريف النبوي قبة، على سكنها أفضل الصلاة والسلام.

وفي يوم الأحد ثالث عشرين صفر منها، كبر العامة على المآذن بالجامع الأموي على حاجب الحجاب بدمشق سيباي، بسبب ضربه لرجل من مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، ظلما على ما ذكر.

وفي يوم الثلاثاء مستهل ربيع الآخر منها، توفي الفاضل شمس الدين محمد بن الكاتب، ودفن بمقبرة باب الصغير.

وفي يوم الخميس سادس عشر جمادى الأولى منها، توفي الشيخ بدر الدين بن البطيخي، ودفن بمقبرة باب الصغير.

وفي يوم الجمعة سابع عشره توفي فجأة القاضي جمال الدين عبد الله ابن قاضي القضاة عماد الدين يوسف الباعوني الشافعي، ودفن بتربتهم بالسفح.

وفي يوم السبت تاسعه جمادى الآخرة توفي الشيخ أبو السعد الموقع، ودفن بمقبرة باب الفراديس – وفي يوم الجمعة توفي، قيل فجأة، الشيخ أمين الدين محمد بن محمد بن حمدان، رئيس السادة المؤذنين بالجامع الأموي، ودفن بسفح قاسيون.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره جمادى الآخرة دخل إلى دمشق الأمير تمراز أمير." (١)

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٥٤

"نحو خمسمائة دينار. وشاع بدمشق أن السلطان سلخ وكيله بحلب ابن الديوان، وسلخ قبله ابنه وهو ينظر إليه، فماتا وطيف بهما بمصر، وحزن المصريون عليهما.

وفي بكرة الأحد ثامن رجب منها، دخل من مصر إلى دمشق، باش العسكر المصري، الأمير قانصوه الشامي، مدخلا حافلا، بثقل كثيرة، للتجريدة على ابن عثمان، وكان تقدمه غالب العسكر إلى حلب، ووقع بها فتنة في هذه الأيام بسبب المماليك السلطانية، فأخرجوهم إلى ظاهر حلب، ولم يمكنوهم من النزول بها.

وفي ليلة الأحد المذكورة احترق أماكن حول جامع الجوزة قبلي حمام إسرائيل، إلى قبيل عمارة السلطان الجديدة بنحو خمسين ذراعا. وفي ثاني ليلة الاثنين زحفت النار على عمارة السلطان، ثم على سوق مسجد القصب، إلى أن وصلت إلى شرقي خان البقسماط، غربي دار الأطعمة طولا، وعرضا إلى آخر سويقة القاضي، قدام جامع ابن منجك، واحترق خلق كثير، لأن الناس غالبهم نيام فوق الأسطحة، ولم يفق إلا والنار من تحته.

وفي بكرة يوم الخميس حادي عشره سافر الأمير قانصوه الشامي من دمشق إلى حلب، وقد أطلع على أهوال **الحريق** وما احترق فيه من مماليك السلطان والخيل والنساء والأطفال، ولا قوة إلا بالله. وفي يوم الجمعة ثاني عشره عقب صلاة الجمعة، خلع على الأمير برد بك أمير ميسرة بأمرة الحاج. وفيه شاع بدمشق أنه وقع بحلب أيضا **حريق** كبير على وفق ما وقع بدمشق، وتبين أنه احترق بمصر العتيقة جانب كبير.

وفي يوم الثلاثاء سلخه قطع أيدي نسوة ثلاثة من نساء النورة، دخلن بيت امرأة من عقربا وأخذن موجودها، فقام الصوت عليهن، فلحقهم أهل البلد وأتوا بهن إلى أستاذهم النائب، فقطعهن بعد أن روجع فيهن، قيل، إنما قطعهن إنكاء وحمقا على حاميهن دوادار السلطان.

وفي يوم الأحد خامس شعبان منها، دخل دمشق قاصد الأمير على دولات الغادري، وصحبته أمير كبير من أمراء أبي يزيد بن عثمان، اسمه إسكندر، ممسوكا مزنجرا، وهو راكب، وعلى رأسه، على عادة بلاده، طرطور بدائر ذهب كثير، وصحبته صناجق منكوسة، ودخلوا." (١)

"وفي يوم الخميس خامس جمادى الآخرة منها، لبس دوادار السلطان المعزول أمرة الحاج، وأمير الحاج المعزول مكانه. وفي بكرة يوم الاثنين سادس عشره دخل من مصر إلى دمشق كاتب سرها المحب الأسلمي، وهو ناظر القلعة، مخلوعا عليه، ولاقاه النائب والجماعة على العادة.

وفي يوم الاثنين ثامن رجب منها، دخل من مصر إلى دمشق حاجب ثاني، عوضا عن تنم المعزول، وتلقاه أرباب الدولة على العادة، واسمه برسباي. وفيه لبس القاضي محب الدين بن القصيف خلعة بقضاء الحنيفة، وفوض لجماعة منهم: شمس الدين بن الشيخ عيسى، ومنهم عز الدين بن حملان. وفي ليلة الثلاثاء تاسعه قدم من صفد العلامة محب الدين أبو الفضل بن الإمام، ونزل ببيت حميه شمس الدين بن كامل، وسلم عليه من فر من دمشق لأجله القاضي الشافعي، فرضى عليه لذلك.

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٩٠

وفي ليلة الخميس ثامن عشره، قريب وقت ثلث الليل، احترق مربع باب الجابية وشماليها وشرقيها إلى الباب، وذهب فيه للناس أموال كثيرة، وغالبها نهبت قبل وصول **الحريق** إليه، سيما الحريرية والشماعين والحبالين والحدادين. وفي هذ الأيام هبط سعر القمح إلى ثلاثمائة وخمسين، بعد أن كانت غرارته وصلت إلى الخمسمائة. وفيها نزل صانع حمام بيدمر، أحمد القزيزاتي، إلى الماء الذي بقدرة الحمام ليسد العيب الذي بها على عادته، فمات وتعلق الظلمة على معلم الحمام.
وفي يوم الثلاثاء مستهل شعبان منها، دخل من مصر إلى دمشق الدوادار الثاني للمقام الشريف، ماماي، مارا في الرسلية إلى ابن عثمان، وأثنى عليه الناس في سفره، فإنه لم يأخذ من التجار شيئا ولا مكن الخفر منهم، ونزل بالقصر، وكان معه تحف كثيرة، منها أربع خيول خاصات لم ير الراؤون مثلهم. وفي ليلة الأربعاء ثانيه وقت العشاء احترق الفرن وما فوقه وحوله قبلي التربة التي بالحدرة، بمحلة القربيين، فأدركت وأطفئت.
وفي يوم الخميس سابع عشره أسلم صدقة السامري، الذي كان دخل في مظالم الناس بدمشق، ثم صودر وحبس بالقلعة، فلما أسلم يومئذ أخرج منها، وخلع عليه أرباب الدولة، وحكم بإسلامه القاضي الشافعي، وحصل له إكرام، ثم عاد باختياره إلى القلعة حتى يأتي جواب السلطان، ثم في ثاني يوم أتى إلى الجامع الأموي إلى عند بيت الخطابة فصلى ركعتين، ثم جلس إلى أن جاء الشافعي فقام له، ثم صلى الجمعة خلف ظهره، ثم رجع إلى القلعة.." (١)

"وحمل وفصلان صغار، تجأر بصوتها الأمهات على أولادها، وأولادها على أمهاتها، حتى حزن الناس عليهم، ثم وضعوا في خان الجورة، وفارقوا بين الفصلان وأمهاتهم بالأكل والبيع، فزادوا في الجأر إلى الله، حتى سمعت من مكان بعيد، ولا قوة إلا بالله، ودخل معهم عدة رؤوس مقطعة من العرب المذكورين.
وفي يوم السبت مستهل رجب منها، تحرك سعر القمح، ولا قوة إلا بالله. وفي هذه الأيام تواترت الأخبار بأن بلاد ابن عثمان مخبطة، وأن بني الأصفر زحفوا على بلاده، وهو في شدة منهم. ودخل إلى دمشق من حلب نائب قلعتها الأمير كرتباي من أقارب الدوادار الكبير بمصر، ليكون نائب صفد. وأتى لتلقيه أكابر صفد، ثم سافر من دمشق إليها يوم الاثنين رابع عشريه.
وفي بكرة يوم الخميس سابع عشريه سافر القاضي الشافعي من دمشق إلى مصر، وخلع عليه النائب خلعة بيضاء بمقلب سمور.
وفي يوم الجمعة سابع عشرين شعبان منها، وجد صبي مميز مذبوحا بخرابة على مكان حمام قصيفة، بمحلة قصر حجاج، وصودر أهل المحلة بسببه، وأبواه معروفان.
وفي غداة يوم الجمعة تاسع عشر رمضان منها، نهب جماعة نائب القلعة سوق السلاح، وشرع يحصن القلعة بآلات الحصار، فتخبطت دمشق وكثر الكلام واختلفت الظنون، حتى قطع غالب الناس بموت السلطان، وأنه ورد إلى نائب القلعة المذكورة مكاتبة المصريين بوفاة السلطان، وأنه لم يتجدد سلطان، واشتهر هذا الظن، بل نطق به جماعات، واستمر إلى بعد صلاة الجمعة، ثم ظهر أن سبب ذلك أنه وقع بينه وبين قطج دوادار النائب لأجل بعض الناس، فأصلح بينهما

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/١٢٩

النائب وخلع عليهما، فدل ذلك على سخافة عقل نائب القلعة وقلة حرمة النائب ولا قوة إلا بالله.

وفي ليلة الأحد حادي عشرينه سافر قطج إلى مصر، سفره أستاذه النائب، وكان قد طلبه السلطان قبل هذه القضية، فسافر ليعرضها على السلطان، وينظر ماذا طلب بسببه.

وفي يوم الثلاثاء نادى ال‌نائب بالزينة، كما فعل بمصر وغيرها لعافية السلطان ونزوله إلى الحوش، فزينت دمشق غصبا لوقوف الحال، وكثرة الأراجيف والحزن لما جرى على أهل حماة من نائبها آقباي، واجتماع نائب حلب وطرابلس وحمص بها، وضرب نائبها فيهم بالسيف، ونهب الحريم وسبيهم وقتل الصغار، وذهب في نهر العاصي خلق كثير غرقا، وحصل بسبب الزينة فساد كثير من عدة أنواع، في مثل هذا العسر، نهبا بالليل، ولا قوة إلا بالله.

وبين العشاءين ليلة الثلاثين منه، وقع **حريق** تحت طارمة القلعة، حتى وصلت النار إلى." (١)

"الطولقي إلى الجامع، وقرأ توقيعه القاضي بهاء الدين الحجيني نائب الحنفي، وتاريخه في خامس عشرين المحرم.

وفي يوم السبت ثالث عشره **احترقت** الطبقة وما حولها بسوق الدهيناتية.

وفي يوم السبت العشرين منه، دخل من مصر إلى دمشق خاصكي لكشف القلاع، وتلقاه النائب فمن دونه.

وفي بكرة الاثين ثاني عشريه وصل مشد النائب أزدمر، الذي كان نائبا عنه في القلعة، ثم أرسله إلى مصر بمائة ألف دينار مما في الصندوق بالقلعة بطلب السلطان الجديد، فأوصلها إلى السلطان، فخلع عليه، وأرسل صحبته خلعة حمراء سمور خاص لأستاذه النائب؛ وقيل إنه أرسل يطلب من السلطان عجلون وصيدا والصلت والرملة، حسبما كانت العادة بذلك، فأجابه إلى ذلك.

وفي هذه الأيام شاع بدمشق أن الحاجب الكبير بدمشق، قرقماس، عزل عنها ووليها عنه الأمير تمربغا الفرنجي الذي كان ناظر الجيش بدمشق، وحبس وأطلق، بعد أن أشيع عنه أن ولي دوادارية السلطا ن بدمشق، فلم يصح.

وشاع أن السلطان فوض الدوادارية المذكورة إلى أمير ميسرة بحلب، جان بلاط، فأتى إلى دمشق في هذه الأيام.

وفي يوم الجمعة سادس عشريه فوض المالكي لنقيبه الجاهل المتحرك، شهاب الدين بن أخي القاضي شعيب، لكونه له عليه مال أقرضه إياه، فاتفق معه على البراءة من الدين وتوليته، ثم اتفق معه على أن يأتي بأحد من الأكابر يشفع فيه، فذهب إلى شخص لا عقل له اسمه برسباي المجنون ناظر الجوالي، فشفع فيه، ففوض إليه ليقول لمن يعاتبه في ذلك إلى غصبت، ولا قوة إلا بالله.

وفي بكرة يوم الخميس ثاني ربيع الآخر منها، دخل من مصر إلى دمشق نائب قلعتها، وهو شيخ اسمه قاني بك، وتلقاه أرباب الدولة، النائب فمن دونه، على العادة.

وفي بكرة يوم الاثنين ثالث عشره دخل من مصر إلى دمشق حاجبا كبيرا بها الأمير تمربغا الفرنجي، وتلقاه النائب فمن دونه على العادة، مخلوعا عليه بأحمر بسمور، وكان مدخ‌لا حافلا.

وفي ليلة الخميس خامس عشر جمادى الأولى منها، خسف القمر شيئا يسيرا قبل العشاء، ثم تكامل خسفه بعدها،

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/١٣٥

واستمر إلى قرب ربع الليل.

وأصبح الناس في شدة من قطع طريق مصر، من شدة الخوف من آقبردي الدوادار الكبير المعزول، فإنه ظهر من نحو شهر." (١)

"وفيه ألجأ شيخنا المذكور أن يأتي أكابر الطائعين ويشفع في عدم الأمر بإحراق سوق محلته، ففعل، وقبلوا شفاعته، ونودي بدمشق: إنما نحرق بدمشق: إنما نحرق بيوت من نعرف عصيانه، يعنون السيد إبراهيم ونحوه.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره تزايد الخوف من **الحريق** من غوغاء الزعر النهاب، فانتقل شيخنا المذكور من منزله إلى بيت حسين البغدادي بجواره، لإمكان الهروب منه إلى حارة قناة البريدي، ثم انتقل منه إلى بيت الخواجا ابن عرب بمحلة القناة المذكورة، ونام فيه ليلة الأربعاء ثالث عشره، وقد أيس من سلاتمة منزله ومحلته.

وفي يوم الخميس رابع عشره أتى إلى دمشق رجل هجان، من جماعة نائب حمص إبراهيم باك، وظاخبر بخروج جيش من مصر لكثرة طلب ذلك من الطائعين بدمشق، فخلع عليه.

وفيه بنى باب النصر من تربة بهادر آص، إلى تربة فرج بن منجك بحجارة مكينة، ومرام، فاشتد خوف الناس، وتقطعت الأسباب، وفصل بين الحارات بتداريب مسدودة، وبعضها بخوخة يدخل منها بمشقة شديدة، واستمر العصاة بميدان الحصى، وشاليشهم بالبندقيات عند باب المصلى، وشاليش الطائعين عند الجامع الصابوني، حتانزعج من ذلك الخلق والطير في السماء من شدة صوت المكاحل، وكل أهل حارة خائفون من **الحريق** أو النهب أو منهما جميعا، وطمع في ذلك أهل الزعارة.

وفي يوم السبت سادس عشره أتى عشير كثير من الروافض إلى عند العصاة، فلم يجدوا لهم موضعا بميدان الحصى لكثرة الترك فيه، وسكناهم في دور الناس بخيلهم وغلمانهم وجواريهم، فتوزع العشير المذكور في أطراف الميدان المذكرور، وإلى محلة باب المصلى.

وفي هذه الأيام شرع العصاة في عمل سلالم كبار طوال، وجنويات، زحافات، وفي زعمهم أخذ المدينة والقلعة، ويظهرون للناس أن السلطان من جهتهم، وإنما يميله خاله وجماعته، ويخرجون مراسيم على مرادهم، عليهم علائم السلطان؛ والطائعون يظهرون أنه قد خرج من مصر جيش كثير من نائب الشام جان بلاط، وأن العشير كان أتى إليهم ثم رجع إلى بلاده ينتظر قدوم الجيش وجان بلاط المذكور ليدخل معهما.

وفي يوم الأحد سابع عشره قطع لعصاوة يد شاب مغربي ولسانه وأذنه، لما قيل عنه أنه ساع أتى إلى الطائعين، كما فعل الطائعون بذلك المغربي الذي تقدم ذكره.

وفي عشية يوم." (٢)

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/١٤٠

(٢) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/١٥٦

"الثلاثاء تاسع عشره ركب العصاة واستمروا في القتال عند مسجد الذبان مع الطائعين، وحرقوا جانبا من قرب قصر حجاج، قرب باب الجابية، ليدخلوا بغتة إلى أذى الطائعين، فعجزوا ورجعوا، ونادوا بأن يستمر الجيش والمشاة إلى ثاني يوم، ورجوا أن يدخلوا المدينة، فأتاهم مطر شديد، واستمر إلى ليلة الخميس حادي عشريه، فلم ينالوا خيرا، وقتل جماعة وجرح آخرون، ونهب المشاة في **الحريق** أموال الناس.

فإن في ليلة الأربعاء عشرينه حرق العصاة أيضا الترب والبيوت التي شرقي الطريق، غربي المقبرة، شرقي الجامع الصابوني، وبيوتا كثيرة أيضا غربيه.

وفيها أخذ مشاعلية العصاة أبواب حوانيت السويقة المحروقة، وجعلوا جملونه كنا لهم من المطر، وقام الدوادار قبليها، والنائب أينال الفقيه شرقيها، وجعلوا تلك الأبواب حطبا للمشاعل ولدفايهم، واستمروا إلى أن طلع الفجر، فهموا بالقتال أيضا في يوم الأربعاء المذكورة لي‌أخذوا المدينة كما رجوا، فقوي المطر عليهم فكبتوا خامر منهم جماعة إلى الطائعين: دوادار نائب حماة كان، واستادار الغوركان، ودخلا إلى القلعة؛ واستمر شاليش الفريقين بالبندقيات والكفيات ليلا ونهارا عند الجامع الصابوني.

سمع الطائعون أن النائب المعزول يريد أن يسكن في بيت فارس بالسويقة المحروقة، ولم يعلم نائب القلعة أنه تحت نظره، فأمر بإحراقه، فحرق الحوش والداير والاصطبل، وكان فيه للأمير علي باك، خازندار النائب اليحياوي المتوفى، تبن وشعير كثير، فنهبه العصاة.

وفي يوم السبت ثالث عشريه سدت الخوخات التي بقيت إلى باب الجابية، ولم يتركوا خوخة نافذة.

وفي صبحة يوم الأحد رابع عشرينه ركب العصاة، وذهب الدوادار بجماعته إلى الباب الشرقي من أبواب المدينة، ومعهم السلالم، وحاصروه، وأتى النائب بجماعته إلى محلة مسجد الذبان، واستمروا في القتال والمكاحل ترمى إلى المغرب، وجاع العسكر في اليوم المذكور أشد جوع، وشرع بعضهم ينهب البيوت، وقتل جماعة وجرح آخرون، سيما من جماعة الدوادار، عند الباب الشرقي، من جماعة نائب صفد الموكل به، وكان يوما مهولا لم ير مثله.

وفي هذه الأيام سمعنا أن الأمير الكبير بمصر أزبك الظاهري المنفي إلى مكة، طلب." (١)

"الأحمر، فأشاع العصاة بأن السلطان رضي على أينال الفقيه المعزول، وأن خلعته واصلة، وأن كرتباي عزل عنها، والله أعلم بصحة ذلك.

وقد جرت عادة العصاة أنهم يناقضون ما أشاعه الطائعون، حتى لا يذهب عنهم غوغاء الزعر، ومشائخ العشير، ويظهرون القوة وشدة البأس حتى أشاع بعضهم أنهم أرسلوا يطلبون علي دولات أخا سوار ليستعينوا به في القتال، تحنيقا وإرهابا وزورا، وقد كثر الكذب منهم وعنهم، وهو دليل الإكبات.

وفي يوم السبت سابعه حرق الطائعون مكتب ومسجد المدرسة المزلقية بمحلة مسجد الذبان.

وفي يوم الاثنين تاسعه اتقع الفريقان بالنشاب والبندق الرصاص وغير ذلك، وتزايد الحرب، واشتد القتال، وقتل جماعة

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/١٥٧

وجرح آخرون، ثم ولوا بعد المغرب.
وفي يوم الأربعاء حادي عشره وصلت النار إلى المئذنة البصية، بمحلة مسجد الذبان، فسقطت بعد العصر وتباشرت الناس يومئذ بقرب دخول العسكر المصري إلى دمشق، مع شدة الخوف في كل حارة بدمشق من الحريق والنهب، وتعاظم الأوباش من الزعر وغيرهم، لميل الترك إليهم لجعلهم مشاة لهم.
وفي هذه الأيام شاع بدمشق أن العصاة عملوا لأنفسهم بقسماطا كثيرا، وحزموه في زواملة، وحزموا حطبا كثيرا، وهم ينقلون الخيل على هيئة المتأهبين للرحيل.
وفي ليلة يوم الأحد خامس عشره رحل غالب أهل ميدان الحصى، والقبيبات، إلى محلة قبر عاتكة، والشويكة وغيرهما. وشاع أن العصاة مولون وكان طلب منهم أهل الميدان، والقبيبات، أن يتلبثوا لهم حتى ينقلوا حوائجهم ويوزعوها، خوفا من النهب من الطائعين، والعشير الذي عندهم، وأهل الشاغور وغيرهم.
وفيه حرق الطائعون من أهل القلعة والشاغور بيت المنوفي الطباخ، وبيت زقزوق بجواره، وأرادوا إحراق السويقة المحروقة، فلطف الله وتركوها.
ثم في آخر هذا اليوم ركب العصاة من أواخر مقابر باب الصغير، وبعضهم من الطريق السلطاني، وهموا بإحراق محلة قصر حجاج، من عند بيت فارس، فطفيت النار، واستمروا في القتال إلى بعد العشاء، ثم ولوا.
وفي بكرة يوم الاثنين سادس عشره نادي العصاة بلبس العدة الكاملة، وأن أحدا لا يخرج من بيته، وأن اليوم يوم الزحف على المدينة، وركب معهم ابن القواس، وكانت ركبة مهولة لم يركبوا مثلها، وأتو بمكاحل كبار وصغار، ونصبوها بمقابر باب الصغير، ووطئوا على مقابر." (١)

"وفي يوم الاثنين رابع صفر منها، دخل الوفد الشريف إلى دمشق، وحط النائب الجديد قصروه، الذي أتى من نيابة حلب، على المصطبة.
وفي يوم الثلاثاء خامسه دخل النائب المذكور دخولا حافلا، وصحبته جماعة من الأمراء الذين كانوا مع آقبردي الدودار، الذي مات بحلب ودفن بها بتربة النائب أزدمر، ثم خشي عليه من نائب حلب الجديد دولتباي عدوه أن ينبشه من قبره ويحرقه، فأتى به صحبته من سحلية، ثم سير النائب تحت قلعة دمشق سبع مرات على العادة، وصحبته الحاجب، وخواص نفسه، ووقف العصاة قدام تربة تغري ورمش، ودخل من جسر من باب الجديد، وأتى إلى باب السر، ونزل فصلى على العادة، ثم ركب ودخل دار العدل.
وفي بكرة يوم الخميس سابعه ركب القضاة الأربعة إلى دار السعادة، ليلبسوا، خلعهم على العادة، فإن العادة أن كل نائب جديد يخلع عليهم عقب دخوله كفالته، فلم يخرج من مبيته لأحد، وقيل إنه ما هو طيب، وقيل ليقبض الهدايا ثم يفضل منها الخلع.
وفي هذه الأيام أمر النائب بشنق ابن الخنش؛ الذي قد كان سعى على ابن عمه ناصر الدين عند النائب المعزول، وأخذ

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/١٥٩

منه البلاد، وكان السبب في نهبها، وهتك حريمها، وحريق زرعها وقتل كثير من أهلها؛ فلما شنق عاد ناصر الدين بن عمه، وفي يوم الجمعة ثامنه لبس القضاة خلعهم المذكورة. وفي عقب الصلاة بالجامع الأموي صلي غائبة على ثلاثة أنفس ماتوا بمكة، منهم الشيخ عبد المعطي.

وفي بعد العشاء ليلة الاثنين حادي عشره خرجت النار من دكان بالحصرية، خارج باب الفرج، فاحترق جميع الحوانيت التي حدها من الزقاق قبلي صفة الخضر حتى حاصل الخشابين، حتى وصلت النار إلى نهر بردى، وامتدت إلى جهة الغرب إلى قدام خان الليمون، ونهبت الأسواق التي بقربها، وهي حوانيت التجار شرقي الخان وغربيه، وحوانيت الخضريين شرقي الحريق، وقيسارية الدهانين غربيه، وما سلم من من الحوانيت بقية الصف القبلي من النقلية، وذهب للناس فيه مال كثير لا يمكن حصره.

وفي صبحة يوم الاثنين المذكور أوكب النائب وطلب زعر أهل الشاغور وأنه يمر في موكبه على حارتهم، فأخذوا أموال خلق، وشعلوا له، وزينوا من عند زاوية المغاربة، إلى حارة القراونة، وعتا هؤلاء الزعر عتوا كثيرا، وكبيرهم رجل يزعم أنه شريف يعرف بقريش." (١)

"ظلما، إلى الحمام، فخرج جماعة فقتلوه عدما، وسر الناس بقتله لكثرة ظلمه، ولله الحمد.

وفي هذه الأيام كثرت مراجعة الناس للنائب فصمم على الثلاثين ألف دينار، فأخلى الناس منازلهم، وعزلت حوانيت دمشق، وغلقت الأسواق، فحط الأمر على عشرين ألف دينار على جميع دمشق، وحاراتها، وأهل الذمة.

وفي يوم الأربعاء مستهل شعبان منها، سافر قاضي المالكية شمس الدين بن يوسف، إلى دمشق.

وفيه ورد مرسوم شريف بأن يحضر الأمير أركماس، المنفصل عن نيابة حلب، ويسمع المرسوم؛ إن شاء بالقلعة، وإن شاء عن نائب الشام، فأبى إلا أن يرى المرسوم لإشارة بينه وبين السلطان، فأمر النائب بالقبض عليه، فهرب من بيته، فأرسل الحاجب الكبير ونائب القلعة ودوادار السلطان إلى بيته في صبحة يوم الخميس تاسعه، فلم يصلوا إلى بيته إلا بحريق الباب الغربي، ودخلوا بيته، فأخذوا الخيل والسلاح والأثاث؛ وذلك مع غلق الأسواق وتكالب الناس على النائب وأكثروا الدعاء عليه.

ثم في يوم السبت والأحد ثاني عشره رجع غالب الناس، أو بعضهم، إلى منازلهم وحوانيتهم على تخوف من النائب، وظنوا أنه ترك طلب المال الذي كان رماه عليهم.

وفي يوم الخميس سادس عشره ابتدئ في جبي المال المذكور، الذي رمي على الحارات.

وفي يوم السبت خامس عشريه هجم والي البر، ابن الحنبلية بجماعة النائب على بيت السيد إبراهيم، وقبضوه، فعراه النائب للضرب بالمقارع فرأى أثر ضرب مقارع، فسأله، فقال: قد علمت ما فعل معي جان بلاط، يعني السلطان الأشرف، لما كان نائب حلب، ثم دخل ولده، فأمر بأن يلبس ويضرب ابنه، فضرب بحضرته وهو ينظر والوالي يقرره على الحرامية السحيمية، ثم أخرجا من دار العدل إلى حبس الدم في الجديد بكشف الطاقية فقط، حافيين، قد أخذ قماشهما وأخذ

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/١٨٢

عليهما من السجان ثلاثمائة درهم، بعد أن نهب بيته، وهتكت حريمه.

ثم في ثاني يوم طلب إلى دارالعدل، و أحضرت الحرامية، فبرأوها، وانزعج له الناس خوفا من تجرئ النائب على غيره، وفرح جماعات من إطلاق لسانهما فيهم.

وذكروا أن الساعي في ذلك كريم الدين بن عجلان، ويظهر أنه يشفع فيه عند النائبي، ثم شفع في الكبير قاضي القضاة الشافعي، فأطلق في آخر يوم الاثنين سابع عشريه، واستمر ولده أياما، ثم أطلق.

وفي بعد العصر بثلاث درج، يوم الجمعة ثاني رمضان منها، وهو حادي عشر آذار، نقلت الشمس إلى برج الحمل؛ وشاع بدمشق أن السلطان على قبض الأمير مصر باي الذي." (١)

"وفي يوم الثلاثاء حادي عشريه، وهو أول آب، بط بطن الصغير، ولد محمد الحامض، بالشاغور بسكين.

ووصل من النجمي بن الشيخ تقي الدين بن قاضي عجلون، كتاب إلى أبيه إلى دمشق، ولم يعلم بسفره إليه، فوقع في يد النائب، فرأى فيه الحط على غالب المصريين والشاميين، منهم النائب وأخوه الذي بمصر، والشافعي بدمشق قاضي القضاة، فأوصله إليه، فأخذه وتأمله، فرأى عجائب وغرائب.

وفي عشية يوم الأحد سادس عشريه قبض جماعة النائب على أحد زعر الشاغور، فثار الغوغاء عليهم؛ والحال أن النائب كان رجع إلى دمشق، فذهب إليهم بعض مماليكه فرموه بعدة، فحمل إلى أستاذه، فخرج جماعة من العبيد السودان والمماليك إلى قرب الشاغور، وأطلقوا النار فيما قدروا عليه، فهرب زعر الشاغور، فقصدهم جماعات من زعر الحارات، فخرج عليهم الحاجب الكبير وتبعهم بجماعة أخر إلى حارة مسجد الذبان، فهربوا منهم، فشرع المماليك الأجلاب في كسر أبواب الدور والحوانيت ونهب ما فيها، وأطلقت النار في زرب القصب، في السويقة المحروقة، ونهبت بيوت كثيرة هناك أيضا، من حينئذ إلى بعد المغرب، ثم نودي للناس بالأمان، ما عدا الشاغور وما حوله، وأطفئت النار من الزرب المذكور، واستمرت توقد في شرق الشاغور وما حوله، حتى مات في بائكة خان هناك سبع جمال **بالحريق**، ونهب ما في السوق وغالب الشاغور.

ثم في صبيحة يوم الاثنين سابع عشريه ركب جماعة النائب وغيره، وأكملوا **حريق** ما لم يحترق من الشاغور، واتسع أمر النهب، ثم نودي برد ما أخذ، وهيهات، لكن عورض جماعة فيما معهم من الحوائج الظاهرة، وأخذ منهم ووضع في أماكن ليرد على أربابه، فرد البعض.

وفيه أرسل النائب وراء أبي بكر بن المبارك، وطيب قلبه، ثم رجع.

وفي يوم الأحد رابع صفر منها، ورد الخبر إلى دمشق بأن جازان، أخا بركات سلطان مكة، خادعه أمير الحاج المصري إلى أن دخل مكة، فلم ينله مراده، فرج ع إلى الحاج الشامي وطلب منهم مالا كثيرا، فلم يقدروا عليهم، فنهبهم قبل

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٢٠٦

وصولهم إلى مكة؛ وأن المصري ماكث بمكة ينتظر نصر السلطان؛ وأن السلطان عين جماعات من العسكر إلى ثلاث جهات: إلى مكة، وإلى نابلس، وإلى الشام؛ فتأهبوا ونهبوا ما وجدوه من دابة بمصر وغيرها مما." (١)

"التربة التي شمالي جامع جراح، لصيق تربة يزيد بن معاوية، التي بها قبر الإمام الخرقي، صاحب المختصر المشهور عند الحنابلة، وأن يجعلها لتربة له ولجماعته.

وفي ليلة الأربعاء رابع جمادى الأولى منها، توفي الطفل الكيس، المرافق سيدي منصور بن النائب، مطعونا، وكان يوم الجمعة أتى صحبته والده إلى الجامع الأموي وصليا بالشباك الكمالي، وقد استحلاه الناس وحسن في أعينهم؛ وأخرج به من العمارة بالاصطبل، وصلى عليه بباب دار السعادة، ولم يدخلوا به إلى دار السور، لأنه فأل على السلطان، وذهبوا على باب الجابية، على الشاغور، إلى تربة النائب، قرب الشيخ رسلان؛ وفد خطف على جميع ما على رؤوس الحمالين من الخبز والزبيب والملح من عند باب الحابية، وحزن الناس عليه؛ فلما رجع النائب من جنازته نادى بإبطال المحرمات، على باب البريد، وأطراف الطرق، وكانت الأسواق مغلقة لأجل موت الولد المذكور، وحمده الناس على ذلك.

وفي هذه الأيام تواترت الأخبار بأن أزدمر دوادار السلطان، الذي وصل من مصر إلى مدينة أربد، وأقام خارج مصر مدة، قد دخل إلى مصر دخولا حافلا، وخلع عليه.

وفي عقب صلاة الجمعة ثالث عشره صلى الناس بالجامع الأموي غائبة على الشيخ العالم الزاهد شهاب لدين بن إمام الكاملية، توفي بالقدس؛ ثم صلي بعده على حاضرة خارج المقصورة.

وفي ليلة الأحد خامس عشره وقع **الحريق** في سوق الفراء الخشنة، واتصل إلى سوق الخلعيين، اللذين جددا بباب الحديد، أحد أبواب القلعة، ونهب ما سلم من **الحريق**، وذهب مال كثير وأثاث.

وفي يوم الأحد مستهل جمادى الآخرة منها، أدخل مسمرا إلى دمشق، سليمان بن حافظ، العاق الذي قتل الأمير دولتباي، خال أسياد، المتقدم ذكره في الماضية، ثم سلخ وحشي تبنا وطيف به.

وفي هذه الأيام اشتهر بأن النائب أمر بالمناداة بدمشق، بأن يتهيأ الناس لأمر الحج، وأن المائب هو الذي يسفرهم بنفسه.

وفيها تزايد الطاعون.

وفيها كثر المطر والبرد، واستمر إلى ليلة السبت حادي عشريه، ثم جاءت زيادات كثيرة حتى غرق طواحين كثيرة، وذهب ما فيها، وكذلك حوانيت كثيرة، من تحت القلعة إلى قرب." (٢)

"شريفا، أرسله القاضي شهاب الدين الرملي بالشكوى على تقي الدين القاري، والقاضي زين الدين عبد الرحيم ابن الشيخ تقي الدين، من جهة خلوة الكلاسة، أسكناها رجلا يدعى ابن الخشاب، وعلي بن أيوب، ناظر العميان من جهة وقف السبع، فرسم على الثلاثة بقاعة بدار العدل، ثم أطلقوا عشية الجمعة.

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٢١١

(٢) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٢١٩

وفي يوم الاثنين ثالث عشره أمر النائب بإشهار المناداة بإبطال المظالم والرميات على الحارات، وأن لا يؤخذ أحد إلا بمشتكى، وفرح الناس بذلك. وفي بكرة يوم الجمعة سابع عشره، سادس عشر نيسان، هب الهواء كثيرا، ثم وقع مطر، ثم أرعدت، ثم قوي المطر، ثم زاد الرعد بحيث خاف الناس، ووقعت صاعقة على منارة الناصرية، غربي الصالحية، فخربت رأسها وجانبا منها، وأخذت جانبا من عتبة الشباك الذي تحتها، وكان ذلك في حال قدوم زوار بيت المقدس، الذين سافروا من نحو شهر، حتى كادوا أن يغرقوا برأس القبيبات، ثم أصحت ونشفت ال أرض، وخرج الناس إلى الجمعة.
وفي ليلة السبت ثاني عشره رمى بعض الفساق خرقة فيها نار، في بيت امرأة غائبة عنه وزوجها غائب أيضا غربي مصلى العيدين، فاحترقت حوائجها والبيت، ولولا أنه كان أوائل الليل، وكثر الناس، لاحترق بيوت كثيرة.
وفي يوم الأحد سادس عشريه نودي بالزينة، ودقت البشائر، واشتهر أن السلطان ولد له ولد ذكر، والعادة أن يهب للمماليك شيئا معينا، فنقض عنه، فخرج عليه جماعات منهم، قيل ونهبوا الأسواق، فنزل إليهم وقبض جماعات، فغرق وقتل وخوزق وحبس، فلما انتصر عليهم نودي بالزينة، لأجل ذلك، ولأجل فرحة بالولد.
وفي يوم الاثنين سابع عشريه لبس الأمير عز الدين، ناظر الجوالي وأحد الألوف، من بين يدي النائب خلعة أتته من مصر، بسعي النائب له في ذلك، بوظيفة نظر الجيش وكتابة السر، بعد عزل جاره المحب الأسلمي، الذي هو الآن بمصر، عنهما.
وفي بكرة يوم الأربعاء تاسع عشريه دخل إلى دمشق راجعا، الدوادار الثاني علان، من بلاد الروم، وصحبته عشرة خاصكيه، وقد خلع ابن عثمان على الجميع، وتلقاه النائب وأرباب الولايات، ونزل بالميدان الأخضر. وفي يوم الخميس سلخه لبس الأمير عز الدين، ناظر الجوالي، خلعة ثانية، أتته من مصر، بالترجمة وأستدارية السلطان، تكملة ست وظائف؛ والمحب الأسلمي غريمه بمصر إلى الآن.." (١)
"وفي يوم الثلاثاء رابع عشريه فوض القاضي الشافعي إلى علاء الدين الرملي، صبي القاضي الشهابي الرملي، بمبلغ مائة أشرفي؛ وقبل هذه الأيام فوض إليه التكلم على جهات الحرمين، بمبلغ وخمسين أشرفيا، فصار نائبه في القضاء وفي نظر الحرمين.
وفي هذه الأيام جرت قضية عجيبة، وهي أن إبراهيم بن علي، الموصلي الأصل، العاتكي، بحارة رستم، الشهير بابن الملاح، كان تزوج بجارية حبشية متهمة، وأتت منه بولد، فدفن في مكان من داره مالا، قيل ألفا دينار، وهو رجل سفار، فلما عرض له السفر إلى مصر، أسر إلى زوجته المذكورة، أن هنا مالا مدفونا، ثم سافر.
فلما علمت وصوله إلى مقصده بمصر، تحيلت حيلة، فجمعت حوائج في كارات، ووضعتها ليلا في مكان غير حرزها، وأحرقت مكانا قرب المكان المدفون فيه المال الذكور؛ ثم صاحت بصوت مهول قرب نصف الليل، فخرج الناس على صوتها، وسألوها عن الحال، فأظهرت أن الحرامية نزلو ا علينا، فأخذوا لنا حوائج، وأحرقوا هذا المكان.
فشرع النائب في إطفاء الحريق، وأظهرت الكارات، وأن الحرامية لم يقدروا على أخذ الجميع، فتعلق الظلمة على أهل

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٢٧٥

الحارة، وضرب رجل منها بالمقارع، وغرموهم مالا، فلما علم زوجها بمصر ذلك، سافر وجاء، فأظهرت له ذلك، وأن المال نبشوه الحرامية، وأخذوا كذا وكذا، وحرقوا هذا المكان، فظن صدقها وكتم ما عنده.

ثم بعد أيام ظهر له ريبة، فتجسس وتحسس، فرآها ترسل عبده خفية إلى أخذان لها بالشاغور، فلما جاء الليل أظهر لها أنه نائم وجلس في مكان مشرف على الطريق والباب، فدق الباب، فردت جارة المكان عليهم، واستيقظ الناس، فهربوا فزادت ريبته فيها، فسأل العبد، فاعترف، وحكى لسيده أنهم جاؤوا، لقتلك بوعد منها لهم.

فقبض عليها، وأتى بجارية كانت عندهم قبل ذلك، فأقرت عليها بأمور، فعلم أنها التي أخذت المال وأرادت قتله، فعلم الظلمة ذلك، فأخذت وضربت، وفأقرت على زوجة ابن العقري، وأنها التي شجعتها على ذلك، وأنها أخذت من المال كذا وكذا، فطلبها الظلمة وتطلبوا الأخذان من الشاغور.

وفي يوم الاثنين ثامن رمضان منها، سافر نائب القلعة المطلوب إلى مصر، وقد خلع عليه النائب، وسافرت مطلقة النائب معه. وفي يوم الثلاثاء عاشره نهب المقدم برغشة خيل خصمه المقدم الآخر، لكون مات من كان ينصره عليه، وهو دوادار السلطان أقطوه، ورمى." (١)

"المرحوم قاضي القضاة الشهابي الفرفوري، غربي حمام الكأس، وشرقي الشريفية، وقبلي بيته الكبير، وسلمنا عليه فيه.

وفي يوم الاثنين سابع عشره لبس القاضي الشافعي خلعته المذكورة، ولونها أخضر، من رؤوس العمائر على غير العادة، فإن العادة أن يلبسها من حضرة النائب، أو نائبه، من دار العدل، ولكن تغيرت العوائد لخلو الزمان عن كبير يرجع إليه.

وفي هذه الأيام أوصى الرجل الصالح شمس الدين محمد بن محمد زيري، بعمارة جامع المسلوت بحارة زقاق البركة، لولده شهاب الدين أحمد، بعد أن آل إلى الخراب، وكان قد تدارك جدارة القبلي الخواجا شهاب الدين بن سليمان، فأتم هذا الرجل عمارته، وصار أعجوبة.

وفيها بلغني أن ابن شعبان شيخ غزة من الشافعية، توفي، وأنه صلي عليه غائبة بالجامع الأموي في تاسع رجب من هذه السنة، وكأني لم أكن حاضرا بالجامع المذكور، فلم أذكره في محله؛ وأنه أدير المحمل دورة دمشق دورانا عجيبا، وقد شاهدته، لكن سهوت عن تعليقه في محله، وهو حادي عشر رجب المذكور أعلاه.

سنة سبع عشرة وتسعمائة

استهلت والخليفة أمير المؤمنين أبو الصبر يعقوب بن عبد العزيز العباسي؛ وسلطان مصر والشام وما مع ذلك الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري؛ ونائبه بدمشق سيباي؛ والقضاة بها: الحنفي المحيوي بن يونس، وهو معتقل بالقلعة، والشافعي الولوي بن الفرفور، والمالكي خير الدين الغزي، والحنبلي نجم الدين بن مفلح؛ والحاجب الكبير يخشباي؛ ونائب القلعة صنطباي، بعد مسرباي المعزول؛ ودوادار أردبش؛ والحاجب الثاني قايتباي.

وفي بكرة يوم السبت سابع المحرم منها، سافر محمد بن المحب الحصني إلى اللاذقية، ليعمر قبر جده هناك، كما

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٢٨١

عمر قبر جده برأس القبيبات. – وفي ليلة الأحد ثامنه خرجت النار من حانوت تحميص القضمانية، داخل باب الجابية، **فاحترقت** وما قدامها من الشمال، وما." (١)

"غير ما تقدم أخذه منه، فقال له: هذا جزائي منك، فرسم عليه الطشتخانة بدار السعادة إلى قريب العصر، فدخل بينهما بعض المباشرين، فجعلت أكثر، قبل ألف دينار ومائتا دينار، وخلع عليه، وأوقدت له العوام السرج في مروره إلى بيته بباب السريجة.

وفي صبح يوم الجمعة سادس ربيع الأول منها، توفي حسن بن بحيلق الرملاوي، ثم الدمشقي، بطابونته فجأة، في غيبة ولده إبراهيم بمصر، ثم حضر في سلخ ربيع الآخر. وفي يوم الثلاثاء سابع عشره خرج النائب إلى المرج، فشرب شربة، ثم خرج الطلب من دمشق إلى الكسوة، ثم جاء إليهم النائب من المرج، وسافر من هناك إلى مصر دواداره ... وهو للإصلاح بين مشائخ العشران وجعل مرجعه دمشق إلى الحرك، ولا قوة إلا بالله. وفي يوم الخميس تاسع عشره، وقع الحرك بيونس الأستادار قبله، وضربه....

وفي يوم الخميس ثالث ربيع الآخر منها، رجع طلب النائب إلى دمشق، من بلاد حوران، ودخل هو ليلة الجمعة رابعه، وفي يوم الجمعة المذكور توفي ولد محيي الدين يحيى بن أخي تاج الدين، وصلي عليه بالجامع الأموي، ثم دفن بتربة جديدة قبلي الصابونية، وشمالي تربة الطواشي، عمرها والده يحيى المذكور.

وفي يوم السبت خامسه ولي النائب الأستادارية ليونس المعزول، وعزل الحرك. وفي الثلاثاء ثامنه توفي حسن الأتوني السطيح، عن دنيا، ووقع **حريق** في شمالي مسجد التوبة خارج باب الفراديس، في اليوم المذكور. وفيه أذن النائب في قطع رؤوس جماعة من الدروز، عند مقابر النصارى واليهود.

وفي يوم الأربعاء سادس عشره أتى من القدس الشريف قاصد ملك الأمراء، نقيب الأشراف العجمي، وصحبته ابن أخي أبي الفضل بن أبي اللطف القدسي، لابسين خلعتين، وصحبتهما من آثار النبي صلى الله عليه وسلم، قدح وبعض عكاز معطبين، فوق رأس رجل حامل لهما، قدام ملك الأمراء، والقضاة ومتصوفة دمشق وغيرها قدامها بالأعلام وضرب المزاهر. وقد خرج كثير من العوام للنظر إلى ذلك، فسألت عن ذلك فقيل لي: كانت هذه." (٢)

"حسام الدين. – وفي يوم الثلاثاء سادسه **احترقت** القيسارية لصيق الحمام؛ اللذان أحدثهما قاضي القضاة شهاب الدين بن الفرفور لصيق المدرسة المسمارية الحنبلية، شرقي الحمام والدكاكين، التي جددها المحب الموقع في هذه السنة، قبلي المدرسة القميرية، بمحلة الحريميين.

وفي هذه الأيام وقع لتقي الدين بن البطائني مع عبد الوهاب بن قصيف، قضية شنيعة، غرم فيها جملة مال، وباع كتب عمه المحدث المؤرخ شهاب الدين بن اللبودي.

وفي يوم الجمعة تاسعه، بعد صلاتها بالجامع الأموي، نودي بالصلاة غائبة على رجل عالم بالقدس، يقال له القباقبي.

---

(١) مفاكهة ال خلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٢٨٤

(٢) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٣١٠

وفي يوم الجمعة سابع عشره، عقب صلاتها بالأموي، نودي بالصلاة غائبة على الشيخ نور الدين المحلى، تلميذ المحدث البرهان البقاعي، توفي بمصر في صفر الماضي، عن ولد فاضل.

وفي يوم الخميس سادس عشره خلع على دوادار السلطان بدمشق قان بردي. – وفي يوم الاثنين سادس عشريه رج ع السيد كمال الدين بن حمزة من مصر إلى دمشق، بعد أن حج بولده السيد نجم الدين عمر، على الطريق المصري؛ واجتمعت أنا وأخاه بمكة سنة عشرين. – وفي هذه الأيام ادعى المتجند ابن الحنبلية أنه من الأشراف؛ ومن نسل بني النبي.

وفي يوم الجمعة سلخه حض المحدث محب الدين أبو الفضل جار الله بن فهد المكي، عند شيخنا المحيوي النعيمي، وقرأ عليه جزءه المسمى بتحفة البررة في الأحاديث المسلسلات العشرة، وما انضم إليها، فسمعته وجماعة، وهذه ثالث مرة سمعته، ثم أخذه جار الله المذكور، وكتبه من خطه، فغير فيه أشياء تبعا لطريقة المحدثين، فأسهل على شيخنا المذكور ذلك، وإلى الآن لم يكتب به نسخة.

وفي يوم السبت مستهل ربيع الآخر منها، سلم شيخنا المحيوي النعيمي على النائب، بمقبرته ومدرسته التي أنشأها خارج باب الجابية، وبارك له في الشهر على عادته، وطلب منه قاضي الحنفية المحيوي بن يونس أن يخبر ال نائب بحال جد المتجند ابن الحنبلية، هل كان." (١)

"ثم نهبوا بيت دوادار السلطان والحاجب وغيرهما، ثم ذهبوا إلى حارة السمرة، وأرادوا حرقها ونهبها، فالتزم بهم بعض القلعيين، ويقال إنه زقزوق، بألف دينار، فذهبوا عنها، ثم وقع بين أهل المزة وداريا شر عظيم واستوحوا أهل الصالحية عليهم، ثم انفصلوا عن غير قتال؛ ودار نائب القلعة في دمشق دورة بعد العصر، يخوف الناس، وبات أهل دمشق في خوف عظيم، من هؤلاء الزعر، ومن توجه ملك الروم إليهم.

وفي أوائل ثلث الليل الأخير من ليلة الأحد رابع عشريه وقع حريق في أعلى الجانب الشمالي من بيت فارس، قبلي حمام الزين، ومن ساكنيه الأكراد. وفي هذا اليوم ذهبت الزعر إلى القاضي الحنفي ابن يونس وراموا قتله، فاختفى منهم، فأرادوا الهجم على بيته، فرجعهم حريمه عنه بدفع عدة دراهم إليهم.

ومنه إلى القاضي الشافعي ابن الفرفور، فردهم عنه بجملة من الدنانير، ويقال إنها مائة دفعها إليهم، ثم استخدم عنده قواسة، ومسكوا القاضي ابن الفيقي فشلحوه ثيابه وجرحوا فرسه. وفيه أخرج من القلعة إلى عند ضفة الخضر، قدام باب الفرج، لأجل الحصار، عربة، وبات الناس في خوف عظيم مما تقدم.

وفي ليلة الثلاثاء سادس عشريه رأى شيخنا المحيوي النعيمي في المنام قائلا يقول: فرغت البيعة، أو فرغت بيعتهم، ولم يخطر بباله من هم، حتى استيقظ وظن أنهم الترك. وفي اليوم المذكور وصل شخص من أهل حمص، وأخبر أن العسكر الرومي وصل أوائله إلى حمص.

وفي يوم الخميس ثامن عشريه وصل متسلم ملك الروم إلى القابون الفوقاني، واسمه مصلح ميزان، ثم وجه اثنين من

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٣١٩

الخاصكية، ومعهما السمرقندي، ويونس العادلي، وابن عطية التاجر إلى دمشق ليكشفوا هل يسلمون أم يقاتلون؟ وقد كان اجتمع قبل هذا اليوم شيخنا عبد النبي، والشيخ حسين الجناني، والشيخ مبارك القابوني، وخلق، في المصلى بميدان الحصى، واتفقوا هم ومشائخ الحارات على تسليم البلد، فتلقت الخلق لهذين الخاصكبين، ومن معهما، مع تهليل ومشاعلي ينادي بالأمان، إلى أن وصلوا إلى باب الفرج، فوجهوا الأمير إسماعيل بن الأكرم إلى نائب القلعة، فامتنع من تسليمهما، فسلمتهم الناس البلد، ودخلوا إليها، وفتحوا أبوابها، وكان لها من يوم السبت مغلقة.." (١)

"دخل من مصر إلى دمشق نظام الدين الحيدري الشلبي المفتش دار، وشاع عند الناس أمور، منها الكشف عن المدارس.

وفي يوم الجمعة تاسع عشره نودي على لسان المتولي على الجامع الأموي، بالتوصية على معاليم مستحقيه جميعهم، وتشوشوا بسبب ذلك.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشريه نودي على الأشرفية، فضرب قانصوه الغوري بمصر كل أشرفي بستين، وضرب جمال الدين بستة وخمسين.

وفيه نودي بأن كل من له مستند على وقف جامع أو مدرسة أو مسجد أو تربة أو خانقاه، بحضره بعد أن يقيم حسابها عن سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وتاليتها، فقام على من كان السبب في هذه المناداة، وهو نظام الدين المتقدم ذكره، النائب والقاضي الرومي والدفتردار، لم يسمع، وخاف أهل الأوقاف منه.

وفي يوم الجمعة سادس عشريه، وهو رابع عشر آب، كان عيد الجوزة. وفي يوم الثلاثاء تاسع عشريه توفي الخواجا الكبير أمير الحاج كان زين الدين بن النيربي، عن ابن، وابن أخ.

وفي يوم الأربعاء مستهل شعبان منها، نودي على الفلوس الجدد، التي ضربت باسم الملك المظفر سليم خان بن عثمان، كل ستة عشر فلسا بدرهم، بعد أن كانت كل ثمانية بدرهم، فذهب للناس مال كثير في ذلك. ولا قوة إلا بالله.

وفي ليلة الأربعاء ثاني عشريه **احترقت** حوانيت كثيرة، لصيق الجامع البردبكي، المعروف الآن بالجامع الجديد، من الشرق إلى عمارة الإخنائي، والربع فوقها، وطبقة ابن الجريرة خلف الجرن، الذي جدده هذه الأيام هناك، واستراح الناس من هذه الطباق، لما كان يحصل فيها من الفساد في الرفاقات، وطارت النار إلى صف حمام العلائي، وقف المدرسة اليونسية، بطرف الشرف الأعلى الشرقي، **فاحترقت** الطباق التي فوق وقف المدرسة المذكورة أيضا، والدكاكين لصيقة من الشرق والغرب.

وفيه شاع بدمشق أن ملك الروم المظفر سليم خان بن عثمان ولى مصر لخير بك نائب." (٢)

"من ردها إلى الأصول، وعرضها على القواعد [١] .

وقال السخاوي: [التاريخ] في الاصطلاح: التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال، من مولد للرواة والأئمة، ووفاة،

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٣٣٧

(٢) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٣٦٧

وصحة، وعقل، وبدن، ورحلة، وحج، وحفظ، وضبط، وتوثيق، وتجريح، وما أشبه هذا، مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم ... ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة، من ظهور ملمة، وتجديد فرض، وخليفة، ووزير، وغزوة، وملحمة، وحرب، وفتح بلد وانتزاعه من متغلب عليه، وانتقال دولة، وربما يتوسع فيه لبدء الخلق، وقصص الأنبياء، وغير ذلك من أمور الأمم الماضية، وأحوال القيامة ومقدماتها مما سيأتي، أو دونها كبناء جامع، أو مدرسة، أو قنطرة، أو رصيف، أو نحوها مما يعم الانتفاع به مما هو شائع مشاهد، أو خفي سماوي، كجراد، وكسوف، وخسوف، أو أرضي، كزلزلة، **وحريق**، وسيل، وطوفان، وقحط، وطاعون، وموتان، وغيرها من الآيات العظام، والعجائب الج‍سام.

والحاصل: أنه فن يبحث عن وقائع الزمان، من حيثية التعيين والتوقيت، بل عما كان في العالم.

وأما موضوعه، فالإنسان والزمان، ومسائلة أحوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان، وفي الزمان.

وأما فائدته، فمعرفة الأمور على وجهها. ومن أجل فوائده أنه أحد الطرق التي يعلم بها النسخ في أحد الخبرين المتعارضين، المتعذر الجمع بينهما [٢] .

وقال الدكتور شاكر مصطفى: تلك العوامل والحاجات التي أوجدت علم التاريخ في الإسلام لم تأت كلها مجتمعة في وقت واحد، ولكن سبق بعضها بعضا، وتعاون بعضها مع بعض على مدى يزيد على قرنين، ما بين أواسط القرن الأول الهجري، حتى أواسط القرن الثالث، كما أنها لم تكن متساوية في

---

[١] «مقدمة ابن خلدون» ص (٩- ١٠) .

[٢] «الإعلان بالتوبيخ» ص (٧) .." (١)

"عوسجة [١] إلى جانب الخيمة، فأصبحنا وهي كأعظم دوحة [٢] ، وجاءت بثمر كأعظم ما يكون في لون الورس [٣] ورائحة العنبر، وطعم الشهد، ما أكل منها جائع إلا شبع، ولا ظمآن إلا روي، ولا سقيم إلا برئ، ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة إلا ودر لبنها، فكنا نسميها المباركة، وكان من البوادي [٤] من يستشفي بها ويتزود منها، حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها، واصفر ورقها ففزعنا، فما راعنا إلا نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إنها بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوك من أسفلها إلى أعلاها، وتساقط ثمرها، وذهبت نضارتها، فما شعرنا إلا بمقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فما أثمرت بعد ذلك اليوم، فكنا ننتفع بورقها، ثم أصبحنا وإذا بها قد نبع من ساقها دم عبيط، وقد ذبل ورقها، فبينا نحن فزعين مهمومين إذ أتانا خبر مقتل الحسين، ويبست الشجرة على أثر ذلك وذهبت.

والعجب كيف لم يشته‍ر أمر هذه الشجرة كما اشتهر أمر الشاة في قصة هي من أعلام القصص انتهى [٥] .

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ١٥/١

[١] العوسجة: الشوك.

[٢] الدوحة: الشجرة العظيمة.

[٣] الورس: نبت أصفر يكون باليمن تتخذ منه الغمرة للوجه. «لسان العرب» ، «ورس» (٦/ ٤٨١٢) .

[٤] في الأصل: «وكان من البواد» بدون الياء، وما أثبتناه من المطبوع.

[٥] قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (١٣/ ٢٩٢) : وذكر عمر بن شبة في «كتاب مكة» من طريق عبد العزيز بن عمران أنها أتت أم معبد بنت الأشعر، وذكر لها قصة مع سراقة بن جعشم.

أقول: وعبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، الأعرج، يعرف بابن أبي ثابت، متروك **احترقت** كتبه، فحدث من حفظه فاشتد غلطه، وكان عارفا بالأنساب، ولم يكن من أصحاب الحديث، وليس حديثه بشيء، وقال ابن حبان: يروي المناكير عن المشاهير. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث جدا، وقال عمر بن شبة في أخبار المدينة: كان كثير الغلط في حديثه لأنه **احترقت** كتبه، فكان يحدث من حفظه. انظر «تقريب التهذيب» (١/ ٥١١) ، و «تهذيب التهذيب» (٦/ ٣٥١) (ع) .." (١)

"وبجانبها رباطا، مع إجراء الخيرات لأهلها كل يوم، وسبيلا عظيما للخاص والعام، ومكتبا للأيتام، وكذا أنشأ بالمدينة النبوية مدرسة بديعة بل بنى المسجد الشريف، بعد **الحريق**، وعمل ببيت المقدس مدرسة كبيرة.

وقال النجم الغزي في كتابه «الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة» : كان بين السلطان قايتباي وبين الجد رحمه الله غاية الاتحاد، ولكل منهما في الآخر مزيد الاعتقاد، وكان الجد يقطع له بالولاية. وكتب ديوانا لطيفا من نظمه وإنشائه في مناقبه ومآثره سماه «بالدرة المضية في المآثر الأشرفية» وذكر فيه أن بعض أولياء الله تعالى أظهره على مقام الملك الأشرف قايتباي في الولاية، اجتمع الجد بالولي المذكور في حجر إسماعيل وقت السحر، فعرفه بمقامه، وأمره باعتقاده، ونظم في مآثره وعمائره قصيدة رائية ضمنها الديوان المذكور، فمنها أنه عمر حصنا بالإسكندرية ومدرسة بالقرب منه وحصن ثغر دمياط وحصونا برشيد ورمم الجامع الأموي بدمشق، وعمر بغزة مدرسة وجامعا بالصالحية المعزية [١] ، وجامع الروضة وجامع الكبير [٢] وتربة بصحراء مصر وقبة الإمام الشافعي [٣] ، في مآثر أخرى، ولم ينتقد عليه أحد عظيم أمر سوى ما كان من أمره بإعادة كنيسة اليهود بالقدس الشريف بعد هدمها وعقوبته لعالم القدس البرهان الأنصاري وقاضيها الشهاب بن عبية وغيرهم بسبب هدم الكنيسة، حتى حملوا إليه وضرب بعضهم بين يديه، وقد شنع ابن عبية عليه في ذلك وبالغ في حقه وهو تحامل منه بسبب تعزيره له.

وقال السخاوي: وبالجملة فلم يجتمع لملك ممن أدركناه ما اجتمع له ولا حوى من الحذق والذكاء والمحاسن مجمل ما اشتمل عليه ولا مفصله. وربما مدحه الشعراء ولا يلتفت إلى ذلك، ويقول: لو اشتغل بالمديح النبوي كان أعظم، وترجمته تحتمل مجلدات.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ١٨٣/١

[١] في «آ» : «المصرية» .

[٢] في «ط» : «الكبش» ، وفي »آ» «كبس» وكلاهما تحريف وما أثبته عن «الكواكب السائرة» .

[٣] ليست اللفظة في «ط» .." (١)

"سنة ثمان وتسعمائة

فيها حصل بمدينة عدن زلازل عظيمة تواترت ليلا ونهارا، ووقع بها **حريق** عظيم **احترقت** فيه دور كثيرة بلغ عدتها تسعمائة بيت وذهب من الأموال والأنفس ما لا يعلمه إلا الله تعالى [١] .

وفيها توفي الإمام أبو السعود [٢] قاضي مكة المشرفة قتله الشريف بركات.

وفيها برهان الدين أبو الطيب إبراهيم بن محمود بن أحمد بن حسن أوقصرائي [٣] الأصل القاهري الشافعي الحنفي المواهبي- نسبة لتلميذه [٤] أبي المواهب التونسي-.

قرأ طرفا من العلم على شيوخ عصره، كالسخاوي وغيره، وصحب الشيخ الكامل أبا الفتوح محمد الشهير بابن المغربي، وأخذ عنه التصوف، ثم أخذ بإذنه عن الولي الكبير أبي المواهب محمد التونسي، فعادت عليه بركات عوارفه، وانهلت على قلبه أمطار ذوارفه، وفتح الله له على يديه.

قال جار الله بن فهد: أقول وقد جاور صاحب الترجمة بمكة سنة أربع وتسعمائة، وأقام بها ثلاث سنين، وألف بها شرحا على «الحكم» لابن عطاء الله، سماه «أحكام الحكم لشرح الحكم» وشرح رسالته المسماة «أصول مقدمات الوصول» وشرح «كلمات علي بن محمد وفا» المعروف «يا مولانا يا واحد يا أحد» ،

---

[١] انظر «النور السافر» ص (٥١) .

[٢] ترجمته في «الكواكب السائرة» (١/ ١٢١) .

[٣] ترجمته في «كواكب السائرة» (١/ ١١٤) و «الطبقات السنية» (١/ ٢٤١) .

[٤] في «آ» : «لتلمذة» .." (٢)

"عليه تصانيفه وغيرها، وأذن له في التدريس وأكثر من السماع هناك على أبي الفرج المراغي، وسمع بمكة من كمالية بنت النجم المرجاني، وشقيقها الكمال، والنجم عمر بن فهد في آخرين. وانتفع به جماعة الطلبة في الحرمين.

وألف عدة تآليف منها «جواهر العقدين في فضل الشرفين» ، و «اقتفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» [١] ، احترق قبل تمامه، و «مختصر الوفا» و «مختصره [٢] خلاصة الوفا لما يجب لحضرة المصطفى» [٣] وحاشية على «الإيضاح في مناسك الحج» للإمام النووي سماها «الإفصاح» وكذا على «الروضة» وسماها «أمنية المعتنين بروضة الطالبين» وصل فيها إلى باب الربا، وجمع فتاويه في مجلد، وهي مفيدة جدا وحصل كتبا نفيسة، **احترقت** كلها، وهو بمكة في

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ١٣/١٠

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٥٢/١٠

سنة ست وثمانين.

وزار بيت المقدس، وعاد إلى المدينة مستوطنا، وتزوج بها عدة زوجات، ثم اقتصر على السراري، وملك الدور وعمرها.

قال السخاوي: قل أن يكون أحد من أهلها لم يقرأ عليها.

وبالجملة فهو إمام مفنن متميز في الأصلين والفقه، مديم العلم والجمع والتأليف، متوجه للعبادة والمباحثة والمناظرة، قوي الجلادة، طلق العبارة، مع قوة يقين، وعلى كل حال فهو فريد في مجموعه. انتهى وتوفي بالمدينة النبوية يوم الخميس ثامن عشر ذي القعدة.

وفيها الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق [٤] الدين أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن الشيخ همام الدين الخضيري السيوطي [٥] الشافعي المسند المحقق المدقق، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة.

ولد بعد مغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة،

---

[١] ويعرف ب «وفاء الوفا» وهو مطبوع بمصر قديما.

[٢] في «ط» : «ومختصر» .

[٣] ويعرف ب «خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى» وهو مطبوع من دون تحقيق.

[٤] في «ط» : «ساق» وهو تحريف.

[٥] ترجمته في «الضوء اللامع» (٤/ ٦٥- ٧٠) و «الكواكب السائرة» (١/ ٢٢٦- ٢٣١) و «متعة الأذهان»." (١)

"سنة أربع عشرة وتسعمائة

فيها كان حريق عظيم بمدينة عدن احترق به من الآدميين نحو ثلاثين نفسا وتلف من الأموال والبيوت ما لا يحصى [١] .

وفيها توفي الشيخ العارف بالله تعالى إبراهيم الشاذلي المصري [٢] .

كان ينفق نفقة الملوك ويلبس ملابسهم، وذلك من غيب الله تعالى لا يدري أحد له جهة معينة تأتيه منها الدنيا ولم يطلب الطريق حتى لحقه المشيب فجاء إلى سيدي محمد المغربي الشاذلي وطلب منه التربية فقال له يا إبراهيم، تريد تربية بيتية وإلا سوقية. فقال له: ما معنى ذلك؟ قال: التربية السوقية هي أن أعلمك كلمات في الفناء والبقاء ونحوهما، وأجلسك على السجادة، وأقول لك خذ كلاما وأعط كلاما من غير ذوق ولا انتفاع. والتربية البيتية بأن تفني اختيارك في اختياري، وتشارك أهل البلاء [٣] ، وتسمع في حقك ما تسمع فلا تتحرك لك شعرة اكتفاء بعلم الله تعالى. فقال أطلب التربية البيتية. قال: نعم لكن لا يكون فطامك إلا بعدي [٤] على يد الشيخ أبي المواهب. وكان الأمر كذلك، ولذلك لم يشتهر إلا بالمواهبي، ثم قال له الشيخ محمد: قف غلاما اخدم البيت والبغلة، وحس الفرس، وافرش تحتها الزبل،

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٧٤/١٠

وكب التراب، فقال: سمعا وطاعة. فلم يزل يخدم عنده حتى مات، فاجتمع على سيدي أبي المواهب ولم يزل عنده يخدم كذلك ولم يجتمع مع الفقراء في قراءة حزب ولا غيره حتى حضرت سيدي أبا المواهب الوفاة فتطاول

---

[١] انظر «النور السافر» ص (٩٠) .

[٢] ترجمته في «الكواكب السائرة» (١/ ١١٠) و «معجم المؤلفين» (١/ ٣٧) .

[٣] في «الكواكب» : «البلاد» .

[٤] في «أ» : «بهدي» .." (١)

"كالغصن قدا والنسيم لطافة ... والياسمين ترافة [١] وبياضا

وله قصيدة التزم فيها واوين أول كل بيت وآخره مطلعها [٢] :

وواد به [٣] الغيد الحسان قد استووا ... وورد ظباء الحي في ظله ثووا

توفي **بالحريق** في داره بحلب.

وفيها شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر الشهير بابن بري الخالدي البابي الحلبي ثم الدمشقي [٤] الحنفي الصوفي.

ولد في ثالث صفر سنة أربعين وثمانمائة، وكان من أعيان الناس الصلحاء.

وتوفي بدمشق يوم الأحد سادس عشر [٥] رجب ودفن بمقبرة الحمرية.

وفيها زين الدين عبد الرحمن بن جماعة المقدسي الشافعي [٦] العلامة شيخ الصلاحية بالقدس الشريف.

توفي بالقدس في هذه السنة، وصلي عليه وعلى الشيخ عبد القادر الدشطوطي غائبة بجامع بني أمية بدمشق يوم الجمعة ثاني عشر رمضان. قاله في «الكواكب» .

وفيها الشيخ زين الدين عبد القادر بن محمد الشيخ الصالح المعمّر المعتقد المجرد العفيف العارف بالله تعالى الدشطوطي [٧] كذا ضبطه العلائي، وضبطه السخاوي في «الضوء» الطشطوطي- بطاءات مهملات بينهما شين معجمة وواو، نسبة إلى دشطوط من قرى الصعيد-.

---

[١] في «ط» : «براقة» وفي «الكواكب» : (تراقة) وكلاهما تحريف، وما أثبته عن «در الحبب» . وترف النبات تروى «لسان العرب» (ترف) .

[٢] البيت في «در الحبب» (١/ ١/ ١٤١) ، وفي «الكواكب» (١/ ١٣٩) .

[٣] في «أ» : (فيه) ولا يستوي بها الوزن.

[٤] ترجمته في «الكواكب السائرة» (١/ ١٢٨) .

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ١٠/٩٠

[٥] في «أ» : «عشري» وليست اللفظتان في «الكواكب» .

[٦] ترجمته في «الكواكب السائرة» (١/ ٢٣٢) .

[٧] ترجمته في «الكواكب السائرة» (١/ ٢٤٦- ٢٥٠) ، وفي «الضوء اللامع» (٤/ ٣٠٠- ٣٠١) .." (١)

"وتوفي فجر يوم الأحد سلخ ربيع الآخر بمدينة زبيد.

وفيها الشهاب أحمد بن سليمان بن محمد بن عبد الله الكناني الحوراني، المقرئ الحنفي الغزي [١] نزيل مكة.

ولد في حدود الستين وثمانمائة بغزة، ونشأ بها، وحفظ القرآن العظيم، و «مجمع البحرين» و «طيبة النشر» وغيرها.

واشتغل بالقراءات وتميز فيها، وفهم العربية، وقطن بمكة ثلاث عشرة سنة، وتردد إلى المدينة، واليمن، وزيلع، وأخذ عن جماعة فيها وفي القاهرة.

قال السخاوي: قد لازمني في الدراية والرواية، وكتبت له إجازة، وسمعته ينشد من نظمه:

سلام على دار الغرور لأنها ... مكدرة لذاتها بالفجائع

فإن جمعت بين المحبين ساعة ... فعما قليل أردفت بالموانع

قال: ثم قدم القاهرة من البحر في رمضان سنة تسع وثمانين، وأنشدني في الحريق والسيل الواقع بالمدينة وبمكة قصيدتين من نظمه، وكتبهما لي بخطه، وسافر لغزة لزيارة أمه، وأقبل عليه جماعة من أهلها. انتهى أي، وتوفي بها.

وفيها أبو العباس أحمد بن محمد المغربي التونسي المشهور بالتباسي- بفتح المثناة الفوقية، وتشديد الموحدة، ويقال الدباسي بالدال المهملة- المالكي [٢] العارف بالله تعالى، شيخ سيدي علي بن ميمون.

كان والده من أهل الثروة والنعمة، فلم يلتفت إلى ذلك بل خرج عن ماله وبلاده، وتوجه إلى سيدي [٣] أبي العباس أحمد بن مخلوف الشابي- بالمعجمة والموحدة- الهدلي القيرواني والد سيدي عرفة، فخدمه، وأخذ عنه الطريق، ثم أقبل على العبادة والاشتغال والإشغال، حتى صار شيخ ذلك القطر.

---

[١] ترجمته في «الضوء اللامع» (١/ ٣٠٩) و «الطبقات السنية» (١/ ٣٥٧) .

[٢] ترجمته في «الكواكب السائرة» (١/ ١٢٨- ١٢٩) .

[٣] في «آ» : «لسيدي» .." (٢)

"وأثنى عليه ابن طولون في مواضع من «تاريخه» وألف شرحا على «فرائض المنهاج» ومجالس وعظية.

وتوفي ليلة السبت الثامن والعشرين من ربيع الأول ودفن بمقبرة باب الفراديس.

وفيها شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد السودي- نسبة إلى قرية تسمى سودة شعنب [١] على ثلاث مراحل من صنعاء اليمن- الشهير بعبد الهادي اليمني الشافعي [٢] قطب العارفين وسلطان

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ١٨٠/١٠

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٢٣٧/١٠

العاشقين.

قال في «النور» : كان من العلماء الراسخين والأئمة المتبحرين، درس وأفتى، ثم طرأ عليه الجذب، وذلك أنه كان يقرأ في الفقه على بعض العلماء، فلما وصل إلى هذه المسألة والعبد لا يملك شيئا مع سيده، كرر هذا السؤال على شيخه كالمستفهم، واعترته عند ذلك هيبة عظيمة وبهت، وحصل له الجذب.

وبالجملة فإنه كان آية من آيات الله تعالى، وأقواله تدل على تفننه في العلوم الظاهرة واطلاعه على الأخبار السالفة والأمثال السائرة، حتى كأن جميع العلوم والمعاني [٣] ممثلة بين عينيه يختار منها الذي يريد ولا يعدل عن شيء إلا إلى ما هو خير منه.

وكان مولعا بشرب القهوة ليلا ونهارا، وكان يطبخها بيده ولا يزال قدرها بين يديه، وقد يجعل رجله تحتها في النار مكان الحطب، وكان كلما أتى إليه من النذور إن كان من المأكولات طرحه فيها وإن كان من غيرها قذفه تحتها من ثوب نفيس أو عود أو غير ذلك، وقيل: إن عامر بن عبد الوهاب السلطان بعث إليه بخلعة نفيسة فألقاها تحتها فاحترقت فبلغ ذلك السلطان فغضب وأرسل يطلبها منه، فأدخل يده في النار وأخرجها، كما كانت ودفعها إليهم وقد أشار إلى هذا الشيخ

---

[١] في «ط» : «سودة شغب» وفي «النور السافر» ص (١٩١) : «شغب» .

[٢] ترجمته في «النور السافر» ص (١٥٥- ١٩١) .

[٣] لفظة: «والمعاني» سقطت من «ط» .." (١)

"سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة

فيها توفي إبراهيم المصري المجذوب الصالح، المعروف بعصيفير [١] .

قال في «الكواكب» : كان من أهل الكشف الكامل، وأصله من نواحي الصعيد، وكان ينام مع الذئاب في القفار ويمشي على الماء جهارا.

قال الشعراوي: وأخبرني بحريق يقع في مكان فوقع فيه تلك الليلة، ومر عليه شخص بإناء فيه لبن فرماه منه فانكسر فإذا فيه حية ميتة، وأحواله عجيبة.

توفي بمصر ودفن تجاه زاوية أبي الحمائل.

وفيها أبو الفضل الأحمدي [٢] ، صاحب الكشوفات الربانية والمواهب الصمدانية.

أخذ الطريق عن سيدي علي الخواص، والشيخ بركات الخواص، وغيرهما.

قال في «الكواكب» : وكان من أهل المجاهدات، وقيام الليل، والتخشن في المأكل والملبس، وكان يخدم إخوانه ويقدم لهم نعالهم، ويهيئ الماء لطهارتهم.

وكان له كشف عجيب بحيث يرى بواطن الخلق وما فيها كما يرى ما في داخل البلور.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٢٦٢/١٠

[١] ترجمته في «الكواكب السائرة» (٢/ ٨٥) و «الطبقات الكبرى» للشعراني (٢/ ١٤٠) .

[٢] ترجمته في «الكواكب السائرة» (٢/ ٩٤- ٩٦) وما بين الحاصرتين في النص مستدرك منه، و «الطبقات الكبرى» للشعراني (٢/ ١٧٣- ١٨٠) .." (١)

"وفيها قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد بن قاضي خان بن بهاء الدين بن يعقوب بن حسن بن علي النهرواني الهندي ثم المكي الحنفي [١] الإمام العلامة.

ولد سنة سبع عشرة وتسعمائة، وأخذ عن والده، والشيخ عبد الحق السنباطي، وهو أجل من أخذ عنه من المحدثين، والشيخ محمد التونسي، والشيخ ناصر اللقاني، والشيخ أحمد بن يونس بن الشلبي، وغيرهم.

وذكره ابن الحنبلي في «تاريخه» إلا أنه سمى والده عليا [٢] والصحيح الأول، وأثنى عليه ثناء حسنا.

قال ومن مؤلفاته «طبقات الحنفية» **احترقت** في جملة كتبه.

وقال النجم الغزي: وقفت له على «تاريخ» كتبه لمكة المشرفة.

وكان بارعا مفننا في الفقه، والتفسير، والعربية، ونظم الشعر، وشعره في غاية الرقة، منه الزائية المشهورة، وهي:

أقبل كالغصن حين يهتز ... في حلل دون لطفها الخز

مهفهف القد ذو محيا ... بعارض الخد قد تطرز

دار بخديه واو صدغ ... والصاد من لحظه تلوز

الخمر والجمر في [٣] لماه ... وخده ظاهر وملغز

يشكو له الخصر جور ردف ... أثقله حمله وأعجز

طلبت منه شفاء سقمي ... فقال لحظي لذاك أعوز

قد غفر الله ذنب دهر ... لمثل هذا المليح أبرز

حز فؤادي بسيف لحظ ... أواه لو دام ذلك الحز

[١] ترجمته في «النور السافر» ص (٣٨٩) و «الكواكب السائرة» (٣/ ٤٤- ٤٨) و «در الحبب» (٢/ ١/ ٤٣٩- ٤٤١) و «البدر الطالع» (٢/ ٥٧- ٥٨) و «الأعلام» (٦/ ٦- ٧) و «معجم المؤلفين» (٩/ ١٧- ١٨) .

[٢] في «آ» و «ط» : «علي» .

[٣] في «آ» و «ط» : «من» وما أثبته من «النور السافر» مصدر المؤلف.." (٢)

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٣٤٨/١٠

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٦١٧/١٠

"وفيها توفي عبد الله بن دينار، مولى ابن عمر بالمدينة.

قال ابن ناصر الدين: كان ثبتا، ثقة، متقنا.

والسيد الكبير الولي الشهير أبو يحيى مالك بن دينار البصري الزاهد المشهور، كان مولى لبني أسامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، أقام أربعين سنة لا يأكل من ثمار البصرة، ولا يأكل إلا من عمل يده، ووقع **حريق** بها فخرج متزرا ببارية [١] ، وبيده مصحف، وقال: فاز المخفون. وقيل له: ألا تستسقي لنا؟ فقال: أنتم تنتظرون الغيث، وأنا أنتظر الحجارة.

وقال له رجل: إن امرأتي حبلى منذ أربع سنين، وأصبحت اليوم في كرب عظيم، فادع الله لها، فقال: اللهم إن كان في بطنها جارية فأبدلها غلاما، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب، فجاء الرجل على رقبته غلام، وقد استوت أسنانه وما قطع سراره.

وفيها توفي عمير بن هانئ العنسي- بالنون- الداراني [٢] . روى عن معاوية في «الصحيحين» وعن أبي هريرة في «السنن» .

قال له عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: أراك لا تفتر عن الذكر، فكم تسبح كل يوم؟ قال: مائة ألف تسبيحة، إلا أن تخطئ الأصابع.

قلت: هذا صريح منه بأنه كان يعد التسبيح بأصابعه، ولكن أورد أبو بكر بن داود في «التحفة» أن أبا الدرداء كان يسبح كل يوم مائة ألف تسبيحة أيضا، ثم قال ما معناه: وهذا دليل أنه كان يستعمل السبحة، إذ يبعد ويتعذر أن يضبط مثل هذا العدد بغيرها، وجعله من جملة الأدلة على السبحة، بعد

---

[١] أي بحصيرة منسوجة. (ع) .

[٢] نسبة إلى داريا، وهي من القرى الكبيرة في غرب دمشق. انظر «معجم البلدان» (٢/ ٤٣١- ٤٣٢) .." (١)

"وضربه يوسف بن عمر بن هبيرة في سبب وهو يقول: والله إن كانت إلا أثيابا في أسفاط [١] قبضها عشاروك.

انتهى.

وقال ابن الأهدل: عيسى بن عمر النحوي الثقفي البصري مولى خالد بن الوليد، نزل في ثقيف، فنسب إليهم، وكان صاحب غريب في لفظه ونحوه، وحكي أنه سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس، فقال: ما لكم تكأكأتم علي كتكأكئكم على ذي جنة [٢] افرنقعوا عني.

معناه: ما لكم تجمعتم علي كتجمعكم على مجنون، افترقوا عني، فقالوا: إن شيطانه هندي، وهو شيخ سيبويه [وله «كتاب الجامع» في النحو، وهو المنسوب إلى سيبويه، وله أيضا «الإكمال» وصنف نيفا وسبعين كتابا في النحو، ولم يبق منها سوى «الجامع» ، و «الإكمال» لأنها كانت **احترقت** إلا هذين، وكان سيبويه] [٣] رحل إليه، وعاد ومعه

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ١١٨/٢

«الجامع» فسأله الخليل عن عيسى، فأخبره بأخباره، وأراه «الجامع» فقال الخليل:

ذهب النحو جميعا كله [٤] ... غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك إكمال وهذا جامع ... وهما للناس شمس وقمر

وهو شيخ سيبويه، والخليل، وأبي عمرو ابن العلاء.

---

[١] في «المعارف» ، و «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٨٨) : «في أسيفاط» .

[٢] قال ابن منظور: الجنة الجنون ... وفي التنزيل العزيز: أم به جنة ٣٤: ٨ [سبأ: ٨] والاسم المصدر على صورة واحدة، ويقال: به جنة وجنون ومجنة. «لسان العرب» (جنن) .

[٣] ما بين الحاصرتين سقط من الأصل، وأثبته من المطبوع.

[٤] في الأصل: «ذهب النحو كله جميعا» وأثبت ما في المطبوع وهو موافق لما في «مرآة الجنان» لليافعي (١/ ٣٢٨) أصل «مختصر» ابن الأهدل الذي نقل عنه المؤلف رحمه الله. قال العلامة الأستاذ خير الدين الزركلي- رحمه الله- في ترجمة ابن الأهدل في «الأعلام» (٢/ ٢٤٠) : و [كتابه] «مختصر تاريخ اليافعي» رأيته في خزانة الشيخ محمد سرور الصبان بجدة غير كامل.." (١)

"الرياحي وجماعة. وروى عن أنس، وإياس.

قال أبو عمرو: كنت رأسا والحسن حي. ونظرت في العلم قبل أن أختن.

وقال أبو عبيدة: كان أبو عمرو أعلم الناس بالقرآن، والعربية، والشعر، وأيام العرب.

قال: وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف، ثم تنسك فأحرقها. قاله في «العبر» [١] .

وقال ابن الأهدل: فاحترقت كتبه، فلما رجع إلى علمه الأول، لم يكن عنده إلا ما حفظه، وهو في النحو في الطبقة الرابعة من علي.

قال الأصمعي: سألته عن ألف مسألة، فأجابني فيها بألف حجة.

وفيه يقول الفرزدق مفتخرا:

ما زلت أفتح أبوابا وأغلقها ... حتى أتيت أبا عمرو بن عمار [٢]

وكنيته اسمه على الصحيح [٣] وكان إذا دخل رمضان لم ينشد بيتا حتى ينقضي. ودخل يوما على سليمان بن علي عم السفاح، فسأله عن شيء فصدقه، فلم يعجبه فخرج أبو عمرو وهو يقول:

أنفت من الذل عند الملوك ... وإن أكرموني وإن قربوا

إذا ما صدقتهم خفتهم ... ويرضون مني بأن أكذب

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٢/٢٢٤

[١] (١/ ٢٢٣) .

[٢] البيت في «ديوانه» (١/ ٣٨٢) وروايته فيه:

ما زلت أفتح أبوابا وأغلقها ... حتى لقيت أبا عمرو بن عمار

[٣] قال الذهبي: اسمه زبان على الأصح، وقيل: العريان، وقيل: يحيى، وقيل: محبوب، وقيل: جنيد، وقيل: عيينة، وقيل: عثمان، وقيل: عياد. انظر «معرفة القراء الكبار» (١/ ١٠٠) طبع مؤسسة الرسالة.." (١)

"سنة سبع عشرة ومائتين

في وسطها دخل المأمون بلاد الروم، فنازل لؤلؤة [١] مائة يوم، ولم يظفر بها، فترك [٢] على حصارها عجيفا [٣] فخدعه أهلها وأسروه ثم أطلقوه بعد جمعة، ثم أقبل عظيم الروم توفيل فأحاط بالمسلمين، فجهز المأمون نجدة وغضب، وهم بغزو قسطنطينية، ثم فتر لشدة الشتاء.

وفيها كان الحريق العظيم [٤] بالبصرة، حتى أتى على أكثرها كما قيل [٥] .

وفيها، وقيل في التي مضت، توفي الحجاج بن منهال البصري أبو

---

[١] قلعة قرب طرسوس تقع الآن في الجنوب الأوسط من تركيا المعاصرة. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٥/ ٢٦) ، و «أطلس التاريخ العربي» للأستاذ شوقي أبو خليل ص (٥٧) طبع دار الفكر بدمشق.

قلت: ولكن ما جاء في «تاريخ الطبري» (٨/ ٦٢٨) و «معجم البلدان» يشير إلى فتح القلعة آخر الأمر.

[٢] في الأصل والمطبوع: «فنزل» وما أثبته من «العبر» للذهبي (١/ ٣٧١) ، وفي «تاريخ الطبري» : «فخلف» .

[٣] هو عجيف بن عنبسة. انظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ٦٢٨) .

[٤] في «العبر» للذهبي: «الفناء العظيم» .

[٥] في المطبوع، و «العبر» : «فيما قيل» .." (٢)

"سنة خمس وعشرين ومائتين

فيها على ما قاله في «الشذور» كانت رجفة بالأهواز عظيمة تصدعت منها الجبال، وهرب أهل البلد إلى البر وإلى السفن، وسقطت فيها دور كثيرة، وسقط نصف الجامع، ومكثت ستة عشر يوما.

وفيها احترقت الكرخ، فأسرعت النار في الأسواق، فوهب المعتصم للتجار وأصحاب العقار خمسة آلاف ألف درهم.

وفيها توفي الفقيه أصبغ بن الفرج أبو عبد الله المصري الثقة مفتي أهل مصر، ووراق [١] ابن وهب. أخذ عن ابن وهب، وابن القاسم، وتصدر للاشتغال [٢] والحديث.

قال ابن معين: كان من أعلم خلق الله كلهم برأي مالك، يعرفها مسألة مسألة متى قالها مالك ومن خالفه فيها.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٢٤٩/٢

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٧٩/٣

وقال أبو حاتم: هو أجل أصحاب ابن وهب.
وقال بعضهم: ما أخرجت مصر مثل أصبغ.
وقد كان ذكر لقضاء مصر، وله مصنفات حسان.

---

[١] في الأصل: «وراوي» وأثبت ما في المطبوع، وانظر «تهذيب التهذيب» (١/ ٣٦١) .
[٢] في المطبوع: «للاشغ ا ل» .." (١)
"سنة اثنتين وأربعين ومائتين
وفيها على ما قاله في «الشذور» رجمت قرية يقال لها: السويداء بناحية مضر [١] بخمسة أحجار، فوقع حجر منها على خيمة أعرابي **فاحترقت**، وزن منها حجر فكان عشرة أرطال، فحمل منها [٢] أربعة إلى الفسطاط، وواحد إلى تنيس. وزلزلت الري، وجرجان، وطبرستان، ونيسابور، وأصبهان، وقم، وقاشان، كلها في وقت واحد، وتقطعت جبال، ودنا بعضها من بعض، وسمع للسماء والأرض أصوات عالية، وسار جبل كان باليمن عليه مزارع قوم إلى مزارع قوم آخرين فوقف عليها، وزلزلت الدامغان، فسقط نصفها على أهلها، فهلك بذلك خمسة وعشرون ألفا، وسقطت بلدان كثيرة على أهلها، ووقع طائر أبيض دون الرخمة [٣] وفوق الغراب على دلبة بحلب لسبع مضين من رمضان، فصاح: يا معشر الناس اتقوا الله، الله، الله، حتى صاح أربعين صوتا، ثم طار وجاء من الغد، فصاح أربعين صوتا، وكتب صاحب البريد بذلك وأشهد خمسمائة إنس ا ن سمعوه، ومات رجل في بعض كور الأهواز، فسقط طائر أبيض فصاح بالفارسية وبالحورية: إن الله قد غفر لهذا

---

[١] في الأصل والمطبوع: «بناحية مصر» وهو تصحيف والتصحيح من «معجم البلدان» (٣/ ٢٨٦) .
[٢] لفظة «منها» لم ترد في المطبوع.
[٣] قال الدميري في «حياة الحيوان الكبرى» (١/ ٤٧٠) : الرخمة: طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة.." (٢)
"سنة أربع عشرة وثلاثمائة
فيها كما قال في «الشذور» وقع **حريق** في نهر طابق [١] ، **فاحترقت** منه ألف دار، واشتد برد الهواء في كانون الأول، فتلف أكثر نخل بغداد وسوادها، وجمدت الخلجان والآبار، ثم جمدت دجلة، حتى عبرت الدواب عليها.
وفيها أخذت الروم- لعنهم الله- ملطية عنوة واستباحوها، ولم يحج أحد من العراق خوفا من القرامطة، ونزح أهل مكة عنها خوفا منهم.
وفيها أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر التيمي المنكدري الحجازي [٢] . نزيل خراسان. روى عن عبد الجبار بن العلاء

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ١١٤/٣
(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ١٩١/٣

وخلق.

قال الحاكم: له أفراد وعجائب.

ومحمد بن محمد بن [عبد الله بن] النفاح بن بدر الباهلي [٣] أبو

---

[١] قال ياقوت: نهر الطابق: محلة ببغداد من الجانب الغربي قرب نهر القلائين شرقا، وإنما هو نهر بابك، منسوب إلى بابك بن بهرام بن بابك، وهو قديم، وبابك هو الذي اتخذ العقد الذي عليه قصر عيسى بن علي واحتفر هذا النهر، ومأخذه من كرخايا ويصب في نهر عيسى عند دار بطيخ، وقرأت في بعض التواريخ المحدثة قال: وفي سنة (٤٨٨) أحرقت محلة نهر طابق وصارت تلولا لفتنة كانت بينهم وبين محلة باب الأرحاء. «معجم البلدان» (٥/ ٣٢١) .

[٢] انظر «العبر» (٢/ ١٦٥) و «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٥٣٢- ٥٣٣) .

[٣] انظر «العبر» (٢/ ١٦٥) و «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٩٥) وما بين حاصرتين زيادة منه.." (١)

"وقال ابن أبي يعلى في «طبقاته» [١] : قرأ [العلم] على من قرأ على أبي بكر المروذي، وحرب الكرماني، وصالح وعبد الله ابني إمامنا. له المصنفات الكثيرة في المذهب، لم ينتشر منها إلا «المختصر» في الفقه، لأنه خرج من مدينة السلام لما ظهر فيها سب الصحابة رضوان الله عليهم، وأودع كتبه في درب سليمان، **فاحترقت** الدار التي كانت فيها، ولم تكن انتشرت لبعده عن البلد.

قرأ عليه جماعة من شيوخ المذهب، منهم: أبو عبد الله بن بطة، وأبو الحسن التميمي، وأبو الحسين [٢] بن سمعون [٣] وغيرهم.

قرأت بخط أبي إسحاق البرمكي، أن عدد مسائل «المختصر» ألفان وثلاثمائة مسألة. انتهى ملخصا.

وقال ابن خلكان [٤] : وكان والده أيضا من الأعيان. روى عن جماعة، رحمهم الله تعالى أجمعين.

والخرقي: بكسر الخاء المعجمة، وفتح الراء وبعدها قاف، هذه النسبة إلى بيع الخرق والثياب. انتهى.

وفيها الحافظ أبو علي محمد بن سعيد [٥] القشيري الحراني، نزيل الرقة ومؤرخها. روى عن سليمان بن سيف الحراني وطبقته، وعنه:

---

[١] (٢/ ٧٥) .

[٢] في الأصل والمطبوع: «أبو الحسن» وهو خطأ والتصحيح من «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى، وانظر «المنهج الأحمد» (٢/ ١٠٧ و ١٦٤) طبعة نويهض.

[٣] تحرف في «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى إلى «ابن شمعون» فيصحح فيه.

[٤] في «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٤١) .

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٤/ ٧٠

[٥] في الأصل: «محمد بن سعد» وهو خطأ وأثبت ما في المطبوع وهو الصواب. انظر «طبقات الحفاظ» ص (٣٥٠) .." (١)

"وغزارة] [١] حفظه يكذبه [٢] أدباء وقته، ووثقه المحدثون في الرواية.

قيل: لم يتكلم في اللغة أحد أحسن من كلام أبي عمر الزاهد، وتصانيفه أكثر ما يمليها من غير مراجعة الكتب، انتهى.

وفيها الوزير الماذرائي، أبو بكر محمد بن علي البغدادي الكاتب، وزر لخمارويه، صاحب مصر، وعاش نحو التسعين سنة، واحترقت سماعاته، وسلم له جزآن، سمعهما من العطاردي، وكان من صلحاء الكبراء، وأما معروفه، فإليه المنتهى، حتى قيل: إنه أعتق في عمره مائة ألف رقبة، قاله المسبحي. ذكره في «العبر» [٣] .

والماذرائي: بفتح الذال المعجمة نسبة إلى ماذرا، جد [٤] .

وفيها مكرم بن أحمد القاضي أبو بكر البغدادي البزاز. سمع محمد بن عيسى المدائني، والدير عاقولي، وجماعة، ووثقه الخطيب [٥] .

وفيها المسعودي المؤرخ، صاحب «مروج الذهب» [٦] وهو أبو الحسن، علي بن أبي الحسن. رحل وطوف في البلاد، وحقق من التاريخ ما لم يحققه غيره، وصنف في أصول الدين وغيرها من الفنون، وقد ذكرها في صدر «مروج الذهب» وهو غير المسعودي الفقيه الشافعي، وغير شارح مقامات الحريري. قاله ابن الأهدل، وتوفي في جمادى الآخرة.

---

[١] ما بين حاصرتين زيادة من «مرآة الجنان» (٢/ ٣٣٨) .

[٢] في الأصل والمطبوع: «تكذبه» وأثبت ما في «مرآة الجنان» .

[٣] (٢/ ٢٧٤- ٢٧٥) .

[٤] انظر «الأنساب» (١١/ ٦٥) .

[٥] انظر «تاريخ بغداد» (١٣/ ٢٢١) .

[٦] وهو من أبرز مصادر المؤلف رحمه الله تعالى، انظر «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٥٦٩) .." (٢)

"سنة أربع وخمسين وثلاثمائة

فيها بنى الدمستق نقفور مدينة بالروم، وسماها قيسارية، وقيل:

قيصرية [١] ، وسكنها [ليغير كل وقت] [٢] ، وجعل أباه بالقسطنطينية، فبعث إليه أهل طرسوس، والمصيصة يخضعون له، ويسألونه أن يقبل منهم القطيعة كل سنة، وينفذ إليهم نائبا له عليهم، فأجابهم، ثم علم ضعفهم وشدة القحط عليهم، وأن أحدا لا ينجدهم، وأن كل يوم يخرج من طرسوس ثلاثمائة جنازة، فرجع عن الإجابة، وخاف إن تركهم حتى تستقيم

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٤/١٨٧

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٤/٢٤٢

أحوالهم أن يمتنعوا عليه، فأحرق الكتاب على رأس الرسول، **فاحترقت** لحيته، وقال: امض، ما عندي إلا السيف، ثم نازل المصيصة، فأخذها بالسيف واستباحها، ثم فتح طرسوس بالأمان، وجعل جامعها اصطبلا لخيله، وحصن البلدين وشحنهما [٣] بالرجال.

وفيها توفي أبو بكر بن الحداد، وهو أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن عطية البغدادي المصري [٤] . مات بديار مصر. روى عن أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة، وبكر بن سهل الدمياطي وطبقتهما.

---

[١] قلت: وذلك ما جزم به الذهبي في «دول الإسلام» (١/ ٢٢٠) .

[٢] ما بين حاصرتين سقط من الأصل والمطبوع واستدركته من «العبر» و «دول الإسلام» .

[٣] في «العبر» (٢/ ٣٠٥) : «وحصن البلد وشحنها» ، وانظر «دول الإسلام» فقد جاءت العبارة فيه كما في كتابنا.

[٤] في الأصل والمطبوع: «البغدادي المصري البغدادي» وهو خطأ من النساخ والصواب." (١)

"سنة اثنتين وستين وثلاثمائة

فيها كما قال في «الشذور» قتل رجل من أصحاب المعونة في الكرخ، فبعث أبو الفضل الشيرازي، صاحب معز الدولة، من طرح النار في النحاسين إلى السماكين، **فاحترقت** سبعة عشر ألف وثلاثمائة وعشرين دارا، أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربعون ألف دينار، ودخل في الجملة ثلاثة وثلاثون مسجدا، وهلك خلق كثير من الناس في الدور والحمامات. انتهى.

وفيها كما قال في «العبر» [١] أخذت الروم نصيبين، واستباحوها، وتوصل من نجا إلى بغداد، وقام معهم المطوعة، واستنفروا الناس، ومنعوا من الخطبة، وحاولوا الهجوم على المطيع، وصاحوا عليه بأنه عاجز مضيع [٢] لأمر الإسلام، فسار العسكر من جهة الملك عز الدولة بختيار، فالتقوا الروم، فنصروا عليهم، وأسروا جماعة من البطارقة، ففرح المسلمون. وفي رمضان، قدم المعز أبو تميم العبيدي [٣] مصر، ومعه توابيت آبائه، ونزل بالقصر بداخل القاهرة المعزية، التي بناها مولاه جوهر، لما افتتح الإقليم، وقويت شوكة الرفض شرقا وغربا، وخفيت السنن، وظهرت البدع، نسأل الله تعالى العافية.

---

[١] (٢/ ٣٣١) .

[٢] تحرفت في الأصل إلى «مطيع» وأثبت ما في المطبوع وهو الصواب.

[٣] تحرفت في الأصل والمطبوع إلى «العبدي» والتصحيح من «العبر» .." (٢)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٢٨١/٤

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٣٢٦/٤

"وفيها أبو عبد الله البانياسي، مالك بن أحمد بن علي بن الفراء البغدادي. احترق في **الحريق** العظيم الذي وقع في هذه السنة ببغداد، واحترق فيه من الناس عدد كثير، وكان في جمادى الآخرة، وتوفي وله سبع وثمانون سنة، وهو آخر من حدث عن أبي الحسن بن الصلت المجبر، وسمع من جماعة.

وفيها السلطان ملكشاه، أبو الفتح جلال الدولة بن السلطان ألب أرسلان، محمد بن داود السلجوقي التركي، تملك بلاد ما وراء النهر، وبلاد الهياطلة، وبلاد الروم، والجزيرة، والشام، والعراق، وخراسان، وغير ذلك.

قال في «العبر» [١] : ملك من مدينة كاشغر الترك إلى بيت المقدس طولا، ومن القسطنطينية وبلاد الخزر إلى نهر الهند [٢] عرضا، وكان حسن السيرة، محسنا إلى الرعية، وكانوا يلقبونه بالسلطان العادل، وكان ذا غرام بالعمائر والصيد، مات في شوال بعد وزيره النظام بشهر، فقيل: إنه سم في خلال، ونقل في تابوت فدفن بأصبهان في مدرسة كبيرة له.

وقال ابن الأهدل: كان مغرما بالصيد، حتى قيل: إنه صاد بيده عشرة آلاف أو أكثر، حتى بنى من حوافر الحمر وقرون الظباء منارة على طريق الحاج، تعرف بمنارة القرون، وتصدق عن كل نسمة صادها بدينار، وقال:

إني أخاف الله سبحانه وتعالى من إزهاق النفوس بغير فائدة ولا مأكلة، وكان المقتدر قد تزوج بابنته، وكان السفير في زواجها الشيخ أبو إسحاق، وزفت إليه سنة ثمانين، ورزق منها ولديه، ولما مات السلطان لم يفعل به كسائر السلاطين، ولم يحضر جنازته أحمد ظاهرا ولم تقطع أذناب الخيل لأجله، ولما

---

[١] (٣/ ٣١١) .

[٢] في «العبر» : «بحر الهند» . (ع) .." (١)

"سنة اثنتين وخمسمائة

فيها قتلت الباطنية بهمذان قاضي قضاة أصبهان عبيد الله بن علي الخطيبي.

وقتلت بأصبهان يوم عيد الفطر أبا العلاء صاعد بن محمد البخاري، وقيل: النيسابوري الحنفي المفتي، أحد الأئمة عن خمس وخمسين سنة.

وقتلت بجامع آمل يوم الجمعة في المحرم فخر الإسلام القاضي أبا المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الروياني، شيخ الشافعية، وصاحب التصانيف، وشافعي الوقت. أملى مجالس عن أبي غانم الكراعي، وأبي حفص بن مسرور، وطبقتهما، وعاش سبعا وثمانين سنة.

قال ابن قاضي شهبة [١] : كانت له الوجاهة والرئاسة والقبول التام عند الملوك فمن دونها. أخذ عن والده وجده، وبميافارقين عن محمد بن بيان [الكازروني] ، وبرع في المذهب، حتى كان يقول: لو **احترقت** كتب الشافعي لأمليتها من حفظي، ولهذا كان يقال له: شافعي زمانه. ولي قضاء طبرستان، وبنى مدرسة بآمل، وكان فيه إيثار للقاصدين إليه.

ولد في ذي الحجة سنة خمس عشرة وأربعمائة، واستشهد بجامع آمل

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٥/٣٦٦

[١] انظر «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (١/ ٣١٨- ٣١٩) وما بين الحاصرتين زيادة منه.." (١)

"سنة خمس عشرة وخمسمائة

فيها **احترقت** دار السلطنة ببغداد، وذهب ما قيمته ألف ألف دينار.

وفيها توفي أبو علي الحداد الحسن بن أحمد بن الحسن الأصبهاني المقرئ المجود، مسند الوقت. توفي في ذي الحجة، عن ست وتسعين سنة. وكان مع علو إسناده أوسع أهل وقته رواية. حمل عن أبي نعيم، وكان خيرا، صالحا، ثقة.

وفيها الأفضل أمير الجيوش، شاهنشاه [١] أبو القاسم ابن أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني. وكان في الحقيقة هو صاحب الديار المصرية. ولي بعد أبيه، وامتدت أيامه. وكان شهما، مهيبا، بعيد الغور فحل الرأي. ولي وزارة السيف والقلم للمستعلي، ثم للآمر. وكانا معه صورة بلا معنى.

وكان قد أذن للناس في إظهار عقائدهم، وأمات شعار دعوة الباطنية، فمقتوه لذلك. وكان مولده بعكا سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وخلف من الأموال ما يستحيا [٢] من ذكره. وثب عليه ثلاثة من الباطنية فضربوه بالسكاكين فقتلوه. وحمل بآخر رمق، وقيل: [إن] الآمر دسهم عليه بتدبير أبي عبد الله

---

[١] في «آ» و «ط» : «شاه شاه» والتصحيح من «العبر» (٤/ ٣٤) و «دول الإسلام» (٢/ ٤٢) .

[٢] في «العبر» : «ما يستحى» . وكلاهما صواب.." (٢)

"وأنزل النير الأعلى إلى فلك ... مداره في القباء الخسرواني

طرف رنا أم قراب سل صارمه ... وأغيد ماس أم أعطاف خطي

أذلني بعد عز والهوى أبدا ... يستعبد الليث للظبي الكناسي

[ومنها أيضا] [١] :

وما يجن [٢] عقيقي الشفاه من ال ... ريق الرحيقي والثغر الجماني

لو قيل للبدر من في الأرض تحسده ... إذا تجلى لقال ابن الفلاني

أربى علي بشتى [٣] من محاسنه ... تألفت بين مسموع ومرئي

إباء فارس في لين الشآم مع الظ ... رف العراقي والنطق الحجازي

وما المدامة بالألباب أفتك من ... فصاحة البدر في ألفاظ تركي

وله أيضا:

أنكرت مقلته سفك دمي ... وعلا وجنته فاعترفت

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٨/٦

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٧٦/٦

[٤]

لا تخالوا خاله في خده ... قطرة من دم جفني نطفت

ذاك من نار فؤادي جذوة ... فيه ساخت وانطفت ثم طفت

وكانت ولادته سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة بطرابلس، ووفاته في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بحلب، ودفن بجبل جوشن، وزرت قبره ورأيت [٥] عليه مكتوبا:

من زار قبري فليكن موقنا ... أن الذي ألقاه يلقاه

فيرحم الله امرءا زارني ... وقال لي: يرحمك الله

---

[١] ما بين حاصرتين زيادة من «وفيات الأعيان» .

[٢] في «آ» و «ط» : «وما يحن» وما أثبته من «وفيات الأعيان» و «الوافي بالوفيات» .

[٣] في «آ» و «ط» : «بشيء» وما أثبته من «وفيات الأعيان» و «الوافي بالوفيات» .

[٤] في «آ» و «ط» : «فاحترقت» وأثبت لفظ «وفيات الأعيان» و «الوافي بالوفيات» .

[٥] في «ط» : «ووجدت» .." (١)

"سنة إحدى وخمسين وخمسمائة

فيها كما قال في «الشذور» كثر الحريق ببغداد في المحال ودام.

وفيها توفي أبو العباس أحمد بن الفرج بن راشد بن محمد المدني الوراق البغدادي الحنبلي [١] ، الحجة القاضي، من أهل المدينة، قرية فوق الأنبار [٢] .

ولد في عشر ذي الحجة سنة تسعين وأربعمائة، وقرأ القرآن بالروايات على مكي بن أحمد الحنبلي وغيره [وتفقه على عبد الواحد بن سيف.

وسمع من أبي منصور محمد بن أحمد الخازن وغيره، وشهد عند قاضي القضاة الزينبي، وولي القضاء بدجيل مدة.

وحدث، وروى عنه ابن السمعاني، وغيره] [٣] وتوفي يوم السبت سادس ذي الحجة، ودفن من الغد بمقبرة باب حرب.

وفيها أبو القاسم الحمامي إسماعيل بن علي بن الحسين النيسابوري ثم الأصبهاني الصوفي، مسند أصبهان، وله أكثر من مائة سنة. سمع سنة

---

[١] انظر «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٢٣٠) .

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٦/٢٤٣

[٢] قال ياقوت في «المشترك وضعا» ص (٣٨٩) : ومدينة الأنبار مجاورة لها، بناها السفاح وسكنها لما ولي الخلافة.

[٣] ما بين حاصرتين سقط من «آ» .." (١)

"ببغداد، وبنيسابور على محمد بن يحيى تلميذ الغزالي، وسمع جماعة، وانتفع به خلق كثير، واشتهر اسمه وطار صيته، وكان إماما في الفقه، والأصول، والخلاف، والجدل، مشارا إليه في ذلك، وكان يجري له وللمجير البغدادي بحوث ومحافل، ويشنع كل منهما على الآخر، وتوفي في شعبان.

وفيها المنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيسي [١] الملقب بأمير المؤمنين. بويع سنة ثمانين وخمسمائة بعد أبيه وسنه اثنتان وثلاثون سنة، وكان صافي اللون، جميلا، أعين، أفوه، أقنى، أكحل، مستدير اللحية، ضخما، جهوري الصوت، جزل الألفاظ، كثير الإصابة بالظن والفراسة، خبيرا، ذكيا، شجاعا، مقداما، محبا للعلوم، كثير الجهاد، ميمون التقية، ظاهري المذهب، معاديا لكتب الفقه والرأي [٢] ، أباد منها شيئا كثيرا **بالحريق**، وحمل الناس على التشاغل بالأثر. قاله في «العبر» .

وقال ابن الأهدل: طاب حاله وأظهر بهجة ملك عبد المؤمن، وتنصل للجهاد، وأجرى الأحكام على قانون الشرع، ولقب أمير المؤمنين كأبيه وجده. رحل إلى الأندلس، ورتب قواعدها، وعزم عليهم في الجهر بالبسملة [٣] في أول الفاتحة، ثم عاد إلى مراكش وهي كرسي ملكهم، فجاءه كتاب ملك الفرنج يتهدده، من جملة كتابه: باسمك اللهم فاطر السموات والأرض، وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته، فمزق يعقوب الكتاب، وكتب على ظهر قطعة منه: ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ٢٧: ٣٧ [النمل: ٣٧] الجواب ما ترى لا ما تسمع، وأنشد:

---

[١] انظر «العبر» (٤/ ٢٨٩) و «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣١١- ٣١٩) .

[٢] في «آ» و «ط» : «لكتب الفقه والفقه» والتصحيح من «العبر» .

[٣] في «آ» و «ط» : «بالتسمية» والتصحيح من «مرآة الجنان» (٣/ ٤٨٠) .." (٢)

"ويحثو علي الترب أوثق صاحب ... ويسلمني للقبر من هو مشفق

فيا رب كن لي مؤنسا يوم وحشتي ... فإني لما أنزلته لمصدق

وما ضرني أني إلى الله صائر ... ومن هو من أهلي أبر وأرفق

ومن شعره أيضا:

لا تجلسن بباب من ... يأبى عليك دخول داره

وتقول حاجاتي إلي ... ه يعوقها إن لم أداره

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٢٦١/٦

(٢) شذرات ا لذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٥٢٥/٦

اتركه واقصد ربها ... تقضى ورب الدار كاره

وتفقه على الشيخ موفق الدين خلق كثير، منهم ابن أخيه الشيخ شمس الدين عبد الرحمن. وروى عنه جماعة من الحفاظ وغيرهم، منهم ابن الدبيثي، والضياء، وابن خليل، والمنذري، وعبد العزيز بن طاهر بن ثابت الخياط المقرئ.

وتوفي- رحمه الله تعالى- بمنزله بدمشق يوم السبت يوم عيد الفطر، وصلي عليه من الغد، وحمل إلى سفح قاسيون فدفن به، وكان جمع عظيم لم ير مثله.

قال عبد الرحمن بن محمد [١] العلوي: كنا بجبل بني هلال، فرأينا على قاسيون ليلة العيد ضوءا عظيما، فظننا أن دمشق قد احترقت، وخرج أهل القرية ينظرون إليه، فوصل الخبر بوفاة الموفق، وسميت تربته بالروضة لأنه رؤي بعض الموتى المدفونون هناك في سرور عظيم، فسئل عن ذلك فقال: كنا في عذاب، فلما دفن عندنا الموفق صارت تربتنا روضة من رياض الجنة [٢] .

---

[١] في «آ» و «ط» : «محمد بن عبد الرحمن» والتصحيح من «ذيل طبقات الحنابلة» و «القلائد الجوهرية» .

[٢] أقول: في هذه القصة أيضا مبالغات. (ع) .." (١)

"خمس مجلدات. وشرح «نونية» السخاوي في مجلد. وله كتاب «الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية» وكتاب «الذيل» عليهما. وكتاب «ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري» وكتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» وكتاب «السواك» وكتاب «كشف حال بني عبيد» و «مفردات القراء» و «مقدمة» في النحو، وشرح «مفصل» الزمخشري، و «شيوخ [١] البيهقي» . وله غير ذلك، وأكثر تصانيفه لم يفرعها.

ومن نظمه قوله:

أيا لائمي ما لي سوى البيت موضع ... أرى فيه عزا إنه لي أنفع

فراشي ونطعي فروتي ثم جبتي ... لحافي وأكلي ما يسد ويشبع

ومركوبي الآن الأتان ونجلها ... لأخلاق أهل العلم والدين أتبع

وقد يسر الله الكريم بفضله ... غني النفس مع عيش به أتقنع

وما دمت أرضى باليسير فإنني ... غني أرى هولا لغيري أخضع

ووقف كتبه بخزانة العادلية، وشرط أن لا تخرج فاحترقت جملة.

وقال ابن ناصر الدين [٢] : كان شيخ الإقراء، وحافظ العلماء حافظا، ثقة، علامة، مجتهدا، [ذا فنون] .

وقال الإسنوي: وجرت له محنة في سابع جمادى الآخرة، سنة خمس وستين وستمائة، وهو أنه كان في داره بطواحين الأشنان [٣] فدخل عليه رجلان جليلان [٤] في صورة مستفتيين، ثم ضرباه ضربا مبرحا إلى أن عيل صبره،

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ١٦٢/٧

[١] تحرفت في «آ» و «ط» إلى «وشرح البيهقي» والتصحيح من «الوافي بالوفيات» و «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة.

[٢] في «التبيان شرح بديعة البيان» (١٨١/ آ) وما بين الحاصرتين زيادة منه.

[٣] تحرفت في «طبقات الشافعية» للإسنوي إلى «الأشنا» فتصحح.

[٤] تنبيه: كذا في «آ» و «ط» : «جليلان» وهو وهم تبع فيه المؤلف الإسنوي في «طبقات الشافعية» وتبعهما ابن شقدة في «المنتخب» (١٨٣/ آ) والصحيح «جبليان» كما في «الوافي بالوفيات» .." (١)

"كبار علماء الشيعة، عارفا بمذهبهم، وله صيت عظيم بالحلة والكوفة، وعنده دين وأمانة.

وفيها عبد الملك بن العجمي الحلبي [١] . كان فاضلا.

ومن شعره في مليح في عنقه شامة واسمه العز:

العز بدر ولكن إن شامته ... مسروقة من دجى صدغيه والغسق

وإنما حبة القلب التي احترقت ... في حبه علقت للظلم في العنق

وفيها عماد الدين عبد الرحمن بن أبي الحسن بن يحيى الدمنهوري [٢] كان فقيها شافعيا [٣] ، فاضلا إماما. تولى إعادة المدرسة الصالحية بالقاهرة، وصنف كتابه المشهور في الاعتراض على التنبيه، وقد أساء التعبير في مواضع منه.

ولد بدمنهور الوحش من أعمال الديار المصرية في ذي القعدة، سنة ست وستمائة، وتوفي في شهر رمضان. قاله الإسنوي في «طبقاته» .

---

[١] لم أعثر على ترجمة له فيما بين يدي من المصادر.

[٢] انظر «طبقات الشافعية الكبرى» (٨/ ١٨٩) و «طبقات الشافعية» للإسنوي (١/ ٥٥١) و «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٢/ ١٧١- ١٧٢) و «حسن المحاضرة» (١/ ٤٢٠) .

[٣] لفظة «شافعيا» لم ترد في «ط» وأثبتت فيها لفظة «الشافعي» عقب لفظة «الدمنهوري» .." (٢)

"سنة إحدى وثمانين وستمائة

فيها وصلت رسل أحمد بن هولاكو [١] بأنه استقر في المملكة إلى بغداد عوض أخيه، وأمر ببناء المساجد والجوامع وإقامة الشرع الشريف على ما كان في زمن الخلفاء، ووصلت رسله إلى الشام وإلى مصر [٢] . وكان منهم الشيخ قطب الدين الشيرازي.

وفيها كان بدمشق الحريق العظيم الذي لم يسمع بمثله، أقامت النار ثلاثة أيام ليلا ونهارا. وكان مبدؤه من الذهبيين. وذهب للناس شيء كثير، ولكن لم يحترق فيه أحد من الناس. ومن جملة ما ذهب فيه [٣] للشيخ شمس الدين الكتبي،

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٥٥٤/٧

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٦٠١/٧

عرف بالفاشوشة خمسة عشر ألف مجلد.

وحكى السيد جمال الدين بن السراج البصروي، قال: بتنا [٤] في الجامع، وإذا الهواء ألقى ورقة من **الحريق**، مكتوب فيها:

سلم الأمر راضيا ... جف بالكائن القلم

ليس في الرزق حيلة ... إنما الرزق في القسم

---

[١] في «آ» و «ط» : «هلاكو» .

[٢] في «آ» و «ط» : «ومصر» .

[3] لفظة «فيه» سقطت من «ط» .

[٤] تصحفت في «ط» إلى «تبنا» .." (١)

"وفيها ابن البارزي قاضي حماة، وابن قاضيها، وأبو قاضيها، الإمام نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم ابن هبة الله الجهني الشافعي [١] .

ولد بحماة سنة ثمان وستمائة، وسمع من موسى بن عبد القادر، وكان بصيرا بالفقه والأصول والكلام، له ديانة متينة وصدق وتواضع وشعر بديع.

منه:

إذا شمت من تلقاء أرضكم برقا ... فلا أضلعي تهدا ولا أدمعي ترقا

وإن ناح فوق البان ورق حمائم ... سحيرا فنوحي في الدجى علم الورقا

فرقوا لقلب في ضرام غرامه ... **حريق** وأجفان بأدمعها غرقى

سميري من سعد خذا نحو أرضهم ... يمينا ولا تستبعدا نحوها الطرقا

وعوجا على أفق توشح شيحه ... بطيب الشذا المسكي [٢] أكرم به أفقا

فإن به المغني الذي بترابه ... وذكراه يستشفى لقلبي ويسترقى

ومن دونه عرب يرون نفوس من ... يلوذ بمغناهم حلالا لهم طلقا

بأيديهم بيض بها الموت أحمر ... وسمر لدى هيجائهم تحمل الزرقا

وقولا محبا للشآم [٣] غدا لقى ... لفرقة قلب بالحجاز غدا ملقى

تعلقكم في عنفوان شبابه ... ولم يسل عن ذاك الغرام وقد أنقى

وكان يمني النفس بالقرب فاغتدى ... بلا أمل إذ لا يؤمل أن يبقى

عليكم سلام الله أما ودادكم ... فباق وأما البعد عنكم فما أبقى [٤]

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٦٤٦/٧

توفي في تبوك في ذي القعدة، فحمل إلى المدينة المنورة.

---

[١] انظر «العبر» (٥/ ٣٤٣) و «الإعلام بوفيات الأعلام» ص (٢٨٥) و «فوات الوفيات» (٢/ ٣٠٦- ٣٠٨) و «النجوم الزاهرة» (٧/ ٣٦٤) .

[٢] في «آ» و «ط» : «المكي» والتصحيح من «فوات الوفيات» .

[٣] في «فوات الوفيات» : «محب بالشآم» .

[٤] هذا البيت لم يرد في «فوات الوفيات» .." (١)

"روى عن القزويني، وابن الزبيدي وجماعة. وروى الكثير، وتوفي في المحرم وله ثلاث وثمانون سنة.

وفيها الشيخ إسماعيل بن إبراهيم بن شويخ الصالحي، شيخ البكرية [١] .

كان ينتسب لأبي بكر رضي الله عنه، وله أصحاب وفيه خير وسكون مات كهلا.

وفيها ابن الفراء العدل المسند الكبير عز الدين أبو الفداء إسماعيل بن عبد الرحمن بن عمر المرداوي الصالحي الحنبلي [٢] .

روى عن الموفق وابن راجح، وابن البن، وجماعة. وروى «الصحيح» مرات. وكان صالحا، متواضعا، متعبدا. قاسى الشدائد عام أول، واحترقت أملاكه.

توفي في سادس جمادى الآخرة وله تسعون سنة. قاله في «العبر» .

وفيها أبو جلنك أحمد الحلبي [٣] الشاعر المشهور، أسره التتر بحلب فسألوه عن عسكر المسلمين فعظمهم وكثرهم فقتلوه.

ومن شعره:

أتى العذار بماذا أنت معتذر ... وأنت كالوجد لا تبقي ولا تذر

لا عذر يقبل إذ نم العذار ولا ... ينجيك من شره خوف ولا حذر

---

[١] انظر «العبر» (٥/ ٤١٠) وفيه: «ابن سونح» .

[٢] انظر «العبر» (٥/ ٤١٠) و «معجم الشيوخ» (١/ ١٧٥) . و «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٦٥) .

[٣] لم أعثر على ترجمة له فيما بين يدي من المصادر.." (٢)

"سنة خمس وثلاثين وسبعمائة

فيها وقع بحماة حريق كبير ذهبت به الأموال، واحترق مائتان وخمسون دكانا. قاله في «العبر» .

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٦٦٧/٧

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٧٩٥/٧

وفيها توفي بدمشق رئيس المؤذنين وأطيبهم صوتا برهان الدين إبراهيم بن محمد الخلاطي الواني الشافعي [١] .

حدث عن الرضي بن البرهان، وابن عبد الدائم وجماعة، ومات في صفر عن أكثر من تسعين سنة.

وفيها نصير الدين أحمد بن عبد السلام بن تميم بن أبي نصر بن عبد الباقي بن عكبر البغدادي [٢] المعمر الحنبلي.

سمع الكثير من عبد الصمد بن أبي الجيش، وابن وضاح، وهذه الطبقة.

وحدث وسمع منه خلق، وتفقه، وأعاد بالمدرسة البشيرية للحنابلة، وأضر في آخر عمره، وانقطع في بيته.

وكان يذكر أنه من أولاد عكبر الذي تاب هو وأصحابه من قطع الطرق [٣] لرؤيته عصفورا ينقل رطبا من نخلة إلى أخرى حائل، فصعد فنظر حية عمياء والعصفور يأتيها برزقها، فتاب هو وأصحابه. ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» [٤] .

توفي صاحب الترجمة في جمادى الأولى ببغداد عن خمس وتسعين سنة.

---

[١] انظر «الإعلام بوفيات الأعلام» ص (٣١٠) و «ذيول العبر» ص (١٨٥) و «الدرر الكامنة» (١/ ٥٦) .

[٢] انظر «الدرر الكامنة» (١/ ١٧١) .

[٣] في «ط» : «الطريق» .

[٤] وذكر ابن الجوزي قصته في «كتاب التوابين» ص (٢٢٢- ٢٢٣) بأطول مما هنا فلتراجع.." (١)

"وفيها الخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله [١] .

ولد في نصف المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة، واشتغل قليلا، وبويع بالخلافة بعهد من أبيه في جمادى الأولى، سنة إحدى وسبعمائة، وخطب له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية، وصارت البشارة بذلك إلى جميع الأقطار والممالك الإسلامية، وكانوا يسكنون بالكبش، فنقلهم السلطان إلى القلعة وأفرد لهم دارا.

وتوفي بقوص، وكانت خلافته ثمانيا وثلاثين سنة.

وبويع أخوه إبراهيم بغير عهد.

وفيها قبض على الصاحب شرف الدين عبد الوهاب القبطي [٢] في صفر وصودر، واستصفيت حواصله بمباشرة الأمير سيف الدين شنكر الناصري ومن جملة ما وجد له صندوق ضمنه تسعة عشر ألف دينار وأربعمائة مثقال لؤلؤ كبار، وصليب مجوهر، ووجد بداره كنيسة مرخمة بمحاريبها الشرقية ومذابحها وآلاتها، واستمر الملعون في العقوبة حتى هلك في ربيع الآخر.

وفيه ا في ليلة السادس والعشرين من شوال وقع بدمشق حريق كبير شمل اللبادين القبلية وما تحتها وما فوقها، إلى عند سوق الكتب، واحترق سوق الوراقين، وسوق الذهب، وحاصل الجامع وما حوله، والمأذنة الشرقية، وعدم للناس فيه من الأموال والمتاع ما لا يحصر. قاله في «العبر» [٣] ، والله أعلم.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ١٩١/٨

وفيها الحسن بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي [٤] .

قال في «تاريخ غرناطة» : كان أديبا، فقيها، نحويا، أخذ عن ابن [٥] خميس، وأبي الحسن القيجاطي.

---

[١] انظر «ذيول العبر» ص (٢١٤) و «النجوم الزاهرة» (٩/ ٣٢٢) و «الدرر الكامنة» (٢/ ١٤١) و «تاريخ الخلفاء» ص (٣٢١) .

[٢] انظر «ذيول العبر» ص (٢١٤- ٢١٥) .

[٣] انظر «ذيول العبر» ص (٢١٣- ٢١٤) .

[٤] انظر «بغية الوعاة» (١/ ٤٩٤) .

[٥] في «آ» و «ط» : «أبي خميس» والتصحيح من «بغية الوعاة» مصدر المؤلف.." (١)

"سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة

فيها على ما قاله في «ذيل الدول» [١] قبض السلطان على الوزير علم الدين بن زنبور، وصودر بعد الضرب والعذاب، فكان المأخوذ منه من النقد ما ينيف على ألفي ألف دينار، ومن أواني الذهب والفضة نحو ستين قنطارا، ومن اللؤلؤ نحو إردبين، ومن الحياصات الذهب ستة آلاف، ومن القماش المفصل نحو ألفين وستمائة قطعة، وخمسة وعشرين معصرة سكر، ومائتي بستان، وألف وأربعمائة ساقية. ومن الخيل والبغال ألف. ومن الجواري سبعمائة، ومن العبيد مائة، ومن الطواشية سبعين [٢] ، إلى غير ذلك.

وفي صفر كان **الحريق** العظيم بباب جيرون.

وفيها توفي أمير المؤمنين أبو العباس الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي العباسي [٣] .

كان أبوه لما مات بقوص عهد إليه بالخلافة، فقدم الملك الناصر عليه إبراهيم ابن عمه لما كان في نفسه من المستكفي، وكانت سيرة إبراهيم قبيحة، وكان القاضي عز الدين بن جماعة قد جهد كل الجهد في صرف السلطان عنه فلم

---

[١] ذكره الحافظ السخاوي في «الذيل التام على دول الإسلام» في الورقة (٦١) من المنسوخ منه، ويقوم بتحقيقه صديقي الفاضل الأستاذ حسن إسماعيل مروة، وقد فرغ من تحقيق المجلد الأول منه وهو تحت الطبع الآن في بيروت، وانظر «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٤٦) و «الدرر الكامنة» (٣/ ٢٤٠- ٢٤١) .

[٢] في «الذيل التام على دول الإسلام» : «ستين» .

[٣] انظر «ذيول العبر» ص (٢٨٩) و «المنهل الصافي» (١/ ٢٩١) و «الدليل الشافي» (١/ ٤٨) و «النجوم الزاهرة» (١٠/ ٢٩٠) و «الدرر الكامنة» (١/ ١٣٧) و «تاريخ الخلفاء» ص (٤٩٠- ٥٠٠) .." (٢)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٢٢٢/٨

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٢٩٦/٨

"سنة سبع وخمسين وسبعمائة

وقع فيها في جمادى الآخرة **حريق** بدمشق ظاهر باب الفرج لم يعهد مثله، بحيث كانت عدة الحوانيت المحرقة سبعمائة سوى البيوت [١] .

وفيها توفي كمال الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن أحمد [بن أحمد] [٢] بن مهدي، الإمام العالم الورع المصري الشافعي النشائي [٣]- بالنون والمعجمة مخففا، نسبة إلى نشا قرية بريف مصر-.

ولد في ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وستمائة، وسمع من الحفاظ الدمياطي، ورضي الدين الطبري، وجماعة. واشتغل على والده وغيره من مشايخ العصر، ودرس بجامع الخطيري [٤] وخطب به، وأم أول ما بني، وأعاد بالظاهرية والصالحية، وغيرها. وصنف التصانيف المفيدة الجامعة المحررة، منها «المنتقى» في خمس مجلدات، و «جامع المختصرات» وشرحه في ثلاث مجلدات. و «نكت التنبيه» وهو كتاب مفيد، و «الإبريز في الجمع بين الحاوي والوجيز» و «كشف غطاء الحاوي» و «مختصر سلاح المؤمن» وكلامه في مصنفاته قوي مختصر جدا. وفي فهمه عسر، فلذلك أحجم كثير من الناس عن مصنفاته.

وسمع منه، وحدث عنه زين الدين العراقي، وابن رجب الحنبلي.

---

[١] ذكر هذا الخبر الحافظ السخاوي بتوسع في «الذيل التام على دول الإسلام» فراجعه فهو مفيد.

[٢] ما بين الرقمين لم يرد في «آ» ومعظم المصادر.

[٣] انظر «ذيول العبر» ص (٣١١) و «طبقات الشافعية الكبرى» (١٠/ ١٩) و «طبقات الشافعية» للإسنوي (٢/ ٥١٠) و «النجوم الزاهرة» (١٠/ ٣٢٣- ٣٢٤) و «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣/ ١٢- ١٥) و «الدرر الكامنة» (١/ ٢٢٤- ٢٢٥) و «حسن المحاضرة» (١/ ٢٣٩) .

[٤] هو جامع الأمير أيدمر الخطيري ببولاق. انظر «النجوم الزاهرة» (٨/ ٢٢٣) الحاشية رقم (٢) .." (١)

"سنة أربع وسبعين وسبعمائة

فيها كان الوباء الكثير بدمشق، دام قدر ستة أشهر، وبلغ العدد [١] في كل يوم مائتي نفر.

وفيها كان **الحريق** بقلعة الجبل داخل الدور السلطانية، استمر أياما وفسد منه شيء كثير، ويقال: إن أصله من صاعقة وقعت.

وفيها توفي إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الجعفري الدمشقي الحنفي [٢] .

برع في الفقه، وناب في الحكم، ودرس، وتوفي في المحرم.

وفيها إبراهيم بن محمد بن عيسى بن مطير اليمني [٣] .

كان عالما، صالحا، عارفا بالفقه، درس وأفتى، وحدث عن أبيه، وكان [٤] مقيما بأبيات حسين من سواحل اليمن.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٣١٢/٨

وكان يلقب ضياء الدين. وسمع من الحجري وغيره، وحدث. قاله ابن حجر.

وفيها أحمد بن رجب بن حسين بن محمد بن مسعود البغدادي [٥] نزيل دمشق، والد الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي.

---

[١] يعني عدد الموتى.

[٢] انظر «الوفيات» لابن رافع (٢/ ٣٩٦- ٣٩٧) و «ذيل العبر» لابن العراقي (٢/ ٣٤٦) و «إنباء الغمر» (١/ ٤١) و «الدرر الكامنة» (١/ ٨) .

[٣] انظر «إنباء الغمر» (١/ ٤٢) و «الدرر الكامنة» (١/ ٦٥) .

[٤] في «ط» : «فكان» .

[٥] انظر «إنباء الغمر» (١/ ٤٢- ٤٣) و «الدرر الكامنة» (١/ ١٣٠) .." (١)

"سنة ثمانين وسبعمائة

فيها كان **الحريق** العظيم بمصر بدار التفاح ظاهر باب زويلة، لولا أن السور منع النار النفوذ لاحترق أكثر المدينة، وأقام الناس في شيل التراب أكثر من ثلاثة أشهر.

وفيها برهان الدين إبراهيم بن عبد الله الحكري المصري [١] .

قال ابن حجر: ولي قضاء المدينة، وكان عارفا بالعربية، وشرح «الألفية» ثم رجع فمات بالقدس في جمادى الآخرة، وقد ناب في الحكم عن البلقيني في الخليل والقدس، وأم عنه نيابة في الجامع بدمشق.

وفيها أبو العباس أحمد بن سليمان بن محمد العدناني البرشكي- بكسر الموحدة والراء وسكون المعجمة بعدها كاف -[٢].

قال ابن حجر: ولد صاحبنا المحدث زين الدين عبد الرحمن.

روى عن الوادياشي، والشريف المغربي، واشتغل ومهر، وله حواش على «رياض الصالحين» للنووي في مجلد، وله تأليف.

روى عنه عبد الله بن مسعود بن علي بن القرشية وغيره، من أهل تونس.

وفيها أحمد بن عبد الله العجمي المعروف بأبي ذر [٣] .

قدم مصر بعد أن صحب الشريف حيدر بن محمد، فأقام مدة ثم رجع إلى

---

[١] انظر «إنباء الغمر» (١/ ٢٧٧) .

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٣٩٦/٨

[٢] انظر «إنباء الغمر» (١/ ٢٧٨) .

[٣] انظر «إنباء الغمر» (١/ ٢٧٩) .." (١)

"سنة أربع وتسعين وسبعمائة

في شعبانها كان **الحريق** العظيم بدمشق، **فاحترقت** المئذنة الشرقية وسقطت، **واحترقت** الصاغة والدهشة، وتلف من الأموال ما لا يحصى، وعمل في ذلك تقي الدين ابن حجة الحموي «مقامة» في نحو عشرة أوراق من رائق النثر وفائق النظم، وهي أعجوبة في فنها. قاله ابن حجر.

وفيها ثار الغلاء المفرط بدمشق.

وفيها رجع تمرلنك إلى بلاد العراق في جمع عظيم، فملك أصبهان، وكرمان، وشيراز، وفعل بها الأفاعيل المنكرة، ثم قصد شيراز، فتهيأ منصور شاه لحربه، فبلغ تمرلنك اختلاف من في سمرقند فرجع إليها فلم يأمن منصور من ذلك، بل استمر على حذره، ثم تحقق رجوع تمرلنك، فأمن، فبغته تمرلنك، فجمع أمواله وتوجه إلى هرمز، ثم انثنى عزمه، وعزم على لقاء تمرلنك، فالتقى بعسكره وصبروا صبر الأحرار، لكن الكثرة غلبت الشجاعة، فقتل منصور في المعركة ثم استدعى ملوك البلاد فأتوه طائعين، فجمعهم في دعوة وقتلهم أجمعين.

وفيها توفي ناصر الدين إبراهيم بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن إسماعيل بن عمر بن بختيار [١] الصالحي، المعروف بابن السلار [٢] .

ولد سنة أربع وسبعمائة، وسمع من عبد الله بن أحمد بن تمام، وابن الزراد، وست الفقهاء بنت الواسطي، وهو آخر من روى عن الدمياطي بالإجازة، وكان له نظم ونباهة ونوادر ومجاميع مشتملة على غرائب مستحسنة.

---

[١] في «آ» و «ط» : «ابن مختار» والتصحيح من مصدري الترجمة.

[٢] انظر «إنباء الغمر» (٣/ ١٢٤) و «الدرر الكامنة» (١/ ٢١) .." (٢)

"سنة ثمانمائة

فيها نازل تمرلنك الهند فغلب على ولي كرسي المملكة، وفتك على عادته، وخرب، وكان توجه إليها على طريق غريبة على البر ووصل زحفه [١] إلى اليمن، وكان السبب المحرك له على ذلك أن فيروز شاه ملك الهند مات فبلغه ذلك فسمت نفسه إلى الاستيلاء على أمواله، فتوجه في عساكره، وكان فيروز شاه لما مات قام بالأمر بعده يلوا [٢] الوزير، واستقر في المملكة، فقصده اللنك فاستقبله يلوا بجد وصدر أمام عسكره الفيلة عليها المقاتلة، فلما استقبلتها خيل اللنك هربت منها، فبادر اللنك وأمر باستعمال قطع من الحديد على صفة الشوك وألقاها في المنزلة التي كان بها، فلما أصبحوا واصطفوا للقتال أمر عساكره بالتقهقر إلى خلف، فظنوا أنهم انهزموا، فتبعوهم، فاجتازت الفيلة على ذلك الشوك

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٨/٤٥٧

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٨/٥٦٨

الكائن في الأرض فجفلت منه أعظم من جفل الخيل منها، ورجعت القهقرى من ألم الحديد، فكانت أشد عليهم من عدوهم، بحيث طحنت المقاتلة الرجالة [٣] والفرسان، فانهزموا بغير قتال.

وفيها في شوال كان **الحريق** العظيم بدمشق عم الحريريين والقواسين والسيوفيين [٤] وبعض النحاسين [٥] ، ووصلت النار إلى حائط الجامع، وإلى قرب

---

[١] في «إنباء الغمر» : (رجيفه) وانظر التعليق عليه.

[٢] في «إنباء الغمر» : (ملو) وانظر التعليق عليه.

[٣] في «آ» و «ط» : «الرجال» وهو خطأ والتصحيح من «إنباء الغمر» (٣/ ٣٧٥) مصدر المؤلف.

[٤] في «ط» : «السوفيين» وهو خطأ.

[٥] تصحفت في «ط» إلى «النخاسين» .." (١)

"النورية، **واحترقت** الجوزية، وحمام نور الدين، وغير ذلك. وأقام من يوم السبت العشرين من شوال إلى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه [١] .

وفيها برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة الحنبلي، المعروف بالقاضي [٢] الشيخ الإمام الصالح، أخو الحافظ شمس الدين.

حضر على الحجار، وسمع من أحمد بن علي الحريري، وعائشة بنت المسلم، وزينب بنت الكمال، وحدث، فسمع منه الحافظ ابن حجر، وتوفي في شوال.

وفيها إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد [بن عبد المؤمن بن سعيد] [٣] بن علوان بن كامل التنوخي البعلي ثم الشامي [٤] ، نزيل القاهرة الشافعي، شيخ الإقراء، ومسند القاهرة.

ولد سنة تسع أو عشر وسبعمائة، وأجاز له إسماعيل بن مكتوم، وابن عبد الدائم، والقاسم بن عساكر، وجمع كثير يزيدون على الثلاثمائة، ثم طلب الحديث بنفسه، فسمع الكثير من أبي العباس الحجار، والبرزالي، والمزي، وخلق كثير يزيدون [٥] على المائتين، وعني بالقراءات فأخذ عن البرهان الجعبري، والبرقي، وغيرهما. ثم رحل فأخذ عن أبي حيان، وابن السراج وغيرهما، ومهر في القراءات، وكتب مشايخه له خطوطهم بها، وتفقه على المازري بحماة، وابن النقيب بدمشق، وابن القماح بالقاهرة، وغيرهم، وأذنوا له، وأفاد، وحدث قديما.

قال ابن حجر: قرأت عليه الكثير، ولازمته طويلا، وخرجت له عشاريات

---

[١] انظر «إنباء الغمر» (٣/ ٣٨٢) .

[٢] انظر «إنباء الغمر» (٣/ ٣٩٨) و «الدرر الكامنة» (١/ ١٠) و «السحب الوابلة» ص (٢٢) .

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٦١٨/٨

[٣] ما بين القوسين سقط من «آ» .

[٤] انظر «إنباء الغمر» (٣/ ٣٩٨) .

[٥] في «ط» : «يزيد» .." (١)

"سنة اثنتين وثمانمائة

في آخر شوال وقع بالحرم المكي **حريق** عظيم أتى على نحو ثلثه واحترق من العمد الرخام مائة وثلاثون عمودا صارت كلسا والذي احترق من باب العمرة إلى باب حزورة.

وفيها توفي إبراهيم بن عبد الرحمن بن سليمان السرائي الشافعي [١] .

قدم القاهرة، وولي مشيخة الرباط بالبيرسية، وكان يعرف بإبراهيم شيخ، واعتنى بالحديث كثيرا، ولازم الشيخ زين الدين العراقي، وحصل النسخ الحسنة، واعتنى بضبطها وتحسينها، وكان يحفظ «الحاوي» ويدرس غالبه، مع الخير والدين، ومن لطائف قوله: كان أول خروج تمرلنك في سنة (عذاب) يشير [إلى] [٢] أن أول [٣] ظهوره سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، وكان يحسن عمل صنائع عديدة، مع الدين والصيانة.

وتوفي في ربيع الأول.

وفيها إبراهيم بن محمد بن عثمان بن إسحاق الدجوي- بضم الدال المهملة وسكون الجيم وبالواو، نسبة إلى دجوة قرية على شط النيل الشرقي على بحر رشيد- ثم المصري [٤] النحوي.

---

[١] ترجمته في «إنباء الغمر» (٤/ ١٤٣) و «الضوء اللامع» (١/ ٥٨) .

[٢] سقطت من «آ» و «ط» واستدركتها من «إنباء الغمر» مصدر المؤلف.

[٣] لفظة «أول» سقطت من «ط» .

[٤] ترجمته في «إنباء الغمر» (٤/ ١٤٤) و «الضوء اللامع» (١/ ١٥٣) و «بغية الوعاة» (١/ ٤٢٧) وفيه وفاته سنة (٨٣٠ هـ) .." (٢)

"اشتغل، ومهر، وكان قاضي بلده مدة، ثم ولي قضاء حلب بعد الفتنة العظمى دون الشهر، فاغتيل بعد صلاة الصبح، ضرب في خاصرته فمات ثالث عشر شوال، وكانت سيرته حسنة وفيه سكون.

وفيها تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز قاضي القضاة ابن الدميري [١] المالكي [٢] .

كان إماما في الفقه والعربية وغيرهما، وتصدر للإفتاء والتدريس عدة سنين، وانتفع به الطلبة، ثم ولي قضاء قضاة المالكية، بالديار المصرية فحمدت سيرته، ولم يزل ملازما للاشتغال والأشغال، وقد انتهت إليه رئاسة السادة المالكية في زمنه.

وتوفي يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٦١٩/٨

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٢٦/٩

وفيها سعد الدين بن يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن يعقوب بن سرور بن نصر بن محمد النووي ثم الخليلي الشافعي [٣] .

ولد سنة تسع وعشرين وسبعمائة، وقدم دمشق بعد الأربعين فاشتغل بها ومهر، وأخذ عن الذهبي، وشمس الدين بن نباتة وغيرهما، وحمل عن التاج المراكشي، وابن كثير، وقرأ عليه «مختصره» في علم الحديث، وأذن له، وحدث، وأفتى، ودرس.

قال ابن حجي: كان ذا ثروة جيدة فاحترقت داره في الفتنة، وأخذ ماله فافتقر فاحتاج أن يجلس مع الشهود، ثم ولي قضاء بعض القرى وقضاء بلد الخليل عليه السلام، فمات هناك في جمادى الأولى.

وفيها سارة بنت علي بن عبد الكافي السبكي [٤] .

---

[١] تحرفت في «آ» و «ط» إلى «الديري» والتصحيح من مصادر الترجمة.

[٢] ترجمته في «إنباء الغمر» (٥/ ٩٨) و «الضوء اللامع» (٣/ ١٩) و «نيل الابتهاج» ص (١٠١) .

[٣] ترجمته في «إنباء الغمر» (٥/ ١٠٠) و «الضوء اللامع» (٣/ ٢٥٤) .

[٤] ترجمتها في «إنباء الغمر» (٥/ ١٠٢) و «الضوء اللامع» (١٢/ ٥١) و «أعلام النساء» (٢/ ١٣٨) .." (١)

"من الميدان، ثم تحول منه إلى دار وهدمه وحرقه، وعبر المدينة من باب الصغير، حتى صلى الجمعة بجامع بني أمية، وقدم القاضي الحنفي محمود بن الكشك للخطبة والصلاة، ثم جرت مناظرات [١] بين إمامه عبد الجبار، وفقهاء دمشق، وهو يترجم عن تيمور بأشياء، منها وقائع علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع معاوية، وما وقع ليزيد بن معاوية مع الحسين، وأن ذلك كله كان بمعاونة أهل دمشق له، فإن كانوا استحلوه فهم كفار، وإلا فهم عصاة بغاة، وإثم هؤلاء على أولئك، فأجابوه بأجوبة قبل بعضها ورد البعض، ثم قام من الجامع وجد في حصار القلعة حتى أعياه أمرها، ولم يكن بها يومئذ إلا نفر يسير جدا، ونصب عليها عدة مناجيق، وعمر تجاها قلعة عظيمة من خشب، فرمى من بالقلعة على القلعة التي عمرها بسهم فيه نار فاحترقت عن آخرها، فأنشأ قلعة أخرى، ثم سلموها له بعد أربعين يوما بالأمان، ولما أخذ تيمور قلعة دمشق أباح لمن معه النهب والسبي [٢] ، والقتل والإحراق، فهجموا المدينة ولم يدعوا بها شيئا قدروا عليه، وطرحوا على أهلها أنواع العذاب، وسبوا النساء والأولاد، وفجروا بالنساء جهارا، ولا زالوا على ذلك أياما، وألقوا النار في المباني حتى احترقت بأسرها، ورحل عنها يوم السبت ثالث شعبان سنة ثلاث وثمانمائة، ثم اجتاز بحلب وفعل بأهلها ما قدر عليه، ثم على الرها وماردين، ثم على بغداد وحصرها أيضا حتى أخذها عنوة في يوم عبد النحر من السنة ووضع السيف في أهلها، وألزم جميع من معه أن يأتي كل واحد منهم برأسين من رؤوس أهلها، فوقع القتل، حتى سالت الدماء أنهارا وقد أتوه بما التزموه، فبنى من هذه الرؤوس مائة وعشرين مئذنة، ثم جمع أموالها وأمتعتها وسار إلى قرى باغ فجعلها خرابا بلقعا.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٧٨/٩

ثم قال ابن حجر: فلما كان سنة أربع وثمانمائة قصد بلاد الروم فغلب عليها

أقيمت التكية على عهد العثمانيين حكام آخر الدول الإسلامية الكبرى. انظر «غوطة دمشق» لكرد علي ص (١٨٥) .

[١] في «ط» : «مناظرة» .

[٢] في «ط» : «والسلب» .." (١)

"سنة ثلاث عشرة وثمانمائة

في ليلة الحادي والعشرين من محرمها اجتمع رجلان من العوام بدمشق فشربا الخمر فأصبحا محروقين ولم يوجد بينهما نار ولا أثر حريق في غير بدنهما وبعض ثيابهما، وقد مات أحدهما وفي الآخر رمق، فأقبل الناس أفواجا لرؤيتهما في [١] والاعتبار بحالهما [٢] .

وفيها كانت الحادثة العظيمة [٣] بفاس من بلاد المغرب حتى خربت [٤] .

وفيها توفي شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن رضوان الحريري الدمشقي، المعروف بالسلاوي الشافعي [٥] .

ولد سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة أو نحوها، وسمع من ابن رافع، وابن كثير، وتفقه على علاء الدين ابن حجي، والتقي الفارقي، وسمع الحديث بنفسه فأخذه عن جده محمد بن عمر السلاوي، وتقي الدين بن رافع، وابن كثير. ثم أخذ في قراءة المواعيد، وقرأ «الصحيح» مرارا على عدة مشايخ، وعلى العامة، وكان صوته حسنا وقراءته جيدة، وولي قضاء بعلبك سنة ثمانين، ودرس وأفتى، ثم ولي قضاء المدينة، ثم تنقل في ولاية القضاء بصفد، وغزة، والقدس، وغيرها.

وكان كثير العيال.

وتوفي في صفر.

---

[١] في «ط» : «إلى رؤيتهما» .

[٢] انظر «إنباء الغمر» (٦/ ٢٢٦) .

[٣] في «آ» : «العظيمي» وما جاء في «ط» موافق لما في «إنباء الغمر» مصدر المؤلف.

[٤] انظر «إنباء الغمر» (٦/ ٢٣٦) .

[٥] ترجمته في «إنباء الغمر» (٦/ ٢٤٤) و «الضوء اللامع» (٢/ ٨١) .." (٢)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٩٩/٩

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ١٤٩/٩

"الإسكندرية، واستمر يقرئ بها، ويحكم، ويتكسب بالتجارة، ثم قدم القاهرة، وعين للقضاء لم يتفق له، ودخل دمشق سنة ثمانمائة، وحج منها، وعاد إلى بلده، وتولي خطابة الجامع، وترك الحكم، وأقبل على الاشتغال، ثم أقبل على أشغال الدنيا وأمورها، فتعانى الحياكة، وصار له دولاب متسع، **فاحترقت** داره، وصار عليه مال كثير، ففر إلى الصعيد، فتبعه غرماؤه، وأحضروه مهانا إلى القاهرة، فقام معه الشيخ تقي الدين بن حجة، وكاتب السر ناصر الدين البارزي، حتى صلحت حاله، ثم حج سنة تسع عشرة، ودخل اليمن سنة عشرين، ودرس بجامع زبيد نحو سنة فلم يرج له بها أمر، فركب البحر إلى الهند، فحصل له إقبال كثير، وعظموه، وأخذوا عنه، وحصل له دنيا عريضة، فبغته الأجل ببلد كلبرجة من الهند في شعبان، قتل مسموما.

وله من التصانيف: «شرح الخزرجية» و «جواهر البحور» في العروض، و «تحفة الغريب في شرح مغني اللبيب» و «شرح البخاري» و «شرح التسهيل» و «الفواكه البدرية» من نظمه و «مقاطع الشرب ونزول الغيث» وهو حاشية على الغيث الذي انسجم في «شرح لامية العجم» للصفدي و «عين الحياة» مختصر «حياة الحيوان» للدميري، وغير ذلك.

روى لنا عنه غير واحد.

ومن شعره:

رماني زماني بما ساءني ... فجاءت نحوس وغابت سعود

وأصبحت بين الورى بالمشيب ... غليلا فليت الشباب يعود

وله في امرأة جبانة:

مذ تعانت لصنعة الجبن خود [١] ... قتلتنا عيونها الفتانة

لا تقل لي كم مات فيها قتيل؟ ... كم قتيل بهذه الجبانة

---

[١] رواية الشطر الأول من البيتين في «بغية الوعاة» كما يلي:

منذ عانت صناعة الجبن خود." (١)

"وفيها شرف الدين موسى بن أحمد بن موسى بن عبد الله بن سليمان السبكي الشافعي [١] .

ولد سنة اثنتين [٢] وستين [٢] وسبعمائة تقريبا في شبك العبيد، وكان متصديا لشغل الطلبة بالفقه جميع نهاره، وأقام على ذلك نحو عشرين سنة، ولم يخلف بعده نظيره في ذلك.

وتوفي بمرض السل يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة.

وفيها شهاب الدين أبو الخير نعمة الله بن الشيخ شرف الدين محمد بن عبد الرحيم البكري الجرهي- بكسر الجيم وفتح الراء الخفيفة [٣]-.

ولد بشيراز سنة خمس عشرة وثمانمائة، وسمع الكثير، وحبب إليه الطلب.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٩/٢٦٣

قال ابن حجر: سمع من أبيه وجماعة بمكة، ثم قدم القاهرة فأكثر عني، وعن الشيوخ، وفهم، وحصل كثيرا من تصانيفي، ومهر فيها، وكتب الخط الحسن، وعرف العربية.

ثم بلغه أن أباه مات في العام الماضي فتوجه في البحر فوصل إلى البلاد، ورجع هو وأخوه قاصدين مكة فغرق نعمة الله في نهر الحسا في رجب أو شعبان ظنا، ونجاه أخوه، فلما وصل إلى اليمن ركب البحر إلى جدة، فاتفق وقوع **الحريق** بها، فاحترق مع من احترق، لكنه عاش وفقد رجليه معا، فإنهما **احترقتا** [٤] ، والله أعلم.

---

[١] ترجمته في «إنباء الغمر» (٨/ ٤٤٩) و «الضوء اللامع» (١٠/ ١٧٦) .

[٢، ٢] ما بين الرقمين سقط من «آ» .

[٣] ترجمته في «إنباء الغمر» (٨/ ٤٤٩) و «الضوء اللامع» (١٠/ ٢٠٢) .

[٤] في «آ» : «احترقا» وهو خطأ.." (١)

"سنة اثنتين وستين وثمانمائة

فيها وقع في بولاق **حريق** لم يسمع بمثله.

وفيها توفي إبراهيم الزيات المجذوب [١] .

قال المناوي في «طبقاته» : كان معتقدا عند الخاصة والعامة، يزوره الأكابر والأصاغر. وله خوارق وكرامات كثيرة، وقصد للزيارة من الآفاق. وكان غالب أكله اللوز.

مات في ذي القعدة بموضع مقامه بقنطرة قديدار. انتهى.

وفيها شهاب الدين أحمد بن محمد بن حسين القاهري السيفي يشبك الحنفي الصوفي، ويعرف بابن مبارك شاه [٢] .

قال في «ذيل الدول» : [٣] كان إماما علامة [٣] . انتهى.

وفيها- أو في التي قبلها، وبه جزم العليمي [٤] في «طبقاته» - تقي الدين

---

[١] ترجمته في «الضوء اللامع» (١/ ١٨٤) .

[٢] ترجمته في «بدائع الزهور» (٢/ ٣٤٥) و «الضوء اللامع» (٢/ ٦٥) و «الذيل التام على دول الإسلام» (٢/ ٧٣) من المنسوخ و «نظم العقيان» ص (٥٤- ٥٧) .

[٣، ٣] ما بين الرقمين لم يرد في الأصل المعتمد في تحقيق ومراجعة «الذيل التام على دول الإسلام» لذا لزم التنبيه.

[٤] في «آ» و «ط» : «العلموي» وهو سبق قلم من المؤلف والصواب ما أثبته فإنه ينقل عن «المنهج الأحمد» للعليمي الورقة (٤٩٦) .." (٢)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٩/٣٤٥

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٩/٤٤٠

"كأنها جيوب النساء وأوهن رمي المنجنيق الكعبة **واحترقت** من رمي النفط وهي مبنية بناء قريش السابق مدماك حجر وآخر من خشب الساج وقيل كان احتراقها من نار اوقدها رجل من جماعة ابن الزبير في بعض تلك الخيام مما يلي الصفا بين الركن اليماني والحجر الأسود والمسجد يومئذ ضيق خصوصا من تلك الجهة فطارت شرارة إلى خيمة منها **فاحترقت** كسوة الكعبة ثم منها إلى الخشب الذي بين البناء وكان احتراقها يوم السب ثالث ربيع الأول من سنة ٦٤ وتصدع الحجر الأسود فعضفت جدران الكعبة حتى إنها يقع عليها الحمام فتتناثر حجارتها ففزع لذلك أهل مكة والشام جميعا فورد الخبر بنعي يزيد هلال ربيع الآخر وأنه توفي لأربع خلت من ربيع الآخر منها فأرسل ابن ال زبير إلى الحصين بن نمير رجالا من قريش فكلموه وأعظموا عليه ما أصاب الكعبة منهم وقالوا له قد توفي أمير المؤمنين فعلى ماذا تقاتل ارجع إلى الشام حتى تنظر ماذا يجتمع عليه أمر صاحبك يعنون معاوية بن يزيد فلم يزالوا به حتى رجع إلى الشام وكان رجوعه لخمس من ربيع الآخر من السنة المذكورة ثم شاور ابن الزبير الناس في هدم الكعبة فأشار عليه ناس غير كثير بهدمها وقال له ابن عباس دعها على ما اقرها عليه رسول الله

فإني أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها فلا تزال كذلك فيتهاون بحرمتها ولكن ارممها فقال ابن الزبير ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه وأمه كيف أرقع بيت الله وأنا أنظر إليه على ما ترون من الوهن وكان ممن أشار عليه بالهدم جابر بن عبد الله الأنصاري وعبيد بن عمير وعبد الله بن صفوان بن أمية وكان يحب أن يكون هو الذي يردها كما قال عليه الصلاة والسلام على قواعد إبراهيم فلما أراد الهدم خرج أهل مكة إلى منى خوفا من نزول عذاب فأمر بالهدم فما اجترأ أحد على ذلك أحد فلما رأى خوفهم علاها وأخذ بالمعول وجعل يهدمها ويرمي أحجارها فلما رأوا أن لا بأس عليه اجترءوا فهدموا معه وأصعد ابن الزبير فوقها عبيدا من الحبش يهدمون رجاء إن يكون فيهم الحبش الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام إنه يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة فهدمها والناس." (١)

(ومقتل حمزة تحت اللواء ... بمطرد مارن مخلج)

(وحيث انثنى مضعب ثاويا ... بضربة ذي هبة سلجج)

(بأخد وأسيافنا فيهم ... تلهب كاللهب الموهج)

(غداة لقيناكم في الحديد ... كأسد البراح فلم نعنج)

(بكل مجلحة كالعقاب ... وأجرد ذي ميعة مسرج)

(فدسناهم ثم حتى انثنوا ... سوى زاهق النفس أو محرج)

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٢١١/١

قال ابن هشام وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا لضرار وقول كعب ذي النور والمنهج عن أبي زيد الأنصاري

قال ابن إسحاق وقال عبد الله بن الزبعري في يوم أحد // (من الطويل) //

(ألا ذرفت من مقلتيك دموع ... وقد بان من حبل الشباب قطوع؟ !)

(وشط بمن تهوى المزار وفرقت ... نوى الحي دار بالحبيب فجوع)

(وليس لما ولى على ذي حرارة ... وإن طال تذراف الدموع رجوع)

(فذر ذا ولكن هل أتى أم مالك ... أحاديث قومي والحديث يشيع)

(ومجنبنا جردا إلى أهل يثرب ... عناجيج منها متلد ونزيع)

(عشية سرنا في لهام يقودنا ... ضرور الأعادي للصديق نفوع)

(نشد علينا كل زعف كأنها ... غدير بضوج الوادبين نقيع)

(فلما رأونا خالطتهم مهابة ... وعاينهم أمر هناك فظيع)

(وودوا لو ان الأرض ينشق ظهرها ... بهم وصبور القوم ثم جزوع)

(وقد عريت بيض كأن وميضها ... **حريق** ترقى في الأباء سريع)

(بأيماننا نعلو بها كل هامة ... ومنها سمام للعدو ذريع)

(فغادرن قتلى الأوس عاصبة بهم ... ضباع وطير يعتفين وقوع)

(وجمع بني النجار في كل تلعة ... بأبدانهم من وقعهن نجيع)

(ولولا علو الشعب غادرن أحمدا ... ولكن علا والسمهري شروع)

(كما غادرت في الكر حمزة ثاويا ... وفي صدره ماضي الشباة وقيع)." (١)

(لا تراه يوم الوغى في مجال ... يغفل الضرب لا ولا في المضيق)

(من يراه يخله في الحرب يوما ... أنه تائه مضل الطريق)

وقال له معاوية أحسنت كل الحسن يا بن صوحان ومن حسن سياسات معاوية أن رجلا من أهل الكوفة قدم دمشق على بعير له بعد منصرفهم من صفين فتعلق به رجل من أهل دمشق وقال هذه ناقتي أخذت مني." (٢)

"الحجاز لعبد الله بن الزبير واجتمعوا عليه ولحق به أهل المدينة وقدم عليه نجدة ابن عامر الحنفي في الخوارج لمنع البيت وخرج ابن الزبير للقاء أهل الشام وعثرت البغلة بعبد الله فنزل واجتمع إليه المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف وجماعة من أصحابه فقتلوا جميعا وصابرهم ابن الزبير إلى الليل ثم انصرفوا وأقاموا يقاتلونه شهرا

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ١٤٨/٢

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ١٣٦/٣

وبعض شهر واحترق البيت يقال قذفوه بالنار في المجانيق ويقال كان أصحاب ابن الزبير يوقدون حول الكعبة فعلقت شرارة منها بثوب الكعبة واحترق خشب البيت والأول أصح لأن البخاري ذكر في صحيحه أن ابن الزبير لما **احترقت** الكعبة تركها ليراها الناس محترقة فتحزبهم على أهل الشام ثم لم يزل العسكر محاصرين ابن الزبير حتى جاءهم نعي يزيد لأول ربيع الثاني

(وفاة يزيد وبيعة معاوية ابنه وملكه)

ثم مات يزيد منصف ربيع الأول سنة أربع وستين قال العلامة الحافظ الذهبي روى زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب قال زرت الحسن بن أبي الحسن يعني البصري فخلوت به فقلت يا أبا سعيد ما ترى ما الناس فيه فقال لي أفسد أمر الناس اثنان عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف فحملت وقال أين القراء فحكم الخوارج فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة والآخرة المغيرة بن شعبة فإنه كان عامل معاوية على الكوفة فكتب إليه معاوية إذا قرأت كتابي فأقبل معزولا فأبطأ عنه فلما ورد عليه قال ما أبطأ بك قال أمر كنت أوطئه وأهيئه قال وما هو قال البيعة ليزيد من بعدك قال أو فعلت قال نعم قال ارجع إلى عملك فلما خرج المغيرة قال له." (١)

"المذكور كان **حريق** جامع دمشق الذي كان عمره الوليد بن عبد الملك وكلفه وقد تقدم ذكره عند ذكر خلافة الوليد وكان **حريقه** في هذه السنة وسبب **الحريق** أن غلمان الفاطميين والعباسيين اختصموا فيما بينهم فألقيت نارا بدار الملك وهي الخضراء بجانب المسجد من جهة القبلة **فاحترقت** وتعدى **حريقها** حتى وصل إلى الجامع فسقطت سقوفه وتناثرت فصوصه المذهبة النى على جدرانه وتغيرت معالمه ومحاسنه وتبدلت بهجته بضدها وقد كانت سقوفة مذهبة مبطنة كلها والجملونات من فوقها وجدرانه بالفصوص المذهبة والملونة مصور فيها جميع بلاد الدنيا الكعبة ومكة فوق المحراب والبلاد كلها شرقيها وغربيها كل في مكانه اللائق به وفيه كل شجرة مثمرة وغير مثمرة كل مصور في بلدانه وأوطانه والستور مرخاة على أبوابه النافذة إلى الصحن وعلى أصل الحيطان إلى مقدار الثلث منها وباقي الجدران بالفصوص المذهبة والملونة وأرضه كلها بالفصوص الرخام الملون ولم يكن في الدنيا بناء أحسن منه لا قصور الملوك ولا غيرها من دور الخلفاء وغيرهم ثم لما وقع هذا تبدل الحال الكامل بضده وصارت أرضه طينا في الشتاء غبارا في الصيف ولم يزل كذلك حتى تبلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب بعد الستمائة وكان جميع ما سقط من الرخام وغيره مستودعا في المشاهد الأربعة شرقيه وغربيه حتى فرغها من ذلك القاضي كمال الدين الشهرزوري في زمن الملك العادل نور الدين الشهيد محمود بن زنكي حين ولاه نظر الأوقاف كلها ولم تزل الملوك تجدد في محاسنة إلى زماننا هذا فتماثل حاله في زمن الأمير شكر بن عبد الله الناصري نائب الشام وذلك في سنة ثلاثين وسبعمائة وأما الخضراء وهي دار الملك والإمارة فبادت وصارت كوما ترابا بعدما كانت في غاية الإحكام والإتقان وحسن البناء وطيب الفناء فهي إلى يومنا هذا لا يسكنها لرذالة مكانها إلا سفلة الناس وأسقاطهم بعد ما كانت دار الملك والإمارة منذ أسسها معاوية بن أبي سفيان

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٣/٢٠٦

الأموي كذا في تاريخ ابن السبكي وكان القائم بأمر الله أبيض مليح الوجه مشربا بحمرة ورعا زاهدا عابدا مريدا لقضاء حوائج المسلمين موقرا لأهل العلم معتقدا في الفقراء." (١)

(وأهل كبش كأهل الفيل قد أخذوا ... رجما وما انتطحت في الكبش عنزان)

واستمر شعبان عظيم الشوكة إلى أن توجه للحج سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وأقام جماعة في تدبير المملكة فاختلفوا عليه وخلعوه في غيبته وسلطنوا ولده عليا وزعموا أن شعبان بالعقبة وصادف قولهم هذا أن الأمراء الذين معه خرجوا عليه بعقبة أيلة وانهزم معهم وعاد إلى القاهرة واختفى في تربة عند قبة النصر فبلغ الأمراء الذين عصوه فأمسكوا غلاما كان معه وضربوه فأقر فتوجهوا إليه وقتلوه وقتلوا من معه من الأمراء وكان قتله ليلة الث◌◌لاثاء خامس ذي القعدة سنة سبع وسبعين وسبعمائة قلت ومن خيراته بناء منارة الحزورة كما ذكره القطب وغيره والعمود المنقور عليه اسمه كان قريبا منها فلما وقع **الحريق** بالمسجد وعمر ذلك الجانب فرج بن برقوق ثاني ملوك الشراكسة نقل لا عن قصد ووضع تحت منارة باب بني سهم المعروف بباب العمرة فيظن الرائي ذلك التاريخ في العمود أن الإشارة فيه إليها لقرب مكانه منها وانما هو لمنارة الحزورة وهي مؤرخة بعام اثنين وسبعين وسبعمائة وفي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة أحدثت العلامة الشطفة الخضراء على عمائم الشرفاء ليتميزوا بها وكان ذلك بأمر هذا السلطان شعبان بن حسن بن الناصر محمد ابن قلاوون المذكور فقال في ذلك العلامة أبو عبد الله بن جابر الضرير النحوي صاحب شرح الألفية المشهور بالأعمى والبصير رحمه الله تعال من الكامل

(جعلوا لأبناء النبي علامة ... إن العلامة شأن من لم يشهر)

(نور النبوة في كريم وجوههم ... يعني الشريف عن الطراز الأخضر)

وفي هذه السنة كان ابتداء خروج الطاغية تيمورلنك الذي خرب البلاد وأباد العباد فكان تاريخ خروجه عذاب وذلك سنة ٧٧٣ واستمر يعثو في الأرض بالفساد إلى أن أهلكه الله في ليلة الأربعاء سابع عشر شعبان سنة سبع وثمانمائة." (٢)

"(ثم تولى ابنه الملك الناصر)

أبو السعادات فرج بن برقوق عند وفاة أبيه كما تقدم صبيحة يوم الجمعة منتصف شوال سنة ثمانمائة وواحدة وصار الأمير أيتمش مدبر مملكته والأمير يشبك خازنداره فوقعت بينهما منافرات أدت إلى مشاجرة ثم إلى قتال فانكسر أيتمش فهرب إلى نائب الشام وجيش جيوشا على الناصر ويشبك فخرج الناصر لقتالهم فهزمهم واضطربت أحوال مصر لاختلاف الكلمة ثم وصل تيمورلنك إلى بلاد الشام وأخذها من سردون الظاهري فخرج إليه الناصر فرج فوجده قد توجه إلى بلاد الروم فأعطى الشام لتغري بردي وعاد إلى مصر سنة ثلاث وثمانمائة ومن خيرات فرج تعميره المسجد الحرام من **الحريق**

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٤٩٩/٣

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٣٥/٤

الواقع به ليلة السبت لليلتين بقيتا من شوال سنة ثمانمائة واثنتين وسببه ظهور نار من رباط راشت الملاصق لباب الحزورة من أبواب المسجد في الجانب الغربي منه وراشت هو الشيخ أبو القاسم إبراهيم بن الحسين الفارسي وقف هذا الرباط على الرجال الصوفية أصحاب المرقعات في سنة ٥٢٩ خمسمائة وتسع وعشرين فوشت النار من سراج تركه في الخلوة فاحترق ما في الخلوة وعلق الحريق من شباك الخلوة إلى سقف المسجد فاشتعل سقف المسجد وعجزوا عن إطفائه لارتفاع السقف فاحترقت الأروقة من ابتداء الحريق إلى باب العجلة فأرسل فرج الأمير بيسق سنة ثمانمائة وثلاث إلى مكة وكان هو أمير الحاج المصري فعمر المسجد الحرام في مدة يسيرة وكملت في أواخر شعبان سنة أربع وثمانمائة ومن جملة خيراته أنه لما رأى رباط راشت وما آل إليه بعد الحريق من الخراب حتى صار سباطة بذلك المحل أمر بإعادته رباطا كما كان وصرف عليه من ماله إلى أن عاد أحسن من الأول ويسمى هذا الرباط الآن رباط الخاص سببه أنه استأجره وعمره بعد تهدمه في أواسط القرن العاشر والخاص من طائفة المباشرين." (١)

"بناء هذه المدرسة والرباط والبيتين أحدهما من ناحية باب السلام والثاني من ناحية باب الحريريين في سنة أربع وثمانين وثمانمائة على يد مشيد عمائره الأمير سنقر الجمالي وفي هذه السنة وردت أحكام سلطانية من السلطان قايتباي إلى صاحب مكة الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان رحمه الله تتضمن أنه رأى مناما وأن بعض المعبرين عبر له ذلك المنام بغسل البيت الشريف من داخله وخارجه وغسل المطاف وأنه أمره أن يفعل ذلك فحضر مولانا الشريف محمد بن بركات رحمه الله بنفسه وقاضي القضاة إبراهيم ابن ظهيرة وناس من الترك المقيمين بمكة الأمير قاتي باي اليوسفي والأمير سنقر الجمالي والدوادار الكبير جان بك نائب جدة المعمورة وبقية القضاة والأعيان وفاتح الكعبة عمر بن أبي راجح الشيبي والشيبيون والخدام وغسلوا الكعبة الشريفة من ظاهرها وباطنها قدر قامة وغسلوا أرض الكعبة وأرض المطاف الشريف وطيبوها بالطيب والعود وكان ذلك يوم الخميس لثمان بقين من ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة ومن أعظم ما وقع في أيام السلطان قايتباي من الأمور المهولة حريق المسجد النبوي في ثلث الليل الأخير من ليلة الإثنين ثالث عشر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة فعمره رحمه الله أحسن عمارة وبنى المقصورة وأدار عليها الشبك الحديد جميعها وكان تمام ذلك في عام ثمان وثمانين وثمانمائة كما رأيته مرسوما بالقلم الحديد في جهة الباب من الحجرة الشريفة وقد ذكر السيد السمهودي ذلك مفصلا وغيره وعمر السلطان المذكور بالمدينة مثل ما عمر بمكة من المدرسة والرباط وأوقف كتبا على طلبة العلم الشريف فأرسل مصاحف كثيرة وكتبا لخزانة المسجد الشريف عوضا عما احترق ولم يحج من ملوك الشراكسة غير السلطان قايتباي المذكور وذلك لتمكنه في." (٢)

"تحت منارته إلى باب علي ومنه أيضا إلى باب بني سهم المعروف بباب العمرة وأخذت المعاول تعمل في شرفات المسجد وطبطاب سقفه ثم كشفوا عن أساسه فوجدوه مختلا وكان جدارا عظيما نازلا في الأرض على هيئة بيوت رقعة الشطرنج وكان على موضع التقاطع على وجه الأرض قاعدة تركب الأسطوانة عليها فشرع في وضع الأساس

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٤/٤٢

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٤/٥٦

على وجه الإتقان والإحكام بالنورة المخمرة إلى أن طلع الأساس على وجه الأرض وكانت الأسطوانات المبنية سابقا على نسق واحد في جميع الأروقة من الرخام جميعها إلى أن وقع **الحريق** في الجانب الغربي بالنار الناشئة من رباط رشت سنة أربع وثمانمائة في دولة الملك الناصر فرج بن برقوق من الشراكسة فاحترق منه أساطين الرخام وذابت فأرسل من أمرائه الأمير بيسق إلى مكة فعمر الجانب الذي احترق وأبدل من الأعمدة الرخام المحترقة أعمدة من الحجر الصوان المنحوت وصارت الجوانب الثلاثة بالأعمدة الرخام ما عدا هذا الجانب الغربي فهو من الحجر الصوان المنحوت فلما وقع هذا التعمير أدخلت في هذه العمارة العثمانية دعائم من الحجر الشميسي الأصفر غلاظ بعد كل ثلاث دعائم من الرخام دعامة منها لتقوى على تركيب القبب فوقها وبإدخال الدعائم الشميسي الأصفر صارت الأساطين كلها على نسبة واحدة وهي أن كل ثلاث من الرخام رابعتها واحدة من الشميسي وذلك في غالب الأروقة من الجوانب الأربع من المسجد الشريف كأنها قائمة بغاية الأدب حول بيت الله المنيف وهي أعلى من ارتفاع سقفها السابق كأنها تنشد بلسان حالها مفتخرة على أمثالها // (من الكامل) //

(إن الذي سمك السماء بنى لها ... بيتا دعائمه أعز وأطول)

واستمر الحال في هذه العمارة على هذا المنوال إلى أن تم منه الجانب الشرقي والجانب الشمالي إلى باب العمرة فما عمر مولانا السلطان سليم أسكنه الله جنات النعيم إلى أن تتم العمارة وسلم ملكة الشريف السعيد إلى نجله السعيد صاحب الترجمة مولانا السلطان مراد ابن السلطان سليم خان فبرز أمره الشريف لأمير العمارة الشريفة المشار إليه أحمد بك المذكور وأن يبذل جهده وجده في الإتمام لعمارة المسجد الحرام فأعانه الله تعالى على إتمامها وأمد كذلك سائر خدامها إلى أن تمت عمارة الجانبين الغربي والجنوبي من المسجد الحرام بجميع أبوابه وأعتابه." (١)

"ثم ولى بعده عمه عيسى بن فليتة وحج العراق متصل وتوفي المستنجد الخليفة العباسي سنة ست وستين وخمسمائة وبعث المتسضيء بن المستنجد بركب العراق طاشتكين التركي وانقضت دولة العبيديين ووليها صلاح الدين يوسف بن أيوب واستولى على مكة واليمن وخطب له بالحرمين ثم مات المستضيء العباسي سنة خمس وسبعين وبويع ابنه الناصر العباسي وخطب له بالحرمين ودامت ولاية عيسى بن فليتة على مكة نصف يوم لأنه دخل مكة في يوم عاشوراء سنة ست وستين وخمسمائة وجرى بينه وبين عسكر أخيه عيسى فتنة إلى الزوال ثم خرج ثم أصلحا بعد ذلك ثم ولى بعده ابنه داود بن عيسى واستمر إلى الليلة النصف من رجب سنة إحدى وسبعين فعزل وسبب عزله أن أم الناصر الخليفة العباسى حجت في زمنه ثم أنهت إلى ابنها الناصر عن داود ما اطلعت عليه من أحواله فعزله لذلك ثم ولى أخوه مكثر بن عيسى واستمر إلى موسم هذه السنة ثم عزل وجرى بينه وبين أمير الركب العراقي طاشتكين حرب شديد في ذلك الموسم كان الظفر فيه لطاشتكين وذلك أنه وصل الخبر إلى مكثر أن صحبة الحاج العراقي عسكرا كثيرا وسلاحا وعددا وأن معهم الأمير قاسم بن مهنا فجمع مكثر الشرفاء والعرب ولم يحج من أهل مكة ألا القليل ولم يوف أكثر الحاج المناسك ولم يبيتوا بمزدلفة ولم ينزلوا بمنى ولم يرموا وإنما رمى بعضهم وهو سائر ونزل الحاج يوم النحر الأبطح

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٤/ ١١٢

فخرج إليهم ناس من أهل مكة فحاربوهم في بقية يوم النحر واليوم الثاني والثالث فاشتد القتال على أهل مكة وقتل من الفريقين جماعة ثم هاجموا مكة على مكثر فصعد إلى الحصن الذي بناه بأبى قبيس فصعدوا وراءه فتركه وسار عن مكة فدخلوها وأمر أمير الحاج بهدم الحصن ونهب غالب بيوت مكة وأحرق دورا كثيرة ومن عجيب ما جرى أن إنسانا زراقا ضرب دارا بقارورة نفط فأحرقها وكانت لأيتام فاحترق ما فيها ثم أخذ قارورة أخرى ليضرب بها مكانا اخر فأتاه حجر فأصاب القارورة فكسرها فاحترق هو بها وبقي ثلاثة أيام يعذب **بالحريق** ثم مات." (١)

"الدماء ليأكلوها وذكر أن بجدة كانوا يدورون على الطعام في السوق فلا يجدونه وأرسلوا إلى مكة يطلبونه مع أن جدة مملوءة من الطعام لكنه في أيدي التجار بل الفجار كما قاله سيد الأبرار للمحتكرين اللهم عليك بهم وبجميع المفسدين وأما أهل مكة المشرفة فقد اجتمع عندهم في هذا العام من الأمم ما لا مزيد عليه لأن الجدب والقحط عام في أرض الحجاز ونواحيها وكل من اشتد به الحال صار يأتيها هاربا من بلده إلى بيت الله العتيق يأتونه من كل فج عميق وحلت الميتة والبسس والكلاب بعد أن بيع ما يملك من أثاث البيت والثياب وصار الفقراء يهجمون على البيوت فتعب منهم الناس وصاروا يغلقون الأبواب وفي هذا الشهر اتفق أن جارية لبعض الأعراب يعرفون بالمشارية دخلت يوما بيتا فلم تجد فيه إلا امرأة عجوزا وهي من جماعة عسكر مصر فخنقتها فقتلتها ورآها بعض الجيران فدخلوا عليها وأمسكوها ودعوا ابن بنتها فجاء مع جماعة العسكر فأخذوها وطلعوا بها إلى مولانا الشريف فلم يثبتوا وحبسوها عندهم يومين وفي اليوم الثالث عصبوا على قتلها فقتلوها يوم الجمعة رابع عشري شوال عند الشقمة المعروفة بالبزابيز قلت ويقال إنها كانت صاحبة لابن بنتها وكانت المقتولة تنهاه عنها وتحذره منها فظنت أنها بقتلها يخلو لها وجه صاحبها فكان هو القاتل لها والله أعلم أيا كان ذلك وفي يوم الثلاثاء ثامن عشري شوال المذكور وصل خبر من جدة بوصول جماعة من العسكر الرتبة بحرا وفي يوم الأربعاء دخلوا مكة المشرفة وأخبروا بخروج العسكر من مصر وهم يدخلون في ثلاثة آلاف وبتجهيز المراكب لأهل الحرمين وللعسكر وفي ليلة الجمعة غرة ذي القعدة كان **حريق** بأعلى مكة بالمعابدة وفي الليلة الثانية كان أيضا **حريق** بشعب عامر بالقرب من ضريح والد سيدي أحمد البدوي نفعنا الله به وفي الليلة الثالثة انقض نجم كبير مهيل نحو الشرق وفي ليلة الخامس منه." (٢)

"وذلك بلا شك زيادة في الأجر والثواب وكانت الوقفة في هذا العام بالإثنين من غير شك ولا خلاف بين اثنين ثم دخلت سنة تسع وسبعين في يوم الثلاثاء غرة محرم الحرام منها خرج المحمل الشامي ثم إن العسكر ومولانا الشريف لما توجهوا إلى ينبع ضربوا شورى في أنهم يقيمون هناك أو يتوجهون خلف السيد حمود أو يرجعون إلى مصر فاتفق الرأي أنهم يذهبون إلى مصر وأقام مولانا الشريف ومن معه من الجيش ومحمد جاوش وأمسك مولانا الشريف جماعة من المفسدين الذين كانوا في الحرابة قتلوا في عسكر السنجق يوسف والحجاج وأخذوا أموالهم وغيرهم من العربان وحبسهم في السجن وكبلهم بالقيود والأغلال وغرمهم ما نهبوه من تلك الأموال وفي يوم الإثنين سادس صفر من السنة

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٤/٢٢٠

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٤/٥٠٣

المذكورة أعني سنة تسع وسبعين برز مولانا الشريف أحمد أسبابه وعسكره إلى جهة المبعوث لإصلاح تلك الجهات والطرقات أصلح الله شئونه في السكنات والحركات وفي يوم الأحد ثاني ربيع الآخر وقع **حريق** وقت العصر كبير في شعب أجياد وراء جبل أبي قبيس وسلم الله المسلمين وفي رابع عشر من جمادى الأولى ورد علينا خبر من الشام بوصول خلعة من الباشا لمولانا الشريف سعد أسعده الله تعالى وأسبغ عليه نعمه ووالى وأنه لبسها يوم أربع منه ومعها مكتوب بتفويض أمر الحرمين الشريفين ونواحيهما إليه من غير شريك ثم إنه أمر بقتل أربعة من المفسدين وبهدم السور الذي يتحصنون فيه فهدموه حجرا حجرا بأيديهم وكذلك أمر بإقامة الجماعة والجمعة بناديهم وفي هذا الشهر تواتر الخبر من جهة أرض اليمن باشتداد الجدب والقحط فيها كالقنفذة وصبيا والتهائم ونواحيها وفي بعض الأيام بالقنفذة وجدوا في دار امرأة حجامة رجلين مقتولين أحدهما مأكول والآخر شرعت في أكله وأعضاء أطفال منها طرى ومنها يابس فأمسكت وغرقت في البحر وقيل وضعت على الجزيرة التي أمام القنفذة وسط البحر ففقدت صبيحة ليلة الوضع." (١)

"ما عدى هذه البلاد وأن يأمن كل في سربه ويشتغل بطائفته وحزبه فأجابه إلى ما رام ولم يكن في خلده غير فتح مدينة السلام واستقرت يد الشاه على بلاده التي هو فيها من جبال فارس وما إليها واقتصر بعد أن عاين ذلك الهول عليها مع أنه لم يترك أثناء حصاره مجهودا في إذهاب ريح السلطان فقد دبر الحيلة الغريبة لو كانت تصرف عن الحدثان حكى أنه ربى هرا وربط بذنبه فتائل النار ثم أرسله بعد الترتيب الى جبخانة البارود مع غفلة بواردية السلطان مراد فولج ذلك الهر وأحرق الجبخانة ولم يتعد **الحريق** إلى غيرها ولما فتحت بغداد أمر السلطان بعمارة قبر أبي حنيفة رضى الله عنه ببغداد وكان الشاه قد أمر بخرابه واعتل بأن أبا حنيفة كان يعارض الإمام جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه بالفتوى الى غير ذلك وأمر السلطان أيضا بعمارة قبر الإمام علي بن موسى الرضي فاصلح القبرين وعمر المشهدين وعظم الإمامين وهذه من مناقبه قيل وكان مراد السلطان مراد." (٢)

"تلك الوهاد بمن معه من الفرسان وكان قد ترك الشهود لأطراف القنا وأرسل عنان فرسه إلى عنان كل عنا وما استفاد من نجدته غير قرع النجود والعدول عن سكنه إلى مساكنة السيدان والأسود مصاحبا القرضابة منشدا لأترابه وأحبابه

(ولي دونكم أهلون سيد عملس ... وأرقط زهلول وعرفاء جيأل)

(هم الأهل لا مستودع السر ضايع ... لديهم ولا الجاني بما جر يخذل)

والباشا حسن استقر هذه الأيام بجدة وأعد بتحويل السياق إلى مكة عدة

وفيها اتفق بين السيد محمد بن عبد الله العياني وناظر الوقف بصنعاء شجار في أملاك فرفع إلى حاكم البلد السيد عز الإسلام محمد بن الإمام واقتضى رأيه تأديب جماعة السيد **فاحترقت** لذلك أنفاسه وأعان على غيظه وسواسه فلبس الغرارة وجعلها لغيظة أمارة واشتعل نار غيظه حتى رمت بشرر كالقصر لما كان قد ألفه من نفوذ الكلمة التي تقدم معها

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٤/٥٠٦

(٢) تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر = تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى الوزير الصنعاني ص/٧٦

أرباب الأمر

(وما كل وقت يمنح المرء سؤله ... فخذ عفو ما واتى ودع كلما استعصا)

وفي إحدى جماديين مات حسين بن أحمد الوادي وكان بارعا في استخراج الكواكب من جداول الزيجات وترتيب الأحكام عليها في السكون والحركات فلما أراد السفر إلى قعار نظر في أحكام الفلك الدوار فقضى عرفانه بالنقلة من صنعاء إلى وهب في ساعة اختارها وأثاره من علم آثارها." (١)

"وفي تاريخ ذاك سمع أن مولاي إسماعيل سلطان المغرب راكب عليها والله أعلم بحقيقة الحال.

وفي ليلة الثلاثاء ثالث عشرين ربيع الثاني، ورد قاضي الشام حسين أفندي وزير زاده.

أسعد العبادي

وفي أواسطه توفي الشاب الفاضل الأديب الشاعر أسعد جلبي بن عبادة بمرض الدق. قرأ في زمانه على أفاضل دمشق. فقرأ على الشيخ عبد السلام الكاملي، وعلى صاحبنا الأخ الشيخ محمد الحبال، وكان قرأ المطول على الشيخ عبد السلام المذكور، وبعد أن ختمه عليه عمل ضيافة حافلة دعا فيها العلماء وكثيرا من الأفاضل. وكان له تردد على الشيخ العلامة الشيخ عبد الغني ويجتمع عنده، درس الفتوحات وغيرها. وصلي عليه بالجامع ودفن بتربة مرج الدحداح.

وكان له شعر في غاية الرقة والجودة، ومن محاسن شعره، قصيدته المشهورة التي سارت بها الركبان، وفاقت بجواهر عقودها على جواهر التيجان، وأولها:

قصيدة العبادي المشهورة

سمير الأماني كيف يرتاح باله ... وآماله قد علقت بالكواكب

يؤرقه حب أذاب فؤاده ... وفهم معاني رمز قيس الحواجب

تخذت الهوى روضا ونوحي حمامة ... فأنبت وردا من دموعي السواكب

أروم وصالا من حبيب ممنع ... بسمر القنا والمرهفات القواضب

أدار على الياقوت روض زبرجد ... فأطلع صبحا تحت ليل الذوائب

فيا غصن الريحان عطفا على الذي ... أحاطت به الأشواق من كل جانب

فكم أجتني زهر الأسى وإلى متى ... أملك قلبي بالأماني الكواذب

فليت ربا الآمال تثمر بالمنى ... فينزاح يأسي عن وجوه مطالبي

---

(١) تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر = تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى الوزير الصنعاني ص/٢٥٩

لأثم جيدا واضحا وذؤابة ... فبين الضحى والليل كل العجائب

قصيدة أخرى له: ومن محاسن شعره قوله، وهو من بحر الطويل:

أنادم فكري في هواك فينقضي ... نهاري وليلي في كواذب آمالي

ولي مقلة قد طال عمر سهادها ... وقد ذل في عدل الهوى دمعها الغالي

وطرف رجا قد كحل اليأس سهده ... وربع اصطبار فيك يا منيتي خالي

بأغصان أشواق يرنحها الهوى ... فتشدو بأعلاها حمائم بلبالي

وصورة حب في الفؤاد أظنها ... تحاول سلب الروح عن جسدي البالي

ولولاك ما كانت حميا مطامعي ... تدار بأقداح الأمالي على بالي

ولولاك عاطيت الزمان سلافة ... من العتب أحلى من معتق جريال

ولكنني أخشى بأن يسمع الصبا ... فينقل أسراري إلى سمع عذالي

مصطفى الأوليا

وفي يوم الأربعاء سادس جمادى الثاني، توفي الشيخ مصطفى الأوليا. أخذ الطريقة الخلوتية، وقرأ على ابن بلبان طرفا من فقه الشافعي، وصلي عليه بالخانوتية ودفن بالسفح.

عودة الباشا

رجب، في السنة المذكورة، ورد الباشا من سفرته وله غايب من ربيع الثاني، وورد في ثالث رجب يوم الخميس، فمدة غيبته نحو تسعين يوما.

متع التدخين في الأسواق

وفي يوم الجمعة سابع رجب، نادى على النساء، وعلى أن الدخان لا يشرب في الأسواق، وحصل لذوي العادة من السوقة غاية المشقة. وغلاء الأسعار باق على حاله.

المصحف العثماني في بصير

وفيه ورد الباشا بالمصحف العثماني من بصير، قرية من قرى حوران، كان في مسجد خراب مكتوب بالكوفي، وهو أحد المصاحف التي أرسلها الإمام عثمان رضي الله عنه إلى الأطراف، فإنه أرسل للكوفة وإلى دمشق ومصر ونحو ذلك، ووضع في المقصورة بالجامع، وقيل إن المصحف العثماني الذي في دمشق مصحف الكوفة، ومصحف دمشق مفقود لعله من زمن **الحريق**، والنار من جند الله، ونعم ما صنع ناصيف.

سليمان المحاسني خطيبا ومدرسا

وفي يوم الحادي والعشرين من رجب، وردت خطبة الجامع لسليمان أفندي بن محاسن، وتدريس السليمية، فخطب ولم يقارش الدرس لأنه كان في أشهر فراغ الدروس، ومصطفى جلبي الخطيب بن الشيخ محمد أفندي الأسطواني المعزول منها، تأهب للحج الشريف.

وفيه بلغ أن عطا الله أفندي عزل عن مشيخة الإسلام بمحمود أفندي قاضي العسكر سابقا.
ضبط القمح." (١)

"وفيه يوم الخميس الثامن عشر في شعبان المذكور كان ختم درس الفقه في الكنز، وحضر جمع كبير من الأفاضل، وذلك بدارنا بحارة الأمير المقدم، فحضر مولانا الشيخ محمد بن الشمس بن بلبان، ومولانا الشيخ إسماعيل بن الشيخ الأجل الأمجد العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي، والفاضل الشيخ أحمد الخطيب الصالحي الحنفي بالحاجبية، والشيخ إبراهيم الحنبلي الدمشقي، والقاضي محمد بن الخياط الصالحي الحنفي، والسيد عبد الباقي الشويكي الحنفي، ومعتوق جلبي الأكرمي الصالحي الحنفي، والشيخ حسين بن الشيخ إبراهيم الأكرمي الحنفي إمام السليمية، والشيخ عبد الله بن خليل الدويداري الصالحي الحنفي، والشيخ محمد العمادي الحنفي، والشيخ أحمد بن علي الصالحي البيتماني.
وقرأ العشر في أول الدرس وفي آخره، وسمعنا أسانيد الفقه، ثم جيء بالبخور والماورد.

ختم دروس دار الحديث الأشرفية

وفي يوم الاثنين ثاني عشرين الشهر، ختم مولانا وقريبنا القاضي عبد الوهاب ابن الشيخ العلامة عبد الحي العكري الصالحي، في مدرسته دار الحديث الأشرفية بالصالحية بين المدارس، غربي الأتابكية، وشرقي المدرسة الخديجية المرشدية الحنفية التي هي مدرستنا.

ختم دروس الشيخ عبد الغني

وفي يوم الثلاثاء، ثالث عشرينه، ختم درسه الشيخ عبد الغني النابلسي بالسلطانية السليمية، وكان ختما حافلا.
وفي يوم الثامن والعشرين ورد الباشا متمرضا بالإسهال.

رمضان

أوله الأربعاء، والشك الثلاثاء.
في أوايله نودي على طوايف المغاربة بالرحيل من دمشق لأمر وقع من فجارهم، فعمهم الباشا بحكمه، ولعله فعل ذلك ليأخذ منهم مالا. فتوجهوا نحو داريا قاصدين الساحل لينزلوا في البحر، ثم أرسل وراهم، وأمرهم بالعود. وهذا من الحكم المردود، لأن الفاجر تجري عليه العقوبة، وتقام عليه الأحكام، لا كل الناس.

مقتل ابن كليب

وفي يوم الجمعة رابع رمضان، وصل الخبر بـدمشق بكرة أن ظاهر بن سلامة قتل ظاهر بن كليب، وهرب برأسه، وأخذ ابنه وأخذ جميع موجوده.

حكايات عن المعمرين

وفيه أخبرني صاحبنا الأمجد مصطفى بيك ابن الترزي، أنه خرج ناحية حوران، بل نواحي عجلون، فخرج إلى ظاهر القرية فرأى رجلا خلف حائط قاعدا في الشمس عليه أثر الكبر، فسأله عن عمره بعد ما حكى معه ووانسه، فقال كم بلغت

---

(١) يوميات شامية ابن كنان ص/٥٢

من العمر؟ فقال لا أدري، فقال ما حد وعيك؟ قال كنت أسمع أن السلطان الغوري جاء إلى الشام من مصر، ومراده الركوب على السلطان ابن عثمان. قال فتعجبت من هذا السن والله أعلم بحقيقة الحال. وعلى هذا يكون مولده سنة خمس عشرة وتسعماية لأن زمن سليم وقتل الغوري سنة ثلاث وعشرين وتسعماية، وأقل الإدراك من السبع، والسائل سأله سنة ست بعد المائة وألف، فيكون جملة عمره مايتي سنة إلا تسع سنين، وذلك لا يبعد في قدرة الله، لأنه خلق طول العمر في الأوائل، ويوجد في بلاد الهند كثير يعمرون المائتين إلى الخمسمائة، وقد عمر رتن الهندي خمسمائة عام. وذكره شيخنا أبو الوقت إبراهيم الكوراني ثم المدني، قيل إنه أدرك الانشقاق، وكان في قافلة في طريق الهند. ولله خواص في الأمكنة والأزمنة والأشخاص، وحيث وجد ولو في فرد صح وجوده في أكثر، ولو على وجه الندرة.

أخبار شتى

وفي يوم السابع منه، وردت بشائر للمفتي ابن العمادي بالفتوى.

وفيه ورد حج كثير، وفي دمشق بعض غوش، ونسأله اللطف والعفو والمسامحة.

وفي يوم الخميس تاسع رمضان دخلت البلطجية والسقا باشية.

وفيه بلغ أن القبحي حيدر آغا، الآتي إلى ابن العمادي، من أعيان قبجية الروم، أنه استأذن في الحج الشريف فأذن له.

حريق المشهدين في الجامع الأموي

وفي يوم الجمعة، العاشر من الشهر، احترق المشهدان الغربيان وما بينهما، فوق باب الجامع، فوق مسرجة النحاس، وهدمت تلك السقف بينهما، واجتمع من الخلق ما لا يعلمه إلا الله. لأجل الطفي مخافة أن يصل إلى الجامع، وحملوا الماء بالقرب ولم يفت للجامع، ونقل أهل سوق الذراع حوايجهم لباب البريد، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وذلك لم يظهر إلا عند طلوع شمس يوم الجمعة في التاريخ المذكور، وبقي هذان المكانان مهدومين، كما قال الشاعر:

فأصبح بطن مكة مقشعرا ... كأن الأرض ليس بها هشام

ونسأله اللطف فيما قضى وقدر.

ابن العمادي مفتيا." (١)

"وفي يوم الاثنين ثاني عشرين صفر من هذه السنة المذكورة بينما الناس قبل الظهر في أشغالهم، وإذا بضجة عظيمة وضرب بارود، فقيل ما الخبر، قيل ملكت الدالاتية القلعة، فسكرت البلد وزاد الفزع في كل أحد، ولما بلغ الخبر للإنكشارية قاموا على قدم وساق. وقالوا أخذت منا القلعة يا شباب، واجتمعوا في باب الجابية بالسلاح الكامل ينتظرون القتال. ولما وصل الخبر لحضرة أسعد باشا فرح واستبشر ونادى: اطلبوا سوق ساروجا وجدوا في الطلب. وأمرهم أن يتركوا جهة القبلة، وكان ذلك منه حيلة وخدعة. ثم نادى في عسكره نداء شاع في البلد بأن مراد أحمد بن القلطقجي وعبد الله بن حمزة ومن لهم من الأتباع، وكانا من رؤساء وأمراء سوق ساروجة. هذا والجنك يلعب بسوق ساروجة، وكأنه لم يكن حاكم بالشام إلا هم، فأراد الله تدميرهم. ثم أمر حضرة الباشا أن يوجهوا المدافع على سوق ساروجا، فوجهوا ما

---

(١) يوميات شامية ابن كنان ص/٨٣

عليهم وأمر بضربها بالكلل فضربت، فما كان بأقل من حصة يسيرة حتى **احترقت** الدور وتهدمت البيوت، واحترق بيت القلطقجي وعدم عن آخره، ونهبت العساكر كل ما فيه، ثم سرى النهب في بقية الدور، فنهبوا وقتلوا ومثلوا وبدعوا وذهب الصالح والطالح، حتى صارت محلة سوق ساروجا قاعا صفصفا. وأما ابن القلطقجي فإنه فر هاربا بعد ما بذل من الشجاعة هو وجماعته الغاية القصوى. ثم أمر حضرة الباشا أن تدار المدافع على جهة الميدان فوجهوها، وكان رأس المفسدين بها مصطفى آغا بن خضري جربجي، حتى سمى نفسه سلطان الشام، وعنده زمرة من الأشقياء يتقوى بهم، وبها أيضا أولاد الدرزي أحمد آغا وخليل آغا ولهم بها دولة وصولة فحين بلغ هؤلاء المفسدين بأن حضرة أسعد باشا وجه عليهم المدافع بالعساكر أوقع الله الرعب في قلوبهم، وركنوا للهرب والفرار، وطلبوا البراري والقفار. وبانهزامهم وهربهم تقطعت قلوب بقية من كان من الشجعان من أهل الميدان، فمنهم من هرب ولحق بساداتهم، ومنهم من قبر في المغاير والقبور، ومنهم من غطس في النهور. ولما وصلت للميدان المدافع لم يجدوا فيها من يدافع فأول ما اشتغلت العساكر بهدم دار ابن خضري، بعد ما نهبوا جميع ما فيها من المتاع وغيره، وكذلك فعلوا بدار ابن حمزة وبغيرها من الدور، حتى نهبوا نحوا من خمس مئة دار، وبعد ذلك اشتغلوا بهدم الدور التي نهبوها.

وأرسل حضرة أسعد باشا، أسعده الله وقواه، خبرا إلى مشايخ الحارات بها وأئمتهم بأن يقبضوا على بقية الأشقياء الموجودين، وإن لم يفعلوا يلزمهم بغرامة أموال عظيمة. فصاروا يتتبعون الأشقياء واحدا بعد واحد، ويقولون لحضرة الباشا: هذا الشقي فلان الفلاني، وهذا الآغا الفلاني، وهذا الشربجي الفلاني. وحضرة الباشا يأمر بضرب أعناقهم أمام باب السرايا وترك جسومهم تأكل منها الكلاب مدة طويلة، حتى صاروا عبرة لمن اعتبر. فسكنت بعد ذلك الشام، وصارت كقدح لبن، وصارت الناس في أمن وأمان، وسترت الأعراض. فملك الباشا البلد بنحو أرع مئة من العسكر الدالاتية. وقد أمنت البرية، فكان ذلك بهمته القوية بعد ما كانت تقول كبراء الميدان وأعوانهم: لو جاءنا عشر باشاوات ومنهم السلطان ما حسبنا لهم حساب، ولشرطنا ذنبهم بالطبنجيات. فانظر الآن، فقد صاروا أذل من الذباب وطعما لأخس الكلاب. وأما أولاد ابن الدرزي فإنهم هربوا والتجأوا إلى عرب ابن كليب هم وأتباعهم، وأما ابن حمزة وأتباعه فإنهم فروا نحو طبريا والتجأوا بالظاهر عمر، وأولاد القلطقجي وأتباعهم فهربوا إلى جبل الدروز، والذي منهم وقع جعلوا جلده رقع، وكان أعظم مصيبة وخذلان لبيت حسن تركمان، قتل منهم خمسة رجال: حمزة بيك ومحمد آغا وحسن آغا وخليل آغا وسايسهم. وكانوا من المفسدين الظالمين المؤذين، مهتكين للحريم، سبابين للدين، عدا حمزة بيك فإنه كان بخلاف ذلك، فقد ذهب غلطا وهدرا.

وقد زينت البلد، والمدافع تضرب صباحا ومساء مدة شهرين، والنوبة مع الألعاب النارية. وكفى الله المؤمنين القتال، وقطع دابر القوم الذين ظلموا. والحمد لله رب العالمين.

قال المؤرخ البديري: وقلت في وصفهم من المواليا:

أين الزلاقة التي كانت شبيه السيف ... جزمات لا يشلحوها بالشتا والصيف

إن شاف واحد صديقه لا يقله كيف ... ديك الزلاقة مضت يا حيفها يا حيف." (١)

"إلى منزل أحمد افندي كاتب الجراكسة سابقا ثم نقبوا منه محلا توصلوا منه إلى منزل إسمعيل كتخدا ودخلوا على طائفة البغاة فوجدوهم مشغولين في نهب اثاث المنزل المذكور فهجموا عليهم هجمة واحدة فألقوا ما بايديهم من السلب ورجعوا القهقرى إلى المحل الذي دخلوا منه من بيت مصطفى بك فتبعوهم وتقاتل الفريقان إلى أن كانت الدائرة على المتفرقة والاسباهية ونهب العزب منزل مصطفى بك لكونه مكن البغاة من الدخول إلى منزله ولكونه كان مصادقا لأيوب بك. ثم أن أحمد جربجي المذكور انتقل بمن معه من العسكر إلى قوصون ودخل جامع الماس وتحصن به. وكان محمد بك حاكم جرجا يمر من هناك ويمضي إلى الصليبة فانتهز أحمد جربجي فرصة هو أنه وجد منزل حسين كتخدا الجزايرلي خاليا فدخل فيه فرأى داخله قصدا متصلا بمنزل محمد كتخدا عزبان المعروف بالبيرقدار بعلو دهليز منزله وطبقاته تشرف على الشارع فكمن فيه هو وطائفة ممن معه ليغتال محمد بك إذا مر به وإذا بمحمد بك قد خرج من عطفة الحطب مارا إلى جهة الصليبة فضربوه بالبندق فأصيب أربعة من طائفته فقتلوا فظن أن الرصاص أتاه من منزل محمد كتخدا البيرقدار فوقف على بابه واضرم النار فيه فاحترق أكثر المنزل ونهبوا ما فيه من أثاث ومتاع. ثم أن النار اتصلت بالأماكن المجاورة له والمواجهة **فاحترقت** البيوت والرباع والدكاكين التي هناك من الجهتين من جامع الماس إلى تربة المظفر يمينا وشمالا وأفسدت ما بها من الأمتعة والذي لم يحترق نهبته البغاة وخرجت النساء حواسر مكشفات الوجوه فأستولى أحمد جربجي على جامع الماس وعلي كتخدا الساكن بالداودية أقام بالمدرسة السليمانية وأما اطراف القاهرة فإنها تعطلت من المارة وعلى الخصوص طريق بولاق ومصر العتيقة والقرافة لكون أيوب بك أرسل إلى حبيب الدجوى يستعين به فحضر منهم طائفة وكذلك اخلاط الهوارة الذين حضروا من الصعيد صحبة.." (٢)

"أماكن كالصرغقشية المشروطة لشيخ الحنفية والمدرسة المحمودية والشيخ مطهر وغيرها وألف متنا في فقه المذهب ذكر فيه الراجح من الاقوال واقتنى كتبا نفيسة بديعة الامثال وكان عنده ذوق والفة ولطافة وأخلاق مهذبة توفي يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة.

ومات الإمام العلامة أحد أذكياء العصر ونجباء الدهر الشيخ محمد ابن بدر الدين الشافعي سبط الشمس الشرنبابلي ولد قبل القرن بقليل وأجازه جده وحضر بنفسه على شيوخ وقته كالشيخ عبد ربه الديوي والشيخ مصطفى العزيزي وسيدي عبد الله الكنكسي والسيد علي الحنفي والشيخ الملوي في آخرين وباحث وناصل وألف وأفاد ولزمه سليقة في الشعر جيدة وكلامه موجود بين ايدي الناس وله ميل لعلم اللغة ومعرفة بالأنساب غير أنه كان كثير الوقيعة في الشيخ محي الدين ابن عربي قدس الله سره وألف عدة رسائل في الرد عليه وكان يباحث بعض أهل العلم فيما يتعلق بذلك فينصحونه ويمنعونه من الكلام في ذلك فيعترف تارة وينكر أخرى ولا يثبت على اعترافه وبلغني أنه ألف مرة رسالة في الرد عليه في

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/١٦

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ١/ ٧٢

ليلة من الليالي ونام فاحترق منزله بالنار **واحترقت** تلك الرسالة من جملة ما احترق من الكتب ومع ذلك فلم يرجع عما كان عليه من التعصب وربما تعصب لمذهبه فيتكلم في بعض مسائل مع الحنفية ويرتب عليها أسئلة ويغض عنهم ولما كان عليه مما ذكر لم يخل حاله عن ضيق وهيئته عن رثاثة توفي المترجم في المحرم افتتاح السنة وصلي عليه بالأزهر ودفن بالقرافة عند جده لامه رحمه الله تعالى.

ومات الجناب الامجد والملاذ الأوحد حامل لواء علم المجد وناشره وجالب متاع الفضل وتاجره السيد أحمد بن إسمعيل بن محمد أبو الامداد سبط بني الوفي والده وجده من أمراء مصر وكذا اخوه لأبيه محمد وكل منهم قد تولى الإمارة والمترجم أمه هي ابنة الأستاذ سيدي." (١)

"بيك ولاجين بيك ومصطفى بيك الصغير وعثمان بيك الشرقاوى وخليل بيك آل إبراهيمي ومن البيوت القديمة حسن بيك قصبة رضوان ورضوان بيك بلفيا وإبراهيم بيك طبان وعبد الرحمن بيك عثمان الجرجاوى وسليمان بيك الشابورى وبقايا اختيارية الوجاقات مثل أحمد باشجاويش آرنؤد وأحمد جاويش المجنون وإسمعيل أفندى الخلوتي وسليمان البرديسي وحسن أفندى درب الشمسي وعبد الرحمن أغا مجرم ومحمد أغا محرم وأحمد كتخدا المعروف بوزير وأحمد كتخدا الفلاح وباقي جماعة الفلاح وإبراهيم كتخدا مناو وغيرهم والأمرا والنهي للامراء المحمدية المتقدم ذكرهم وكبيرهم وشيخ البلد إبراهيم بيك ولا ينفذ أمر بدون اطلاع قسيمة مراد بيك وإسمعيل بيك الكبير متنزه ومنعكف في بيته وقانع بايراده وبلاده ومنزو عن التداخل فيهم من موت سيدهم وعمر داره التي بالازبكية وأقام بها.

وفيها في يوم الخميس سابع شهر صفر وصل الحج إلى مصر ودخل الركب وأمير الحاج يوسف بيك.

وفي ليلة الجمعة تاسع صفر وقع **حريق** بالازبكية وذلك في نصف الليل بخطة الساكت احترق فيها عدة بيوت عظام وكان شيئا مهولا ثم انها عمرت في أقرب وقت والذي لم يقدر على العمارة باع أرضه فاشتراها القادر وعمرها فعمر رضوان بيك بلفيا دارا عظيمة وكذلك الخواجا السيد عمر غراب والسيد أحمد عبد السلام والحاج محمود محرم بحيث أنه لم يأت النيل القابل إلا وهي أحسن وأبهج مما كانت عليه.

وفيها سقط ربع بسوق الغورية ومات فيه عدة كثيرة من الناس تحت الردم ثم أن عبد الرحمن أغا مستحفظان أخذ تلك الاماكن من أربابها شراء وأنشأ الحوانيت والربع علوها والوكالة المعروفة الآن بوكالة الزيت." (٢)

"لوالدته بها مدفنا. وأنشأ خارج باب القرافة حوضا وسقاية وصهريجا وجدد المارستان المنصورى وهدم أعلى القبة الكبيرة المنصورية والقبة التي كانت بأعلى الفسحة من خارج ولم يعد عمارتهما بل سقف قبة المدفن فقط وترك الاخرى مكشوفة ورتب له خيرات وأخبازا زيادة على البقايا القديمة ولما عزم على ترميمه وعمارته أراد أن يحتاط بجهات وقفه فلم يجد له كتاب وقف ولا دفترا وكانت كتب أوقافه ودفاتره في داخل خزانة المكتب **فاحترقت** بما فيها من كتب العلم والمصاحف ونسخ الوقفيات والدفاتر ووقفه يشتمل على وقف الملك المنصور قلاون الكبير الأصلي ووقف ولده الملك

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٣٦٨/١

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٤٨٦/١

الناصر محمد ووقف بن الناصر أبي الفدا إسمعيل بل وغير ذلك من مرتبات الملوك من أولادهم ثم أنه وجد دفترا من دفاتر الشطب المستجدة عند بعض المباشرين وذلك بعد الفحص والتفتيش فاستدل به على بعض الجهات المحتكرة. وللمترجم عمائر كثيرة وقناطر وجسور في بلاد الأرياف وبلاد الحجاز حين كان مجاورا هناك. وبنى القناطر بطندتا في الطريق الموصلة إلى محلة مرحوم والقنطرة الجديدة الموصلة إلى حارة عابدين من ناحية الخلوتي على الخليج وقنطرة بناحية الموسكى ورتب للعميان الفقراء الأكسية الصوف المسماة بالزعابيط فيفرق عليهم جملة كثيرة من ذلك عند دخول الشتاء في كل سنة فيأتون إلى داره أفواجا في أيام معلومة ويعودون مسرورين بتلك الكساوى وكذلك المؤذنون يفرق عليهم جملة من الإجرامات الطولونية يرتدون بها وقت التسبيح في ليالي الشتاء وكذلك يفرق جملة من الحبر المحلاوى والبر الصعيدى والملايات والاخفاف والبوابيج القيصرلي على النساء الفقيرات والأرامل ويخرج عند بيته في ليالي رمضان وقت الأفطار عدة من القصاع الكبار المملوءة بالثريد المسقي بمرق اللحم والسمن للفقراء المجتمعين ويفرق عليهم النقيب هبر اللحم النضيج فيعطى لكل فقير جعله وحصته في يده.." (١)

"شهرا ونصفا. وهاداه الأمراء ولم يحاسبوه على شيء ونزل في غاية الاعزاز والاكرام وكان من افاضل العلماء متضلعا من سائر الفنون ويحب المذاكرة والمباحثة والمسامرة واخبار التورايخ وحكايات الصالحين وكلام القوم وكان طاعنا في السن منور الشيبة متواضعا وحضر الباشا الجديد في أواسط رمضان ونزل إليه الملاقاة وحضر إلى مصر في عاشر شوال وطلعوه قصر العيني فبات به وركب بالموكب في صبحها ومر من جهة الصليبة وطلع إلى القلعة وذلك على خلاف العادة.

وفيه جاءت الأخبار على أيدى السفار الواصلين من اسلامبول بأنه وقع بها حريق عظيم لم يسمع بمثله واحترق منها نحو الثلاثة أرباع واحترق خلق كثير في ضمن الحريق وكان أمرا مهولا وبعد ذلك حصل بها فتنة أيضا ونفوا الوزير عزت محمد باشا وبعض رجال الدولة.

وفي ليلة السبت ثامن عشر القعدة هرب سليم بيك وإبراهيم بيك قشطة وتبعهم جماعة كثيرة نحو الثمانين فخرجوا ليلا على الهجن وجرائد الخيل وذهبوا إلى الصعيد وأصبح الخبر شائعا بذلك فأرتبك إبراهيم بيك ومراد بيك ونادى الأغا والوالي بترك الناس المشي من بعد العشاء.

من توفي في هذه السنة من الأعيان.

توفي الأستاذ الوجيه العظيم السيد محمد افندى البكرى الصديقي نقيب السادة الأشراف بالديار المصرية كان وجيها مبجلا محتشما سار في نقابة الأشراف سيرا حسنا مع الإمارة وسلوك الانصاف وعدم الاعتساف ولما توفي ابن عمه الشيخ أحمد شيخ السجادة البكرية تولاها بعده بأجماع الخاص والعام مضافة لنقابة الأشراف فحاز المنصبين وكمل له

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٤٩٣/١

الشرفان. ولم يقم في ذلك إلا نحو سنة ونصف. وتوفي يوم السبت عاشر شعبان فحضر مراد بيك إلى منزله وخلع على ولده السيد محمد.." (١)

"بعد أن غرق فيها عدة مراكب ومراسي حديد وأخشاب أخذوها من أربابها من غير ثمن وفرد على البلاد الأموال وقبض أكثرها وذهب ذلك جميعه من غير فائدة. ثم أن الأمراء عملوا جمعيات وديوانا ببيت إبراهيم بك وتشاوروا في تنجيز الأوامر. وفي أثناء ذلك تشحطت الغلال وارتفع القمح من السواحل والعرصات وغلا سعره وقل وجوده حتى امتنع بيع الخبز من الأسواق واغلقت الطواجين. فنزل سليم اغا وهجم المخازن واخرج الغلال وضرب القماحين والمتسببين ومنعهم من زيادة الأسعار فظهر القمح والخبز بالاسواق وراق الحال وسكنت الاقاويل.

وفي هذا الشهر أعني شهر رجب حصلت عدة حريقات منها حريقتان في ليلة واحدة. احداهما بالازبكية واخرى بخطتنا بالصنادقية. وظهرت النار من دكان رجل صناديقي وهي مشحونة بالاخشاب والصناديق المدهونة عند خان الجلاية فرعت النار في الاخشاب ووجت في ساعة واحدة وتعلقت بشبابيك الدور وذلك بعد حصة من الليل وهاج الناس والسكان وأسرعوا بالهدم وصب المياه وأحضر الوالي القصارين حتى طفئت. وفيه أيضا من الحوادث المستهجنة أن امرأة تعلقت برجل من المجاذيب يقال له: الشيخ علي البكرى مشهور ومعتقد عند العوام وهو رجل طويل حليق اللحية يمشي عريانا واحيانا يلبس قميصا وطاقية. ويمشي حافيا فصارت هذه المرأة تمشي خلفه أينما توجه وهي بازارها وتخلط في ألفاظها وتدخل معه إلى البيوت وتطلع الحريمات واعتقدها النساء وهادوها بالدراهم والملابس وأشاعوا أن الشيخ لحظها وجذبها وصارت من الأولياء ثم ارتقت في درجات الجذب وثقلت عليها الشربة فكشفت وجهها ولبست ملابس كالرجال ولازمته أينما توجه ويتبعهما الأطفال والصغار وهوام العوام ومنهم من اقتدى بهما أيضا ونزع ثيابه وتخجل في مشيه وقالوا أنه اعترض على الشيخ والمرأة فجذبه الشيخ أيضا.." (٢)

"الدولة وأعيانها ووصل الخبر بوقوع حريق عظيم ببندر جدة وتوفي أحمد باشا وإليها وعبى علي بك الدفتردار كساوى للأمراء فأرسل إلى إسمعيل بك وحسن بك الجداوي ورضوان بك وباقي الصنادق والأمراء حتى لحريمهم وأتباعهم وأرسل أيضا لطائفة الفقهاء وفتح السفر لجهة الموسقو وتقليد باكير قبطان باشا قائمقام عن حسن باشا.

وفي منتصفه وقعت حادثة بثغر بولاق بين طائفة الفليونجية والفلاحين باعة البطيخ وذلك أن شخصا قليونجيا ساوم على بطيخة وأعطاه دون ثمنها فامتنع وتشاجر معه فوكزه العسكري بسكين فزعق الفلاح على شيعته وزعق الآخر على رفقائه فاجتمع الفريقان ووقع بينهم مقتله كبيرة قتل فيها من الفلاحين نحو ثلاثين إنسانا ومن القليونجية نحو أربعة.

وفي يوم الأحد ثاني عشرينه قررت تفريدة على بلاد الأرياف أعلى وأوسط وأدنى الأعلى خمسة وعشرون ألف نصف فضة والأوسط سبعة عشر ألف والادنى تسعة آلاف وذلك خلاف م ا يتبعها من الكلف وحق الطرق.

وفيه رفعوا خفارة البحرين عن بن حبيب وكذلك الموارد والتزم بها رضوان بك على خمسين كيسا يقوم بها في كل سنة

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ١/٥٦٥

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ١/٦١٥

لطرف الميري وسبب ذلك منافسة وقعت بينه وبين بن حبيب فإنه لما تولى المنوفية ومر على دجوة أرسل له بن حبيب تقدمة فاستقلها ثم أرسل إليه بعد ارتحاله من الناحية يطلب منه جمالا وأشياء فامتنع بن حبيب فأرسل يطلبه ليقابله فلم يذهب إليه واعتذر ولما رجع نزل إليه ابنه علي بالضيافة فعاتبه علىامتناع أبيه من مقابلته وأضمر له في نفسه وتكلم معه حسن باشا في رفع ذلك عنهم والتزم بالقدر المذكور وطريقة العثمانية الميل إلى الدنيا بأي وجه كان فأخرج فرمانا بذلك. وفي ثاني شوال برزت الأمراء المعينون لجمع الفردة وهم سليم بك الإسماعيلي للغربية وشاهين بك الحسيني لأقليم المنصورة علي بك." (١)

"في الرياسة والأمارة بل تركها لاتباعه وقنع بحاله واقطاعه ولزم داره التي عمرها بالازبكية فناكدوه وطمعوا فيما لديه وقصد مراد بك اغتياله فخرج إلى خارج وتبعه المغرضون له ويوسف بك وغيره وحصل ما هو مسطر ومشروح في محله من تملكه وقتله يوسف بك وأسمعيل بك الصغير بمساعدة العلوية ثم غدروا به حتى آل الأمر به إلى الخروج إلى البلاد الشامية وافتراق جمعه ثم سافر إلى الروم مع بعض أتباعه ومماليكه وذهب منه غالب ما اجتمع لديه من الأموال وذهب إلى اسلامبول فأقام بها مدة ثم نفوه إلى شنق قلعة وخرج منها بحيلة تحيلها على حاكمها ثم ركب البحر إلى درنة ووصل خبر ذلك إلى الأمراء بمصر فخرج مراد بك ليقطع عليه الطريق الموصلة إلى قبلي وأرصد له عيونا ينتظرونه بالطريق وأقام على ذلك شهورا فلم يقفوا له على خبر وهو يتنقل عند العربان حتى أنه اختفى عند بعضهم نيفا وأربعين يوما في مغارة ثم إنه تحيل وأرسل من القى إلى مراد بك أنه مر من الجهة الفلانية بمعرفة الرصد المقيمين فحنق مراد بك وركب في الحال ليقطع عليه الطريق وتفرق الجمع من ذلك المكان فعند ذلك اجتاز إسمعيل بك ذلك الموضع وعداه في زي بعض العربان وخلص إلى القضاء الموصل للبلاد القبلية وذهب مراد بك في نهاية مشواره فلم ير أثرا لذلك الخبر فرجع إلى المكان الذي عرفوه سلوكه فوجد المرابطين على ماهم عليه من التيقظ إلى أن تحقق عنده أنه تحيل بذلك ومر وقت ارتحال مراد بك من ذلك الموضع فرجع بخفي حنين ولم يزل حتى كان ما كان ووصل حسن باشا على الصورة المتقدمة ورجع إلى مصر وتملكها واستقل بإمارتها بعد ثغر به تسع سنين ومقاساته الشدائد وظن أن الوقت قد صفا له واستكثر من شراء المماليك واحترقت داره وبناها احسن مما كانت عليه وحصن المدينة وسورها من عند طرا والجيزة وحصنها تحصينا عظيما من الجبل إلى البحر من الجهتين حتى أنه لما اصيب بالطاعون أحضر أمراءه وقال لعثمان بك: طبل بحضرتهم." (٢)

"المصري مع الفرنسيس فلم تكن إلا ساعة وأنهزم مراد بك ومن معه ولم يقع قتال صحيح وإنما هي مناوشة من طلائع العسكرين بحيث لم يقتل إلا القليل من الفريقين واحترقت مراكب مراد بك بما فيها من الجبخانة والآلات الحربية واحترق بها رئيس الطبجية خليل الكردل وكان قد قاتل في البحر قتالا عجيبا فقدر الله أن علقت نار بالقلع وسقط منها نار إلى البارود فاشتعلت جميعها بالنار واحترقت المركب بما فيه من المحاربين وكبيرهم وتطايروا في الهواء فلما عاين

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢/٢٧

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢/١٢٤

ذلك مراد بك داخله الرعب وولى منهزم وترك الاثقال والمدافع وتبعته عساكره ونزلت المشاة في المراكب ورجعوا طالبين مصر ووصلت الأخبار بذلك إلى مصر فاشتد انزعاج الناس وركب إبراهيم بك إلى ساحل بولاق وحضر الباشا والعلماء ورؤوس الناس وأعملوا رأيهم في هذا الحادث العظيم فاتفق رأيهم على عمل متاريس من بولاق إلى شبرا ويتولى الإقامة ببولاق إبراهيم بك وكشافه ومماليكه وقد كانت العلماء عند توجه مراد بك تجتمع بالأزهر كل يوم ويقرأو البخارى وغيره من الدعوات وكذلك مشايخ فقراء الأحمدية والرفاعية والبراهمة والقادرية والسعدية وغيرهم من الطوائف وأرباب الإشاير ويعملون لهم مجالس بالأزهر وكذلك أطفال المكاتب ويذكرون الأسم اللطيف وغير من الأسماء.

وفي يوم الإثنين حضر مراد بك إلى برانبابة وشرع في عمل متاريس هناك ممتدة إلى بشتيل وتولى ذلك هو وصناجقة وامراؤه وجماعة من خشداشينه واحتفل في ترتيب ذلك وتنظيمه بنفسه هو وعلي باشا الطرابلسي ونصوح باشا وأحضروا المراكب الكبار والغلايين التي أنشأها بالجيزة واوقفها على ساحل انبابة وشحنها بالعساكر والمدافع فصار البر الغربي والشرقي مملوئين بالمدافع والعساكر والمتاريس والخيالة والمشاة ومع ذلك فقلوب الأمراء لم تطمئن بذلك فإنهم من حين وصول الخبر لهم من الأسكندرية شرعوا في نقل امتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة." (١)

"وعزوته وخفارته فسلم أو عطب وكانت ليل وصباحها في غاية الشناعة جرى فيها ما لم يتفق مثله في مصر ولا سمعنا بما شابه بعضه في تواريخ المتقدمين فما راء كمن سمعا ولما أصبح يوم الأحد المذكور والمقيمون لا يدرون ما يفعل بهم ومتوقعون حلول الفرنسيس ووقوع المكروه ورجع الكثير من الفارين وهم في أسوأ حال من العري والفزع فتبين أن الافرنج لم يعدو إلى البر الشرقي وأن **الحريق** كان في المراكب المتقدم ذكرها فاجتمع في الأزهر بعض العلماء والمشايخ وتشاوروا فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مراسلة إلى الافرنج ينتظروا ما يكون من جوابهم ففعلوا ذلك وأرسلوها صحبة شخص مغربي يعرف لغتهم وآخر صحبته فغابا وعادا فاخبرا انهما قابلا كبير القوم وأعطياه الرسالة فقرأها عليه ترجمانة ومضمونها الأستفهام عن قصدهم فقال على لسان الترجمان وأين عظماؤكم ومشايخكم لم تأخروا عن الحضور إلينا لنرتب لهم ما يكون فيه الراحة وظمنهم وبش في وجوههم فقالوا نريد أمانا منكم فقال أرسلنا لكم سابقا يعنون الكتاب المذكور فقالوا وأيضا لأجل اطمئنان الناس فكتبوا لهم ورقة أخرى مضمونها من معسكر الجيزة خطاب لأهل مصر اننا أرسلنا لكم في السابق كتابا فيه الكفاية وذكرنا لكم اننا حضرنا إلا بقصد إزالة المماليك الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار وأخذ مال التجار ومال السلطان ولما حضرنا إلى البر الغربي خرجوا إلينا فقابلناهم بما يستحقونه وقتلنا بعضهم وأسرنا بعضهم ونحن في طلبهم حتى لم يبق أجد منهم بالقطر المصري وأما المشايخ والعلماء وأصحاب المرتبات والرعية فيكونوا مطمئنين وفي مساكنهم مرتاحين إلى آخر ما ذكرته ثم قال لهم: لا بد أن المشايخ والشربجية يأتون إلينا لنرتب لهم ديوانا ننتخبه من سبعة أشخاص عقلاء يدبرون الأمور ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس وركب الشيخ مصطفى الصاوي والشيخ سليمان الفيومي وآخرون إلى الجيزة فتلقاهم وضحك." (٢)

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ١٨٥/٢

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ١٩٢/٢

"ثم إنهم هجموا عل بولاق من ناحية البحر ومن ناحية بوابة أبي العلا بالطريقة المذكورة بعضها وقاتل أهل بولاق جهدهم ورموا بأنفسهم في النيران حتى غلب الفرنسيس عليهم وحصروهم من كل جهة وقتلوا منهم بالحرق والقتل وبلوا بالنهب والسلب وملكوا بولاق وفعلو بأهلها ما يشيب من هوله النواصي وصارت القتلى مطروحة في الطرقات والازقة **واحترقت** الأبنية والدور والقصور وخصوصا البيوت والرباع المطلة على البحر وكذلك الاطارف وهرب كثير من الناس عند ما أيقنوا بالغلبة فنجوا بأنفسهم إلى الجهة القبلية ثم احاطوا بالبلد ومنعوا من يخرج منها واستولوا على الخانات والوكائل والحواصل والودائع والبضائع وملكوا الدور وما بها من الأمتعة والأموال والنساء والخوندات والصبيان والبنات ومخازن الغلال والسكر والكتان والقطن والاباريز والارز والأدهان والأصناف العطرية وما لاتسعه السطور ولا يحيط به كتاب ولا منشور والذي وجدوه منعكفا في داره أو طبقته ولم يقاتل ولم يجدوا عنده سلاحا نهبوا متاعه وعروه من ثيابه ومضوا وتركوه حيا وأصبح من بقي من ضعفاء أهل بولاق واهلها وأعيانها الذين لم يقاتلوا فقراء لا يملكون ما يستر عوراتهم وذلك يوم الجمعة ثالث عشرينه وكان محمد الطويل كاتب الفرنساوية أخذ منهم أمانا لنفسه وأوهم اصحابه أنه يحارب معهم وفي وقت هجوم العساكر انفصل إليهم واختفى البشتيلي فدلوا عليه وقبضوا على وكيله وعلى لرؤساء فحبسوا البشتيلي بالقلعة والباقي ببيت سارى عسكر وضيقوا عليهم حتى منعوهم البول وفي اليوم الثالث اطلقوهم وجمعوا عصبة البشتيلي من العامة وسلموهم البشتيلي وأمروهم أن يقتلوه بأيديهم لدعواهم أنه هو الذي كان يحرك الفتنة ويمنعهم الصلح وأنه كاتب عثمان كتخدا بمكتوب قال فيه أن الكلب دعانا للصلح فأبينا منه وأرسله مع رجل ليوصله إلى الكتخدا فوقع في يد سارى عسكر كلهبر فحركه ذلك على أخذ بولاق وفعله فيها الذي." (١)

"فعله وقوبل على ذلك بأن اسلم إلى عصبته وأمروا أن يطوفوا به البلد ثم يقتلوه ففعلو ذلك وقتلوه بالنبابيت وألزم أهل بولاق بأن يرتبوا ديوانا لفصل الأحكام وقيدوا فيه تسعة من رؤسائهم ثم بعد مضي يومين الزموا بغرامة مائتي ألف ريال وأما المدينة فلم يزل الحال بها على النسق المتقدم من الحرب والكرب والنهب ولاسلب إلى سادس عشرينه حتى ضاق خناق الناس من استمرار الانزعاج **والحريق** والسهر وعدم الراحة لحظة من الليل والنهار مع ما هم فيه من عدم القوت حتى هلكت الناس وخصوصا الفقراء والدواب وايذاء عسكر العثمانلي للرعية وخطفهم ما يجدونه معهم حتى تمنوا زوالهم ورجوع الفرنسيس على حالتهم التي كانوا عليها والحال كل وقت في الزيادة وأمر المسلمين في ضعف لعدم المير والمدد والفرنساوية بالعكس وفي كل يوم يزحفون إلى قدام والمسلمون إلى وراء فدخلوا من ناحية باب الحديد وناحية كوم أبي الريش وقنطرة الحاجب وتلك النواحي وهم يحرقون بالفتائل والنيران الموقدة ويملكون المتاريس إلى أن وصلوا من ناحية قنطرة الحروبي وناحية باب الحديد إلى قرب باب الشعرية.

وكان شاهين أغا هناك عند المتاريس فأصابته جراحه فقام من مكانه ورجع القهقري فعند رجوعه وقعت الهزيمة ورجع الناس يدوسون بعضهم البعض.

وملك الفرنساوية كوم أبي الريش وصاروا يحاربون من كوم أبي الريش وهم في العلو والمسلمون اسفل منهم وأن المحروقي

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٣٣٩/٢

زور كتابا على لسان الوزير وجاء به رجل يقول أنه اختفى في طريق خفية ونط من السور وأن الوزير يقدم بعد يومين أو ثلاثة وأنه تركه بالصالحية وأن ذلك كذب لا اصل له وأن يكتب جوابا عن فرمان كتبوه على لسان المشايخ والتجار وأرسلوه إلى الوزير في اثناء الواقعة.

هذا والبرديسي ومصطفى كاشف والاشقر يسعون في أمر الصلح إلى." (١)

"يكن شيئا مذكورا ولم يزالوا على ذلك الحال إلى قرب العصر حتى بال اكثرهم على ثيابه وبعضهم شرشر ببوله من شباك المكان وصاروا يدخلون على نصارى القبط ويقعون في عرضهم فالذي انحشر فيهم ولم يكن معدودا من الرؤساء أخرجوه بحجة أو سبب وبعضهم ترك مداسه وخرج حافيا وما صدق بخلاص نفسه.

هذا والنصارى والمهدي يتشاورون في تقسيم ذلك وتوزيعه وتدبيره وترتيبه في قوائم حتى وزعوها على الملتزمين وأصحاب الحرف حتى على الحواة والقردتية والمخمظين والتجار وأهل الغورية وخان الخليلي والصاغة والنحاسين والدلالين والقبانية وقضاة المحاكم وغيرهم كل طائفة مبلغ له صورة مثل ثلاثين ألف فرانسا واربعين ألفا وكذلك بياعون التنباك والدخان والصابون والخردجية والعطارون والزياتون والشواؤن والجزارون والمزينون وجميع الصنائع والحرف وعملوا على اجرة الأملاك والعقار والدور اجرة سنة كاملة ثم أنهم أستاذ نوا للمشايخ ا لخالص يتوجه حيث أراد والمشبوك يلزمون به جماعة من العسكر حتى يغلق المطلوب منه فأما الصاوي وفتوح بن الجوهري فحبسوهما ببيت قائممقام والعناني هرب فلم يجدوه وداره احترقت فأضافوا غرامته على غرامة الشيخ السادات كملت بها مائة وخمسون ألف فراسنة وانفض المجلس على ذلك وركب سارى عسكر من يومه ذلك وذهب إلى الجيزة ووكل يعقوب القبطي يفعل في المسلمين ما يشاء وقائممقام والخازندار لرد الجوابات وقبض ما يتحصل وتدبير الأمور والرهونات ونزل الشيخ السادات وركب إلى داره فذهب معه عشرة من العسكر وجلسوا على باب داره فلما مضت حصة من الليل حضر إليه مقدار عشرة من العسكر أيضا فأركبوه وطلعوا به إلى القلعة وحبسوه في مكان فأرسل إلى عثمان بك البرديسي وتداخل عليه فشفع فيه فقالوا له أما القتل فلا نقتله لشفاعتك وأما المال فلا بد من دفعه ولا بد من حبسه وعقوبته حتى يدفعه وقبضوا على فراشه ومقدمه." (٢)

"وضربوا عليه البنادق من الطيقان فقتلوا من اتباعه ثمانية أنفار ولم يزالوا على ذلك إلى ثاني يوم فركب الباشا في التبديل ومر من هناك وأمر بالقبض عليهم فنقبوا عليهم من خلف الدار وقبضوا عليهم بعد ما قتلوا وجرحوا آخرين فشنقوهم ووجدوا بالدار مكانا خربا اخرجوا منه زيادة عن ستين امرأة مقتولة وفيهن من وجدوها وطفلها مذبوح معها في حضنها.

وفيه حضر علي آغا الوالي إلى بيت أحمد آغا شويكار بضرب سعادة واخرج منه قتلى كثيرة وامثال ذلك شيء كثير.

وفي خامس عشره أيضا أمر الباشا الوجاقلية أن يخرجوا جهة العادلية لأجل الخفر من العربان فإنهم فحش أمرهم وتجاسروا

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٣٤٠/٢

(٢) ت ا ريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٣٤٧/٢

في التعرية والخطف حتى عل نواحي المدينة بل وطريق بولاق وغير ذلك فلما كان في ثاني يوم ركب الوجاقلية بأبهتهم وبيارقهم وحضروا إلى بيت الباشا وخرجوا من هناك إلى وطاقهم الذي أعدوه لأنفسهم خارج القاهرة وشرعوا أيضا في تعمير قصر من القصور الخارجة التي خربت أيام الفرنسيس.

وفي تاسع عشره سافر جماعة الوجاقلية المذكورين وصحبتهم عدة من العسكر إلى جهة عرب الجزيرة بسبب اغارة موسى خالد ومن معه على البلاد وقطع الطرق فلاقاهم المذكور وحاربهم وهزمهم إلى وردان وذهب هو إلى جهة البحيرة.

وفي رابع عشرينه يوم الأحد كان عيد النصارى الكبير في ليلتها وهي ليلة الإثنين وقع **الحريق** في الكنيسة التي بحارة الروم وفي صبحها شاع ذلك فركب إليها أغات الانكشارية والوالي وأحضروا السقائين والفعلة الذين يعملون في عمارة الباشا حتى أخذوا الناس المجتمعة بسوق المؤيد بالانماطيين وحضر الباشا أيضا في التبديل واجتهدوا في اطفائها بالماء والهدم حتى طفئت في ثاني يوم واحترق بها أشياء كثيرة وذخائر وأمتعة ونهبت أشياء.

وفيه وردت أخبار بأن الأمراء المصرلية وصلوا إلى منية بن خصيب." (١)

"وأتباعه وركب معه حسين آغاشنن وبعض آغوات وصحبته ثلاث هجن وخرج إلى جزيرة بدران فعندما أشيع ركوبه هجمت عساكر الارنؤد على البيت واشتغلوا بالنهب هذا والنار تشتعل فيه وكان ركوبه قبيل أذان العصر من يوم الأحد تاسع المحرم وخرج خلفه عدة وافرة من عسكر الارنؤد فرجع عليهم وهزمهم مرتين وقيل ثلاثا وأما المحروقي ومن معه فإنهم تشتتوا من بعضهم خلف الدلاة ولم يلحقوهم وانقطع حزام بغلته فنزل عنها فأدركه العساكر المتلاحقة بالباشا فعروه وشلحوه هو واتباعه وابنه وأخذوا منهم نحو عشرين ألف دينار اسلامبولي نقدية وقيل جواهر بنحو ذلك فأدركهم عمر أغا بينباشي المقيم ببولاق فوقعوا عليه فأمنهم واخذهم معه إلى بولاق وباتوا عنده إلى ثاني يوم وأخذ لهم أمانا وحضر إلى طاهر باشا وقابله وكذلك جرجس الجوهري ونهب العسكر بيت الباشا وأخذوا منه شيئا كثيرا وباتت النار تلتهب فيه والدخان صاعد إلى عنان السماء حتى لم يبق فيه إلا الجدران التحتانية الملاصقة للارض **واحترقت** وأنهدمت تلك الأبنية العظيمة المشيدة العالية وما به من القصور والمجالس والمقاعد والرواشن والشبابيك والقمريات والمناظر والتنهات والخزائن والمخادع وكان هذا البيت من أضخم المباني المكلفة فإنه إذا حلف الحألف أنه صرف على عمارته من أول الزمان إلى أن احترق عشر خزائن من المال أو أكثر لا يحنث فإن الألفي لما انشأه صرف عليه مبالغ كثيرة وكان اصل هذا المكان قصرا عمره وانشأه السيد إبراهيم ابن السيد سعودي اسكندر من فقهاء الحنفية وجعل في اسفله قناطر وبوائك من ناحية البركة وجعلها برسم النزهة لعامة الناس فكان يجتمع بها عالم من اجناس الناس وأولاد البلد شيء كثير وبها قهاوي وبياعون وفكهانية ومغاني وغير ذلك ويقف عندها مراكب وقوارب بها من تلك الاجناس فكان يقع بها وبالجسر المقابل لها من عصر النهار إلى آخر الليل من الخط والنزاهة ما لا يوصف ثم تداول ذلك القصر أيدي الملاك وظهر علي بك وقساوة حكمه فسدوا تلك البوائك." (٢)

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٥٥٥/٢

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٥٦٧/٢

"انه خرج من بين يديه وسكن روعه في ذلك الوقت حضر إليه طائفة من الانكشارية وهم الذين كانوا حضروا في أول المحرم في النقاير مع الجبخانة ليتوجهوا إلى الديار الحجازية وأنزلوهم بجامع الظاهر خارج الحسينية وحصلت كائنة محمد باشا وهم مقيمون على ما هم عليه ولما خرج محمد باشا وظهر عليه طائفة الارنؤد شمخوا على الانكشارية وصاروا ينظرون إليهم بعين الاحتقار مع تكبر الانكشارية ونظرهم في أنفسهم أنهم فخذ السلطنة وأن الارنؤد خدمهم وعسكرهم واتباعهم ولما فرد الفرد طاهر باشا وصادر الناس صار يدفع إلى طائفة الارنؤد جماكيهم المنكسرة أو يحولهم بارواق على المصادرين وكلما طلب الانكشارية شيئا من جماكيهم قال لهم ليس لكم عندي شيء ولا اعطيكم إلا من وقت ولايتي فإن كان لكم شيء فأذهبوا وخذوه من محمد باشا فضاق خناقهم واوغر صدورهم وبيتوا أمرهم مع أحمد باشا والي المدينة فلما كان في هذا اليوم ركب الجماعة المذكورون من جامع الظاهر وهم نحو المائتين وخمسين نفرا بعددهم واسلحتهم كما هي عادتهم وخلفهم كبراؤهم وهم إسمعيل اغا ومعه آخر يقال له موسى اغا وآخر فذهبوا على طاهر باشا وسألوه في جماكيهم فقال لهم: ليس لكم عندي إلا من وقت ولايتي وأن أن لكم شيء مكسور فهو مطلوب لكم من باشتكم محمد باشا فألحوا عليه فنتر فيهم فعاجلوه بالحسام وضربه أحدهم فطير رأسه ورماها من الشباك إلى الحوش وسحبت طوائفهم الأسلحة وهاجوا في اتباعه فقتل منهم جماعة واشتعلت النار في الأسلحة والبارود الذي في أماكن اتباعه فوقع الحريق والنهب في الدار ووقع في لناس كرشات وخرجت العساكر الانكشارية وبايديهم السيوف المسلولة ومعهم ما خطفوه من النهب فأنزعجت الناس وأغلقوا الأسواق والدكاكين وهربوا إلى الدور وأغلقوا الأبواب وهم لا يعلمون ما الخبر وبعد ساعة شاع الخبر وشق الوالي والاغا ينادون بالأمن والأمان حسب مارسم أحمد باشا وكرروا المناداة بذلك ثم نادوا باجتماع الانكشارية." (١)

"البلدية وخلافهم عند أحمد باشا على طائفة الارنؤد وقتلهم واخرجهم من المدينة فتحزبوا أحزابا ومشوا طوائف طوائف وتجمع الارنؤد جهة الأزبكية وفي بيوتهم الساكنين فيها وصار الانكشارية إذا ظفروا باحد من الارنؤد أخذوا سلاحه وربما قتلوه وكذلك الارنؤد يفعلون معهم مثل ذلك هذا والنهب والحريق عمال في بيت طاهر باشا وفرج الله عن المعتقلين والمحبوسين على المغارم والمصادرات وبقيت جثة طاهر باشا مرمية لم يلتفت إليها أجد ولم يجسر أجد من اتباعه على الدخول إلى البيت واخراجها ودفنها وزالت دولته وانقضت سلطنته في لحظة فكانت مدة غلبته ستة وعشرين يوما ولو طال عمره زيادة على ذلك لأهلك الحرث والنسل وكان صفته اسمر اللون نحيف البدن اسود اللحية قليل الكلام بالتركي فضلا عن العربي ويغلب عليه لغة الارنؤدية وفيه هوس وانسلاب وميل للمسلوبين والمجاذيب والدراويش وعمل له خلوة بالشيخونية وكان يبيت فيها كثيرا ويصعد مع الشيخ عبد الله الكردي إلى السطح في الليل ويذكر معه ثم سكن هناك بحريمه وقد كان تزوج بامرأة من نساء الأمراء وكان يجتمع عنده أشكال مختلفة الصور فيذكر معهم ولما راوأ منه ذلك خرج الكثير من الاوباش وتزيا بما سولت له نفسه وشيطانه ولبس له طرطور طويلا ومرقعة ودلفا وعلق له جلاجل وبهرجان وعصا مصبوغة وفيها شخاشيخ وشراريب وطبلة يدق عليها ويصرخ ويزعق ويتكلم بكلمات مستهجنة والفاظ

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢/٥٧٥

موهمة بأنه من أرباب الأحوال ونحو ذلك ولما قتل اقام مرميا إلى ثاني يوم لم يدفن ثم دفنوه من غير رأس بقبة عند بركة الفيل وأخذ بعض الينكجرية راسه وذهبوا بها ليوصلوها إلى محمد باشا يأخذوا منه البقشيش فلحقهم جماعة من الارنؤد فقتلوهم واحذوا الرأس منهم ورجعوا بها ودفنوها مع جثته وكتب أحمد باشا مكتوبا إلى محمد باشا يعلمه بصورةالواقعة ويستعجله للحضور وكذلك المحروقي وسعيد اغا أرسل كل واحد مكتوبا بمعنى ذلك وظنوا تمام النصف ولما نهبوا بيته نهبوا ما جاوره من دور." (١)

"عليهم بالمدافع وأجلوهم عن ذلك الموضع ووصل بعض مراكب من المعوقين.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرية أرسل الباشا إلى المشايخ فذهبوا إليه فاستشارهم في خروجه إلى الحرب وخروجهم صحبته مع الرعية فلم يصوبوا رأيه في ذلك وقالوا له: إذا أنهزم العسكر تأمر غيرهم بالخروج وإذا كانت الهزيمة علينا وأنت معنا من يخرج بعد ذلك وانفض المجلس على غير طائل.

وفي أو آخره يوم الأربعاء ويوم الخميس وقع بينهم مساجلات ومحاربات ومغالبات **واحترقت** جبخانة العثمانيين وقيل أخذ باقيها ورجع منهم قتلى ومجاريح وانجرح عابدي بك أخو طاهر باشا واحترق أشخاص من الطبجية ودخل سلحدار الباشا والوالي وإمامهما رأس واحدة بشوارب كأنه من المماليك.

وفي عصرية ذلك اليوم اخرجوا عساكر ومعهم مدافع وجباخنة أيضا محملة على نيف وثلاثين جملا.

وفيه ضيقوا على نساء الأمراء في طلب الغرامة وألزموا بقبضها وتحصيلها الست نفيسة وعديلة هانم ابنة إبراهيم بك فوزعتاها بمعرفتهما على باقي النساء وأرسلوا عساكر يلازمون بيوتهن حتى يدفعن ما التزمن به فاضطر أكثرهن لبيع متاعهن فلم يجدن من يشتري لعموم المضايقة والكساد وانقضى هذا الشهر والحال على ما هو عليه من استمرار الحروب والمحاصرات بين الفريقين وانقطاع الطرق برا وبحرا وتسلط العربان واستغنامهم تفاشل الحكام وانفكاك الأحكام وذلك تسلط الفلاحين المقاومين من سعد وحرام على بعضهم البعض بحسب المقدرة والقوة والضعف وجهل القائمين المتآمرين بطرائق سياسة الإقليم ولايعرفون من الأحكام إلا أخذ الدراهم بأي وجه كان وتمادى قبائح العسكر بما لا تحيط به الأوراق والدفاتر بحيث أنه لا يخلوا يوم من زعجان ورجفات وكرشات في غالب الجهات أما لأجل امرأة أو أمرد أو خطف شيء أو تنازع وطلب شربأدى.." (٢)

"وهم صالح بك الألفي ومن معه في غفلتهم ونومهم مطمئنين وكذلك حرسهم فلم يشعروا إلا وقد صدموهم فاستيقظ القوم وبادروا إلى الهرب والنجاة فملكوا منهم الدير وأبراج طرا وكان بها عسكر العثمانيين إلى هذا الوقت محصورين وقد اشرفوا على طلب الأمان وأخذوا مدفعين كانا بالمتراس وبعض أمتعة وثمان هجن وثلاثة عشر فرسا وقتل بينهم بعض أشخاص وانجرح كذلك ورجع محمد علي والعسكر على الفور من آخر الليل ومعه خمسة رؤوس فيها رأس واحدة لم يعلم رأس من هي والباقي رؤوس عربان أو سياس أو غير ذلك وزعموا أن تلك الرأس هي رأس صالح بك وأرسلوا

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٥٧٦/٢

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٨/٣

المبشرين آخر الليل إلى الأعيان ليأخذوا البقاشيش واشاعوا أنهم قبضوا على الألفي الصغير وأحضروه معهم حيا والباقي رموا بأنفسهم إلى البحر ولما طلع محمد علي إلى الباشا خلع عليه الفروة التي حضرت له من الدولة وعلقوا تلك الرؤوس على السبيل بالرميلة وضربوا شنكا من القلعة ومدافع واظهروا السرور وداروا بالأسواق يضربون بالطنابير وشمخ المغرضون بانافهم على المغرضين للمصرلية ثم تبين عدم صحة تلك الاشاعة وأن تلك الراس راس بعض الأجناد ولم يمسك الألفي كما قالوا.

وفي يوم الأربعاء عاشره وصل من بحرى ثلاث شلنبات كان الباشا أرسل بطلبها عوضا عما تلف فعند ما وصلوا إلى جهة باسوس وهناك مركز للمصرلية على جرف عال اقعدوا به طبجية ليمنعوا من يمر بالمراكب فضربوا عليهم وضرب من في المراكب الحربية أيضا على من في البر فكان ضرب من في البر يصيب من في البحر وضربهم لا يصيبهم لعلو الجرف عليهم **فاحترقت** جبخانة إحدى الشلنبات واحترق ما فيها بها وغرقت الثانية ويقال: إن الثالثة لم تكن من المراكب الحربية بل هي مركب معاش وكان حضر في خفارتهم عدة من المراكب المسافرين فخافوا ورجعوا وقبضوا على بعض قواويس بها غلال فأخذوا مافيها فلما شاع ذلك بالمدينة رفعوا ما كان.." (١)

"يأتون بالأخبار والبشارات بالمناصيب وقد وصلوا من طريق الشام يبشرون بولاية السيد علي باشا وعزل صالح قبودان عن رياسة الدونانمة ويذكرون أنه خرج بالدونانمة التي تسمى بالعمارة وصحبته عدة مراكب فرنساوية قاصدين جهة مالطة ليقطعوا على الإنكليز الطرق وأن هؤلاء الططر الواصلين لم يعلموا بورود الإنكليز إلى الإسكندرية إلا عند وصولهم صيدا وذكروا أن سبب عزل صالح القبودان أن الانكليز وردوا بوغاز إسلامبول بأثني عشر مركبا وقيل أربعة عشر وظلوا داخلين والمدافع تضرب عليهم من القلاع المتقابلة فلم يبالوا بذلك حتى حصلوا بداخل المينة تجاه البلد فانزعج أهالي البلد انزعاجا شديدا وصرخت النساء وهاجت المدينة وماجت باناسها ولو ضرب عليها الإنكليز **لاحترقت** عن اخرها لكنهم لم يفعلوا بل استمروا يومهم ورموا مراسيهم ثم أخذوها وولوا راجعين ولسان حالهم يقول: ها نحن ولجنا بغازكم الذي تزعمون أنه لا أحد يقدر على عبوره وقدرنا عليكم وعفونا عنكم ولو شئنا أخذدار سلطنتكم لأخذناها أو احرقناها وعندما فعلوا ذلك طلب السلطان قبودان باشا فوجدوه يتعاطى الشراب في بعض الأماكن فعند ذلك أحضروا السيد علي وقلدوه رياسة الدونانمة ونزل إلى الإنكليز وتكلم معهم إلى أن خرجوا من البوغاز واخرجوا صالح قبودان منفيا إلى بعض الجهات.

وفي وفي ذلك اليوم طلع الباشا إلى القلعة صحبته قنصل الفرنساوية يهندس معه الأماكن ومواطن الحصار والقنصل المذكور مظهر الإهتام والإجتهاد ويسهل الأمر ويبذل النصح ويكثر من الركوب والذهاب والإياب وإمامه الخدم وبايديهم الحراب المفضضة وخلفه ترجمانه واتباعه.

وفيه أرسل الأمراء القبليون جوابا عن جواب أرسل إليهم قبل ذلك وعليه ختوم كثيرة باستدعائهم واستعجالهم للحضور

---

(١) تاريخ ع جائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢٠/٣

فأرسلوا هذا الجواب يعتذرون فيه بإن السبب في تأخرهم أنهم لم يتكاملوا وأن أكثرهم متفرقون بالنواحي مثل عثمان بك حسن وغيره وانهم إلى الآن لم يثبت عندهم حقيقة." (١)

"وأربعين حصانا خلاف الاقمشة المحلاوية مثل الززدخانات والمقاطع الحرير وما يصنع بالمحلة من أنواع الثياب والامتعة صناعة من بقي بها من الصناع ثم ارتحل عنها ورجع إلى بحر منوف وذهب إلى رشيد والاسكندرية ولما استقر بها اعبى هدية إلى الدولة وأرسل إلى مصر فطلب عدة قناطير من البن والاقمشة الهندية وسبعمائة اردب أرز أبيض أخذت من بلاد الأرز وأرسل الهدية صحبة إبراهيم افندى المهردار وحضر إليه وهو بالاسكندرية قابجي من طرف مصطفى باشا البيرقدار الوزير برسالة ورجع بالجواب على أثره ولم يعلم ما دار بينهما.

وفي منتصفه اعنى! شعبان حضر محمد علي باشا من غيبته وطلع على ساحل بولاق ليلة الخميس خامس عشره وذهب إلى داره بالازبكية ثم طلع في ثاني يوم إلى القلعة وضربوا لحضوره مدافع.

واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة ١٢٢٣

فيه وردت الأخبار بحرق القمامة القدسية وظهر حريقها من كنيسة الاروام.

وفيه سافر عدة من العسكر والدلاة وعمر بك الالفي ومعه طائفة من المماليك إلى البحيرة بسبب عربان أولاد علي فإنهم كانوا بعد الحوادث المتقدمة نزلوا بإقليم وشاركوا وزرعوا مثل ما كان عليه الهنادي والجهنة فلما اصطلح الالفية مع الباشا توسط شاهين بك في صلح الهنادى والجهنة على قدر وذلك لما كان بينهم وبين أستاذه من النسابة ونزل صحبتهم إلى البحيرة وغمرهم بأرضها كما كانوا أولاد وطرد أولاد علي وحاربهم ومكن الهنادي والجهنة ورجع إلى الجيزة فراسل أولاد علي باشا بوساطة بعض أهل الدولة وعملوا للباشا مائة ألف ريال على رجوعهم للبحيرة واخراج الهنادي فأجابهم طمعا في المال فحنق أولئك وعصوا وحاربوا أولاد علي ونهبوا ونالوا منهم بعد أن كانوا ضيقوا عليهم وحصلت اختلافات وامتنع أولاد علي من دفع المال الذي قرروه على أنفسهم واجتمعوا بحوش ابن عيسى فأرسل إليهم الباشا عمر بك المذكور ومن معه فحاربوهم مع الهنادي." (٢)

"وفي رابع عشرينه غضب الباشا على محو بك الكبير الذي كان كاشفا بالبحيرة ونفاه إلى أبي قير وأخذ أمواله وانعم ببيته وهو بيت حسين أغا شنين بحارة عابدين وما بها من الخيل والجمال والجوار والخيام والمتاع على محو بك الصغير الاورفلي.

واستهل شهر ذي الحجة بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٣

وفيه وصلت الأخبار من إسلامبول بوقوع فتنة عظيمة وأنه لما حصل ما حصل في منتصف السنة من دخول مصطفى باشا البيرقدار على الصورة المذكورة وقتل السلطان سليم وتولية السلطان محمود وخذلان الينكجرية وقتلهم ونفيهم وتحكم مصطفى باشا في أمور الدولة واستمر من بقي منهم تحت الحكم فاجمعوا امرهم ومكرا مكرهم وحذر بعضهم مصطفى

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ١٩١/٣

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢٤٢/٣

باشا من المذكورين فلم يكترث بذلك واستهون امرهم واحتقر جانبهم وقال: اي شيء هؤلاء منا ولري بمعنى أنهم بياعون الفاكهة فكان حاله كما قيل فلا تحتقر كيد العدو فربما تموت الافاعي من سموم العقارب ثم أنهم تحزبوا وحضروا إلى سرايته على حين غفلة بعد السحور ليلة السابع والعشرين من رمضان وجماعته وطائفته متفرقون في أماكنهم فحرقوا باب السراية وكبسوا عليه فقتل من قتل من اتباعه وهرب من هرب على حمية واختفى مصطفى باشا في سرداب فلم يجدوه واوقعوا بالسراية الحرق والهدم والنهب وخاف السلطان لأن سراية الوزير بجانب السراية السلطانية ففتح باب السراية التي بناحية البحر وأرسل يستعجل قاضى باشا بالحضور وكذلك قبطان باشا فحضرا إلى السراية واشتد الحرب بين الفريقين وأكثر الينكجرية من **الحريق** في البلدة حتى احرقوا منها جانبا كبيرا فلما عاين السلطان ذلك هاله وخاف من عموم **حريق** البلدة وهو ومن معه محصورون بالسراية يوما وليلة فلم يسعه إلا تلافي الأمر فراسل كبار الينكجرية وصالحهم وابطلوا الحرب وشرعوا في اطفاء **الحريق** وخرج قاضي باشا هاربا وكذلك قبودان باشا وهو عبد الله رامز أفندي الذي كان في أيام الوزير بمصر ثم إنهم." (١)

"كثير من الناس تحت الردم وخسفت أماكن وتكسر على ساحل مالطة عدة مراكب وحصل أيضا باللاذقية خسف وحكى الناقلون أن الأرض انشقت في جهة من اللاذقية فظهر في اسفلها ابنيه انخسفت بها الأرض قبل ذلك ثم انطبقت ثانيا.

وفيه من الحوادث ما وقع ببيت المقدس وهو أنه لما **احترقت** القمامة الكبرى كما تقدم ذكر حرقها في العام الماضي عرضوا إلى الدولة فبرز الأمر السلطاني باعادة بنائها وعينوا لذلك أغا قأبجي وعلى يده مرسوم شريف فحضر إلى القدس وحصل الاجتهاد في تشهيل مهمات العمارة وشرعوا في البناء على وضع احسن من الأول وتوسعوا في مساحة جرمها وادخلوا فيها أماكن مجاورة لها واتقنوا البناء واتقانا عجيبا وجعلوا اسوارها وحيطانها بالحجر النحيت ونقلوا إليها من رخام المسجد الاقصى فقام بمنع ذلك جماعة من الاشراف الينكجرية وشنعوا على الآغا المعين وعلى كبار البلدة وتعصبوا حماية للدين قائلين أن الكنائس إذا خربت لا يجوز إعادتها إلا بانقاضها ولا يجوز الاستعلاء بها ولا تشييدها ولا أخذ رخام الحرم القدسي ليوضع في الكنيسة وما نعوا في ذلك فأرسل ذلك الآغا المعين إلى يوسف باشا يعرفه عن المعارضين لأوامر الدولة فأرسل يوسف باشا طائفة من عسكره في عدة وافرة فوصلوا من طريق الغور وهو مسلك موصل إلى القدس قريب المسافة خلاف الطريق المعتاد فدهموا الجماعة المعارضين على حين غفلة وحاصروهم في دير وقتلوهم عن اخرهم وهم نيف وثلاثون نفرا وشيدوا القمامة كما أرادوا اعظم واضخم مما كانت عليه قبل حرقها فنسأل المولى السلامة في الدين.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس سنة ١٢٢٥

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٣/٢٤٥

فيه وصل الأمراء المصريون القبالي إلى ناحية بني سويف وكثير من الأجناد إلى مصر ترددت إلى الرسل وحضر ديوان أفندي ثم رجع ثانيا إليهم." (١)

"القفاف التي يوضع فيها لاغير ويبيعه الذين ينقلونه إلى ساحل بولاق الاردب بعشرين نصفا واردبه ثلاثة أرادب ويشتريه المسبب بمصر بذلك السعر لأن اردبة اردبان ويبيعه أيضا بذلك السعر ولكن اردبه واحد فالتفاوت في الكيل لا في السعر فلما احتكر صار الكيل لا يتفاوت سعره الآن أربعمائة وخمسون نصفا والتزم به من التزم واوقف رجاله في موارده البحرية لمنع من يأخذ منه شيئا من المراكب المارة بالسعر الرخيص من أربابه ويذهب به إلى قبلي أو نحو ذلك.

ومنها وهي من الحوادث الغريبة أنه ظهر بالتل الكائن خارج رأس الصوة المعروفة الآن بالحطابة قبالة الباب المعروف بباب الوزير في وهدة بين التلول نار كامنة بداخل الاتربة واشتهر أمرها وشاع ذكرها وزاد ظهورها في أواخر هذه السنة فيظهر من خلال التراب ثقب ويخرج منها الدخان بروائح مختلفة كرائحة الخرق البالية وغير ذلك وكثر تراد الناس للاطلاع عليها أفواجا أفواجا نساء ورجالا وأطفالا فيمشون عليها ويجدون حرارتها تحت ارجلهم فيحفرون قليلا فتظهر النار مثل نار الدمس فيقربون منها وأن غوصوا فيها خشبة أو قصبة **احترقت** ولما شاع ذلك وأخبروا بها كتخدا بك نزل إليها بجمع من أكابره واتباعه وغيرهم وشاهد ذلك فأمر والي الشرطة بصب الماء عليها واهالة الاتربة من اعالي التل فوقها ففعلوا ذلك وأحضروا السقائين وصبوا عليها بالقرب ماء كثيرا واهالوا عليها الاتربة وبعد يومين صارت الناس المتجمعة والأطفال يحفرون تحت ذلك الماء المصبوب قليلا فتظهر النار ويظهر دخانها فيقربون منها الخرق والحلفاء واليدكات فتورى وتدخن واستمر الناس يغدون ويروجون للفرجة عليها نحو شهرين وشاهدت ذلك في جملتهم ثم بطل ذلك.

ومنها أنه نودي أواخر السنة على صرف المحبوب بزيادة صرفه ثلاثين نصفا وكان يصرف بمائتين وخمسين من زيادات الناس في معاملاتهم فكانوا ينادون بالنقص ورجوعها إلى ما كان قبل الزيادة ويعاقبون على." (٢)

"والاكيسة الصوف أو اللحاف وخرج الباشا من ليلة الأربعاء المذكور ونصبت الخيام وخرجت الجمال المحملة باللوازم من الفرش والأواني وازيار الماء والبارود لعمل الشنانك **والحرائق** وفي كل يوم يعمل مرماح وشنك عظيم مهول بالمدافع وبنادق الرصاص المتواصلة من غير فاصل مثل الرعود والطبول من طلوع الشمس إلى قريب الظهر وفي أول يوم من أيام الرمي اصيب إبراهيم بك ابن الباشا برصاصة في كتفه اصابت شخصا من السواس ونفذت منه إليه وهي باردة فتعلل بسببها وخرج بعد يومين في عربة إلى العرضى ثم رجع ولما كان يوم الأحد وقت الزوال ركب الباشا وطلع إلى القلعة وقلعوا خيام الشنك وحملوا الجمال ودخلت طوائف العسكر واذن للناس بقلع الزينة ونزول التعاليق وكان الناس قد عمروا القناديل واشاعوا أنها سبعة أيام فلما حصل الاذن بالرفع فكإنما نشطوا من عقال وخلصوا من السجون لما قاسوه من البرد والسهر وتعطيل الاشغال وكساد الصنائع والتكليف بما لا طاقة لهم به وفيهم من لا يملك قوت عياله أو تعمير سراجه فيكلف مع ذلك هذه التكاليف وكتب الباشا بالبشائر إلى دار السلطنة وارسلها صحبة امين جاويش وكذلك إلى

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢٩١/٣

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٣١٦/٣

جميع النواحي وانعم بالمناصب على خواصه.
وفي هذا الشهر وردت أخبار بوقوع امطار وثلوج كثيرة بناحية بحري وبالاسكندرية ورشيد بحدود الغربية والمنوفية والبحيرة وشدة برد ومات من ذلك اناس وبهائم والزروع البدرية وطف على وجه الماء اسماك موتى كثيرة فكان موج البحر يلقيه على الشطوط وغرق كثير من السفن من الرياح العواصف التي هبت في أول الشهر.
وفي سابعه يوم وصول البشارة أحضر الباشا حسين أفندي الروزنامجي وخلع عليه خلعة الإبقاء على منصبه في الروزنامة وقرر عليه الفين وخمسمائة كيس وذلك أنهم رافعوه في الحساب على الطريقة المذكورة أرسل إليه الباشا بطلب خمسمائة كيس من أصل الحساب فضاق خناقه ولم.." (١)

"وما زينت بها العربات من أنواع المزركش والمقصبات ونفذت على من بداخلها من القيان والاغاني الحسان وكثير من الناس وقع بعدما تزحلق وصار نوبة بالوحل ابلق ومنهم من ترك الزفة وولى هاربا في عطفة يمسح بيده في الحيط بما تلطخ بها من الرطيط وتعارجت الحمير وتعثرت البياجير وانهدم تنور الزجاج ولم ينفع به العلاج وتلف للناس شئ كثير ولايدفع قضاء الله حيلة ولاتدبير ولم تصل العروس إلى دارها إلا قبيل دنو الشمس من غروبها وعند ذلك انجلى الجو وانكشفت بيوت النور ووافق ذلك اليوم ثالث عشر طوبة من شهور القبط المحسوبة وحصل بذلك الغيث العميم النفع لمزارع الغلة والبرسيم.
وفيه وردت مكاتبات من العقبة فيها الأخبار بوصول قافلة الحج صحبة المحمل وأميرها مصطفى بك دالي باشا.
وفي يوم الجمعة تاسع عشرينه وصل كثير من الحجاج الاتراك وغيرهم وردوا في البحر إلى بندر السويس ووصل تابع قهوجي باشا وأخبر عنه أنه فارق مخدومه من العقبة ونزل في مركب مع أم عابدين بك وحضر إلى السويس.
واستهل شهر صفر بيوم الأحد سنة ١٢٢٩
مما وقع في ذلك اليوم من الحوادث أن صناع البارود الكائنين بباب اللوق حملوا نحو عشرة حمال من الجمال اوعية ملانه بارودا وهي الظروف المصنوعة من الجلود التي تسمى البطط يريدون بها القلعة فمروا من باب الخرق إلى ناحية تحت الربع فلما وصلوا تجاه معمل الشمع وبصحبة الجمال شخص عسكري فتشاجر مع الجمال ورد عليه القول فحنق منه فضربه بفرد الطبنجة فأصابت إحدى البطط فالتهبت بالنار وسرت إلى باقي لاحمال فالتهب الجميع وصعد إلى عنان السماء **فاحترقت** السقيفة المطلة على الشارع وما بناحيتها من البيوت والذمم اسفلها من الحوانيت وكذلك من صادف مروره في ذلك الوقت واحترق ذلك العسكري." (٢)

"والجمال فيمن احترق واتفق مرور امرأة من النساء المحتشمات مع رفيقتها **فاحترقت** ثيابها مع رفيقتها وذهبت تجري والنار ترعى فيها وكانت دارها بالقرب من تلك الناحية فما وصلت إلى الدار حتى احترق ما عليها من الثياب واحترق أكثر جسدها ووصلت الأخرى بعدها وهي محترقة وعريانة فماتت من ليلتها ولحقتها الأخرى في صحوة اليوم

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٣/٣٩٨
(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٣/٤٤٦

الثاني ومات في هذه الحادثة أكثر من المائة نفس من رجال ونساء وأطفال وصبيان وأما الجمال فأخذوها إلى بيت أبي الشوارب وهي سود محترقة الجلود وفيها من خرجت عينه فاما يعالجوها أو ينحروها وكل هذه الذي حصل من الحرق والموت والهدم في طرفة عين.

وفي الإثنين وصل مصطفى بك أمير ركب الحجاج إلى مصر وترك الحجاج بالدار الحمراء فبات في داره وأصبح عائدا إلى البركة فدخل مع المحمل يوم الأربعاء ودخل الحجاج واتبعهم بحيث أنه أخذ المسافة في أحد وعشرين يوما وسبب حضور المذكور أنه ذهب بعس ا كره وعساكر الشريف من الطائف إلى ناحية تربة والمتأمر عليها امرأة فحاربتهم وانهزم منها شر هزيمة فحنق عليه الباشا وأمره بالذهاب إلى مصر مع المحمل.

وفيه أرسل الباشا يستدعي اثنتين أو ثلاثة عينهن من محاظيه وصحبتهن خمسة من الجواري السود الاسطاوات في الطبخ وعمل أنواع الفطور فأرسلوهن في ذلك اليوم إلى السويس وصحبتهن نفيسة القهرمانة وهي من جواريه أيضا وكانت زوجا لقاضي اوغلى المحتسب الذي مات بالحجاز في العام الماضي.

وفيه أيضا وصل حريم الشريف غالب فعينوا له دارا يسكنها مع حريمه جهة سويقة العزى فسكنها ومعه أولاده وعليهم المحافظون واستولى الباشا على موجودات الشريف غالب من نقود وامتعة وودائع ومخبات وشرك وتجارات وبن وبهار ونقود بمكة وجدة والهند واليمن شئ." (١)

"على العرضي على حين غفلة وقتلوا من العساكر عدة وافرة واحرقوا الجبخانة فعند ذلك قوى الاهتمام وارتحل جملة من العساكر في دفعات ثلاث برا وبحر يتلو بعضهم بعضا في شعبان ورمضان وبرز عرضي خليل باشا إلى خارج باب النصر وترددوا في الخروج والدخول واستباحوا الفطر في رمضان بحجة السفر فيجلس الكثير منهم بالأسواق يأكلون ويشربون ويمرون بالشوارع وبأيديهم اقصاب الدخان والتتن من غير احتشام ولا احترام لشهر الصوم وفي اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفار المخالفين لدين الإسلام وانقضى شهر الصوم والباشا متكدر الخاطر ومتقلق.

واستهل شهر شوال بيوم الإثنين سنة ١٢٣٣

وكان هلاله عسر الرؤية جدا فحضر جماعة من الاتراك إلى المحكمة وشهدوا برؤيته.

وفي ذلك اليوم الموافق لثامن عشرى شهر ابيب القبطي أو في النيل اذرعه فأخروا فتح سد الخليج ثلاثة أيام العيد ونودي بالوفاء يوم الأربعاء وحصل الجمع يوم ا لخميس رابعه وحضر فتح الخليج كتخدا بك والقاضي ومن له عادة بالحضور فكان جمعا وازدحاما عظيما من اخلاط العالم في جهة السد والروضة تلك الليلة واشتغلت النار في الحريقة واحترق فيها لأشخاص ومات بعضهم.

وفي سادسه يوم السبت خرج خليل باشا المعين إلى السفر في موكب وشق من وسط المدينة وخرج من باب النصر وعطف على باب الفتوح ورجع إلى داره في قلة من اتباعه في طريقه التي خرج منها.

وفيه انتدب مصطفى اغا المحتسب ونادى في المدينة ويأمر الناس بقطع أراضي الطرقات والازقة حتى العطف والحارات

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٤٤٧/٣

الغير النافذة فأخذ أرباب الحوانيت والبيوت يعملون بأنفسهم في قطع الأرض والحفر ونقل الاتربة وحملها من خوفهم من اذيته ولعدم الفعلة والاجراء واشتغال حمير الترابين باستعمالهم في عمائر أهل الدولة فلو كان هذا الاهتمام في قطع." (١)

"باب النصر عند الهمايل وكذلك صيوان الباشا وباقي الأمراء والأعيان خرجوا بأسرهم لعمل الشنك والحرائق واخرجوا من المدافع مائة مدفع وعشرة وتماثيل وقلاعا وسواقي وسواريخ وصورا من بارود بدأوا في عمل الشنك من يوم الأربعاء فيضربون بالمدافع مع رماحه الخيالة من أول النهار مقدار ساعة زمانية وربع قريبا من عشرين درجة ضربا متتابعا لا يتخلله سكون على طريقة الافرنج في الحروب بحيث أنهم يضربون المدفع الواحد اثنتي عشرة مرة وقيل أربع عشرة مرة في دقيقة واحدة فعلى هذا الحساب يزيد ضرب المدافع في تلك المدة على ثمانين ألف مدفع بحيث يتخيل الإنسان اصواتها مع اصوات بنادق الخيالة المترامحين رعودا هائلة ورتبوا المدافع أربعة صفوف ورسم الباشا أن الخيالة ينقسمون كذلك طوابير ويكمنون في الاعالي ثم ينزلون مترامحين وهم يضربون بالبنادق ويهجمون على المدافع في حال اندفاعها بالرمي فمن خطف شيئا من أدوات الطبجية الرماة يأتي به إلى الباشا ويعطيه البقشيش والانعام فمات بسبب ذلك أشخاص وسواس ويكون مبادىء نهاية وقوف الخيالة نهاية محط جلة المدفع فانهم عند طلوع الفجر يضربون مدافع معمروة بالجلل بعدد الطوابير فتستعد الخيالة ويقف كل طابور عند مرمى جلته ويأخذون اهبتهم من ذلك الوقت إلى بعد شروق الشمس ويبتدؤن في الرمي والرماحة الحصة المذكورة وبعد العشاء خيرة! لا يعمل كذلك الشنك برمي المدافع المتتالية المختلطة اصواتها بدون الرماحة ومع المدافع الحراقة والنفوط والسواريخ التي تصعد في الهواء وفيها من خشب الزان بدل القصب وكرنجة بارودها اعظم من تلك بحيث اناها تصعد من الأسفل إلى العلو مثل عامود النهار وأشياء آخر لم يسبق نظائرها تفنن في عملها الافرنج وغيرهم وحول محل الحراقة حلقة دائرة متسعة حولها الوف من المشاعل الموقدة وطلبوا لعمل أكياس بارود المدافع مائتي ألف ذراع من القماش ا لبز وكان راتب الأرز الذي يطبخ في القزانات ويفرق في عراضي العساكر في كل يوم أربعمائة." (٢)

"المناصب والمظاهر ومشايخ الافتاء والنواب والمتفرجين في نصب الخيام بحافتي النيل واستأجروا الأماكن المطلة على البحر ولو من البعد وتنافسوا واشتط أربابها في الاجرة حتى بلغ اجرة حقر طبقة بمثل وكالة الفسيخ إلى خمسمائة قرش وزيادة وكان الباشا أمر بإنشاء قصر لخصوص جلوسه بالجزيرة تجاه بولاق قبلي قصر ابنه إسمعيل باشا وتمموا بياضه ونظامه في هذه المدة القليلة فلما كان ليلة الإثنين وهو يوم عاشوراء خرج الباشا في ليلته وعدى إلى القصر المذكور وخرج أهل الدائرة والأعيان إلى الأماكن التي استاجروها وكذلك العامة أفواجا وأصبح يوم الإثنين المذكور فضربت المدافع الكثيرة التي صففوها بالبرين وزين أهالي بولاق اسواقهم وحوانيتهم وأبواب دورهم ودقت الطبول المزأمير والنقرزانات في السفائن وغيرها وطبلخانة الباشا تضرب في كل وقت والمدافع الكثيرة في ضحوة كل يوم وعصره وبعد العشاء كذلك

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٣/٥٨٠

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٣/٥٩٢

وتوقد المشاعل وتعمل أصناف الحراقات والسواريخ والشعل وتتقابل القلاع المصنوعة على وجه الماء ويرمون منها المدافع على هيئة المتحاربين وفيها فوانيس وقناديل وهيئة باب مالطة بوابة مجسمة مقوصرة لها بدنات ويرى بداخلها سرج وشعل ويخرج منها حراقات وسواريخ وغالب هذه الاعمال من صناعة الافرنج وأحضروا سفائن رومية صغيرة تسمى الشلنبات يرمى منها مدافع وشنابر وشيطيات وغلايين مما يسير في البحر المالح وفي جميعها وقدات وسرج وقناديل وكلها مزينة بالبيارق الحرير والأشكال المختلفة الألوان ودبوس اوغلي ببولاق التكرور وعنده أيضا الحراقات الكثيرة والشعل والمدافع والسواريخ وبالجيزة عباس بك بن طوسون باشا والنصارى الارمن بمصر القديمة وبولاق والافرنج وابرز الجميع زينتهم وتماثيلهم وحرائقهم وعند الأعيان حتى المشايخ في القنج والسفائن المعدة للسروح والتفرج والنزاهة والخروج عن الاوضاع الشرعية والادبية واستمروا على ما ذكر إلى يوم الإثنين سابع عشره.." (١)

"مقيما بجدة وفي ذلك اليوم دخل بواقي الحجاج إلى منازلهم.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٤

في صبحه دخلوا بالمحل المدينة وأكثر الناس لم يشعر بدخوله وهذا لم يتفق فيما نعلم تاخر الحاج إلى شهر ربيع الاول. وفي ليلة الثلاثاء ثامنه احترق سوق الشرم والجملون والكائن اسفل جامع الغورية بما فيه من الحوانيت وبضائع التجار والاقمشة الهندية وخلافها فظهرت به النار من بعد العشاء الاخيرة فحضر الوالي واغات التبديل فوجدوا الباب الذي من جهة الغورية مغلقا من داخل وكذلك الباب الذي من الجهة الأخرى وهما في غاية المتانة فلم يزالوا يعالجون فتح الباب بالعتالات والكسر إلى بعد نصف الليل والنار عمالة من داخل وهرب الخفير واحترق ليوان الجامع البراني والدهليز وأخذوا في الهدم وصب المياه بآلات القصارين مع صعوبة العمل بسبب علو الحيطان الشاهقة والاخشاب العظيمة والاحجار الهائلة والعقود فلم يخمد لهب النار إلا بعد حصة من النهار وسرحت النار في اخشاب الجامع التي بداخل البناء ولم يزل الدخان صاعدا منها وسقط الشبابيك النحاس العظام وبقيت مفتتة ومكلسة واستمر العلاج في اطفاء الدخان ثلاثة أيام ولولا لطف المولى وتأخير فتح الباب لكونه مصفحا بالحديد فلم تعمل فيه النار فهو لم يكن كذلك لاحترق وسرحت النار إلى الحوانيت الملاصقة به وهي كلها اخشاب ويعلوها سقائف اخشاب كذلك ومن فوق الجميع السقيفة العظيمة الممتده على السوق من أوله إلى آخره وهي في غاية العلو والارتفاع وكلها اخشاب وحجنة وسهوم وبراطيم من اعلى ومن اسفل لحملها من الجهتين ومن ناحيتها الرباع والوكائل والدور وحيطان الجميع من الحجنة والاخشاب العتيقة التي تشتعل بأدنى حرارة فلو وصلت النار والعياذ بالله تعالى إلى هذه السقيفة لما امكن اطفاؤها بوجه وكان حريقا دوميا ولكن الله سلم.." (٢)

"مشايخ العربان والقبائل.

فيه خرج الباشا إلى ناحية القليوبية حيث الخيول بالربيع وخرج محو بك لضيافته بقلقشندة واخرج خياما وجمالا كثيرة

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٥٩٤/٣

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التر ا جم والأخبار الجبرتي ٥٩٧/٣

محملة بالفرش والنحاس والات المطبخ والأرز والسمن والعسل والزيت والحطب والسكر وغير ذلك واضافه ثلاثة أيام وكذلك تأمر كاشف الناحية وغيره وكذلك أحضر له ضيافة ابن شديد شيخ الحويطات وابن الشواربي كبير قليوب وابن عسر وكان صحبة الباشا ولداه إبراهيم باشا وإسمعيل باشا وحسن باشا.

وفي اثناء ذلك ورد الخبر بموت عابدين بك اخو حسن باشا بالديار الحجازية وكذلك الكثير من اتباعه بالحمى فتكدر حظهم وبطلت الضيافات وحضر الباشا ومن معه في أواخره لعمل العزاء والميتم وأخبر الواردون بكثرة الحمى بالديار الحجازية حتى قالوا: إنه لمب يبق من طائفة عابدين بك إلا القليل جدا.

واستهل شهر جمادي الثانية سنة ١٢٣٥

في عشرينه وردت هدية من والي الشام فيها من الخيول الخاص عشرة بعضها ملبس والباقي من غير سروج وأشياء آخر لا نعلمها.

وفي أواخره ورد الخبر بان حسن بك الشمشارجي استولى على سيوة.

وفيه ورد الخبر بأنه وقع بإسلامبول **حريق** كثير.

وفيه ورد الخبر أيضا عن حلب بأن أحمد باشا المعروف بخورشيد الذي كان سابقا والي مصر استولى على حلب وقتل من أهلها وأعيانها اناسا كثيرة وذلك أنه كان متوليا عليها فحصل منه ما اوجب قيام أهل البلدة عليه وعزلوه واخرجوه وذلك من مدة سابقة فلما اخرجوه أقام خارجها وكاتب الدولة في شأنهم وقال ما قال في حقهم فبعثوا أوامر ومراسيم لولاة تلك النواحي بأن يتوجهوا لمعونته على أهل حلب فاحتاطوا بالبلدة وحاربوها اشهرا حتى ملكوها وفتكوا في أهلها وضربوا عليهم ضرائب عظيمة وهم على ذلك." (١)

"تحصيله على ما أخبرني به بعض الكتاب مائة ألف كيس.

وفي منتصفه حضر الباشا من ناحية الوادي.

وفي أواخره وقع **حريق** ببولاق في مغالق الخشب التي خلف جامع مرزة وأقام **الحريق** نحو يومين حتى طفئ واحترق فيه الكثير من الخشب المعد للعمائر المعروف بالكرسنة والزفت وحطب الاشراق وغيره.

واستهل شهر رمضان بيوم الإثنين سنة ١٢٣٥

والاهتمام حاصل وكل قليل يخرج عساكر ومغاربة مسافرين إلى بلاد السودان ومن جملة الطلب ثلاثة انفار من طلبة العلم يذهبون بصحبة التجريدة فوقع الاختيار على محمد أفندي الاسيوطي قاضي اسيوط والسيد أحمد البقلي الشافعيين والشيخ أحمد السلاوي المغربي المالكي واقبضوا محمد أفندي المذكور عشرين كيسا وكسوة ولكل واحد من الإثنين خسمة عشر كيسا وكسوة ورتبوا لهم ذلك في كل سنة.

وفي سابعه وقع **حريق** في سراية القلعة فطلع الاغا والوالي واغات التبديل واهتموا بطفئ النار وطلبوا السقائين من كل ناحية حتى شح الماء ولا يكاد يوجد وكان ذلك في شدة الحر وتواقق شهر بؤتة ورمضان واقاموا في طفء النار يومين

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٣/٦١٠

واحترق ناحية ديوان كتخدا بك ومجلس شريف بك وتلفت أشياء وامتعة ودفاتر حرقا ونهبا وذلك أن ابنية القلعة كانت من بناء الملوك المصرية بالاحجار والصخور والعقود وليس بها إلا القليل من الاخشاب فهدموا ذلك جميعه وبنوا مكانه الابنية الرقيقة وأكثرها من الحجنة والاخشاب على طريق بناء إسلامبول والافرنج وزخرفوها وطلوها بالبياض الرقيق والادهان والنقوش وكله سريع الاشتعال حتى أن الباشا لما بلغه هذا **الحريق** وكان مقيما بشبرا تذكر بناء القلعة القديم وما كان فيه من المتانة ويلوم على تغيير الوضع السابق ويقول: أنا كنت غائبا بالحجاز والمهندسون وضعوا هذا البناء وقد تلف في هذا **الحريق** ما ينيف عن خمسة وعشرين ألف كيس حرقا ونهبا ولما حصل هذا." (١)

"**الحريق** انتقلت الدواوين إلى بيت طاهرباشا بالازبكية وانقضى شهر رمضان.

واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٥

وقع في تلك الليلة اضطراب في ثبوت الهلال لكونه كان عسر الرؤية جدا وشهد اثنان برؤيته ورد الواحد ثم حضر آخر ولم يزالوا كذلك إلى آخر الليل ثم حكم به عند الفجر بعد أن صليت التراويح واوقدت المنارات وطاف المسحرون بطبلاتهم وتسحرت الناس وأصبح العيد باردا.

وفي خامسه سافر الباشا إلى ثغر الأسكندرية كعادته وأقام ولداه إبراهيم باشا للنظر في الاحكام والشكاوي والدعاوي وكانت اقامته بقصره الذي انشأه بشاطئ النيل تجاه مضرب النشاب وتعاظم في نفسه جدا ولما رجع إبراهيم باشا من سرحته شرعوا في عمل مهم لختان عباس باشا ابن أخيه طوسون باشا وهو غلام في السادسة فشرعوا في ذلك في تاسع عشرة ونصبوا خياما كثيرة تحت القصر وحضرت أرباب الملاعيب والحواة والمفزلكون والبهلوانيون وطبخت الاطعمة والحلواء والاسمطة واوقدت الوقدات بالليل من المشاعل والقناديل والشموع بداخل القصر وتعاليق النجفات البلور وغير ذلك ورسموا باحضار غلمان أولاد الفقراء فحضر الكثير منهم وأحضروا المزينين فختنوا في اثناء أيام الفرح نحو الأربعمائة غلام ويفرشون لكل غلام طراحة ولحافا يرقد عليها حتى يبرأ ٢ جرحه ثم يعطى لكل غلام كسوة وألف نصف فضة وفي كل ليلة يعمل شنك وحراقات ونفوط ومدافع بطول الليل ودعوا في اثناء ذلك كبار الأشياخ والقاضي والشيخ السادات والبكري وهو نقيب الاشراف أيضا والمفاتي وصار كل من دخل منهم يجلسونه من سكوت ولم يقم لواحد منهم ولم يرد على من يسلم ولا بالاشارة السلام ولم يكلمهم بكلمة يؤانسهم بها وحضرت المائدة فتعاطوا الذي تعاطوه حتى انقضى المجلس وقاموا وانصرفوا من سكوت. وفي يوم الأربعاء ثالث عشرينه خرجوا بالمحمل إلى الحصوة وأمير." (٢)

"وفي هذه السنة أيضا استأسد العدو الكافر على المسلمين بالأندلس وتوالت له عليهم الهزائم بمواضع متعددة واستولى على كثير من الحصون واستلحم منهم عدة ألوف حتى خلت المساجد والأسواق

وفي سنة أربع وعشرين وستمائة اشتد الغلاء بالمغرب والأندلس حتى بيع القفيز من القمح بخمسة عشرة دينارا وعم الجراد بلاد المغرب

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٦١٢/٣

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٦١٣/٣

وفي سنة ست وعشرين وستمائة كان السيل العظيم بفاس هدم من سورها القبلي نحو مسافتين وهدم من جامع الأندلس ثلاثة بلاطات وهدم دورا كثيرة وفنادق متعددة من عدوة الأندلس

وفي سنة ثلاثين وستمائة كان الغلاء ببلاد المغرب وكثر بها الجوع والوباء حتى بلغ القفيز من القمح ثمانين دينارا وخلت الأمصار من أهلها

وفي سنة خمس وثلاثين وستمائة عاود الغلاء والوباء أرض المغرب فأكل الناس بعضهم بعضا وكان يدفن في الحفير الواحد المائة من الناس

وفي سنة ست وأربعين وستمائة وقع **الحريق** بأسواق فاس **فاحترقت** حارة باب السلسلة بأسرها إلى حمام الرحبة وبالله تعالى العصمة والتوفيق." (١)

"الولاية وبسط نفوذها الفعلي على الشمال الأفريقي، لعلمها بشجاعة البربر وحماسهم في الدفاع عن وطنهم، وجهلها بدواخل هذا الوطن، فاكتفت باعتراف ملوك البربر بالسيادة الاسمية ريثما تلين قناتهم، وتضعف شوكتهم.

وكانت، الجمهورية لما فتحت قرطاجنة بعثت عشرة من الاعيان لينظروا مع سبيون في مصير قرطاجنة، فاتفق رأيهم على هدم ما أبقاه **الحريق** منها فتركوها قاعا صفصفا كان لم تغن بالامس، ولعنوا باسم آلهتهم موضعها، ولكنهم بعد قليل اضطروا لتجديدها.

وذلك ان ايطاليا ضاقت باهلها بسبب استحواذ طبقة الاغنياء على أراضيها وجلب العبيد لخدمة تلك الاراضى، ويقال: ان عدد هؤلاء العبيد بلغ ثلاثة ملايين. وأصبح عدد عديد من الايطاليين لا اراضي لهم يستغلونها ولا عمل يشتغلون به، حتى انه كان برومة أكثر من اربعمائة الف لا عمل لهم غير الجولان بالازقة.

وكان كايوس انتخب للمحامات عن الشعب سنة (١٢٣) فاقترح – لرفع هذه الازمة– ارسال جاليات من أولئك الفقراء من المال والعمل الى الولايات الرومانية.

وكان روبريوس من محامي الشعب ايضا فاقترح سنة (١٢٠) ق. م، تجديد قرطاجنة وارسال طائفة من فقراء الشعب لتعميرها.

قبل الشيوخ اقتراحه، وعين كايوس لتنفيذه، فجاء الى قرطاجنة بستة آلاف ايطالي، ومكث في تجديدها ثلاثة أشهر، وحينما تم تجديدها اطلق عليها اسم "جونونيا" تبركا باسم جونون وجعلت هي حامية قرطاجنة.

وكما ان هدمهم لمدينة قرطاجنة لم يذهب بها وحييت من جديد." (٢)

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٢/٢٦٤

(٢) تاريخ الجزائر في القديم والحديث مبارك الميلي ١/٢٥٣

"أشهر (شتنبر- ابريل)، ومن مصر لمدة اربعة اشهر. ولما اتخذ قسطنطيين بيزنطة عاصمة لمملكته اختصت افريقية بتموين رومة، ومصر بتموين بيزنطة.

ويبلغ فب بعض السنين ما تأخذه رومة من شمال افريقية (٣٤٨٠٠٠) طن.

واتخذت رومة سفنا خاصة لنقل حبوب أفريقية، ومراكز لجمعها ووكلاء للقيام على اصدارها، وأعفتها من أداء التجارة الخارجية.

ومن المركزا التي كانت تجمع بها الحبوب لتصدر الى رومة: وادي مجردة، تغاست، مدورس، تفيست، لمبس، ناحية سيطيفس. قال بيروني: "يحمل من هذه المراكز كل عام ما يقرب من مليوني قنطار قمحا".

وما تأخذه رومة من افريقية بصفة خراج تبيعه هنالك لابنائها ثم صارت تقسمه مجانا على أهل الحاضرة والبادية. وكان عدد الذين تمونهم الجمهورية برومة (٣٢٠٠٠٠). ولما جاء يوليوس قيصر نقص من هذا العدد نصفه. وبعده جاء أغسطس فبلغ عددهم (٢٠٠٠٠٠) وفي سنة ٦٤م **احترقت** رومة فكان نيرون الامبراطور محتاجا الى تعزيز مالية الدولة فقطع هذا المعاش عن أهله. وبعد وفاته أعاده خلفه.

وكان لتوزيع القمح قوانين خاصة مشتقة من اسمه (FRUMENTAIRE) والايطاليون اذ ذاك يستعملون القمح في معاشهم أكثر مما يستعمل اليوم. ولشدة ارتباط حياتهم بأفريقية كان عظماء رومة إذا اجتمعوا في ساحة المدينة (الفوروم) يقرن أحدهم." (١)

"جدول الأباطرة

الامبراطور	مدته	ولايته	نهايته	تعليق
قيصر اكتبيان	()	ق ٢٧	م ١٤	١
طباريش	٢٣	م ١٤	٣٧	٢
غانيس	٤	٣٧	٤١	٣
قلوديش	١٤	٤١	٥٤	()
نيرون	١٤	٥٤	٦٨	٤
غلبان	ش٩	٦٨	٦٩	()
اتون	ش٣	٦٩	٦٩	٥
ابطالس	س٨	٦٩	٦٩	٦
اسباشيانس	٩	٦٩	٧٩	٧

---

(١) تاريخ الجزائر في القديم والحديث مبارك الميلي ٢٨٩/١

طيطش .... ٢ .... ٧٩ .... ٨١ .... ()

دومتيان .... ١٥ .... ٨١ .... ٩٦ .... ٨

نربا .... ٢ .... ٩٦ .... ٩٨ .... ٩

طريانس .... ١٧ .... ٩٨ .... ١١٧ .... ()

اندريانوس .... ٢١ .... ١١٧ .... ١٣٨ .... ١٠

انطونيس .... ٢٢ .... ١٣٨ .... ١٦١ .... ()

اوراليانس .... ١٩ .... ١٦١ .... ١٧٨ .... ()

كمودة .... ١٣ .... ١٧٨ .... ١٩٢ .... ١١

برطانوس .... س٣ .... ١٩٢ .... () ١٢

يوليانس .... س٢ .... () .... ١٩٣ .... ()

س ورس .... ١٨ .... ١٩٣ .... ٢١١ .... ١٣

اقطونيس .... ٦ .... ٢١١ .... ٢١٧ .... ١٤

مقرين .... ١ .... ٢١٧ .... ٢١٨ .... ١٥

انطونيش .... ٤ .... ٢١٨ .... ٢٢٢ .... ١٦

اسكندروس .... ١٣ .... ٢٢٢ .... ٢٣٥ .... ()

(١) لم يذكر مدته، وقال: ولد المسيح لاثنتين واربعين من ولايته. وغيره يسميه اكتافيوس، ويقول: ولي سنة ٢٧ ق. م وهو صحيح في نفسه، ورواية ابن خلدون معتد فيها بما قبل امبراطوريته حيث انه كان أحد الرجال الثلاثة منذ سنة ٤٢ ق. م (٢) غيره يدعوه طيبربوس (٣) غيره يدعوه قليغولا (٤) اضطهد المسيحية، وحرق رومة تلذذا بمنظر الحريق ومات في شهر يونيه (٥) شبه أنون بالنون. وهو تصحيف (٦) غيره يدعوه ويتليوس (٧) غيره يدعوه وسبسيان (٨) فيه دومريان بالراء. وهو تحريف (٩) فيه برما. وهو تحريف وتصحيف (١٠) في غيره أدريانوس باسقاط النون (١١) قال: في عاشرة ملكه ظهر أردشير بن بابك أول ملوك الدولة الساسانية من دول الفرس (١٢) في غيره برطينكس (١٣) في غيره سبتمس سويرس (١٤) في غيره قاقلا (١٥) فيه مفريق. وهو تصحيف وتحريف (١٦) المستفاد من غيره ان علمه الشخص بسيانس، وبعد امبراطوريته لقب نفسه "مرقس أريل أنطونين".." (١)

"الشعر. ويعتدون في نحو ثلاثين الفا. والعراقيون الشهيرون بالرأي والقياس والحجازيون الشهيرون بالسنة والاثر. ولهذه الطوائف مساجدها وعلماؤها وحلق دروسها. وكانوا بتيهرت يجتمعون للمناظرة والمباحثة في دائرة الادب وقانون العلم بغاية الحرية. قال ابن الصغير: "ومن أتى الى حلق الاباضية من غيرهم قربوه وناظروه ألطف مناظرة. وكذلك من اتى من الاباضية الى حلق غيرهم كان سبيله ذلك". وقال متحدثا عن الاباضيين:

---

(١) تاريخ الجزائر في القديم والحديث مبارك الميلي ٣٢٢/١

" ولا يمنعون أحدا من الصلاة في مساجدهم ولا يكشفونه عن حاله. ولو رأوه رافعا يديه، ما خلا المسجد الجامع فانهم اذا رأوا فيه من رفع يديه منعوه وزجروه فان عاد ضربوه". قال الباروني: والمسجد الجامع هو مسجد الامام. ولعلهم يفعلون ذلك بغير اذنه وعلمه. يريد ان ذلك من متعصبة العامة التي كثيرا ما تنصر دينها بما تأباه مبادي ذلك الدين نفسه.

أصبحت تيهرت معدن العلم والادب ومحط رحال الطلبة حتى قال فيها أبو عبد الله البنا: "يفضلونها على دمشق وأخطأوا وعلى قرطبة وما أظنهم اصابوا". ولست أشك في انها دونهما ولكن حضورها في الذهن بحضورهما يكفي دليلا على تقدمها ورقيها.

وقد نسب اليها علماء كثيرون في مختلف الفنون. ذكر البارني طائفة منهم. والفتن التي استمرت بتيهرت أواخر الحكومة الرستمية وبعدها ترشد الى أن الذين آثارهم أكثر من الذين عرفوا. فمنهم أبو الفضل أحمد بن القاسم التميمي البزاز. روى عنه أبو عمر بن عبد البر وغيره. ومنهم الشيخ أبو سهل. كان أفصح أهل زمانه في اللسان البربري. ألف به تآليف **احترقت** في بعض الفتن. وتولى خطة الترجمة للامامين أفلح ويوسف. ومنهم أبو عبيدة." (١)

"وكان ضرر الحرب بالجزائر أقل منه بتونس وطرابلس لان الجزائر لم تكن هي المقصودة بهذه الحملة، ولم تطل بها مدة الحرب، وسواحلها حيث كتامة كانت منطقة سلم، ووسطها به معاقل منيعة وجبال حصينة، وجنوبها حيث اشتدت الحرب صحراء ليس فيها كبير عمارة.

والمسؤل عما لحق المغرب من أضرار الحرب هي صنهاجة التي لم تحسن سياسة هؤلاء العرب وجرأتهم عليها بما كان بين دولتيها من تنافس. وقد بالغ كتاب العربية في تقدير تلك الاضرار ثم حملوا الهلاليين مسؤليتها. ذلك لانهم كتبوا لدول بربرية ولم يكن للهلاليين حكومة تطمعهم في انعامها. ولبداوتهم لم يهتموا بدعاية سياسية تنشر لهم أو عليهم. واتخذ كتاب الفرنسوية مبالغات كتاب العربية سلما لثلب العرب. وصاروا يطرون البربر بعد ما كانوا يقذفونهم باشنع القذائف في الدورين الروماني والبزنطي. واقتصر في هذا الغرض على كلمة واحدة للكاتب العسكري كاريت. قال:

" كان هجوم العرب الفاتحين كالاعصار يقتلع الاشجار ويهدم المنازل وهجوم الهلاليين **كالحريق** الهائل الذي يذر الاشجار والمساكن رمادا تذروه الرياح فما أبقاه الاعصار قضى عليه **الحريق**. وما بقي عن السياسة العربية قائما بالمغرب ذهب به الطبع العربي الهدام. فتمم الهلاليون اعمال التخريب التي ابتدأها الخلفاء الأولون " اهـ.

اما تجد في هذه الجملة التي هي غيض من فيض ريح مسيحية القرون الوسطى وروح الاستعمار المصري؟ لعل كاريت تصور حربا أروبية بآلاتها المدمرة واستعار نتائجها لنتائج حرب سلاحها السيف والقوس! ولعل عاطفته على هذا الوطن امام الهجوم العربي استعارها من انسان كامل رأى الحملات الاروبية على الامم المستضعفة! اسمح لي أيها الكاتب أن أقول لك لست بمؤرخ يحترمه القارىء ولا بسياسي." (٢)

---

(١) تاريخ الجزائر في القديم والحديث مبارك الميلي ٧٩/٢

(٢) تاريخ الجزائر في القديم والحديث مبارك الميلي ١٨٦/٢

"التعطش لما يدعو إليه بعد ما **احترقت** قلوبهم من امتصاص الولاة الترك دماءهم وأموالهم
٢٣٢ – وسار محمد على باشا في سبيله بجد ونشاط لا يعرفان الكلل ولا السآمة، وقضى على كل مخلفات ولاة الأتراك من الرشوة، والاغتصاب والظلم وانتهاك الحرمات، فسارت مصر إلى الرقي المادي بخطى واسعة حتى تبوأت مكانة، خافتها الدولة العثمانية وخشيت من تقدم الوالى العظيم محمد على المطرد في سبيل المجد والعظمة.
٢٣٣ – وكان الحجاز أشقى من مصر، وأتعس حظا، إذ كانت الدولة تعتبره منفى لكل وال، أو موظف، أو ضابط، اشتهر من أعماله وأخلاقه ما يضج منه العباد والبلاد، فأين تذهب به؟ وأي البلاد ترميها بهذا الأثيم؟ الحجاز المسكين، البلاد المقدسة التي جعلها الله مثابة للناس وأمنا. فإذا ما حط رحله في الحجاز، وهو يعتقد أنه جيء به إلى المنفى للانتقام منه– أخذ يأتي من أنواع فساده وضروب شره، ما كان من نتائجه: الذي تسامع به الناس كلهم: أن مكة منتشر فيها الأمراض السرية: من السيلان والزهري وغيرها من ثمرات الفسق والفاحشة، مما أمسك قلمي ولساني عن الخوض فيه. وكان فيها من أنوع التهتك في الملاهي والخمور ما يدهش الإنسان عند ما يسمع حكايته ممن شهدوه في عهد الأتراك من كبار الأسنان.
٢٣٤ – وكان هذا شأن ولاة الأتراك في الحجاز إلا القليل النادر جدا من بعض الولاة الصالحين الذين يعدهم الحجازيون على أصابع يد واحدة أو أكثر بقليل. وإلى جانب هؤلاء الولاة المفسدين من الأتراك يأتي الأشراف." (١)

"وأخرج الطبراني عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة رضي الله عنه قال: بينما أنس بن مالك وأخوه عند حصن من حصون العدو يعني **بالحريق** – بالعراق –، كانوا يلقون كلاليب في سلاسل محماة، فتعلق بالإنسان فيرفعون إليهم؛ ففعلوا ذلك بأنس. فأقبل البراء حتى تراءى في الجدار، ثم قبض يده على السلسلة؛ فما برح حتى قطع الحبل. ثم نظر إلى يده، فإذا عظامها تلوح، قد ذهب ما عليها من اللحم. وأنجى الله أنس بن مالك بذلك. كذا في الإصابة.
وذكره في المجمع عن الطبراني، وفيه: فعلق بعض تلك الكلاليب بأنس بن مالكن، فرفعوه حتى أقلوه من اورض؛ فأتي أخوه البراء فقيل له؛ أدرك أخاك – وهو يقاتل الناس –، فأقبل يسعى حتى نزا في الجدار؛ ثم قبض بيده على السلسلة وهي تدار، فما برح يجرهم ويداه تدخنان حتى قطع الحبل. ثم نظر إلى يديه – فذكره؛ قال الهيثمي: وإسناده حسن. انتهى.
تمني الشهادة والدعاء لها تمني لنبي عليه السلام القتل في سبيل الله
أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «والذي نفسي بيده، لولا أن

(١) أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها محمد حامد الفقي ص/٩٢

رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه؛ ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله. والذي نفسي بيده، لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا. ثم أقتل» .." (١)

"الفصل الأول

ولاية عبد الرحمن الناصر وقيام الخلافة الأندلسية

ولاية عبد الرحمن حفيد الأمير عبد الله. نشأته وحداثته. أخذ البيعة له. حزمه في معالجة الثورة. غزو قلعة رباح وإخضاعها. خروج عبد الرحمن لغزو الثوار. غزوة المنتلون. غزوه لمعاقل ابن حفصون في ريه وإلبيرة. سحق الثورة في إشبيلية. عوده لغزو كورة ريه. محاصرته لقرمونة وإخضاعها. مولد ولي العهد الحكم. القحط بالأندلس. أقوال ابن حيان. إخضاع أوريولة ولبلة. ابن حفصون يطلب الصلح ويجاب إليه. عهد الناصر له. وفاة عمر بن حفصون. مبالغة النقد الغربي في تصوير شخصيته. أبناؤه يخلفونه في معاقله. مطاردتهم وإخضاع ببشتر آخر معاقلهم. استخراج جثة الثائر وصلبها. إعدام ابنته أرخنتا. كتاب الناصر عن فتح ببشتر. محاصرة طليطلة وإخضاعها. إخضاع بطليوس ونهاية بني الجليقي. إخضاع بني ذى النون. تمزيق الثوار في شرقي الأندلس. إسبانيا النصرانية وتربصها بالأندلس. عيث النصارى في أراضي المسلمين. غزو أردونيو ليابرة وماردة وبطليوس. غزو المسلمين لأراضي ليون. موقعة شنت إشتيبن وهزيمة المسلمين. عود المسلمين إلى غزو ليون. موقعة مطرانية وهزيمة النصارى. مسير عبد الرحمن إلى ليون. استيلاؤه على أوسمة وشنت إشتيبن. توغله في أراضي نافار. موقعة جونكيرا وهزيمة النصارى. إستيلاء النصارى على بقيرة وفتكهم بالمسلمين. مسير عبد الرحمن إلى الثغر الأعلى. غزوه لنافار واستيلاؤه على بنبلونة. هزيمة النصارى. وفاة أردونيو وولاية ولده راميرو. راميرو يشجع ثوار طليطلة. محاصرة الناصر لطليطلة. محاولة راميرو إنجادها. سقوطها في يد الناصر. غزو الناصر لقشتالة. مسيره إلى أوسمة. التماس طوطة للصلح. غزو ألبة والقلاع. غزوة بحرية إسلامية للثغر الفرنجي. الصلح بين الناصر وراميرو. تحالف بني هاشم أصحاب الثغر الأعلى مع النصارى. مسير عبد الرحمن إلى مقاتلة الثوار. محاصرته لسرقسطة. خروج أمية بن إسحاق والتجاؤه للنصارى. سقوط سرقسطة وخضوع محمد بن هاشم. عهد الناصر له بالأمان. غزو عبد الرحمن لنافار وخضوع ملكتها طوطه. تأهب عبد الرحمن لمحاربة راميرو. نفوذ الصقالبة في القصر والجيش. مسير عبد الرحمن إلى ليون. تحالف ليون ونافار. زحف عبد الرحمن على سمورة. موقعة الخندق وهزيمة المسلمين. أقوال الروايات العربية. رواية المسعودي. رواية ابن حيان. كتاب الناصر عن الغزوة. رواية ابن الخطيب. الروايات النصرانية. رواية ألفونسو الحكيم. الروايات الأخرى. آثار الموقعة. عود المسلمين لغزو ليون. وفاة راميرو وجلوس أردونيو. الصلح بين الأندلس وليون. بعض الحوادث الداخلية. حريق قرطبة. المحل والقحط. الدعوة الفاطمية واجتياحها للمغرب. جزع حكومة قرطبة. استيلاء عبد الرحمن على سبتة. خضوع المغرب الأقصى لعبد الرحمن. خطر الفاطميين على الأندلس. السفن الفاطمية تغزو ألمرية. غزوات عبد الرحمن لشواطىء المغرب. أثر الدعوة الفاطمية في بعث فكرة الخلافة الأندلسية. عبد الرحمن يتخذ سمة

(١) حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوي ٢/١١٦

الخلافة. الوثيقة الخاصة بذلك. ابن مسرة. حركته وحقيقة أمرها. أقوال ابن حيان عنها. مطاردة منتحليها. كتاب الناصر في شأنها.." (١)

"هذا، ومما ذكره لنا ابن حيان من الحوادث الداخلية في سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٦ م)، وقوع **الحريق** العظيم بمدينة قرطبة. ففي أوائل شهر شعبان من هذه السنة، نشبت النار بسوق قرطبة، فأحرقت جميع مجالس الحصاد، واتصل **الحريق** بحي الصرافين، وما جاور مسجد أبي هرون، فاحترق وتداعى المسجد.

ثم اتصلت النار بسوق العطارين، وما جاوره من الأسواق والأحياء، واتسع نطاقها بصورة مرعبة. وكان **حريقا** شنيعا مروع الآثار. وقد أمر الناصر بعد انتهائه، وانجلاء آثاره، أن يعاد بناء مسجد أبي هرون، فأعيد على أحسن حال.

وأمر الناصر كذلك بإعادة بناء ما تهدم من الدور والصروح العامة (١).

- ٣ -

لم ينس عبد الرحمن خلال توفره على محاربة الثوار والنصارى داخل شبه الجزيرة، أن يعني بمقاومة الدعوة الفاطمية التي اجتاحت شمالي إفريقية، وامتدت بسرعة إلى عدوة المغرب وإلى سبتة، وأخذت تهدد شواطىء الأندلس. وكانت الدعوة الفاطمية تنطوي بالنسبة للأندلس على خطر مزدوج ديني وسياسي معا. وكانت في قوتها وعنفوانها تهدد طرفي إفريقية أعني مصر والمغرب. فمنذ عبيد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين، تتردد جيوش الخلافة الفتية من قواعدها في تونس نحو مصر والمغرب، غازية. وكان اجتياحها السريع للمغرب يثير بحق جزع حكومة قرطبة؛ ولا غرو فقد كانت عدوة المغرب تعتبر دائما، قاعدة لغزو الأندلس وخط دفاعها الأول. وكان ثوار الأندلس يتجهون بأبصارهم إلى العدوة، ويفاوضون الفاطميين، ويأتمرون معهم على حكومة الأندلس، فكان على عبد الرحمن أن يغالب هذا الخطر الجديد قبل استفحاله. ففي سنة ٣١٩ هـ (٩٣١ م) سير عبد الرحمن إلى ثغر سبتة أسطولا قويا يتكون من مائة وعشرين سفينة، ما بين حربية وناقلة، وسبعة آلاف رجل منهم خمسة آلاف من البحارة وألف من الحشم، وانضم إليه عدة من وجوه ألمرية وبجانة تطوعا في مراكبهم، وكان تحت قيادة أميري البحر أحمد بن محمد بن إلياس وسعيد بن يونس بن سعديل. فخرج هذا الأسطول من الجزيرة آخر جمادى الأولى من هذه السنة، واستولى على سبتة من يد ولاتها البربر بني عصام حلفاء الفاطميين، وطلب الناصر إلى صاحب طنجة

---

(١) ابن حيان السفر الخامس – لوحة ١٥٠ أ.." (٢)

"إليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ... " الآية. فخوف وحذر، ونهى عن افتراق الكلمة، ونبه على البعد، ونفى الله الخبيث عنها، وفضلها على ساير البلدان، واستقر فيها الدين، كهيئته يوم أكمله الله لعباده. ولما استوسقت الطاعة، وشملت النعمة، وعم الأقطار، بعدل أمير المؤمنين، السكون والدعة، طلعت

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٣٧٢/١

(٢) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٤٢٥/١

فرقة لا تبتغي خيرا، ولا تأتمر رشدا، من طغام السواد، ومن ضعف آرايهم، ومن خشونة الأوغاد، كتبا لم يعرفوها، ضلت فيها حلومهم، وقصرت عنها عقولهم، وظنوا أنهم فهموا ما جهلوا، وتفقهوا فيما لم يدركوا، واستولى عليهم الخذلان، وأحال عليهم بخيله ورجله الشيطان، فزينوا لمن لا تحصيل لهم، ولقوم آمنين لا علم عندهم، فقالوا بخلق القرآن، واستيئسوا، وآيسوا من روح الله، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، وأكثروا الجدل في آيات الله، وحرموا التأويل في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبريت منهم الذمة بقوله تقدست أسماؤه: " ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون، الذين كذبوا بالكتاب، وما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون، إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون. في الجحيم ثم في النار يسجرون. فهذا أبلغ الوعيد، وأفضع النكال، لمن جادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه: ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي، ونذيقه يوم القيامة عذاب **الحريق** ... " ثم تجاوزوا في البهتان، وسدوا على أنفسهم ألوان الغفران، فأكذبوا التوبة، وأبطلوا الشفاعة، ونالوا محكم التنزيل، وغامض متن التأويل، بتقدير عقولهم: فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم، يقولون آمنا به، كل من عند ربنا، وما يذكر إلا أولو الألباب. فصاروا بجهل الآثار، وسوء حمل الأخبار إلى القدح في الحديث، وترك نجح السبيل، فأساءوا الفهم عن العوام، وأقدموا بمكروه القول في السلف الصالح، واستبدلوا على نقلة الحديث، ووضعوا من الكتب لوضعها، وتابعوا شهواتهم فيها، وتتابعوا فيما ... وورطهم، ورأوا لتخضع وحشة بحثها لازم الضلالة، وداعية الهلكة، والشذوذ عن مذهب الجماعة، من غير نظر نافذ في دين، ولا رسوخ في علم، حتى تركوا رد السلام على المسلمين، وهي التحية التي نسخت تحية الجاهلين. خلافا على أدب الله تعالى، وقوله جل جلاله: وإذا حييتم." (١)

"وكان متهما في المؤامرة التي دبرها ضده ولده اسماعيل، ففر من إشبيلية، والتجأ إلى باديس وخدمه وحظى عنده، وعهد إليه ببعض المهام الخطيرة. ثم وقع التنافس بينه وبين يوسف، وكان النابة يحرض على قتله، ويفضي إلى الأمير بذلك كلما سنحت الفرص. وشعر يوسف بتغير الأمير عليه، وبأن منزلته أخذت في الضعف، ففكر في التفاهم مع أبي يحيى بن صمادح صاحب ألمرية، واستدعائه للاستيلاء على غرناطة. وكانت تربط ابن صمادح وباديس علائق مودة قديمة، إذ كان باديس قد وقف إلى جانبه حينما أراد ابن أبي عامر محاربته واسترداد ألمرية منه، ومهد يوسف لمشروعه بأن عمل على تعيين زعماء صنهاجة، الذين يخشى بأسهم، في الأعمال البعيدة، واستطاع ابن صمادح بالفعل أن ينتزع وادي آش، الواقعة شمال شرقي غرناطة، وأن يشحنها برجاله، ومضى يوسف في مفاوضته وهو محجم متهيب من تنفيذ المشروع. كل ذلك وباديس غارق في لهوه، منكب على لذاته (١)، وخصوم يوسف من صنهاجة، وسائر أهل غرناطة، يضطرمون سخطا على الطاغية اليهودي، ويترقبون الفرص لإسقاطه. ولقي سخط الشعب الغرناطي على اليهود في تلك الآونة، متنفسه في الشعر، ونظم الفقيه الورع الزاهد أبو إسحاق الإلبيري (٢) قصيدته الشهيرة في التحريض على سحق اليهود، والتخلص من طغيانهم، وإليك بعض ما ورد في تلك القصيدة التي ذاعت يومئذ ذيوع النار في الهشيم، وألهبت

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٧٠٩/١

مشاعر الشعب الغرناطي، وكانت كالشرارة التي أضرمت **الحريق**، وأثارت الانفجار:

ألا قل لصنهاجة أجمعين ... بدور الزمان وأسد العرين

لقد زل سيدكم زلة ... تقرب بها أعين الشامتين

تخير كاتبه كافرا ... ولو شاء كان من المؤمنين

فعز اليهود به وانتخوا ... وتاهوا وكانوا من الأرذلين

---

(١) راجع كتاب التبيان ص ٤٦ و ٤٧ و ٥٠ – ٥٣.

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبي الإلبيري. كان فقيها ومحدثا وأديبا وشاعرا. سعى به الوزير يوسف بن نغرالة لأمور نقمها منه لدى سلطانه باديس، فأبعده عن غرناطة فسكن إلبيرة القريبة منها، وانقطع إلى العبادة والزهد. ولكنه لبث يحرض صنهاجة على اليهود في شعره ووعظه، حتى وقع الانفجار، وتم الفتك بهم. وتوفي الإلبيري في أواخر سنة ٤٥٩، بعد أن شهد آثار تحريضه في بطش صنهاجة باليهود.." (١)

"دعائمها في المغرب والأندلس، وفي أوائل عهده، وصلت الدولة المرابطية إلى ذروة قوتها وضخامتها، بيد أنه سرعان ما ظهرت حركة المهدي ابن تومرت حتى انقلبت الآية، وأخذ الانحلال يسري إلى ذلك الصرح الشامخ، وأخذت الدولة المرابطية، تسير سراعا إلى قدرها المحتوم.

ومما يؤثر عن علي بن يوسف، أنه كان أول من استخدم النصارى في الجيش المرابطي. وقد بدأ في ذلك حينما وقع تغريب النصارى المعاهدين بالأندلس في سنة ٥٢١ هـ (١١٢٧ م)، حيث استخدم جماعة من الذين قضى بتغريبهم في حرسه الخاص، وكان ما أبداه أولئك الجند النصارى من الغيرة والإخلاص، مشجعا له على التوسع في استخدامهم، واستقدامهم من شبه الجزيرة، ودعوة أنجادهم من الفرسان، وهكذا انتظمت في الجيش المرابطي فرقة أو فرق خاصة من المرتزقة النصارى. وفي أواخر عهد علي، عهد بقيادة هذه الفرق الأجنبية إلى الفارس القسطلاني الإبرتير أو الربرتير كما تقدم، وأخذت تقوم بدور هام في المعارك التي كانت تضطرم يومئذ بين المرابطين والموحدين. ويقول لنا صاحب البيان المغرب أن عليا كان يؤثر أولئك الجند النصارى، ويمكن لهم، وكانوا في ظل هذه الرعاية الخاصة يتعالون على المسلمين، ويفرضون عليهم المغارم. ولما اضطربت الأمور في أواخر عهد علي، أهمل الجند المسلمين، وعجز الأمير عن الإنفاق عليهم، حتى كان أكثرهم يكرون دوابهم (١).

ومما يذكره لنا ابن عذارى في هذا الصدد أيضا، أن أمير المسلمين عليا، حينما رأى توالي فشل ولده تاشفين في محاربة الموحدين، ساءه ذلك، وعزم على إقالته، وأن يقدم مكانه ولده إسحاق، وكتب بالفعل إلى عامله على إشبيلية عمر،

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٢/١٣٥

بالقدوم، ليجعله مدبر ولده، وكان ذلك في سنة ٥٣٦ هـ. بيد أنه يبدو أنه لم يجد متسعا من الوقت لتحقيق هذا العزم، إذ توفي بعد ذلك بأشهر قلائل (٢).

وكان من الأحداث البارزة في أواخر عهد علي، السيل العظيم الذي وقع بطنجة، في سنة ٥٣٢ هـ، وقد اكتسح معظم دورها وصروحها، وهلك فيه عدد عظيم من الناس، والدواب (٣). ثم **الحريق** الكبير الذي وقع في العام التالي بسوق

---

(١) البيان المغرب، في الأوراق المخطوطة التي سبقت الإشارة إليها.

(٢) البيان المغرب (في الأوراق المخطوطة المشار إليها - هسبيرس ص ١٠٥).

(٣) البيان المغرب (الأوراق المخطوطة - هسبيرس ص ١٠٣).." (١)

"مسيره إلى رباط الفتح ثم إلى مراكش. نظره في الأعمال السلطانية ومراجعته لأعمال العمال. وفاة السيد أبي الربيع والي بجاية. تعيين السيد أبي عمران موسى واليا لتلمسان. عود يحيى الميورقي إلى الحركة. تحول بعض طوائف العرب عن محالفته إلى الموحدين. مسير يحيى إلى الشمال. خروج الشيخ أبي محمد إلى لقائه. معركة تبيشة. هزيمة الميورقي وفراره. جمعه لقواته ومسيره غربا صوب واحات سجلماسة. اقتحامه لسجلماسة ونهبها. اهتمام الموحدين في إفريقية ومراكش. عوده صوب تلمسان. مفاجأته لواليها

السيد أبي عمران وقواته. هزيمة الموحدين ومصرع السيد وصحبه. اقتحام الميورقي لمدينة تاهرت. عيث الميورقي في أحواز تلمسان. إنجاد المدينة وتأمينها. مسير حملة جديدة لمقاتلة الميورقي. ارتداده صوب طرابلس. عوده إلى الحركة. تضخم جيشه بالعرب والأغزاز. خروج الشيخ أبي محمد لقتاله. مسيره نحو جبل نفوسة. اشتباك الفريقين. هزيمة الميارقة وحلفائهم. مقتل أشياخ العرب. فرار يحيى وفله. عود القائد الظافر أبي محمد. كتابه إلى الخليفة بالفتح. معالجة الشيخ أبي محمد لشئون إفريقية. فضله في إخماد ثورة بني غانية. توطيده لسلطان الموحدين في إفريقية. التجاء سير أخي يحيى إلى الشيخ أبي محمد. أعمال الناصر وتعييناته للولاة والكتاب والقضاة. بعض حوادث المغرب في تلك الفترة. **حريق** مراكش. وفد المسلمين الصقليين إلى تونس. أحوال مسلمى صقلية منذ افتتاح النصارى للجزيرة. أقوال الرحالة ابن جبير عن ذلك.

لما توفي الخليفة يعقوب المنصور، في ليلة الجمعة الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٥٩٥ هـ (٢٢ يناير سنة ١١٩٩ م)، خلفه في صباح اليوم التالي ولده أبو عبد الله محمد الملقب بالناصر لدين الله، وأخذت له البيعة العامة بعد ذلك بأسبوع في نهاية شهر ربيع الأول. ولم يعارضه أحد من الإخوة ولا العمومة. وكان المنصور قد اختاره لولاية عهده، وعقد له البيعة بذلك في أواخر سنة ٥٨٧ هـ، حينما دهمه المرض الشديد، عقب عوده إلى المغرب، من جوازه الأول إلى الأندلس. ثم أخذت له البيعة بعد ذلك في سائر أقطار المغرب والأندلس. وكان الخليفة الجديد حين جلوسه، في نحو السابعة عشر من عمره، إذ كان مولده في أواخر سنة ٥٧٦ هـ. ويقول لنا المراكشي إن أمه أم ولد رومية تدعى زهر.

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٣/٢٤٢

ولكن صاحب روض القرطاس، يقول إن أمه بالعكس كانت حرة اسمها أمة الله، وأنها ابنة السيد أبي إسحق بن عبد المؤمن (١). وتولى الوزارة للخليفة الجديد، وزير أبيه أبو زيد عبد الرحمن بن موسى ابن يوجان، وهو ابن أخي الشيخ أبي حفص (٢)، وتولى مهمة الاستشارة والتوجيه، الشيخ أبو زكريا وأخوه الشيخ أبو محمد عبد الواحد، إبنا الشيخ

---

(١) المعجب ص ١٧٥، وروض القرطاس ص ١٥٢.

(٢) وقد ورد في بعض الروايات " أبو زيد بن يوجاق " (راجع رحلة التجاني ص ٣٦٣)." (١)

"الأعمال، وشكا إليه أهل فاس من مظالم عاملهم أبي الحسن بن أبي بكر، كما شكا إليه أهل مكناسة من مظالم عاملهم أبي الربيع بن أبي عمران، فأمر بالقبض عليهما، واستصفاء أموالهما، ثم رحل إلى مكناسة، ونزل بها في صفر، وأصابته هنالك وعكة، يبدو أنها كانت من أثر مرض وبائى فشا ببلاد الأندلس وانتقل إلى العدوة. فلما تماثل للشفاء، غادر مكناسة إلى رباط الفتح، فوصل إليها في شهر ربيع الأول، ثم رحل منها مباشرة، إلى مراكش، فوصلها بعد أيام قلائل (١).

وما كاد الناصر يستريح من وعثاء السفر، حتى عاد إلى النظر في الأعمال السلطانية، فقدم أبا محمد عبد العزيز بن عمر بن أبي زيد على الأشغال بالعدوتين المغرب والأندلس. وكان أبو سعيد بن جامع متوليا للوزارة، فبقى على ما كان عليه، وكانت تربطه بعبد العزيز بن أبي زيد روابط الصداقة. ووصل معظم العمال مع أتباعهم وكتابهم، وفقا للأمر الصادر بذلك، وأخذ في تصفح أعمالهم ومراجعتها، وكان ممن وصل من العمال بالأندلس، يوسف بن عمر الكاتب ومؤرخ الخليفة المنصور، وكان يتولى النظر على بعض الأشغال المخزنية والسهام السلطانية، وكان قد لحقت بتصرفاته بعض الريب، فما كاد يقترب من الحضرة حتى أحيط بأحماله ومتاعه وقبض عليه وثقف، ثم فتحت أحماله وأمتعته بحضور الشهود وروجعت، فلم يوجد بينها شيء مما يدينه، فأمر الخليفة بإطلاق سراحه، ورد ماله ومتاعه إليه، وكان مما شفع له في ذلك عند الناصر، كتابه الذي ألفه في محاسن والده المنصور (٢).

وفي هذا العام توفي السيد أبو الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن والي بجاية، وكان قد قام بتجديدها عقب **الحريق** الذي أصابها وخرب كثيرا من ربوعها. وفي العام التالي أعني سنة خمس وستمائة أقيل السيد أبو الحسن بن عمر والي تلمسان لمرضه وعجزه عن ضبط الأمور، واضطراب قبائل زناتة في تلك المنطقة، وعين مكانه في الولاية السيد أبو عمران موسى أخو الخليفة، فقدم إلى تلمسان ومعه عسكر من الموحدين ليستعين بهم في ضبط الأمن والسكينة في تلك المنطقة.

وفي تلك الأثناء كانت الحوادث في إفريقية قد عادت إلى اضطرامها، وعاد يحيى الميورقي إلى استئناف نشاطه ومغامراته. وكان مذ لحقت به

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٤/ ٢٥٠

(١) البيان المغرب - القسم الثالث ص ٢٢٥ و ٢٢٦.

(٢) ابن خلدون ج ٦ ص ٢٤٩، والبيان المغرب ص ٢٢٧ و ٢٢٨.." (١)

"مصرع ابن عطية الزناتى، أحد رؤساء زناتة الخوارج في منطقة تلمسان الجنوبية، وكان ممن تحالف مع ابن غانية حين غزوته لمنطقة تلمسان، فدس إليه ابن يوجان والي تلمسان من اغتاله بمقره. وفي هذا الحادث ما يدل على أن الاغتيال السياسي، كان من وسائل الموحدين في القضاء على خصومهم. ومنها أن الشيخ أبا محمد قام بغارة على أحياء الخوارج والمشاغبين من بني سليم، واستاق أشياخهم وأموالهم، وجعلهم رهينة لديه في تونس، حسما لفسادهم وشغبهم، وإرغامهم على قطع إمدادهم ومعاونتهم لابن غانية، ومن جهة أخرى فقد قام محمد بن عبد السلام عامل طرابلس بغارة على منطقة جبل نفوسة واقتحم بها قصرا، ألفى فيه جملة من ثمين المتاع والأموال لبني غانية، ووطد أسباب الهدوء في تلك المنطقة.

وكان من أهم الحوادث في هذا العام أيضا، **الحريق** الكبير الذي وقع بمراكش، وكان وقوعه في ليلة يوم الخميس الثالث عشر لجمادى الأولى، والناس يرقدون في مضاجعهم. وشبت النار أولا في حى القيسارية، وانتشرت بسرعة، وأتت على الحى كله، فشب الناس مذعورين من نومهم، وكثر الصراخ والاستغاثة، ونهض الخليفة الناصر على الضجيج وغادر قصره مسرعا، واعتلى صومعة الجامع ليشهد تغلغل النار عاجزا. واقتحم الغوغاء كثيرا من الدروب، وسلبوا ما استطاعوا سلبه مما سلم من **الحريق**، واستمر **الحريق** حتى صباح اليوم التالي، وقد أتى على كثير من أحياء المدينة. وأمر الناصر في اليوم التالي، بتتبع السفلة الناهبين، واسترداد ما يمكن استرداده منهم، فقبض على كثيرين من هؤلاء وأعدموا على الأثر. وهلك في تلك النكبة كثير من الأموال والدور، وافتقر كثير من ذوى اليسار، وفقدوا دورهم وثرواتهم. وأمر الناصر بأن يعاد تشييد الأحياء المحترقة بأحسن مما كانت عليه، خصوصا وقد كانت تواجه القصر الخليفى يسبغ عليها أضواءه (١).

هذا ويذكر لنا صاحب البيان ضمن حوادث هذا العام، أعني عام ٦٠٧ هـ، حادثا يستوقف النظر، وهو أن بعض أعيان جزيرة صقلية ووجوهها، وفدوا على الشيخ أبي محمد بن أبي حفص بتونس، ونبأوه بأن المسلمين في صقلية انتزعوا كثيرا من المعاقل من أيدي الروم، وأقاموا الخطبة في بلادهم بالدعوة المهدية الموحدية، وقطعوا ما سواها من الدعوات من عباسية وغيرها.

---

(١) البيان المغرب ص ٢٣٤ و ٢٣٥.." (٢)

"الفصل الثالث الحركة الفكرية الأندلسية خلال العصر الموحدي

القسم الثاني

علماء اللغة والنحو والأدب. ابن سمحون الأنصاري. عبد الرحمن بن محمد السلمي. داود بن يزيد السعدى. ابن طاهر

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٢٧١/٤

(٢) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٢٧٨/٤

الأنصاري النحوي. ابن ملكون الحضرمي، عبد الله بن محمد بن عبيد البكرى. سليمان الحضرمي النحوي. أبو ذر الخشني. ابن خروف. ابن سعدون الأزدي. ابن وهب البكري. ابن البرذعي. ابن عامر الجزيري. أبو علي الشلوبين. نهضة الشعر الأندلسي خلال العصر الموحدي. أثر المحنة في اضطرابه. ابن حبوس. ابن أبي العافية الأزدي. ابن مغاور. ابن غلبون. ابن غالب البلنسي الرصافي. شيء من شعره. ابن عياض القرطبي. أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي. محمد ابن أحمد الصابونى. ابن المناصف. ابن حريق. محمد بن إدريس مرج الكحل، شيء من شعره. ابن حزمون. ابراهيم بن سهم الإشبيلي. شيء من شعره. أحمد بن محمد بن حجاج اللخمى. أبو العباس الجراوى. أبو بكر بن مجبر. أعلام الكتاب في العصر الموحدي. أبو القاسم بن خيرة المواعينى. ابن هرودس ابن سعد الخير الأنصاري. الحسن بن حجاج الهوارى. أبو الفضل بن محشرة. الرحالة ابن جبير. بنو عياش. أبو الحسن بن عياش. محمد بن عبد العزيز بن عياش. أبو الحسن علي بن عياش. أحمد بن عبد العزيز بن عياش. عزيز بن عبد الملك بن خطاب. أبو عبد الله بن الجنان. أحمد بن محمد القضاعى البلوى. ابن هيصم الرعينى. أبو المطرف بن عميرة المخزومي. الرواة والمؤرخون في العصر الموحدي. صلة ابن بشكوال ثم تكملة ابن الأبار ثم الذيل والتكملة، ثم صلة الصلة. عبد الملك بن صاحب الصلاة. عبد الواحد المراكشي. ابن مدرك الغسانى. أحمد بن محمد الأزدي. أبو القاسم الملاحى. عيسى بن سليمان الرعينى. ابن قسوم اللخمى. ابن الأبار القضاعى. آثاره وتراثه. ابن سعيد الأندلسي. بن فرتون السلمى. ابن عذارى المراكشي. ابن القطان. ابن الزبير. ابن عبد الملك المراكشي.

استعرضنا في الفصل السابق طائفة كبيرة من أعلام الفكر الأندلسي، ممن نبغوا في العلوم الدينية، ومن جمعوا بينها وبين اللغة والأدب، ومن برزوا في ميدان التصوف، خلال العصر الموحدي، وهم حسبما بينا فيما تقدم، الكثرة الغالبة في ميدان التفكير الأندلسي في ذلك العصر، الذي قدر أن تجوز فيه الأندلس محنتها الكبرى، بانهيار صرحها القديم الشامخ، وسقوط معظم قواعدها الكبرى، في يد اسبانيا النصرانية." (١)

"عصره، وألمع شعرائه، ويقول ابن الأبار إن ابن الصابونى كان شاعر وقته، ويقول أيضا إن الآداب ذهبت بذهابه، وختمت الأندلس شعراءها به. وهو قول يحمل طابع المبالغة. ورحل ابن الصابونى إلى المشرق فتوفى بالإسكندرية، وهو في طريقه إلى القاهرة، وذلك في سنة ٦٤٠ هـ.

ومن نظمه قصيدته المشهورة في مدح عزيز بن عبد الملك بن خطاب والي مرسية، حين وفد عليه في سنة ٦٣٢ هـ، وهذا مطلعها:

أهلا بطيف خيال منك منساب ... أزال عتبك عندى حين إعتابى

ومنها:

لا در در ليالى البعد من زمن ... يطول فيه اجتراع الصب للصاب

نابت صروف نبابى عندها وطنى ... قرعت بابى لها من رحلى الناب

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٦٨١/٤

جوابة الأرض لا ألوى على سكن ... تشجى الركاب وتجرى بى لتجواب

ومن قوله من قصيدة:

أقسم فرق الليل عن سنة الضحى ... وأهبط خصر القاع من كفل الدعص

إلى أن أرى برقا إذا شمت وجهه ... رأيت جبين البدر مكتمل القرص (١).

وطلحة بن يعقوب بن محمد بن خلف بن يونس بن طلحة الأنصاري من أهل شاطبة، وأصله من جزيرة شقر. كان كاتبا بليغا، وشاعرا مجيدا، أخذ عن أشياخ عصره، وروى عنه. وتوفي في رمضان سنة ٦١٨ هـ (٢).

ومحمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ .. بن عيسى بن أصبغ، ويعرف بابن المناصف، أصلهم من قرطبة، وخرج أبوه منها أيام الثورة على المرابطين، واستوطن إفريقية، وبها نشأ ولده هذا. وكان عالما متمكنا من الفقه مع حظ وافر من اللغة والأدب، وقرض الشعر الجيد. وله أراجيز في عدة فنون منها " الدرة السنية في المعالم السنية ". وألف كتاب " الإنجاد في الجهاد " وكتاب " الأحكام "، وفي أواخر حياته ولى قضاء بلنسية، ثم قضاء مرسية، ولما صرف عن القضاء عاد إلى المغرب وتوفي بمراكش في شهر ربيع الآخر سنة ٦٢٠ هـ (٣).

وعلي بن محمد بن أحمد بن حريق من أهل بلنسية، كان بارعا في اللغة

والأدب، حافظا لأشعار العرب، وأيامها، شاعرا مجيدا، و ا فر الإنتاج، ذاع

---

(١) ترجمته في فوات الوفيات ج ٢ ص ١٦٨. وراجع الحلة السيراء ص ٢٤٩ و ٢٥٠.

(٢) ترجمته في التكملة رقم ٩١٣.

(٣) ترجمته في التكملة رقم ١٦٠٦." (١)

"شعره في الأندلس وتداوله الناس، وله عدة كتب في الأدب، ومن نظمه قوله:

يا صاحبى وما البخيل بصاحبى ... هذى الخيام فأين تلك الأدمع

أتمر بالعرصات لا تبكى بها ... وهي المعاهد منهم والأربع

يا سعد ما هذا القيام وقد نأوا ... أتقيم من بعد القلوب الأضلع

هيهات لا ريح اللواعج بعدهم ... زهر ولا طير الصبابة وقع

وتوفي ابن حريق ببلده بلنسية في سنة ٦٢٢ هـ (١).

ومحمد بن علي بن حماد بن عيسى الصنهاجي، أصله من قلعة بني حماد، وسكن بجاية، وأخذ عن أشياخها ثم دخل الأندلس، فسمع بها، وولي قضاء الجزيرة الخضراء ثم قضاء سلا، وكان كاتبا بليغا، وشاعرا مجيدا، وله ديوان شعر معروف. وله أيضا كتاب " الإعلام بفوائد الأحكام " وشرح لمقصورة ابن دريد. وتوفي سنة ٦٢٨ هـ (٢).

ومنهم ومن أشهرهم وألمعهم، محمد بن إدريس بن علي بن ابراهيم بن القاسم من أهل جزيرة شقر، ويعرف بمرج الكحل،

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٤/٦٩١

وكان من أعظم شعراء عصره مقدرة على الإبداع والتوليد والتجويد، وبرع في الأخص في الغزل، والشعر الوصفى المبتكر، وعاش حينا في غرناطة، وذاع صيته في سائر أنحاء الأندلس. وأخذ عنه عدة من أشياخ العصر، مثل أبي الربيع بن سالم، وأبي عبد الله بن أبي البقاء، وابن عسكر، ومترجمه ابن الأبار وغيرهم. ومن شعره قوله:

مثل الرزق الذي تطلبه ... مثل الظل الذي يمشى معك

أنت لا تدركه متبعا ... فإذا وليت عنه أتبعك

وقوله يصف عشة بنهر الفنداق الذي يمر بلوشة:

عرج بمنعرج الكثيب الأخضر ... بين الفرات وبين شط الكوثر

ولنغتبقها قهوة ذهبية ... من راحتى أحوى المراشف أحور

والروض ما بين مفضض ومذهب ... والزهر بين مدرهم ومدنر

والنهر مرقوم الأباطح والربا ... بمصندل من زهره ومعصفر

وتوفي مرج الكحل ببلده في شهر ربيع الأول سنة ٦٣٤ هـ (٣).

ومنهم أبو بكر بن هشام بن عبد الله بن هشام .. بن عبد الغافر الأزدرى

(١ (ترجمته في صلة الصلة لإبن الزبير رقم ٢٦٣، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٧٠.

(٢) ترجمته في التكملة رقم ١٦٣٧.

(٣) ترجمته في التكملة رقم ١٦٥٦." (١)

"شاعر من جيان ..... أودعكم أودعكم جيانى ٤٦٩

إبراهيم بن سهل الإشبيلى ..... وردا فمضمون نجاح المصدر ٤٨٢

أبو موسى بن هرون ..... يا حمص أقصدك المقدور حين رمى ٤٨٢

الخليفة المرتضى لأمر الله ..... وافى ربيع قد تعطر نفحه ٥٦٠

...... " ...... " .... ولما مضى العمر إلا الأقل ٥٦٠

عبد الله بن فتوح الحضرمى ..... وعجل شيبى أن ذا الفضل مبتلى ٦٦٢

مفوز بن حيدرة المعافرى ..... وقفت على الوادى المنعم دوحه ٦٦٣

موسى بن حسين الميرتلى ..... سليخة وحصير ٦٦٦

الشيخ محيى الدين بن عربى ..... سلام على سلمى ومن هل بالحمى ٦٨٠

...... " .... " .... درست عهودهم وأن هواهم ٦٨٠

ابن أبى العافية الأزدى ..... يا سرحة الحى يا مطول ٦٨٨

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٦٩٢/٤

عبد الرحمن بن مغاور ..... أيها الواقف اعتبارا بقربى ٦٨٩
ابن غالب البلنسى ..... لو جئت نار الهدى من جانب الطور ٦٨٩
.... " ..... " .... ومهول الشطين تحسب أنه ٦٨٩
.... " ..... " .... وفتيان صدق كالنجوم تألقوا ٦٨٩
.... " ..... " .... خليلى ما للبيد قد عبقت نسرا ٦٩٠
ابن عياض القرطبى ..... كم من أخ فى فؤاده دغل ٦٩٠
ابن الصابونى الصدفى ..... أهلا بطيف خيال منك منساب ٦٩١
ابن حريق ..... يا صاحبى وما البخيل بصاحبى ٦٩٢
مرج الكحل ..... مثل الرزق الذى تطلبه ٦٩٢
.... " ... " .... عرج بمنعرج الكثيب الأخضر ٦٩٢
عبد الرحمن بن حزمون ..... يا من له بالأنام أنسى ٦٩٣
...... " ...... " .... إليك إمام الحق جبت المفاوز ٦٩٣
إبراهيم بن سهل الإشبيلى ..... مضى الوصل إلا منية تبعث الأسى ٦٩٤
...... " ...... " .... ليل الهوى يقظان ٦٩٤
ابن حجاج اللخمى ..... هنأ الله بلاد العرب ٦٩٤
أبو العباس الجراوى ..... أتراه يترك الغزلا .... ٦٩٥." (١)

"الفصل الثانى

الحركة الفكرية فى مراحلها الأولى

الحركة الفكرية الأندلسية فى أوائل القرن السابع. الشعر والأدب. ابن حريق. ابن مرج الكحل. ابن الجيان المرسى. ابن الأبار القضاعى. أبو الطيب الرندى. أقطاب اللغة. الفقه وعلوم الدين. المؤرخون. العلوم. أبو بكر بن زهر. ابن البيطار المالقى. بنو الأحمر حماة العلوم والآداب. محمد الفقيه وولده المخلوع. السلطان أبو الحجاج. الأمير الأديب أبو الوليد اسماعيل. الوزراء الكتاب والشعراء. ازدهار الشعر والأدب. ركود الحركة العلمية. ابن الحكم الرندى. حياته وشعره. ابن خميس التلمسانى. أبو الجيان الغرناطى. الرئيس ابن الجياب. ابن جابر الضرير. أقطاب اللغة. علماء الفقه والدين. التصوف. المؤرخون والرحل. العلوم.

أتينا فى الفصل السابق، على لمحة من سير الحركة الفكرية، فى ظل الدولة الإسلامية بالأندلس، حتى بداية القرن السابع الهجرى، أعنى إلى ما قبل قيام مملكة غرناطة بقليل. ونريد الآن أن نتحدث عن سير العلوم والآداب والفنون، فى ظل مملكة غرناطة ذاتها. وسنحاول أن نتوسع فى هذا الحديث قدر الاستطاعة، وإن كانت المصادر العربية، ضنينة

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٧٥٢/٤

فى ذلك حسبما أشرنا، أولا لهلاك معظم الآثار والوثائق الأندلسية المتعلقة بهذه المرحلة من تاريخ الأندلس، وثانيا لأن كثيرا من المفكرين والكتاب المتأخرين، الذين رأوا الوطن الأندلسى مشرفا على السقوط فى يد العدو، بادروا بالهجرة إلى المغرب والبلاد الإسلامية الأخرى، وأقفرت الأندلس بذلك من مفكريها وأدبائها. بيد أنه يجدر بنا قبل ذلك، أن نعنى بالفترة العصيبة المضطربة التى جازتها الأندلس، فى أواخر أيام الموحدين قبيل قيام مملكة غرناطة. وقد شهدت الأندلس فى هذه الفترة، أعنى فى أوائل القرن السابع الهجرى، سلسلة من الأحداث الجسام.

ذلك أن سلطان الموحدين أخذ ينهار سراعا، واضطرمت ثورة ابن هود فى ا لولايات الشرقية، وأخذت قواعد الأندلس الكبرى، تسقط تباعا فى يد النصارى، واستطاع ابن الأحمر فى الوقت نفسه، أن ينشىء مملكة غرناطة فى جنوبى الأندلس. وكان من جراء الفوضى السياسية التى غمرت الأندلس يومئذ، أن تصدعت الحركة." (١)

"الأدبية، وانتثر شملها، وفقدت وسيلة الاستقرار والتجمع، وشغل الأدباء والمفكرون يومئذ بالمحنة وآثارها. وغادر الأندلس فى تلك الفترة، كثير من الكتاب والعلماء الذين توقعوا سوء المصير، وآثروا العمل فى جو أكثر استقرارا وطمأنينة، مثل الشيخ محيى الدين ابن عربى المرسى قطب التصوف الشهير، وابن البيطار المالقى، وابن الأبار القضاعى، وابن حمدون الحميرى النحوى، وابن سعيد الأندلسى، وكثيرون غيرهم، ممن رحلوا إلى المشرق أو عبروا البحر إلى المغرب.

وهكذا طلعت أوائل القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) على الأندلس، بأحداثها وفتنها المتوالية، والحركة الفكرية فى ربوعها حائرة غير مستقرة، يتبدى ضوؤها باهتا، فى ظل دول وإمارات تتصدع أركانها تباعا.

ومع ذلك فقد ظل تراث الأندلس الفكرى فى هذه الفترة متواصلا، يمتاز على اضطرابه بكثير من نواحى القوة والنضج، التى امتاز بها فى ظل دولة الموحدين، وقت أن كانت فى عنفوانها.

وسوف نستعرض فيما يلى أعلام التفكير والأدب فى تلك الفترة المضطربة، التى مهدت حوادثها لقيام مملكة غرناطة، فهى ليست فى الواقع سوى حلقة اتصال، بين العصر الذى اختتمته الأندلس الكبرى، وبين العصر الذى بدأت فيه حياتها الجديدة (١).

الشعر والأدب

وكانت الحركة الأدبية يومئذ ما تزال فى عنفوانها. وكانت دولة النثر والنظم تحتل مكانتها الرفيعة، وبل لقد بعثت الأحداث والمحن، التى توالت على الأندلس يومئذ إلى الشعر بكثير من أسباب الإنفعال والقوة. فامتلأت الأندلس يومئذ بالشعر المؤسى، والمراثى القوية المؤثرة، التى نقل المقرى إلينا كثيرا منها، فى كتابيه نفح الطيب وأزهار الرياض.

وكان من أعلام الشعر فى تلك الفترة، على بن محمد بن أحمد بن حريق الشاعر البلنسى المتوفى فى سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٧ م)؛ كان شاعرا مجيدا كثير النظم، ذاع

---

(١) عرضنا فى هذا الفصل بإيجاز إلى عدد من العلماء والكتاب والشعراء الذين تناولناهم فى خاتمة كتابنا "عصر

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٤٥٢/٥

المرابطين والموحدين" فى القسم الذى خصصناه للحركة الفكرية الأندلسية (القسم الثانى ص ٦٤٤ - ٧٢٦) حسبما أشرنا إليه من قبل. وقد كان هذا التكرار العرضى ضرورة للمحافظة على السياق، وللتمهيد لما سيرد من بعده خلال العصر الغرناطى." (١)

"الأرض، و "البريق" الذي كان يظهر من الحرار، مثل حرة "القوس" التي قيل أنها كانت ترى كأنها **حريق** مشعل١، و "حرة لبن" التي كان يخرج منها ما يشبه البرق، ويسمع منها أصوات كأنها صياح٢، هذه كلها تركت صورا مرعبة في نفوس الجاهليين، تتجلى في القصص المروية عنها، وفي عقائدهم بتلك النيران.

ولعل قوة نيران "حرة ضروان" وشدة قذفها للحمم وارتفاع لهيبها، هي التي دفعت أهل اليمن إلى التعبد لها والتحاكم إليها؛ فقد كانوا يذهبون إليها ليتحاكموا عندها فيما يحدث عندهم من خلاف، والرأي عندهم أن النار تخرج فتأكل الظالم وتنصف المظلوم. وقد كانت حرة نشطة عاشت أمدا طويلا كما يظهر من وصف "الهمداني" وغيرها لها، وصلت حممها إلى مسافات بعيدة عن الحرة٣.

وقد تسببت أكثر هذه الحرار في هلاك كثير ممن كان يسكن في جوارها وفي هجرة الناس من الأرضين التي ظهرت بها، فتحولت إلى مناطق خاوية خالية. وقد وجد السياح أرضين شاسعة واسعة أصيبت بالحرار، وتأثرت بفعل "اللابة": التي سالت عليها. وللناس الحق كل الحق في إرجاع أسباب هلاك أصحابها إلى العذاب الذي نزل بهم بانفجار الأرض وبخروج النيران منها تلتهم الساكنين عندها. وقد جهلوا أن هذه النيران المتقدة الصاعدة والروائح الكريهة المنبعثة عنها، هي من فعل العوامل الأرضية الداخلية التي تعمل سرا في بطن الأرض.

وكثرة الحرار في جزيرة العرب، وانتشارها في مواضع متعددة منها؛ دليل على أن باطنها كان قد تعرض لامتحانات عسيرة قاسية، ولتقلبات كثيرة ولضغط شديد في المناطق الشمالية والغربية والجنوبية، وقد ظهر أثر ذلك الضغط في وجهها فبان اليوم وكأنه حب الجدري، ويتحدث عن ذلك المرض القديم.

---

١ قال عرعرة النميري:

بحرة القوس وجنبي محفل ... بين ذراه **كالحريق** المشعل

البلدان "٣/ ٢٥٩".

٢ "لبن"، بضم اللام وتسكين الباء الموحدة، قال الشاعر:

بحرة لبن يبرق جانباها ... ركود ما تهد من الصياح

البلدان "٣/ ٢٦٠".

٣ الإكليل"١/ ٣٣".." (٢)

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٤٥٣/٥

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١٤٨/١

"١- منطقة وادي الرمة، وتتألف أرضوها من طبقات طباشيرية في الشمال وحجارة رملية في الجنوب، وتغطي وجه الأرض في بعض أقسامها طبقات مختلفة السمك من الرمال، وتتخللها أرضون خصبة تتوافر فيها المياه على أعماق مختلفة؛ ولكنها ليست بعيدة في الجملة عن سطح الأرض، وتتسرب إليها المياه من المرتفعات التي تشرق عليها وخاصة من جبل شمر١، ومن الحرار الغربية التي تجود على الوادي بالمياه. ويختلف عرض وادي الرمة، فيبلغ زهاء ميلين في بعض المحلات، وقد يضيق فيبلغ عرضه زهاء "٥٠٠" ياردة، وتصل مياه السيول إلى ارتفاع تسع أقدام في بعض الأوقات٢.

٢- المنطقة الوسطى، وهي هضبة تتألف من تربة طباشيرية، متموجة، تتخللها أودية تتجه من الشمال إلى الجنوب. وبها "جبل طويق"، والأرض عنده مؤلفة من حجارة كلسية، وحجارة رملية، ويرتفع زها "٦٠٠" قدم عن مستوى الهضبة. وتتفرع من جبل طويق عدة أودية تسيل فيها المياه في مواسم الأمطار، فتصل إلى الربع الخالي فتغور في رماله. ويمكن إصلاح قسم كبير من هذه المنطقة، ولا سيما الأقسام الواقعة عند حافات وادي حنيفة٣.

٣- المنطقة الجنوبية، وتتكون من المنحدرات الممتدة بالتدريج من جبل طويق ومرتفعات المنطقة الوسطى إلى الصحاري في اتجاه الجنوب. وفيها مناطق معشبة ذات عيون وآبار، مثل "**الحريق**"و "الخرج". ويرى الخبراء أن مصدر مياه هذه المنطقة من جبل طويق ومن وادي حنيفة. ومن مناطقها المشهورة "الأفلاج" و"السليل" و "الدواسر"، وفي جنوب هذه المنطقة تقل المياه، وتظهر الرمال حيث تتصل عندئذ بالأحقاف.

ويقسم علماء العرب نجدا إلى قسمين: نجد العالية، ونجد السافلة. أما العالية فما ولي الحجاز وتهامة٤. وأما السافلة، فما ولي العراق. وكانت نجد حتى القرن السادس للميلاد ذات أشجار وغابات، ولا سيما في "الشربة" جنوب "وادي الرمة" وفي "وجرة"٥.

---

١ وهبة ص٦٠.

٢ Handbook, vol. 1. P. 349.

٣ Ency, vol. 3, P. 894, Handbook, vol. 1, p. 349.

٤ البلدان "٨/ ٤٠١"، تأريخ نجد ص٨.

٥ Ency., VOL., 3,P., 895 philby, The Heart of Arabia, 1, P., 115.." (١)

"ولم يذهب اسم "وبار" من ذاكرة سكان العرب حتى هذا اليوم. فهم يرون أن في الربع الخالي موضعا منكوبا هو الآن خراب، هو مكان "وبار". وقد قاد بعض الأعراب "فلبي" إلى موضع في الربع الخالي، قال له عنه إنه مكان "وبار" المدينة التي غضب الله عليها، فأنزل بها العقاب، وصارت خرابا. وقد تبين ل "فلبي" أن ذلك الوضع هو فوهة بركان، قذف حميما، فبانت الأرض المحيطة به وكأنها خرائب تولدت من **حريق١**. وتحدث أعراب آخرون للسائح "برترام

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١٨٢/١

توماس" عن مكان آخر يقع في جنوب شرقي هذا الموضع بمسافة "٢٠٠" ميل، قالوا له إنه مكان "وبار" المدينة المفقودة المنكوبة كما عثر رجال شركة "أرامكو" على موضع في البادية وذلك في سنة ١٩٤٤، زعم لهم الأعراب أنه مكان وبار مما يدل على أن الأعراب يطلقون اسم وبار على مواضع عديدة تقع في البوادي. والبوادي أنسب مكان يليق في نظرهم بأن يكون موطن وبار٢.

---

١ Ph‎ibly‎, The Empty Quarter, P. 165, R. H. Sanger, The Arabian Peninsula, P. 126, 132.

Sanger, The Ara2bian." Peninsula, P., 132.. (١)

"يتفق جميع الباحثين في دراسة تأريخ الحكومات العربية الجنوبية على أن السبئيين هم الذين قضوا على استقلال حكومة قتبان، ولا نجد أحدا منهم يخالف هذا الرأي، ولكنهم يختلفون في تعيين الزمن وتثبيته. فبينما نرى "فلبي"، يجعل ذلك في حوالي سنة "٥٤٠ ق. م."١ يرى "ألبرايت" يجعل سقوط مدينة "تمنع" في حوالي سنة "٥٠ ق. م."٢، بينما يرى غيره أن خراب "تمنع" كان فيما بين السنة "١٠٠" والسنة "١٠٦" بعد الميلاد٣.

ولا يعني سقوط "تمنع" وخرابها وفقدان القتبانيين لاستقلالهم، أن الشعب القتباني قد زال من الوجود، وأن اسمه قد اندثر تماما واختفى، فإننا نرى أن الجغرافي الشهير "بطلميوس" يذكر اسمهم في جملة من ذكرهم من شعوب تقطن في جزيرة العرب. وقد سماهم "Kottabani" و Kattabanoi٤.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن خراب "تمنع" كان بعد السنة العاشرة للميلاد، وربما كان ذلك في أيام "جوليو-كلوديان" "Juilo-Caudian"، أو في أيام "فلافيان" Flavian٥.

وقد استدل "ألبرايت" من طبقة الرماد التخينة التي عثر عليها وهي تغطي أرض العاصمة "تمنع"، على أنها كانت قد أصيبت بحريق هائل ربما أتى على كل المدينة، وقد أتى هذا الحريق على استقلال المملكة٦. ولا نعلم علما أكيدا في الوقت الحاضر بالأسباب التي أدت إلى حدوث ذلك الحريق، ولكن لا أستبعد احتمال حرق السبئيين لها عند محاربتهم للقتبانيين، فقد كان من عادتهم ومن عادة غيرهم أيضا حرق المدن والقرى إذا مانعت من التسليم وبقيت تقاوم المهاجمين. وفي كتابات المسند أخبار كثيرة عن حرق مدن وقرى حرقا كاملا إلى حد الإفناء.

---

١ Background, P., 144

٢ The Chronology, P. 0

٣ Le Museon, 1964, 3-4, P. 463

٤ Paulys — Wlssowa, 20 ter Halbband, S,, 2359

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٣٤٣/١

٥ BOASOOR, MJM. 160, (I960) , P. 15

٦ BOASOOR, NUM. 119, (1950) , P. 9." (١)

"المذكورة المسكينة كانت قد تعرضت **لحريق** هائل أحرق المدينة وأتى عليها، ولعل ذلك كان بفعل عدو مغير أراد بها سوءا، فقاومته وعضته ولكنه تمكن وتغلب عليها، فعاقبها بهذا العقاب الجائر المؤلم.

وفي جملة ما عثر عليه من كتابات، كتابة ورد فيها اسم الملك "شهر يجل يهرجب" "شهر يكل يهركب"١ وكتابات أخرى ورد فيها أسماء حكام آخرين٢. كما عثر على عمودين كتب على كل واحد منهما كتابة تبلغ زهاء خمسة وعشرين سطرا، وعلى كتابات على جدار بيت "يفش"٣ وهو بيت معروف وقد حصل السياح على كتابات ورد فيها اسم هذا البيت، وعلى كتابة عثر عليها على بيت "ينعم"٤. وقد ورد فيها اسم الملك "شهر هلل يهقبض" وهو من البيوت المعروفة في هذه العاصمة، ويرى أن عمره لا يتجاوز عشرين سنة عن خرابها٥.

وقد ساعد عثور البعثة الأمريكية على غرف بيوت سليمة أو شبه سليمة رجال البعثة على تكوين رأي في البيوت القتبانية، فقد وجدت في البيت الذي سمي ببيت "يفش"، ثلاث غرف ممتدة على الجهة الشرقية للبيت، وقد وجدت في إحدى الغرف مرايا صنعت من البرنز وصناديق محفورة منقوشة للبيت، وقد وجدت في إحدى الغرف مرايا صنعت من البرنز وصناديق محفورة منقوشة وعليها صور ورسوم، لها قيمة تأريخية ثمينة

من ناحية دراسة الفن العربي القديم٦، وسوف تقدم الحفريات في المستقبل صورا واضحة ولا شك للبيوت العربية الجنوبية وتنظيم القرى والمدن فيها، وعندئذ يكون في استطاعتنا تكوين رأي واضح في الحضارة العربية في العربية الجنوبية قبل الإسلام.

وقد وجد أن الباب الجنوبي لمدينة "تمنع" كان ذا برجين كبيرين، بنيا

---

١ يكتب بحرف الجيم ويلفظ على الطريقة المصرية في النطق بهذا الحرف، وقد صير "شاهر يا ثميل يوحرغب" و "شاهر يا فيل يوحار قيب" في كتاب: "كنوز مدينة بلقيس"، "ص ١٠٥، ١١٣ وما بعدها".

The Chronology p. 9.

٢ كنوز "ص ١٠٥ وما بعدها".

٣ صير "يفش" "يافاش" في كنوز "ص ١٠٨ ومواضع أخرى".

٤ صير "يا فعام" و "يا فعام" في كنوز "ص ١٠٨- ١١٧".

٥ The Chronology p. 9 Nota 23.

٦ كنوز "ص ١٩١".." (٢)

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢١٧/٣

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٢٦/٣

"أخرى في منشأ هذا اللقب١، تحاول إيجاد مخرج لمعنى "محرق" التي ترد مقرونة بأسماء بعض ملوك "آل جفنة" و"آل لخم".

وفي كتب الأمثال مثل هو: "إن الشقي وافد البراجم"، زعم أصحاب الأخبار أن قائله هو الملك "عمرو بن هند" قاله يوم قتلت "البراجم" —وهم أحياء من "تميم": عمرو وقيس وغالب وكلفة وظليم، وهم "بنو حنظلة بن زيد مناة" تحالفوا على أن يكونوا كبراجم الأصابع في الاجتماع- شقيق "عمرو ابن هند"، فسار إليهم وآلى أن يحرق منهم مئة، فقتل تسعة وتسعين، وأحرق القتلى بالنار، فمر رجل من البراجم وراح رائحة **حريق** القتلى، فحسبه قتار الشواء، فمال إليه، فلما رآه عمرو قاله له: ممن أنت؟ قال: رجل من البراجم فقال: إن الشقي وافد البراجم. وأمر فقتل وألقي في النار، فبرت به يمينه٢.

وورد أن عمرا بقي ينتظر وافدا من البراجم ليلقي به في النار فيكمل بذلك العدد، حتى إذا طال انتظاره قيل له: لو تحللت ب ا مرأة منهم، فدعا بامرأة منهم، فدعا بامرأة من بني نهشل بن دارم اسمها الحمراء بنت ضمرة بن جابر، فأمر بإلقائها في النار. فكمل بذلك العدد٣.

وكان سبب قتل أسعد أو سعد أخي عمرو بن هند أو ابنه مالك، أنه لما ترعرع مرت به ناقة كوماء سمينة، فرمى ضرعها، فشد عليه ربها سويد أحد بني عبد الله بن دارم فقتله، ثم هرب سويد فلحق بمكة، واستجار بأهلها. فبلغ الخبر عمرو بن هند، وكان زرارة بن عدس التميمي عنده، فاغتاظ زرارة من هذا العمل، إذ كان الملك قد وضع "سعدا" "أسعد" في بيته، وانتهز زعماء طيء هذه الفرصة وحرضوا عمرو بن هند على مهاجمة بني دارم قتلته للأخذ بثأرهم منه٤.

---

١ الاقتضاب "ص ٣٥٩". العمدة "٢/ ٢١٦".

٢ البرقوقي "ص ٥٥"، العمدة، لابن رشيق "٢/ ٢٠٥"، الأمثال للميداني "١/ ٩٥"، ابن الأثير "١/ ٣٣٤"، "النقائض "٦٥٢، ١٠٨١"، اللسان "١٠/ ٤٢"، "حرق".

٣ أيام العرب "١٠٥".

٤ العمدة "٢/ ٢٠٥"، الأغاني "٢٢/ ١٨٦"، "بيروت"، المسعودي، مروج "١/ ٢٣"، اليعقوبي "١/ ١٧١"، ابن خلدون "٢/ ٥٦٦"، خزانة الأدب "٣/ ١٤٠"، نهاية الأرب للنويري "٣/ ١٨"، البكري، معجم "١/ ٢٠٧، النقائض "٢/ ٦٥٢ وما بعدها".." (١)

"ومن يحج إليه١.

وينسب أخباريون آخرون عزم "أبرهة" على دك الكعبة وهدمها إلى عامل آخر، فهم يذكرون أن فتية من قريش دخلوا

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٥١/٥

القليس فأججوا فيها نارا، وكان يوما فيه ريح شديدة، **فاحترقت** وسقطت إلى الأرض، فغضب أبرهة، وأقسم لينتقم من قريش بهدم معبدهم، كما تسببوا في هدم معبده الذي باهى النجاشي به٢.

وذكر أن "أبرهة" بنى القليس بصنعاء، وهي كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيء من الأرض، وكان نصرانيا، ثم كتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليه حج العرب. فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي، غضب رجل من النسأة، فخرج حتى أتى الكنيسة، فأحدث فيها، ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر بذلك أبرهة، فغضب عند ذلك، وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه. وبعث رجلا كان عنده إلى بني كنانة يدعوهم إلى حج تلك الكنيسة، فقتلت بنو كنانة ذلك الرجل، فزاد أبرهة ذلك غضبا وحنقا، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت، ثم سار وخرج معه بالفيل٣.

وذكر "السيوطي" سببا آخر في قرار أبرهة غزو مكة، زعم أن أبرهة الأشرم كان ملك اليمن، وأن ابن ابنته أكسوم بن الصباح الحميري خرج حاجا، فلما انصرف من مكة، نزل في كنيسة بنجران، فعدا عليها ناس من أهل مكة، فأخذوا ما فيها من الحلي وأخذوا قناع أكسوم، فانصرف إلى جده مغضبا، فبعث رجلا من أصحابه يقال له: "شهر بن معقود" على عشرين ألفا من خولان

---

١ الكامل "١/ ٢٦٠ وما بعدها"، تفسير البيضاوي "٣٠/ ٢٦٩"، روح المعاني "٣٠/ ٢٣٣ وما بعدها"، الكشاف "٣/ ٢٨٨" "بولاق" "٣/ ٣٥٨ وما بعدها" "١٩٤٨م".

٢ الكشاف ٤/ ٢٣٣، روح المعاني "٢٨/ ٢٣٣"، تفسير الفخر الرازي "٣١/ ٩٦"، تفسير ابن كثير "٤/ ٥٤٩"، تفسير ابن السعود "٥/ ٢٨٥"، تفسير النيسابوري "٣٠/ ١٦٣"، وهو حاشية على تفسير الطبري "بولاق"، التيجان في ملوك حمير، لوهب بن منبه "ص٣٠٣"، حيدر آباد الدكن" بالهند، تفسير الطبرسي، مجمع "٥٣٩/١٠"، "طهران"، ابن هشام السيرة "١/ ٤٤ وما بعدها"، روح المعاني، للألوسي "٣٠/ ٢٣٣ وما بعدها"، تفسير البيضاوي "٣٠/ ٢٦٩".

٣ "تفسير القرطبي "٢٠/ ١٨٨"، تفسير الطبري "٣٠/ ١٩٣ وما بعدها".." (١)

"قاد تلك الحملة، وأنه هو الذي أخذ الفيل أو الفيلة معه، وسار على رأس جيش كبير من الحبش ومن قبائل من أهل اليمن كانت تخضع له. ثم إن السيوطي يشير إلى وجود "الملك" في الجيش، ولم يكن شهر بن معقود ملكا ولم يلقبه أهل الأخبار بلقب "ملك"، وإنما أنعموا بهذا اللقب على أبرهة وحده. أضف إلى ذلك أن ما ذكره السيوطي من حوار وقع بين عبد المطلب وبين الملك هو حوار يذكر أهل الأخبار أنه جرى بين عبد المطلب وبين أبرهة. لذلك أرى أن الأمر قد التبس على السيوطي، فخلط بين أبرهة وبين شهر أحد قادته من العرب، وأنه قصد بالملك أبرهة لا القائد، وإن لم يشر إليه، بل جعل الفعل كل الفعل للقائد المذكور.

وأورد "القرطبي" رواية أخرى نسبها إلى مقاتل بن سليمان وابن الكلبي، خلاصتها: أن سبب الفيل هو ما روي أن فتية

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٠٠/٦

من قريش خرجوا تجارا إلى أرض النجاشي، فنزلوا على ساحل البحر إلى بيعة للنصارى، تسميها النصارى: الهيكل، فأوقدوا نارا لطعامهم، وتركوها وارتحلوا، فهبت ريح عاصفة على النار فأضرمت البيعة نارا **واحترقت**، فأتى الصريخ إلى النجاشي، فأخبره، فاستشاط غضبا، فأتاه أبرهة بن الصباح وحجر بن شرحبيل وأبو يكسوم الكنديون وضمنوا له إحراق الكعبة. وكان النجاشي هو الملك، وأبرهة صاحب الجيش، وأبو يكسوم نديم الملك، وقيل وزيره، وحجر بن شرحبيل من قواده. فساروا معهم الفيل، وقيل ثمانية فيلة، ونزلوا بذي المجاز، واستاقوا سرح مكة١.

وتتفق هذه الرواية مع الروايات السابقة من حيث الجوهر، ولا تختلف عنها إلا في جعل الكنيسة المحترقة بيعة في أرض النجاشي، أي في ساحل الحبش، لا في أرض اليمن، وإلا في جعل الآمر بالحملة النجاشي، لا أبرهة نفسه، أما المنفذون لها، فهم أبرهة ومن معه.

وهناك سبب آخر سأتعرض له فيما بعد، يذكره أهل الأخبار في جملة الأسباب التي زعموا أنها حملت أبرهة على السير نحو مكة لتهديمها. وهو سبب أرجحه وأقدمه على السببين المذكورين، لما فيه من مساس بالسياسة؛ ولأنه مشروع سياسي خطير من المشروعات العالمية القديمة التي وضعها ساسة العالم للسيطرة على

---

١ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن "٢٠/ ١٨٧، ١٩٢ وما بعدها".." (١)

"غضب رب البيت، ونزول الأذى بهم إن قطعوه. فلما وجدوا أن الله لم يغضب عليهم، وأنه لم ينزل سوءا بهم، اقتفوا أثره، فقطعوا الشجر، واستحوذوا على الأرض الحرام، وظهرت البيوت فيه، وأخذت تتجه نحو البيت حتى أحاطت به، وصغرت مسجده، ولم يكن له يومئذ جدار. وظلت البيوت تتقرب إليه حتى ضايقته وصغرت فناءه، مما اضطر الخليفة "عمر" ومن جاء بعده إلى هدم البيوت التي لاصقته لتوسيع مسجده، ثم إلى بناء جدار ليحيط به حتى صار على نحو ما هو عليه في هذا اليوم.

ويتبين من خطبة الرسول عام الفتح ويوم دخوله البيت الحرام وقوله: "لا يختلى خلا مكة، ولا يعضد شجرها" ١، أن حرم مكة كان لا يزال ذا شجر، ولم يكن قد قطع تماما منه في أيام الرسول.

وتذكر بعض الموارد أن قصيا أول من بنى الكعبة بعد بناء تبع، وكان سمكها قصيرا، فنقضه ورفعها٢، وإذا صحت الرواية، يكون قصي من بناة الكعبة ومن مجدديها. وذكر أنه كان أول من جدد بناء الكعبة من قريش، وأنه سقفها بخشب الدوم وجريد النخل، وقد أشير إلى هذا البناء في شعر ينسب إلى الأعشى٣. وهذه الرواية تناقض بالطبع مما يرويه الإخباريون من أن الكعبة لم تكن مسقفة، وأنها سقفت لأول مرة عندما جدد بناؤها في أيام شباب الرسول، وهو يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة٤.

والظاهر من روايات الإخباريين، أن البيت كان في الأصل بيتا مسقفا، غير أنه أصيب بكوارث عديدة، فتساقط وتساقط سقفه مرارا بسبب السيول، وبسبب **حريق** أصيب به، فصار من غير سقف في أيام شباب الرسول، حتى إذا ما نقضت

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٦/٢٠٢

قريش البيت وأعادت بناءه سقفته، وزوقت جدره الداخلية والخارجية بالأصنام والصور، وأعادت إليه خزائنه حتى كان يوم الفتح، إذ أمر الرسول

---

١ فتوح البلدان، للبلاذري "ص٥٥".

٢ الاشتقاق "٩٧"، ابن كثير، البداية والنهاية "٢/ ٢٠٧".

٣ بلوغ الأرب "١/ ٢٣٢":

حلفت بثوبي راهب الشام والتي ... بناها قصي جده وابن جرهم

لئن شب نيران العداوة بيننا ... ليرتحلن منى على ظهر شيهم

الأحكام السلطانية "١٦٠".

٤ الأحكام السلطانية "١٦٠"، الطبري "٢/ ٢٨٣"، "دار المعارف".." (١)

"للجياع، فآووهم وساعدوهم على نحو ما جاء في شعر لمطرود بن كعب الخزاعي، إذ يقول:

هبلتك أمك لو حللت بدارهم ... ضمنوك من جوع ومن إقراف١

وقوله:

والخالطين غنيهم بفقيرهم ... حتى يصير فقيرهم كالكافي٢

والعطف على الفقراء ومواساة الضعفاء وذوي الحاجة من خلال الأشراف السادات؛ لأنهم إن لم يغثيوا الغائث ويرحموا المسكين فمن يرحمهم إذن على وجه هذه الأرض! وقد مدح من يخلط الفقير بالغني فيساوي بينهما، وذم من يبيت شبعان وجاره يبيت خامصا لا شيء عنده يعتمد عليه٣.

وكان من أهم الأحداث التي وقعت في أيام الرسول، يوم كان في الخامسة والثلاثين، بناء الكعبة؛ بسبب سيل ملأ ما بين الجبلين، ودخل الكعبة حتى تصدعت، أو بسبب **حريق** أصاب أستار الكعبة، فتصدعت، فعزمت قريش على بنائها، فهدمتها وأعادت بناءها. وذكر أن قريشا كانت قد أفردت ببناء كل ربع من أرباع البيت قوما، وكان ذلك بقرعة بينهم. فلما انتهوا إلى موضع الحجر الأسود، اختلفوا فيمن يضعه وتشاحوا عليه، فرضوا بأول من يدخل من الباب، فكان أول من دخل رسول الله، فوضعه بيده، بعد أن قال: "ليأت من كل ربع من قريش رجل"، وبذلك فض النزاع٤. ويجب أن يكون حادث بناء البيت إذن في حوالي السنة "٦٠٥" للميلاد.

---

١ اليعقوبي "١/ ٢١٤"، "طبعة النجف ١٩٦٤م".

٢ "فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير، حتى صار فقيرهم كغنيهم، فجاء الإسلام وهم على هذا، فلم يكن من العرب بنو أب أكثر مالا ولا أعز من قريش، وهو قول شاعرهم:

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٥٣/٧

والخالطون فقيرهم بغنيهم ... حتى يصير فقيرهم كالكافي

فلم يزالوا كذلك حتى بعث الله رسوله"، تفسير القرطبي، "٢٠/ ٢٠٥"، الطبرسي، مجمع البيان "١٠/ ٥٤٦"، "طبعة طهران"، البلاذري، أنساب "١/ ٥٨"، ابن العربي، محاضرات الأبرار "٢/ ١٩".

٣ القالي، الأمالي "٢/ ١٥٨"، kister, p. 123.

٤ البلاذري، أنساب "١/ ٩٩"، ابن رستة، االأعلاق النفيسة، "وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يومئذ، قد ناهز الحلم"، "ص٢٩".." (١)

"المحكومين. وفي حديث المرأة الجونية التي أراد النبي، صلى الله عليه وسلم، أن يدخل بها، فقال لها: "هبي لي نفسك"، فقالت: "هل تهب الملكة نفسها للسوقة؟ "١ ما ينم عن هذه الروح.

ويعبر عن السواد الأعظم بـ"سواد الناس" وبـ"سواد القوم" أي: عوامهم وكل عدد كثير. وهو مصطلح يقرب معناه من معنى "السوقة". والسواد الأعظم من الناس، هم الجمهور الأعظم والعدد الكثير٢ وهم "الغوغاء" الذين لا يفقهون شيئا من أمور دنياهم وإنما هم تبع وغنم يتبعون أي راع. وقد برزت أهميتهم في صدر الإسلام، إذ عرفت الفائدة منهم فيما لو وجهوا توجيها حسنا.

قال الخليفة "عمر": "استوصوا بالغوغاء خيرا، فإنهم يطفئون الحريق، ويسدون البثوق"٣.

وقد عرف الجاهليون قيمة وأهمية السواد؛ لأنه الكثرة والرماح التي يعتمد عليها ذوو السؤدد، والجماعة التي تدافع عن سيدها وتحمي حماه. وقد استطاع "أبو سلمى" أن يعبر عن أهميءة العوام وأصحاب الحناجر القوية من غوغاء الناس في جبل السؤدد إلى الأشخاص في هذا الرجز:

لابد للسؤدد من رماح ... ومن عديد يتقي بالراح

ومن كلاب جمة النباح٤

وعلى الرعية حق الطاعة، طاعة من بيده الحكم والسلطان، وليس عليها الخروج على أوامره وأحكامه؛ لأن من حق الراعي تأديب رعيته إذا خرجت عن طاعته. فإذا خرجت الرعية على حكم الملك، حق عليه تأديب رعيته بالصورة التي يراها. ولا يتمكن من الخروج على طاعة السلطان إلا الأشراف وسادات القبائل، ففي استطاعة هؤلاء بما لهم من أتباع ورعية، تهديد الملوك، أو من ينوب عنهم في الحكم.

ولهذا كانت لهذه الطبقة مكانة وكلمة عند الملوك.

---

١ اللسان "س، و، ق"، "١٠/ ١٧٠".

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٩٠/٧

٢ اللسان "٣/ ٢٢٤"، "سود".

٣ رسائل الجاحظ "١/ ٣٦٦"، "كتاب فصل ما بين العداوة والحسد".

٤ رسائل الجاحظ "١/ ٣٦٦"، كتاب فصل ما بين العدواة والحسد"، "أرماح"، الحيوان "١/ ٣٥١"، "٣/ ٧٩"، "هارون".." (١)

"و"المجمرة" والمجمر، الموضع الذي يوضع فيه الجمر بالدخنة للتجمير١.

وقد أشير إلى المجمرات والمباخر في كتابات المسند. وعثر المنقبون على نماذج منها، قدمها الناذرون نذورا إلى آلهتهم، وقد وضعوها في معابدها، وهي في جملة الهدايا المرموقة التي تقدم إلى المعابد من أحجار وبعضها من معدن بذل جهدا في صنعته وفي زخرفته حيث يكون هدية قيمة تكون خليقة بوضعها في المعابد

وقد كان الناس يأتون بالمجامر ليجمروا بها الكعبة تقربا بعملهم هذا إلى الأصنام، وذكر أن حريقا أصاب الكعبة؛ بسبب تطاير شرر من مجمرة امرأة جمرت البيت، فأصاب ستار الكعبة، فاحترق. والتجمير هو من شعائر التقدير والتعظيم. وهو مما يدخل في الطقوس، وقد صرفت المعابد القديمة أموالا على شراء "العود" وغيره لإحراقه في المجامر؛ لتطييب المذبح والمعبد به. وكان البخور مما يبخر به في المعابد أيضا. وقد استعمله الجاهليون في بيوتهم المعظمة كذلك.

وتلحق بالمعابد مواضع يخزن فيها ما يقدم إلى المعبد من هدايا ونذور، وما يرد إليه من غلات أوقافه. وإذا كانت النذور والهدايا ماشية، فقد تحفظ في مواضع بعيدة عن المعبد، أو توضع في إحماء المعابد لترعى بها. ولا يجوز التعرض لها بسوء. وتعلم بعلامات تشير إلى أنها مما حبس على الأصنام. وكانت لهبل خزانة للقرابين. وكان قربانة مائة بعير، وله حاجب يقوم بخدمته٢. وفي جملة ما أهداه الناس إلى أصنامهم السيوف والملابس، وكانوا يعلقونها أحيانا على الأصنام٣.

---

١ تاج العروس "٣/ ١٠٨" "جمر".

٢ الأزرقي، أخبار مكة "١/ ٦٨ وما بعدها".

٣ نهاية الأرب "١٦/ ١٩".." (٢)

"الجاهليين حرصوا على المحافظة على أسسه وشكله وموضعه. وإنهم كانوا بعد كل هدم أو تصدع يصيبه يحاولون إرجاعه إلى ما كان عليه في أيام آبائهم وأجدادهم جهد إمكانهم، لا يحدثون فيه تغييرا ولا يدخلون على صورة بنائه تبديلا.

و"البيت الحرام" بناء مكعب، ولذلك قيل له "الكعبة". وصفه أهل الأخبار، فقالوا: كانت الكعبة قبل الإسلام بخمسة أعوام صنما، أي حجارة وضعت بعضها على بعض من غير ملاط، فوق القامة، وقيل كانت تسع أذرع من عهد إسماعيل، ولم يكن لها سقف، وكان لها باب ملتصقة بالأرض. وكان أول من عمل لها غلقا هو تبع١. ثم صنع "عبد المطلب"،

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٩/٢٢٠

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١١/٤٢٥

لها بابا من حديد، حلاها بالذهب من ذهب الغزالين. وهو أول ذهب حليت به الكعبة٢.

ووصف أهل الأخبار لها على النحو المذكور، يجعلنا نتصورها وكأنها خربة بدائية بسيطة، هي ساحة تكاد تكون مربعة أحيطت بجدار من أحجار رضمت بعضها فوق بعض من غير مادة بناء تمسك بينها، تحط في فنائها الطيور وسباع السماء، ولا يحول بين أرضها وبين أشعة الشمس المحرقة والأمطار التي تنزل على مكة أحيانا على شكل مياه خارجة من أفواه قرب، أي حائل. إنها في الواقع حائط من أحجار لا يزيد ارتفاعه على قامة إنسان.

ويذكر بعض أهل الأخبار أن أول من بنى جدار الكعبة، "عامر" الجادر من الأزد. فقيل له: "الجادر"٣. وكان أول من جدر الكعبة بعد إسماعيل٤.

وأول تسقيف لها كان -كما يذكر أهل الأخبار- في التعمير الذي أجرى عليها في النصف الأول من القرن السابع للميلاد، وذلك قبل الإسلام بخمس سنين، وعمر الرسول يومئذ خمس وثلاثون سنة. وسبب ذلك حريق أصابها -كما يزعمون- فقرروا إعادة بنائها، واجتمعوا وعملوا رأيهم فكان قرارهم تسقيفها بخشب، وقد أقيم السقف على ستة أعمدة من الخشب، وزعت في صفين. وزادوا فيها تسع أذرع، فصارت ثماني عشرة ذراعا، ورفعوا بابها عن الأرض، فكان لا يصعد إليه١ إلا في درج أو سلم. ورفعوا من جدرانها التي بنوها بساف

١ الروض الأنف "١/ ١٢٧"، الطبري "٢/ ٢٨٣ وما بعدها".

٢ الروض الأنف "١/ ١٠١".

٣ ابن سعد، طبقات "١/ ٦٤"، "صادر".

٤ الاشتقاق "٢٥".." (١)

""باقوم"، فجيء به مع الخشب، وسقف الكعبة. وقد سألهم عن كيفية تسقيفها هل يجعل السقف قبة أو مسطحا، فأمروه أن يكون مسطحا، فعمله على ما أمروه به١. ويذكرون أن قريشا حين أرادوا بناء الكعبة أتى "عبد الله بن هبل بن أبي سالم"، ومعه مال، فقال: دعوني أشرككم في بنائها، فأذنوا له فبنى الجانب الأيمن، فـ "لبني كلب يد بيضاء في نصرتهم لقريش حين بنوا الكعبة"٢. وصاحب هذا الخبر هو "ابن الكلبي"، ولا أستبعد أن يكون خبره هذا من وحي العاطفة نحو قومه الكلبيين.

وذكر أن "باقوم" الرومي، كان يتجر إلى "المندب"، فانكسرت سفينته بالشعيبة، فخرجت إليه قريش فأخذوا خشبها. وقالوا له ابنها على بنيان الكنائس، وقال لقريش: هل لكم أن تجروا عيري في عيركم، يعني التجارة، وأن أمدكم بما شئتم من خشب ونجار فتبنوا به بيت إبراهيم٣.

ويذكر الإخباريون أنه كان في بطن البيت قرنا كبش معلقان في الجدار تلقاء من دخلها يخلقان ويطيبان إذا طيب البيت، وقد علق عليهما معاليق من حلي كانت تهدى إلى الكعبة. ويرمز القرنان إلى قرني الكبش الذي ذبحه إبراهيم الخليل٤.

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٩/١٢

وقد بقيا في الكعبة إلى أيام "عبد الله بن الزبير" فاحترقا مع الكعبة٥.

وقد زوقت الكعبة بعد هذا **الحريق**، زوق سقفها وجدرانها من بطنها ودعائمها، وجعلت "في دعائمها صور الأنبياء وصور الشجر وصور الملائكة، فكان فيها صورة إبراهيم خليل الرحمان، شيخ يستقسم بالأزلام، وصورة عيسى بن مريم وأمه، وصورة الملائكة عليهم السلام أجمعين. فلما كان يوم فتح مكة، دخل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، البيت، فأرسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب، فجاء بماء زمزم، ثم أمر بثوب فبل بالماء، وأمر بطمس تلك الصور فطمست. ووضع كفيه على صورة عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام. وقال:

---

١ الأزرقي "١/ ١٠٤"، ابن هشام "١/ ١٣٠ وما بعدها"، "حاشية على الروض الأنف"، الروض الأنف "١/ ١٣٠".

٢ تاج العروس "٤/ ١٠٩"، "بس".

٣ الإصابة "١/ ١٤٠ وما بعدها"، "رقم ٥٨٣".

٤ الأزرقي "١/ ١٠٠".

٥ القاسمي، شفاء الغرام "١٩".." (١)

"ابن صياد" شيطان يلقي إليه بما خفي من أخبار الأرض، وذكر أن النجوم تقذف الشياطين، وأن الجاهليين كانوا يرون ذلك، وهو موجود في أشعار القدماء من الجاهلية، منهم عوف بن الجزع، وأوس بن حجر، وبشر بن أبي خازم وكلهم جاهلي، وقد وصفوا الرمي بالنجوم١.

و"إبليس" من هذه الأفكار التي نفذت إلى العرب عن طريق أهل الكتاب، والعلماء على أن الكلمة معربة، وهي كذلك٢. فأصلها "ديابولس" "DiaboIos" وهي كلمة يونانية استعملت في مقابل لفظة "شيطان"٣. وقد أطلقت لفظة "أباليس" في مقابل "شياطين". وقد ورد أن من أسماء إبليس "قترة"، وأن اللفظة علم للشيطان. ومن المجاز أبو قترة: إبليس. "وفي الحديث نعوذ بالله من الأعميين ومن قترة وما ولد. الأعميين **الحريق** والسيل، وقترة من أسماء إبليس، وكنيته: أبو قترة. وقترة حية صغيرة، لا ينجو سميمها٤، ولعل بين التسميتين صلة.

---

١ الروض الأنف "١/ ١٣٥"، "فصل في الكهانة".

٢ المعرب، للجواليقي "٢٣"، تاج العروس "٤/ ١١١"، "إبليس".

٣ Ency. Religi, 4, p. 600, Geiger, Was hat Mohammed aus der Judenthume Aufgenomen, Leipzig, 1902, S. 107, Weil, Biblische Legenden der Muselmanner,

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١١/١٢

.S. 12, Shorter Ency, p. 146, Grunbaum, Beitrage zur Sem. Sagen, S. 60

٤ اللسان "٥/ ٧٣"، "إبليس"، تاج العروس "٣/ ٤٨٠"، "قتر"، "٤/ ١١١"، "البلس".." (١)

"إذا ما مات ميت من تميم ... فسرك أن يعيش فجيء بزاد

بخبز، أو بلحم، أو بتمر ... أو الشيء الملفف في البجاد

يريد: وطب اللبن، وأراد الأحنف قول خداش بن زهير: يا شدة ما شددنا.. البيت. وحتى قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لكعب بن مالك الأنصاري: "أترى الله نسي قولك؟ يعني:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها ... وليغلبن مغالب الغلاب١".

وورد في بعض الروايات أن البيت المتقدم هو من شعر حسان بن ثابت٢.

ومن المآكل التي يأكلها أصحاب العيال إذا غلب عليهم الدهر: النفيتة، وهي **الحريقة**، أن يذر الدقيق على ماء أو لبن حليب حتى تنفت، ويتحسى من نفتها، وهي أغلظ من السخينة. وقد قيل عنها: حساء بين الغليظة والرقيقة٣. **والحريقة** اسم مرادف للنفيتة٤.

ومن المآكل الحدرقة، وهي دقيق يلقى على ماء أو على لبن فيطبخ، ثم يؤكل بتمر أو يحسى وهو الحساء، فهي مثل السخينة والنفيتة والخزيرة والحريرة. وقيل: الحريرة أرق منها٥، و"النجيرة": العصيدة، وهي لبن وطحين يخلطان٦. ومنها "الصحيرة"، وهي اللبن يغلى ثم يذر عليه الدقيق، ومنها "العكيسة"، وهي لبن يصب عليه الإهالة وهي الشحم المذاب. ومنها "الغريقة"، وهي حلبة تضم إلى اللبن والتمر وتقدم إلى المريض والنفساء، ومنها "الرغيدة" وهي اللبن الحليب يغلى ثم يذر عليه الدقيق حتى يختلط فيلعق٧.

ومن مآكلهم: "الأصية"، وهي دقيق يعجن بلبن وتمر، ومنها "الرهية"، وهي بر يطحن بين حجرين ويصب عليه لبن. ومنها "الوليقة" وهو طعام

---

١ العمدة "١/ ٧٦ وما بعدها"، "القاهرة ١٩٦٣م".

٢ العقد الفريد "٦/ ٢٩٢"، "كتاب التأريخ الكبير، للبخاري "١/ ٧٠"، بلوغ الأرب "١/ ٣٨١ وما بعدها".

٣ اللسان "٢/ ١٠٠"، بلوغ الأرب "١/ ٣٨٣".

٤ اللسان "١٠/ ٤٣".

٥ اللسان "٢/ ١٠٠"، "١٠/ ٤٠".

٦ اللسان "٥/ ١٩٤".

٧ بلوغ الأرب "١/ ٣٨٣".." (٢)

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٣١١/١٢

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٦٨/١٤

"ومن تأكيد الرسول له إنها تسعة وعشرون، نزلت كلها على آدم١. فخبر غير صحيح ولا يعول عليه، وهو موضوع، لما ذكرته من أن الترتيب المذكور إنما ظهر في الإسلام.

هذا وإن مما يؤسف له كثيرا أننا لا نملك اليوم كتابة واحدة من الكتابات المدونة في أيام الرسول، ولا نملك أي نسخة من نسخ القرآن أو من صحفه المدونة في أيامه. فلا نملك اليوم نسخة حفصة للقرآن الكريم، ولا نسخة "عثمان بن عفان"٢ ولا النسخ التي دونت بأمره لتوزع على الأمصار، ولا أية نسخ أخرى من النسخ التي دونها الصحابة لأنفسهم. ولا نملك النسخ الأصلية للمراسلات التي كان يأمر الرسول بتدوينها لترسل إلى الملوك أو سادات القبائل والأمراء. نعم يقال: إن هناك نسخا من المصاحف ترجع إلى أيام الخلفاء، وقد دون بعض منها بأقلام أجلة الصحابة، وأن هناك بقية من رسائل الرسول وأن هناك كتابات يرجع تأريخها إلى أيام الرسول٣، ولكن المتبحرين في العلم العارفين بكيفية تثبيت أعمار الوثائق لم يتمكنوا من البت في صحة هذه الدعاوى، ولم يقطعوا بصحة هذه الوثائق. لذلك فليس لنا أمام هذه الحجج التي أبديت عن هذه الآثار سوى التحفظ والتوقف عن إبداء رأي فيها، فلعل الأيام تهيئ للقادمين من بعدنا وثائق جديدة تعود إلى الأيام التي نبحث فيها.

هذا وإن من الممكن التثبت في الوقت الحاضر من صحة الوثائق المنسوبة إلى أيام الرسول أو أيام من جاء بعده، بعرضها على الفحوص المختبرية الحديثة، التي باستطاعتها تقدير أعمارها، وتثبيت أسنانها، ولكني لا أعلم أن أحدا عرض هذه الوثائق لمثل هذه الفحوص.

هذا وللمادة التي دونت عليها تلك الكتابات ولندرة الورق إذ ذاك ولغلاء ثمنه، ولعدم إدراك الناس في ذلك الوقت لأهمية حفظ الوثائق، ولتعرض تلك الوثائق إلى عوامل عديدة من عوامل التلف والبلى مثل: **الحريق** والماء والأرضة وما شاكل

---

١ صبح الأعشى "٣/ ٧ وما بعدها"، "المسلك الثاني في وضع الحروف العربية".

٢ ليس فيما يقال عن وجود نسخة عثمان من مصحف عثمان في "استانبول" أو في أماكن أخرى أساس من الصحة، وإنما هو زعم من غير دليل.

٣ M. Hamidullah, Some Arabic Inscriptions of Medinah of The Early Rears of Hijrah, Islamic Culture, vol. 13, NUM: 4, 1939, P. 427.." (١)

"ويعود عهدها إلى "جمادى الآخرة" من سنة إحدى وثلاثين١.

ولا خلاف بين الباحثين في أن كل ما وصل إلينا من نصوص جاهلية إنما هو بلغة النثر، إذ لم يعثر حتى الآن على نص مكتوب شعرا. ونظرا إلى وجود التدوين عند أصحاب هذه النصوص، ونظرا لأن الشعر، شعور، لا يختص بإنسان دون إنسان، وبعرب دون عرب، فأنا لا أستبعد احتمال تدوين الجاهليين الشعر أيضا، مثل تدوينهم لخواطرهم وأمورهم نثرا. دونوه بلهجاتهم التي كتبوا بها. وهي بالنسبة لهم لهجاتهم الفصيحة المرضية. أما سبب عدم وصول شيء مدون منه إلينا،

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١٨٣/١٥

فقد يعود حسب رأيي، إلى أن تدوين الشعر والنثر يكون في العادة على مواد قابلة للتلف، مثل الجلود والخشب والعظام وما شاكل ذلك، وهي لا تستطيع مقاومة الزمن، لا سيما إذا طمرت تحت الأتربة، ثم هي معرضة لالتهام النار لها عند حدوث **حريق**، أو للتلف إن أصابها الماء، أضف إلى ذلك أنهم كانوا يغسلون الجلد المكتوب، للكتابة عليه مرة أخرى، لغلاء الجلود، وهو ما حدث عند غير الجاهليين أيضا. ونجد في المؤلفات الإسلامية أمثلة كثيرة على غسل الصحف المكتوبة للكتابة عليها من جديد. ورسائل النبي وكتبه وأوامره إلى عماله ورسله على القبائل، فقد فقدت وضاعت مع ما لها من أهمية في نظر المسلمين، وقل مثل ذلك عن كتب الخلفاء، فلا نستغرب إذن ضياع ما كان مدونا من شعر جاهلي، فقد نص مثلا على أن الشاعر "عدي بن زيد" العبادي، وكان كاتبا مجودا بالعربية وبالفارسية حاذقا باللغتين قارئا لكتب العرب والفرس، كان يدون شعره وهو في سجن النعمان ويرسل به إلى الملك، يتوسل إليه فيه أن يرحم به، وأن يعيد إليه حريته، وكان الشعر يصل إلى الملك، فلما طال سجنه صار يكتب إلى أخيه أبي بشعر٢، لم تبق من أصوله المكتوبة أية بقية، وقد ضاعت أصول شعره المكتوب المرسل إلى النعمان كذلك، حتى إننا لا نجد أحدا من رواة شعره يروى أنه رجع إليها فنقل منها، مما يبث على الظن أنها فقدت منذ عهد بعيد عن بداية عهد التدوين.

ويدفعنا موضوع التدوين إلى البحث عن تدوين الأدب والعلم عند الجاهليين،

---

١ ولفنسون، السامية "٢٠٢".

٢ الطبري "٢/ ١٩٧ وما بعدها"، "ذكر خبر ذي قار".." (١)

"دونك. وكن عف العيلة، مشترك الغنى تسد قومك. إلى غير ذلك من أمثال نسبوها إليه١.

وفي "كتاب الجوهرة في الأمثال" من "العقد الفريد"، باب خاص عنوانه: "أمثال أكثم بن صيفي وبزرجمهر الفارسي"٢. وهي تستحق الدرس والنقد، لمعرفة أصولها وعلاقة هذه الأمثال بالأدبين العربي والفارسي.

ونجد في كتب الأدب طائفة من الأمثال في الأدب والحكمة، نسبت إلى "أكثم بن صيفي"، منها: رب عجلة تهب ريثا، وادرعوا الليل فإن الليل أخفى للويل، والمرء يعجز لا المحالة، ولا جماعة لمن اختلف، ولكل امرئ سلطان على أخيه حتى يأخذ السلاح فإنه كفى بالمشرفية واعظا، وأسرع العقوبات عقوبة البغي، وشر النصرة التعدي، ورب قول أنفذ من صول، والحر حر وإن مسه الضر، والعبد عبد وإن ساعده الجد، وإذا فزع الفؤاد ذهب الرقاد، ورب كلام ليس فيه اكتتام، وحافظ على الصديق ولو في **الحريق**، وليس من العدل سرعة العذل، وليس بيسير تقويم العسير، وإذا بالغت في النصيحة هجمت بك على الفضيحة، ولو أنصف المظلوم لم يبق فينا ملوم٣.

وليس في إمكان أحد إثبات أن هذه الأمثال وغيرها هي لأكثم بن صيفي حقا، وبينها أمثال إنسانية عامة نجدها عند مختلف الأمم، وبينها أمثال قيلت في اليونانية وفي بعض اللغات الأخرى قبل أيام "أكثم" بزمان طويل. إلا أن نسبة هذه الأمثال إليه، تشير إلى أنه كان من حكماء الجاهلية البارزين ومن ذوي الرأي والحكمة عند قومه.

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١٥/ ٢٥٠

والأمثال النابعة من صميم الحياة الإنسانية ومن التجارب العملية، والاختبارات الطويلة، تكون ذات طبيعة حكيمة عامة، فتظهر لذلك عند كل الناس، وتخرج على كل لسان، فلا يمكن أن يقال: إنها من مخترعات الأمة الفلانية، ومن مبتكرات العقل الفلاني؛ لأنها كما قلت خواطر إنسانية، تخطر على بال كل

---

١ العسكري، جمهرة "١/ ٢٤٩"، الميداني "١/ ٧٣".

٢ العقد الفريد "٣/ ٦٣ وما بعدها"، ومن أمثالهـ: "مقتل الرجل بين فكيه"، و"ربما أعلم فأذر"، يريد أنه يدع ذكر الشيء وهو به عالم لم يحذر من عاقبته، العقد الفريد "٣/ ٨١".

٣ المزهر "١/ ٥٠ وما بعدها".." (١)

"إحراق الكتب، لا يشير لا تصريحا ولا تلميحا إلى علاقته بالشعر، ولعله خير موضع، وضعه أبو عبيدة لغرض ما، كأنه كان يريد من وضعه المبالغة في علمه وفي زهده، أو أن حريقا غير متعمد أصاب بعض كتبه، فضخمه ووسعه، وجعله إحراقا متعمدا، إذا لا يعقل أن يقوم هو بإحراق كتبه كلها، ثم إن قوله: "وكان كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء، قد ملأت له بيتا على قريب من السقف، ثم إنه تقرأ فأحرقها كلها" لا يخلو من مبالغة فليس من السهل على رجل كتابة هذا القدر من الكتب بالنسبة لذلك الوقت، حيث كان الورق غاليا، بحيث تملأ بيتا إلى قريب من السقف، ثم قيامه بإحراقها كلها بمثل هذه البساطة والسذاجة، فهي في نظري قصة مصطنعة، لا حقيقة فيها. ومما يؤيد سذاجة هذه القصة، هو أن صاحبها عاد فقال إنه رجع بعد إلى علمه الأول، فلم يكن أمامه عنده إلا ما حفظه بقلبه١، مما يثبت أنه أراد من وضعها المبالغة في علمه، بزعمه أنه كان قد حفظ ما شاء الله من العلم، ومنه الشعر الجاهلي الذي كان يمجده، ويرى أنه وحده هو الشعر، ولهذا لم يستشهد أو يحتج ببيت إسلامي، مهما بلغ الشعر الإسلامي من الجودة والحسن لأنه شعر محدث، والمحدث لا يقاس بالشعر الجاهلي الأصيل، مهما بلغ من الإتقان.

وقد زعم أنه قال: "ما زدت في شعر العرب إلا بيتا واحدا، يعني ما يروى للأعشى من قوله:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا٢

ولا ندري بالطبع إذا كان هذا الكلام المنسوب إلى أبي عمرو هو من كلامه حقا، أو كان من الكلام المصنوع المنحول عليه. وإذا كان صحيحا، فإن فيه تلميحا إلى أن هناك من قد اتهمه بالوضع، جريا على العادة التي كانت إذ ذاك من اتهام العلماء بعضهم بعضا بالوضع، فروي هذا الخبر في تبرير ذمته من الوضع، وإنه لم يضع في حياته إلا البيت المذكور.

وعوانة بن الحكم بن عياض الكلبي، ويكنى أبا الحكم، من هذا

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٣٦٣/١٥

١ البيان والتبيين "١/ ٣٢١".

٢ المزهر "٢/ ٤١٥"، الأغاني "٣/ ١٤٣".." (١)

"الفصل الثامن والخمسون بعد المئة: المعلقات السبع

...

الفصل الثامن والخمسون بعد المائة: معلقات السبع

ومن الشعر الجاهلي قصائد عرفت بين الناس باسم "المعلقات السبع" وبـ "المعلقات" وبـ "المذهبات" وبـ "السموط"، لزعم الرواة أن العرب اختارتها من بين سائر الشعر الجاهلي، فكتبتها بماء الذهب على القباطي، ثم علقتها على الكعبة إعجابا بها وإشادة بذكرها، وقد بقي بعضها إلى يوم الفتح، وذهب ببعضها **حريق** أصاب الكعبة قبل الإسلام.

والمعلقات السبع هي سبع قصائد طويلة اختيرت من الشعر الجاهلي، فعرفت لذلك بين الناس بـ "السبع" وبالسبع الطوال، وبالسبع الطول، وبالسبع الطول، وبالقصائد المختارة، وبالسبعيات، وعرفت أيضا باختيارات حماد، وبالسمط، وبالسموط، وبالمذهبات. ويظهر أن لفظة "السبع"، هي من الألفاظ القديمة التي أطلقت على اختيارات "حماد"، فقد ذكر "محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب: أن أبا عبيدة قال: أصحاب السبع التي تسمى السمط: امرؤ القيس، وزهير، والنابغة، والأعشى، ولبيد، وعمرو، وطرفة. قال: وقال المفضل: من زعم أن في السبع التي تسمى السمط لأحد غير هؤلاء فقد

---

١ المزهر "٢/ ٤٨٠"، الجزء الأول من تأريخ العرب قبل الإسلام "١/ ٣٧"، العمدة "٩٦"، العقد الفريد "٦/ ١٦٩".." (٢)

"فرأى أنه رأي فائل، لأن الروايات قد تواردت على نسبتها، وتجد أشياء منها في الصدر الأول، غير أنه مما لا شك فيه أن تلك القصائد لا تخلوا من الريادة وتعارض الألسنة، قل ذلك أو كثر، أما أن تكون بجملتها مولدة فدون هذا البناء نقض التأريخ١.

ولم أجد بين الموارد التي وصلت إلينا من موارد مطبوعة أو مخطوطة موردا واحدا ذكر أن الرسول حينما فتح مكة، وأمر بتحطيم ما كان بها من أصنام وأوثان وبطمس ما كان بها من صور، وجد معلقة واحدة أو جزءا من معلقة أو أي شعر آخر وجد مكتوبا ومعلقا على أركان الكعبة أو على أستارها، كما أني لم أجد في أخبار بناء الكعبة خبرا يشير إلى أنهم علقوا المعلقات على الكعبة حينما أشادوها وبنوها من جديد. ولو كانت تلك القصائد قد علقت، لما سكت الرواة عنها وأغفلوا أمرها إغفالا تاما، ثم إن أهل الأخبار الذين أشاروا إلى **الحريق** الذي أصاب الكعبة، والذي أدي إلى إعادة بنائها، لم يشيروا أبدا إلى احتراق المعلقات كلها أو جزء منها في هذا **الحريق**، ولو كانت موجودة ومعلقة على الكعبة

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٩٨/١٧

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٧٢/١٨

كما زعموا، لما سكتوا عن ذكر هذا الحدث الهام. ثم إني لم أسمع أن أحدا من حملة الشعر الجاهلي من الصحابة أو التابعين، ولا غيرهم من رواة شعر الجاهلية وحفظته، وكلهم كانوا يتلذذون بروايته وبسماعه، أشار إلى وجود معلقات ومذهبات وقصائد سبع مختارة، ولو كان لهم علم بها لما أخفوا ذلك عمن جاء بعدهم أبدا. وتعليق المعلقات قصة لا أستبعد أن تكون من صنع "حماد" جامعها، أو من عمل من جاء بعده، في تعليل سبب ذلك الاختيار.

وأما ما زعم من أن معاوية قال: "قصيدة عمرو بن كلثوم، وقصيدة الحارث بن حلزة، كانتا معلقتين بالكعبة دهرا"٢، فخبر لا يوثق به.

ومن "السمط" جاءت فكرة تعليق المعلقات. فالسمط: خيط النظم لأنه يعلق، وقيل قلادة أطول من المخنقة، والخيط ما دام فيه الخرز، وجمعه "سموط"٣. فالسمط يعلق، وقد دعيت القصائد المذكورة بـ "السمط"، وقالوا

---

١ الرافعي "٢/ ١٩٣".

٢ الخزانة "١/ ٥١٩"، "بولاق".

٣ اللسان "٧/ ٣٢٢".." (١)

"أو الأغنياء له بسوء، فيما لو نشره باسمه، فآثر نظمه باسم "عروة".

و"الشنفرى"، وهو "ثابت بن أوس" الأزدي، وقيل بل "الشنفرى" اسمه لا لقب، وقيل: بل هو: "عمرو بن مالك" الأزدي، وقيل "عمرو بن براق"، وقيل غير ذلك، من "بني الأواس بن الحجر بن الهنء بن الأزد"١، من اليمانية في عرف أهل النسب. وهو من الصعاليك. ومن العدائين.

وكان من المرافقين للشاعر "تأبط شرا" في كثير من غزواته. وكان أكبر منه سنا، وتوفي قبله. وذكر أنه حلف يمينا أن يقتل من "بني سلامان" مائة رجل فقتل تسعة وتسعين، فأمسك به رجل عداء، هو "أسيد بن جابر" وهو عداء من العدائين وقتله. فمر به رجل من بني سلامان فركل جمجمته، فدخلت شظية منها في رجله فمات. فوفى الشنفرى بقسمه، وأتم العدد وهو ميت٢. ويلاحظ أن أهل الأخبار يزعمون أن "عمرو بن هند" كان قد حلف يمينا أن يقتل من "بني دارم" مائة رجل، وأن يلقي بهم في النار، فسار إليهم فقتل تسعة وتسعين وأحرقهم بالنار، وبقي عليه أن يبر بقسمه بقتل واحد آخر منهم حتى يكمل العدد، فمر رجل من البراجم شم رائحة حريق القتلى، فحسبه قتار الشواء، فمال إليه، فلما رآه "عمرو"، قال له: ممن أنت؟ قال: رجل من البراجم، فقال: إن الشقي وافد البراجم، وأمر فقتل وألقي في النار. فبرت به يمينه٣. وقد يكون للقصتين ولقصص آخر من هذا النوع علاقة بطقوس أو بأساطير جاهلية قديمة، تجعل الأبطال، ينذرون نذورا تختلف عن نذور سائر الناس، هي قتل مائة نفس قربى إلى الآلهة، بدلا من تقديم الضحايا من الحيوانات.

وكان "الشنفرى" يحقد على "بني سلامان" حقدا شديدا، وسبب حقده عليهم، أنه كان قد وقع أسيرا وهو صبي في "بني شبابة بن فهم"، فانتمى

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٨٢/١٨

١ الخزانة "٢/ ١٦ وما بعدها"، البيان والتبيين "٣/ ٢٢٤"، المفضليات "١/ ١٠٦ وما بعدها"، مجالس ثعلب "٤٢٦"، الحيوان "٣/ ١٠٨"، "٦/ ٢٤٤"، أمالي القالي "١/ ١٥٧"، رسالة الغفران "٣٥١ وما بعدها".
٢ الشعر والشعراء "١/ ٢٥ وما بعدها"، تاج العروس "٣/ ٣٠٨، ٣١٨"، "شفر"، "الشنيفرة"، الأغاني "٢١/ ٨٧"، الخزانة "٢/ ١٤" "بولاق"، ذيل الأمالي "٢٠٨ وما بعدها"، زيدان، تأريخ آداب "١/ ١٦١".
٣ الجزء الثالث من هذا الكتاب "ص٢٥١".." (١)

"ونحن سبقناكم إلى اليمن فاعرفوا ... لنا رتبة البادي هو أكذب

مشيتم على آثارنا في طريقنا ... وبغيتكم أن تسودوا وترهبوا١

وذكر أن "جبل بن جوال بن صفوان بن بلال بن أصرم بن إياس بن عبد غنم بن جحاش بن مجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان" الشاعر الذبياني ثم الثعلبي، كان يهوديا مع "بني قريظة" وكان قد رثى "حيي بن أخطب" بأبيات منها:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ... ولكنه من يخذل الله يخذل

وقال بعض الناس إنها لحيي بن أخطب نفسه. وذكر أنه من ذرية "العطيون بن عامر بن ثعلبة" "الفطيون؟ "، وكان يهوديا فأسلم، وهو القائل لما فتح النبي خيبر:

رميت نطاة من النبي بفيلق ... شهباء ذات مناقب وفقار

وذكر أنه هو القائل:

ألا يا سعد سعد بني معاذ ... لما فعلت قريظة والنضير

تركتم قدركم لا شيء فيها ... وقدر القوم حامية تفور

وزاد المرزباني فيها:

ولكن لا خلود مع المنايا ... تخطف ثم تضمنها القبور

كأنهم غنائم يوم عيد ... تذبح وهي ليس لها نكير

فأجابه حسان:

تعاهد معشرا نصرو علينا ... فليس لهم ببلدتهم نصير

هم أوتوا الكتاب فضيعوه ... فهم عمي عن التوراة بور

كذبتم بالقرآن وقد أبيتم ... بتصديق الذي قال النذير

وهان على سراة بني لؤي ... حريق بالبويرة مستطير٢

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٠٣/١٨

١ رسالة الغفران "٤٤١ وما بعدها"، "بنت الشاطئ".

٢ الإصابة "١/ ٢٣ وما بعدها"، "رقم ١٠٧١".." (١)

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٣٥٦/١٨

حريث بن عبد الملك "ج٤" ٢٣٤

حريث بن عمرو "ج١" ٣٩٩، ٤٠٦، ٤٠٧

"ج٤" ١٢٦

حريث بن محفض "ج٩" ٨٩٤، ٨٩٥

الحريش بن كعب "ج٤" ٥٢٢

حريم "ج١" ٣٧١

"ج٤" ٤٥٧

حزان بن يربوع "ج١" ٤٠٣

حزفر كبير خليل "ج٨" ٥١٤

حزقيال "ج١" ٤٣٩

حزم "ج١" ٥٢٦

حزن "ج١" ٥٢٦." (١)

"وقال:

قومي اللذو بعكاظ طيروا شررا ... من روس قومك ضربا بالمصاقيل١

وقال جذل الطعان:

جاءت هوازن أرسالا وإخوتها ... بنو سليم فهابوا الموت وانصرفوا

فاستقبلوا بضراب فض جمعهم ... مثل الحريق فما عاجوا ولا عصفوا

وقال عبد الله بن الزبعرى شاعر قريش "والمشركين فيما بعد":

ألا لله قوم و ... لدت أخت بني سهم

هشام وأبو عبد ... مناف مدره الخصم

وذو الرمحين أشباك ... من القوة والحزم

فهذان يذودان ... وذا من كثب يرمي٢

---

١ اللذو: لغة في الذين. والمصاقيل: السيوف.

٢ وتتمة هذه الأبيات:

أسود تزدهي الأقرا ... ن مناعون للهضم

وهم يوم عكاظ مـ ... ـنعوا الناس من الهزم

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٨٢/١٩

وهم من ولدوا أشبوا ... بسر الحسب الضخم

فإن أحلف وبيت الل ... ه لا أحلف على إثم

لما من إخوة بين ... قصور الشام والردم

بأزكى من بني ريط ... ة أو أوزن في الحلم

أبو عبد مناف الفاكه بن المغيرة، وريطة هذه التي عنـــاها هي أم بني المغيرة، وهي بنت سعيد بن سعد بن سهم، ولدت من المغيرة هشاما وأبا ربيعة والفاكه =." (١)

"بيعة القسيان من الخدم المسترزقة ما لا يحصى، ولها ديوان لدخل الكنيسة وخرجها، وفي الديوان بضعة عشر كتابا، ومنذ سنة وكسر وقعت في الكنيسة صاعقة وكانت حالها أعجوبة، وذلك أنه تكاثرت الأمطار في آخر سنة ١٣٩٣ للإسكندر الواقع في سنة ٤٤٢ للهجرة وتواصلت أكثر أيام نيسان، وحدث في الليلة التي صبيحتها يوم السبت الثالث عشر من نيسان رعد وبرق أكثر مما ألف وعهد، وسمع في جملته أصوات رعد كثيرة مهولة أزعجت النفوس، ووقعت في الحال صاعقة على صدفة مخيبة في المذبح الذي للقسيان، ففلقت من وجه النسرانية قطعة تشاكل ما قد نحت بالفأس والحديد الذي تنحت به الحجارة، وسقط صليب حديد كان منصوبا على علو هذه الصدفة، وبقي في المكان الذي سقط فيه، وانقطع من الصدفة أيضا قطعة يسيرة، ونزلت الصاعقة من منفذ في الصدفة وتنزل فيه إلى المذبح سلسلة فضة غليظة يغلق فيها الثميوطون، وسعة هذا المنفذ إصبعان، فتقطعت ا لسلسلة قطعا كثيرة وانسبك بعضها، ووجد ما انسبك منها ملقى على وجه الأرض، وسقط تاج فضة كان معلقا بين يدي مائدة المذبح، وكان من وراء المائدة في غربيها ثلاث كراسي خشبية مربعة مرتفعة ينصب عليها ثلاث صلبان كبار فضة مذهبة مرصعة، وقلع قبل تلك الليلة الصليبان الطرفيان ورفعا إلى خزانة الكنيسة، وترك الوسطاني على حاله، فانكسر الكرسيان الطرفيان وتشظيا وتطايرت الشظايا إلى داخل المذبح وخارجه من غير أن يظهر فيها أثر حريق، كما ظهر في السلسلة، ولم ينل الكرسي الوسطاني ولا الصليب الذي عليه شيء، وكان على كل واحد من الأعمدة الأربعة الرخام التي تحمل القبة الفضة التي تغطي مائدة المذبح ثوب ديباج ملفوف على كل عمود، فتقطع كل واحد منها قطعا كبارا وصغارا، وكانت هذه القطع بمنزلة ما قد عفن وتهرأ ولا يشبه ما قد لامسته نار ولا احتراق، ولم يلحق المائدة ولا شيئا من هذه الملابس التي عليها ضرر، ولا بان فيها أثر، وانقطع بعض الرخام الذي بين يدي مائدة المذبح مع ما تحته من الكلس والنورة كقطع الفاس ومن جملته لوح رخام كبير طفر من موضعه فتكسر إلى علو تربيع القبة الفضة التي تغطي المائدة وبقي هناك على حاله، وتطافر بقية الرخام إلى ما قرب من المواضع وبعد، وكان في الجنبة التي للمذبح بكرة خشب فيها حبل قنب مجاور للسلسة." (٢)

"بيض وحمر كالدر والمرجان، وأن تحرق الأكباد وتمرض الأنفس وتعظم الأتراح والأحزان. فانظر كيف جعل الشاعر البكاء حقا على سواه أما هو فلا شأن له بتنفيذ هذا الذي يعده حقا:

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام سعيد الأفغاني ص/١٧٦

(٢) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ إحسان عباس ٢/٣٤٦

لحق بأن يبكي عليه بأدمع ... لها في مسيل الخد در ومرجان ثم ما قيمة تشبيه الدموع في موطن الحزن أو تقسيمها إلى فئات إن كان الحزن صحيحا؟ وقد ذكر الدموع في هذا البيت فلم عاد يذكرها بعد بيت واحد؟

وتبتاع أحزان وتهمى مدامع ... وتجمع أمواه غزار ونيران وما الفرق بين الدمع هنا والدمع هنالك وما هذه الأمواه إلا الدموع؟ وما الفرق بين قوله: وتعظم أتراح؟ وتكبر أشجان؟ وتبتاع (؟) أحزان؟ من هنا ترى الفقر شاملا في كل شيء – في العاطفة، في الأسلوب، في الترتيب، والشاعر إنما يحشد ألفاظا تتصل بمعنى الحزن ولا تنطوي عليه. وقد يكون هذا من ضعف شاعريته، ولكن مما زاد الضعف وضوحا، انعدام العاطفة في موضوع يحتاج إلى قسط كبير من الصدق ولا ينفع فيه الانفعال البسيط.

ضع هذه القطعة مقابل قول محمد بن عيسى:

عز العزاء وجل البين والجزع ... وحل بالنفس منه فوق ما تسع

يا عين جودي بدمع خالص ودم ... فما عليك لهذا الرزء ممتنع

فالجسم ينحل والأنفاس خافتة ... والقلب يخفق والأحشاء تنصدع

كوني على الحزن لي يا عين مسعدة ... فإن قلبي لما تأتينه تبع فهنا هذا التهويل المقارب للتهويل السابق، وفيه هذه الدموع البيض والحمر، وفيه تصوير للحالة الجسمية والنفسية التي نزلت به من جراء الحادث الجلل – فيه كل التكلف الذي ورد في القطعة الأولى ولكن فيه عنصرا واحدا ينقص شعر ابي الضوء فقد ابى أن يقول للناس إنه بكى أو أن كبده احترقت أو أن الماء." (١)

"كما أن "أوليري" يذهب إلى أن المدينة التي جاءت في جغرافية بطليموس تحت اسم "Thouma" إنما هي "تمنة"١، وقد وصف "بليني" مدينة "Thomna" بأنها من أكبر المدن في العربية الجنوبية، وأن بها "٦٥ معبدا"، وأن المسافة بينها وبين "غزة" ٤٤٣٦ ميلا، تقطعها الإبل في ٦٥ يوما على وجه التقريب، وليست هذه المدينة سوى "تمنة" قتبان٢.

وتقع "تمنع" في وادي بيجان في منطقة تدل آثار الري فيها على أنها كانت خصبة كثيرة المياه والبساتين، وقد أثبتت أعمال الحفر التي قامت بها البعثة الأمريكية، تحت رياسة "وندل فيلبس"، أن موقع "تمنة" القديم، إنما هو في مكان خرائب كحلان "هجر كحلان الحالية" وأن المدينة قد خربت بسبب حريق هائل، ربما أتى على المدينة، كلها، وأن هذا الحريق ربما كان بأيدي السبئيين إبان الحروب التي استعر أوارها بينهم وبين القتبانيين، كما أثبتت الحفائر أن "تمنة" قد جددت عدة مرات، وأن مقابرها كثيرا ما انتهكت حرماتها، سواء أكان ذلك في الأيام الغابرة، أو في العصر الحديث٣، وأخيرا فقد كشفت الحفائر في منطقة "تمنع" عن شبكة كاملة من السدود تتصل بها قنوات وصهاريج لتوفير مياه الري لرقعة واسعة من البلاد٤.

ومن مدن قتبان الهامة كذلك "شور"، "شوم" و"يرم"، وكذا "حريب" التي ذكرها الهمداني٥، والتي اشتهرت بالنقود التي

---

(١) العرب في صقلية إحسان عباس ص/٢٨٠

ضربت فيها، وحملها اسمها، كما أنها كانت عاصمة قتبان في أخريات أيامها٦.

١ O.htm'leary, Op. Cit., P.97

٢ Pliny, 6, 32. وكذا O'leary, Op. Cit., P.97

٣ جواد علي ٢/ ٢٢٢-٢٣٠، وكذا: وتدل فيلبس: كنوز مدينة بقليس ص١٠٥ وما بعدها

وانظر الأصل: Wendell Phillips, Qataban And Sheba, P.58, 64, 119, 166

٤ موسكاتي: المرجع السابق ص١٩٩.

٥ الهمداني: المرجع السابق ص٨٠، ٩٥، ١٠٣، ١٣٤.

٦ جواد علي ٢/ ٢٣٠-٢٣١، وكذا

C.F. Hill Catalogue Of The Greek Coins Of Arabia, Mesopotamia And Persia

P.Ixxiv, 75, Pi. Xi, 21." (١)

"وقد اشتهرت دلمون بتمرها منذ أقدم العصور، ويغلب على الظن أن الساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب كان ضمن مملكة دلمون، التي ازدهرت في الألف الثاني قبل الميلاد وكانت تضم الأحساء والبحرين.

وما زالت الآراء تختلف في أصل الدلمونيين؛ إذ يرى البعض أنهم جاءوا من الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة، وكانت لهم صلات مع العراقيين منذ عصر فجر الأسرات السومرية؛ بينما يرى البعض الآخر أن من المحتمل أن يكون السومريون القدماء قد جاءوا أصلا من دلمون.

وقد تعرضت دلمون لغزوات كثيرة من ملوك بلاد النهرين؛ فقد غزاها سرجون الأكدي هي ومجان وملوخا وجلب منها سفنا كثيرة، كما أشرنا إلى ذلك من قبل، كذلك حاول بعض الأشوريين ضمها إلى ملكهم. ومما يذكر في هذا الصدد أن سنحريب بعد أن دمر بابل سنة ٦٨٩ ق. م. أرسل إلى دلمون أمرا بالخضوع ومعه بعض رماد حريق بابل كتهديد لها بنفس المصير؛ فبادر ملك دلمون بإرسال جزية وهدايا لسنحريب رمزا لخضوعه له.

ويود بعض الباحثين أن يربط جنة عدن المذكورة في الكتب السماوية بمنطقة دلمون، ويستندون في هذا إلى ما تذكره الأساطير المسمارية التي تصفها بأنها أرض غريبة وإلى الأساطير العربية الشائعة في شبه الجزيرة التي تصفها كجنة ليس فيها إلا الخير والطهر، وإلى أن أسطورة سومرية عن الطوفان تشبه أسطورة جلجاميش تشير إلى دلمون كأرض مقدسة؛ ولكننا بالطبع لا نستطيع تأكيد ذلك.." (٢)

"الزراعية معروفة من بضع المحلات التي تم اكتشافها فلم يلاحظ في معظمها إلا تغير طفيف في حالات شاذة، وربما كانت هذه التغيرات الضئيلة في الصناعات التقليدية نتيجة هجرة قوية، ومع ذلك فإن المظهر العام لحياتهم ظل

(١) دراسات في تاريخ العرب القديم محمد بيومى مهران ص/٢٣٠

(٢) معالم تاريخ الشرق الأدني القديم محمد أبو المحاسن عصفور ص/٢٦٢

كما هو إلى ما بعد الألف الثالث قبل الميلاد؛ فانعدام مظاهر التقدم في مخلفاتهم يكاد يكون عاما؛ بينما عاصرت حضارات عصر استخدام النحاس في الأناضول حضارات بالغة الرقي في بقية أقطار الشرق الأدنى: فمصر مثلا كانت تعيش في عهد الدولة القديمة وهو من أزهى عهودها التاريخية؛ ولذا لا يمكن أن نقارن بين حضارات الأناضول وتلك التي كانت في الأقطار الأخرى خلال هذه الفترة؛ بل يمكن القول بأن منطقة طروادة المطلة على بحر إيجة كانت منفصلة حضاريا عن داخل الهضبة، والواقع أن قليلا من الأدلة الأثرية هي التي تربط بين المنطقتين في هذا العصر السحيق؛ بحيث يصعب إيجاد صلة بينهما، أما ال أدلة على ارتباط طروادة "خلال هذا العصر" بإقليم بحر إيجة فهي متعددة وكافية لأن تؤيد وجود صلة بينهما.

ومع أن مخلفات الحضارات التالية من عصر النحاس في طروادة التي تتمثل في طبقاتها الأثرية ابتداء من الطبقة الثانية إلى الطبقة الخامسة –وهي التي تعد نموذجا لكل المنطقة المحيطة ببحر إيجة– تشير إلى اقتصاد زراعي متواضع؛ إلا أن بعض آثار فيها تدل على غنى عظيم يوحي بوجود مستوى أعلى للحياة بين الطبقات العليا، وهذه تتمثل في وجود بعض حلي من الذهب والفضة عثر عليها شليمان "Shliemann" في الطبقة الثانية من حفائره في طروادة؛ ولكن شواهد أخرى تدل على حدوث تغيرات واضحة فيما بعد حيث توجد آثار **حريق** عظيم في هذه الطبقة الثانية يرجع تاريخه إلى نهاية القرن ٢٤ ق. م. تقريبا.

ولا يوجد من التشابه بين الحضارة التي سادت منطقة إيجة وتلك التي كانت." (١)

"ولم ينج وسط إيران من المؤثرات الخارجية؛ فقد وجدت في سيالك آثار تدل على حدوث **حريق** وتدمير لبعض المساكن التي تنتمي إلى سيالك٣ وإقامة مساكن أخرى مكانها، اختفى الفخار الملون منها وحل محله فخار أحمر أو رمادي يشبه في أشكاله فخار سوسة، كما أن الختم الأسطواني أصبح يستعمل بدلا من الختم المخروطي الذي كان معروفا من قبل، ويدلنا هذا على إدخال الكتابة على الألواح الطينية، وبالفعل ظهرت الكتابة قبل العيلامية في ألواح وآثار وجدت مع هذه الأختام. ويبدو أن العناصر التي جلبت معها هذه الكتابة "قبل العيلامية" إلى سوسة دخلت أيضا إلى منطقة سيالك؛ ولكن في غزوة وحشية، ومن المرجح أنها كانت أقوى وأغنى من سكان المنطقة الأصليين؛ لأن وجود مظاهر حضارية "من تلك التي أحدثوها في سوسة" بمنطقة سيالك مع ما صاحبها من آثار تدمير **وحريق** يشير إلى أن هذه الحضارة قد فرضت بالقوة خلافا لما حدث في المنطقة الشمالية؛ حيث تسللت إلى هذه الأخيرة العناصر المسالمة التي أشرنا إلى احتمال مجيئها من التركستان أو من السهول البعيدة في وسط آسيا، وجلبت معها الفخار الأسود والرمادي المسود واندمجت مع السكان الأصليين١.

وتتميز منازل هذا العصر بأنها بنيت بعناية ولو أن أبوابها ظلت حقيرة، وكانت تزود عند مدخلها بموقد مقسم إلى قسمين، أحدهما للطعام والآخر للخبز وإلى جانبه إناء للماء. وقد عثر فيها على أثاث متواضع خشن الصنع، كانت مفرداته والمؤن المختلفة التي معه توضع داخل فجوات مخصصة لها أو تحاط بأسوار أو حواجز حجرية لحمايتها، وكان الموتى

(١) معالم تاريخ الشرق الأدني القديم محمد أبو المحاسن عصفور ص/٣٠٢

يدفنون تحت أرضية الحجرات وتوضع معهم مهمات جنزية وتقدمات مختلفة مثل أدوات الزينة والمرايا النحاسية وأوان من المرمر وغيرها، وقد زين الموتى أنفسهم

---

١ يبدو ذلك واضحا في آثار جيان كما أشرنا أعلاه.." (١)

"كثيرا، ثم قال عبد الرحمن: كتب إلي ابن لهيعة كتابا فيه: ثنا عمرو بن شعيب، قال عبد الرحمن: فقرأته على ابن المبارك، فأخرج إلي ابن المبارك من كتابه عن ابن لهيعة فإذا: حدثني إسحاق بن أبي فروة، عن عمرو بن شعيب".

وقال يحيى بن معين: "أنكر أهل مصر احتراق كتب ابن لهيعة، والسماع عنه واحد. القديم والحديث" وقال أيضا "ضعيف لا يحتج به".

وذكر عند يحيى احتراق كتب ابن لهيعة، فقال: "هو ضعيف قبل أن تحترق، وبعد ما **احترقت**".

وقال السعدي: "ابن لهيعة لا يوقف على حديثه، ولا ينبغي أن يحتج بروايته، أو يعتد بروايته".

وقال الحميري، عن يحيى بن سعيد، أنه كان لا يراه شيئا.

وقال أبو زرعة: "سماع الأوائل، والأواخر منه سواء، إلا أن ابن المبارك وابن وهب كانا يتبعان أصوله، وليس ممن يحتج به".

وقال ابن حبان: "قد سبرت أخبار ابن لهيعة من رواية المتقدمين، والمتأخرين عنه، فرأيت التخليط في رواية المتأخرين عنه موجودا، وما لا أصل له في رواية المتقدمين كثيرا، فرجعت إلى الاعتبار، فرأيته كان يدلس عن أقوام ضعفى عن أقوام رآهم ابن لهيعة ثقات، فالتزقت تلك الموضوعات به".

وهو راوي الحديث الذي فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه: "ادعوا لي أخي، فدعي له أبوبكر، فأعرض عنه، ثم قال: ادعوا لي أخي، فدعي له عثمان، فأعرض عنه، ثم دعي علي فستره بثوبه، وأكب عليه." (٢)

"فأسمع عثمان يقول لأصحابه: ما بعد **الحريق** شيء، قد احترق الخشب **واحترقت** الأبواب، ومن كانت لي عليه طاعة فليمسك داره، فإنما يريدني القوم، وسيندمون على قتلي، والله لو تركوني لظننت أني لا أحب الحياة، ولقد تغيرت حالي، وسقط أسناني، ورق عظمي.

قال: ثم قال لمروان: اجلس فلا تخرج، فقال: والله لا تقتل، ولا يخلص إليك، وأنا أسمع الصوت، ثم خرج إلى الناس.

فقلت: ما لمولاي مترك فخرجت معه أذب عنه، ونحن قليل، فأسمع مروان يمتثل:

قد علمت ذات القرون الميل

والكف والأنامل الطفول

ثم صاح: من يبارز؟ وقد رفع أسفل درعه، فجعله في منطقته، قال: فيثب إليه ابن النباع فضربه ضربة على رقبته من خلفه،

---

(١) معالم تاريخ الشرق الأدني القديم محمد أبو المحاسن عصفور ص/٣٩٧

(٢) فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه محمد بن عبد الله غبان الصبحي ٢/٦٢٢

فأثبته حتى سقط فما ينبض منه عرق، فأدخلته بيت فاطمة ابنة أوس جدة إبراهيم بن العدي قال: فكان عبد الملك وبنو أمية يعرفون ذلك لآل العدي"١.

إسناده ضعيف جدا بالواقدي، كما أن أبا حفصة مجهول.

---

١ تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٣٨٠-٣٨١) .." (١)

"عودي قتلته". ففر من أذنة أكثر من خمسين ألفا من المسلمين، في حين أظهر أهل طرسوس من الشجاعة وشدة البلاء الشيء الكثير، وأسروا بطريقا كبيرا من بطارقة الروم١.

وبني نقفور مدينة قيسارية، وعسكر فيها، ليقرب من بلاد الإسلام٢، وقد عزم على أن يستحوذ على البلاد الإسلامية بعد أن طمع فيها لفساد حكامها، وفساد عقائدهم في الصحابة٣.

وأدرك أهل المصيصة وطرسوس عجز البلاد الإسلامية، عن نجدتهم. فأرسلوا إلى نقفور، يبذلون له أتاوة، ويطلبون منه أن ينفذ إليهم بعض أصحابه، يقيم عندهم، ولكنه أدرك عجزهم، واشتداد الغلاء، وقد أكلوا السباع والميتة، وفتك فيهم الوباء، فكان يموت في طرسوس كل يوم نحو ثلاثمائة نفس، فأحضر نقفور الرسول، وأحرق الكتاب على رأسه، **واحترقت** لحيته، وقال لهم: "أنتم كالحية في الشتاء تخدر، وتذبل، حتى تكاد تموت، فإن أخذها إنسان، وأحسن إليها، وأدفأها، انقضت ونهشته"٤.

وفي ظل هذه الأوضاع المحزنة توجه نقفور بجيوشه الجرارة عام ٣٥٣ هـ، فاحتل إذنة بسهولة، وكان قد هجرها أهلها. ودخل المصيصة عنوة في ١٣ رجب بعد حصار طويل، ووضع السيف في أهلها، فقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم رفع السيف ونقل كل من بها إلى بلد الروم، وكانوا نحو مائتي ألف إنسان٥. واستولى بعد ذلك على كفربيا، وأسر كثيرا من المسلمين. وكفربيا مدينة بإزاء المصيصة على شاطئ جيحان٦.

وجاء دور طرسوس آخر معقل من معاقل الثغور الشامية، وقد نهكتها الحروب، وملاحم الجهاد، وتوجه إليها نقفور بقواته الهائلة، ولما وصل إلى أسوارها، أمر بأن يساق من أسر من أهل المصيصة وكفربيا أمام أهل طرسوس الذين كانوا ينظرون من فوق الأسوار، وأمر بضرب أعناق مائة من أعيان المدينتن، بهدف إضعاف معنويات أهل طرسوس فكان أن أخرج أهل طرسوس أسرى الروم الذين عندهم، وضربوا أعناقهم على باب المدينة٧.

---

١ الكامل ٧/٩-١١، البداية ٢٥٣/١١، زبدة الحلب ١/ ١٤١ ابن تغري ٣٣٧/٣، تاريخ يحي بن سعيد ص ١٢٢.

٢ مسكويه- تجارب الأمم ٢/ ٢١٠، السيوطي- تاريخ الخلفاء ص ٤٠١.

٣ البداية ٢٥٣/١١.

٤ البداية ١١/ ٢٥٥، الكامل ١٣/٧.

---

(١) فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه محمد بن عبد الله غبان الصبحي ٨٣٤/٢

٥ البداية ١١/ ٢٥٥، الكامل ٧/ ١٤، تجارب الأمم ٢٠٨- ٢١٠.

٦ ياقوت- معجم البلدان ٤/٤٦٨.

٧ تجارب الأمم ٢/ ٢١١، تاريخ يحي بن سعيد ١٢٣.." (١)

"بأسلحتهم المتخلفة أمام أقوى قوة ضاربة في تلك الأيام، ولم يتم للإنجليز غرضهم إلا على أشلاء جنود الشرطة الأبطال.

وفجأة في ٢٦ يناير شبت **الحرائق** في مدينة القاهرة، وتقاعس حيدر باشا وكان على رأس الجيش عن معاونة الحكومة بإنزال الجيش لوقف الفوضى في العاصمة، فإذا جاء المساء كانت القاهرة تشتعل، ولبى الملك طلب الإنجليز فأقال وزارة الوفد بعد أن أعلنت الأحكام العرفية، وأخذ في تأليف وزارات هزيلة، فجاءت وزارة تلو الوزارة حتى حدثت حركة الجيش في ليل ٢٣ يوليو ١٩٥٢.." (٢)

"الصحافة المصرية من عام ١٩٥٢ إلى عام ١٩٨١:

قامت حركة الجيش في ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في ظل الأحكام العرفية التي فرضت على البلاد عقب **حريق** القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢، وأعلنت الحركة في صباح ذلك اليوم عن طريق الإذاعة أن رسالتها تطهير البلاد من الفساد وإعادة الحياة النيابية سليمة من كل عيب، وتقوية الجيش إلى آخر ما جاء في بيانها الذي بثته الإذاعة المصرية ونشرته الصحف في اليوم التالي.

وقد استقبلت الصحافة المصرية هذه الحركة وفي مقدمتها جريدة المصري خاصة وسائر صحف المعارضة عامة استقبالا رائعا مع تأييدها من غير حدود، ولم تتحفظ في عرضها لأحداث ذلك اليوم إلا جريدة الأهرام وهي في ذلك تمارس طبعها المأثور عنها والذي كان يفرض عليها في نشر الأحداث الروية والتدبير.

وكان صحيفة المصرية ومجلة روز اليوسف، في مقدمة الجرائد التي ناصرت الجيش في حركته، وكان أصحاب الصحيفتين على علاقة وثيقة برجال هذه الحركة قبل قيامها، وكانوا -فيما قيل- يطبعون في مطابعهم منشورات الضباط الأحرار التي أرقت حياة الملك وأفزعت بطانته.

ولعدة شهور تلت ذلك اليوم كان الصحف المصرية تؤازر حركة الجيش كما كانت تسمى في أيامها الأولى، والتي أطلقت عليها بعد ذلك لفظ الثورة.

وقد أرغمت الثورة الملك على التنازل عن العرش في ٢٦ يوليو ١٩٥٢ لولي العهد وكان طفلا وليدا في شهوره الأولى من العمر، وألفت مجلس وصاية كان من أعضائه يوسف صديق وهو ضابط عظيم كان له أخطر دور في نجاح الثورة ليلة قيامها إذ اعتقل قادة الجيش من أنصار الملك واحتل مبنى." (٣)

---

(١) طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور جميل عبد الله محمد المصري ص/١٣٣

(٢) تطور الصحافة المصرية ١٧٩٨ - ١٩٨١ إبراهيم عبده ص/٢٤٥

(٣) تطور الصحافة المصرية ١٧٩٨ - ١٩٨١ إبراهيم عبده ص/٢٤٧

"ولم يحفظ جميل شجر الدر التي أخذت له البيعة، واستدعته من مقره البعيد، وولته السلطة، فاتهمها بإخفاء أموال كانت لأبيه، حتى اضطرت لمعاداته ومغادرته إلى القدس هربا من مضايقاته١، ثم لم تلبث أن عادت وجعلت تتصل بأنصارها من المماليك البرجية المعادين لتورانشاه، فقاموا بمهاجمته وهو في معسكره في فارسكور، وذلك في ٢٩ محرم عام ٦٤٨ هـ (١٢٥٠م) ٢ مما اضطره لإلقاء نفسه في البحر من فوق برج خشبي كان قد التجأ إليه، فحرقوه عليه بعد أن قذفوه بالسهام، فمات جريحا غريقا **حريقا**، دون أن تنفعه استعطافاته وصياحه "ما أريد ملكا، دعوني أرجع، خذوا ملككم ودعوني أعود إلى حصن كيفا"٣ ولكنهم لم يلاقوا بالا لأقواله وقالوا: "بعد جرح الحية لا ينبغي إلا قتلها"٤.

وقيل إنه حاول الاستنجاد بأبي عز الدين رسول الخليفة العباسي، الذي كان معه في المعسكر فصاح: "يا أبا عز أدركني" ولكن أبا عز الدين لا يملك أن يفعل شيئا تجاه هؤلاء القادة الغاضبين٥.

وقيل: بقيت جثته على شاطئ النيل ثلاثة أيام، ثم دفنت مكانها وقيل: بل كشف عنها الماء بعد ثلاثة أيام، فنقلت إلى الجانب الآخر وذلك بجرها في الماء بصنارة من قبل شخص راكب في مركب كما يجر الحوت٦.

---

١ أبو الفداء، تاريخ مختصر الدول، ص: ٤٥٤- ٤٥٥.

٢ ابن واصل، مفرج الكروب ٢/ ٣٧١. أبو الفداء، المسطر: ٣/ ١٩٠.

٣ ابن واصل، مفرح الكروب: ٢/ ٣٧١. أبو المحاسن، النجوم: ٦/ ٣٧١.

٤ أبو شامة، عبد الرحمن به إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي (٦٦٥- ١٢٦٨م) ، الذيل عام الروضتين ص: ١٨٠، تحقيق عزت العطار بعنوان تراجم رجال القرنين السادس والسابع، ط. القاهرة، ١٩٤٧م.

٥ أبو شامة، الذيل، ص: ١٨٥.

٦ أبو شامة، الذيل، ص: ١٨٥، نقلا عن كلام والي القاهرة.." (١)

"ولقد تغنى الشعراء العرب قديما بنسيم نجد العليل وأسهبوا في وصفه، ولهجوا بذكر هذه البلاد وترنموا برباها وريا عطرها١. فالمناخ في نجد معتدل جاف على العموم، غير أنه يختلف من مكان إلى آخر باختلاف الموقع الجغرافي، فمنطقة **الحريق** كاسمها شديدة الحر ومثلها وادي الدواسر، بينما تكون منطقة حائل والقصيم لطيفة المناخ٢.

على أن منطقة اليمامة -في نظر الباحثين- إنما هي جزء من إقليم أكثر شمولا هو إقليم العروض، ويشمل اليمامة والبحرين والإحساء وشبه جزيرة قطر. وفي هذا الإقليم من المرتفعات هضبة الصمان التي تمتد موازية لساحل الخليج العربي وهضبة طويق في الوسط الجنوبي.

---

١ يقول عبد الله بن الدمينة الخثعمي:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد ... لقد زادني مسراك وجدا على وجد

---

(١) المماليك البحرية وقضائهم على الصليبيين في الشام شفيق جاسر أحمد محمود ص/١١٧

ويقول الصمة بن عبد الله:

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربا ... وما أحسن المصطاف والمتربعا

٢ حافظ وهبة: المصدر نفسه، ص ٤٥.

الألوسي: المصدر نفسه، ١٩٦، ١٩٨.." (١)

"مؤرخو العرب إلى أن آخر انفجار بركاني قد وقع سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م في الحجاز قريبا من المدينة المنورة؛ فهددها بالدمار واستمر عدة أسابيع.

وتكثر هذه الحرار في الأقسام الوسطى ولا سيما الغربية والجنوبية من شبه الجزيرة. ففي الحجاز تقع فيما يلي جبال السراة نحو الشرق، وهي تمتد شمالا حتى تتصل بالحرار التي نشاهدها في منطقة حوران وجبل العرب "الصفاة واللجاة". وفي اليمن تقع بالقرب من المدن التاريخية القديمة كحرة أرحب شمال صنعاء، وكبعض الحرار بالقرب من ذمار وشمال وادي أبرد وقرب صرواح ومأرب. ويعتقد بعض العلماء أن خراب بعض المدن القديمة كمأرب وشبوة كان بتأثير هياج البراكين، ولعل عدد الحرار في شبه الجزيرة يقارب الثلاثين ذكرها ياقوت الحموي بأسمائها وأوصافها ومواقعها١. وبعض هذه الحرار -بما كان ينشر من صيحات مرعبة وسحب دخان قاتمة وكتل نيران متأججة- قد ترك صداه في الشعر الجاهلي مثل: حرة قوس وحرة لبن٢.

ومن الحرار في شمالي شبه الجزيرة حرة "العويرض" شمال مدائن صالح، وحرة "خيبر" وهي أعظم وأوسع حرات شبه الجزيرة وتقع إلى الشمال من المدينة المنورة، وحرة "الكسب" وتقع في جنوبها، وتوجد فيها منطقة تسمى "مهد الذهب" لما يحتوي باطنها من هذا المعدن. وحول المدينة المنورة نفسها حرة اقترن اسمها بحادثة تاريخية شهيرة "موقعة الحرة" بين جند يزيد بن معاوية وأهل المدينة الثائرين عليه، وحرة بني هلال "ابن عامر بن صعصعة" على طريق اليمن.

ومن الملاحظ أن التربة المتفتتة لهذه الحرار خصبة صالحة للزراعة، ولا سيما بسبب وجود العيون والأودية التي تختزن في جوفها طبقة مائية قريبة من سطح الأرض. وقد استغلها العرب استغلالا جيدا قبل الإسلام وبعده، وبخاصة منها حرة خيبر التي كثرت

---

١ راجع مادة حرة في معجم البلدان.

٢ كقول الشاعر:

بحرة قوس وجنبي محفل ... بين ذراه كالحريق المشعل

أو كقول شاعر آخر:

---

(١) تاريخ العرب القديم توفيق برو ص/٢٨

بحرة لبن يبرق جانباها ... ركود ما تهد من الصياح

راجع جواد علي: المصدر نفسه، ٩١-٩٢.." (١)

"المنذر الأول بن ماء السماء

...

المنذر الثالث بن ماء السماء "٥١٤-٥٥٤م":

وماء السماء هو لقب لأمه ماريا، وقد عاصر من الملوك المجاورين الحارث بن جبلة الغساني، والحارث بن عمرو "ملك كندة" والملك الفارسي "قباذ". ومما يروى أنه بعد أن ناصر الملك الفارسي ضد الروم ساءت العلاقات بينهما، ذلك أنه في عهد قباذ، قام "مزدك" الفارسي بالدعاية لمذهب ديني يقول بشيوعة النساء والمال، فاستهوى القلوب واعتنقه قباذ: وحاول فرضه على المنذر فرفضه، فما كان من قباذ إلا أن أعان عليه الحارث بن عمرو ملك كندة الذي روي أنه اعتنق المزدكية نكاية بالمنذر -وهو قول يكتنفه الشك، وسأناقشه عند الحديث عن دولة كندة- وهاجم الحيرة واحتلها، وجلس على عرشها مكان المنذر الذي التجأ إلى القبائل العربية في الصحراء، إلى أن مات قباذ وتولى بعده ابنه كسرى أنوشروان فأعانه على الرجوع إلى عرشه بعد أن فتك بمزدك ونكل بأتباع المزدكية.

وقد قامت في عهد المنذر حروب طويلة بين المنازرة والغساسنة، أثارتها رغبة الفرس في التنكيل بالبيزنطيين في عهد الإمبراطور "جوستين" الأول، الذي مطل في دفع أتاوة كان الروم البيزنطيون يدفعونها للفرس بناء على بنود صلح عقد بين الطرفين عام ٥٠٦م.

بدأت هذه المعارك سنة ٥١٩ م، وقام المنذر فيها بدور مهم، إذ تمكن من أسر قائدين بيزنطيين إثر هجوم شنه على سورية. ثم تجددت الحرب سنة ٥٢٨-٥٢٩م فتوغل حتى حمص وأفامية وأنطاكية، وحتى الأناضول، وبعد أن أضرم **الحرائق** في بعض المدن عاد وفي ركابه كثير من الأسرى بينهم ٤٠٠ راهبة، روي أنه قدمهن ضحية للآلهة، أو اصطفاهن لنفسه.

ولما تولى الإمبراطور "جوستنيان" العرش البيزنطي أدرك أنه لا سبيل إلى وقف التحدي الفارسي إلا بدعم الغساسنة، فعين الحارث بن جبلة بن أبي شمر "الملقب بالحارث." (٢)

---

(١) تاريخ العرب القديم توفيق برو ص/٢٩

(٢) تاريخ العرب القديم توفيق برو ص/١٣٠